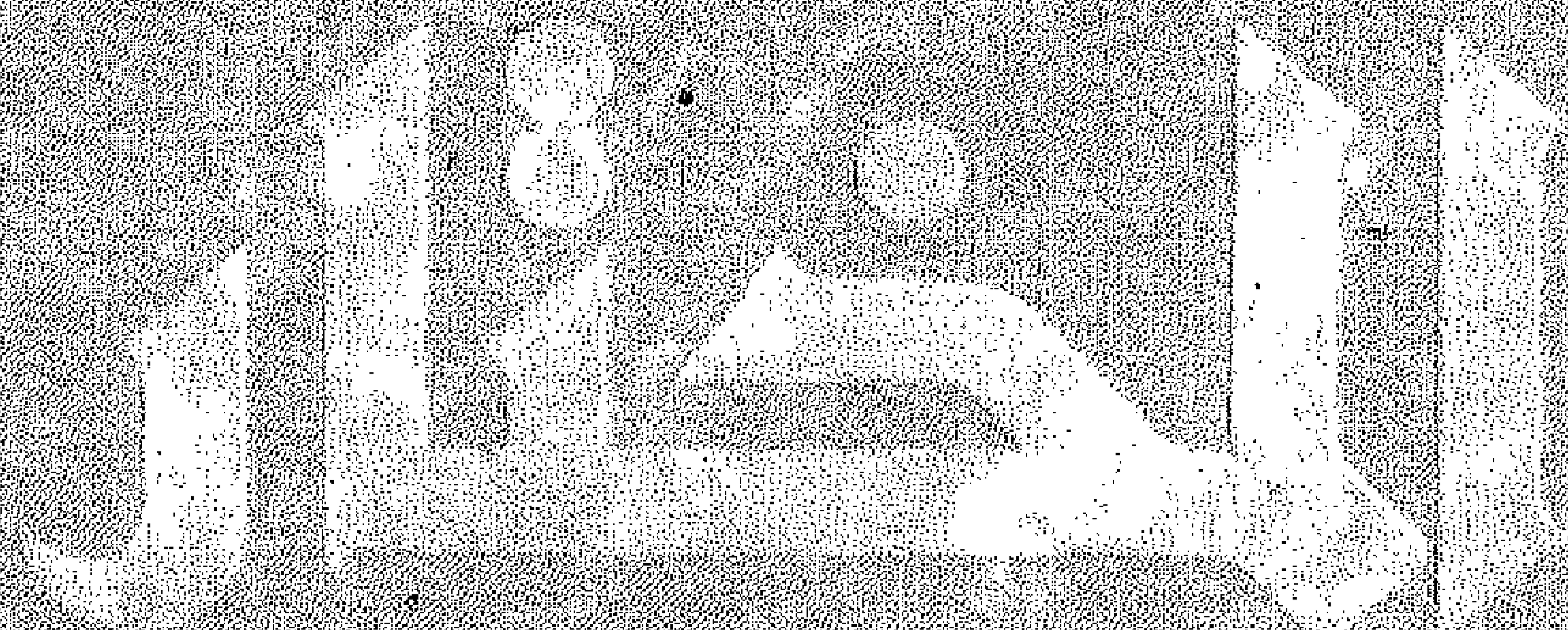
يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢ - رجب ١٤١٢

Reader's Digest



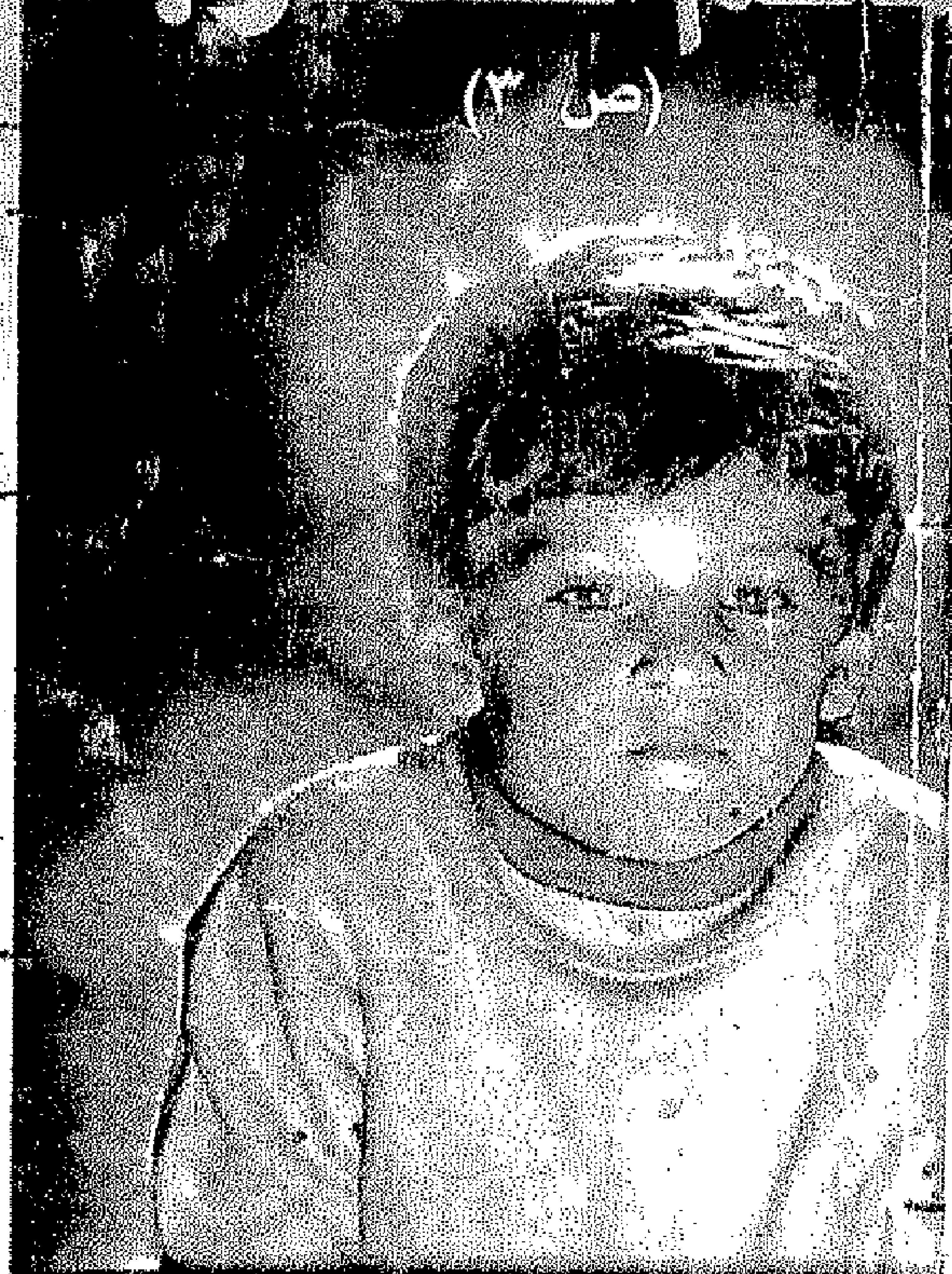
AL MUKHTAR min Reader's Digest January '92 N° 158

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

(ص ٩٩)

دماغك
ذكر أم أنثى؟
(ص ١٤)

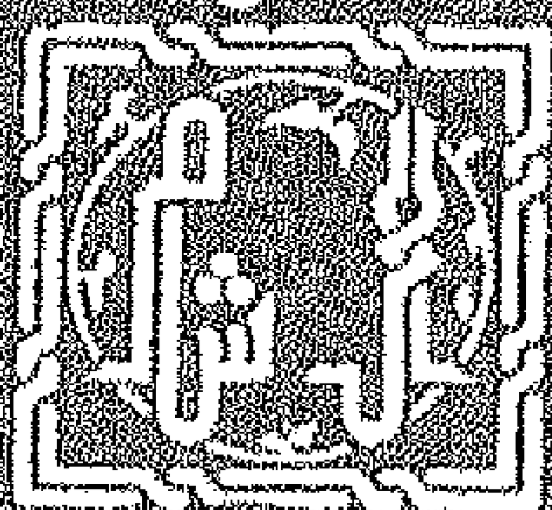
التلفزيون
علّم الصغار!
(ص ٣)



فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة

فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . . صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولاتنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية باكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها .



للحجز : فندق الشام ـ ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤
التلكس ٤٣٢٨٣ PRESSE LE – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

January '92 N° 158 (New Series) Vol. 14

ريدرز دايجست
المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.
الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

ن ١٥٠٠ل – سورية ٧٥ل – الاردن ١د – الكويت ١د – الامارات العربية المتحدة ١٠د – قطر ١٠ر – البحرين ١د
سعودية ١٢ر – مصر ٢ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ١ ر – قبرص ١٫٥ ج
نس ١د – المغرب ١٠د – الجزائر ٧د – انكلترا ١٫٥ج – اليونان ٤٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢٫٥د

موسوعة الدحداح في علم العربيّة

١ ـ معجم قواعد اللّغة العربيّة في جداول ولوحات

٢ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ) (فرنسيّ ـ عربيّ)

٣ ـ معجم مصطلحات الإعراب والبناء في قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ) (إنكليزيّ ـ عربيّ)

٤ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ عربيّ)

٥ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ فرنسيّ)

٦ ـ معجم قواعد العربيّة العالميّة (عربيّ ـ إنكليزيّ)

٧ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة

٨ ـ معجم تصريف الأفعال العربيّة (الوسيط) ـ يصدر قريبًا ـ

٩ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ عربيّ)

١٠ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ إنكليزيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١١ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (عربيّ ـ فرنسيّ) ـ يصدر قريبًا ـ

١٢ ـ معجم لغة النّحو العربيّ (الوجيز) ـ يصدر قريبًا ـ

دعوا التلفزيون يثقف أولادكم

احسنوا استخدام التلفاز فهو وسيلة نفيسة لتثقيف أولادكم

لكم حذَّرنا من تأثير التلفاز في الاولاد، اذ ينسب اليه تدني علاماتهم المدرسية وتحويلهم آليات متحركة. ولكن الم يدهشنا جميعا في وقت ما أن نسمع ولدا يدلي بمعلومات غير مرتقبة تعلمها من التلفاز؟

كانت أليتا هيوستن، الاختصاصية بعلم النفس الانمائي في جامعة كنساس، تتكلم ذات يوم الى طفلة في الخامسة من عمرها تقرأ بسهولة أرقاما في منزلة المئات. فسألتها:

PHOTO: © AL FRANCEKEVICH / THE STOCK MARKET





"أين تعلمت كل هذه الارقام؟"

أجابت الفتاة: "من التلفاز." وسمَّت لها برنامج ألعاب يعرض أسبوعياً.

وكانت ابنة هيوستن، وهي في السن السادسة، تتمرن على التهجئة من طريق مشاهدة مسابقات في تركيب الكلمات على التلفاز.

وشُده أحد الصحافيين ذات صباح حين جلس معه ابنه الصغير وراح يحدثه بطلاقة عن الطبع الهادىء للديناصور "برونتو سورروس." وكان الصبي اكتسب "خبرته" من برنامج رسوم متحركة عن انسان العصر الحجري*.

ان مشاهدة التلفاز تخدر عقول الصغار... أو توسعها. وقد اكتشفت هيوستن، التي أجرت أبحاثاً مكثفة عما يتعلمه الاولاد من التلفاز، أن الصغار المتفوقين في المدرسة يقضون قرابة عشر ساعات أسبوعيا في مشاهدة التلفاز. أما الاولاد الذين يشاهدون برامج التلفزة أكثر من عشر ساعات أسبوعياً، أول أقل، فهم أقل نجاحا في دروسهم.

ولوفرة البرامج التي تعرض حالياً، يصعب ضبط ما يشاهده الصغار. لكن هذا الضبط ليس مستحيلا. هنا بعض ارشادات تتيح لكم التأكد من افادة أولادكم من التلفاز، لا التضرر منه:

١. **باشروا المراقبة باكراً.** يبدأ الطفل العادي مشاهدة التلفاز وهو في عمر السنتين ونصف السنة. وما ان يبلغ السن الرابعة حتى يصرف ثلاث ساعات أو أكثر يوميا في مشاهدته. وهذه السنوات الاولى هي الوقت الحاسم الذي يعمد فيه الاولياء الى ترسيخ مبادىء سامية في نفوس أولادهم، كالاستقامة والكرم والطموح واللطف. ويُخشى أن يبث التلفاز قيما أخرى مناقضة. لذلك دققوا في البرامج لكي تتبينوا المغازي التي تتضمنها. فاذا اكتشفتم فيها ما يناقض مبادئكم وقيمكم، وإن على نحو غير ملحوظ، انتقوا لاولادكم برامج أخرى.

في الواقع، لا يسعكم الحكم قبلا على كل مشهد في البرنامج، لكنكم تستطيعون الاطلاع جيداً على البرامج التي يشاهدها أولادكم بانتظام. لا تفترضوا أن البرنامج مفيد أو خال من الاساءة لمجرد أنه "مخصص للاولاد." فليست كل الرسوم المتحركة منزَّهة عن الحاق أذى بالصغار وافسادهم.

٢. **ضعوا قوانين مبدئية.** اختاروا بعناية مكاناً مناسبا لوضع جهاز التلفاز، على ألا يكون في غرفة الاولاد حيث يمكنهم مشاهدة البرامج من دون رقيب، أو بالقرب من المائدة حيث يلهيهم عن الاكل. والمكان الافضل هو حيث يستطيع الوالدان القاء نظرة على الشاشة من وقت الى آخر.

حددوا عدد الساعات التي تسمحون لاولادكم خلالها بمشاهدة التلفاز. قد تكون عشر ساعات في الاسبوع كافية

(*) The Flintstones

لاولاد المدارس. وليكن هناك سبب وجيه لتمديد المشاهدة أكثر من ساعتين في يوم ما، كعرض برنامج تثقيفي أو توجيهي خاص أو فيلم رائع للاولاد. انما يتعين أن تظل الافضلية للفروض المنزلية والنشاطات العائلية. فاذا تضارب وقت التحضير لامتحان مع عرض برنامج مشوّق، فلا بد من التضحية بالبرنامج آنيا، وربما تسجيله على الفيديو لمشاهدته لاحقا.

بعد تحديد قوانين مشاهدة التلفاز، تأكدوا من احترامها والتقيد بها لدى جميع أفراد العائلة. وأبلغوها الى الحاضنات والانسباء الذين تعهدون اليهم في رعاية الاولاد في غيابكم.

يقول الباحث في شؤون التلفاز دونالد روبرتس من جامعة ستانفورد، ان الآباء هم حراس الاولاد، ولهم السلطة المطلقة في تحديد ما يجب أن يشاهدوا وما لا تجوز مشاهدته. ومثلما أنتم لا تسمحون لولد ذي سبع سنوات باختيار ما يشتهي للعشاء، جدير بكم وضع قوانين لمشاهدة التلفاز والتشدد في حمل الجميع على التقيد بها.

٣. لا تسمحوا للاولاد بمشاهدة التلفاز لمجرد التسلية. يلجأ كثير من الاولاد الى التلفاز لقتل الوقت... لأنهم يشعرون بضجر أو تعب أو فراغ. فيشاهدون ما تيسر من برامج، واحداً بعد آخر من دون تمييز.

لذا يتعين عليكم انتقاء البرامج المفيدة لاولادكم، كما فعل آل روبرتس. فهم في نهاية كل أسبوع يجلسون معا وينتقون البرامج التي تحسن مشاهدتها طوال الاسبوع التالي. ولدى انتهاء كل برنامج مُختار يطفئون جهاز التلفاز. ويقول روبرتس: "قلَّت مشاهدتنا لبرامج التلفاز، ولكن ازدادت افادتنا منه، ولا يتذمر أحد منا. نحن نشاهد البرامج لأننا نريد أن نشاهدها، لا لانها معروضة على التلفزة."

لدى تحضير جدول البرامج، انتقوا منها ما يتيح للعائلة كلها الاجتماع والتمتع معا بالمشاهدة. شددوا على التنوع، ولا تدعوا مجالا لافراط الاولاد في مشاهدة الرسوم المتحركة وبرامج الالعاب والعروض الفكاهية.

٤. اربطوا بين التلفاز ونشاطات مفيدة. معروف أن القراءة والتلفاز ضدان لا ينسجمان. انما في الامكان، من طريق مشاهدة بعض البرامج، بث حبّ المطالعة في الاولاد وحفزهم على قراءة كتب مشوقة.

شجعوا أولادكم على قراءة روايات تعرفون أنها ستعرض على الشاشة. ليقرأوها قبل العرض أو بعده، فذلك ينمّي فيهم الرغبة في المطالعة والاستزادة من المعرفة.

واذا عرض برنامج عن الحيوانات البرية، أو مباراة في كرة القدم، فمن المفيد أن تصطحبوا أولادكم الى حديقة الحيوانات لمشاهدتها عن كثب، أو الى الملعب لمشاهدة اللاعبين شخصياً.

٥. اجلسوا مع أولادكم الى التلفاز. من اللافت أن أولاداً كثيرين يجلسون وحدهم أمام الشاشة لمشاهدة برامج، هي أكثر افادة اذا شاهدوها مع والديهم. فمشاهدة البرامج قد تكون مناسبة للتباحث في أمور شخصية وعائلية والتكلم الى الاولاد عن المحبة والاحترام اللذين يجب أن يسودا العلاقة بين أفراد العائلة.

بعد انتهاء البرنامج تناقشوا فيه مع الاولاد، واطلبوا منهم تعليقاً عليه. ما الذي بدا لهم حقيقياً؟ وما الذي وجدوه رائعاً او محبطاً؟ وما المغزى الذي استشفّوه؟

والمشاهدة المشتركة تتخطى النقاش. فالاولاد يكتسبون آداباً اجتماعية بمراقبة تصرفات والديهم. فيلاحظون، مثلاً، متى يليق الضحك ومدى تشكيك الكبار في الاعلانات التجارية الطنانة. فينشأون مطبوعين على الحذر في الشراء.

وحضور الوالدين يساعد الابناء على التمييز بين الجودة والتفاهة. تقول بيغي تشارن: "هكذا تتشكل الاذواق. الاولاد يستوعبون ما يعتقده آباؤهم سخيفاً أو رائعاً."

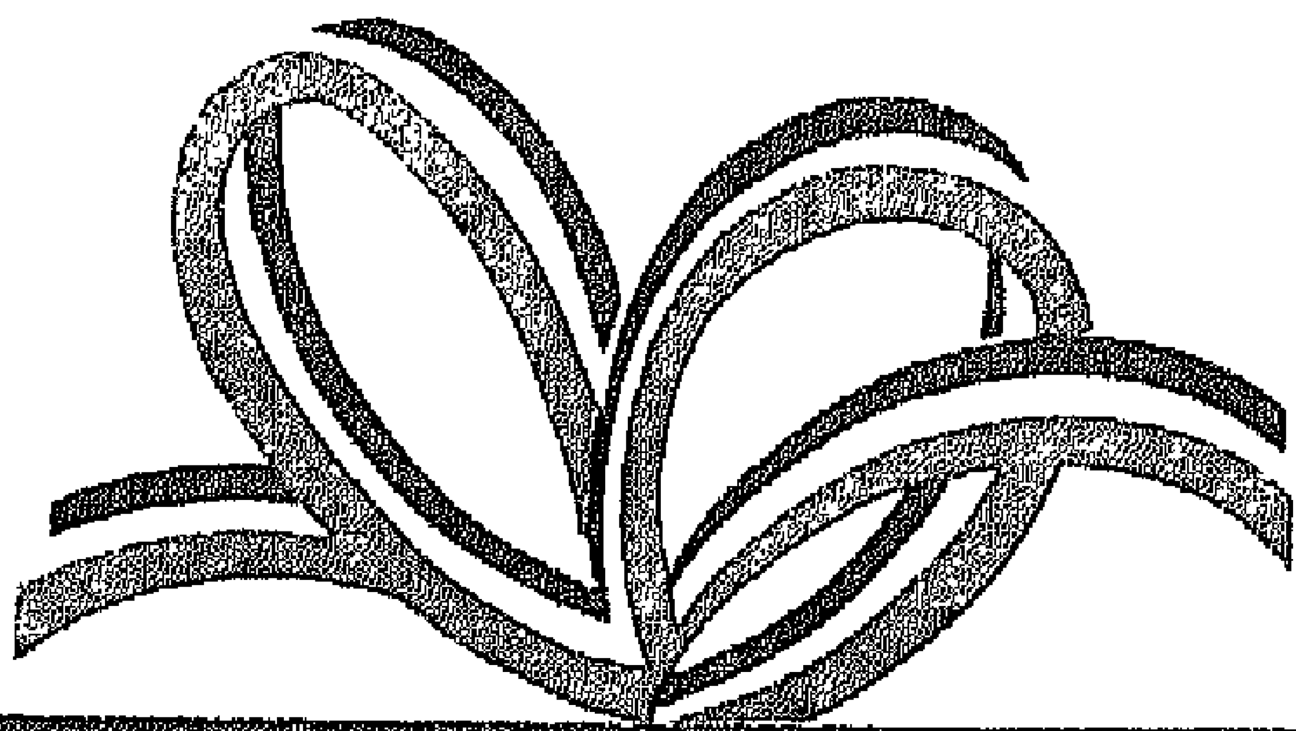
٦. نظّموا برامج خاصة. شعر أحد الآباء بخيبة إزاء البرامج التافهة التي يشاهدها ابنه، فنظم جدولاً بأفلام فيديو، وفي عشية عطلة نهاية الاسبوع يجلس مع زوجته وابنه لمشاهدتها. وكان ينتقي وزوجته أفلاماً كلاسيكية مختلفة ويقول لابنه: "هذه أفلام أحببتها قبل سنوات ونالت شهرة واسعة، وأعتقد أنك ستحبها انت ايضاً." وهي أعجبت الابن فعلاً، وتمتع الوالد بمشاهدتها ثانية.

٧. اركبوا بساط الريح. قد يؤدي بكم البحث الى اكتشاف برامج تثقيفية رائعة تفتح لاولادكم آفاقاً واسعة على عوالم بعيدة. يتذكر أحد المسؤولين في حقل الاعلام خبرته الباكرة في التعلم. فهو نشأ في محلة معزولة في منطقة جبلية نائية، ويقول: "كانت المعلومات المتوافرة لدينا عن بلادنا وعن العالم محدودة جداً. فأدخل التلفاز الى منزلنا الأحداث الكبرى والرجال العظام."

لقد صار ممكناً لاولادكم، بواسطة "بساط الريح" هذا، التقاء أولاد في الصين والعودة الى قرون غابرة ورؤية حمر الوحش في افريقيا والكنغر في أوستراليا والاستماع الى وقائع حدث ما في مكان ما من العالم.

يقول جيروم سنغر أستاذ علم النفس في جامعة ييل والمؤلف المشارك لكتاب "استخدموا التلفاز لمصلحة أولادكم": "ان تعليم الاولاد حُسْن انتقاء البرامج المفيدة هو مسؤولية أبوية جلّى. وهي صنو تعليمهم اتقاء أخطار السيارات، كيف يقطعون الشارع وكيف يشدّون حزام المقعد. المسؤولية ذاتها تشمل التلفاز."

ادوين كيستر جونيور
وسالي فالنت كيستر ■



فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى

تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار).
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد الشخصية وذكرى الزواج او عيد الحب...
فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟
فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١ فما عليكم الا ملء القسيمة باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
ALLIED BUSINESS BANK S.A.L.
P.O.BOX 113-7165
BEIRUT-LEBANON
(TELEX 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
c/o Aramex International Courier
P.O.Box 3814 Deira United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar B.P. 819
94549 Orly Aerogare France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

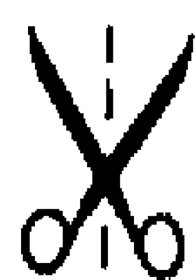
____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________



مع أخلص تمنياتنا

Reader's Digest
المختار
يناير (كانون الثاني) ١٩٩٢
رجب ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

لقاح السّرطان آتٍ

هل يصبح السرطان في المستقبل القريب مرضاً "عادياً" يعالج بلقاح؟

عانت مارلين غيزي طوال ١٨ شهراً تعرُّقاً ليلياً وغثياناً واعياء. وهي مديرة مدرسة ابتدائية في الحادية والخمسين من عمرها. وبحلول ربيع ١٩٨٨ لم تعد قادرة على العمل أكثر من ساعتين يومياً. وفي يوليو (تموز) شخَّص طبيبها اصابتها بسرطان في الكلية. وبعد أسبوعين أجريت لها جراحة في المركز الطبي التابع لجامعة روشستر واستأصل الجرَّاح ورماً كبيراً التفّ حول كليتها اليمنى وملأ بطنها.

ولما أظهرت صور الاشعة السينية (إكس) ان السرطان امتد الى رئتها اليسرى والى غدّتها الكظرية،[١] قدر الأطباء أن أملها في العيش سنتين أو أكثر لا يتجاوز ٢٠ في المئة. وذات يوم عادها الدكتور كريغ ماكون أستاذ الطب وعلم الأورام في جامعة روشستر. وكان طور لقاحا ما زال في طور الاختبار، ولربما شاءت غيزي تجربته. قال لها: "لم يُجرَّب هذا اللقاح الا على ٥٠ مريضاً.

(١) Adrenal gland

لكنه أوقف السرطان لدى ٢٠ في المئة منهم."

سألته غيزي: "ما هي خياراتي الأخرى؟"

فأجاب: "ليس هناك من علاج آخر ناجع."

خلافا للقاحات التقليدية، لا تمنع لقاحات السرطان الاصابة به. إلا أنها، اذا ما أُعطيت بعد استئصال ورم رئيسي، قد تساعد في القضاء على الأورام الثانوية وتمنع عودة بعض الأنواع الأخرى من السرطان. وهذا أمر في منتهى الأهمية، لأن ٩٠ في المئة من وفيات السرطان تسببها انبثاثات سرطانية ثانوية[٢] مكونة من مجموعات خلايا بالغة الصغر تنجو من مبضع الجرّاح أو من موقع العلاج الاشعاعي، وتروغ أحياناً كثيرة من العلاج الكيميائي، ثم تعود فتنتفض متحولة أوراما تقتل المصاب بعد أشهر أو سنوات على بدء العلاج.

والظاهر أن لقاحات السرطان تستحثّ جهاز المناعة على تدمير مجموعات الخلايا هذه قبل أن تنمو. ومتى انطلق الجهاز بفعل اللقاح، فانه يواصل تدمير أي تكتل جديد من الخلايا.

تلقت غيزي بعد شهر من لقائها الدكتور ماكون ثلاث حقن أولى من اللقاح، صبَّت كل منها في جسمها أكثر من ١٠ ملايين من خلاياها السرطانية المخمدة. وسرعان ما "استُنفر" جهاز المناعة في جسمها، وقضى في مطلع ديسمبر (كانون الاول) على الورم السرطاني في رئتها الذي اختفى كأنه لم يكن. وفي منتصف ذلك الشهر عادت الى عملها. وفي يوليو (تموز) ١٩٩٠ استؤصل الورم السرطاني من غدّتها الكظرية وخضعت لدورة أخرى من الحقن.

تقول غيزي انها اليوم في صحة جيدة على رغم وجود ورم صغير في كتفها اليسرى وآخر على عظمة في حوضها. وتضيف: "لم أجتز بعد عتبة الخطر، لكني عدت الى الحياة الطبيعية."

حلول آتية. ما تحقق مع مارلين غيزي هو في الواقع جانب من أفق جديد في معالجة السرطان. وتُختبر على نطاق واسع لقاحات جديدة لسرطاني الكلية والقولون والورم القتامي.[٣] ويعمل الباحثون مخبرياً على لقاحات لسرطان الرئة وعنق الرحم والثدي، ويستطلعون لقاحا لفيروس سرطان الدم من نوع الخلية «T».[٤] والغاية من كل ذلك اعداد ترسانة لقاحات يعتمدها الأطباء في منع تكوّن أنواع كثيرة من الامراض السرطانية. لكن سنوات كثيرة قد تمر قبل تحقيق هذا المرام.

ويحذر الدكتور ماكون من أن أي تقدم في هذا المضمار لن يأتي فجأة، ذلك لأن سنوات ستنقضي قبل تنقية اللقاحات على نحو يحقق فاعليتها القصوى. غير أن

---

(٢) Micrometastases

(٣) Melanoma

(٤) T — cell leukemia

كثيراً من العلماء البارزين واثقون بأن الحلول لا بد آتية.

لكنها حلول لن تأتي بالسرعة المطلوبة، لأن السرطان سيصيب ملايين الناس هذه السنة. ويقدر أن مليون شخص سيصابون بالسرطان هذه السنة في الولايات المتحدة وحدها، وسيموت نصفهم بالمرض. وتفيد الوقائع أن الاصابات زادت منذ العام ١٩٧٣ بنسبة ١٦،٢ في المئة، وأن السرطان قضى على نحو ٣٥١ الف أمريكي عام ١٩٧٣ بالمقارنة مع نحو ٥١٠ آلاف عام ١٩٩١.

يقول الدكتور لازلو: "بفضل العلاجات التقليدية، من جراحة وأشعة وكيمياء، تختفي نسبة كبيرة من الاورام السرطانية المتفشية أو البالغة مرحلة متقدمة، لسنة أو سنتين أو أكثر، لكنها تعود الى الظهور في جميع الحالات تقريبا. فلو استطعنا إزالة تلك الخلية السرطانية الأخيرة، لتمكنّا من اجتناب عودة السرطان. ولا شك في أن اللقاحات تتيح مثل هذا الامكان."

مهمة صعبة. تعمل اللقاحات كالآتي: عندما تهاجم الجسم مادة غريبة – مثل فيروس أو بكتيريا (جرثومة) أو غبار طُلع[٥] أو عضو مزروع – فانه يستجيب بانتاج أجسام مضادة[٦] للقضاء على المتطفل. ويعتقد بعض العلماء، ومنهم رالف ريسفلد من معهد سكريبس للأبحاث في لايولا بولاية كاليفورنيا، أن ثمة عملية مشابهة تحدث طبيعيا عندما تبدأ الخلايا السرطانية التكاثر. ويعلل ريسفلد اعتقاده قائلا: "لولا ذلك لازداد عدد المصابين بالسرطان. والمشكلة هي أن استجابة جهاز المناعة ليست دائما قوية كفاية للقضاء على جميع الخلايا الخبيثة."

وتؤدي لقاحات السرطان عملين: أولهما اطلاق دفاعات الجسم بفعل مواد مساعدة تضاف الى اللقاح، وهي تراوح بين بكتيريا غير ضارة ومحاليل كيميائية سامة. وثانيهما، وهو أهم، ارشاد جهاز المناعة الى ما تتوجب مهاجمته، لأن الخلايا السرطانية تنشأ من خلايا عادية، والفوارق بين النوعين طفيفة لا يميزها هذا الجهاز. وعمل اللقاح تحديد هذه الفوارق بحيث يميز الجسم الخلايا السرطانية كأجسام غريبة ويهاجمها.

ومفتاح تحديد هوية الخلية هو ما يكون على سطحها من "بطاقات تعريف" خاصة تدعى مولِّدات المضاد.[٧] وتحتوي كل خلية سرطانية على عدد غير معروف من مولِّدات المضاد الحافزة للمناعة. وتحديد المولدات الملائمة مهمة صعبة. ولكن متى اكتشف العلماء أيا من المولدات هي المرتبطة بنوع محدد من السرطان، فانهم يستطيعون عزلها واستنباتها وتحويلها لقاحات تستنفر جهاز المناعة.

وقد بدأ العلماء يتصورون مستقبلا تصبح فيه لقاحات السرطان علاجات

(٥) Pollen . وهو لقاح النبات.
(٦) Antibodies
(٧) Antigens . وهي مواد تنشأ عن حقنها في الجسم اجسام مضادة لها.

لقاح لسرطان الكبد

ذات يوم من العام ١٩٨١ دخلت امرأة حامل من شعب الاسكيمو مستوصفا قرب بلدة نوم في ألاسكا. كان جلدها أصفر بلون الخردل، وكانت تشكو من ألم حاد في أعلى بطنها الى اليمين، وهاتان علامتان تشيران الى سرطان متقدم في الكبد. وكانت شقيقتها الكبرى توفيت قبل أشهر بالمرض إياه. (وقضى شقيقها الأصغر لاحقا.) كان هؤلاء جميعهم حاملين فيروس التهاب الكبد «B»،* وهو سبب معروف لسرطان الكبد.

لم يستطع الطبيب المداوم بريان ماكمهون شيئا للأم الشابة. غير انه عالج ابنتها، بعد ساعات من ولادتها، بلقاح لفيروس التهاب الكبد «B» أُجيز حديثا، إذ غالبا ما يُنقل الفيروس بالتعرض للدم فيبتلى به، عند الولادة، أطفال كثيرون لامهات مصابات.

ولم تمض أسابيع حتى توفيت الأم. إلا أن الطفلة نجت، وهي اليوم في العاشرة من عمرها. ولولا اللقاح لأصيبت حتما بفيروس التهاب الكبد «B» وفاق احتمال موتها بالسرطان ٥٠ في المئة.

يلتقط نحو ٣٠٠ ألف شخص عدوى فيروس التهاب الكبد «B» في الولايات المتحدة وحدها، ويصبح ما بين ٢٥ و٢٨ ألفا منهم حاملين مزمنين تتطور اصابة ربعهم الى سرطان الكبد.

وقد توافر في الولايات المتحدة، منذ العام ١٩٨٢، لقاح يقي من هذا الفيروس ويمنع الاصابة بسرطان الكبد المتصل به. وتوصي مراكز مراقبة الامراض والاكاديمية الامريكية لطب الأطفال بتلقيح الاطفال عند الولادة. وتفرض القوانين الاتحادية على أرباب المصالح الخاصة الأكثر تعرضا للعدوى، كالمستشفيات، تلقيح عمالهم مجانا. ويستطيع آخرون الحصول على اللقاح من أطبائهم.

(*) Hepatitis

عادية. يقول الدكتور ادوارد كون أستاذ البيولوجيا المجهرية في جامعة ايلينوي بشيكاغو: "لن تحل اللقاحات محل الجراحة في معالجة أورام كبيرة راسخة مثل سرطان الثدي أو سرطان الرئة، الا أنها قد تصبح من الخيارات العلاجية اللاحقة للجراحة، سواء استُعملت وحدها أو بالترافق مع علاجات أخرى."

واليوم يفيد بعض المرضى من خيار العلاج اللقاحي.

نتائج ايجابية. في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ أنبأ الأطباء جين كرشنر، وهي أرملة في الثالثة والسبعين من عمرها، أنها مصابة بسرطان القولون. وبعد إخضاعها للجراحة ذكر لها طبيبها الاختصاصي بالأورام أن ثمة لقاحا اختباريا قد يساعدها في تفادي العلاج الكيميائي وأعراضه الجانبية الموهنة. فوافقت جين على تجريب اللقاح. وهي تقول الآن: "لم أشعر يوما بحال أفضل."

تنجح جراحات استئصال سرطان القولون بنسبة ١٥ في المئة حين يكون السرطان موضعيا وفي المرحلة "أ" من خباثته. ولكن حين يهاجم جدار القولون (المرحلة "ب") أو ينتشر الى الغدد اللمفوية (المرحلة "ج") فان معدلات الشفاء تتدنى كثيرا.

وفي محاولات سابقة أجريت في عدد من المستشفيات ساعد لقاح طوَّره مايكل حنا، نائب رئيس مؤسسة أبحاث التكنولوجيا الحيوية في روكفيل بولاية ماريلند، ما يزيد على نصف المرضى الثمانين الذين عولجوا. ويخضع اللقاح اليوم لاختبارات ضمن دراستين واسعتي النطاق.

يقول الدكتور دوغلاس تورمي الذي يرئس مجموعة من باحثي علم الأورام تشرف على هاتين الدراستين: "قد تكون للنتائج الايجابية مفاعيل بعيدة الأثر بالنسبة الى المصابين بسرطان القولون."

ثمن زهيد. أواخر صيف ١٩٨٧ لاحظت أنجيلا روز – بريان (٣٥ عاماً) تحوُّل شامة صغيرة في كتفها اليمنى من لون بنّي داكن الى أسود قاتم. وعندما استأصل جراح الشامة وأرسلها للفحص المجهري، تبين أنها ورم قتامي خبيث.

لم تُظهر الجولة الأولى من الفحوص أي دلائل الى انتشار السرطان. ولكن في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ وجد الأطباء ثلاثة أورام، واحداً في الغدد اللمفوية تحت الذراع اليمنى واثنين قرب الشامة الأصلية. وفي إثر استئصال الأورام الجديدة انبأ الأطباء أنجيلا عن لقاح يختبره الدكتور مارك والاك رئيس قسم الجراحة في مركز سانت فنسنت الطبي في مدينة نيويورك. فكان ردها: "لن تضيرني التجربة."

بدأت أنجيلا تلقي اللقاح في مايو (أيار). وسببت لها الحقن كدمات مؤلمة تشبه لسع الحشرات، وغثياناً وألماً في المفاصل. لكن ذلك "كان ثمناً زهيداً" كما تقول أنجيلا روز – بريان وقد شفيت من السرطان قبل أكثر من ثلاث سنوات.

وتشفي الجراحة ٩٠ في المئة من حالات الورم القتامي الموضعي في مراحله الأولى، لكن الأمل في العيش طويلاً ضئيل في حال المرضى الذين تفشى الداء في أجسامهم.

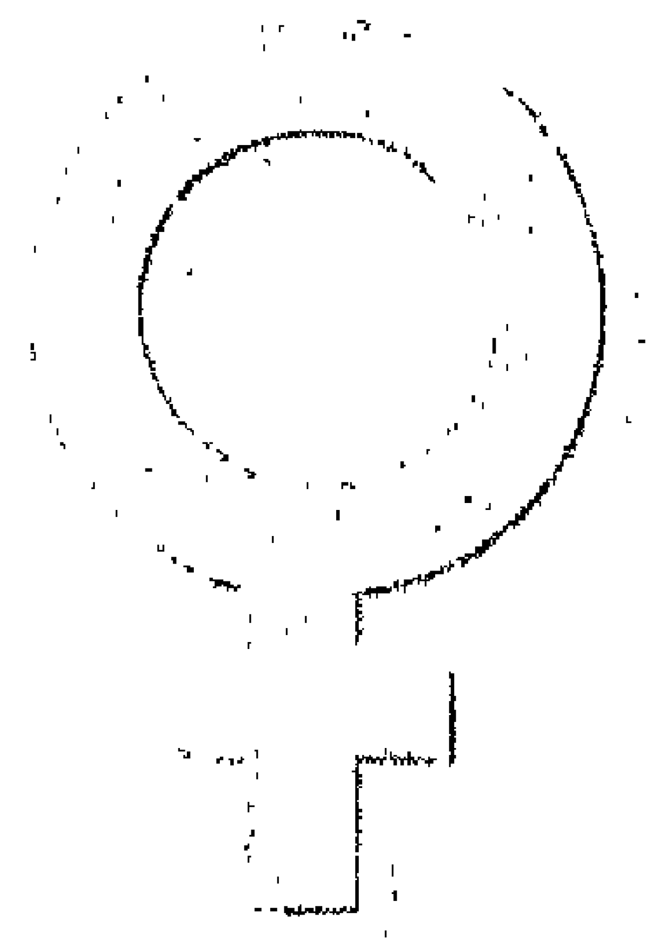
وهذا واقع قد يغيره اللقاح. فاستناداً الى معدل نجاح بلغ ٦٠ في المئة في تجربة سابقة، يجري الدكتور والاك تجربة كبرى على لقاحه تدوم ثلاث سنوات.

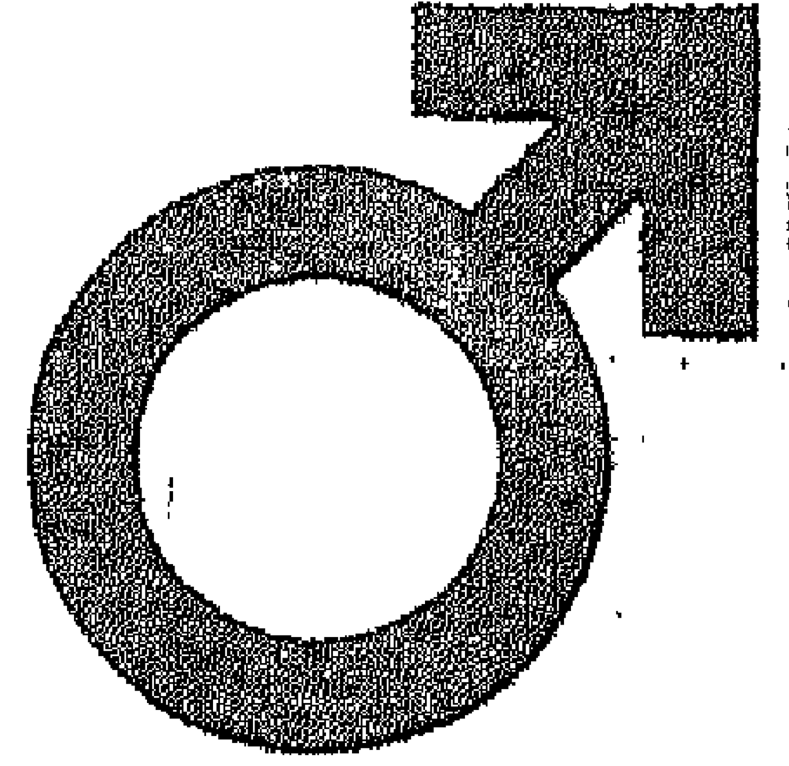
إن بزوغ عصر لقاحات السرطان يعني أن أناساً كثيرين باتوا يجدون أملاً حيث كان الأمل مفقوداً.

ساندي هولي فارس ربح أكثر من ٥٠٠٠ سباق. عرف قبل أربع سنوات أنه مصاب بسرطان قتامي. وفي إثر استئصال ورمين صغيرين والغدد اللمفوية في عنقه وذراعه اليمنى، بدأ تناول لقاح اختباري للورم القتامي. فلم تظهر عليه أعراض السرطان مذذاك، وعاد الى ركوب الخيل. وهو تزوج في يونيو (حزيران) ١٩٩١ ويأمل أن يرزق أولاداً كثيرين. يقول: "اني أخطط لحياتي كأني لا أشكو من شيء."

قبل سماع هولي عن لقاحات السرطان، لم تكن له حياة يخطط لها.

باتريشا سكالكا ■





دماغك ذكر أم أنثى؟

أصحيح أن تركيبة الدماغ في الذكر هي غيرها في الانثى؟ أجيبوا عن أسئلة هذا الاختبار لتعرفوا جنس دماغكم

لماذا لا تستطيع المرأة أن تكون كالرجل؟

ما زال العلماء يبحثون عن جواب. وقد طلعوا باحتمالات تثير الاهتمام. هم ينظرون بأن الرجال والنساء مختلفون لأن الفارق الطفيف في بنية الدماغ يؤدي بالجنسين الى معالجة المعلومات بطرق شديدة التباين.

وقد يكون ذلك سبب تفوق الرجال على النساء في اختبارات القدرات المكانية، أي القدرة على تصوّر أشكال الاشياء ومواقعها وتناسبها بدقة أكبر في أذهانهم. كذلك ينزع الصبيان في المدارس الى تحقيق أداءات أفضل في الرياضيات المنطوية على المفاهيم المجردة للفضاء والعلاقات والنظريات.

في الجانب الآخر، تنطق البنات كلماتهن الاولى ويتعلمن استخدام الجمل

في وقت أبكر من الصبيان. وكشف بعض الدراسات أن النساء يستخدمن جملاً أطول وأكثر تعقيداً من تلك التي يستخدمها الرجال. كما أن عدد الصبيان يفوق عدد البنات في صفوف علاج قصور القراءة. ثم ان الفأفأة والتأتأة ومشاكل النطق الاخرى تظهر بنسب أكبر بين الذكور.

فما هي الفوارق البنيوية بين أدمغة الرجال وأدمغة النساء التي يمكن أن تسبب هذه الخلافات؟

اكتشف بعض الباحثين، استناداً الى فحوص أجريت على أدمغة بعد الوفاة، أن جزءاً من الجسم الجاسىء،* وهو كتلة الالياف التي تصل بين نصفي الدماغ، هو نسبياً، أكبر لدى النساء منه لدى الرجال (اذا اعتبرنا الوزن الاجمالي للدماغ)، مما قد يسمح بتبادل أوسع للمعلومات بين جهتي الدماغ اليمنى واليسرى.

اذا ثبت هذا الامر، فهو ربما يتوافق مع النظرية القائلة بأن النصف الايسر من أدمغة الرجال متخصص بالقدرات الكلامية أكثر منه لدى النساء. كما يبدو أن الرجال يستخدمون النصف الايمن من أدمغتهم عندما يعملون على مفاهيم مجردة، فيما تستخدم النساء النصفين.

لا يعرف العلم الى الآن طريقة تأثير هذا الامر في أسلوب تفكير الذكور والاناث، لكننا نعرف أن تطور الدماغ في الجنين يتأثر بالهرمونات كما يتأثر بالوراثة. فينشأ معظمنا مفكراً مثل الجنس الآخر، بنسبة بسيطة على الاقل.

قد يساعدكم الاختبار الآتي، المبني على دراسة تناولت ٢٠٠٠ شخص، في تحديد مدى تفكيركم كذكر أو كأنثى.

١. سمعتم مواء خافتاً. الى أي مدى تستطيعون تحديد مكان القطة من دون أن تتلفتوا حولكم؟

أ. اذا فكرتم في الامر، يمكنكم تحديد الموقع بالضبط.

ب. تستطيعون أن تدلوا الى القطة رأساً.

ج. لا تعرفون ما إذا كان في وسعكم تحديد موقعها.

٢. ما مدى قدرتكم على تذكر أغنية سمعتموها قبل دقائق؟

أ. ذلك سهل، ويمكنكم ترديد قسم منها مع اللحن.

ب. يمكنكم ذلك اذا كانت كلمات الاغنية بسيطة ولحنها ايقاعيا.

ج. تجدون صعوبة في التذكر.

٣. اتصل بكم شخص التقيتموه مرات قليلة. الى أي مدى يسهل عليكم التعرف الى صوته عبر الهاتف في اللحظات القليلة قبل أن يعرّف عن نفسه؟

أ. بسهولة فائقة.

ب. تتعرفون الى الصوت في ٥٠ في المئة من الحالات على الاقل.

(*) Corpus callosum

ج. في أقل من ٥٠ في المئة من الحالات.

٤. أنتم في رفقة مجموعة من الاصحاب. اثنان منهما (شاب وفتاة) على علاقة حب. هل تكتشفون ذلك؟
أ. في معظم الاوقات.
ب. في نصف الحالات.
ج. أبداً.

٥. تعرفتم الى خمسة أشخاص غرباء في حفلة جامعة. اذا ذُكرت لكم أسماؤهم في اليوم التالي، فالى أي مدى يمكنكم تصور وجوههم؟
أ. تذكرون معظمهم.
ب. تذكرون قلة منهم.
ج. لا تذكرون أحداً.

٦. كيف كنتم تجدون التهجئة وكتابة المواضيع الانشائية في سنوات دراستكم الاولى؟
أ. كلاهما سهل جداً.
ب. أحدهما سهل.
ج. كلاهما صعب.

٧. أنتم تقودون سيارة، وتلمحون موقفاً لها، ولكن عليكم أن تعودوا الى الخلف لايقافها، والمكان ضيق يكاد لا يتسع للسيارة، فماذا تفعلون؟
أ. تبحثون عن موقف آخر.
ب. ترجعون السيارة بتأن وحذر.
ج. ترجعونها من دون أدنى تردد.

٨. بعدما أمضيتم ثلاثة أيام في قرية غريبة، يسألكم شخص عن وجهة الشمال:
أ. غالب الظن أنكم لن تعرفوا الوجهة.
ب. لن تجيبوا بتأكيد، لكنكم، اذا فكرتم لحظة، تعرفون الوجهة المطلوبة.
ج. تدلون رأساً الى الشمال.

٩. أنتم في غرفة انتظار في عيادة طبيب أسنان. على أي مسافة يمكنكم أن تجلسوا بجانب شخص من جنسكم (ذكر أو أنثى) من دون أن تشعروا بضيق؟
أ. أقل من ١٥ سنتيمتراً.
ب. بين ١٥ و٦٠ سنتيمتراً.
ج. أكثر من ٦٠ سنتيمتراً.

١٠. أنتم في بيت الجيران تتحادثون. الماء يقطر من حنفية في مكان ما من المنزل، والغرفة في ما عدا ذلك هادئة.
أ. تلاحظون الصوت للحال وتحاولون تجاهله.
ب. اذا لاحظتموه، فغالب الظن أنكم تنبهون الجيران اليه.
ج. لا يسبب لكم الصوت أي ازعاج.

المستوى

للذكور:
١٠ علامات لكل اجابة "أ"
٥ علامات لكل اجابة "ب"
– ٥ علامات لكل اجابة "ج"

للاناث:
١٥ علامة لكل اجابة "أ"
٥ علامات لكل اجابة "ب"
– ٥ علامات لكل اجابة "ج"
وتُحسب ٥ علامات لكل سؤال لم تجيبوا عنه.

يسجل معظم الذكور بين صفر و٦٠ علامة، ويسجل معظم الاناث بين ٥٠ و١٠٠ علامة. ويشير التداخل (بين ٥٠ و٦٠) الى توافق بين الجنسين.

ومجموع دون الصفر لدى الذكور وفوق المئة لدى الاناث يدل على تركيب دماغي مختلف تماماً عما في الجنس الآخر. أما عندما يتجاوز المجموع لدى الذكور الستين وينقص لدى النساء عن الخمسين، فقد يدل ذلك على طريقة في التفكير منحازة نحو الجنس الآخر.

آن موير وديفيد جيسل ■



سيدة وآنسة

تزوّجتُ خلال العطلة الصيفية. وحين عدتُ الى المدرسة طلبتُ من تلميذاتي - وكنتُ علّمت معظمهنّ في العام الفائت - أن يدعونني "السيدة سليم" بدلا من "الآنسة حبيب."

وذات يوم سمعتُ احدى الامّهات تسأل ابنتها الصغيرة عن اسم معلّمتها، فأجابت: "تقول ان اسمها السيدة سليم، لكنها تشبه الآنسة حبيب تماماً."

ج.د.

سرّ أبيه

قدّم ابن احد رجال العصابات امتحاناً في المدرسة. ولدى عودته الى البيت سأله والده: "كيف كان الامتحان؟"

فأجاب الصبي: "ظلوا يطرحون عليّ أسئلة طوال ثلاث ساعات، لكنني لم أدلِ بشيء."

م.ك.

سن سمكري

مر زوجي، الذي يعمل سمكرياً، بطبيب أسنانه ذات مساء ليزرع له سناً "ملبَّسة." وحين عاد الى البيت ليلا شرح لي سبب تأخره: "لقد اقتضى الامر اكثر مما تصورتُ، اذ أوقعت مساعدة الطبيب السن في المغسلة، فتعين عليّ أن أفكك المغسلة قبل أن يتمكن الطبيب من بدء عمله."

أ.أ.

أضواء من عالم الطب

داء باركنسون تسمم عصبي؟

■ أعيت أسباب الاصابة بداء باركنسون (الشلل الرعاشي) العلماء لأكثر من قرن، اذ لم يظهر عامل واحد يؤدي، بمفرده، الى الارتعاشات والشلل التدريجي التي يبتلى بها ضحايا هذا المرض، ومعظمهم ممن تجاوزوا الخمسين.

أما الآن فقد كشفت فورة من الدراسات الحديثة رابطاً محتملاً. وتشير الدلائل الى أن داء باركنسون قد يتأتى من التعرض لمواد كيميائية في البيئة. ومع ان نتائج هذه الدراسات ليست نهائية، فان مراجعة أكثر من عشرة تقارير نشرت في السنوات الخمس الاخيرة (منذ ١٩٨٦) تشير الى أن الاشخاص الذين يقطنون في المناطق الريفية والمزارعين الذين يستخدمون مواد كيميائية زراعية قد يصابون بهذا المرض بمعدلات أعلى من فئات أخرى.

اللغز المتبقي هو: لماذا يتأثر بعض الناس بهذا التعرض فيما ينجو آخرون من دون أذى؟ يكمن السر - كما يؤمن بعض العلماء - في الكبد. فقد أظهر الباحثون في جامعة بيرمنغهام في بريطانيا أن مرضى باركنسون يعانون خللا في انزيمات (خمائر) تفرزها الكبد وتعمل عادة على ازالة السموم من المواد الكيميائية، فيتراكم السيستين والثيول، وهما مركبان يسممان الاعصاب، مما يمهد الطريق أمام الاصابة بعدد من الامراض العصبية. ويعتقد علماء آخرون ان خللا خلوياً قد يكون وراء عجز مرضى باركنسون عن تعطيل مفعول هذه الكيميائيات.

في أي حال، يبدو الباحثون متفائلين بتطوير اختبارات بسيطة قد تتيح يوماً انذار الافراد بأنهم يعانون خللا يجعلهم سريعي التعرض للمرض، فيتمكن هؤلاء من تفادي الخطر قبل وقوعه.

مجلة "نيوزويك"

مادة بقريّة تنقذ الاطفال الخدَّج

■ تبين للباحثين أن مادة تستخرج من رئات البقر وتستخدم في "طلي" رئات الاطفال الخدّج (المولودين بعد فترة حمل تقل عن ٣٧ أسبوعاً) تخفض خطر وفاتهم بنسبة ملحوظة. فقد كشفت دراسة أجريت متزامنة في عدة مراكز وشملت ٢٤٠ طفلا خديجاً، وفاة أقلّ من ١٢ في المئة من الذين عولجوا بهذه الطريقة خلال الساعات الثماني والاربعين الاولى بعد ولادتهم، وأن ٢ في المئة فقط من هؤلاء قضوا بسبب مصاعب في التنفس، بينما بلغ معدل الوفيات بين الاطفال غير المعالجين ٢٠ في المئة، قضى أكثر من ثلاثة أرباعهم بسبب مصاعب في التنفس.

وتعرف المادة بـ"الناشط السطحي البقري"* وتعمل على تخفيف التوتر السطحي في الرئتين مما يسمح لهما بالتمدد والتقلص بسهولة أكبر.

ويعاني نصف الاطفال الذين يولدون قبل الاوان بشهرين أو أكثر نقصاً في هذه المادة قد يؤدي الى اصابة بصعوبات في التنفس تشكل سبباً رئيسياً لوفاة الاطفال الخدّج.

نشرة جامعة لويولا

(*) Bovine surfactant

أمضى المتسلق الشجاع أسبوعاً يجر رفيقه الجريح عبر مسالك خطرة تتخللها حفر خفية وتتهددها انهيالات ثلجية مفاجئة

انعطفت الطائرة المزلاجية[1] نحو سلسلة جبال ألاسكا. فأجال ديفيد نيمن (٣١ عاما) بصره في القمم البيضاء المغمورة بنور الشمس وهتف لزميله المتسلق جيم سويني (٣٣ عاما): "الطقس رائع!" فابتسم جيم وأومأ برأسه موافقا.

وما لبثت الطائرة أن دخلت "المضيق العظيم"[2] الذي تحفّ بجانبيه قمم شاهقة ترتفع أكثر من ٣٠٠٠ متر، وأعمدة وجدران صخرية مكسوة بالجليد. وتراءى وسط المضيق منظر من أروع مناظر الارض، ألا وهو النهر الجليدي روث[3] الذي يمتد مسافة ٥٥ كيلومتراً. في هذا القفر العاصي المنعزل الذي يبعد ٨٠ كيلومتراً عن المدنية، أراد ديفيد وجيم تمضية عشرة أيام في التسلق.

كان جيم نجاراً أسمر البشرة رقيق القوام، غادر كاليفورنيا الى ألاسكا عام ١٩٧٩ حيث انضم الى فريق لانقاذ المتزلجين، ومارس رياضة التسلق

---

(١) Ski Plane
(٢) Great Gorge
(٣) Ruth Glacier



بتلهف وتابع تمارينه من دون انقطاع.

أما ديفيد فيزيد جيم وزناً بنحو تسعة كيلوغرامات وإن يكن أقصر منه قامة. وهو مهندس وُلد في ألاسكا ومارس التسلق حباً بالمغامرة والتسلية. وقد سبق أن تسلق جبال كاسكيد وروكي والألب، لكنه لا يتمرن الا نادراً.

أنزلت الطائرة المتسلقَيْن على بعد خمسة كيلومترات من جبل جونسون حيث أقاما قاعدة من خيمتين وأمضيا الايام

ILLUSTRATION: BILL SCHMIDT



الخمسة الاول في شحذ مهاراتهما بتسلق القمم العمودية المرتفعة ثلاثة كيلومترات عن النهر الجليدي.

وبحلول صباح ١٩ ابريل (نيسان) ١٩٨٩ اتفقا على أنهما أصبحا مهيأين لتسلق "جونسون إليفايتور شافت"[٤] وهو مضيق جليدي ينعطف صعوداً ٧٥٠ متراً عن السفح الشمالي للجبل.

انطلق الزميلان وكل منهما يعتمر خوذة ويضع نظارتين واقيتين وينتعل جزمة تسلق ويرتدي بذلة من النايلون مقاومة للريح فوق ثياب داخلية طويلة. وعلّق كل منهما بمشبك الظهر حبلا طوله ٥٠ متراً وأوتدة لدقها في الصخر والجليد وحلقات وصل لربط الحبل بالاوتاد وحلقات مزدوجة يمرر فيها الحبل وتفيد في وقف السقوط.

شق الاثنان طريقهما منزلقين بمشقة عبر الثلوج الكثيفة الى جزء ناتيء من جدار الجبل. وهناك ربط جيم طرف الحبل الى المشبك على ظهره وناول ديفيد الطرف الآخر، فربطه هذا الى مشبكه. ثم باشر جيم التسلق وهو يهوي بفأسه الثلجي وكلّابات جزمته على الجدار الجليدي، فيما ديفيد يمدّ له الحبل حتى تسلق ٥٠ متراً هي طول الحبل كاملا. فتوقف جيم ودقّ بضعة مرتكزات في صفحة الجدار ثبّت اليها جسده، ثم شرع ديفيد في التسلق للحاق به.

في غضون ثلاث ساعات تسلق الاثنان حوالى ١٨٠ متراً من الجدار المائل بانحناء ٧٥ درجة. وعلى هذا العلو ازداد الثلج رخاوة ولاحت الغيوم على بعد كيلومترات منذرة بالعواصف. وتابع جيم التسلق فيما وقف ديفيد على حَيْد منهكاً يتصبب عرقاً.

فجأة امتلأ الجو بدثار ثلجي هائل وسمع ديفيد رنينا معدنيا، فشد حبل التثبيت غريزيا، ثم شاهد جسما ضبابيا كبيرا يسقط عن جانبه تلاه سقوط صخور وكتل من الجليد والثلج. وما هي الا ثانية حتى شدُّه الحبل من قدميه، فارتطم بالجدار الجليدي.

شُدِه ديفيد اذ رأى نفسه يتدلى من المرتكز ولا يرى شيئاً سوى نثار الثلج المنجرف. فأدرك أن الجسم الضبابي الذي رآه يسقط لم يكن الا رفيقه. واذ حدق نزولاً شاهد جيم على مسافة ١٥ متراً تحته مقلوباً ومعلقاً بقدميه بطرف الحبل.

خفّ ديفيد هابطاً لنجدة رفيقه. واذ رأى اصاباته البالغة قال في نفسه: "يا

---

(٤) Mt. Johnson's Elevator Shaft مضيق يخترق جبل جونسون على شكل هاوية تشبه بيت المصعد.

الهي، انه ميت!" كانت خوذة جيم مصدّعة والدم ينزف بغزارة من أنفه وفمه وأذنيه، وكانت عيناه مغمضتين. فناداه ديفيد: "جيم!" ووضع اصبعه على شريان عنقه، فأنّ جيم وأجال عينيه. فاطمأن ديفيد الى أنه لا يزال حياً. لكن ورك جيم وساقيه بدت مصابة بكسور، كما أدت به إصابة في رأسه الى حال من الهذيان.

زوابع ثلجية. خلال سبع سنوات من تسلق الجبال معاً، أظهر جيم تفوقاً تقنياً جعل ديفيد يقبل بقيادته عادة. والآن أدرك ديفيد أن عليه وحده أخذ القرارات التي يتوقف عليها مصيرهما.

ثبّت ديفيد ثلاثة براغي في صفحة الجبل الجليدية، ثم ربط جيم بأنشوطة جديدة وجعله في وضع وقوف. فحدق جيم الى جدار الجبل وسأل رفيقه: "ماذا حدث؟"

أجاب ديفيد: "لقد سقطتَ. وسأنزلك الآن."

فألحّ جيم: "ديفيد! علينا مواصلة التسلق!"

لم يعر ديفيد هذيان جيم اهتماماً وهو يتسلق عائداً الى مرتكز الانقاذ. وبأقصى ما أوتي من قوة حوّل الحبل الحامل ثقل جيم الى المرتكز الجديد تحته، ثم ربط الحبلين معاً بواسطة حلقة شبك دقها في الجدار، وانزلق هابطاً.

بدأ ديفيد انزال شريكه شبه الغائب عن الوعي متّبعاً نهجاً محدداً. كان يهبط الى أقصى ما يسمح به طول الحبل (٥٠ متراً)، فيدق المرتكزات ويربط جيم الى الحبل الجديد، ثم يعود ويصعد لفك الحبل ويهبط ثانية.

كانت زوابع الثلج تضربهما وتعمي بصرهما بين حين وآخر. لكن ديفيد تابع العمل بثبات. وصار كل نصف متر يهبطانه بمثابة نصر جديد. وفي خمس ساعات استطاع ديفيد انزال جيم مسافة تزيد على ١٨٠ متراً. لكنه لم يستطع تتبع طريق صعودهما، فاضطر الى الهبوط برفيقه ١٢٠ متراً اضافية نحو منحدر جليدي الى جانب "إليفايتور شافت."

علم ديفيد أنه تجاوز حدود طاقته بحيث بات عاجزاً عن الامساك بالجدار الجليدي. وأنذره اندفاع الغيوم تحت قبة السماء الزرقاء بدنو العاصفة، ولمّا تبقَ الا ساعات قبل حلول الظلام، والموت يكاد يدرك رفيقه. وللحال دب فيه عزم جديد.

ولم يلبث أن أنزل جيم الى دثار الثلج الناعم الذي غطى النهر الجليدي، ثم هبط لاحقاً به. وهناك احتضن رأسه بحنان وخاطبه: "لقد نجحنا أيها العجوز."

هرع ديفيد الى حيث خيّم ورفيقه صباحاً لأخذ المؤن. وعند الغسق ولج الاثنان كيسي نومهما المبطنين بالفرو بعدما تناول ديفيد بعض الطعام الساخن والشاي. وبدا جيم بعد تناول حبتي أسبيرين أقل ارتباكاً وتشوشاً مما أحيا الامل في صدر ديفيد الذي كان يخشى أن يصاب رفيقه بصدمة وأن يتجمع سائل داخل جمجمته بفعل الاصابة في رأسه.

ومن دواعي القلق الاخرى هبوط الحرارة الذي يهاجم الجسم المبلل بالعرق بسرعة مميتة في مثل هذا الطقس. لذلك عمد ديفيد الى إلباس جيم سروالا ومعطفا من الفرو قبل إيوائه في كيس النوم. فأحس جيم بالدفء والجفاف على رغم آلامه المبرِّحة.

طلب النجدة. صباح اليوم التالي هبّت على المتسلقين عاصفة ثلجية كادت تدفنهما تحت طبقات الثلج التي راحت تتراكم فوق كيسي نومهما. وخوفا من انهيالات مفاجئة، سحب ديفيد شريكه مسافة ٣٠ مترا الى مكان امل أن يكون أكثر أمانا. وأعطاه مزيدا من الأسبيرين وجوربا جافا وقنينة ماء، وأدخله كيسا من نسيج واقٍ من العوامل الجوية، ولفه بكيس نومه المبلل مكونا بذلك عازلا حراريا.

حضّر ديفيد فطورا ساخنا وهو يرتجف بردا في ثيابه المبللة، لكن جيم رفض الاكل وقال وعيناه مزججتان: "التسلق رائع الآن." فأدرك ديفيد أن العودة الى الهذيان دلالة على تدهور مريع في حال جيم، وأنه اذا لم يحظَ بمعالجة طبية فقد يموت تلك الليلة. فقال له: "سأذهب الآن في طلب النجدة!"

كان أمل ديفيد الوحيد هو في الوصول الى كوخ للمتسلّقين يبعد ١١ كيلومترا، وعليه التزلج عبر حقول ثلجية تزخر بصدوع عميقة وفجوات فاغرة تحجبها جسور ثلجية رقيقة. ولم يجد ديفيد من سبيل آخر. فانطلق لا يلوي على شيء. وكان بعض المنخفضات الثلجية يتهاوى بعد هنيهة من عبوره اياها.

شعر ديفيد بنشوة غامرة حين بلغ الكوخ ووجد فيه أربعة متزلجين في اجازة. كان الكوخ يفتقر الى جهاز اتصال لاسلكي، لكن قائد المجموعة أخبره أن طائرتهم ستعود بعد يومين، مضيفا أن له خبرة في عمليات الانقاذ الجبلية. ولما كان ديفيد منهكا ولا يقوى على العودة من فوره، عرض قائد المجموعة وأحد المتزلجين نقل الامدادات الى جيم وتأمين ما أمكن من سبل الراحة له. فدلّهما ديفيد الى الطريق التي سلكها عبر الصدوع، وحدد لهما موقع جيم قائلا: "سألحق بكما بعد أن أنام قليلا."

عندما استيقظ ديفيد فجرا انطلق من فوره. وسرعان ما التقى المتزلجَيْن عائدين. فجال في فكره أن جيم مات. وحين اقترب منهما أمطرهما بوابل من الاسئلة. فأخبراه انهما أخفقا في تسلق النهر الجليدي لشدة وعورته ولكثرة الانهيالات الثلجية.

صمت ديفيد وقد حزّ الالم في نفسه، ثم قال بهدوء: "إنني في حاجة الى العدة والى متطوع واحد." فناوله قائد المجموعة العدة والامدادات متجاهلا طلب متطوع، ثم قال بلهجة مرحة: "إنك ستنجح حيث أخفقنا نحن." ووعده بطلب المساعدة لاسلكيا فور وصول الطائرة.

وفي طريق العودة الى جبل جونسون راح ديفيد يردد: "انه على حق. سأنجح!"

ولما اقترب من المنحدر الجليدي انهال الثلج من جانب الجبل. فارتاع ديفيد وومضت في خياله تصورات مرعبة تراءى له فيها جيم ميتاً وجسمه متصلّب وملقى في هوة لا سبيل اليها. فأغمض عينيه وراح يصلي.

ثم سمع صوت جيم يترجع من الجدران الجليدية: "النجدة! النجدة!" فرد عليه صائحاً بفرح: "ها أنا قادم يا جيم!" وحين بلغ الموقع وجد أن أحد الانهيالات الثلجية حمل جيم مسافة ستين متراً الى حيث قبع مدفوناً في الثلج حتى صدره.

نصب ديفيد خيمة أحضرها معه وسحب جيم اليها وأعطاه قرصي أسبيرين وألبسه ثياباً جافة وحضّر له الشاي وطعاماً ساخناً. في هذا الوضع المريح نسبياً قبع الاثنان ينتظران وصول النجدة.

الانقاذ مستحيل. في ساعة مبكرة من صباح ٢٣ ابريل (نيسان)، بعد يوم نال الرجلان خلاله قسطاً من الراحة، ضرب الخيمة انهيال دفنهما وألزم ديفيد حفر الثلج بيديه. وفي المساء تدنّت الحرارة وسقط الثلج بكثافة. فخلد الرجلان الى كيسي نومهما صامتين ينتظران الخلاص ويصليان. وكانا يعلمان أن معظم الانهيالات الكبيرة يحصل أثناء سقوط الثلج بكثافة، أو بعده. وما لبثت المنطقة أن ضجّت بأصوات انفجارات رافقت سقوط كتل ضخمة من الثلج والجليد.

ثم راحت الخيمة تترجح كقارب في بحر عاصف، بفعل رياح عاتية بلغت سرعتها ١٢٠ كيلومتراً في الساعة. فأخذ ديفيد يتلو الصلوات تكراراً وهو يحاول جاهداً تثبيت أعمدة الخيمة الالمنيوم في وجه الريح. ولم يعترِ ديفيد خوف في حياته كالذي هيمن عليه في تلك اللحظة. فهو يعرف أن عمليات الانقاذ مستحيلة في مثل هذا الطقس الغاضب ووسط العاصفة التي استمرت عنيفة طوال الليل وفي اليوم التالي.

اضطر الرجلان الى نقل مخيمهما غير مرة. وفي الصباح طمرهما أحد الانهيالات، لكن ديفيد تمكن، مجدداً، من انتشال نفسه ورفيقه من تحت الثلج. وفقدا معظم مؤونتهما من الطعام، ولم يبق لهما الا كيس نوم واحد.

وفي ٢٥ ابريل (نيسان) قبيل الفجر بساعات، تجدد هبوب الريح بعنف زائد. فطارت الخيمة، ووجد ديفيد نفسه منقذفاً في الهواء كقنبلة مدفع. وما هي الا لحظات حتى ألفى نفسه ملقى على بعد ٢٠٠ متر من موقع المخيم. ثم سمع جيم يناديه من مكان قريب: "ديفيد! كيس النوم معي!" لكن معظم امداداتهما فقد، بما فيها الخيمة وجزمة جيم وفأس الثلج وقدر غلي الماء والحبال وما تبقّى من طعام.

بعد حين تكوما في حفرة على شكل نعش حفراها في الثلج، وراحا يصغيان برهبة الى هدير كتل الثلج والجليد والصخور المندفعة كسيل جارف من

رحاب الجبل. فجأة قال جيم: "اذا تركتني هنا فقد تنجو أنت." فرد ديفيد بحزم: "لن أتركك، فاما أن ننجو معاً واما أن نموت معاً."

ثم هيَّأ مزلجة لجيم من قطعة لبَّاد عازل ولفَّه بكيس النوم وكيس عدة التخييم وشده الى اللبادة شداً محكما، ثم انطلق به مجتازاً المهاوي والمزالق وجسور الثلج السريعة الانهيار. مضت ١٧ ساعة وديفيد يجر رفيقه المصاب مخترقا القفار الجليدية الغادرة.

الهوة المظلمة. صباح ٢٦ ابريل (نيسان) سمع المتسلقان دمدمة مخيفة كهزيم رعد. واذا بانهيال هائل يقتلعهما ويقذفهما إلى هوة فاغرة ابتلعتهما. ففكر ديفيد: "هل أنا صائر الى الهلاك؟ هل دقت الساعة لمواجهة مصيرنا المحتوم؟"

في ظلام الهوة التي غرقا فيها، مد ديفيد ساقيه ضاربا بجزمته جدران الثلج الضيقة التي اكتنفتهما، فسقط على حَيْد صخري رقيق. وكان جيم ملقى في الطرف الآخر من الحَيْد ووجهه الملتحي المكسو بالثلج يكاد لا يرى. واذ أدرك كلاهما أنهما سالمان، راحا يقهقهان ارتياحاً.

وضع ديفيد رفيقه في ملجأ يشبه الكهف، وراح يزحف بحذر على الحَيْد وهو مدرك أن مثل هذه النتوءات قد تنسلخ في أي لحظة، لكنها تقود أحيانا الى السطح. وفعلاً، بان له على بعد عشرة أمتار منحدر يفضي صعوداً الى سطح النهر الجليدي. فانكفأ عائداً ليجر جيم.

سحب ديفيد رفيقه عبر المنحدر. فأمسك رباط المزلجة بأسنانه، وثبَّت جيم بيد وراح يحفر بيده الاخرى درجات في الجليد والثلج. واخذ يتقدم بمشقة خطوة خطوة حتى تمكن بعد كفاح دام نصف ساعة من جر رفيقه الى سطح المنحدر الجليدي. ومن هناك راح يتحرك بحذر، اذ تعين عليه اجتياز مزيد من الصدوع الخطرة. ولدى بلوغه احدى النقاط طالعه سدّ من الثلج أوقف تقدمه. فاضطر الى حفر نفق جرَّ جيم عبره.

مرّت ساعات وديفيد يكافح آملا انقاذ رفيقه. ولم يفُتّ عزمه الضنك والارهاق وضراوة الكفاح وقسوة الطبيعة.

فجأة ظهرت فوقهما طائرة مالت بجناحيها دلالة على أن المنقذين عاينوهما. فانهمرت الدموع على خدي ديفيد. لقد انتهت محنتهما أخيراً!

نُقل المتسلقان في الطائرة الى مستشفى بروفيدنس في أنكوريج حيث عولج جيم من ارتجاج دماغي حاد وأُخضع لجراحة لمعالجة كسر في وركه. أما ديفيد الذي خسر ١١ كيلوغراماً من وزنه خلال أسبوع المحنة، فعولج من قضمة صقيع في يديه.

في أبريل (نيسان) ١٩٩٠ منح ديفيد وسام كارنيغي للبطولة الاستثنائية. لكن المكافأة الحقيقية جاءته قبل حين، حين قال له جيم سويني لدى مشاهدتهما طائرة الانقاذ: "أنت حقاً بطل يا ديفيد. لقد انقذت حياتي."

شلدون كيلي ■

كلنا الى زوال، لكن الخصال الحميدة تبقى الى الابد

كان مارك إكلند تلميذي في السنة الابتدائية الثالثة. وكان جميع تلاميذي الاربعة والثلاثين عزيزين على قلبي، الا أن مارك كان مميزاً. فمظهره بالغ الترتيب، وله نظرة مشرقة مستبشرة جعلت حتى شقاواته النادرة أحداثاً محببة.

كان مارك يتكلم على الدوام فأضطر الى تذكيره بأن الكلام من دون اذن غير مقبول. لكنني كنت أتأثر كثيرا برده الصادق كلما أنّبته على سوء تصرفه: "شكراً على هذا التأنيب يا آنسة." فأحار في الاجابة.

وذات صباح بدأ صبري ينفد من ثرثرة مارك، فارتكبت خطأ معلمة مبتدئة اذ نظرت اليه مهددة: "ان تفوهت بكلمة أخرى فسأقفل فمك بشريط لاصق!"

ولم تمض عشر ثوان حتى صاح تشارلي: "لقد عاد مارك الى الثرثرة." ولم أكن طلبت من تلاميذي أن يساعدوني في مراقبة مارك، لكنني اضطررت الى تنفيذ العقاب بعدما أعلنته أمام الصف.

وما زلت أذكر ذلك المشهد كأنه حدث اليوم. خطوت الى طاولتي، وفتحت الدرج بتأن بالغ، وتناولت لفة من الشريط اللاصق. ثم تقدمت الى طاولة مارك من دون أن أنبس بكلمة، ونزعت قطعتين من الشريط ألصقتهما في شكل × على فمه. ثم عدت الى طاولتي.

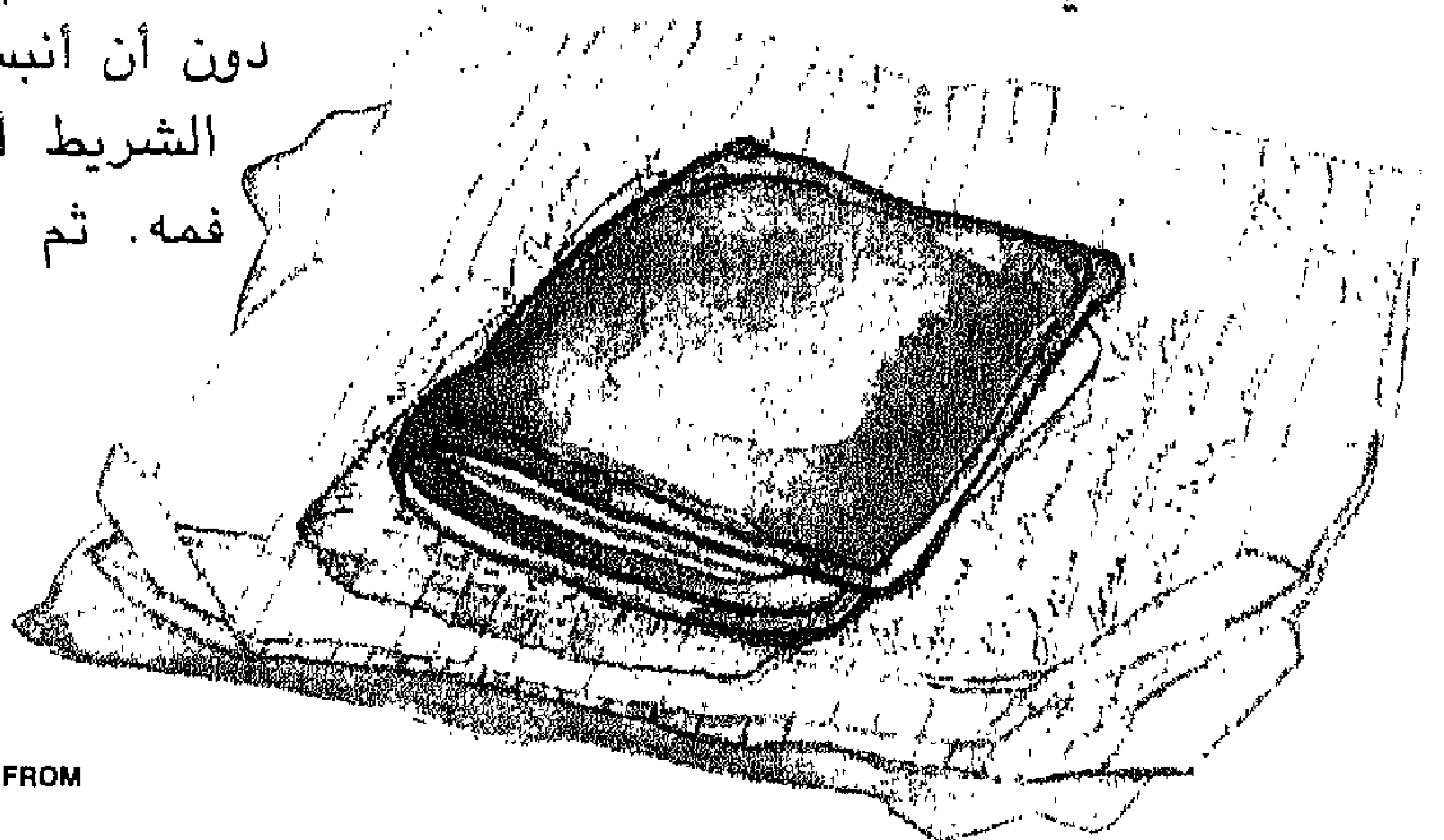


ILLUSTRATION: CYNTHIA WATTS CLARK

وعندما استرقت نظرة عجلى الى مارك لكي أرى حاله، غمزني. فشرعت اضحك. وهتف كل من في الصف عندما عدت الى طاولته ونزعت الشريط عن فمه.

في السنة التالية طلب مني تعليم مادة الرياضيات لصفوف أعلى. ومرت ست سنوات خاطفة، وسرعان ما وجدت مارك في صفي مجددا. كان مهذبا كعادته، ولكن أكثر وسامة.

وذات يوم لم تجر الامور في الصف على ما يرام، فقد عملنا على نظرية جديدة طوال أسبوع، وشعرت بأن التلاميذ محبطون وقد بدأوا يتافقون ويتذمرون بعضهم من بعض، فوجدتني مضطرة الى وضع حد لهذا النزق قبل أن يفلت زمام الأمور من يدي. لذلك طلبت من تلاميذي اخراج ورقة بيضاء ووضعها أمامهم، وكتابة أسماء رفقائهم عليها مع ترك فسحة بعد كل اسم. ثم طلبت منهم أن يفكروا في أجمل ما يمكن أن يصفوا به كلا من رفقائهم، فيدونوه.

استهلك هذا "الفرض" الوقت المتبقي من الحصة. وعندما غادروا الغرفة ناولني كل منهم ورقته. ابتسم لي تشارلي، وقال لي مارك قبل أن ينصرف: "شكراً على تعليمك إياي يا آنسة. أتمنى لك نهاية أسبوع سعيدة".

في عطلة نهاية الاسبوع تلك سجلت اسم كل تلميذ على ورقة ودونت كل ما كتب رفقاؤه عنه. وفي اليوم الاول من الاسبوع التالي ناولت كل تلميذ قائمته. ولم ألبث أن رأيت كل من في الصف يبتسم. وسمعت همسات: "حقاً؟" "لم أدرك يوماً أن هذا يعني شيئاً لأحد!" "لم اكن أعرف أن الآخرين يكنون لي كل هذه المحبة!"

لم يأت أحد على ذكر هذه الأوراق في الصف مرة أخرى. ولم أعرف أبداً إن كان تلاميذي تبادلوا آراء حولها بعد الحصة أو مع ذويهم. لكن ذلك لم يكن مهماً، فالتمرين حقق غايته، وعاد التلاميذ راضين عن انفسهم وعن رفقائهم.

ومضت سنوات. ولدى عودتي من اجازة لاقاني والداي في المطار. وفي طريقنا الى المنزل طرحت على أمي الاسئلة المعهودة عن الرحلة، عن الطقس وعما رأيت. ثم نظرت الى أبي نظرة ذات معنى، فتنحنح كعادته قبل التفوه بأمر مهم، ثم قال: "لقد أتصل آل إكلند البارحة."

قلت: "حقاً؟ لم أسمع أخبارهم منذ سنوات. كيف حال مارك؟"

رد أبي بهدوء: "لقد قتل مارك في حرب فيتنام. المأتم غداً، ويتمنى والداه أن تتمكني من الحضور."

حين رأيت مارك في نعشه لم أصدق أنه ميت. فهو بدا بالغ الوسامة والنضج. وكل ما استطعت التفكير فيه تلك اللحظة كان: مارك، أنا مستعدة للتضحية بكل الشرائط اللاصقة في العالم في مقابل كلمة منك.

ازدحمت القاعة بأصدقاء مارك ورفقائه في الجندية. ومشى محبوه قرب نعشه للمرة الأخيرة. وكنت آخر الماشين وإذ

وقفت هناك تقدم مني أحد الجنود وسألني: "هل علّمت مارك مادة الرياضيات؟"

أومأت برأسي وقد تسمرت عيناي على النعش.

قال: "لقد تحدث مارك عنك كثيراً."

بعد الجنازة توجه رفقاء مارك في الدراسة الى منزل تشارلي لتناول الغداء. وكان والدا مارك هناك، في انتظاري. بادرني أبوه وهو يخرج محفظة من جيبه: "نود أن نريك شيئاً. لقد وجدوا هذه مع مارك عندما قتل."

فتح المحفظة وسحب بعناية ورقة بالية مُزقت من دفتر وأُلصق نصفاها بشريط لاصق، وبدا واضحاً أنها طُويت وفُتحت مرات كثيرة. أدركت للحال أنها الورقة التي دونت عليها كل الصفات الجميلة التي كتبها رفقاء مارك فيه.

قالت لي والدة مارك: "شكراً جزيلا لك على ما فعلته. كانت تلك الورقة غالية على قلب مارك، كما ترين."

وتحلق أصدقاء مارك حولنا. ابتسم تشارلي بخجل وقال: "ما زلت احتفظ بقائمتي أنا أيضاً. انها في درج طاولتي." وأضافت زوجته: "لقد طلب مني تشارلي أن أضعها في مجلّد صور زواجنا."

وقالت مارلين: "أنا أيضاً أحتفظ بقائمتي. وهي في دفتر يومياتي."

عندئذ تناولت فيكي حقيبة يدها وسحبت منها محفظتها، ثم عرضت قائمتها البالية قائلة: "أنا أحملها معي في كل الأوقات. أعتقد أننا جميعاً احتفظنا بها."

إذذاك جلست وبكيت.

هيلين ب. مروسلا ■

سقطة طويلة

وصل الموظف متأخراً الى المكتب وعلى وجهه ويديه كدمات وضمادات، فصرخ به رئيسه: "أين كنت حتى الآن؟"

- لقد سقطت عن السلّم.

"واستغرقت سقطتك ساعة كاملة؟"

ج.ا.

صبي كبير

أمضيت طوال فترة العشاء وانا أعلم ابني الصغير آداب المائدة. أخيراً التفتّ الى زوجتي سائلا: "أليس لتدريب الاولاد نهاية؟"

أجابت: "ان تدريب الصبيان لا ينتهي أبداً. فالصبي يكبر ويتزوج وتتابع زوجته المهمة. أرجوك يا عزيزي، لا تتكلم والطعام في فمك."

م.س.

حديقة أفكار

- لا أسرار للنجاح. انه ثمرة تحضير واجتهاد وتعلُّم من الاخطاء.
كولن باول، جنرال أمريكي

- اذا تكلمنا باختصار استطعنا سرد أخبار أكثر.
ش.ش.

- من أراد معرفة قيمته فليحصِ أصدقاءه.
م.ب.

- يخلط كثيرون بين خيالهم وذاكرتهم.
ج.ب.

- تمر بنا أحياناً لحظات خالية من القلق تماماً، هذه هي لحظات الذعر.
ك.هـ.

- الرجل الذي يزيح جبلا يبدأ بنقل حجار صغيرة.
مثل صيني

- الدجاج برهان حي على أن الحيوان قادر على العيش من دون ذكاء.
ك.

- يستطيع أي شخص امساك دفة المركب حين يكون البحر هادئاً.
بوبليليوس سيروس، كاتب وممثل لاتيني من القرن الاول للميلاد

- يبدو ثناء البعض طالعاً من جيوبهم.
ك.هـ.

ان لتوقيت الاكل ونوعيته تأثيراً مدهشاً في الذكاء وصفاء الذهن. فماذا نأكل صباحاً وظهراً ومساء؟

العقل السليم في الأكل السليم

تقول أمي: "كل السمك، انه مغذ للدماغ." وهي لم تدرس يوما علم التغذية، لكنها تردد كلاما شعبيا متناقلا منذ أجيال.

جوديث ورتمان، من ناحية ثانية، متخصصة بعلم التغذيـة في معهد مساتشوستس للتكنولوجيا «M.I.T.» . وهي نصحت ابنتها، حين كانت تحضـر لامتحان في المحاماة، أن تأكل سمك التن لكي "تحافظ على تيقظها الذهني." وجوديث ورتمان ذاتها تحمل في أسفارها علبا من سمك التن لوجبات خفيفة.

عملت جـوديث وزوجها الـدكتـور ريتشارد ورتمان، مديـر مركز الابحاث السريرية في «M.I.T.» على قياس ردود فعل الـدماغ على أطعمـة مختلفـة. فـاكتشفـا، وباحثين آخرين، أن الطعام يؤثر في الدماغ بطرق مدهشة وقوية. فما نأكله قد يغير مزاجنا وتيقظنا وصفاء ذهننا.

قال الدكتور ريتشارد ورتمان: "ما زلت أستغرب خضوع الدماغ في وظيفته وكيميائه لتناول وجبة غداء ولنوع ما يؤكل."

لكن ما عرفه العلماء عن الدماغ قد يكون ذا قيمة كبرى لنا.

فلئن طبقتم في يوم عادي من حياتكم ما اكتشفه العلماء، لوجدتم أن قواكم العقلية تزداد نفاذا:

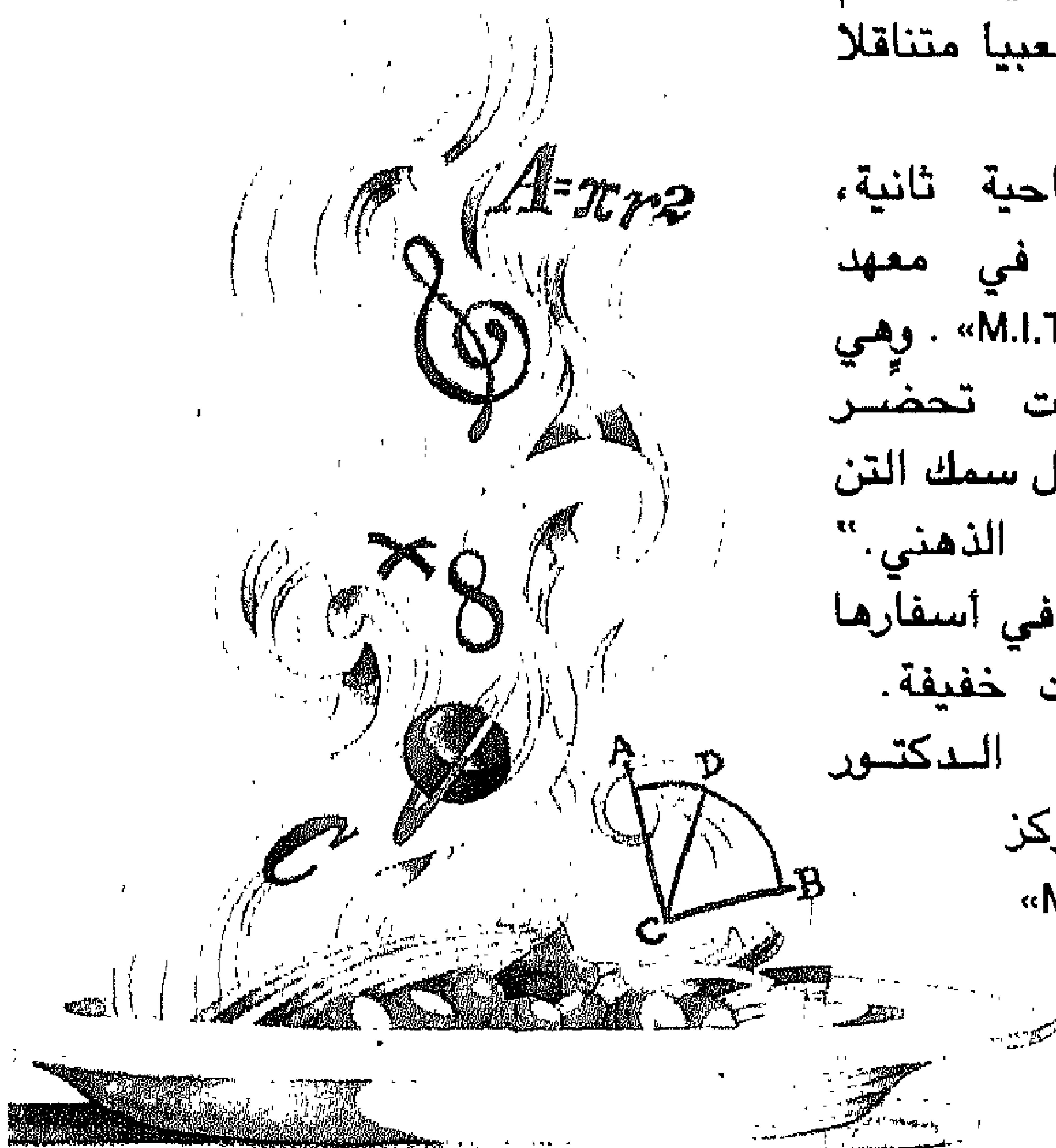


ILLUSTRATION: DON WELLER

الفطور. يعمد كثيرون كل صباح الى التهام أطعمة غنية بالكربوهيدرات مثل الفطائر المحلاة. لكن السكاكر والنشويات ترفع مستوى مادة السيروتونين المهدئة في الدماغ، وهي ناقلة لاوامر الجهاز العصبي[1] مما قد يحول دون بلوغنا ذروة النشاط الطبيعي في فترة الصباح.

ويحتوي اللحم المدهن والبيض على مقادير مرتفعة من الدهن والكولسترول يؤدي هضمها البطيء الى تحويل الدم عن الدماغ والتسبب تالياً في انخفاض حدة الذهن. تقول جوديث ورتمان: "لكم اتوق الى زجر من أراهم في الصباح يتناولون لحماً وبيضاً وفطائر حلوى مدسَّمة بالزبدة والقطر. أريد أن أصيح فيهم: لماذا تأكلون هذا الطعام؟ ألا تعلمون إلام سيؤدي بكم؟"

يعتقد العلماء اليوم أن الفطور الجيد يتميز بأطعمة تحتوي على نسبة منخفضة من الدهن. وهذا يعني انتقاء اللحم الهبر بدلا من الدهني، والجبن الابيض القليل الدسم بدلا من الزبدة، والفاكهة النضرة او العصير الطازج بدلا من الشراب المحلَّى والأطعمة السكَّرية. (يُهضم سكر الفركتوز المحتوى في الفاكهة ببطء، ولا يطلق التفاعل الذي يطلقه سكر المائدة والعسل.)

وماذا عن الكافيين؟ بعد تناول فنجان أو فنجانين من القهوة أو الشاي يزداد تنبهكم وتتحسن ردود فعلكم وتحققون نتائج أفضل في بعض اختبارات الاداء. ولكن بعد ارتشاف ثلاثة فناجين أو أربعة يؤدي التنبُّه المفرط الناجم عن الكافيين الى اضعاف حدة الذهن وصفائه.

الغداء. يدرك معظم الناس الاخطار الناجمة عن تناول الكحول وما يسببه من خمول للعقل. الكحول هو ما تصح تسميته "طعاما مضاداً للدماغ." ويؤدي ادمانه الى تلف بنيوي ووظيفي.

لكن قلة تدرك أخطار "غداء الكربوهيدرات الثلاثي" المؤلف من أطعمة كالخبز والبطاطا والمعجنات. كشفت دراسة قادتها العالمة النفسانية بوني سبرنغ أن مثل هذه الوجبات تبعث النعاس في النساء وتسبب للرجال كسلا وخمولا. الى ذلك، تقول سبرنغ: "اكتشفنا أن الرجال والنساء الذين تجاوزوا السن الأربعين يبقون طوال أربع ساعات بعد تناولهم وجبة كربوهيدرات أقل قدرة على التركيز ممن تناولوا وجبة غنية بالبروتيين."

فما هو السبب؟ أن الاطعمة الغنية بالبروتيين، كالدجاج والسمك، تشحن الدورة الدموية بالاحماض الأمينية، ومنها التيروسين[2] الذي يعبر المصفاة الواقية المدعوة "حاجز الدم الدماغي"[3] ويتحول موادَّ كيميائية منبِّهة هي الدوبامين والنوريبينفرين.[4] فاذا ما استنفد الارهاق مؤونة الدماغ من هذه المواد الناقلة

---

(١) Neurotransmitter serotonin
(٢) Tyrosine
(٣) Blood — brain barrier
(٤) Dopamine and norepinephrine

لاوامر الجهاز العصبي، فقد ينتج من ذلك ارتباك وتردد وقلق وانحطاط.

ويُحمل عبر حاجز الدم الدماغي مغذٍ رئيسي آخر هو الكولين[٥] المتوافر في السمك واللحوم وصفار البيض (المح) ومشتقات الصويا والشوفان والرز والفول السوداني والجوز الامريكي. والكولين مادة كيميائية تتشكل منها مادة الأسيتيلكولين[٦] الناقلة لاوامر الجهاز العصبي والاساسية في نشاط الذاكرة.

العشاء. ما لم تكونوا في حاجة الى التيقظ والطاقة للعمل أو للدراسة ليلاً، فتجنّبوا أطعمة العشاء الغنية بالبروتيين مثل شرائح اللحم الدسمة والسمك. وانتقوا بدلا منها أطعمة غنية بالكربوهيدرات تغير كيمياء الدماغ على نحو غير مباشر بإطلاقها دفقا من هرمون الانسولين يتيح لخلايا العضلات استيعاب معظم الاحماض الأمينية في مجرى الدم. وهناك حمض أميني اسمه تريبتوفان[٧] لا تستوعبه العضلات، وهو مادة كيميائية نادرة "تتبارى" مع احماض أمينية أخرى للانتقال عبر حاجز الدم الدماغي. فاذا ما خفّت المنافسة، دخل مزيد من التريبتوفان الى الدماغ حيث يتحول الى مادة السيروتونين المهدئة الناقلة لأوامر الجهاز العصبي.

وماذا عن كوب الحليب الساخن الذي أخبرتكم أمهاتكم أنه يجلب النعاس؟ كانت أمهاتكم على خطأ. صحيح أن الحليب يحتوي على التريبتوفان، لكن علماء التغذية اكتشفوا حديثا أن البروتيين في الحليب يلغي مفعول هذا الحمض الأميني. فالكربوهيدرات هي فضلى الوجبات الخفيفة قبل النوم: كعك محلّى أو فطائر بالمربى.

قد يكون للكربوهيدرات تأثير في الدماغ أعمق مما كان يظنه العلماء. يقول الدكتور صموئيل سلتزر من كلية طب الاسنان في جامعة تمبل بفيلادلفيا، إن التريبتوفان، الى كونه مسببا للنعاس، يخفض الاحساس بالألم.

يعتقد الزوجان ورتمان أن كثيرين منا يتناولون الحلوى وغيرها من الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات على نحو غير متعمد ليشعروا بحال أفضل. وحين تقصر نهارات الشتاء يغرق بعضنا في حال تدعى "الاضطراب العاطفي الموسمي"[٨] الذي يتميز بانحطاط القوى الحيوية، والنزوع الى النوم ساعات اضافية ليلا من دون اكتفاء، وازدياد الوزن. ويتأتى معظم هذه الزيادة الموسمية في الوزن من أكل الاطعمة الغنية بالكربوهيدرات استجابة لتوق شديد يتجلى على أشده في الظهيرة أو المساء.

وخلال أيام الشتاء الاكثر قصراً، تنتج الغدة الصنوبرية[٩] مزيداً من هرمون الميلاثونين[١٠] المعنيّ بدورة النوم

---

(٥) Choline
(٦) Acetylcholine
(٧) Tryptophan
(٨) Seasonal Affective Disorder «SAD»
(٩) Pineal gland . وهي غدة صغيرة في الدماغ.
(١٠) Melatonin

واليقظة. يقول الدكتور ريتشارد ورتمان: "قد يكون لهذا الهرمون بعض التأثير في سيروتونين الدماغ." ولمعادلة شعور الانزعاج وحدّة الطبع وانحطاط القوى الحيوية والاكتئاب، ينزع المصابون بالاضطراب العاطفي الموسمي الى الافراط في تناول الأطعمة الغنية بالكربوهيدرات لزيادة مستوى السيروتونين في الدماغ، فيشعرون اذذاك براحة ترفعهم موقتا من وهدة كآبتهم.

وغالبا ما يلجأ المدخنون المنقطعون عن السيجارة الى تناول السكاكر وغيرها من الكربوهيدرات طلباً للراحة والعزاء. ففي دراسة حديثة، وجدت العالمة النفسانية سبرنغ أن التريبتوفان يمنع أعراض الانقطاع عن النيكوتين بزيادته كمية السيروتونين في الدماغ.

من المهم أن يتذكر ضحايا الاضطراب العاطفي الموسمي والمتوقفون عن التدخين وغيرهم أن تناول مقدار ٥٠ غراما فقط من الكربوهيدرات كفيل باطلاق التفاعل اللازم لانتاج مادة السيروتونين المهدئة. أما تناول مقدار أكبر فقد يزيدكم بدانة لا هدوءاً، وهو يؤخر المفعول الايجابي، اذ قد تمر ساعة بعد العشاء قبل أن تهضم الحلوى وتشرع في تهدئة ذهنكم وتخفيف شهيتكم.

وتناول الطعام الصحيح في الوقت الصحيح من اليوم قد يحدث تغييراً كبيراً في حالكم العقلية. لكن بعض الناس يلجأون، بدلا من تعديل أغذيتهم، الى تناول "أقراص الذكاء"[١١] التي يُزعم أنها تحسّن أداء الدماغ. بعض هذه الاقراص عادي، مثل الكولين الذي يسوَّق منه نوع غير نقي يدعى ليسيتين.[١٢] وثمة أقراص أخرى تحتوي على الكارنيتين[١٣] الذي يحمل جزيئات مرتبطة بأيض الاحماض الدهنية،[١٤] والتيروسين[١٥] الذي يسبب في حاله النقية – أي بمعزل عن الأحماض الأمينية الأخرى المتوافرة معه في المكملات الغذائية – تغيرات خطرة في ضغط الدم. وكانت أقراص التريبتوفان تباع كمكمّلات غذائية، لكنها حُظرت لاحداثها ما يزيد على ٢٨ وفاة بسبب الغش.

ويحذّر العلماء من تناول مثل هذه المواد المنبهة، لأن كيمياء الدماغ تعمل وفق توازن دقيق بحيث تؤدي أي زيادة في احدى المواد الكيميائية الحيوية الى نقص في مادة حيوية أخرى. فوجود مقادير كبيرة من التيروسين، مثلا، قد يخفض كمية التريبتوفان التي تعبر حاجز الدم الدماغي.

تعلمنا في السنوات الأخيرة انتقاء الاغذية التي تساعد القلب وتلك التي تساعد في تلافي السرطان. والآن يتعين علينا ان نتعلم انتقاء الاغذية التي تقوي أدمغتنا.

لويل بونتي ■

(١١) Smart pills
(١٢) Lecithin
(١٣) Carnitine
(١٤) Fatty — acid metabolism
(١٥) Tyrosine

أوتو فون هابسبورغ



أوروبا حلمه الكبير

وارث تاج امبراطوري كرس حياته لتوحيد أوروبا

PHOTO: HINTERLEITNER / GAMMA

بدا الرجل مميزاً بقامته الناحلة وصلعته وبذلته الرمادية وهو يسير برشاقة في بهو فندق "باليه دو لوروب" في ستراسبور، حيث انعقد البرلمان الاوروبي بأعضائه الـ ٥١٨ الذين يمثلون ٣٢٥ مليون مواطن، للبحث في سبل توطيد العلاقات مع دول أوروبا الشرقية. وكان كلما سار بضع خطوات يجد نفسه محاطاً ببرلمانيين يسألونه الرأي أو يهنئونه على خطاب حديث أو يرغبون في مصافحته.

فمن هو هذا الرجل الذي كان فرنكلين روزفلت يناديه "أوتو" وكان ونستون تشرشل يناديه "صاحب السمو"؟ زملاؤه اليوم ينادونه "السيد هابسبورغ" لكن

بعض معاصريه القدامى ما زالوا يصرون على مناداته "صاحب الجلالة." وعندما ناولني بطاقته الشخصية قرأت فيها "أوتو فون هابسبورغ، عضو في البرلمان الاوروبي."

جلست وإياه على مقعد وسألته: "ألست أسفا لانك لست أمبراطورا؟" فاتّسعت عيناه خلف نظارتيه وقال: "آسف؟ إني أشكر الله عز وجل على ذلك. تصور ما كانت حياتي آلت إليه بين جدران قصر. أنا الآن قادر على تسمية الاشياء بأسمائها."

ينتسب أوتو الى أعرق سلالات أوروبا التي تعود ذريتها الى رودولف الأول، ملك ألمانيا المتوفى عام ١٢٩١. وُلد في النمسا عام ١٩١٢، وكان كبير أولاد الأرشدوق كارل الذي أصبح امبراطور النمسا وملك هنغاريا، والأميرة زيتا بوربونبارما الشهيرة بجمالها.

ربي أوتو هابسبورغ ليكون حاكما، وطُبع على حس الواجب الطاغي. فأكب على الكتب المدرسية ينهل من عبابها ثقافة مركّزة على أيدي أساتذة نمسويين ومجريين، فيما أترابه يلعبون تحت سماوات مشرقة. فنشأ انسانا متواضعا رفيع التهذيب خبيرا بالحياة والناس عاملا من غير كلل. وهو يتقن الالمانية والمجرية والفرنسية والانكليزية والايطالية والاسبانية والبرتغالية. وذات يوم ألقى عضو ظريف في البرلمان الاوروبي كلمة باللاتينية، فنهض هابسبورغ ورد عليه باللغة إياها وببلاغة شيشرونية.[1]

هارب من هتلر. تحدث إليَّ أوتو عن رحلة العمر التي جاءت به الى ستراسبور، بنبرة هادئة بدأ معها "مشواره" الشاق كأنه نزهة في يوم عطلة. عاش آل هابسبورغ في سويسرا والبرتغال واسبانيا وبلجيكا، بعد إبعادهم عن النمسا عام ١٩١٩ ومصادرة أملاكهم ونكبتهم بوفاة الامبراطور المفاجئة عام ١٩٢٢. وكان أوتو في الأيام الأولى من العام ١٩٣٣ يعمل في برلين على رسالة دكتوراه عندما أبلغ اليه أوغست فيللم البروسي، نجل آخر قياصرة ألمانيا، أن هتلر يرغب في رؤيته. كان واضحا أن انخراط نبيل من آل هابسبورغ في صفوف النازيين أمر بالغ الاهمية.

جاء رد أوتو على الدعوة "لا" قاطعة أشعلت الغضب في نفس هتلر. ولم تمضِ فترة وجيزة على وصول النازيين الى السلطة في شهر يناير (كانون الثاني) ذاك، حتى زار هابسبورغ ضابط في الغستابو[2] أعلمه بأن الفوهرر[3] أمر بتوقيفه.

يتذكر أوتو: "ركبت القطار الى بلجيكا. وعندما اجتاحت جيوش هتلر بلجيكا المحايدة بعد سبع سنوات كانت أوامرهم تقضي باطلاق النار عليَّ فور مشاهدتي. لكني تمكنت من الهرب الى باريس قبل ساعات من الاجتياح."

ابتلع هتلر النمسا في مارس (آذار)

(١) شيشرون سياسي وخطيب روماني تعتبر خطبه اية في البلاغة اللاتينية.
(٢) الغستابو هي الشرطة السرية النازية.
(٣) "الفوهرر" لقب هتلر، وهي كلمة المانية تعني القائد.

١٩٣٨ مخلفا طوفانا من اللاجئين. فاعتبر هابسبورغ نفسه مسؤولا عنهم. يقول: "كان ذلك عملا نابعا من القلب، فهم شعبي." وراح يتنقل بين فرنسا وبلجيكا "عائشاً على الديون،" فأحدث داراً موقتة لاجلاء النمسويين الهاربين. واستناداً الى اسم هابسبورغ ذي الوقع الجليل، تمكن من عرض قضية أبناء وطنه على رؤساء الدول، بمن فيهم "بعض أناس أشرار،" كما يقول بمرارة ساخرة. فأقنع، بعد إلحاح، رجل اسبانيا القوي آنذاك أنطونيو سالازار بمنح رعاياه تأشيرات دخول الى اسبانيا، ووافق ديكتاتوران آخران هما فولجنسيو باتيستا الكوبي ورافايل تروبلو الدومينيكي، على استيعاب ٤٥٠٠ لاجىء. وتدبر هابسبورغ، بالحيلة، تأشيرات مرور عبر الولايات المتحدة.

لم يخامر هابسبورغ أدنى شك في أن هتلر عنى كل كلمة وردت في البرنامج المروّع الذي مهد له في كتابه "كفاحي."[٤] وفي أبريل (نيسان) ١٩٣٩ أتاه أحد مخبريه العاملين في أوروبا الوسطى بنسخة عن كلمة ألقاها هتلر في اجتماع سري لاركانه وكشف فيها خططاً لغزو بولونيا. وللحال توجه هابسبورغ الى مقر السفارة الأمريكية في باريس حيث عرض النسخة على صديقه السفير وليم بوليت الذي أبرقها بدوره الى الرئيس فرنكلين روزفلت. وبعد أشهر من غزو بولونيا في سبتمبر (أيلول) ١٩٣٩، تلقى هابسبورغ دعوة الى زيارة البيت الأبيض حيث استقبله روزفلت متأثراً بما لهذا الشاب من إلمام بالشؤون الدولية واتّساع بالعلم وثبات في الموقف المناهض للنازيّة. ودام لقاؤهما ساعتين، وكان بداية علاقة طويلة. وقد نُقل عن الرئيس الأمريكي قوله: "إن اكثر الرجال اطّلاعا في أوروبا هما أوتو فون هابسبورغ والبابا."

وما إن عاد هابسبورغ الى باريس في ربيع ١٩٤٠ مع انتشار رقعة الحرب، حتى حُذِّر من أن اسمه ما زال مدرجا على لائحة "المطلوبين" نازيا. وبفضل متابعته تقدم القوات الألمانية، تمكن من الارتحال قبل يوم واحد من وصولها الى العاصمة الفرنسية. وكان فندقه أول الامكنة التي أغار عليها رجال الغستابو.

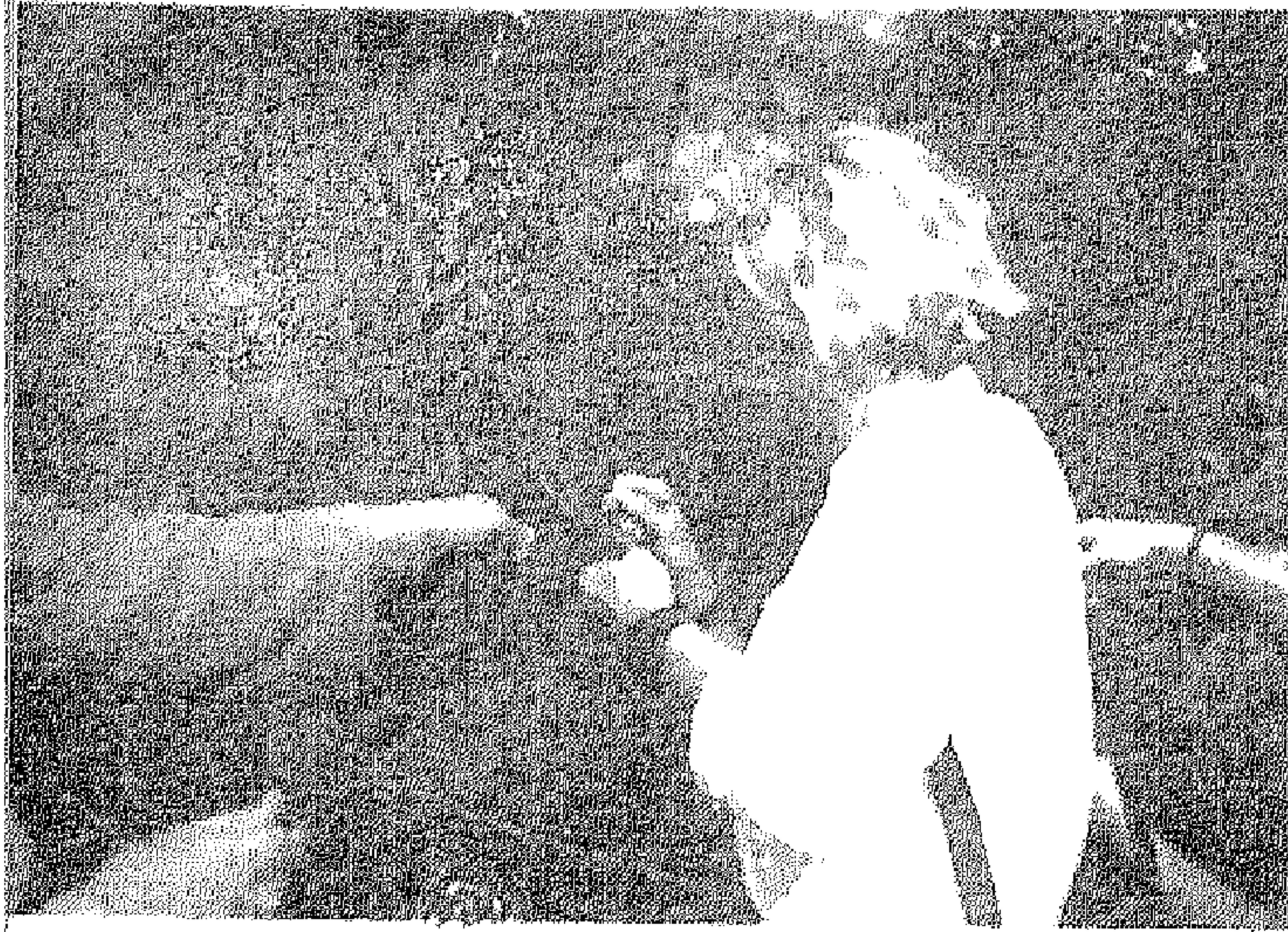
أوروبا واحدة. اعتمد هابسبورغ العاصمة الامريكية واشنطن قاعدة تالية لاعماله حيث أدار "قنصلية نمسوية غير رسمية." وأفاد من ودّ المسؤولين والصحافيين والسفراء لاقناع الحلفاء باعادة اعتبار مواطنيه السيئي الطالع من "غرباء أعداء" الى "مواطنين حلفاء." وكانت لهذا القرار أهمية كبرى بالنسبة الى مستقبل النمسا.

وذات يوم من سبتمبر (أيلول) ١٩٤٤، خلال اجتماع روزفلت وتشرشل في كيبيك بكندا، كشف الرئيس الأمريكي لهابسبورغ الخريطة المقترحة لنمسا ما بعد الحرب، وهي قسّمت البلاد قطاعَي

(٤) Mein Kampf

احتلال بحيث يقع نصفها الشرقي، بما فيه العاصمة فيينا، تحت إدارة الاتحاد السوفييتي. فلفت هابسبورغ الرئيس امريكي الى أن إعطاء الاتحاد السوفييتي مثل هذا النفوذ الراجح في البلاد سيشكل خطأ تاريخياً. فوافق روزفلت على وجهة نظر هابسبورغ، لكنه لم يكن قادراً على التفرد بالرأي، فارتأى استشارة تشرشل قائلا: "انه هنا، في القلعة، فإن وافق فقد استطيع القيام بعمل ما." اذذاك ارتقى هابسبورغ السلم بسرعة الى الطبقة الاولى وأيقظ تشرشل وأفضى إليه بمضمون حججه. فما كان من تشرشل إلا أن وافقه الرأي. وفي العام ١٩٤٥ قُسِّمت النمسا أربع مناطق احتلال – واحدة سوفييتية وثلاثا غربية – بحيث لم يسيطر الاتحاد السوفييتي إلا على ربع فيينا. وبعد عشر سنين استعادت النمسا سيادتها الكاملة.

كرس هابسبورغ السنوات التي امضاها في واشنطن للاهتمام بمصير وطنه النمسا، لكنه يقول: "غدوت أوروبياً حقا في أمريكا." وهو شاهد في تجواله كيف تتراصّ الولايات الامريكية على رغم الفوارق بينها. أفلا يستطيع الأوروبيون تأليف اتحاد مماثل بدلاً من التذابح في ما بينهم؟ يقول: "حين نزلت من الطائرة مرة لألقي خطابا في بلدة يوما بولاية أريزونا، سألني أحد الصحافيين: ما هي جنسيتك؟ فأجبت بعفوية: أوروبية."



فاليورغا ابنة فون اوتو هابسبورغ تقص شريطا شائكا من مخلفات "الستار الحديد" في "نزهة" على الحدود النمسوية – المجرية.

تبلورت أفكار هابسبورغ في مناقشاته مع ريتشارد كودنهوف كالرغي الذي عرف كتابه الرائد "بانوروبا" رواجا عالميا بعد نشره للمرة الاولى عام ١٩٢٣. وعمل الاثنان معا على وضع نظام لاتحاد (فدرالية) أوروبي. وبعد وفاة كودنهوف عام ١٩٧٢ خلفه هابسبورغ رئيساً للاتحاد البانوروبي.(٥)

"الجد أوتو." بعد انتهاء الحرب عاد هابسبورغ الى وطنه النمسا حيث أُبعد مجدداً، وهذه المرة بضغوط من السوفييت. وإذ وجد نفسه "مهجَّراً" قرر التجوال حول العالم كمحرر صحافي، وأخذ يرسل مقالاته من أماكن نائية الى صحف في بريطانيا والولايات المتحدة. وهو حقق في مهنته هذه نجاحا كبيراً، بيد أن الدعامة الاساسية في حياته الترحُّلية كانت جولة محاضرات سنوية في الولايات

(٥) Paneuropean Union

PHOTO: EUROPRESSE VIENNA

المتحدة حيث كان يلقي نحو ٨٠ محاضرة في السنة. وهو ما زال يكتب زاوية أسبوعية في السياسة العالمية تنشرها ١٦ صحيفة. كما الف ٢٦ كتاباً في السياسة والتاريخ.

قرر هابسبورغ في منتصف السبعينات أن يضطلع بدور فاعل في المجموعة الاقتصادية الأوروبية، وكان آنذاك تجاوز الستين من عمره. غير أنه كان مواطناً نمسوياً في وقت لم تكن النمسا – التي سُمح له بالعودة إليها عام ١٩٦٦ – عضواً في المجموعة الأوروبية. وفيما اعتزم أن يبقى مواطناً نمسوياً، قدّم طلباً للحصول على الجنسية الألمانية الغربية. وبمساعدة فرانز جوزف شتراوس، الذي كان آنذاك رئيس الاتحاد الاشتراكي المسيحي في بافاريا، حصل على الجنسية الألمانية في الوقت المناسب لخوض انتخابات البرلمان الأوروبي باسم الاتحاد.

كانت الحملة الانتخابية قاسية ودامت ستة أشهر، فللمرة الاولى ينتخب البرلمان الأوروبي بالاقتراع الشعبي المباشر. وقد هاجم الديموقراطيون الاشتراكيون "الجد أوتو" زاعمين أنه ديكتاتوري النزعة ولا يصلح لعضوية البرلمان لتقدمه في السن. غير أنه جال في أنحاء دائرة بافاريا الانتخابية متحدثاً الى المواطنين في أكثر من ٢٠٠ مناسبة. ونال في الاقتراع المركز الثالث بين عشرة مرشحين مثلوا الاتحاد الاشتراكي الذي استقطب ٦٢،٥ في المئة من الأصوات.

ويعود الفضل في هذا الانتصار المبين الى قاعدة هابسبورغ الشعبية. وقد أعيد انتخابه مرتين.

وطوال السنين العشر الماضية بات البرلمان الأوروبي موئل هابسبورغ. فثابر على حضور جميع جلساته، وارتبط اسمه بنحو ٥٠٠ قرار راوحت بين حماية البيئة في الأمازون وإرسال الامدادات الطبية والغذائية الى المجاهدين الأفغان. وقلة من حاملي جواز السفر الأوروبي ذي اللونين الأحمر والذهبي، يعرفون أن الفضل في إقرار هذا الجواز يعود الى مبادرة هابسبورغ. وفي العام ١٩٩٠ عمل على احباط مشروع لاقامة المعرض العالمي "إكسبو ٢٠٠٠" في البندقية، مبرراً ذلك بأن تدفق أعداد ضخمة من الزائرين سيشكل خطراً مميتاً على المدينة الغارقة. ويقول زميل هابسبورغ في البرلمان الأوروبي الرئيس الفرنسي السابق فاليري جيسكار ديستان: "يسعى الجميع، بمن فيهم أنا، الى استشارته لما يتصف به من خبرة عميقة الجذور ولما له من إيمان لا يتزعزع بأوروبا."

عاش الملك! يسعى هابسبورغ داخل البرلمان الاوروبي وخارجه الى مد جسور بين المجموعة الاوروبية وبلدان أوروبا الشرقية والوسطى. تقول عضو البرلمان الأوروبي باتريشيا رولنغز: "كان أوتو، خلال الحرب الباردة، الصوت الصارخ في ستراسبور للشعوب المناضلة في تلك البلدان الأسيرة، وهو بقي بطلها

المقدام." وذات يوم سبت من أغسطس (آب) ١٩٨٩، في بقعة على الحدود النمسوية - المجرية، رعى هابسبورغ "نزهة أوروبية" غايتها الايذان بأوروبا بلا حدود. ولأجل ذلك، وُزعت منشورات بالألمانية والمجرية في النمسا وفي المجر (هنغاريا) التي كانت آنذاك أكثر بلدان الكتلة الشرقية حرية، تدعو الناس الى الحضور. فاستجاب مئات من مواطني ألمانيا الشرقية الذين سافروا الى المجر آملين الهرب الى الغرب. وعندما قصت ابنة هابسبورغ، فالبورغا، الشريط الشائك في "الستار الحديد" اندفع ما يزيد على ٦٠٠ شخص الى الحرية خلال الساعة الأولى، فيما أشاح حراس الحدود المجرية بوجوههم. وفي الأسابيع اللاحقة عبر ألوف الى النمسا. ولم تمضِ ثلاثة أشهر حتى خُرق جدار برلين ذاته. وبذلك نجحت "نزهة" هابسبورغ.

وكان هابسبورغ، قبل أشهر، استُقبل في المجر استقبال الأبطال. وفي فيينا، شيِّع عشرات الألوف جثمان والدته التي توفيت وهي في السادسة والتسعين من عمرها، وواروها في ضريح العائلة. وبعد يومين هتف ألوف في بودابست "عاش الملك!" فيما هابسبورغ يغادر قاعة تلقى فيها التعازي بوفاة أمه. لقد عاد "الملك" الى دياره بعد نفي دام سبعة عقود.

يتدفق على مكتب هابسبورغ خارج ميونيخ (ألمانيا) سيل رسائل من المجريين. وعندما أجريت الانتخابات الحرة الاولى في المجر عام ١٩٩٠، حضّه مناصروه على الترشح لرئاسة الجمهورية، لكنه لم يفعل لاعتقاده أنه يستطيع تقديم خدمات أكبر للمجر كعضو في البرلمان الأوروبي.

أحب اللحظات الى قلب أوتو هي تلك التي يقضيها في مناقشة مواضيع تاريخية وسياسية مع أولاده السبعة وأحفاده الاربعة عشر في منزله في بافاريا. غير أن حبه الأعظم هو توحيد أوروبا و"العيش الأخوي لجميع شعوبها في مجتمع يكون القوة العظمى الثانية في العالم،" كما أعلن أخيراً في فيينا. وهو يتوقع أن تنضم دول أوروبا الشرقية الحرة الى الدول الاثنتي عشرة المكوِّنة للمجموعة الأوروبية. ولربما انضمت دول البلطيق أيضاً. والى أن يتم لها ذلك، سيبقى أوتو المدافع الأول عن قضاياها.

أنهى هابسبورغ حديثه الي قائلا: "إننا نعيش في زمن رائع."

ثمة هالة منيرة حول هذا المواطن الذي خسر عرشا وربح قضية.

ارنست هوسر ■



النجاح من دون شرف كطبق غير مملَّح. انه يشبع جوعك، ولكن لا لذة فيه.

جو باترنو، مدرب كرة قدم


ماذا يخطر ببال طفل ينظر اليك؟

يوميات طفل

ترى ما الذي يجول في ذهن طفل عندما يحدق الى وجهك؟ وكيف يشعر عندما يجوع؟ وكيف يتأثر بمزاج أمه؟

لقد تأملت مليا مثل هذه المسائل طوال عقدين من منظار الأب والباحث والطبيب النفساني. ففي الماضي كان الأولياء والعلماء يخمّنون ما يجول في ذهن الطفل. لكن التقدم الذي أحرزته المراقبة العلمية أتاح لنا فرصة الاطلاع على دقائق السنوات الاولى في حياة الانسان.

تحققت هذه الانجازات، جزئيا، لأننا تعلمنا أن نطرح على الأطفال أسئلة يستطيعون الاجابة عنها بأنفسهم. مثلا، هل يستطيع طفل في يومه الثاني التعرف الى أمه من خلال رائحتها؟ لمعرفة الجواب، وضعنا قماشة مبللة بحليب الام على وسادة الى يمين رأس مولودها. ثم وضعنا قماشة ثانية مبللة بحليب أم أخرى الى الجانب الأيسر. فأدار المولود رأسه نحو اليمين. وعندما بدّلنا موضع

القماشتين أدار الطفل رأسه الى اليسار. فهو، إذاً، لم يتعرف الى رائحة أمه فحسب، بل فضلها على غيرها وأجاب عن السؤال بتحريك رأسه.

يمتص الأطفال حليب أمهاتهم بدفعات قصيرة، ويستريحون بين مصة وأخرى. وهم قادرون على التحكم بطول المصّة وبمدة الاستراحة. ولمعرفة ما يحبّ الأطفال مشاهدته، توضع داخل فم طفل مصّاصة تحوي جهازاً الكترونياً خاصاً، وتوصل بآلة لعرض الشرائح المصورة. فالطفل في شهره الثالث يتعلم بسرعة أن يمصّ كلما أراد مشاهدة صورة جديدة. وهو يقلِّب الصور بسرعة تعكس مدى اهتمامه بكل صورة. وهكذا، يتسنى، من خلال عرض صور موفّقة، اكتشاف الذوق البصري لدى الأطفال.

كما يمكن وصل المصاصة المجهزة الكترونيا بآلتي تسجيل، يُسجَّل صوت الام على إحداها ويُسجَّل على الاخرى صوت امرأة تتفوه الكلمات ذاتها. اذذاك يمضي الطفل في المص لكي يتسنى له الاستماع الى صوت أمه وقتاً أطول.

وصقلت تسجيلات الفيديو قدراتنا على مراقبة الأطفال والاهل في آن. وبات في مقدورنا تجميد الصورة وعرض حركات الوجه وتعابيره مراراً وتكراراً. وقد تبين لنا أن الكاميرا أداة مهمة للتعرف الى السلوك البشري، مثلما كان المجهر أداة مهمة في إظهار كائنات حيّة غير مرئية.

اليوميات الآتية في حياة الطفل وليد تجمع بين النظرية والواقع، وقد انبثقت من معرفتنا الحاضرة بالأطفال. وهي تتابع نمو وليد في خمس مراحل، من الطفولة الباكرة الى السن الرابعة حين يصير قادراً على رواية قصته بنفسه.

الاسبوع السادس. أفاق وليد قبل لحظات. في هذا العمر يكون الطفل في أول عوالمه حيث لا يهتم الا بالمشاعر... مشاعره هو.

ها هو يحدق الى بقعة من الجدار غمرتها أشعة الشمس. لم يستأثر باهتمامه في الغرفة سوى هذه البقعة، لأن بريقها فتان آسر. وبصره جيد في هذا العمر، وان يكن لم يكتمل بعد. وهو بات يعي اختلاف الألوان والأشكال وحدَّتها، وتمتع منذ ولادته بأفضليات واضحة، تتصدرها حدة اللون.

كيف يعرف وليد أن هذه البقعة المتوهجة بعيدة وليست في متناول يده؟ في هذا العمر يبدأ احتساب المسافات. وقريباً يتمكن من قسمة المدى المحيط به منطقتين مختلفتين: عالماً قريباً في متناول اليد، وآخر بعيداً.

وغالباً ما يحدق الأطفال في هذا العمر الى الأشياء كأنهم مسمَّرون اليها. اجتذبت رقعة الضوء على الحائط اهتمام وليد كأنها مغنطيس فرآها صفراء على الحائط الابيض الذي بدا ضاربا الى الزرقة حيث لم يصل الضوء. وبدت الألوان الدافئة والحادة، كالأصفر، كأنها تدنو، فيما بدت الألوان الفاهية، كالأزرق،

كأنها ترتدّ الى الوراء. وهكذا تراءى لوليد أن البقعة المشمسة تتقدم منه والفسحة المحيطة بها تتراجع. واستأثر عرض الاضاءة هذا بجهازه العصبي.

قد يشعر الأولياء بخيبة وانزعاج في مثل هذه اللحظات من حياة الطفل. تصوروا أنكم تحملون طفلة في الاسبوع السادس وتنظرون اليها وجها لوجه. أنتم تريدون اللعب وهي شاخصة الى نقطة معينة كبقعة مشمسة أو كخط التقاء جبينكم وشعركم. فتبتسمون لتحوّلوا نظرها من دون جدوى. وقد يحاول بعضكم إلهاءها بهزها أو برسم تعابير مضحكة على الوجه. ويعتقد كثيرون ان هذه النظرات المسمَّرة تنم عن كراهية أو رفض. لكن هذا غير صحيح.

سئم وليد النظر الى البقعة المشمسة على رغم افتتانه بها، وراح ينظر الى أماكن أخرى بحثا عن "تجارب" مختلفة.

مرت ساعات منذ تلقى وليد رضعته الاخيرة. وتنامى الجوع في جهازه العصبي كما العاصفة. اتسم جوعه في البداية بالضعف والتقلب، ثم بدأت وخزاته تنعكس حدة في طباعه وتؤثر في حركاته وتنفسه وأحاسيسه.

ومع تحول اهتمامه الى ما يجري داخله بات غير قادر على رؤية العالم المحيط به الا نُتَفا. وفيما ازداد جوعه تسارعت أنفاسه وازدادت زخما وخشونة. وسرعان ما راح ينشج. لكن تنفسه وبكاءه كانا غير متناسقين، إذ كان بكاؤه يطول أحيانا ويكاد يخطف أنفاسه. ولم تعد حركات ذراعيه ورجليه متزامنة ولا متناسقة مع بكائه وتنفسه. وراح العالم يتفكك في نظره.

أخيراً بدأ الجوع يتمركز داخله في مكان أحس كأنه "الوسط." وسرعان ما دفع الالم جهازه العصبي الى تغيير أدائه، فتحول الى ايقاع من البكاء هو أقوى ما تستطيعه حنجرته. فالبكاء، على ما يبدو، يريح وليداً وقتياً من الالم، تماما كما "يريح" الصراخ والقفز من ألم اصبع مسحوقة. والبكاء أيضا مؤشر خطر لتنبيه ذويه الى محنته. (وهو مؤشر حسن التصميم استوحيت منه صفارات الشرطة والاسعاف.)

أتت أم وليد فتناولته وراحت ترضعه وهي تمسِّد شعره وتربِّت جسمه وتتكلم اليه برقة لتهدىء باله. عندما يرضع طفل جائع في مثل هذا العمر، فان كمية قليلة من الحليب تخفف غائلة جوعه. ولكن ما لا تعرفه أم وليد (الا حدسا) هو أن حملها اياه وضمه اليها هما الاقدر فعلاً في تهدئته.

الشهر الرابع. يجلس وليد في حضن أمه ووجهه اليها. ويبقى الاثنان غارقين طويلا في نظرات صامتة. تبتسم الام، فيرد وليد الابتسامة للحال. ثم تلامس أنفه بأنفها وهي تبتسم وتصدر أصواتا محببة. ويتكرر التناغم الثنائي، وفي كل مرة يزداد وليد ابتهاجا.

يجتاز وليد في هذا العمر مرحلة مهمة من النمو تظهر خلالها ابتسامته ويبدأ

نطقه وتطول فترة اتصاله البصري.

والوجه، بالنسبة الى وليد، هو الآن الموضوع الأكثر تشويقاً. فبصره مفطور على مفاضلات معينة. فهو، مثلا، يفضل الخطـوط المنحنيـة (كـالـوجنتيـن والحاجبين) على الخطوط المستقيمة. وتفتنه الحركة داخل إطار معين (كالشفاه المتحركة في الوجه).

بات وليد قادراً على التحكم بنظرته المحدقة على غرار البالغين، بحيث يقرر أين ينظر وإلامَ ينظر ومدة التحديق. وهو يستطيع، بمجرد النظر الى أمه، بدء اتصال معها لأنها غالبا تبادله النظرة بمثلها. ويستطيع أيضاً تمديد الاتصال بابتسامة كبيرة أو انهاءه باشاحة وجه. لقد بات خبيرا في استهلال التفاعلات الوجهية أو وضع حد لها.

يتصرف الأطفال كأن العيون هي فعلا مرأة الذات، فبعد بلوغهم الاسبوع السابع ينظرون اليها كمركز جغرافي للوجه ومركز نفساني للمرء. عندما تلعبون "الغمّاضة" مع طفلكم فانه يبدي ابتهاجه فور ازاحتكم الغطاء عن شعركم وجبينكم. لكنه حين يرى عينيكم يطير فرحاً.

يستمر هذا التفاعل البصري الحاد طوال الحياة كامنا، عموماً، في خلفية السلوك البشري. لكنه، في لحظات معينة، يعود ويظهر على نحو طاغٍ. وعندما يبلغ وليد سن المراهقة، سينظر الى عيني فتاة لدقائق من دون أن ينبس بكلمة. وسيقتصر اتصالهما عندئذ على لغة الوجه والتنفس.

وللتواصل البصري بين الام وطفلها أهمية سريرية كبرى، ذلك لأن لوجه الام وجوداً طاغياً في عالم الطفل الذي يغدو على معرفة تامة بملامح أمِّه وحركاتها. فاذا انحرفت الام عما ألفه الطفل منها، راوده القلق. واذا امَّحت التعابير عن محياها لانشغالها بمشاكل مع زوجها أو في عملها، ماتت ابتسامة الطفل وحل مكانها عبوس. وقد يكرر الطفل محاولة استدرار عاطفة أمه من خلال التبسم والايماء، لكنه إن أخفق انكفأ حزيناً مربكاً.

وقد ينزع الطفل الى تقليد مزاج أمه. وربما نشأت لديه مشاكل نفسية من جراء محاولته التعايش مع أولياء مصابين بانهيار عصبي او اضطراب عقلي أو جنوح الى العنف أو نزوع الى القلق.

ويراود وليد في هذا العمر أيضاً احساس بأنه قادر على افتعال بعض الامور في عالمه، وبأنه وسيلة فاعلة في ذاته. فهو حين يدير رأسه يتغير المشهد، وحين يغمض عينيه يظلم العالم.

ويتعلم وليد كذلك انه كائن منفصل عن أمه. لكن توقيت هذه المعرفة وطريقة حصولها مسألتان ما زالتا موضوع تضارب حاد بين النظريات المتداولة في علم النفس. فلقد اعتقد الباحثون زمناً طويلا أن الأطفال يعيشون في حال انصهار لاتبايني مع أمهاتهم حتى الشهر السابع أو التاسع، بحيث لا يميزون بين تصرفاتهم ومشاعرهم وتصرفات أمهاتهم ومشاعرهن. لكننا اكتشفنا حديثاً أن قدرة

الطفل على التمييز بينه وبين الآخرين تبدأ قبل بلوغه شهره الثالث أو الرابع.

يشهد وليد في عمره هذا تكوُّن ثلاثة أنواع من الاحداث البشرية: أحداث الذات وأحداث الآخرين وأحداث الذات مع الآخرين. وهذا يعني، باختصار، أنه بدأ ينظم عالمه الاجتماعي الذي بات يضم أناساً مختلفين: وليد وأمه وأبوه على الاقل، ثم بقية الوجوه الوثيقة الصلة بحياته اليومية.

ولئن فوَّت الطفل إحدى القدرات المتوقعة خلال هذه المرحلة، فقد يؤثر نقصها في تفاعلاته الاجتماعية. فالأطفال المتوحِّدون الساهون عن الواقع، مثلاً، لا يتصلون بصريا بالآخرين. ويبدو أنهم يجدون الاتصال كريها.

الشهر الثاني عشر. يحقق وليد في هذا العمر اكتشافين كبيرين، أولهما أن له عقلاً، وللآخرين أيضاً، وأن له في تصوره الذهني الخاص رغبات وأحاسيس وخواطر وذكريات ونيات لا يراها الآخرون ما لم يحاول إظهارها. وثانيهما أنه قادر على مشاركة شخص آخر في تصوره الذهني.

فكيف نتحقق من أن وليداً اكتشف التصور الذهني؟

الجواب غاية في البساطة. فإذا أراد وليد الحصول على لعبة وُضعت في الجانب الآخر من الغرفة، فقد ينظر الى أمه مستعينا بها. وإن كانت أمه لا تراها فسيبدأ، وهو في شهره التاسع، الاشارات الى اللعبة وذراعه ممدودة وسبابته منتصبة، الى أن تدير أمه رأسها وتنظر الى اللعبة. ويفوز وليد بانتباه أمه. والانتباه حالة فكر ذاتية، أي صورة ذهنية.

بدأ وليد في الأشهر القليلة الماضية يتصرف كأنه يعلم أن لديه نيات وأن طرق كشفها متعددة. فان أمسكت أمه بقطعة حلوى ورغب هو فيها، مد ذراعه وفتح يده في اتجاهها ونقَّل نظره بين قطعة الحلوى ويده التي يفتحها ويطبقها أمام أمه. ثم ينطق. وإنْ لم يُجِدِ النطق وجد وسيلة أخرى للافصاح عما يجول في فكره، الى أن تتنبه أمه لأمره. وقد يشد فستانها لبرهة ويتلفظ بنبرات صوتية ملحَّة تعلو تدريجا، وعيناه لا تبارحان قطعة الحلوى. فما يريده واضح، وهو يطلب من أمه أن تقرأ نياته.

الشهر العشرون. يغلب الهدوء على غرفة وليد. فهو وحيد ويود الانضمام الى ذويه. فينزل من سريره ويذهب الى غرفتهما ويندسّ بينهما. وبعد برهة يقول له والده مداعبا: "يا بطتي الصغيرة." فيجيب وليد: "بطة!" ويضحك والده مضيفا: "أجل، أنت بطتي الصغيرة."

حين شارف وليد شهره الثامن عشر حقق قفزة رئيسية أخرى الى عالم الكلمات. والقدرة على الكلام كائنة في الجينات* البشرية. وكما تتفتح الزهرة،

(*) الجينات او المورثات هي حاملات الخصائص الوراثية في الخلايا.

تتفتح القدرة على الكلام، التي يتفرد بها الانسان، في الوقت المناسب.

نجح وليد الى الآن في إدراك موسيقى الكلام، أي الصوت البحت، مع قليل من المعنى. فلقد برزت كلمة "بطة" هذا الصباح، فتعرف وليد اليها وبدأ يستكشفها متلاعبا بوقعها. ثم بدأ التحكم بالصوت والاحتفاظ به عوض تركه يمر مرور الكرام.

أخذ وليد وأبوه يتقاذفان الكلمة محاولين تحسينها كل مرة.

قال وليد: "أنا بطة" على رغم أن والده هو الذي أطلق عليه هذه التسمية، لانه هو اكتشف العلاقة بين الكلمة الجديدة وتجاربه السابقة (نظرته الى نفسه من خلال الرابط العاطفي بوالده). وهو لم يسمع عبارة "أنا بطة" من قبل لان ما نطقه والده كان عبارة "يا بطتي الصغيرة." لقد ابتكر وليد بمفرده عبارة "أنا بطة" عاكسا حب والده له ونظرته اليه.

السنة الرابعة. سأله صديق: "ماذا فعلت هذا الصباح؟" فأجاب وليد: "دخلت غرفة أمي وأبي لألعب. ولعبنا جميعا لعبة المركب في السرير."

فسأله الصديق: "كيف لعبتم هذه اللعبة؟"

أجاب: "نحن نعيش في مركبنا. كدت التقط سمكة كبيرة، لكنها فرت ثم عادت. إنها سمكة فريدة اسمها بطة، قد تكون مستديرة. وهي تستطيع الوثب فوق سطح الماء. صديقي جوجو يستطيع الوثب أيضا، وكذلك سامي، لكن سوسو لا تستطيع. وأنا أتعلم الوثب. لم أشاهد سمكة البطة أبدا، لذا لا أحد يعرف شكلها. لكنها سمكة مميزة جدا. لم نأكل سمكا اليوم، لكننا نأكله أحيانا."

لقد خطا وليد خطوة كبيرة في نموه وبات قادرا على سرد قصة تتناول أحداثا حصلت، وربطها بشخص آخر. لقد أصبح وليد راوي قصص بسيطة.

إن معظم الأولاد الذين تراوح أعمارهم بين سنتين ونصف وأربع سنوات يبدأون فهم قصص تتناول حياتهم ويؤلفونها. وهو شأن يعتمده البالغون أيضا للتعبير عن معتقداتهم ومهنهم بقالب قصصي. فالقصة هي من أقوى أشكال التعبير عن الذات في كل حضارة، ومن أفعل القدرات في الحفاظ على استمرارية الحضارة.

لقد بات وليد قادرا، من خلال نسج قصة عن نفسه، على تفسير حياته وإعادة تفسيرها. ولم يعد يحتاج الى مترجم مثلي، لانه سيتكلم اليكم مباشرة من الآن فصاعدا.

الدكتور دنيال ن. سترن ■

أهم العلوم التي يمكن أن يتقنها المرء، بل يجدر به أن يتقنها، أن يأتي أقل مقدار ممكن من الشر ويحقق أكبر مقدار ممكن من الخير في حياته.

ليو تولستوي

خبرات من واقع الحياة
تفيدكم كي تبقوا هادئين
في عالم محموم

الصبر مفتاح الفرج

وقفت أراقب أصابع الرجل العجوز المرتبكة وهو يعد النقود ببطء أمام صندوق الدفع في المتجر وأنا في طابور الانتظار أرقص مللا وأتنهد حنقا.

سمعني فابتسم ابتسامة اعتذار لكونه رجلا ضعيفا يقوم بعمل يفوق طاقته.

ندمت. وإذ تصورتني مكانه أدركت أن الناس سيدوسون قدمي يوما وأنني سأصبح معتمدا على لطف الغرباء. ربت على يده المرتجفة وقلت: "خذ وقتك، فليس ثمة من عجلة."

كثيرا ما تصرفت بفروغ صبر. نافخا في بوق سيارتي لحظة تبدل الاشارات الضوئية، ومتكلما بحدة مع شخص بطيء الفهم. هل هذا أمر مهم؟ أجل، إنه مهم. فمتى كنتَ فارغ الصبر أصبحتَ عرضة لأن تغدو عنيفاً. ومثل هذا التصرف غير مثمر ويجعل الناس غضابى أو عنيدين أو غير متعاونين.

صممت على أن أصبح أكثر صبرا وأن انمي أساليب متنوعة تؤول الى تهدئة نفسي في الأوضاع الضاغطة. ولا أدعي أن تلك "التقنيات" حولتني مثالا في الصبر، لكنها ساعدتني على ابعاد الملل عن حياتي والتحكم في معظم نفاد صبري.

دعوا هامشاً للخطأ. ترك صديق لي انطباعاً حسناً في عدة مقابلات أجريت معه حين تقدم الى وظيفة جديدة مهمة، وكل ما تبقى كان لقاء رئيس الشركة.

في السادسة صباحاً انطلق صديقي الى المدينة لمقابلة الرئيس في السابعة. لكنه علق في زحمة خانقة وراء جرار مقطور. وحين وصل أخيراً الى الفندق الذي نزل فيه رئيس الشركة كان هذا غادره من دون أن يترك رسالة. وفي اليوم التالي لم يقبل أي اعتذار، بل قال: "كان عليك أن تتحسَّب لأي عائق."

ان الناس غير الصبورين يكرهون اضاعة الوقت، فيبيّتون الامور في وقت محدد جداً. انهم يعدون الدقائق التي تستغرقها الرحلة أو المهمة غير سامحين بامكان التأخر أو حصول غير المتوقع. لذا يستحسن احتساب هامش للخطأ، وكلما زادت أهمية الموعد زاد الوقت المقتطع هامشاً. ومتى كان ثمة موعد لا يجوز تفويته فلا بأس باهدار وقت طويل.

اعتبروا الامور وفقاً لاهميتها. ان عدم الفوز بالوظيفة المنشودة أمر مؤسف. لكن نتائج تأخيركم واهدار وقتكم في الانتظار قد لا تكون خطيرة وهي لا تستحق فروغ صبركم.

تعلمت أن أسأل نفسي: "ما أسوأ ما يمكن حدوثه؟" فاذا كان الجواب أنني قد افوِّت البرنامج الوثائقي الذي يعرض قبل الفيلم السينمائي، أو قد أتأخر على بداية المباراة، هدأت. ترى أأذكر في الأسبوع المقبل أنني تأخرت اليوم عشر دقائق؟ ان وضع الامور وفقاً لاهميتها يخفف من قلة صبرك.

والبشاشة تساعد. فكر في طرق تحوِّل بها الوضع الصعب قصة مضحكة تسلّي أسرتك وأصدقاءك. حاول أن تجعل من نفسك مراقباً، فذلك يوفر لك البعد الذي تحتاج اليه للجم مللك ونفاد صبرك فيما أنت تنتظر.

احتاطوا للطوارىء. ذات مساء كانت احدى معارفي ذاهبة في رحلة في عطلة نهاية الأسبوع. لكن محرك سيارتها لم يدُر. وكانت ثلاث من صديقاتها ينتظرنها في زاوية الشارع لذا لم تستطع الاتصال بهن. وحين وصلت بعد ساعة كان قد تملكهن البرد والبؤس والقلق. ومنذ أخبرتني بما حصل بتُّ أحرص على ملاقاة الأشخاص في أماكن حيث يمكن أن أتصل بهم أو يتصلوا بي في حال التأخر. وهذا يجعلني أكثر صبراً عندما تتعثر الامور.

ازدحام السير قلما يغيظ حين لا يكون المرء جائعاً أو عطشاً أو في حاجة الى دخول بيت خلاء. كانت لي عمة لا تنطلق في سيارتها الى أي مكان من دون صندوق بسكويت. وقدرت حكمتها عندما انطلقت في الصيف الفائت، أنا وصديق لي، لتمضية يوم عطلة مع أصدقاء آخرين في منزل لهم على الشاطىء.

انطلقنا في الحادية عشرة صباحاً،

والمكان المقصود يبعد ساعتين في السيارة. لكننا لم نصل الا في السابعة ليلاً، لأن شاحنة محملة "مايونيز" تدهورت على الطريق فاندلقت المادة البيضاء وباتت الطريق غير سالكة. فاذا ما كان الصبر مطلوبا، ففي ذلك النهار. ولحسن الحظ كان معنا خبز محلي وكعك هدية الى أصدقائنا. فأغرنا على هذه اللذائذ.

تحضّروا لتمضية الوقت. الانتظار في مطار هو من أتعب المواقف في الحياة العصرية. كنت ذات صباح في قاعة الانتظار أراقب المطر الهتون يرسم خطوطا على النوافذ. فإذا برجل يتقدم مني ويخرج من جيبه "لعبة كلمات" ويسألني هل أرغب في اللعب معه. لعبنا بسرور طوال الساعات الأربع التي تأخرتها طائرتنا. وجلس قربنا رجل يلهو بآلته الحاسبة الصغيرة.

أما أكثر الاشخاص مللا فمضوا يذرعون قاعة الانتظار ويعربون عن تذمرهم بصوت عال ولا عمل لهم سوى وضع قطع نقدية في آلات بيع السجائر والمرطبات.

أنا اليوم أفترض على الدوام أنني سأواجه تأخيراً. لذلك أحمل دائماً كتاباً أطالعه. ولي صديق يعمل على حل الكلمات المتقاطعة في ساعات الانتظار.

شغِّلوا مخيلتكم. كنت يوما أنتظر في أحد المطاعم، فأحسست توترا، فتذكرت قولا مأثوراً: "بصبركم املكوا أنفسكم."

عدت بالذاكرة الى سن المراهقة. فتذكرت مسبحا كثير الضوضاء مكتظا بالناس حيث كنت أملأ رئتي هواء وأغوص الى العمق وأجلس تحت الماء حيث الهدوء والاخضرار والسكون. وهكذا، ذلك اليوم في المطعم، غصت في أعماق نفسي حيث الهدوء والسكون.

واذا ما كنتم منفعلين جداً وعاجزين عن التفكير بوضوح فانتقلوا بمخيلتكم الى مكان عزيز عليكم. يقول صديق لي: "عندما أشعر بتوتر أتخيل نفسي في موضع هادىء على ضفة نهر، فهذا يساعدني دائماً على تنفيس التوتر."

عيشوا الساعة الحاضرة. أعرف رجلا كان دائماً في سباق محموم الى المستقبل. فإذا ما التقينا على فنجان قهوة بعد العمل فأول ما يتكلم عنه هو أين نذهب لتناول العشاء. وبعد العشاء يلتهم الحلوى في ثوان كي لا يفوتنا موعد السينما. وفي السينما ينتصب على قدميه قبل أن تتوارى الصورة الاخيرة. وفي السيارة، في طريقه الى المنزل، يرسم خططا لليوم التالي، والاسبوع التالي، والسنة التالية.

انه لم يعش مكانه وزمانه ابداً. فلم يتسنَّ له التمتع بحياته.

هناك أمر أقدره حق قدره وهو أن للحياة جدولا زمنيا: تسعة أشهر لاكتمال نمو الجنين، واحدى وعشرون سنة لبلوغ

سن الرشد. يحتاج المرء الى وقت طويل ليصبح عازفاً جيداً أو متزلجاً محترفاً. ويحتاج الى وقت لينجح، والى وقت أطول ليصبح انساناً ناجحاً.

قد يكون السبيل الاخير لضبط نفاد الصبر هو تفحص مساهمتك الشخصية فيه. هل أنت غير مستعد لمنح الطفل وقتاً للتعلم، أو المرء البطيء وقتاً لاكمال مهمته؟ اذا كان نفاد صبرك عرضياً فتبرُّمك يمضي، أما اذا كنت دائماً منفعلاً ومتسرعاً فربما أنت تشعر بأنك مهم جداً ولا يجدر بك أن تنتظر شخصاً أو شيئاً.

أنت لست كذلك، ولا أحد هو كذلك. فإذا سلّمنا بأن الدنيا لنا لنتمتع بها لكنها لم تخلق على هوانا، فسنكون أقدر على التحرك فيها برصانة وبمزيد من الصبر على تقلبات الحياة اليومية، كما سنكون رفقاء صالحين لأنفسنا ولأخوتنا في الانسانية.

جو كودير ■

مدير بروتوكول

تولى مدير البروتوكول في البيت الابيض جوزف فرنر ريد مسؤولية الاهتمام بمراسم زيارة ملكة بريطانيا اليزابيث الثانية للولايات المتحدة في مايو (أيار) ١٩٩١. وشملت مهمته تنسيق كل شيء، من حمل الامتعة الى تنظيم مواعيد المروحيات الى تحديد أماكن الوقوف لالتقاط الصور التذكارية، وغير ذلك كثير. وكانت للموسيقى أيضاً مكانتها في لائحة الاهتمامات البروتوكولية، اذ لا يزال كثيرون يتذكرون الهفوة الكبرى التي ارتكبها الرئيس الأسبق جيرالد فورد في الزيارة الاخيرة للملكة الى العاصمة الامريكية، حين أخذته نشوة الموسيقى المرحة فراح يدور بصاحبة الجلالة على حلبة الرقص.

وتعود صداقة جوزف ريد والرئيس جورج بوش الى أيام الطفولة. وهو يسعى جاهداً الى تجنّب حدوث امور غير متوقعة اثناء استقباله قادة الدول او اتصاله بنحو ٢٠٠ الف ديبلوماسي أجنبي منتشرين في البلاد. ويعود نجاحه الى ثلاث ميزات: لباقة لامتناهية، وصبر لامتناه، واهتمام لامتناه بالتفاصيل الدقيقة. ولعله اول مدير للبروتوكول في التاريخ بادر، بعيد تسلمه مهماته، الى الاتصال بالسفراء المعتمدين في واشنطن عوض أن ينتظر اتصالهم به. ويتذكر: "فاجأتهم بادرتي، لكنهم قدروها حق تقدير، لأن فيها اشارة واضحة الى احترام أسبقيتهم."

د. م.

جذور الموهبة

يتحدث مغني الاوبرا الايطالي لوتشيانو بافاروتي عن جذور موهبته: "كانت أمي تقول اني ورثت صوتي عن أبي وورثت عنها قلب موسيقاي ورومانسيتها. كنتُ ألج غرفتي وأغلق بابها وأبدأ الغناء بأعلى صوتي الطفولي، فيتعالى زعيق الانزعاج من أربع عشرة شقة من أصل ست عشرة في المبنى."

ل.ب.

غرق الرجل في صمت مطبق
دام عشرات السنين...
الى أن أيقظ الحب
ما كان كامناً

يقظة فنان

لن تنسى أول مرة رأته. كان يمشي في رواق المصح متثاقلا مطأطأ الرأس باحثاً عن أعقاب سجائر، وخصلات شعره الأشيب تتدلى من صلعته اللماعة. ولما رفع نظره بانت عيناه الزرقاوان محدقتين من تحت حاجبيه الكثّين.

تأثرت آن واتس بالمشهد وسألت الممرضة عن حال الرجل. فعلمتْ أن جون انغلهارت، ابن الحادية والثمانين، أمضى معظم حياته في مصحات عقلية، وأنه بات في السنوات الخمس عشرة الأخيرة عاجزاً عن الاتصال إلا نخيراً أو بكلمات قصيرة.

وللحال توجهت آن الى انغلهارت وقالت له: "أعلمُ أنك ستتحدث إليَّ يوماً."

فنظر إليها مندهشا، وأشاح بوجهه.

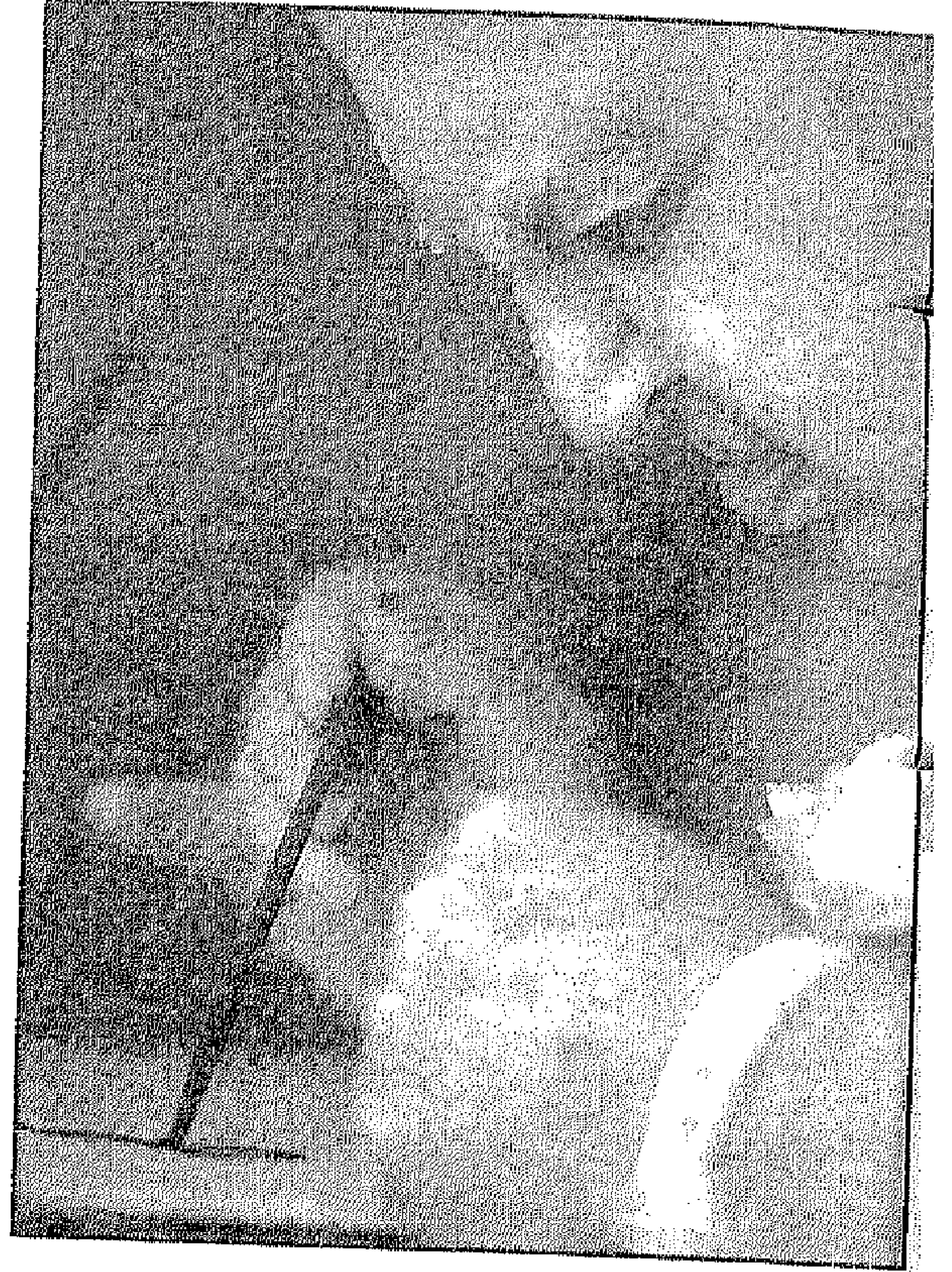
لم يعرف أحد متى انقطع انغلهارت عن الناس ولماذا. وتعتقد إحدى العاملات في "إنز أوف إفرغرين ساوث" وهي دار للعجزة في بالتيمور تؤوي انغلهارت، أن الأمر قد يكون نتيجة قرار واعٍ أخذه. وتقول المساعدة الاجتماعية كارين جنسن: "كنا نعرف أنه حين يحدق الى شخص فنظرته ليست فارغة، ولا بد أنه يفكر في أمر ما."

وُلد انغلهارت، كما جاء في صفحة وحيدة من سجلات "إفرغرين"، في ٣ أبريل (نيسان) ١٩٠٧، وتخلت عنه أمه وهو في الخامسة من عمره. وأُدرج على أنه "متخلف عقلياً" و"مصاب بالحبسة الفصامية"[1] التي تعني أن ذهانه[2] أعاق قدرته على الكلام.

أُدخل انغلهارت مصحا عام ١٩٢٨ في وقت كان التخلف العقلي ما زال من الشؤون التي يُساء فهمها. وكانت المصحات العقلية آنذاك تشكو اكتظاظا بحيث امتلأت الأروقة بأصداء صرخات المرضى المقيدين.

واحة ظليلة. في يوليو (تموز) ١٩٨٨، بعد ثلاثة أشهر على لقاء أنغلهارت، عملت آن واتس (٢٨ عاماً) في "إفرغرين" اختصاصية بالمعالجة الاستجمامية.[3] وكانت من حين الى آخر تترك واجباتها لتتبع انغلهارت في أنحاء الدار.

(١) Aphasiac schizophrenic
(٢) الذهان (psychosis) اضطراب عقلي يتسم باختلال الصلة بالواقع او انقطاعها.
(٣) Recreational therapy



جون انغلهارت يرسم.

وهي وصفت محاولاتها الوصول اليه في دفتر يومياتها أواخر ديسمبر (كانون الاول): "إني ألاعبه وأصفق معه. ليتني أعرف ما جرى له."

وبعد شهرين أنهت آن احدى جولاتها اليومية ولم تجد انغلهارت في غرفته. لكنها لاحظت أن باب الحمام مفتوح جزئياً. وهي تذكر: "ناديت: جون! فصاح: نعم! فدهشت إذ تأكد لي، للمرة الاولى، أنه قادر على الكلام."

ضاعفت آن جهودها وتابعت توجيه الاسئلة الى انغلهارت ومكافأته ببادرة حنان كلما حصلت منه على جواب.

كتبت في يومياتها: "جلس جون وحيداً في غرفته ممسكاً بقدمه التي بُترت منها إصبعان بسبب الغنغرينا. دخلتُ لرؤيته، وإذ رآني طبع على وجنتي بضع قبلات سريعة. ولمَّا سألته عن حاله رد: سيئة."

شفيت قدم انغلهارت وتحسنت صحته ومعنوياته وبدأ يُسرّ برفقة الناس. فأذنت إدارة المصح لآن باصطحابه في رحلات "ميدانية" أشعرته بطعم الحياة الاجتماعية للمرة الاولى منذ سنين.

وكتبت آن بعد رحلة الى السوق: "جرَّبتُ وجون نظارات شمسية. وفي متجر للآلات الموسيقية، أجلسته الى أُرغن الكتروني عملاق. فعزف بيسر ناقراً المفاتيح بأظافيره الطويلة. ولمَّا انتهى من العزف صفق له البائع والزبائن اعجاباً."

لم يتلقَّ انغلهارت دروساً في البيانو من قبل، لكنه أظهر حساً فطرياً باللحن والايقاع. وكان ذلك أول دليل لمسته آن عن المقدرات الفنية الكامنة فيه.

وبدأت ثقة عميقة تتنامى بينهما على رغم متطلبات انغلهارت المرهقة أحياناً. كان يغضب إن تأخرت آن في الوصول الى دار العجزة. وكانت هي تخشى أن ينتهي به الأمر في مستشفى إن ذهبت في إجازة. لكنها شعرت بأن الايجابيات تفوق السلبيات كثيراً. تقول: "كنت حين أراه مبتسماً أشعر كأني تلقيت هدية قيِّمة. وغدوت قادرة على المكوث معه من دون أن يشغل تفكيري شاغل، كأني في واحة ظليلة."

فنان عظيم! على نحو غير متوقع، استيقظ الفنان في انغلهارت. فذات يوم

PHOTO: C LUCIAN PERKINS

من مارس (آذار) ١٩٨٩ ناولته آن، وهي مستغرقة في مكالمة هاتفية، ورقة وقلماً. ولمّا فرغت من المكالمة أدهشها ما رسمه. وعندما سألته ما ذلك، أجاب الرجل الذي لا ينطق الا كلمات قصيرة أحادية المقاطع: "طاحونة هواء." كانت بضعة خطوط تشكل طاحونة هواء وشكلا جانبيا لوجه رجل، وقد أطلت عين سوداء كبيرة من مبنى قائم على ركائز متقلقلة. ويطالعك الرسم، في مجمله، كصورة لطائرة أخفقت في الاقلاع.

وسرعان ما تحوّل انغلهارت الى رسم صور ملونة. وتذكّر أشكاله وألوانه الزاهية بالرسامين التعبيريين أوائل القرن العشرين الذين استعاضوا عن الرسم المنضبط بآخر يعتمد التعابير الخام.

واذ راح انغلهارت يتحدث عن فنه، زادت مفرداته اتساعاً، مع أنه بقي يجد صعوبة في الكلام لتورّم لسانه وشفتيه نتيجة سنوات من العلاج بالعقاقير. الا أنه كان يصغي بانتباه الى الأسئلة التي تطرح عليه ويجيب عنها، متى أراد، بهمس خشن كأنه يغوص عميقاً في ذاكرته وروحه.

وفي يوليو (تموز) تبين أن انغلهارت مصاب بسرطان غدّة البروستات. وكاد يموت على طاولة العمليات، فلم يتمكن الأطباء من استئصال الغدة كاملة. وبعد أيام غادر المستشفى وهو في حال لا تدعو الى الاطمئنان. ولأسباب عدة، بينها عمره، قرر الأطباء ألا يخضعوه لعلاج كيميائي.

وفي إثر ذلك زخرت أعماله الفنية بألم وارتباك يعرفهما من يخشى دنو أجله. لكن حاله تحسنت على نحو لم يتوقعه الأطباء، فارتفعت ثقته بنفسه وازداد تصميما.

كتبت آن واتس في ١٠ أغسطس (آب) ١٩٨٩: "اليوم تسلقتُ وجون تلّة فدرال هيل، ورفعنا أذرعنا الى السماء قائلين معاً: أنا فنان عظيم! أنا عظيم! قالها جون أول الأمر همساً، ثم رفع صوته تدريجا."

الفرح يقهر السرطان. أخيراً كشف انغلهارت أعمق التفاصيل الحميمة عن حياته الخاصة. فذات يوم جلس مع آن في حقل وراحا يحدقان الى السماء الزرقاء وقد خلعا حذاءيهما. وعندما همّا بالرحيل سألته آن: "من علمك ربط حذائك؟"

فأجاب: "أمي."

ثم روى قصة تختلف عما جاء في السجلات:

عاش انغلهارت مع أمه واخوته وأخواته. وعندما اندلعت الحرب التحق إخوته بالجيش ولم يُعرف عنهم شيء بعد ذلك. فأرسلته أمه المحزونة الى عمته التي حولته الى مصح للمتخلفين عقليا لعجزها عن حمل مسؤوليته. ولم يذكر انغلهارت شيئاً عن والده.

روى كيف جعله القيّمون على المصحات يعمل بالتحطيب وجرف الفحم، وكيف غسلوه بخراطيم المياه وقيدوه ليلا. وهو زعم لآن أنه كان شابا مشاكسا تورط

في متاعب بسبب مشاجراته الكثيرة، وأنه حظي بصديقات كثيرات. كان من الصعب معرفة الحد الفاصل بين الحقيقة والخيال.

ومذ بدأ انغلهارت الرسم جال بفكر آن واتس أن تعرض أعماله الفنية. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٩ تلقت دعماً من أوساط فنية فبدأت تنظيم معرض لأعماله في أبريل (نيسان) التالي. وقررت دار فنية تدعى "بوهاوس" عرض ٧٠ من رسومه.

وفي حفلة الافتتاح اكتظ المعرض بالمدعوين وأزدهت الجدران بلوحات انغلهارت ذات الألوان النارية والخطوط المتذبذبة الحادة. وجال انغلهارت وآن وسط المدعوين، يداً في يد، والابتسامة تعلو شفاههما. وبدا الفنان أنيقاً ببذلته القاتمة وقبعته السوداء.

وسرعان ما لاحظ النقاد موهبة انغلهارت. فكتب لينل سميث في صحيفة "إيفننغ صن": "يعكس كثير من أعماله إدراكاً فطرياً للشكل والمضمون." وكتب جون دورسي في الصحيفة ذاتها: "أفضل امتحان لأعمال انغلهارت هو أنها تلاصقك." وقد بيعت ست من لوحاته خلال المعرض.

بعد المعرض بات انغلهارت رجلا شهيراً. وتوقف السرطان الذي أصابه عن النمو كما أظهر فحص الأنسجة. تقول آن: "إن تحوُّل جون فناناً معروفاً لأمر قابل للتصديق. ولكن ما لا يمكن تصديقه هو ما يفعله الحب والفرح بداء السرطان."

تركت آن واتس عملها عام ١٩٩٠، لكن صداقتها لانغلهارت استمرت. وذات يوم تملقته لكي يفسر لها رسماً لرجل يعتمر قبعة والى جانبه امرأة، وسألته مشيرة الى المرأة: "من هذه؟ أهي واحدة من صديقاتك؟"

فلم يجب.

فتابعت: "ألا تود إخباري؟"

فغمغم شيئاً.

فسألته: "ماذا؟ أهذه أنا؟" ثم ضحكت مضيفة: "آه، هذا لطيف حقاً. انه لأمر لم تفعله قبلا، أن تضعنا معاً في صورة واحدة."

ساره تانغي ■



هوس الكمبيوتر

كان الموظف الجديد في شركتنا مهووساً بالكمبيوتر. وفي محاولة لتوسيع أفق اهتماماته، اصطحبه زميلاي الطيّاران في رحلة صغيرة بالطائرة. وحين عادا سألاه عن رأيه في الرحلة، فأجاب: "رائع. اني أتحرّق شوقاً لتجربة برنامج الطيران على شاشة الكمبيوتر عندي في البيت."

ر.م.

حاولتُ أن أساهم في انقاذ الارض لكن التضحية فاقت احتمالي

اعترافات فاعل خير



تبدي زوجتي معظم الآراء القيمة التي ندرسها أو ننفذها في منزلنا. لذلك لم أفاجأ عندما أعلنت قبل مدة أننا "من الآن فصاعداً سنعيش حياة بيئية مسؤولة." واذ كنت راغباً في أن أصير شخصاً أفضل، وافقت على اقتراحها من كل قلبي.

بدأنا التنفيذ بالتسوّق على نحو أكثر مسؤولية. فنبذنا أكياس النايلون وصرنا نلقي الخضر عارية في عربة السوبرماركت، وعند صندوق الدفع نطلب أكياس ورق أو نضع مشترياتنا في كيس قماش نحضره معنا. وكنا نرى رواد السوبرماركت يحدقون إلينا باستغراب، لكننا صممنا على التعالي فوق سخافات الناس.

غير ان تصميمنا على العيش بيئياً ولّد بيننا خلافات ومشاحنات بلغت ذروتها قبيل العيد، اذ أحضرت زوجتي كتيّبا للهدايا بعنوان "أنقذوا هذا الكوكب" واختارت منه مجموعة جديدة وفريدة من الهدايا: لابننا مستحضرات تنظيف خالية من الفوسفات، ولابنتنا مصباح فلوريسنت، ولأخي سدّادة لخزان المرحاض (للاقتصاد في استهلاك الماء). ثم اقترحَتْ: "أما والداك فقد يحبّان لفّة أوراق مكرَّرة ومصنَّعة للفّ الشطائر."

وما ان أدليت برأيي الخجول لافتاً الى أن هذه الاشياء لا تبدو هدايا عيد، حتى ثارت زوجتي وردّت غاضبة: "أنت لم تنوِ مطلقاً مجاراتي في هذا النظام."

أجبت محتجا: "لا قدرة لي على تحمل هذه الضغوط."

فقالت بلهجة الآمر: "اكبر اذاً."

قررت بذل محاولة ثانية لاتباع برنامج زوجتي. وتدخل لاوَعْيي هذه المرة، فحلمت أني في بيتنا الذي بدا مركز عمل بيئي احتشد فيه أناس عرفتهم وهم يأتون أموراً مستغربة وسامية. كانت صديقة لنا تفكك خيوط كنزات صوفية قديمة لكي تعيد حياكتها، وربط صديق دراجته الثابتة بدولاب مطحنة لكي يطحن دقيقَهُ، ورمت سيدة فتات مائدتها للديدان في كومة تسميد النفايات في حديقتها.

وما ان وصلتُ في أحلامي الباطنية الى هذا الحد حتى تملكني دوار. وضحكت زوجتي حين عرضتُ أن نستحمَّ معاً توفيراً للماء. ولكن عندما اقترحت الذهاب الى عملي في منطاد منعاً للتلوث، أدركت زوجتي أن كلامي أخذ منحى ساخراً، ورمقتني بنظرة غضبى فلم أجد بدأ من الاعتراف بما اعتلج في صدري. قلت لها: "كفى، أعذريني، لا يسعني تحمل هذا العبء الثقيل من عمل الخير. تتملكني رغبة جامحة في الهرب من هذا الجو الخانق، فألتهم شطيرة همبرغر ضخمة ثم أرمي لفافاتها من نافذة السيارة في الشارع العام."

بعد هذه الثورة اللابيئية قررت زوجتي العزيزة تركي وشأني ليأسها من اصطلاح أمري. وتكفيراً عن عجزي وخطأي، أعمل الآن على وضع كتاب عنوانه "١١٦ طريقة مسلّية لمساعدة الطبيعة الأم ان كنت عاجزاً حالياً عن تقديم تضحيات كبيرة." وتوخياً للاقتصاد البيئي، أكتب المسودة على ورق تواليت مصنوع من نفايات معالجة، وأستعمل وجهَيْ كل ورقة في الكتابة.

دونالد ديل جاكسون ■



جدّة من الجبال

سافرت وزوجي لزيارة حفيدتنا التي تقطن في مدينة بعيدة، فعرَّفتنا الى اطفالها للمرّة الأولى. وحاولَتْ أن تشرح لابنها الصغير من أكون بالنسبة اليه، قالت: "هذه السيّدة هي جدّة أمك. وهي تعيش بعيداً في الجبال."

فاختلط الامر على الصغير، ثم قال: "وهل تملك السيدة عصا سحرية؟"

م.ب.

حاسة سادسة!

سأل باحث زميله: "ما رأيك في الحاسة السادسة؟"

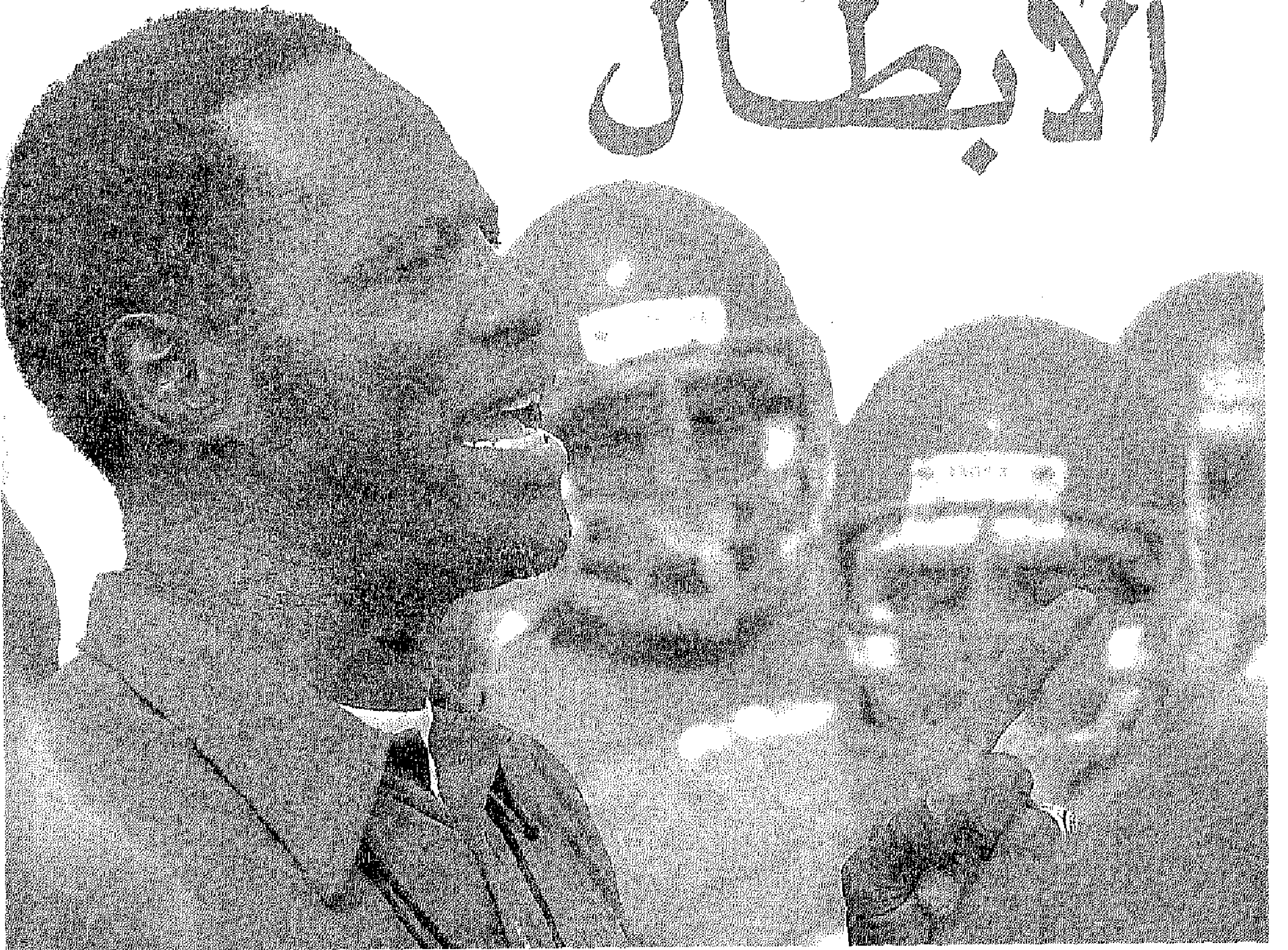
فردّ هذا: "ها! عرفت أنك ستطرح عليّ هذا السؤال!"

ف.ت.

مدرب فذّ يتعهد شباناً فوضويين فيصنع منهم أبطالا

يواجه بوب شانون مشكلة، وهو مدرب فريق كرة القدم (الامريكية) في مدرسة إيست سانت لويس بولاية ايلينوي. فظهيره الموهوب جايمس هاريس يتغيب عن التمارين لاعتقاده أن موهبته كافية. لكن شانون يتوقع من ظهرائه في فريق "فلايرز" أن يكونوا مثالا للانضباط والتضحية داخل الملعب وخارجه. ومع أنه لم يملك بديلا يحل مكان هاريس، فهو واجه الشاب بقرار مبدئي مفاجىء قائلا له: "لن تلعب كظهير بعد الآن. وإذا بقيت لاعباً في الفريق فسيكون دورك تلقي التمريرات لا قذفها."

فتحوّل الشاب، وقد تملّكه الغضب، الى فريق "لنكولن هاي" المنافس. فما كان من شانون إلا أن اختار كروين برايس، وهو لاعب واعد، لتوجيه هجوم الفريق. وبعد اسابيع، سحق الـ"فلايرز" منافسه بـ٦١ نقطة في مقابل ٧.



يقول شانون: "التزمنا مبادئنا. والآن نرى أن المهم حقاً هو العمل كفريق، لا الموهبة في ذاتها."

واجتاز الـ"فلايرز" موسم المباريات من دون أن يمنى بأي خسارة، وبات الأول بين فرق المدارس الثانوية الامريكية.

جيش انضباطي. تُعتبر فرق شانون منائر تفوُّق وسط بؤر رذيلة وفساد. فالاجرام والعنف يدوِّمان حول المدرب وأعضاء فريقه. ذات صباح وجدوا جثة مروِّج مخدرات "أُعدِمَ" في ملعبهم. ولطالما اضطروا الى الانبطاح أرضاً لدى نشوب معارك حامية تطلق فيها النار بغزارة في الشوارع المجاورة.

لقد هجرت الصناعة بلدة إيست سانت لويس، فخسرت زهاء نصف سكانها منذ العام ١٩٦٠. ويقدِّر شانون أن ٦٠ في المئة من لاعبيه يأتون من عائلات مفككة حيث الوالدان منفصلان، كما يتلقى ٨٠ في المئة منهم إعانات حكومية. وقد عانت المدرسة مشاكل مادية اضطرت شانون الى شراء اللوازم الرياضية لفريقه من ماله الخاص.

وعلى رغم هذه الصعوبات، يجند شانون كل عام بضعة لاعبين شجعان يستجيبون لمتطلباته القاسية فينتصرون على منافسيهم. ومنذ العام ١٩٧٩ تمكن فريقه من احراز كأس بطولة ولاية ايلينوي خمس مرات.

يقول مايك إيزنبات المحرر الرياضي في صحيفة "سانت لويس بوست دسباتش": "أعظم منجزات شانون قبوله شباناً فوضويين يائسين وتحويلهم رجالا فخورين آملين."

يحقق شانون ذلك باعطائه تلاميذه دروساً تعلمها في طفولته القاسية. فهو كان ثاني اخوته الاثني عشر الذين عاشوا في كنف والدين توقَّف تحصيلهما الدراسي في الصف الابتدائي الثالث. مات أبوه بداء الربو وبوب في الثانية عشرة من عمره، فعاشت العائلة على اعانات الضمان الاجتماعي وعلى عشرة دولارات أسبوعيا كانت الام تحصلها بالعمل خادمة.

وكان بوب يمشي يوميا مسافة ثمانية كيلومترات من كوخ العائلة الى أقرب مدرسة للأولاد السود. فانصرف بكليته الى الدراسة والرياضة، وحقق لمدرسته الثانوية أول موسم رياضي لا تُمنى فيه بأي هزيمة في مباريات كرة القدم.

وكان بوب، الى ذلك، لاعب بايسبول (كرة قاعدة) واعداً، فاختاره فريق "بيتسبرغ بايرتس" من بين لاعبين هواة وأغراه بعلاوة مقدارها ثمانية آلاف دولار إن هو وقَّع عقداً. الا أنه التحق بجامعة ولاية تنيسي معتمداً على منحة دراسية مخصصة للاعبي كرة القدم، وتمرس على يدي مدرب بالغ الانضباط يدعى كات كولمان، كان يقول للاعبيه: "إن تحديد الأهداف ودفع الثمن لتحقيقها لأهم من اتقان اللعب. وإذ لا يسعني أن أفعل ذلك نيابة عنكم، أتمنى عليكم الخروج بين الناس وتجسيد كلماتي."

وفي العام ١٩٦٩ التحق شانون بفريق "واشنطن ردسكينز" لكرة القدم، واجتاز مرحلة التدريب الأولية قبل أن يفسخ عقده لاعتبارات تنظيمية. وعلى رغم أن فريق "أتلنتا فالكونز" عرض عليه عقداً، فقد قرر شانون تزوج زميلته في الدراسة جانيت ريدلي ومتابعة مهنة التعليم والتدريب التي اختارها لمستقبله.

ولما علم بتوافر مركز مدرب مساعد لدى فريق "إيست سانت لويس" ذهب لمقابلة المسؤولين. فراعه أن يرى المدينة بؤرة فوضى تتخللها شوارع قذرة وأبنية متداعية وساحات مهملة أكلها العشب. لكنه قبل الوظيفة متطلعاً بشوق الى التحدي الماثل أمامه.

كلام صريح. بقي شانون خمس سنوات يعمل مدرباً مساعداً. وفي العام ١٩٧٦، بعد موسم خسائر لفريق "فلايرز"، اختير مدرباً رئيسياً. فعمد للحال الى طرد ثلاثة لاعبين تغيبوا عن التمارين. لكن رئيس المدرسة طلب إعادتهم تحت ضغوط الأهالي. فقال له شانون: "أنت رئيس المدرسة، لكنني مدرب الفريق، ولا شيء يجبرني على قبولهم!"

ثم توجه الى لاعبيه قائلا: "لا تغني الموهبة إن هي افتقرت الى النظام. فالشوارع ملأى بشباب يتشدقون ببراعتهم وزجاجة المشروب في أيديهم."

اعتمد شانون مع فريقه قاعدة صارمة تقضي بمنع التلميذ المتأخر في دروسه من اللعب مع الفريق. واذا ما احتاج تلميذ الى مساعدة في الدرس، كان شانون يجد له أستاذاً يساعده، فاذا تأكد له أن التلميذ لا يثابر على دراسته، كان لا يجد مفراً من إبعاده عن الفريق. والويل للاعب الذي يثير بلبلة في الصفوف. فقاعدة شانون ثابتة في هذا الشأن: "مستحيل أن تكون لاعباً جيداً ومواطنا سيئا."

ولكم من أم وجدت في المدرب عونا لها في تربية أولادها. ذات يوم قطع شانون عرض فيلم رياضي على فريقه ليأمر أحد اللاعبين: "كيفن، اذهب الى بيتك واطلِ الرواق كما طلبت منك أمك." وقد أصبح كيفن رامسي نجما في كرة القدم، ونال بمساعدة شانون منحة دراسية في جامعة ولاية إنديانا. وهو اليوم مدرب مساعد في جامعة نورث – وسترن، ولا يترك مناسبة الا ويتصل بمدربه السابق. يقول: "إنه لا يخبرني بما أريد سماعه، بل بما أحتاج الى سماعه."

وبعد سنتين من العمل الدؤوب نجح فريق "فلايرز" في الوصول الى الدور النهائي لبطولة الولاية. بيد أنه مني بخسارة كبرى أمام فريق "سانت ريتا" في شيكاغو الذي هزمه بـ ٤٨ نقطة في مقابل ١٣. وبعد المباراة خاطب شانون لاعبيه: "لقد أدوا لنا خدمة جُلّى اذ أظهروا لنا ما هو الجيد فعلا. من الآن فصاعداً سيكون هذا هو المقياس الذي نتبعه."

اكتشف شانون أن لاعبي "سانت

ريتا" يتبعون برنامجا لرفع الاثقال. فما كان منه الا أن اعتمد لفريقه برنامجاً مماثلا، وحض لاعبيه على التمرن ثلاث مرات يومياً خلال فترة المخيم الصيفي. ويذكر كيري غلن الذي أصبح اليوم لاعبا محترفا: "جعلنا شانون نمارس في المدرسة الثانوية تمارين أتّبعها اليوم كمحترف."

وفي اجتماع للأهالي قال شانون: "ليس لدينا ما ينعم به الآخرون من امتيازات. ولكن لنا كبرياؤنا والتزامنا كلمة "تفوق" التي لا تبزها كلمة." ثم جلس وسط عاصفة تصفيق.

فوز في الحياة. بعد أربع سنوات من تعهد شانون فريقا فاشلا، تمكن من الوصول بالـ"فلايرز" الى الفوز ببطولة الولاية. وحقق فريقه، بدءاً بسبتمبر (أيلول) ١٩٨٣، انتصارات متتالية في ٢٤ مباراة بينها أربع بطولات للولاية. فغدا ملعب المدرسة ومدرَّجها الخرب مقصداً للصحافيين. لكن شانون منع لاعبيه من التبجح بانتصارات الفريق محذراً: "إن ركزتم أذهانكم على الانتصارات المتتالية فستنسون كيف تُلعب كرة القدم."

وكان أعضاء الفريق يركعون للصلاة قبل كل مباراة، ومما يذكرون: "امنحنا يا رب فرصة للنجاح. وإن خسرنا فسنصطفّ لنهنىء الفائزين."

وبالفعل اصطف الـ"فلايرز" جانبا في أكتوبر (تشرين الأول) ١٩٨٦ ليهنئوا فريقاً آخر هو "غرانيت سيتي." ولطالما قال شانون للاعبيه: "أفضل أن أخسر بلاعبين عاديين من أن أربح بلاعب غير انضباطي وإن يكن موهوباً." وقد فهم الجميع مغزى كلامه خلال أسبوع المباراة مع فريق "غرانيت سيتي" عندما أخرج ثلاثة لاعبين لأسباب انضباطية، فخسر فريقه المباراة بفارق ثلاث نقاط.

وفي العام ١٩٨٨ علّق شانون عضوية كيني دن، أبرز متلقّي التمريرات، لغيابه عن التمارين و"مرافقته شلة سوء." فقبع دن في منزله يتابع على الراديو تفاصيل المباراة التي خسر فيها زملاؤه بطولة الولاية. وكما دائماً، لم يقدِّم شانون أي أعذار، بل قال: "يتوجب على أولادنا أن يحققوا انتصارات تتخطى كرة القدم، عليهم الفوز في معترك الحياة."

وقد لعب بعض أعضاء الفريق هذه المباراة بسراويل بالية بان جلدهم من تحتها. وقد قال لهم شانون: "ليس لدينا ما يخجلنا. فالحياة ليست عادلة على الدوام. لكننا، على رغم ذلك، نستطيع أن نتوقع من أنفسنا تفوقاً."

وكتب كيفن هوريغان المحرر الرياضي في صحيفة "بوست دسباتش": "انها لقصة لا تصدقها هوليوود: أولاد يترعرعون وسط أكبر كارثة مدينية في أمريكا، فلا يتقدمون إلا بشق النفس. لا مال ولا تسهيلات، بل مجرد مُدرِّب ما زال يعتقد أن الكبرياء والعمل الشاق يعنيان شيئاً."

وللحال سارع رجال أعمال في سانت

لويس الى التبرع بالمال اللازم لشراء بزات رياضية جديدة للفريق.

وخلال موسم ١٩٨٩ فاز فريق "فلايرز" في تسع مباريات متتالية. لكن مشكلة برزت في المرحلة الربع النهائية حين واجه الـ"فلايرز" فريقاً قوياً ووجد نفسه مقصراً بـ٧ نقاط في مقابل ١٣ مع وشوك انتهاء المباراة. وهنا أندفع الظهير رولي نفيل وقاد رفقاءه في هجوم على خط دفاع الفريق المنافس. ولم يلبث الفريق أن أصبح على عتبة تسجيل هدف الفوز.

وكان كيني دن في السنة السابقة تابع خسارة فريقه على الراديو. أما في هذا الموسم فكان سباقاً الى كل التمارين. وفي اللحظة الحاسمة من تلك المباراة، تلقى نفيل الكرة من الوسط وانكفأ بها نحو مرماه ثم عاد وتحول الى خط جانبي قاذفاً الكرة الى دن الواقف بين مرمى الفريق المنافس وخط النهاية. فتلقى دن الكرة محققاً لفريقه هدف الفوز بـ١٤ نقطة في مقابل ١٣.

وعندما دخل لاعبو الفريق غرفة الملابس تحول فرحهم صدمة وغضباً اذ ألفوا خزائنهم مخلوعة ومقتنياتهم الشخصية منهوبة. فقال لهم شانون: "لنركع ونصلِّ." وأضاف بعد حين: "والآن، هلموا بنا الى منازلنا." وبعد أسبوعين فاز الـ"فلايرز" ببطولة الولاية بفارق ٤٧ نقطة.

وتابع الفريق انتصاراته عام ١٩٩٠ محققاً الفوز في ٢٦ مباراة متتالية قبل خسارته المباراة النصف النهائية. وبعد هذه المباراة قال شانون للاعبيه: "ليس الفوز كل شيء. لقد بذلتم قصارى جهدكم، ويمكنكم التفاخر بذلك ما حييتم."

وعندما يسأله الصحافيون كيف بلغ بفريقه مرتبة التفوق وسط "أكبر كارثة مدينية في أمريكا،" يجيب: "إننا نقارع ظروفاً صعبة. لكننا لا نروم أعذاراً لتبرير فشلنا، بل طرقاً تحقق النجاح."

ويأتي لاعبون سابقون للقاء مدربهم القديم وتشجيع اللاعبين الجدد على المثابرة. ويحمل الخريجون مهمة يلقيها المدرب على عاتق كل منهم: "انقلوا ما تعلمتموه الى شخص آخر. فهذا دَيْن عليكم لأولئك الذين ساعدوكم."

يقول كريغ باتون أحد لاعبي الـ"فلايرز" السابقين الذي يعمل اليوم مديراً لشبكة متاجر: "لي ابن في الثانية عشرة من عمره، وأنا أنقل اليه مبادىء اكتسبتها من المدرب شانون."

عندما فاز فريق "فلايرز" ببطولة ولاية ايلينوي للمرة الاولى بدأ شانون يتلقى سيلاً متواصلاً من عروض العمل. لكنه رفضها كلها. وعندما سئل عن السبب أجاب: "أفضل العمل مع أولاد إيست سانت لويس، فإن لم أولِهم أنا عنايتي، فمن يفعل؟"

يوجين هـ. مثفن ■

الحظ لا يعطي أبداً، بل يعير.

مثل اسوجي

الثلاثون عز الشباب!

عشرة أسباب وجيهة للفرح في منتصف العمر

كنا في الماضي ننزع الى اعتبار كل عيد ميلاد نحتفل به بعد السن الثلاثين نذيرَ خسارة. لكن وجهة النظر هذه تبدلت. ويرى الخبراء اليوم أن التقدم في السن يعني تقدماً نحو الأفضل في مجالات كثيرة. واليكم بعضاً من الحَسَن الذي يحصل لكم حين تكبرون:

١. تزدادون رونقاً.

الشعر الأشيب لا يدل على تفكير غامض مشوش. لقد نشر سيغموند فرويد[1] أول نتاج عظيم له، وهو كتاب "تفسير الأحلام"، عندما كان في الرابعة والأربعين من عمره. وأنجزت راشيل كارسون[2] كتابها "الربيع الصامت" عندما كانت في الخامسة والخمسين.

تقول روبن مارانتز هينيغ مؤلفة كتاب "كيف تتقدم المرأة في السن": "إن استمررتم في القراءة والتفكير والابداع طوال حياتكم، فالمعرفة التي تكتسبونها ستحسن ذكاءكم. وإذا ما أعطيتم الوقت الكافي، فستسجلون علامات أفضل في اختبارات الذكاء كلما تقدمتم في السن." قد تخف سرعة التفكير والتذكر، لكن النوعية لا تخفّ.

(١) طبيب اعصاب نمسوي يعتبر رائد التحليل النفساني الحديث (١٨٥٦ - ١٩٣٩).
(٢) كاتبة وعالمة بالبيئة.

اننا نخسر بعض خلايا الدماغ اذ نتقدم في العمر. لكن علماء الجهاز العصبي يؤكدون أننا إذا عشنا الى العقد السابع حياة ملأى بالحوافز، فستزداد شُعَب الاتصال بين خلايا دماغنا مما يزيد معرفتنا عمقاً.

٢. تزدادون قوة.

أظهرت دراسات أجراها أستاذ الطب النفساني الدكتور جورج فايان أن آلية دفاعنا النفسي، أي طرق تكيفنا والأزمات، تصبح سليمة أكثر كلما تقدمنا في السن. الشباب يحمون أنفسهم من خلال "استراتيجيات" كالرفض والتمرد على التقاليد. أما من هم في خريف العمر فيعوِّلون على دفاعات كالمزاح وحب الغير والابداع. والأحداث التي يعتبرها الشباب شديدة الوطأة تلقى لدى الكبار تصنيفاً مغايراً مخفَّفاً. وتقول جانيت بيلسكي وهي عالمة نفسانية ومؤلفة كتاب "هنا غداً: الافادة القصوى من الحياة بعد الخمسين": "كلما تقدمنا في السن واجهنا مشاكل الحياة على نحو أفضل." ويضيف فيليب برمان مؤلف "شجاعة التقدم في السن": "ذلك لأنكم فُصلتم من وظيفة، أو عشتم تجربة طلاق، أو فقدتم شخصاً تحبونه... وتجاوزتم الازمة. فأنتم، نفسانياً، أقوى الآن. كما أنكم تتحملون تفاهات الحياة على نحو أفضل. فنادراً ما نرى شخصاً متقدماً في السن يثور داخل مصعد مكتظ وبطيء، لأن هذا تصرف شاب على عجلة من أمره."

والواقع أن تغييراً بنيوياً يطرأ على الدماغ قد يساهم في عملية تليين العريكة هذه. ويفيد الطبيب النفساني ستيفن روز أن العلماء أكبوا على دراسة مجموعة من الخلايا تمكن تسميتها "جهاز انذار الدماغ" وهو مركز يتولى عمليات الاثارة والقلق والخوف. وفي نحو السن الاربعين يشرع هذا الجهاز في الانكماش وفقدان وظيفته، تماماً كما يختبر كثيرون منا انخفاضاً في الغضب والقلق والاندفاع.



٣. تشعرون بقوتكم.

ترى المحللة النفسانية اليزابيث أوشينكلوس أن "غالبية من هم في منتصف العمر يكونون في أوج حياتهم العملية. هذه هي فترة العطاء والانتاج حين يشعر المرء بكثير من الرضا والطمأنينة لادراكه أن لديه ما يقدمه الى الآخرين."

٤. تزداد عاطفتكم عمقاً.

تقول هينيغ: "عندما تتقدمون في السن تصبحون أكثر هناء في علاقاتكم. وكلما طال زواجكم رجحت كفة استمراريته." وتضيف بيلسكي: "وإن كنتم تتمتعون بزواج ناجح، فالراجح أن يزداد نجاحا بعد مغادرة الأولاد المنزل."

٥. تصقلون شخصيتكم.

كتبت الممثلة كانديس بيرغن في سيرتها الذاتية وعنوانها: "دقوا على الخشب": "يتطلب النضج وقتاً طويلا." وتؤكد ماتي غيرشنفلد وهي عالمة نفسانية: "كلما تقدمتم في السن تميزتم وصَفا ذهنكم واتضح لكم ما تحبون وما لا تحبون وبتُّم تعرفون من أنتم."

وتقول المؤلفة اريكا يونغ: "لم أعد أعتبِر رفض الآخرين لي عداء شخصياً، اذ بتّ أدرك أن معاملتهم إياي تتعلق بهم أكثر مما تتعلق بي. وهذا الادراك يريحني كثيراً."

٦. يزداد حبكم للآخرين.

في دراسة حديثة وافق ٨٤ في المئة من الذين سئلوا على أن "الناس في منتصف العمر يصبحون أكثر رحمة."

عندما يكبر الأولاد تبقى مشاعر الحنان والرعاية ضاجَّة فينا، وقد تتسع فتتخطى العائلة، كما يعتقد تشارلز فاهي مدير "مركز العمر الثالث" في جامعة فوردهام. وتقوى امكانات المشاركة في قضايا حياتية واجتماعية.

٧. تصبحون جدات وجدوداً.

توضح بيلسكي: "إن الاستمتاع بالاطفال من دون تحمل أعبائهم لأمر سار جداً." وتضيف غيرشنفلد: "يختبر المرء متعة جديدة في العيش مع جيل جديد، كما يختبر احساسا أقوى بالانتماء الى دورة الحياة."

٨. تتسع آفاق عالمكم.

ازدياد العزلة أمر نخشاه في الشيخوخة. ويرى فاهي: "ان عالمكم قادر على الانكماش والتقلص إن أنتم أتحتم الفرصة. أما اذا بذلتم الجهد اللازم فقد يصبح منتصف العمر مرحلة لاقامة مزيد من العلاقات الشخصية."



ويؤيد الدكتور روبرت باتلر كلام فاهي، وهـو اختصاصـي بعلم الشيخـوخة. ويضيف: "إن غذّيتم علاقاتكم تكونت لديكم في منتصف العمر شبكة غنية من الأصدقاء القدامى والمعارف والزملاء، كأنها امتداد عائلة كبيرة."

٩. تقوى حوافزكم.

يقول برمان: "يمضي المسنّون وقتهم كما يحلو لهم، لكنهم يعرفون أيضاً أنه لم يعد لديهم متسع من هذا الوقت، مما يجعلهم أكثر إدراكاً لقيمته وأكثر تخيُّراً لسبل استعماله. إن الاستغلال الجيد للوقت قد يعود عليكم بمزيد منه. وقد أظهرت الدراسات أن النشاطات الشائقة التي تستحوذ على الطاقات تطيل العمر."

١٠. تنشطون روحانياً ومعنوياً.

يوضح برمان: "لن تتمكنوا من العدو بالسرعة التي اعتدتموها في السابق. لكن الجانب المعنوي في كيانكم يصبح أقوى."

ويقول فاهي: "لديكم وقت للتأمل وتفهم خبرتكم في الحياة." وقد تكون النتيجة ايمانا أعمق أو، كما يرى فاهي، "نموّا أكبر في الحياة الداخلية."

وهذا يعني، بكلمة واحدة، حكمة.

آني غوتليب ■



ثقيل الدم

رنّ جرس الهاتف، فرفعت ربة البيت السمّاعة، واذا برجل يسالها: "اهذا منزل آل يوسف؟" فأجابته إن الرقم خطا واقفلت الخط.

تكرّر الاتصال مرّتين. وفي المرة الثالثة قالت المراة وقد عيل صبرها: "هلا بحثت عن الرقم الصحيح في الدليل يا سيّدي؟ فهذه المرة الثالثة تتصل بالرقم الخطا."

فأجاب الرجل بحدّة مفاجئة: "لا تردّي اذا كان الاتصال لا يخصّكِ."

إ.ر.

زوج في نافذة

عدت وزوجي الى المنزل في ليلة قارسة البرودة، فلم نتمكن من فتح ابواب السيارة التي جمّدها الصقيع. فقرّر زوجي الخروج عبر النافذة. وما كاد يشرع في ذلك حتى أطلّ أحد جيراننا فساله مستغربا: "ماذا يحدث؟"

أجابه زوجي بسرعة: "انها طريقتي في معرفة وزني. اذا استطعت الخروج من نافذة السيّارة، فهذا يعني انني لم اسمن."

ش.ر.

وحوش ضارية تقطن في صقيع الشمال. كبارها تلاعب صغارها وتعلمها النظام والتهذيب

آداب السلوك عند الدببة

كان دبان قطبيان نائمين على مقربة من برج المراقبة عندما وصلت مع عالم الطبيعة جون كروغر. وما ان سمعا صوت الطوافة حتى انطلقا يعدوان مذعورين.

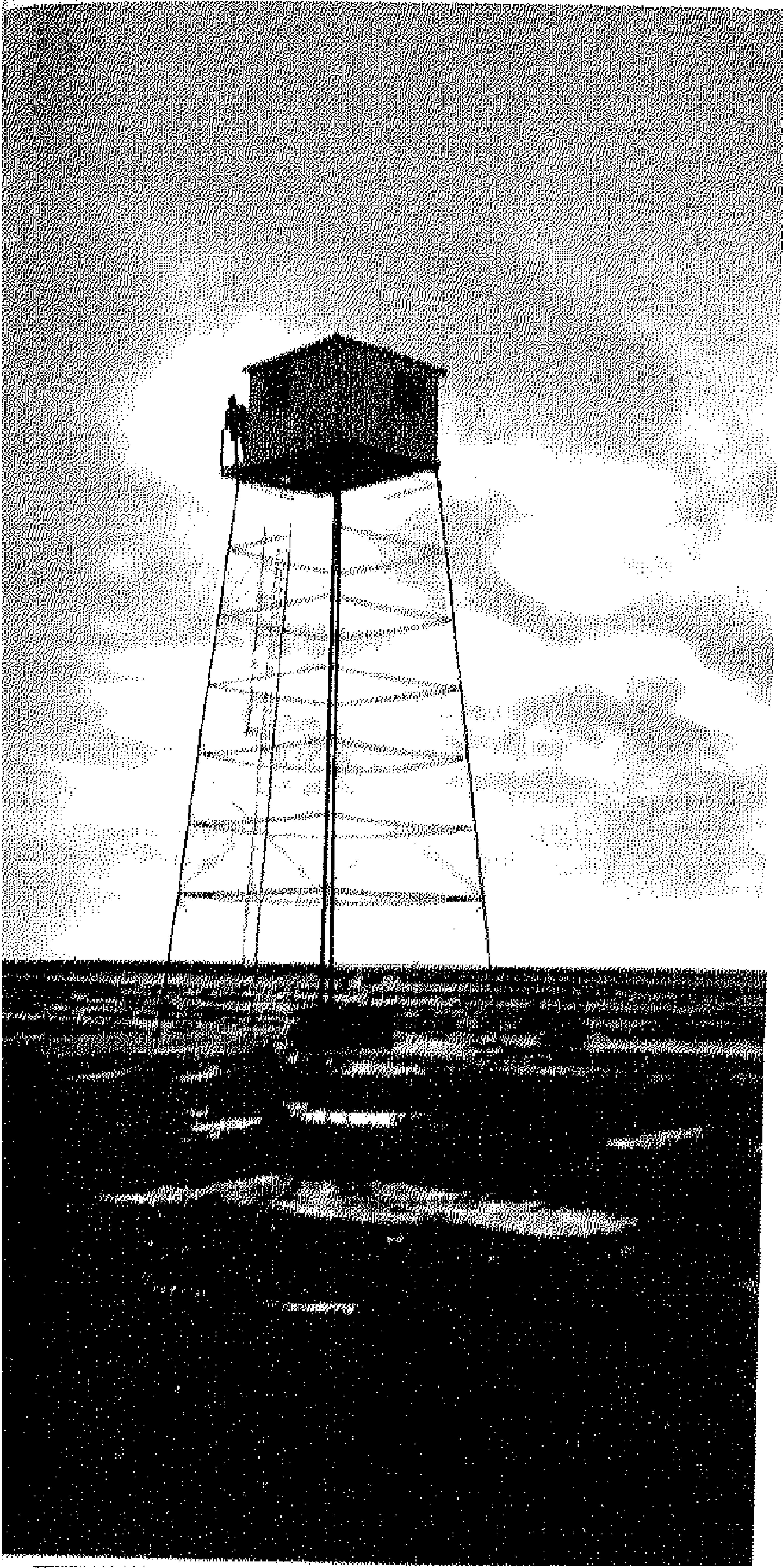
تتجمع مئات من الدببة القطبية كل خريف قرب رأس تشرشل على الشاطىء الغربي لخليج هدسون في كندا. وهي تقتات في الشتاء والربيع وأوائل الصيف بحيوانات الفقمة التي تصطادها فوق الجليد. وفي يوليو (تموز) تهب ريح

الشمال وتدفع الجليد المتحلل والدببة في اتجاه الشاطىء. وتأكل الدببة المحاصرة بين الريح والشاطىء كل شيء يتوافر هناك: الاعشاب والطحالب والتوت البري، علما أنها أضخم الحيوانات اللاحمة[1] التي تدب على وجه الارض. ويختار كثير منها السبات في حفر ضحلة مغتذياً بالدهن المتراكم في جسمه. ومع تقاصر ساعات النهار تنتقل الدببة شمالا ببطء وتتجمع على مقربة من رأس تشرشل ورؤوس أخرى في انتظار تراكم الجليد من جديد.

اغراء لا يقاوم. أمضيتُ سبعة فصول أرصد الدببة القطبية في رأس تشرشل: راقبت خمسة منها من عربات ضخمة مصفحة واثنين من حجرة صغيرة في قمة برج يرتفع حوالى ١٣ متراً. كنت أنظر اليها في البداية على أنها حيوانات مهيبة رائعة. ومع استمرار مراقبتي اياها باتت لها هويات مفردة يمكن التعرف اليها بواسطة ندوب وعلامات فارقة وبتصرفات خصوصية ونمط حياة.

تستخدم الدببة اشارات وايماءات تفهمها الدببة الاخرى تحذيراً أو طمأنة أو دعوة الى اللعب. وكنت أحس وخزاً من الاثارة كلما فسرتُ هذه الاشارات تفسيراً صحيحاً، فعلا ورد فعل، اثارة كتلك التي يختبرها المرء عندما يلتقط للمرة الاولى معاني كلمات وعبارات في لغة اجنبية.

تقدم دب في اتجاهنا غير هياب فيما نحن نرفع مؤونتنا الى الكوخ في أعلى



الكوخ في أعلى البرج مقر للعلماء الذين يدرسون سلوك الدببة القطبية في رأس تشرشل.

البرج، وقد شجعه رحيل الطوافة. والى أن خزنّا مؤونة وماء يكفيان لثلاثة أسابيع، تجمّع ١٤ دباً في الجوار.

نزلت السلم وجثمت على درجة فيه ترتفع ثلاثة أمتار عن الارض. فتقدم دب ليتحقق من أمري. وهو انتصب على

(١) اللاحم (carnivore) حيوان يقتات باللحوم.



حين يدنو الخطر يلتصق الديسم بامه الضخمة.

قـائمتيـه الخلفيتين واستنـد بكفيـه الضخمتين المفرّاتين الى قائمة البرج وراح يحدق الي متفرساً بعينين بنيتين صغيرتين وأنفه الاسود الكبير يرتعش.

وقف الدب يتشمم رائحتي فيما أنا أكلمه بلطف، ثم تثاءب عميقا مظهراً أسناناً صفراء عاجية وبطانة فم ضاربة الى اللون الارجواني. عندما يلتقي دبان يكون التثاؤب اشارة سلام. ربما كان هذا الدب يحاول افهامي أنه لا ينوي شراً. وكانت رغبتي في لمسه لا تقاوم.

قبل زمن طويل، ربَّتُّ جسم دبة لطيفة في الرابعة من عمرها أنقذناها من فخ فولاذي واحتفظنا بها أسيرة الى حين



دبان ذكران ينتصبان متماسكين في عراك لاهٍ.

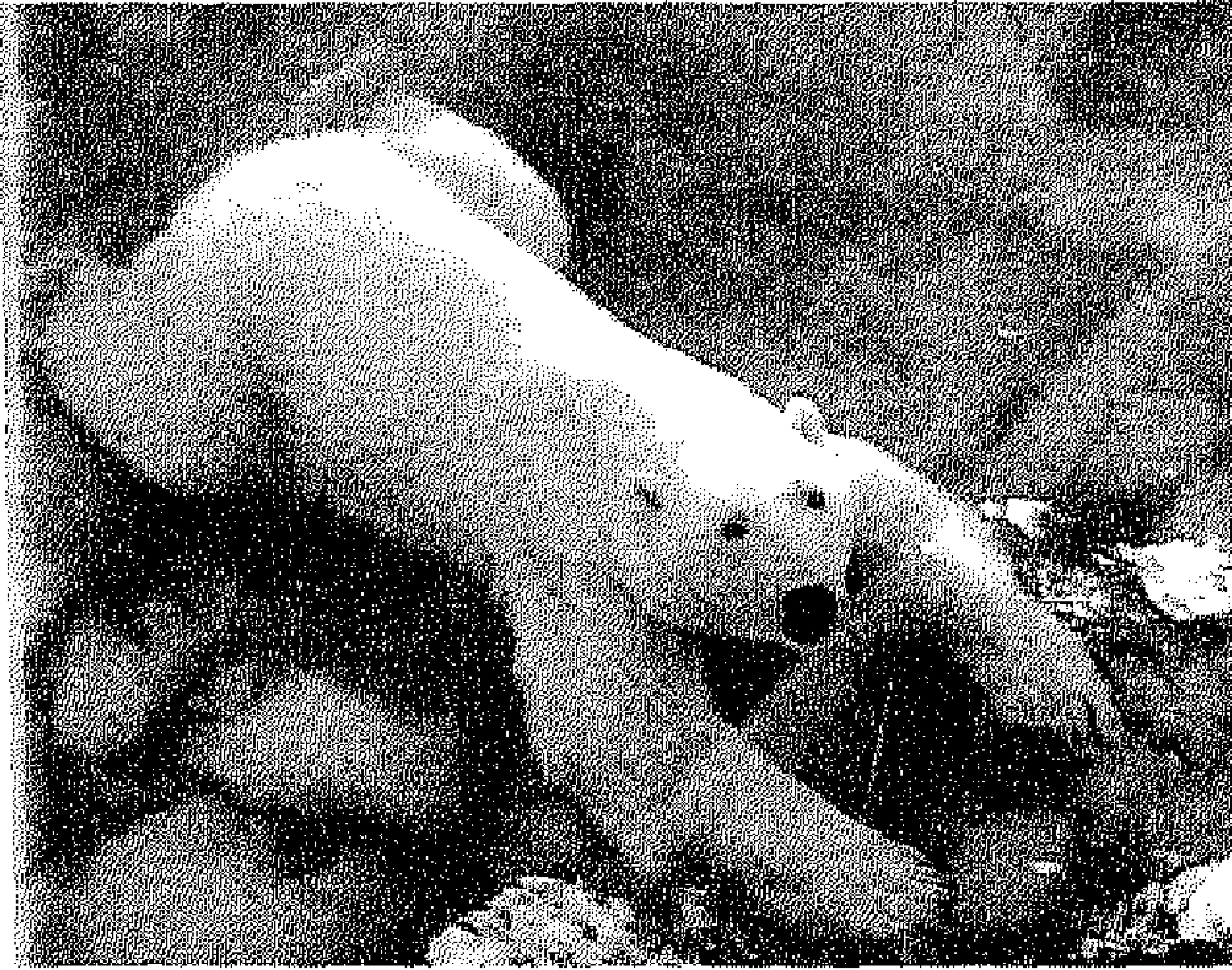
وصول طوق يحمل جهاز بث راديو. وقد أملنا أن يمكننا الطوق من تعقب تجوالها في المستقبل.

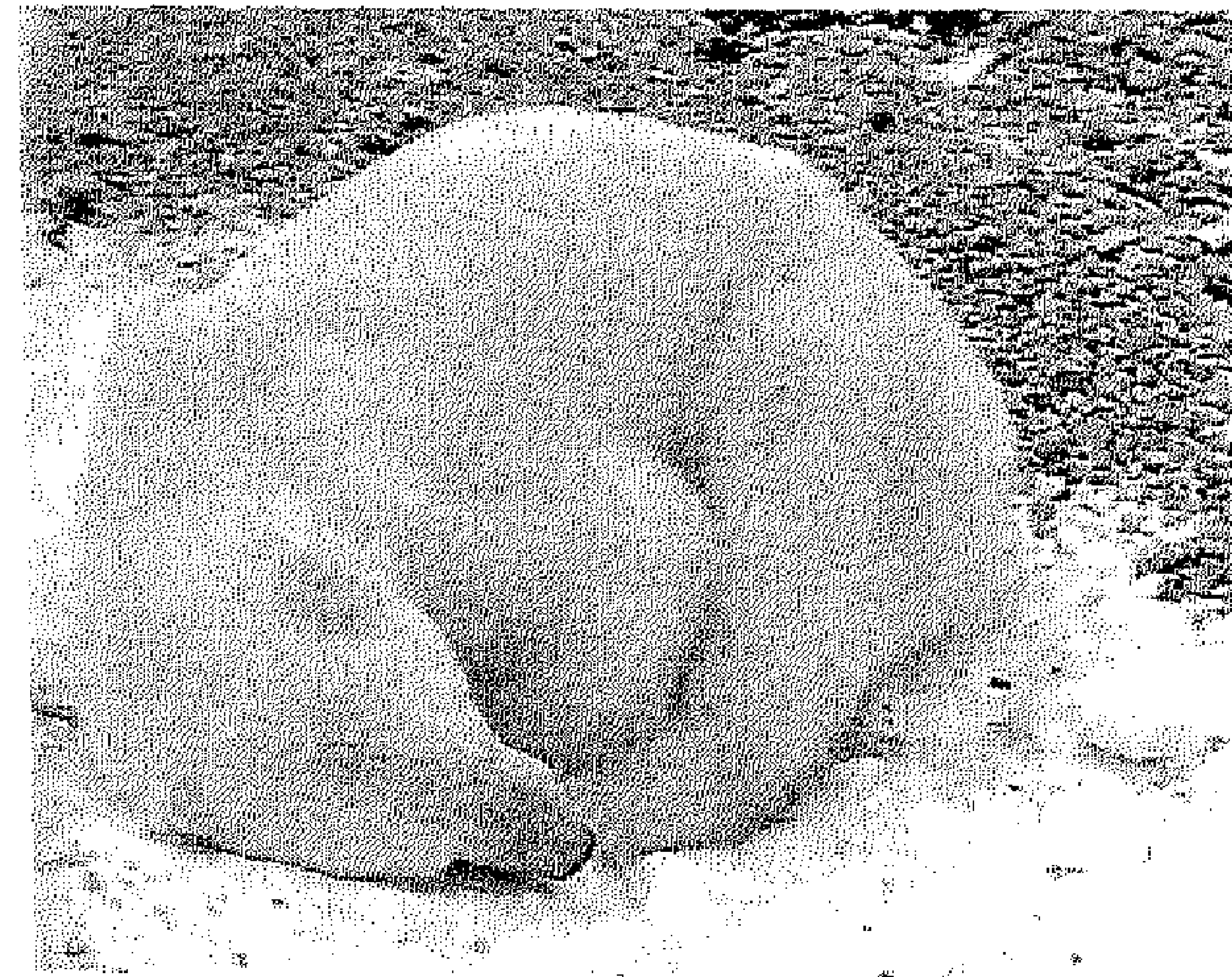
ودأبتُ على زيارة الدبة يوميا، وأخيراً استسلمت للاغراء فأطعمتها من يدي بحذر. كان في امكانها أن تطبق فكيها وتهرس يدي، لكنها بدل ذلك راحت تلتقط الطعام باحتراس من بين اصابعي. تجرأت أخيراً ولمستها. كانت تراقب اليد المقتربة برأس منخفض وقد انتصب شعر رقبتها وظهرها دلالة خوف كامن، لكنها لم تزأر ولم تبدِ تهديداً. حاولَت التملص عندما لمستها، لكنها استكانت فيما أنا أربت رأسها وأمسد شعرها الحريري الناعم. وغمرتني الاثارة ولذة الثقة المتبادلة وإن تكن قصيرة الامد.

لكنني الآن أكبر سناً، وربما أكثر تعقلاً، الا أني بالتأكيد أكثر حرصاً، فأنا أكتفي بالتحدث الى الدبة من غير أن ألمسها.

استمر الدب تحتي في التشمم ورأسه يتحرك من جانب الى آخر. حدقت الى عينيه فانتابه قلق، لأن التحديق في مجتمع الدببة يعني عداء وقلة تهذيب وانعدام ديبلوماسية. التفت الدب بعيداً ثم نزل الى الارض ومشى مبتعداً.

لعب الدببة. انتشرت رائحة الفطور المطهو صباح اليوم التالي وأثارت الدببة على بعد ثلاثة كيلومترات، حيث جثمت ملتحفة الثلج الذي تساقط ليلاً. فبدأت الرؤوس تطل والانوف ترتعش وتتفحص

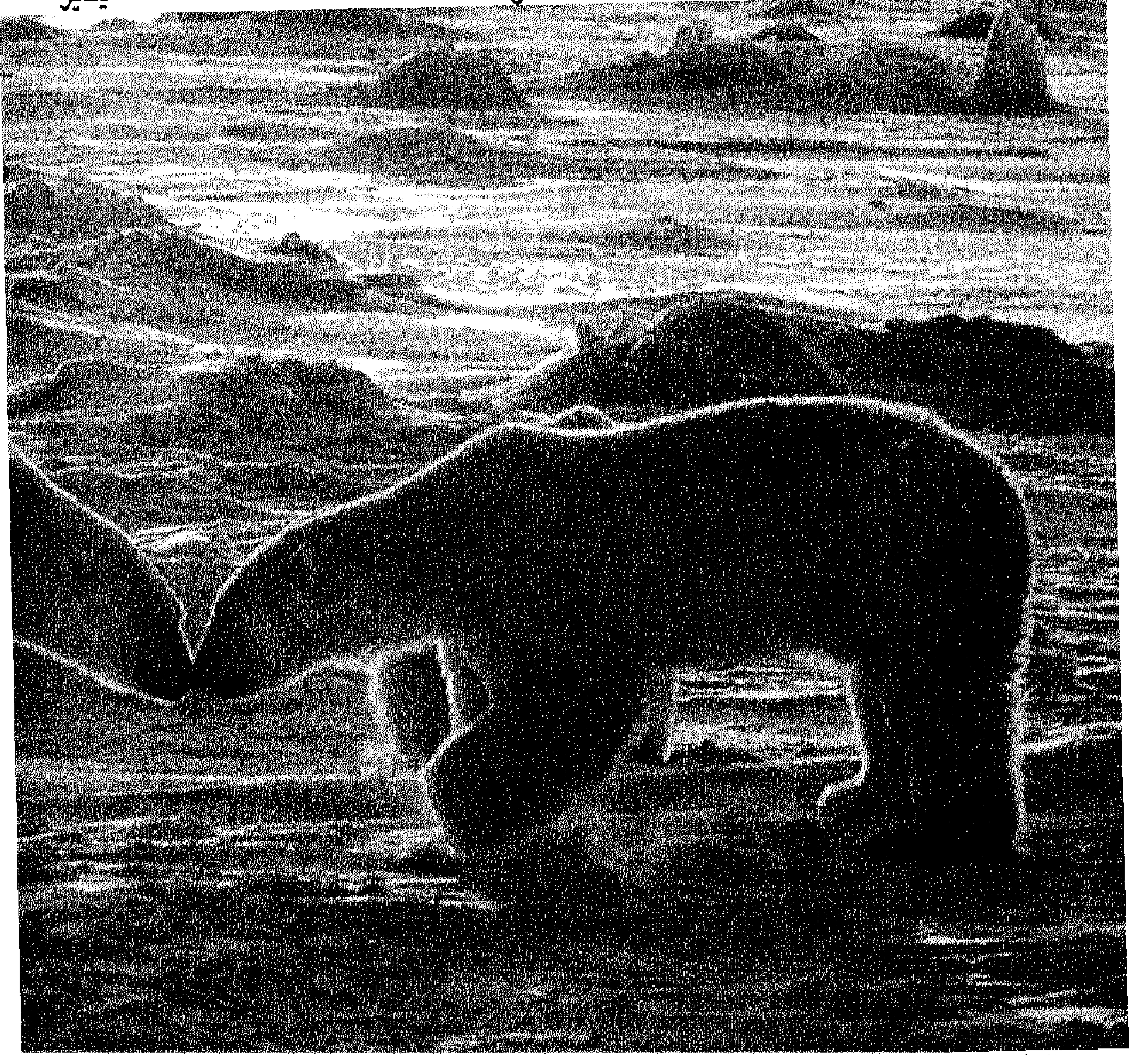




بعد لهو مضن يتمدد دب على الثلج متبرِّداً فيما يتكوم الآخر نائماً.

الهواء فيما الرائحة المغرية تعبق في اتجاهها. نهضت الدبية كأنها كوم من ثلج بث فيها الحياة، ونفضت عن فروها سحبا من البياض ثم تمشّت في اتجاه البرج.

كان معظم الدببة يقف قرب البرج عادة بتهذيب وبتباعد معقول. أما عندما يتعلق الامر بالطعام فكانت المنزلة الاجتماعية تفرض نفسها: للدببة الكبيرة الصدارة، وفيما يلتهم ذكر كبير ما نقدمه



التشمم بادرة تعارف في مجتمع الدببة.

تتقرب منه دببة صغيرة آملة بالبقايا، لكنها تتراجع اذا زأر. وحدها الدببة التي تأتي ازواجا تأكل بانسجام، وهي تكون اما اخوة واما ذكوراً تصادقت خلال اقامتها في المكان.

اعتاد دبّان ذكران اللهو كثيراً قرب البرج. يقترب أحدهما من الآخر فيبدأان رقصة دببية بطيئة الخطو. ينهضان ويتدافعان ويتنازعان ثم يتعانقان لحفظ توازنهما. بعد ذلك ينطلقان بسرعة كأنهما يرقصان الفالس على صفحة الجليد. ويرتمي أحدهما مستلقيا على ظهره، فيكبّ الآخر عليه فاغراً فكيه ويمسكه بخناقه، فيتصارعان ويصخبان ويلهثان عاليا حتى اننا كنا نسمعهما من مسافة مئات الامتار. أخيراً يتمددان على الارض



منهكين يزدردان الثلج لتبريد حرارة جسميهما.

تكون الدببة التي تلهو معاً متساوية في الحجم غالباً. وقد يدعو دب كبير دباً أصغر حجماً الى اللعب، وهي دعوة غالباً ما تلاقي أذناً صماء. يتقدم الدب الكبير ببطء مستخدماً أوضح ما يمكنه من اشارات للدلالة على نيته السلمية ورغبته في اللعب، لكن الدب الاصغر يتراجع خائفاً حافظاً مسافة أمان بينهما. ونادراً ما يتمكن الدب الكبير من تهدئة مخاوف الدب الصغير، فيلعبان ويتقاتلان معاً، ويراعي الدب الكبير أقصى درجات الحذر لكي لا يفزع رفيقه الصغير، لان ذلك يعني نهاية فورية للمرح. وهكذا يسمح الكبير للصغير بالتغلب عليه.

قد تكون هذه المعارك المرحة شكلاً من أشكال التدريب استعداداً للمعارك العنيفة خلال فصول التزاوج. لكنني أعتقد، وقد راقبت الدببة تتصارع كل هذه السنوات، أنها تفعل ذلك للمرح.

تربية صارمة. في حالات نادرة تتعقب الذكور الكبيرة الجائعة الدياسم[٢] وتقتلها، وقد تضطر الى قتل أماتها التي تدافع عن صغارها حتى الموت. لذلك تتفادى الاناث هذه المنطقة. لكن عدداً قليلاً من الامّات وصغارها يظهر مع اشتداد الصقيع وعندما يبدأ الثلج تطويق مياه الخليج فيقوى اغراء الثلج وصيد الفقمة.

انحدرت أنثى مع صغيرين في سنتهما الثانية على الهضبة المغطاة بالحصى. مشت ديسمة حيية خلف أمها فيما تقدمهما شقيقها الذكر. وككل اناث الدببة، راحت الام "تحدث" صغيريها باستمرار، تحثهما وتؤنبهما وتدعوهما الى التزام النظام بأوامر حادة تصدرها من حلقها. والام تضرب صغارها عندما تكون صغيرة وغير مطيعة.

(٢) الدّيسم ولد الدب.

تجاهل الدبان المجاوران للبرج القادمين الجدد. فاندفع الديسم الذكر جائعاً متهوراً ليهاجم ذكراً كبيراً يفوقه حجماً عدة أضعاف، ثم شرع في المواء لتحريض أمه التي تقدمت فوراً لنجدته، وواجها معاً الدب الكبير الذي لم يرغب في معركة. ولقد اعتمد الديسم هذه الخطة مراراً للاستيلاء على طعام دببة أخرى. لكنه هو وأمثاله من الدياسم المغرورين سيتعلمون، عندما تتركهم أماتهم، آداب السلوك الدببية.

وقفت الدببة على تلال رأس تشرشل الحصباء، أشكالا ضخمة داكنة خططتها الشمس باطار ذهبي، لا تطيق انتظاراً لاختبار الجليد الجديد المتجمع في ممر ضيق. اندفع ذكر يزن قرابة ٤٥٠ كيلوغراماً وقد بسط قوائمه الى مداها، متزحلقا على أكفه الضخمة المفرّاة على طبقة رقيقة من الجليد لا تحمل وزن انسان.

وذات صباح بدا أن الجليد أصبح قويا كفاية وأن الدببة تستطيع الارتحال. فغادرت الذكور الضخمة أولا، وبعضها يسير أزواجا، وتبعتها الذكور الحولية.[٣] وما لبثت أن تحولت كلها نقاطاً صفراء في المدى الفسيح. فتحركت الاناث وصغار الدياسم أخيراً في اتجاه حقل الجليد، مملكة الدب القطبي.

فريد برومر ■

(٣) الحولي حيوان عمره سنة أو هو في السنة الثانية.

توفير!

قرّر رجل أن يكسو غرفة الجلوس في بيته بورق جدران، فقصد جاره ليسأله كم لفافة اشترى، لأن تقسيم منزليهما كان متماثلا.

أجابه الجار: "أربع عشرة لفافة."

وحين انتهى الرجل من العمل بقيت لديه أربع لفافات لم يستعملها. فقصد جاره وأخبره مزهواً: "لم أترك بقعة في الغرفة إلا غطيتها، وبقيت لدي أربع لفافات كاملة."

فرد الجار: "وأنا أيضاً."

ف.ب.

غفوة طبيب

كنت لا أزال طبيباً متمرناً عندما اضطررت الى السهر في المستشفى ليلتين متواليتين، فوجدت صعوبة فائقة في البقاء مستيقظاً. وبعد سلسلة مضنية من المعاينات توجهت الى منزل زوجين عجوزين لاجراء فحص شهري.

لم تكفّ المرأة لحظة عن الكلام. وفيما أنا أستمع اليها متوسّداً كفّي، غلبني النعاس فغفوت. ولم ألبث أن انتفضت اذ سمعت زوجها يهمس: "اسكتي يا عزيزتي، الا ترين ان الدكتور مستغرق في التفكير؟"

ل.ل.

دائرة المعارف

القارىء الجاد هو في شوق دائم الى فهم اصطلاحات تغني لغته ومعرفته. وقد اعتادت "المختار" إدراج العبارات الغريبة والدخيلة في حواشٍ ضمن النص او تحته.

هنا بعض من هذه الاصطلاحات. وقد وضع أمام كل منها اربعة معانٍ، واحد منها صحيح. وعلى القارىء ان يختار المعنى الذي يعتبره مناسباً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **فاكس**: أشعة – وسيلة اتصال – طباعة – شريط وثائقي.
٢. **غندول**: زورق ايطالي – قناة – تمساح – جسر مشاة.
٣. **لوبي**: استعمار – تجسس – ارهاب – جماعة ضغط.
٤. **كراك**: شوكولاتة – لعبة كرة – كوكايين صاف – تبغ.
٥. **سيناتور**: نائب – عضو في مجلس شيوخ – حاكم – وزير.
٦. **ميكرون**: مذياع – جرثومة – معكرونة – جزء من مليمتر.
٧. **إيكو**: وحدة نقد أوروبية – ذرَّة – صورة – عالم بيئة.
٨. **بولو**: رياضة على الخيل – مضرب – سباحة – مركبة فضائية.
٩. **إيمي**: مسرحية – تمثيل ايمائي – جائزة تلفزيونية – جمعية.
١٠. **لاحِم**: قطب كهربائي – حيوان يقتات باللحم – مغنطيس – دينوصور.
١١. **كيمونو**: فن قتالي – تدليك – سيف مرصَّع – ثوب ياباني.
١٢. **اسكندينافيا**: أرخبيل – جزيرة أوسترالية – شبه جزيرة في أوروبا – بحر.
١٣. **بينغ – بونغ**: كرة طاولة – رماية – تنس – عملة صينية.
١٤. **مسرطِنات**: عقارب – مواد تسبب السرطان – أسماك – آفات.
١٥. **مايا**: قبيلة عربية – مغول – شعب أمريكي – أهرام.
١٦. **شبكة كابيل**: اذاعة – هاتف – محطة تلفزة – كهرباء.
١٧. **وسترن**: اجرام – عميل سري – مسدس – فيلم عن الغرب الامريكي.
١٨. **رُهاب**: هلع مرضي – كابوس – نعاس – شعر الصدر.
١٩. **وول ستريت**: سجائر – شارع مالي – أغنام – برنامج للاطفال.
٢٠. **ياقات زرق**: لاعبون – كنية المديرين – عصافير – كنية الكادحين.
٢١. **فرنكنشتين**: امارة – رائد فضاء – قرش – بطل رواية رعب.
٢٢. **اسقربوط**: حَفَر – حلزون – جراد – آلة حاسبة.
٢٣. **المكتب البيضوي**: البرلمان – مجلس الشيوخ – الغواصة – مكتب الرئيس الامريكي.
٢٤. **أوريغامي**: تأمل – فن ياباني – رسم – حضارة مندثرة.
٢٥. **ليموزين**: طائرة – وقود – خزف – سيارة مترفة.

الأجوبة الصحيحة

١. **الفاكس أو التلفاكس (telefacsimile)** : وسيلة اتصال حديثة تعتمد الهاتف الدولي. تُدخَل الورقة التي يُنوى ارسال محتواها في جهاز الفاكس المرسِل، فتخرج منها نسخة طبق الاصل في جهاز الفاكس المرسَل اليه.
٢. **الغندول (gondola)** : زورق طويل يستخدم للتنقل في قنوات مدينة البندقية في ايطاليا.
٣. **اللوبي (lobby)** : جماعة ضغط تحاول التأثير في أعضاء هيئة اشتراعية وما اليها من هيئات تقريرية.
٤. **الكراك (crack)** : نوع صاف من الكوكايين المتبلّر يدخَّن بدل أن يُشم.
٥. **السيناتور (senator)** : عضو في مجلس الشيوخ الامريكي.
٦. **الميكرون (micron)** : جزء من ألف من المليمتر.
٧. **الايكو (ecu)** : وحدة النقد الاوروبية المشتركة.
٨. **البولو (polo)** : رياضة شبيهة بالهوكي تمارَس على متون الخيل بمضارب طويلة وكرة خشبية.
٩. **جائزة إيمي (Emmy)** : تمثال ذهبي تمنحه "أكاديمية الفنون والعلوم التلفزيونية" سنويا للأداء والانتاج التلفزيونيين المتفوقين.
١٠. **اللاحم (carnivore)** : حيوان يقتات باللحم. والعاشب **(herbivore)** حيوان يقتات بالاعشاب.
١١. **الكيمونو (kimono)** : ثوب فضفاض يرتديه اليابانيون.
١٢. **اسكنديناڤيا (Scandinavia)** : شبه جزيرة في شمال أوروبا تضم النروج وأسوج (السويد) والدانمرك وفنلندا وأيسلندا وجزر فارو.
١٣. **بينغ - بونغ (Ping-Pong)** : اسم تجاري لكرة الطاولة.
١٤. **المسرطِنات (carcinogens)** : مواد تسبب السرطان.
١٥. **المايا (Maya)** : شعب قديم عاش في أمريكا الوسطى.
١٦. **شبكة الكايبل (cable network)** : محطة تلفزة يفيد منها مشتركون يدفعون رسما شهريا.
١٧. **الوسترن (Western)** : رواية أو فيلم عن الغرب الامريكي وخصوصا في النصف الثاني من القرن التاسع عشر.
١٨. **الرُهاب (phobia)** : هلع مَرَضي من شيء معيَّن.
١٩. **وول ستريت (Wall Street)** : شارع المال في نيويورك، ويعتبر المركز المالي الاول في الولايات المتحدة.
٢٠. **الياقات الزرق (blue collars)** : كنية الطبقة الكادحة. تقابلها "الياقات البيض" **(white collars)** كنية المديرين وفئة الموظفين ذوي الرواتب العالية.
٢١. **فرنكنشتين (Frankenstein)** : بطل رواية يلمّ به الخراب على يدي مسخ صنعه.
٢٢. **الاسقربوط أو الحَفَر (scurvy)** : داء من أعراضه تورم اللثة ونزفها.
٢٣. **المكتب البيضوي (Oval Office)** : مكتب الرئيس الامريكي في البيت الابيض.
٢٤. **الاوريغامي (origami)** : فن ياباني يقوم على صنع أشكال حيوانية وغيرها بطيّ ورقة واحدة من دون استخدام مقص أو مواد لاصقة.
٢٥. **الليموزين (limousine)** : سيارة كبيرة مترَفة.

المستوى

٢١ - ٢٥: **ممتاز**

١٤ - ٢٠: **جيد جداً**

٩ - ١٣: **مقبول**

هو للبعض حرفة حديثة، وللآخرين متوارث عن الاسلاف. لكنه في أي حال يصبح نهج حياة. انظروا الى الفنانة الالمانية مونيكا بلانج (٥٤ عاما) التي تعتبر من الوافدين الجدد، نسبيا، على ريف فولتيرا الذي تسوطه الريح. لاحظوا الحلية الصغيرة التي نحتتها على شكل اناء للشرب، لكأنها سائل يُشرب لا حجر. لقد أتقنت بلانج فن نحت المرمر[1] رمز فولتيرا.

(١) Alabaster

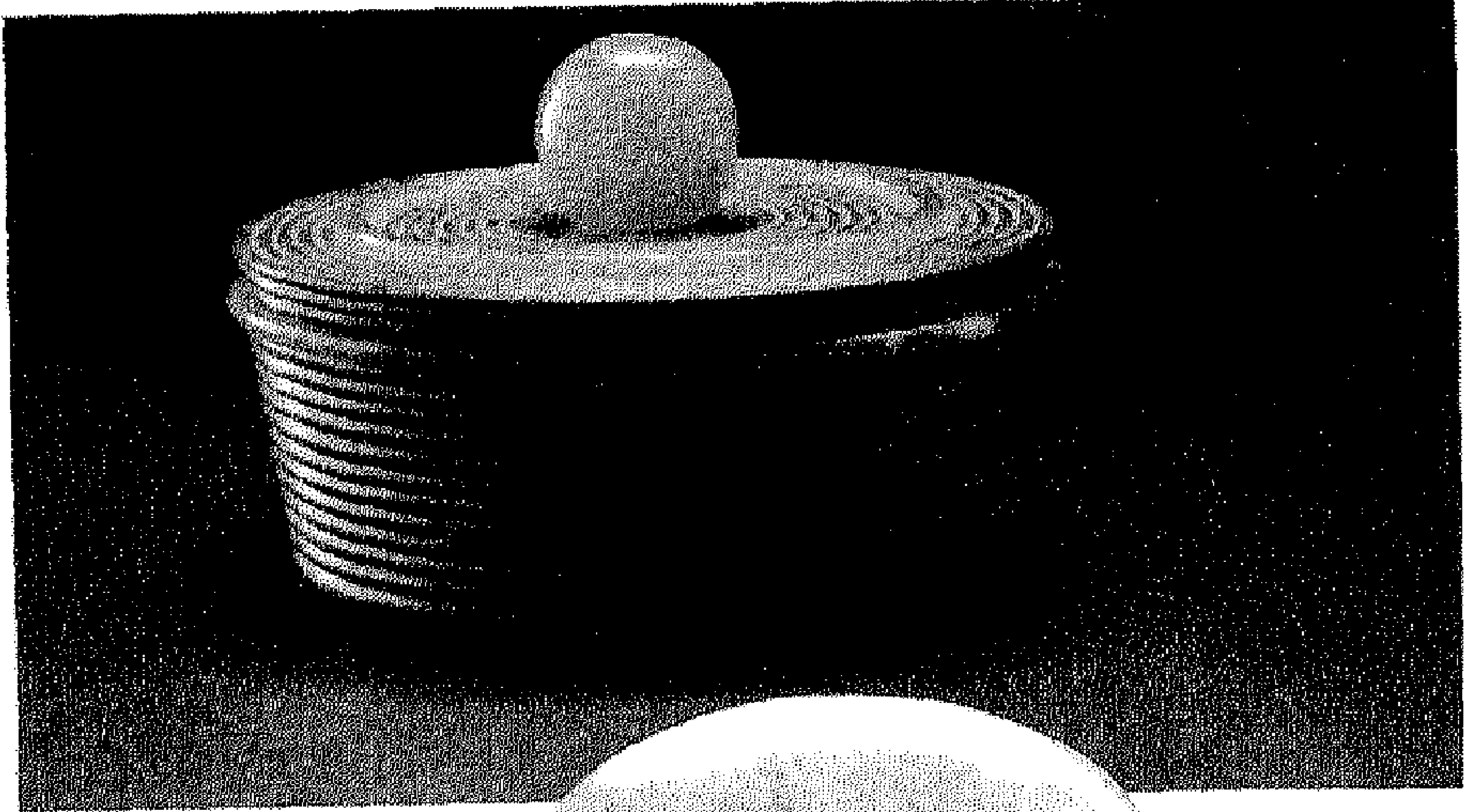
نقي، شفاف، أكثر دفئاً من الرخام انه حلم كل نحّات

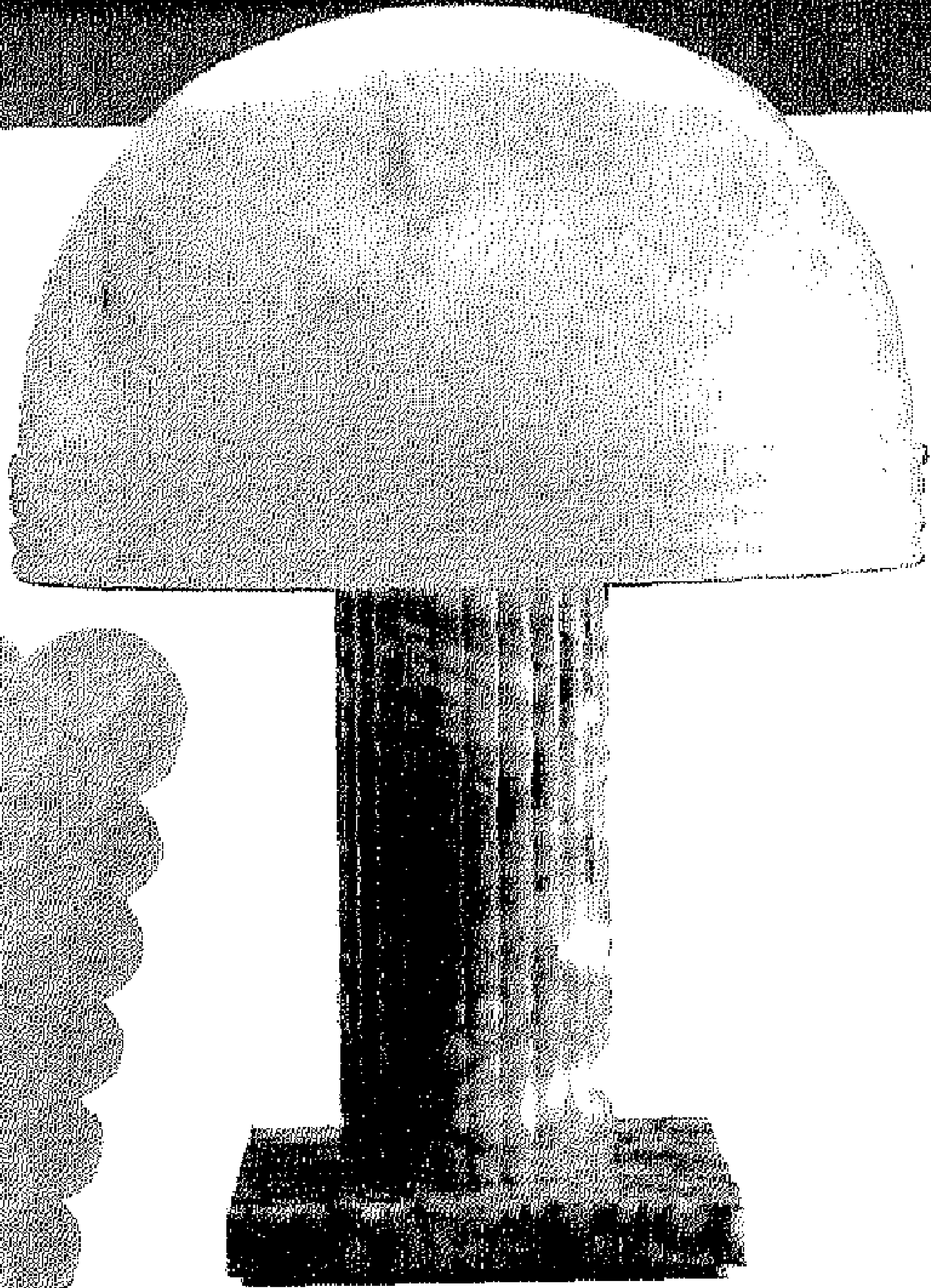
PHOTO: TONY NICOLINI INSE... LUISA



أو زوروا رينزو غازانلي (٥٠ عاماً) المولود في توسكانا والعامل في أحد محترفات فولتيرا. يقول: "كان والدي حرفيا يعمل بالمرمر، ومن الطبيعي أن أقتفي خطواته. ولكن لكي أكون على ثقة برغبتي في هذه المهنة، التحقت بمقرر دراسي خصوصي. ولدى تخرجي في معهد ستاتالي للفن، وكنت في الثامنة عشرة من عمري، انضممت الى مشغل محلي كمبتدىء. وفي إمكاني الآن صنع أي شيء، من منافض سجائر الى آنية زهور "عتيقة" مزدانة بأكاليل الورد والكرمة."

وحين درست إيلينا بريزيوزي (٣٠





(فوق) صندوق على شكل طاس نُحت من مرمر سينيرينو. (في الوسط) استخدم في هذا المصباح نوعان من المرمر: سكاليوني (القبة) وبارديليو (القاعدة والعمود). (تحت) إطار صورة صنع بقطعة كاملة من مرمر سكاليوني.



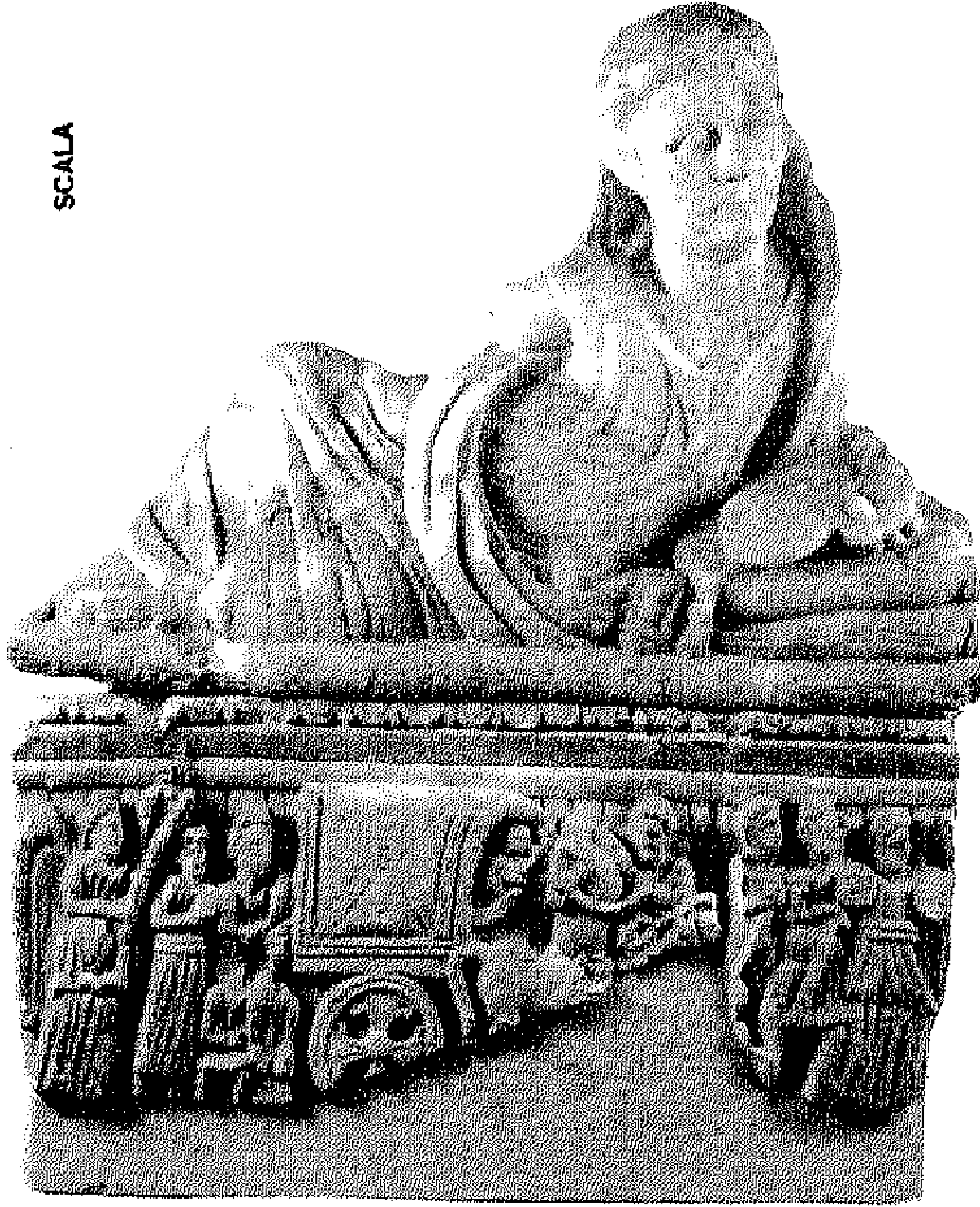
PHOTOS: 49 SOGNI IN ALABASTRO, © 1989 ARCADIA EDIZIONI.
PHOTOS: BY CENTROKAPPA, COURTESY OF
LA RINASCENTE — CROFF, MILAN

عاماً) من جزيرة ألبا، فن نحت المرمر في فولتيرا أوائل الثمانينات، أدركت للحال أن المرمر ليس حجراً عادياً. وتقول المصممة الشابة: "انه أكثر دفئاً من الرخام، ومطواع ليّن يتيح لك صنع أشغال معقدة. تنظر اليه، فكأنه يدعوك بحنان الى لمسه وتمسيده كالمخمل. ليس من مادة أخرى تشبهه."

صورة ملطخة. اذا مشيتم في شوارع فولتيرا الحجرية، فانكم تمرون بمشاغل صغيرة ضيقة خافتة الاضواء وفي كل منها نحات منحنٍ فوق مخرطة والى جانبه أزاميل ومطارقُ مختلفة وقطع حجار ضخمة على الارض. وتغطي الغرفة والعدة والفنان طبقة رقيقة من مسحوق أبيض هي العلامة المميزة للذين يقضون نهارهم في قص حجار المرمر ونحتها.

الا أن معظم حرفيي فولتيرا الـ٣٥٠ ينضمون الى معامل أكبر حيث تتولى آلات قص المرمر وتشكيله وصقله وفق نظام تجميع. وقد بلغت ايرادات بلدة فولتيرا من صناعة المرمر نحو ٢٨ مليار لير (٢٥ مليون دولار) عام ١٩٩٠.

لكن هذه ليست سوى جزء يسير من العائدات السابقة لهذه التجارة، لأن ارتفاع كلفة اليد العاملة قضى على كثير من المعامل الصغيرة. وحين زرت النحات باولو ساباتيني، حاصد الجوائز، في مشغله في شارع بورتا ألاركو، سألته عن نشاط تجارة المرمر حالياً، فأجاب بنبرة كئيبة: "التصنيع أتاح لعمال غير مدربين



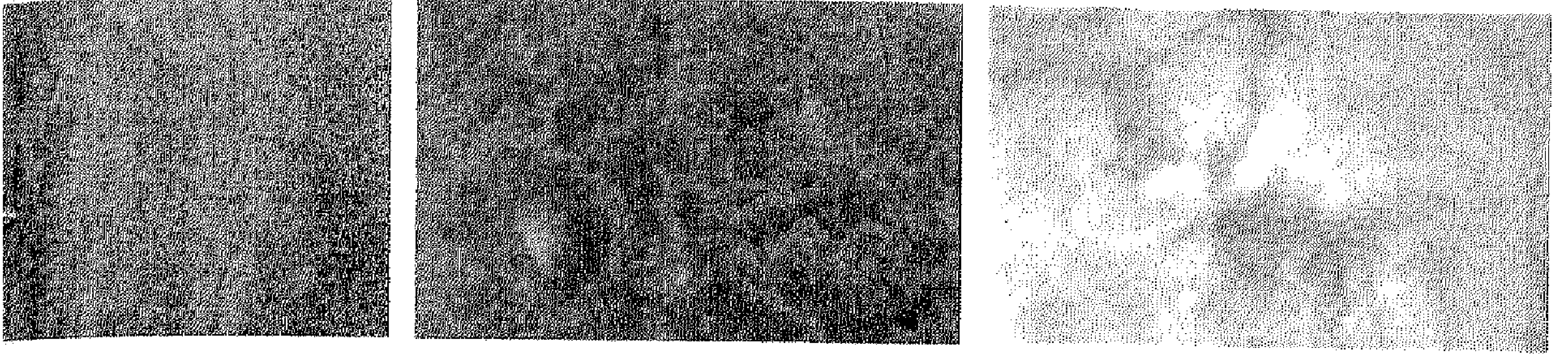
SCALA

جرة رماد من اولي ليكو في متحف غوارناتشي الاتروري في فولتيرا.

جزء من طاولة مرمر بارديليو مرصعة بقطع مرمر ملوّنة.



PHOTO: 49 SOGNI IN ALABASTRO, © 1989 ARCADIA EDIZIONI.
PHOTO: BY RAFFAELLO BENCINI



نماذج افخر ستة انواع من مرمر فولتيرا: (من اليسار) "سكاليوني"، لونه أبيض وفيه عروق احياناً. "اغاتا"، تترجح الوانه بين الاصفر الفاتح والبنيّ القاتم. "بارديليو"، رخامي متعدد الالوان. "سينيرينو"، رمادي باهت متدرّج الالوان. "غابرو" رخامي، بني او اسود او أحمر. الحجر "الاصفر"، الوانه حية زاهية.

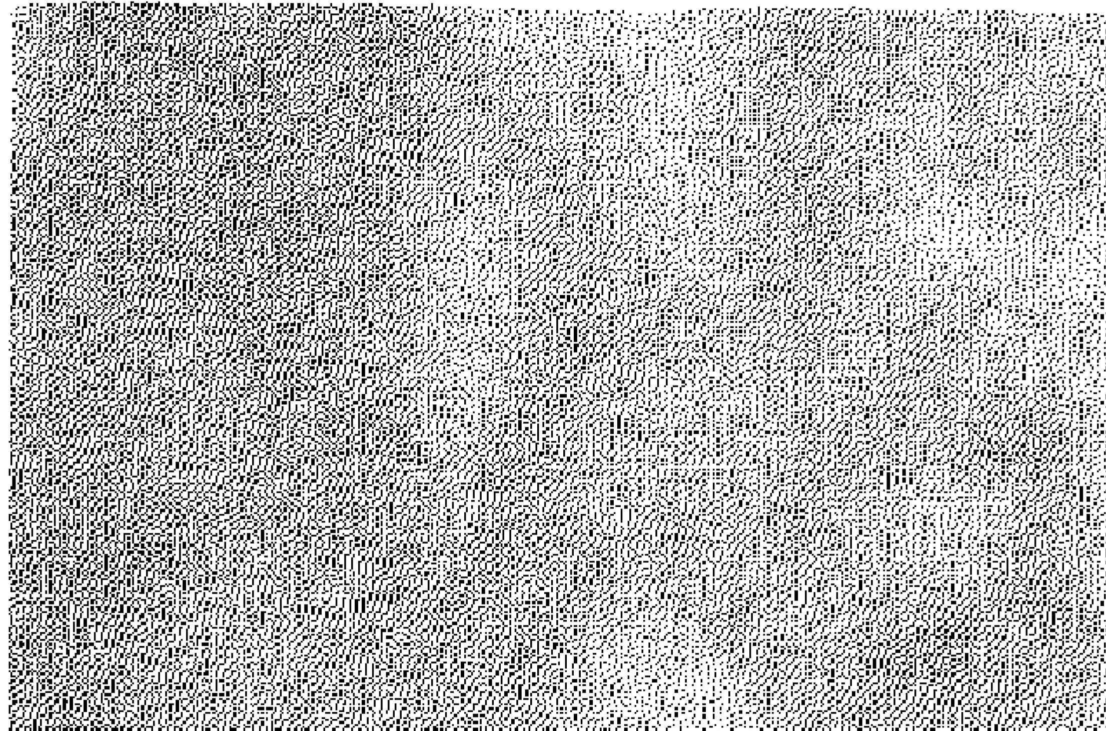
انتاج كميات كبيرة من القطع الرديئة. انظري الى كل هذه المنافض المطلية بألوان زاهية وهذه الحيوانات الخشنة العارية من أصول الفن، تدركي الاساءة التي نلحقها بصورتنا الرائعة السابقة. اننا نضع أنشوطة حول أعناقنا."

وفي الجهة المقابلة من الشارع أعربت أنجيلا وباتريسيا غرونشي، وهما مالكتا محل للاشغال الحرفية، عن قلقهما البالغ من استخدام المعامل الكبرى مرمراً اسبانيا ذا نوعية متدنية. وأضافتا: "انه أرخص كثيراً، والكميات التي تستورد منه في ارتفاع منذ ١٩٧٢. ان ٨٠ في المئة من المرمر الذي يصنّع في فولتيرا اليوم مستورد من إيبيريا."[٢]

والى اسبانيا، اكتُشفت في بريطانيا ورومانيا وفرنسا ترسبات من جصّ المرمر. وقد اكتشف نحو ٥٢ نوعاً من الجص في منطقة فولتيرا. وحدد الجيولوجيون النوع الارقّ الانقى الموجود في فولتيرا وحدها على أنه كبريت كلسيّ مميّه (متحد مع الماء).[٣] ومع كونه متضامّاً فإنه شفاف، وأخف من الرخام، وتسبغ عليه شفافيته ميزة آسرة. أما النوع الاوفر تقديراً لدى سكان فولتيرا فهو مرمر سكاليوني.

نكسة فنهضة. تعني كلمة مرمر (ألاباستر) في اليونانية واللاتينية "إناء زهر." وتزعم نظرية شائعة أن الاسم مشتق من المدينة المصرية القديمة ألاباسترون في جوار تيبس[٤] حيث كانت قماقم العطور والمراهم تصنع من المرمر الشرقي المحلّي. وقد عُثر في قبر الفرعون توت عنخ آمون على أمفورة[٥] مصنوعة من قطعتي مرمر ملصقتين معاً. واستخدم قدماء المصريين أيضاً ألواحا كاملة من هذا الحجر ليكسوا الجدران والسقوف، بما في ذلك أحد الهياكل قرب

(٢) ايبيريا شبه جزيرة في اوروبا تضم اسبانيا والبرتغال.
(٣) Hydrated sulphate of lime
(٤) تيبس او ثيبيّة الاسم القديم لصعيد مصر او مصر العليا.
(٥) الامفورة قارورة ضيقة العنق ذات "اذنين" كان القدماء يضعون فيها شراباً وزيتاً.


"أبو الهول" في الجيزة. وغُلِّفت أعمدة سامقة بالمرمر الذي استخدم كذلك في نحت الأفاريز الزخرفية. وانتشر استخدامه خارج مصر، فزيّنت به قصور الكريتيين والمسينيين.

وفي ايطاليا اعتباراً من القرن الرابع قبل الميلاد، استخدم الاترورويون القدماء المرمر المستخرج من فولتيرا في صنع النواويس وجرار الموتى، مؤثرين هذا الحجر العاجي اللون. ونظراً الى سهولة نحته، ظهرت رسوم وكتابات على جوانب النواويس وأغطيتها، ومنها رسوم لوجوه الموتى كانت تُنحت بالازاميل في اللحظة الاخيرة.

لكن ظهور النصرانية أنهى استخدام الجرار لحفظ رماد الجثث. وانحسر استخدام المرمر للبناء في القرون الوسطى، لأن غناه ورقته يتعارضان وتعاليم التقشف. لذا اندثرت هذه الصناعة الفنية في ايطاليا.

وفي مطلع القرن الثاني عشر عاد حرفيو المرمر الى الظهور في غير مكان بعد اكتشاف ترسبات غنية في دربيشاير في وسط بريطانيا. وعثر لاحقاً على كهوف مرمر في جوار تشيلستون هيل، فنشأت صناعة محلية مزدهرة شملت شاهدات قبور وتماثيل ونقوشاً وبلاطاً ولوحات في أنحاء أوروبا. وفي نهاية القرن السادس عشر كان النحاتون في بوهيميا وهولندا وألمانيا واسبانيا يعملون في صناعة المرمر.

بيوض مرمر. وفي ثمانينات القرن الثامن عشر التي شهدت نهاية صناعة المرمر وغيابها الطويل عن ايطاليا، بقي نحو ٤٠ حرفياً ماهراً يعملون في ثمانية مشاغل أو تسعة في فولتيرا، يصنعون سبحات وأدوات صغيرة أخرى. ولكن في العام ١٧٩١ أدخل الشاب مارتشيلو إنغرامي فاي (٢٥ عاماً) الذي أثرى بالوراثة، حياة جديدة الى البلدة. فهو عمد الى شراء بناء قديم فأقام فيه مشغلاً ومدرسة للتدريب. واستثمر كهف مرمر في كاستيلينا ماريتيما ليؤمن امداداً ثابتاً من النوع الممتاز. ولم يمض ١٢ شهراً حتى كان ١٢٠ متدرباً يعملون في إشراف أفضل المعلمين في أوروبا. وأنتج المشغل مصابيح وشمعدانات وآنية وجراراً وتماثيل كلاسيكية رائعة وتحفاً كانت تباع في كل أوروبا.

في العام ١٨٢٠ بدأ تجار رحّالة بيع المصنوعات المرمرية في أقطار العالم.

قبل شراء "تحفة" مرمرية...

للتأكد من أن "تحفة" ما هي مصنوعة من مرمر فولتيرا الاصيل، يقترح الاستاذ ألدو سيشيلا مؤلف كتاب "فولتيرا عاصمة المرمر" أن يحمل الشاري القطعة التي ينوي شراءها ويختبر وزنها، مضيفاً: "ان مصنوعات البلاستيك ومزائج المرمر الرخيصة هي أخف وزناً من الحجر الاصيل. بعد ذلك مرروا رؤوس أصابعكم على سطحها. فالحجر الزائف يكون عادة ناعماً، بينما يكون حجر المرمر خشن الملمس الى حد ما. أما اذا كان مطلياً، فالزائف يبدو أنعم صقلاً. أخيراً تطلعوا الى بطاقة الثمن. القطع الاصيلة لا تكون رخيصة أبداً."

وفي العام ١٨٦٢ كان هناك ما يربو على أربعين مصنعاً، يعمل فيها نحو ٥٠٠ حرفي ماهر لتلبية الطلبات الكثيرة. وعام ١٩٢٩ كان أكثر من ١٦٠٠ من سكان فولتيرا يعملون في صناعة المرمر. وضمت المدينة ٤٠ مشغلاً متوسطة الحجم. لكن انهيار سوق الاسهم المالية في بورصة وول ستريت بنيويورك أدى الى كساد هذه التجارة المزدهرة. ثم ساهم ارتفاع التكاليف - الذي أدى الى استخدام حجار أقل جودة - واهمال الاتقان والتزييف الفاضح، في الصعوبات الحالية التي تعانيها فولتيرا.

وما زال في ايطاليا كهفان نفقيّان صالحان لاستخراج المرمر، أحدهما في "لو فينيل" في تلال كاستيلينا ماريتيما الباعدة ٣٠ كيلومتراً عن فولتيرا. في أنفاق هذا الكهف التي يبلغ طولها ٢٥ كيلومتراً، يعمل ماريانو ألفونسو (٥١ عاما) مع خمسة معدّنين آخرين وأربعة عمال في انتزاع كتل كرويـة، أو "بيوض"، من حجر السكاليوني الشديد النقاء تراوح أوزانها بين كيلوغرامين وطن. وهذه البيوض مدفونة على أعماق متفاوتة في طبقات الجص، وتفصل كل طبقة عن الاخرى طبقة رقيقة من الطين.

قال لي ألفونسو: "يصل عمق الانفاق الى ١٥٠ متراً تحت سطح الارض. وكان المعدنون في الماضي يعتمدون المعاول للحفر في جدار النفق. وكانوا يستخدمون حلقة خاصة لكشف بيوض المرمر المدفونة. لكننا حاليا نستخدم المتفجرات لحلحلة الكتل، ثم أستخدم مثقابي العامل بالهواء المضغوط، ولا استخدم المُخل الا متى اكتشفت بيضة بارزة.

"والبيضة مغلفة دائماً بقشرة سوداء سماكتها سنتيمتر واحد ويتعين كسرها. وعندما تسقط القشرة، فيا لروعة المنظر حين أُدني مصباحي! فها هو الحجر شفاف بحيث يكاد النظر يخترقه الى الجانب الآخر."

أين الذوق؟ كنت راغبا في معرفة المنحى الذي سيأخذه فن المرمـر مستقبلا. فزرت معهد ستاتالي للفن في فولتيرا، وهو المدرسة الفنية الوحيدة في ايطاليا التي تعطي مقرراً تعليمياً في صناعة المرمر مدته خمس سنوات.

رحب بي المعلم النحات فيليو غراندولي (٤٥ عاماً)، وجلنا في أروقة المعهد على مصنوعات مرمرية قديمة، ودخلنا غرفة تدريس غراندولي بأرضها المكسوّة بغبار طبشوري، وفيها مناشير لقص الحجار الضخمة ومخارط ومصقلة.

تكلمت مع أليساندرو مارزيتي (٢٠ عاماً) وهو شاب أشعث الشعر كان سيبدأ سنته الدراسية الاخيرة في المعهد، وواحد من سيل متدفق من فناني المرمر الموهوبين. قال: "أنا أحب هذا النوع من العمل. ومن الصعب أن ينشأ المرء في فولتيرا ولا يتأثر بصناعة المرمر."

وكان أليساندرو صنع عشر منحوتات، اختيرت منها اثنتان لعرضهما في مسابقة جوليو غريميني المرموقة التي تقيمها البلدة في رعاية مصرف محلي.

وقال زميله في الصف يوري ديلي اينوسنتي (١٩ عاماً): "والدي هو الذي سدد خطاي في هذه الطريق. كنت أقصد محترفهً عندما كنت صغيراً، وأجلس ساعات مأخوذاً بالاشياء الجميلة التي تخرج من تلك الكتل الحجرية." وهو اشترك في مسابقة غريميني عارضاً ساعة جدارية فاخرة.

قال غراندولي: "نحن نعقد آمالنا على هؤلاء الفتيان لمحو صورة فولتيرا الملطخة، واستعادة صفائها. فهم يستخدمون أفضل أنواع الحجار الوطنية ويبتعدون عن المنتجات التافهة الخالية من الفن والذوق التي ألحقت بنا ضرراً كبيراً. انهم ينتجون مصنوعات في منتهى الروعة، وينالون جوائز عليها."

ولا يزال غراندولي يكنّ عميق الاحترام للطرق الفنية التي استخدمها أجداد فولتيرا. وقد فاجأته وهو يضع اللمسات الاخيرة على احدى منحوتاته، فوجدته نابذاً المعدات الحديثة حوله ومنهمكاً في حفّ القطعة بيده بمنتهى الدقة والاناة، مستعيناً لتلميعها بوصفة عمرها مئات السنين، هي مزيج من كبريت ومسحوق عظم الثور ولُعاب. وهو أقرّ بارتباك مشوب بالخجل: "أنا أفضل الاساليب القديمة."

ربما كان ذلك اطراء لرومانسية فولتيرا المرمرية.

ألكسندرا وثيق الله ■

التغيب عن العمل

أظهر احصاء أن ١٧ في المئة من الايدي العاملة في بلدان المجموعة الاوروبية تتخلّف عن العمل خلال اسبوع ربيعي، بداعي الاجازة أو المرض أو الامومة أو رداءة الطقس. وبيَّن الاحصاء أن الاجازات تشكل ٤٤ في المئة من مجموع حالات التغيّب، تليها الأمراض والحوادث بنسبة ٢٤ في المئة. ولكن ثمة فوارق كبرى بين البلدان، ففي حين سبّبت حالات المرض ٤٠ في المئة من التغيبات في بلجيكا، لم تبلغ هذه النسبة سوى ٢٠ في المئة في بريطانيا و٦ في المئة في اليونان.

م.ب.


غويّانا الفرنسيّة
أرض السلاحف والفراش



(الى اليسار) طفلان من قرية كاموبي الهندية الواقعة على ملتقى نهري كاموبي واويابوك.

مستعمرة فرنسية في أمريكا الجنوبية زاخرة بتنوع حضاري وجمال طبيعي فريد

الثانية والربع من بعد ظهر ٣ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ وقف الفنيون والمهندسون في مركز "كورو" الفضائي في غويانا الفرنسية هاتفين عندما فتح القمر الخاص بالبث والتابع للقناة الاولى في التلفزيون الفرنسي ألواحه الشمسية على ارتفاع ٣٦ ألف كيلومتر. انها المرحلة الاخيرة من اطلاق الصاروخ



الفرنسي "آريان"، وهو الاطلاق الناجح الثاني والعشرون في اطار برنامج بدأ عام ١٩٧٩.

كنت في هذه الاثناء أزور قرية أوارا لهنود الغاليبي عند مصب نهر ماروني على مسافة ١٩٠ كيلومتراً من كورو. ولكن بدا لي كأنني عدت في الزمن ٥٠٠ سنة. فالغاليبيون يتمسكون بطريقة حياة لم تتغيّر منذ أيام كولومبوس.

جلست ذلك المساء مع عدد من القرويين قرب النار نتناول السمك المشوي المشبع بالتوابل والكعك النباتي. قال أحدهم: "أنك تشعر بالغنى لما تملك. لكننا نشعر بالغنى ذاته ما دامت السلاحف تضع بيضها على الشاطىء وما دمنا نستطيع صيد السمك والحيوان."

أمضيت الليلة في أحد الاكواخ تحت سقف من أوراق الماريبا المجدولة. وأحسست ببرودة مع أن الحرارة في الخارج كانت ٣٥ درجة مئوية، ذلك لأن لا جدران ترد النسائم اللطيفة. وأدهشني أن أرى النار في الصباح لا تزال متقدة. فأوضح لي قروي أن "واحداً منا كان يمر كل ساعة لايقادها كي لا تزعجك الحشرات."

أين، في العالم، يمكن أن أحظى بهذه الضيافة الحارة؟

جحيم استوائي. بعدما اشتُهرت غويانا الفرنسية في زمن ما على أنها "أرض ثروات" و"جنة عدن"، عُرفت لاحقاً بـ"الجحيم الاخضر" اذ أصبحت معتقلاً للمجرمين. أما اليوم فهي لا تستأهل مزاياها الاسطورية ولا سمعتها السيئة. لكني لم أستطع مغالبة التفكير في الامرين معاً فيما الطائرة تقترب من مطار كايين – روشامبو، اذ رأيت الغابة الزمردية الممتدة تحتي. انها "الجحيم الاستوائي" الذي قضى، مع الحمّى الصفراء، على أعداد كبيرة من المجرمين الذين كانوا ينفذون عقوباتهم والمنقبين



اثنان من شعب الهمونغ. يعيش ٦٠٠ لاجىء من لاوس وكمبوديا في غويانا على صيد السمك والزراعة والحرف اليدوية.

EXPLORER / M. MOISNARD

عن الذهب في الانهر الموحلة والمستوطنين السيئي الطالع وسليلي عبيد القرن الثامن عشر المختبئين في الغابة.

لا تزال البرّية طاغية، اذ لا يتجاوز عدد سكان غويانا ٩٤ ألفاً يعيش أكثر من ثلاثة أرباعهم في الشريط الضيق الممتد على ساحل الاطلسي. وفي أي مخرج من الطريق الساحلية الممتدة ٣٢٠ كيلومتراً، تمتد غابات كثيفة تحول دون الوصول الى القرى الداخلية القليلة الاّ عبر الانهر او الجداول، بما فيها نهر ماروني الكبير الذي يشكل الحدود مع سورينام غرباً، ونهر أويابوك الذي يشكل الحدود مع البرازيل شرقاً. وفي هذه البرية الاستوائية أربعة مطارات صغيرة وطرق وعرة شقها المنقبون عن الذهب.

أرتحلت ليومين عبر نهر كومتي في زورق مصنوع من جذع شجرة. كان الملاحان الاسودان يعرفان كل منعطف في هذا الممر المائي المتعرج. فأسلمت نفسي لاهتزازات القارب. وخلال تسللنا بين "جدران" الدغل المكسوة بالعرائش، سمعت صرخات حادة لببغاء الماكاو وطائر الطوقان ترجّع صداها في الغابة، وشاهدت فراشات المورفو الزرقاء الاكبر من عصافير الدوري.

واذا كنتم من محبي النباتات، فلا حديقة في العالم تضاهي المنطقة المجاورة لجبل الدخان وقرية ساول. فقد أحصى فريق من "حديقة النبات" في نيويورك أرسل الى المنطقة عام ١٩٨٢، بالتعاون مع زملاء فرنسيين، ٢٩٥ نوعاً مختلفاً في بقعة تضم ٨٠٠ شجرة، بعضها ضخم يصل ارتفاعه الى ٥٠ متراً ويبلغ محيط جذعه ستة أمتار. وتحتوي غابات غويانا على آلوف الانواع من النباتات، أروعها تكتلات السرخس (الخنشار) والسحلبية (الاوركيديا) المتدلية من الاغصان العالية للاشجار. أما اذا كنتم من المهتمين بالحيوانات، فقد تحظون برؤية طائر هوكو، وهو ديك رومي ضخم ذو شهية لا تشبع، أو تلمحون قرود مكّاك أو قروداً مولولة، وربما أفعى أناكندة يقال إن طولها قد يبلغ عشرة أمتار.

وتشكل الانهر أفضل المراصد للذين يرغبون في تذوق الحياة في غويانا: ففي الصباح الباكر ترون زوارق الجذوع ناقلة الاولاد الى مدارسهم، ورجال درك فرنسيين يجذفون في قارب في زيارة لاحدى القرى، وقوارب غاصة بالمواد الغذائية متوجهة الى مستوطنات قصية. واذا لمحتم بضعة أوروبيين على الرصيف، فغالب الظنّ أنهم منقبون عن الذهب.

"صناعة" سجون. افترض المغامرون طوال قرون أن ينابيع ثروات تقع عند سفوح جبال توموك هوماك التي ترتفع ٨٠٠ متر. وليس الذهب في غويانا خرافة تماماً، اذ يبلغ معدل إنتاجها السنوي منه ٤٢٠ كيلوغراماً. لكن هذه الارض بريئة من غنى مواردها

HOA-QUI / J. BOCK

لا يزال في غويانا نحو ١٩٦ منقبا عن الذهب مسجلين رسميا. لكن مئتي عام مضت منذ اعتقد الناس بموطن الثروة الاسطوري الذي وصفه معاصرو كريستوفر كولومبوس.



قلب الغابات الامازونية المظلم غني بمئات من انواع النباتات ويعج بالحياة. ويرتفع بعض الاشجار الى علو ٥٠ مترا وصولا الى نور الشمس.

JACANA / R. KÖNIG

الاسطورية التي أملها المنقبون الاوائل. وتتولى ثلاث مؤسسات تنقية العروق الاغنى، فيما يصفّي ١٩٦ منقباً ما مجموعه ٧٠ كيلوغراماً من الذهب سنوياً، مما يؤمن لهم دخلاً يعادل الحد الادنى للاجور في فرنسا.

لقد تخلّى الناس منذ زمن بعيد عن الاعتقاد أن غويانا هي "جنة عدن،" على رغم الاوصاف التي ألبسها أياها معاصرو كريستوفر كولومبوس. ففي العام ١٦٧٦، بعد نحو قرن من الحروب مع بريطانيا وهولندا، ثبّت الاميرال جان ديستري ملكية فرنسا لهذه الارض الاسطورية. وفي العام ١٧٦٤ أبحر ١٦ ألف رجل الى غويانا بعدما أغرتهم الروايات البرّاقة التي أطلقها وزير الخارجية الفرنسي الدوق شوازول، عن أراض خصبة تنتج أكثر من محصول واحد في السنة وعن عمالة مجانية. لم يكن هؤلاء الرجال مهيئين لمشاق الحياة الاستوائية، فقضى عشرة آلاف منهم في غضون سنة بسبب الملاريا والحمّى الصفراء والجوع.

وبين العام ١٨٥٢ عندما أنشىء أول معتقل في غويانا، والعام ١٩٣٨ عندما توقفت فرنسا عن ارسال المحكوم عليهم الى هذه المستعمرة، عانى ٦٠ ألفاً من هؤلاء، بمن فيهم ٥٣٠ امرأة، بؤس الاعمال الشاقة في ما سُمي "المقصلة الخضراء." وفي محاولة لتبرير ذلك أعلن أحد أطباء السجون في العام ١٨٨٥: "لماذا يتعين على فرنسا أن تتردد في التضحية بحياة بضعة رجال فاسدين لمصلحة انماء مستعمراتها؟" كان هذا "الانماء" يعني، مثلا، أن يقضي المساجين أكثر من ٦٠ سنة في منطقة سان لوران دو ماروني لشق ٢٣ كيلومتراً من الطرق عبر المستنقعات الساحلية.

يرى الناظر من كورو جزر سالو الزاخرة بأشجار جوز الهند والمميزة بشواطئها الرملية البيضاء. وقد خصصت هذه الجزر لاستيعاب ٦٠٠ من السجناء الاكثر تمرداً، ليذووا في زنزانات مظلمة. وقد أرسل دريفوس،* بعد محاكمته الشهيرة بتهمة الخيانة، الى جزيرة الشيطان حيث لا يزال المقعد الحجري الذي كان يستريح عليه خلال تنزهه قائماً في باحة السجن.

لكنني لم ألحظ التناقض الحقيقي في "صناعة" هذه السجون الغارقة في الدم الا بعد زيارتي برّ سان لوران دو ماروني، وهي بلدة تضم ٥٠٠٠ شخص، ومشاهدتي بيوتها الحجرية الانيقة التي تنبىء بالترف الذي كان يعيشه القيمون على السجون.

لم ينه آخر السجناء أحكامهم ويعودوا الى فرنسا الا عام ١٩٥٣، لان سلطات السجون لم ترغب في قطع مورد العمالة المجانية فجأة. واختارت قلة من السجناء البقاء في غويانا لان أفرادها أحسوا بأنهم أضعف من أن يبدأوا حياتهم ثانية في أوروبا. ولا يزال بضعة عشر منهم

(*) الفرد دريفوس (١٨٥٩ - ١٩٣٥) ضابط فرنسي ادت محاكمته وادانته بتهمة التجسس لحساب المانيا، قبل تبرئته عام ١٨٩٩، الى انقسام الراي العام الفرنسي.

احياء، يحترم الجميع رغبتهم في نسيان الماضي.

لقد اختفى معظم ما يذكّر بالسجون. لكنني وقعت مصادفة في المتحف الصغير في كايين على واحدة من أفظع مصنوعات المستعمرة: جبيرة القدم اليمنى للسجين غيز – لوي باييف الذي أعدم بالمقصلة في ٥ مارس (آذار) ١٨٥٨ في جزيرة سالو بعدما أخضع لتعذيب رهيب. وتظهر الجبيرة آثار كدمة بارتفاع أربعة سنتيمترات في مشط القدم، واحدى اصابع القدم مثنية الى الخلف.

بنت الامازون. كايين، كبرى مدن غويانا الفرنسية، عاصمة اقليمية فاتنة. فيها شوارع تلتقي على شكل مربعات، ومنازل ملونة من الطراز الكسريولي الفرنسي ذات شرفات من الحديد المطروق، وقصور أغنياء ذات طراز ساد زمن المستعمرات بمداخل رواقية قائمة على أعمدة. ذكرتني المدينة بالحي اللاتيني في نيو أورلينز بالولايات المتحدة، الا من موسيقى الـ"بيغين" الشعبية التي حلت محل الجاز ومن محبي الزهور والفراشات البسطاء الذين حلوا محل السياح. وقد وجدت هؤلاء الزوار المتميزين على الشواطىء المسوَّرة بشجر المنغروف الاستوائي وفي المطاعم يتذوقون حساء "كولومبو دو كابري" الذي يشبه الكري الهندي ويستورده المهاجرون الآسيويون.

تتميز غويانا بتنوع حضاري هائل. توقفت على مسافة ٦٠ كيلومترا من كايين في قرية كاكاو على نهر كومتي. وهي بدت ببيوتها الخشبية المرتفعة على قوائم كأنها بقعة انتقلت من آسيا. والواقع أن سكانها البالغ عددهم نحو ٦٠٠ هم من مزارعي الهمونغ من لاوس وكمبوديا، هربوا من الحرب في الهند الصينية عام ١٩٧٦ ويعيشون على الحرف اليدوية وصيد السمك وتسوية الاراضي الحرجية وزرعها. لكني على ضفاف الماروني خلتني في وسط افريقيا، فقرى زنوج البونيس مبعثرة على امتداد نحو مئتي كيلومتر، وهم استقروا فيها في القرن الثامن عشر هرباً من العبودية في مزارع سورينام التي كانت مستعمرة هولندية.

أما الغلال في سوق كايين والفواكه والخضر على "بسطات" سان لوران دو ماروني وكورو وسيناماري، فتستحضر نكهة جزر الهند الغربية. واذ سمعت صياح زوجات المزارعين الكريوليين، بشالاتهن القطنية، وهن ينادين على جودة بضائعهن من توابل وموز، عاد الى ذاكرتي أن غويانا هي أساسا بلد كاريبي، فنحن على مسافة ساعتين فقط في الطائرة من مرفأ بوانتا بيتر في جزر غوادلوب ومن فور دو فرانس عاصمة جزر المارتينيك.

وعلى طول نهر الاويابوك يدرك المرء أن غويانا هي بنت الامازون، فهذه الارض هي الملاذ الرحب لقبائل الغاليبي والباليكور والايميريلون والوايانا

والأراواك والويامبي، وهي تضم ٨٠٠٠ هندي ينقسمون ست مجموعات اثنية ويعيشون على أرض استوطنوها قبل ألوف السنين، وعلى كل من يرغب في زيارة قرى الهنود أن يحصل على اذن حكومي، لان بعض المجموعات في المناطق الداخلية لم تحتك بالرجل الابيض الا نادراً فهي سهلة التعرض للفيروسات والجراثيم المنتشرة في مجتمعاته، وخصوصا النزلة الوافدة (الانفلونزا) التي تكون غالبا قاتلة بالنسبة الى أفرادها.

ثروات مخبوءة. العالم على عتبة القرن الحادي والعشرين، وسكان غويانا يعملون على بناء مستقبلهم. لقد بدأ العمل في مركز كورو الفضائي الفرنسي عام ١٩٦٨، وكان سكان المدينة ٧٠٠ أنذاك، وعددهم الآن ١١٥٠٠. وتكثر المتاجر الكبرى وأحواض السباحة وملاعب كرة المضرب. الا أن نجاح برنامج "آريان" الفضائي حمل في الواقع خطراً جديداً هو احتمال أن تحجب كورو بقية البلاد.

ولكن ثمة ثلاثة مشاريع طموحة لشق طرق رئيسية وبناء جسرين لتسهيل الوصول الى المستوطنات الاكثر بعداً عن الساحل، ويتوقع أن تعزز هذه المشاريع الازدهار الذي ينتظر أن تشهده غويانا. كما أن صيد السمك وتربيته أصبحا عملا مربحاً، وينتج ٤٥٠٠ طن من الاربيان (القريدس) سنوياً وتعتبر الصناعة الاولى في المستعمرة. وتخبىء الغابات ثروات هائلة. فالخشب العالي النوعية السهل التسويق يتوافر ما بين ١٠ أمتار و٣٠ متراً مكعبة في الهكتار الواحد، مما يجعل هذه الغابات واحداً من أغنى المخزونات في العالم. وتتميز غابات المطر الغويانية بكثافة عالية تتيح استغلالها على نحو لا يهدد مخزونها أو يؤثر سلباً في البيئة.

غويانا هي المكان الوحيد على الارض حيث يستشرف المرء القرن الحادي والعشرين بينما يعيش حياة هندية ترقى الى أكثر من ألف سنة. ان طعام الكريول الفرنسي اللذيذ، والشواطىء الرملية البيض، وروعة الزهور والفراشات الفريدة، وصمت الغابة العظيمة، أسباب اضافية تدعونا الى زيارة أرض الاساطير هذه.

جان ماري جافرون ■

ميكانيكي فني

كان القاضي ينظر في قضية تحطم حافلة في حادث سير. فعرض صورة للحافلة المحطمة على ميكانيكي وطلب منه أن يحدد ما يراه.

صمت الرجل برهة حدّق خلالها الى تلك "الهريسة" من العجلات والأنابيب ثم هتف: "بيكاسو؟"

مجلة "المحامي"





روعة الشتاء

لوحات بيضاء فيها هدوء وحنين... ودفء آتٍ

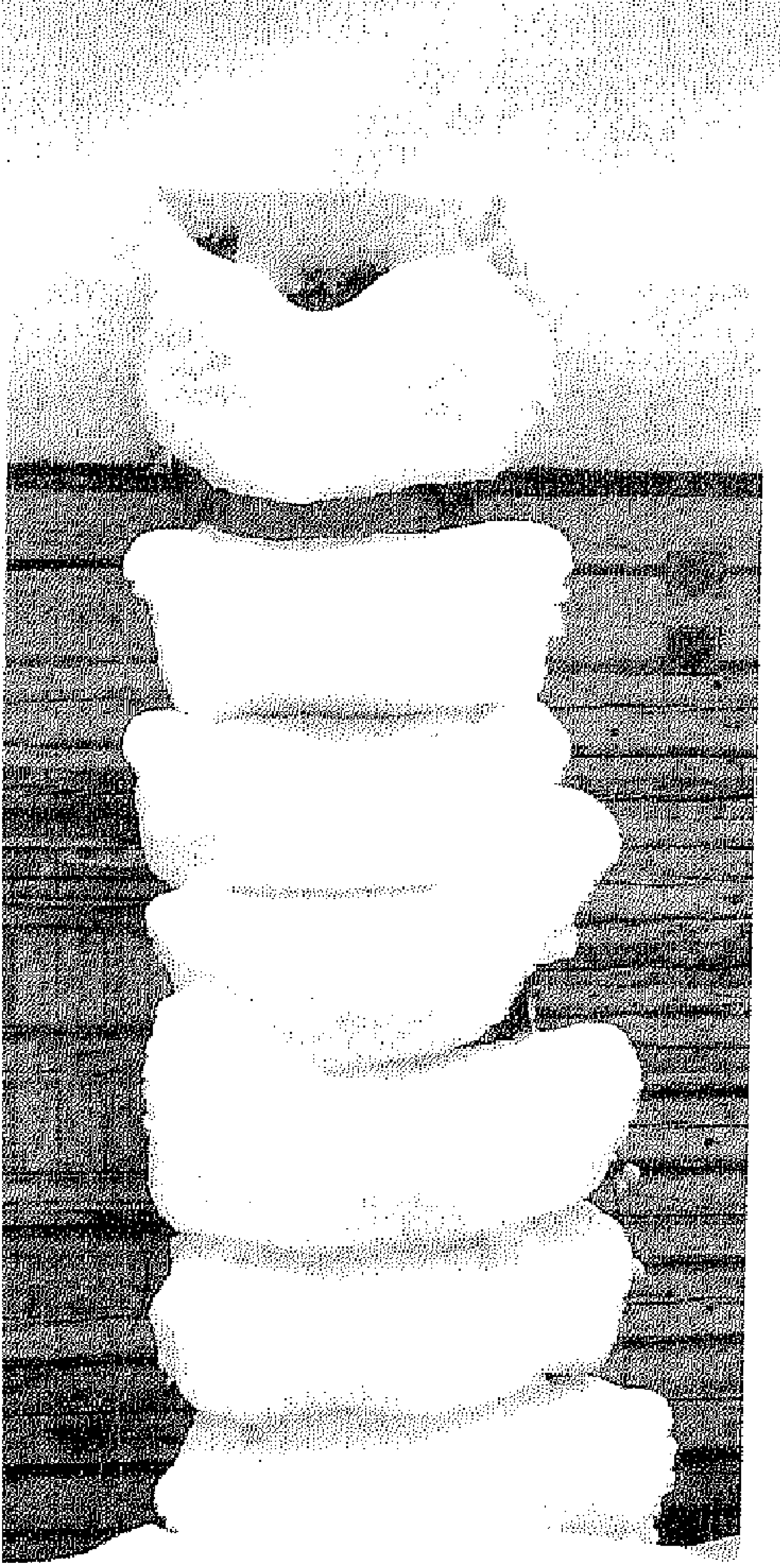


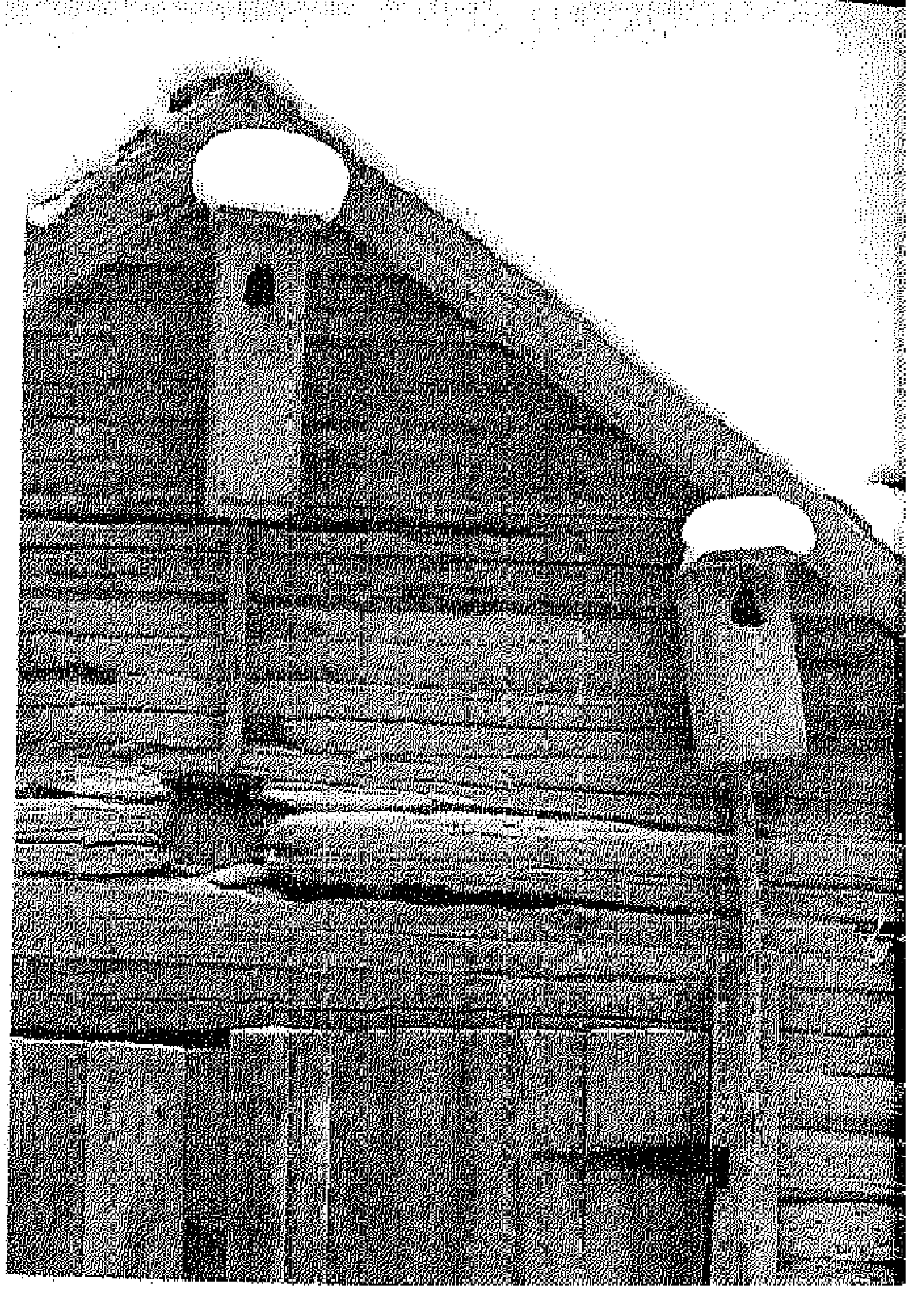
"ماما، الثلج يسقط!"

أذكر تماماً كيف كانت الثلجة الاولى من كل عام تبهج قلبي الصغير. فأهرع الى نافذة المطبخ وألصق أنفي بالزجاج وأحدق مأخوذاً برقع الثلج المتساقطة متهادية من السماء، لتذوب ما ان تلامس الارض الدافئة.

كنت أتطلّع الى الثلجة الاولى بشوق كبير، فأصنع منها دمية أو أبني قصراً. وعندما يتجمّد الثلج بفعل الصقيع فيحفظ الثلج الجديد، أحمل زلاجتيّ وأتوجه الى الغابة حيث




TIMO NIEMINEN

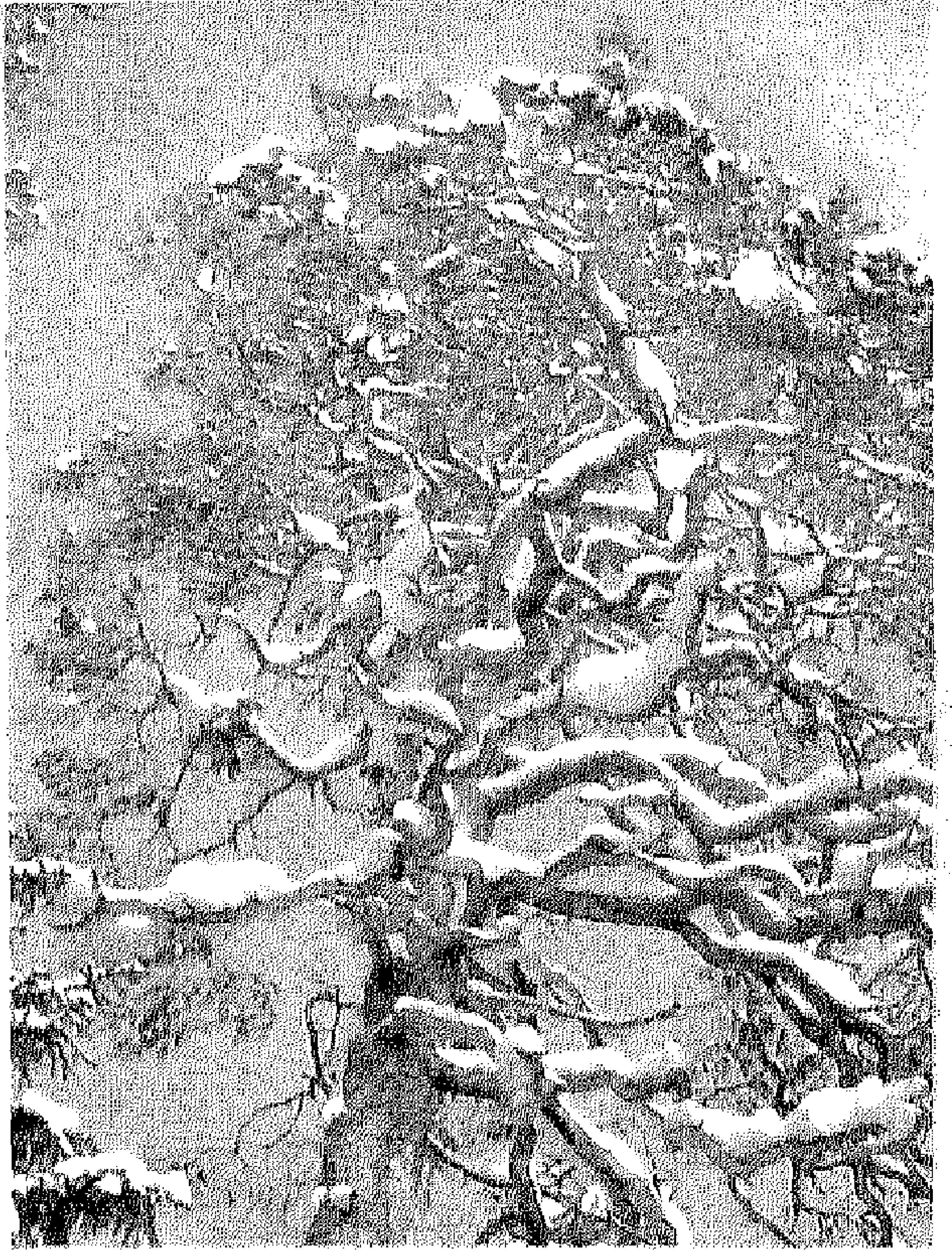

KALERVO OJUTKANGAS

أنحت خطأ على المنحدرات البيضاء كالسكّر. وأحياناً أبني منصة عالية من الثلج في حقل قرب بيتنا، أقفز من فوقها وأحلّق راسماً أقواساً رائعة في الهواء. وأخوض مع أصدقائي معارك بكرات الثلج حتى تبتلّ ملابسنا. وبعد أيام تُفتح حلبة التزحلق على الجليد.

كان الشتاء بالنسبة اليّ أعياداً متعاقبة من البهجة والنشاط.

ولكم ننسى، نحن الراشدين، في خضم أعمالنا ومشاغلنا، السعادة التي يحملها الشتاء. بعد الثلجة الاولى أهرع الى الاتصال برقم هاتف مشغول دائماً، من أجل تأمين "طقم" جديد من الاطارات لسيارتي. وأنهمك في ازالة الجليد عن حاجب الريح الزجاجي، ولكن يفوتني التمتع بالثلج المتراكم الى علو متر حولي، كأنه يدعوني الى الارتماء على بياضه وصنع ما شئت من أشكال. وأراني ساهياً غافلاً عن رؤية المسحوق الابيض الجميل العالق على أغصان الاشجار. وفي عطلة نهاية الاسبوع أنصرف الى جرف الثلج بدلاً من التمتع بالتزلج.

ينبئنا الثلج بجيران صغار لا نراهم في الصيف. ففي طرف المتنزه نشاهد آثار أقدام أرنب، وعلى عتبة النافذة بصمات عصافير دوري وقرقف، ويندفع فأر حقل





راكضا عبر فناء المنزل المكسو بالابيض.

فلنتوقف قليلا ونتأمل عالمنا باعجاب، وإن بالتفاتة وجيزة حولنا ونحن نمشي. فالطبيعة عمل فني عظيم يكتسي أشكالا متباينة رائعة في الشتاء. وسائد بيضاء متألقة تتدلى من افاريز السطوح، وملاءة بلورية من جليد تغطي مداخل البحر، وغطاء ناعم ينسدل على الصخور والحجار. هذه كلها جزء من لغة الطبيعة. فالطبيعة لا تكشف لنا جمالها الأخاذ فحسب، بل كذلك جبروتها الذي لا يضاهي. فكل رقعة ثلج عالقة على رفّ نافذتنا تهمس: "أنا أيضا من صنع الخالق عز وجلّ."

الشتاء أعتم الفصول. فيه تلتفّ الارض برداء ثلجيّ كأنها تتهيأ لسبات عميق حتى مطلع الربيع. وحين تسطع شمس الظهيرة أحيانا، تغمر الارض بأشعتها البيضاء الضاربة الى الزرقة، ولا تلبث الا بضع ساعات تغيب بعدها وراء الافق، وتصطبغ السماء بحمرة المغيب المتوهجة.

كتب المؤلف الفنلندي يوهاني آهو: "أهلا بعودتك يا ظلام الشتاء المهدىء المؤنس." فاذا فتحنا قلوبنا للشتاء، فسنراه فضلا يغمرنا بسحره عاما بعد عام.

طوم لوندبرغ ■



اخبار العالم

مرحاض "ذكي"

■ لقد فعلها اليابانيون مرة اخرى! زاوجوا هذه المرة بين صناعة الالكترونيات واكثر الاجهزة المنزلية اتضاعاً: مقعد المرحاض. يقول ناوكي كاجيتا من شركة "نيبون تلغراف أند تلفون": "المرحاض هو من بين الاجهزة التي تأخر تحديثها. وسيوفر جهازنا على المريض عدة زيارات الى عيادة الطبيب."

ولهذا الاختراع اسم باليابانية بمعنى "المرحاض الذكي أول شيء في الصباح." وهو عالي التقنية ويؤمّن فحصاً صحياً مباشراً. فبعد زيارة سريعة الى الحمام في الصباح، يضغط المرء زراً ليتدفق الماء كالعادة. ولكن بدل أن يذهب البول مباشرة الى مصرف المياه، يندفع دائرياً على جوانب المرحاض السيراميك، فتتولى أجهزة تحسس الكترونية قياس معدلات السكر والبروتيين وأعداد كريات الدم الحمراء والبيضاء ومركبات الكيتون العضوية، وهذه مواد دهنية في البول قد تساعد في كشف اختلالات كالسكري والجفاف (استنزاف سوائل الجسم). وبعد خمس دقائق تظهر النتائج على شاشة خاصة. كذلك يستطيع مستخدم المرحاض قياس نبضه وضغط دمه ودرجة حرارته بمجرد ادخال اصبع في جهاز خاص مثبت في متكأ المرحاض.

لدى وصول المعلومات الى "ذاكرة" المرحاض، يمكن نقلها الى عيادة طبيب عبر قناة اتصال كمبيوترية لابلاغ أي نتائج غير طبيعية

... هذا اذا كان المرء مستعداً لدفع نحو ٧٠٠٠ دولار ثمناً لهذه الاعجوبة المقبلة.

مجلة "ديسكافر"

غواصات "صامتة"

■ تتسابق اليابان والولايات المتحدة وربما الاتحاد السوفييتي على استكمال نظام ثوري لدفع السفن والغواصات لا يتضمن أجزاء متحركة ويفترض أن يكون صامتاً ومضموناً.

في نظام الدفع الهيدروديناميّ - المغناطيسي هذا، يتعرّض ماء البحر المار عبر قطعة مغناطيس قوية جداً لقوة تدفع الماء الى الخلف فتنتج حركة معاكسة الى الامام. وهذا النظام الذي لا يستخدم محركات أو مراوح يجعل الغواصات أكثر هدوءاً من ذي قبل مما يساعدها على تفادي العدو.

يُجري مختبر أرغون الوطني في الولايات المتحدة تجارب على قطعة مغناطيس عملاقة طولها ٦،٥ أمتار ووزنها ١٨٠ طناً، ستعجّل مرور ٩٥٠٠ ليتر من الماء في الدقيقة عبر "حنجرتها" التي يبلغ قطرها ٥٠ سنتيمتراً. اما خطة اليابانيين فتلحظ انتاج سفينة طولها ٣٠ متراً تسيَّر بالطاقة الهيدروديناميّة - المغناطيسية لتقويم امكانات استخدام هذا النوع من الطاقة في السفن التجارية.

صحيفة "نيويورك تايمز"

لا تكرهوا شيئاً..

الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغن يتذكر... وظيفته الاولى

حين كنت أواجه خيبة كانت أمي تقول لي: "لا تكره شيئا، فلعلّه خير. اذا ثابرت فلا بد من أن تلقى خيراً، وتدرك أنه لم يكن ليحدث لولا الخيبة التي واجهتها من قبل."

كانت أمي على حق، كما تبين لي بعد تخرجي في الجامعة عام ١٩٣٢. وكنت قررت السعي الى وظيفة في الاذاعة، وجل طموحي أن أترقى فأصبح معلّقا رياضيا. فتوجهت الى شيكاغو أطرق أبواب محطات الاذاعة، فوجدتها جميعها موصدة في وجهي.

وفي أحد الاستوديوهات قالت لي سيدة لطيفة ان المحطات الكبيرة لا تجازف باستخدام شاب يفتقر الى الخبرة. ونصحتني: "اترك المدينة وجدّ عملا في إحدى الاذاعات الصغيرة."

عدت الى ديكسون بولاية ايلينوي بطريقة الـ"أوتو – ستوب."* ولكن لم يكن هناك عمل لمذيعي الراديو. ثم أخبرني أبي ان مخزنا كبيراً افتتح في المدينة وفيه وظيفة لرياضي محلي يدير قسم اللوازم الرياضية. ولما كنت لاعباً في فريق كرة القدم بمدرسة ديكسون الثانوية، تقدمت بطلب للوظيفة التي رايتها مناسبة تماما لي.

لكن طلبي رفض.

ظهرت الخيبة المرّة جلية على وجهي، فذكرتني أمي: "لا تكرهوا شيئا، فلعله خير." وأعارني أبي سيارته لكي أفتش عن عمل. فقصدت محطة اذاعة في دافنبورت بولاية أيوا، لكن مدير البرامج بيتر ماك آرثر أبلغني أنه وظّف مذيعاً قبل أيام.

كنت أغلي غضبا لخيبتي لدى مغادرتي مكتبه، وتساءلت بصوت عالٍ: "كيف يتسنى لاحد أن يصبح معلّقا

(*) ايقاف السيارات العابرة وركوبها.

رياضياً وهو عاجز عن تدبر وظيفة في محطة اذاعية؟"

ووقفت أنتظر المصعد، فسمعت ماك آرثر يناديني: "ما هذا الذي ذكرته عن الرياضة؟ أتعرف شيئا عن كرة القدم؟"

ثم أوقفني أمام مذياع وطلب مني اذاعة وقائع مباراة وهمية.

كان فريقي في الخريف السابق ربح مباراة بتسجيل هدف في الثواني العشرين الاخيرة، فاندفعت أذيع وقائع تلك المباراة على مدى ١٥ دقيقة.

أخيراً قاطعني ماك آرثر قائلا إنه يريدني أن أذيع وقائع مباراة السبت التالي.

في طريقي الى البيت، كما في مرات كثيرة لاحقة، تذكرت كلمات أمي المشجعة: "اذا ثابرت فلا بد من أن تلقى خيرا، وتدرك أنه لم يكن ليحدث لولا الخيبة التي واجهتها من قبل."

ولطالما تساءلت عن الاتجاه الذي كنت سلكته في حياتي لو قُبلت في ذلك المخزن الكبير.

رونالد ريغن ■



عادة سيّئة

لابني الصغير عادة سيئة هي طرح اسئلته عن الناس في حضورهم. ولقد سببت لي اسئلة كثيراً من الاحراج. وأخيراً توصّلت الى اتفاق معه بألا يطرح عليّ اسئلة كهذه الا بعد عودتنا الى البيت.

ذكّرته باتفاقنا ونحن نهمّ بركوب حافلة. فسار كلّ شيء على ما يرام الى ان جلست قبالتنا امرأة بالغت في تبرّجها وفاحت منها رائحة عطر قوية. فلم يستطع ابني أن يشيح عنها بنظره. واخيراً سألني بصوت عالٍ: "حين نعود الى البيت سنتحدّث عن هذه المرأة، أليس كذلك يا أمي؟"

ك.ل.

سنة حلوة!

اتصلتُ بزوجة حفيدي متمنية لها عيد ميلاد سعيداً. فشكرتني، وأضافت: "اعتقدت أنكِ نسيت."

قلت: "لقد زارني يوسف وهناء صباح اليوم، وهما اخبراني." فتساءلَتْ: "من؟" ويوسف ابني، وهناء زوجته.

اذذاك أدركنا، كلتانا، أن الرقم الذي طلبتُه خطأ. لكن فضولي دفعني الى سؤالها: "أهو عيد ميلادكِ أيضاً؟"

أجابت: "كان عيد ميلادي أمس." ثم أضافت: "لكنني اعتقدتُ أنك نسيتِ."

د.غ.

كتاب الشهر

ثلاثة أيّام هزت العالم

بقلم لورانس اليوت
وديفيد ساتر



ثلاثة أيّام هزت العالم

تحركت الدبابات تحت المطر في اتجاه موسكو وقد أصدرت اليها أوامر بالنزول الى الشوارع لسحق الديموقراطية الروسية الطرية العود. انه يوم الاثنين في ١٩ أغسطس (آب) ١٩٩١، والعالم مسمّر يراقب الصراع المستعر للحفاظ على وحدة بلد عرف يوماً باسم الاتحاد السوفييتي.

لا شيء أبعث على الدهشة مما حدث بعد ذلك! فقد تجمّع الموسكوبيون تحت المطر عاقدين العزم على حماية الزعيم المعاصر بوريس يلتسين، وحماية الحرية، بأرواحهم اذا لزم الامر.

وعلى امتداد اثنتين وسبعين ساعة لاحقة، أمّن مواطنون عُزّل حراسة الحواجز والمتاريس متحدّين قوة عسكرية طاغية ورعباً زرعته في قلوبهم ٧٤ سنة من القمع. من هؤلاء:

• إليا كرينتشفسكي، مهندس معماري شاب رفض قبل زمن اخضاع مهاراته لرغبات الدولة، وها هو يتحدى وجهها القاسي.

• الرائد سيرغي يفدوكيموف، قائد وحدة دبابات لم يتردد من قبل في تنفيذ أوامر رؤسائه، الى أن أرسل لاخضاع مواطنيه.

• ايما بروك، طبيبة قلب كانت تخشى انتقاد النظام القديم وها هي تختار البقاء في دائرة الخطر.

• يوري ايفانوف، موظف في البرلمان الروسي سُلِّم بندقية رشاشة وأُمر بالدفاع عن الموسيقي الاعظم في الاتحاد السوفييتي وإن اقتضى الامر التضحية بحياته.

هنا قصتهم المثيرة.

الاحد، ١٨ أغسطس (آب)، الرابعة بعد الظهر.

كان ميخائيل غورباتشيف رئيس الاتحاد السوفييتي، يمضي اجازته في دارته الريفية في شبه جزيرة القرم على بعد حوالى ١٥٠٠ كيلومتر جنوباً من موسكو. وكانت شعبيته في تدهور وزعامته موضع شك. وهو كان، بعد ظهر ذلك اليوم، يعد خطابا لمناسبة توقيع معاهدة اتحاد جديدة مع الجمهوريات التي اختارت الانفصال، وهي معاهدة تقلّص أكثر سلطة الحكومة المركزية.

في الرابعة والنصف اتصل غورباتشيف بأحد مساعديه الذي كان يمضي اجازته في منزل قريب. فتحدثا باختصار عن الخطاب، وأكد غورباتشيف نيَّته العودة الى موسكو في اليوم التالي، ثم انصرف الى عمله.

في الخامسة الا عشر دقائق دخل عليه قائد حرسه معلناً: "ان مجموعة من الشخصيات المهمة تطلب مقابلتك."

فرد غورباتشيف: "أنني لا أنتظر أحداً، فلماذا سمح لهم بالدخول؟"

أجاب رئيس الحرس: "لان يوري بليخانوف معهم." وهذا قائد المديرية التاسعة في جهاز الاستخبارات السوفييتي "ك.ج.ب." وهو مكلف حماية كل الزعماء الحكوميين، مما يعني أن وحدة الحراسة في دارة الرئيس هي بإمرته.

انتاب غورباتشيف قلق. فرفع سماعة هاتف ليجد الخط مقطوعاً. كان في مكتبه أربعة خطوط هاتفية وخط داخلي. جربها كلها فوجدها مقطوعة.

أدرك غورباتشيف للحال سبب مجيء هؤلاء الرجال. فتوجه الى غرفة أخرى ودعا عائلته — زوجته رايسا وابنته ارينا وصهره أناتولي — وأخبرهم بأمر الضيوف الذين أتوا من غير دعوة وخطوط الهاتف المقطوعة. كان الوضع خطيراً، فقد يحاول هؤلاء الرجال اعتقاله أو ابتزازه لتغيير خطه السياسي. لكنه أعلن أنه لن يستسلم لضغوط "وإن حدث أسوأ ما نخشاه."

ذهل أفراد العائلة، الا أنهم لم يترددوا في اعلان دعمهم للرئيس وعزمهم على الوقوف بجانبه حتى النهاية.

وحين عاد غورباتشيف الى مكتبه وجد الرجال الخمسة الآتين من موسكو قد وصلوا اليه. وهاله ان يرى فاليري بولدين بينهم، وهو مدير جهاز مكتبه الخاص وصديق العائلة منذ ١٥ سنة، فسألهم: "من أرسلكم الى هنا؟"

أجاب أحدهم: "لجنة الطوارىء."

قال غورباتشيف: "أنا لم أشكل لجنة طوارىء، ولا مجلس السوفييت الاعلى فعل."

فكان رد المجموعة الالحاح عليه ليوقع مرسوما يعلن حال طوارىء، فالبلاد في أزمة والحل الوحيد لتهدئتها هو اعادة النظام الى مسار الحياة اليومية. وطمأنه أحدهم:

"سوف نتولى نحن الجزء القذر من المهمة."

ضحك غورباتشيف بمرارة، فهو يعرف كل شيء عن النظام الذي يعنونه وعن ملايين الضحايا التي خلّفها. فواجههم قائلا: "أنتم، ومن أرسلكم، مغامرون متهورون. واذا شئتم أن تهلكوا أنفسكم فذلك شأنكم. يمكنكم الذهاب الى جهنم ان شئتم، ولكن انظروا أمامكم: غداً تعلنون حال طوارىء، وماذا بعد ذلك؟ سوف ترفضكم الأمة."

لكنهم لم يتزحزحوا. وطلبوا من غورباتشيف، اذا أصرّ على رفض توقيع المرسوم، أن يستقيل ويسلم السلطة الى نائبه جينادي يانايف.

قال لهم غورباتشيف: "لن تعيشوا طويلا، اذهبوا واخبروا لجنتكم أنني قلت هذا." ثم أدار لهم ظهره. وبعد دقائق سمع هدير سياراتهم وهي تغادر الدارة. كان وعائلته في أمان... حتى الآن.

وذهبت مع الوفد حقيبة غورباتشيف التي تحوي رموز اطلاق الصواريخ النووية السوفييتية، كما عُزل هو عن العالم. فقد قطعت وحدات عسكرية الطريق الى دارته، وسدّت طرّادات كل الممرات البحرية المؤدية الى المجمّع القائم على مساحة ٦٠ ألف متر مربع، ووضعت الطوافة الخاصة والطائرة الرئاسية من طراز Tu-134 تحت حراسة مشددة في المطار.

اختار كل أعضاء وحدة الحرس الشخصي البالغ عددهم ٣٢ البقاء للدفاع عن الرئيس. جال بعضهم في غرف المنزل محاولين تشغيل أجهزة التلفاز، فطالعتهم شاشات بيضاء فارغة، اذ قطعت أسلاك الهوائيات. وأمضى بعضهم الليل في محاولة تشغيل جهاز راديو قديم يعمل على الموجة القصيرة.

وفيما العائلة تتناول فطوراً كئيباً صباح الاثنين، أدخل أحد رجال الحرس جهاز الراديو الى غرفة الطعام ووصله بالتيار الكهربائي، فتحلق الجميع يستمعون الى همهمة الجهاز القديم وفرقعاته وهو يحمى. ثم سمعوا اذاعة غربية تبث بالروسية: "تفيد نشرة الوكالة السوفييتية للانباء (تاس) أن الرئيس ميخائيل غورباتشيف لم يعد قادراً على ممارسة مهماته الرئاسية بسبب مرضه. وقد انتقلت سلطاته الى لجنة الطوارىء الحكومية التي يرئسها جينادي يانايف."

أفاق إليا كريتشفسكي في التاسعة والنصف من صباح الاثنين. وهو مهندس معماري في الثامنة والعشرين من عمره، اعتزم مذ ترك عمله قبل سنة أن ينام متأخراً ويستيقظ متأخراً. كان والداه غادرا باكرا الى عمليهما، أما شقيقته وصهره اللذان يشاركانهم في الشقة الصغيرة في موسكو، فكانا في اجازة. ارتدى إليا ثيابه وأعد قهوة وجلس يشربها.

كانت حياته انتكست بعد عودته من أداء خدمته العسكرية في العام ١٩٨٨، فلم يعد يجد رضى وقناعة في العمل على مخططات تحددها تعليمات بيروقراطية وتقيدها، وهي غالبا مخططات لمبان لن تشاد أبداً.

ترك إليا عمله لهذه الاسباب. ومع أنه جرب أعمالا عدة فهو لم يشعر الا أخيراً بأنه يستعيد السيطرة على حياته، اذ شرع في بناء بيت صغير على قطعة أرض مشجرة يملكها والده في الريف.

عمل إليا في بناء البيت وحيداً طوال فصلي الشتاء والربيع، قانعاً بأن يراه يتشكل بين يديه ولا أحد من أجهزة الدولة يحصي عليه أنفاسه. وبدأت تحدوه آمال بمستقبل زاهر في بناء بيوت ريفية مماثلة.

في العاشرة صباحاً اتصل إليا بصديقه سيرغي غولوكولنكو الذي سأله هل سمع الاخبار.

فاستفهم إليا: "أي أخبار؟"

– عن غورباتشيف. لقد أطيح.

ضحك إليا معلقاً: "نكتة جيدة! ومن تسلم السلطة؟ ستالين ثانية؟"

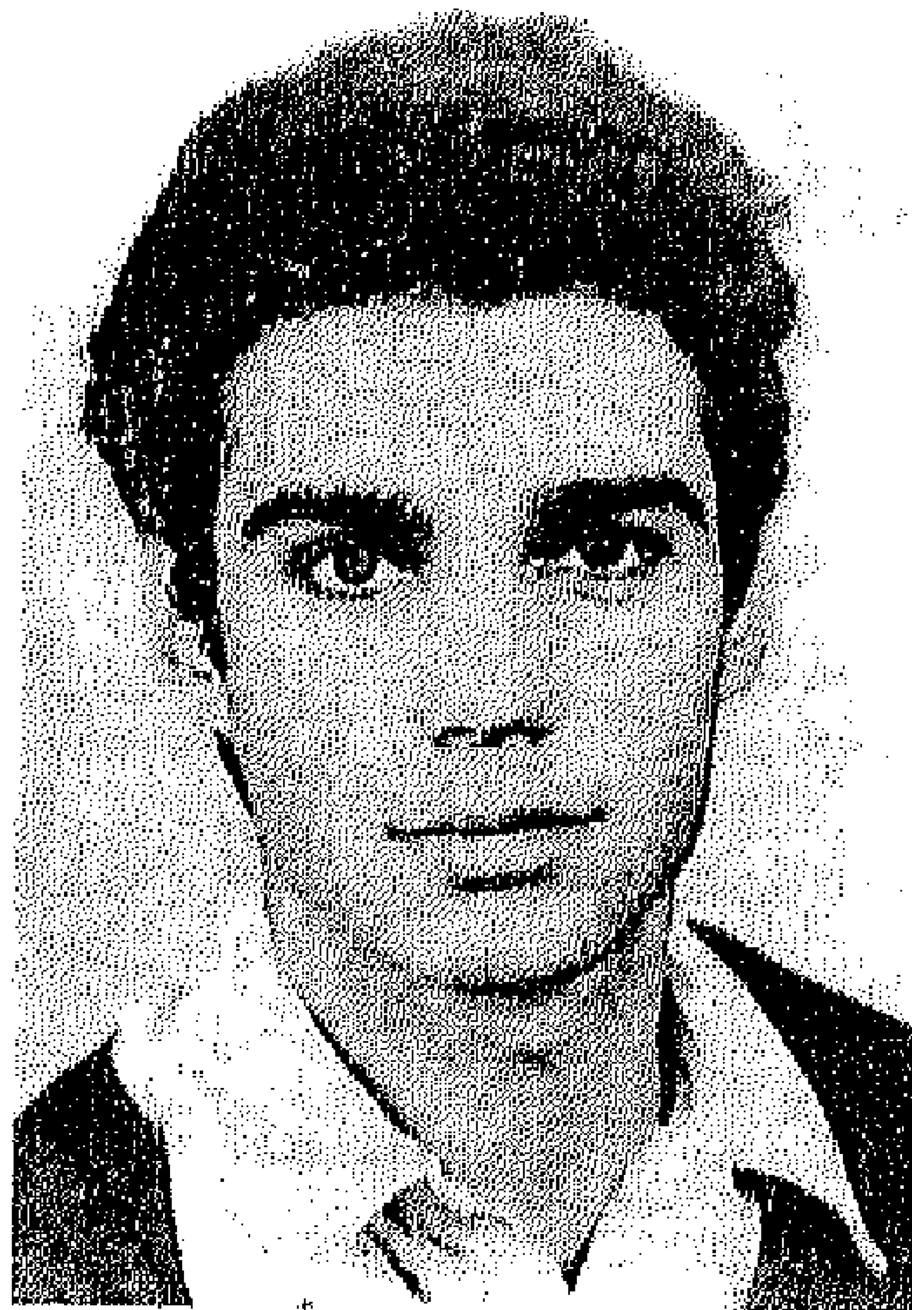
– اسمع، هذه ليست مزحة. غورباتشيف هو الآن خارج السلطة، وقد استولى الجيش والـ"ك.ج.ب." على الحكم.

فصمت إليا، ثم قال بصوت مرتعش: "كنت أظن أننا انتهينا من هذه التصرفات. ماذا يريدون منا؟"

– يقولون ان غورباتشيف مريض. وقد أعلنوا حال طوارئ في البلاد.

صمت إليا ثانية ثم قال لصديقه: "لا يمكن السماح بأمر كهذا. على الشعب أن يقول كلمته. عليه أن يقول لا."

كان عدد من مستشاري غورباتشيف وبعض الزعماء الغربيين، حذروه من محاولة انقلابية تقودها مجموعة من المتشددين الذين تكمن قوتهم في الحزب وفي الـ"ك.ج.ب." وفي البنية الصناعية – العسكرية الهائلة. وكانت الاصلاحات الاقتصادية خلال السنوات الست الاخيرة تأكلت سلطة هؤلاء، فصار الناس فجأة أحراراً في انتقادهم. كما عمد



إليا كريتشفسكي
مهندس معماري.

بوريس يلتسين، رئيس جمهورية روسيا الاتحادية، الى حظر الحزب الشيوعي في المصانع والمكاتب الروسية. وفيما تهاوى الاقتصاد المتعثر الذي خُطط على مبدأ المركزية القوية، خزن المزارعون الحبوب آملين ارتفاع الاسعار، وانخفض الانتاج الصناعي، وطبعت الدولة مليارات من الروبلات لتغطية العجز المتعاظم في الموازنة.

وفيما أكدت ليتوانيا وجمهوريات أخرى عزمها على الانفصال عن سلطة الكرملين، كشف فلاديمير كريوتشكوف، رئيس الـ"ك.ج.ب." مخاوف الجناح المحافظ في الدولة، في خطاب متلفز أثار قشعريرة، قال فيه: "اننا نواجه خطر تفكك الاتحاد السوفييتي." وأضاف بصرامة: "سوف تستخدم قوات الامن كل الوسائل المتاحة لمواجهة الموجة المعادية للشيوعية."

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ أجبر المتشددون غورباتشيف على التخلي عن برنامج اصلاح اقتصادي مدته ٥٠٠ يوم. فعيَّن بعد شهرين واحداً منهم هو البيروقراطي المحترف جينادي ياناييف نائبا لرئيس الجمهورية.

لم يكف ذلك لتهدئة المتشددين، فأمروا في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ بهجوم بالدبابات على جمهرة من المدنيين الليتوانيين العزل كانوا يحرسون مبنى محطة التلفزيون في العاصمة فيلنيوس، فقتل ١٣ مدنيا.

لكن خشية الاحتمالات التي تضمنتها معاهدة الاتحاد الجديدة هي التي حركت الانقلابيين. فهي تقضي، اذا ما وُقّعت، بنقل السلطات الضريبية والسيطرة على الموارد الطبيعية وشؤون الامن الداخلي الى الجمهوريات المختلفة، مما يعني تقويض السلطة المطلقة لموسكو، كما يعني الغاء الامتيازات الخاصة.

خلال ذلك الصيف، قرر البعض داخل مجموعة المتشددين ألا يدعوا ذلك يحصل.

الانقلاب

الاحد ١٨ أغسطس (آب)، الثامنة مساء.

اجتمع المتآمرون مرتين خلال عطلة نهاية الاسبوع ليضعوا الخطوط الاولية لعملية الاستيلاء على السلطة. كان تعاون غورباتشيف، أو اذعانه على الاقل، شأناً حيوياً في خطتهم. فهم يحتاجون اليه لتوقيع مرسوم الطوارىء.

ثم وصلت الاخبار المقلقة عن رفض غورباتشيف كلا الامرين. فاجتمع المتآمرون المذهولون في أحد مكاتب الكرملين يتلمسون طريقة للتراجع. فأخبرهم بولدين أن أوان ذلك قد فات. فهم جعلوا من غورباتشيف سجينا، وهو يعرفهم كلهم، وسوف يواجهون السجن أو ما هو أسوأ.

مضى الليل ولم ينقطع سيل القهوة. وتنامت جرأة المتآمرين بتأثير من

كريوتشكوف، فطلعوا أخيراً بخطة جديدة: سوف يعلنون للامة أن الرئيس غورباتشيف يعاني مرضا خطيراً وأن لجنة الطوارىء الحكومية ستنقذ البلاد من الاخطار المحدقة بها. ومن سخرية القدر أن يكون كل عضو في تلك اللجنة ارتقى الى منصبه على يد غورباتشيف واعتبر زميلا مقرباً من الرئيس أو صديقاً شخصيا له.

سُمّي نائب الرئيس ياناييف رئيسا بالوكالة. وصيغت قرارات وكتبت، ومنها حظر الاحزاب السياسية ومنع التظاهر، على أن تتلى عبر شبكة الاذاعة الحكومية.

عمل المتآمرون حتى منتصف الليل في إعداد أوامر للوحدات العسكرية وتحديد الصحف المنوي اغلاقها وتعيين الاشخاص الذين سيُحتجزون. كما أصدروا أمراً بتوريد ٢٥٠ ألف قيد (صفد) من مصنع في بسكوف و٣٠٠ ألف أمر اعتقال غفل.

لكنهم ارتكبوا في استعجالهم عدداً من الاخطاء الجسيمة، أفدحها اخفاقهم في تحييد الرجل الذي أصبح خصمهم الرئيسي.

مع بزوغ شمس الاثنين أوقظ بوريس يلتسين من نومه في دارته الريفية في غابة من شجر البتولا على مسافة حوالى ١٩ كيلومتراً من موسكو، وأبلغ نبأ الانقلاب. ويلتسين رجل ضخم الجثة وصاحب شخصية غريبة الاطوار، وصل الى مركزه رئيسا لكبرى جمهوريات الاتحاد السوفييتي بانتخابات حرة، خلافا لغورباتشيف وزعماء الكرملين الآخرين. كان له ما افتقده هؤلاء: علاقة مباشرة مع الشعب.

وثق الناس بيلتسين، ليس بالضرورة لانه يمثل الحركة الديموقراطية – التي كان معظم الروس لا يفهمونها جيداً – وانما لانه قطع صلاته بالكرملين. كان غورباتشيف يتكلم دائماً ويشرح، أما يلتسين فكان يفعل.

ارتدى يلتسين ثيابه بسرعة واستدعى الاعضاء الرئيسيين في حكومة روسيا الى دارته. كان الغضب رد فعله الاول على الانباء، والمقاومة قراره الغريزي. بدأ رجاله يصلون في السادسة صباحاً، وباشروا اعداد نداء الى مواطني روسيا لمواجهة الانقلاب. دعا النداء الى اضراب عام وطالب بالسماح لغورباتشيف بالظهور أمام الشعب.

وافق يلتسين سريعاً على صيغة النداء، وتحول الاهتمام الى سؤال حاسم: هل تبقى المجموعة حيث هي أم تحاول الوصول الى مبنى البرلمان الروسي في وسط موسكو؟ كان عدد حراس يلتسين الشخصيين لا يتجاوز الستة، والعودة الى موسكو تعني اجتياز حواجز المظليين والدبابات التي بدأت تسيِّر دوريات في موسكو.

كان الموقف حرجاً والقرار خياراً بين الاستكانة وتصعيد حرب حقيقية على الانقلابيين.

تطلع يلتسين الى مساعديه وقال: "سوف نذهب."

فوزعت نسخ من النداء على مجموعة من المناصرين توجهوا الى موسكو عبر طرق مختلفة. وارتدى يلتسين سترته الواقية من الرصاص وودع زوجته وابنته. فقالت له هذه: "كل شيء يتوقف عليك الآن يا أبي."

في موسكو، كان بعض الانقلابيين بدأ يدرك جسامة الخطأ في عدم تحييد يلتسين، فأُصدر أمر باعتقاله وهرعت وحدات من الـ"ك.ج.ب." جنوباً. وفي نقطة ما على الطريق مر موكب يلتسين في محاذاة سيارات الـ"ك.ج.ب."، كل في اتجاه، ووصل هؤلاء الى دارته متأخرين ١٥ دقيقة.

اجتازت سيارة يلتسين والسيارات المواكبة خطوطاً من الآليات المدرعة. وبعيد العاشرة صباحاً دخل الزعماء الروس مبنى البرلمان. وكانت خطوة يلتسين الاولى الدعوة الى مؤتمر صحافي، اذ أدرك أن عليه تجنيد وسائل الاعلام لايصال الحقيقة الى الشعب.

متاريس وحواجز

ايما بروك طبيبة قلب في الخمسين من عمرها تقيم في جوار مبنى سفارة الولايات المتحدة في موسكو. وكانت منذ فترة تستيقظ باكراً على أصوات الحفارات ومطارق العمال وهم يصلحون الدمار الذي ألحقه حريق بالمبنى. لكن صمتاً تاماً أطبق هذا الصباح.

ثم أذيع البيان المقتضب على شاشة التلفاز: لقد قادت اصلاحات غورباتشيف الاتحاد السوفييتي الى كارثة قومية. ان أخطاراً مميتة معلقة كالسيف المسلط فوق الوطن الام، وقد انتقلت كل السلطات الى لجنة طوارئ من ثمانية أعضاء.

كانت ايما تشاهد التلفاز وقد شلّتها الصدمة. هل يمكن أن تعود بلادها الى الوراء، الى ما قبل البريسترويكا،[1] حين كانت تمضي الليالي في غرفتها تقرأ النشرات المحظورة ويرعبها أي صوت خشية أن تكون الشرطة في الطريق لاعتقالها؟

كانت إيما على صلة بأوساط المنشقين، لكنها لم تمارس هي نفسها أي نشاط. فقد خافت على ابنتها بعد وفاة زوجها في العام ١٩٧٥، فمن سيعنى بالطفلة إن هي أرسلت الى معسكرات العمل؟ ثم تزوجت ثانية، ولزوجها الثاني ابن وابنة يضيفان الى خشيتها خشية.

كان عهد غورباتشيف يمثل لها ولعائلتها ثورة فاشلة، فقد تسارع انهيار الاقتصاد، واستشرى الفساد، وظلت أقسام في المستشفيات مغلقة الا على نخبة نافذة. غير أن

(١) البريسترويكا هي سياسة الاصلاح التي اعتمدها الرئيس السوفييتي غورباتشيف.

إيما رأت معجزة في اطلاق سجناء سياسيين وتحرير أجهزة الاعلام من قبضة الرقابة الحكومية. كانت تسرع في السادسة من صباح كل أربعاء لشراء صحيفة "موسكو نيوز" التي دأبت على كشف الفساد المتفشي في أوساط علية القوم، والامتيازات التي يتمتعون بها، وعلى فضح زيف التاريخ المدوّن. وفي المساء كانت إيما تشاهد أشرطة تلفزيونية وثائقية تعالج قضايا المجتمع بصدق وصراحة. أخيراً بات في امكان الناس أن يفصحوا عن مشاعرهم في الاتحاد السوفييتي.

أما الآن...

خرجت إيما ذلك الصباح لتفعل ما يفعله الروس عادة عندما تواجههم ضائقة: يسرع من أودع مالا في مصرف الى سحب ماله قبل أن يجمّد حسابه، فيما يصطف آخرون في طوابير لشراء ما توافر من مؤن في المخازن قبل نفادها.

ساد جو من الجنون سوق البقالة حيث تتبضع إيما عادة. وكان الرجال والنساء يتدافعون بالمناكب للحصول على مكان في الطابور.

شقت إيما طريقها وسط الجمهرة وأخذت مكاناً في صف لشراء الزبدة. كانت مناقشات جارية حولها. قالت امرأة: "أخيراً سيستتب النظام."

فردت إيما وقد أعماها الغضب: "عن أي نظام تتحدثين؟ أن تكوني خلف أسلاك شائكة وغذاؤك طاسة حساء يوميا؟ هذا ما سيكونه النظام الذي تطلبين." ثم تذكرت كم كان خطراً التفوه بعبارات معادية للنظام في أماكن عامة. وأحست بالخوف يتصاعد داخلها فصمتت.

عادت إيما الى غرفتها ووقفت الى الشرفة تنظر ناحية مبنى البرلمان وتراقب الناس يتجمعون حوله. كان رجال ونساء يحملون قطعاً من الخشب وأنابيب معدنية وحجاراً. فأدركت ما ينوون: كانوا يقيمون متاريس وحواجز.

لم يسمع على الراديو صباح ذلك الاثنين الا موسيقى كئيبة، فيما عرضت محطة التلفزيون الخاضعة لامرة الكرملين باليه "بحيرة البجع" مرة تلو أخرى.

لقد وقع المستحيل والمحتوم في آن: شلّت ست سنوات من البريسترويكا مؤسسات نظام تسلّطي من دون أن تقدم بديلا. وفقدت الشيوعية صدقيتها، لكنها لم تمت. وها هم أرباب الحزب والمؤسسة العسكرية والـ"ك.ج.ب." المعرضون لخسارة كل شيء، يردون الضربة.

تحرك ضباط الـ"ك.ج.ب." الى المطابع في أنحاء المدينة وأوقفوا طبع الصحف. وأُصدرت تعليمات لمحطة تلفزيون روسيا المستقلة بالتوقف عن البث، كذلك "اذاعة روسيا" ومحطة "صدى موسكو" المحلية. وفي ردة الى أيام "الحرب الباردة،" حوّل

الموسكوبيون أجهزة الراديو لاستقبال محطات "اذاعة الحرية" والاذاعة البريطانية «BBC» و"صوت أمريكا."

رابطت الدبابات في هذه الاثناء حول محطة التلفزيون المركزية ومباني وكالات الانباء، فيما هدرت الآليات العسكرية في المدينة تهز النوافذ والابنية.

الى "البيت الابيض"

استيقظ يوري كرياكين ذلك الصباح على صوت زوجته: "يوري، لا تقلق، ولكن..." فمد يده غريزياً نحو حبوب الدواء. لقد عانى ثلاث نوبات قلبية خلال سنة، واذ سمع كلمات زوجته ظن أن والدته العجوز توفيت. ولم يلبث أن شعر بارتياح، رافقه شعور بالذنب، عندما أكملت زوجته كلامها وأخبرته أن الجيش اعتقل غورباتشيف واستولى على السلطة.

لكن ارتياحه لم يدم سوى لحظات. كان يوري كرياكين ناقداً أدبياً ونائباً في البرلمان السوفييتي وأحد المقربين من يلتسين. وهو تحدى الشيوعية منذ عهد بريجنيف. وأوقعه دفاعه عن الروائي ألكسندر سولجنتسين في الستينات في مشاكل مع السلطة. كما تضمن خطابه الاول بعد انتخابه عضواً في البرلمان اقتراحاً "وقحاً" بدفن جثمان لينين المعروض في ضريح فخم في الساحة الحمراء منذ ١٩٢٤.

جلس كرياكين برهة يقاوم شعوراً باليأس ويخطط لخطواته التالية في مواجهة هذا الانهيار المفاجىء للديموقراطية الفتية التي غامر من أجلها بكل شيء.

بدأ بيومياته، أغلى ممتلكاته. فأرسل في طلب ابن شقيقه، وسلّم الشاب المذهول توثيق أربعين عاما من حياته، اذ كان متأكداً من أنه سيعتقل قريباً.

ناداه البستاني العامل في حديقة منزله: "يوري فيدوروفيتش! الفاشية لن تنتصر، قل لهم ذلك!" فأحس كرياكين بطمأنينة اذ تذكر أن أحداً لم يجرؤ على التفوه بكلمة عندما أطيح خروتشيف.

كان مطر خفيف ينهمر فيغسل الواجهات الهرمة ويملأ الحفر في الشوارع. وحين وصل كرياكين الى مبنى البرلمان أشار اليه حاجز بالتوقف. فأبرز بطاقة عضويته في البرلمان السوفييتي، فلم يفده ذلك. عندئذ أبرز بطاقة عضويته في مجلس يلتسين الرئاسي. فقال



يوري كرياكين
ناقد أدبي ونائب في البرلمان السوفييتي.

له الحارس: "لماذا لم تقل هذا منذ البداية؟" وسمح له بالمرور.

مقر برلمان روسيا الاتحادية مبنى ضخم من الرخام الابيض شاعت تسميته "البيت الابيض على ضفة نهر موسكو" رمزاً للديموقراطية الروسية المتبرعمة. وعندما ارتقى كرياكين السلم الى سطيحة المبنى، كان الناس بدأوا يتجمعون هناك طالبين أخباراً جديدة وباحثين في وجوه القادمين.

عرفه أحدهم فهتف: "ماذا يحدث؟"

فصرخ كرياكين مجيباً: "لن ينجوا بفعلتهم!"

هلل له بعض الموجودين. ودخل هو المبنى من دون أن يعترضه أحد. كان جو من الضياع يسود الداخل، والناس يهرعون عبر الممرات. وخطر ببال كرياكين أن مجموعة منظمة من الرجال يمكنها السيطرة على المبنى، وطمأن نفسه بأن يلتسين حي ويتابع عمله في مكتبه في الطبقة الخامسة.

انتبه كرياكين الى أنه نسي دواءه، فقفل الى المنزل، لكنه عرّج في الطريق على مكاتب صحيفة "موسكو نيوز." كانت السلطات أغلقت مطابع الصحيفة لكنها لم تصادر الآلات الناسخة. وكان جهاز الصحيفة يعمل على استنساخ منشورات تندد بالانقلاب وبمن وراءه. وكان من الضروري ايصال النسخ الى الناس في الشوارع واعادة نسخها وتعليقها على الجدران وتوزيعها على وكالات الانباء الاجنبية في المدينة، فانضم كرياكين الى العمل في الصحيفة بدلا من الذهاب الى بيته. وهو عاد لاحقاً الى "البيت الابيض" من دون دواء.

كان الجمهور خارج المبنى غفيراً على رغم رداءة الطقس. وقد عمد أحدهم الى ضبط الامن، فأقيم طوق من الرجال سد المدخل. وعرّف كرياكين عن نفسه كأحد مؤيدي يلتسين فسمح له بالدخول.

"ألست خائفاً؟"

انطلق ألس أداموفيتش، وهو روائي من جمهورية بيلوروسيا (روسيا البيضاء) وعضو في البرلمان السوفييتي، في اتجاه ساحة مانيزه تحت جدار الكرملين. والساحة ملتقى الموسكوبيين في الافراح والاتراح والشدائد. كانت الجماهير في هذا الوقت – قرابة ظهر الاثنين – تتجمع في الساحة تحت المطر. وكان حشد في زاوية هناك يطلق هتافات تشجيعاً لسائق رافعة حرك آليته الكبيرة جيئة وذهابا عبر تقاطع الطرق مناوراً بمهارة لوقف تقدم طابور من الآليات العسكرية.

تدفق الى موسكو نحو ١٠ آلاف جندي ومئات من الدبابات وناقلات الجند المدرعة. أقام بعضهم مواقع على الجسور والطرق الرئيسية حول المدينة وفي وسطها، فيما

تحرك آخرون الى مركزي تجمّع في الشمال جاهزين لضرب أي مقاومة.

ذعر الناس أول الأمر. لكن هؤلاء الجنود، خلافاً لتصرف جيش متوجه الى معركة، كانوا يلوحون للمارة. وكانت مدافع بعض الدبابات مغطاة بمشمعات، وكان كثير من الناقلات خالياً من مدافع رشاشة. وحين توقف الجنود لأخذ مواقعهم لم يترددوا في الاختلاط بالناس، حتى انهم كانوا يساعدون الصغار التائقين الى تسلق المدرعات.

وتحلقت جماعات في الساحة حول خطباء ندد معظمهم بالانقلاب. لكن خطيباً من المتشددين قال إن الانقلاب كان يجب أن يحصل قبل زمن طويل مضيفاً: "يجدر بهؤلاء الديموقراطيين أن يشدوا رحالهم ويتوجهوا الى المطار ما دام مفتوحاً."

فردّت الجموع بصراخ هازىء، فأسرع الرجل في الاختفاء.

انتشر مؤيدو يلتسين في الساحة حاملين مكبرات صوت وهم يشجعون الناس على التوجه الى "البيت الابيض" حيث سيتكلم فيهم بوريس يلتسين. وفيما أداموفيتش يتحرك في ذلك الاتجاه، لحقه مارك دايتش مراسل "اذاعة الحرية" وسأله: "ألست خائفاً؟"

فهز الروائي كتفيه بلامبالاة وأجابه: "لقد تعلمنا نحن الروس أن نعيش تحت شعار: لا يمكن أن تسوء الامور أكثر. أما أنا فقد تخطيت الستين ولم أعد أخاف شيئاً."

بدأ يلتسين مؤتمره الصحافي في الحادية عشرة صباحاً. واكتظت القاعة بالمراسلين والديبلوماسيين الاجانب. وهو وصف الانقلاب بـ"الجنون" معلناً: "لا أحد يزيحني من مركزي الا الشعب الروسي."

أصبح "البيت الابيض" بعد هذه الكلمات غير الهيابة مقر قيادة مقاومة الانقلاب. وكان مئات من المتظاهرين بدأوا يمورون حول المبنى، ومساعدو يلتسين يوزعون نداءه "الى مواطني روسيا." وخلال ٢٤ ساعة كانت نسخ النداء ألصقت على الجدران في أنحاء موسكو.

وكان الناس على المتاريس يتقاربون اتقاء للمطر. وارتفعت معنوياتهم بالقصص المتناقلة عن مواطنين لهم يواجهون قوى الانقلابيين: عن امرأة شابة تحمل طفلها بين ذراعيها وتتقدم غير هيابة لتقف في طريق رتل من الدبابات. وعن جمهرة على جسر كالينين تجبر عشر ناقلات جند على التراجع.



الس أداموفيتش
روائي ونائب في البرلمان السوفييتي.

كانت الجموع في أنحاء موسكو تحاوط الدبابات ما ان تبطيء أو تتوقف، وتناشد عناصرها ألا يطلقوا النار على مواطنيهم.

لا عنف

أنهى إليا كريتشفسكي حديثه الهاتفي مع صديقه سيرغي وأدار الراديو. فسمع موسيقى جنائزية. وهو كان يغلي غضباً بسبب أنباء الانقلاب، فراح يذرع شقته الصغيرة، ثم قرر أن يذهب لرؤية صديقه.

وتروي عنه شقيقته مارينا أنه ينزع الى مواجهة الاحداث بحماسة أكثر من سائر الناس، لان له روح فنان. كان يكتب الشعر، وكانت قصائده تؤثر في أخته عميقاً. لكن هذه القصائد لم تمنحه رضى أبداً. وكانت والدته مهندسة ووالده مهندساً معمارياً مثله ورساماً في الداخل. وقد غطت رسومه جدران المنزل وعرضت في صالات موسكو الفنية: صروح قديمة وقوارب صيادين ومناظر بحرية ساكنة، رسوم تحمل كآبة الحياة في روسيا.

كانت العائلة تعيش براحة على رغم أنها ضمت خمسة بالغين في شقة من غرفتين. وكان إليا ينام في غرفة الجلوس. وعندما سألته مارينا مازحة لماذا لا يتزوج، أجابها: "وأين نسكن؟"

أما الآن فقد ملأت الذكريات السود رأس إليا وهو في طريقه الى منزل صديقه. أي مستقبل يتوقعه المرء اذا عادت البلاد الى زمن بريجنيف؟ ستعود الخيارات التي كانت آنذاك: اعمل حيث يريدونك، وأفعل ما يطلب منك، والا فالسجن!

مع ذلك غمرته شعاعة من التفاؤل العنيد. أحس أن الحركة الديموقراطية ستنتصر وأن الانقلاب سيفشل لان الشعب تذوق طعم الحرية ولن يتخلى عنها. ووافقه سيرغي الرأي عندما التقيا، وقال ان كثيرين يبدون معارضين للانقلاب. لكن السلاح كان في يد لجنة الطوارىء، والشعب غير منظّم وسيتعرض لمجزرة اذا اختار المقاومة. وأنهى سيرغي كلامه بحزن: "انك تعرف تاريخ هذا البلد."

لكن إليا رفض الفكرة قائلاً: "لا، يجب ألا نلجأ الى العنف. فالعنف لم يحلّ مسألة قط." وهذه قناعة لازمته منذ زمن بعيد. كان إليا قبل سنوات يعمل في قرية ريفية عندما حدثت مشادة بين بعض أهل القرية دونما سبب مهم، تلاها وعيد وتهديد. فشهر أحد القرويين بندقية، وتحول ما كان نزاعاً كلامياً أزمة بشعة تنذر بسوء.

ران الصمت على المجموعتين المتخاصمتين، وسُمع صوت صلْي البندقية كأنه فرقعة رعد. تغلب إليا على خوفه وخطا نحو البندقية المصوّبة وقال لحاملها: "لن يحل اطلاق النار شيئاً. ما زال في امكاننا أن نغادر المكان وغداً نكون نسينا كل شيء. أما

اذا أطلقت النار فسنندم جميعنا، وأنت أكثر من الجميع."

خفض الرجل ماسورة بندقيته وهو يحدق متحدياً. ثم تباعدت المجموعتان. وعبرت الازمة، لكن أصدقاء إليا وعائلته سوف يكون لهم ما يذكرهم بتلك الحادثة.

يلتسين على دبابة

داخل مبنى البرلمان، جلس يلتسين وقرابة ٣٠ نائباً متجهمين يقوّمون القوى المتوافرة لديهم لمقاومة أي هجوم: ٣٠٠ من قوات وزارة الداخلية بمن فيهم نحو ١٠٠ تلميذ شرطي، وأقل من ١٥٠ رشاشاً.

كان واضحاً أنهم ليسوا نداً لدبابات الكرملين وعسكره، لكن قوتهم كانت تكمن في الشعب، في تلك النفوس الشجاعة الواقفة تحت المطر المستعدة للتضحية بالروح في سبيل روسيا حرة.

قرابة الاولى بعد الظهر مشى يلتسين بخطوات واسعة خارج بوابة البرلمان. وسرعان ما تعرف الناس الى عفرة شعره الابيض فتدافعوا نحوه هاتفين "يلتـ...سين! يلتـ...سين!" فلوّح للناس، لكنه تابع سيره عبر سطيحة المبنى فيما حراسه الشخصيون يهرولون للحاق به. وهبط درجات السلم الطويلة الى الشارع. وهناك، وسط دهشة كل من رآه، تسلق الدبابة الرقم ١١٠ من فرقة "تامانسكي" المدرعة وصافح عناصرها.

تطلّع يلتسين، من فوق، الى الوجوه: مئات من الناس التائقين الى من يطمئنهم الى أنهم ليسوا على أبواب العودة الى الماضي. وتحدث اليهم مخاطباً، عبرهم، كل الروس واضعاً حياته في مواجهة الخطر باعلانه الصريح أن الانقلابيين يواجهون معارضته التي لا عودة فيها. وجدد دعوته الى الناس للمشاركة في اضراب عام ولمكافحة الانقلاب بكل الوسائل. وأنهى كلمته قائلاً: "لن ينتصر الرجعيون!"

استبد القلق بيوري ايفانوف، أحد مساعدي يلتسين الشباب، في غمرة الهتاف الذي تلا الخطاب، وهو يرى حرس رئيس الجمهورية يفتشون النوافذ وسطوح المباني خوفاً من وجود قناص. ولم يستطع أن يغالب التفكير في الرئيس الامريكي الراحل جون كينيدي الذي قتل في دالاس وسط جمهور من مؤيديه الهاتفين. ولم يعد اليه الارتياح الا عندما قفز رئيسه الى الارض ودخل مبنى البرلمان سالماً.

كان العالم، بحلول مساء ذلك اليوم، سمع بالاضطرابات في الاتحاد السوفييتي. وكانت غالبية ردود الفعل متشائمة كئيبة. وحل التشاؤم ذلك الاثنين على أسواق المال في أنحاء العالم، فيما هبطت أسعار الاسهم على نحو حاد. وعينت قيادة حلف شمال الاطلسي موعداً لاجتماع طارىء، وقطع الرئيس الامريكي جورج بوش اجازته في ماين

ليعود الى واشنطن. وهو وصف أنباء الاتحاد السوفييتي بأنها "تطورات مقلقة." وعلّق كل المساعدات الاقتصادية التي وعد بها الاتحاد السوفييتي. ثم خاطب الصحافيين قائلا: "الانقلابات قد تفشل، فربما تصطدم بارادة الجماهير."

وتقاعس بعض الزعماء عن تحديد موقف من الاحداث. فناقش الرئيس الفرنسي فرنسوا ميتران مسألة الانقلاب في مقابلة تلفزيونية عاصفة، الا أنه لم يطلب اطلاق غورباتشيف، وتقبّل ياناييف زعيماً موقتاً للاتحاد السوفييتي، وألمح الى أنه مستعد للتعامل مع النظام الجديد.

في هذه الاثناء، حقق اثنان من أعضاء لجنة الطوارىء طموح العمر: أن تكون لهما مكاتب في مبنى الزعماء، في الكرملين. وكان عمال فرغوا من نقل أثاثهما وبعض ممتلكاتهما الشخصية اليه.

قرار حاسم

مضى نهار الاثنين متباطئا، واختلطت بالجماهير فرق استطلاع من "مجموعة ألفا" وهي القوة الضاربة المكافحة للارهاب في الـ"ك.ج.ب." وعمدت الى تسجيل أفلام فيديو لمداخل "البيت الابيض" وللترتيبات الامنية.

كان عدد الجماهير بالالوف، وهم شكلوا طوقا بشريا التف حول المبنى. ودبت الحياة فجأة في مكبرات الصوت المثبتة في أعلى المبنى معلنة بدء البث من "اذاعة البيت الابيض." وتكلمت بيلا كوركوفا، وهي مذيعة تلفزيونية معروفة، من استوديو اذاعي مرتجل أقيم في الطبقة السفلى من مبنى البرلمان. قالت إن المحطة لن تتوقف عن البث حتى تنتهي الازمة، وستذيع أنباء أي تطور قد يحصل، وسيتحدث النواب عبرها الى الجماهير، وستكون هناك برامج ترفيهية أيضا.

تمكن يلتسين لاحقاً من اجراء اتصال بالرئيس "المسمى" الجديد جينادي ياناييف، قال له: "لا تنسَ أننا لا نقبل عصبتكم من قطاع الطرق!"

فرد ياناييف محذراً: "اننا لن ننسى شيئاً!"

ذلك المساء، في اجتماع سري في وزارة الدفاع، عهد الى الجنرال فيكتور كاربوخين من جهاز الـ"ك.ج.ب." في تنفيذ هجوم واسع النطاق على مبنى البرلمان الروسي تشكّل رأس الحربة فيه "مجموعة ألفا" الضاربة. تحرك كاربوخين من فوره برفقة ضابط آخر لاجراء معاينة شخصية للحواجز حول "البيت الابيض،" فاكتشف أنها، على رغم مظهرها المهيب، سهلة الاختراق.

كانت خطته تقضي باقتحام المدخل الرقم ٢٠ حيث تجمع أقل عدد من الناس، بواسطة خراطيم ماء وجنود مسلحين بالهراوات الخاصة بقمع التظاهرات يشقون ممرا

لمجموعة ألفا، فيما يطلق آخرون النار على النوافذ لتحويل الانتباه عن العملية الرئيسية. وكانت مهمة الفرقة الهجومية احتلال مكتب يلتسين. وتقرر استخدام طوافات وقنابل غاز في الهجوم الذي عين موعده في الثالثة من فجر الاربعاء.

وقّع يلتسين في الخامسة والدقيقة العاشرة من مساء الاثنين مرسوما يضع كل الوحدات العسكرية في جمهورية روسيا الاتحادية في امرته. وانتشر أعضاء برلمانيون في المدينة لنقل الرسالة الى الجنود واقناعهم بالقاء سلاحهم.

وفي التاسعة مساء ظهرت "لجنة الطوارىء" المعينة ذاتيا في مؤتمر صحافي متلفز، ليعلن قادتها بحزن أن غورباتشيف يمضي فترة راحة لأنه "تعب جداً بعد كل هذه السنوات" ولا يمكنه الاستمرار في أداء مهماته الرئاسية. لكن ياناييف، الناطق باسمهم، هو الذي بدا مريضاً فعلا، يتصبب العرق منه ويداه ترتجفان. وهو أبلغ الى المشاهدين غير المصدقين أن القيادة الجديدة - التي بدا على أعضائها جميعا قلق يائس - ستنقذ البلاد على رغم أن الوضع أفلت من كل سيطرة.

كان للمؤتمر الصحافي تأثير معاكس لما سعى اليه الانقلابيون، فهو، بدلا من تهدئة الشعب، دفع ألوفاً جديدة من الروس الى الشوارع. وهم تدفقوا كالسيل من محطات المترو[٢] قرب "البيت الابيض" يحمل بعضهم أنابيب وحجار اسمنت التقطوها من ورشات بناء على الطريق.

سأل رجل امرأة مسنّة تجر قطعة من سياج خشبي: "الى أين أنت ذاهبة؟ سيبدأ اطلاق النار قريبا."

فأجابته المرأة من دون أن تتوقف: "ليطلقوا النار، فأنا لا أرغب في سماع مزيد من الاكاذيب."

وصل أعضاء من البرلمان ذلك المساء الى موقع الرائد سيرغي يفدوكيموف، قائد وحدة من عشر دبابات «T-72» و «T-80»الفضلى في ترسانة الجيش السوفييتي. كانت الدبابات مصطفة على الضفة الأخرى من نهر موسكو. وكغيره من الضباط الذين أرسلوا الى المنطقة، لم يكن الرائد يفدوكيموف يعي مهمته بوضوح، وأقلقه احتمال تلقي أوامر باطلاق النار على المواطنين. وهو أخذ قراراً فور قراءته مرسوم يلتسين، اذ استدار الى رجاله وأبلغهم أنهم سيعبرون النهر ويأخذون مواقع جديدة... للدفاع عن "البيت الابيض" وعن الناس الذين تجمعوا حوله.

أعلنت "اذاعة البيت الابيض" عبر مكبرات الصوت، فيما الدبابات تهدر عبر جسر كالينين وقد جلس نائب فوق كل واحدة، أن عشر دبابات هي في طريقها للمرابطة الى جانب الشعب، فطغى هتاف الجماهير على قرقعة سلاسل الدبابات ومحركاتها. وفتح لها

(٢) المترو هو القطار الجوفي (النفقي) في المدن الكبرى.

الناس طريقا وتحلقوا حولها لمصافحة الجنود، ثم أتوا بالزهور والطعام، ولفوا الدبابات بالاعلام الروسية ذات اللونين الابيض والازرق. وسرعان ما نقلت الاذاعات خبر تمرد الوحدة الى الداخل السوفييتي والى أنحاء العالم.

احتفظ الانقلابيون باليد الطولى على رغم أخطائهم الجسيمة.[٣] فعشر دبابات ليست الجيش بكامله، وكل ما يحتاج اليه الانقلابيون لسحق المقاومة الشعبية وحدة عسكرية موثوق بها ومستعدة لاراقة دماء.

ناشدت بيلا كوركوفا الجماهير عبر "اذاعة البيت الابيض": "ابقوا حيث أنتم، رجاء، انكم خير وسيلة دفاع لدينا. لا تتركونا وحيدين خلال الليل."

"أمي هناك!"

في الدارة الرئاسية على البحر الاسود، سجّل غورباتشيف في ظلمة الليل شريط فيديو يثبت أنه ليس مريضاً ولا متعاوناً بارادته مع الانقلابيين. وهو أعد أربع نسخ من التسجيل عهد فيها الى أربعة من مساعديه الخلّص، آملا أن يتمكن أحدهم من ايصالها الى أيد صديقة في حال اغتياله. ثم خرج هو وزوجته الى الشاطىء حيث راحا يتمشيان جيئة وذهاباً. كانا يقصدان أن يراهما الناس أحياء وبصحة جيدة، ثم أنهما لم يكونا يجرؤان على الحديث بحرية الا خارج المنزل.

لكن رايسا غورباتشيف لم تعد تلك المرأة الواثقة بنفسها كما عرفها العالم. فقد جفاها النوم، وباتت تخاف أن تدع عائلتها تأكل ما يقدم اليها من طعام لئلا يكون مسموما. كما عانت رعباً دائماً من أن تعمد "لجنة الطوارىء،" وقد أعلنت أن زوجها مصاب بمرض خطير، الى أخذ "الخطوات اللازمة لتحويل هذه الكذبة حقيقة."

قبل أن تمضي هذه الايام الحالكة، ستصاب رايسا غورباتشيف بسكتة دماغية (فالج).

لم يذق فالنتين بيرفيلييف، كبير مستشاري نائب الرئيس الروسي ألكسندر روتسكوي، طعم النوم في الليلة الاولى. كان قلقاً على الدفاعات الداخلية في "البيت الابيض"، فلا أحد يعرف عدد الموجودين داخل المبنى ولا من هم. وخلال تفقده القاعات، رأى أن الحرس أخذوا مواقع عند النوافذ بدلا من المداخل والمصاعد، وأن الناس يدخلون عشوائيا من غير ضابط.

أبلغ بيرفيلييف الامر الى روتسكوي الذي دعا الى اجتماع في السادسة صباحا أعدت خلاله خطة متكاملة للدفاع عن المبنى: ركزت الحراسة على السلالم والمصاعد،

(٣) من الغريب انهم لم يقفلوا طرق النقل المشترك ولم يقطعوا وسائل الاتصال، خصوصا من "البيت الابيض" واليه.

وأغلقت كل المداخل وحصّنت، الا ثلاثة منع عبورها الا لمن يملك سبباً موجباً. فلم يكن سراً أن عملاء الـ"ك.ج.ب." اختلطوا بالجماهير. وأُرسل رجال مسلحون ببنادق رشاشة الى سطح المبنى لاعاقة أي محاولة لهبوط الطوافات. كما أُقرت استراتيجية "القتال من طبقة الى طبقة" في حال اقتحام المبنى، لاجبار المهاجمين على شق طريقهم قتالا الى الطبقات العليا.

زحف الفجر رماديا ممطراً. واستقبل يلتسين اليوم الجديد بحلة نظيفة مكوية، اذ كان يحتفظ بخزانة ثياب في مكتبه. وصرح سكرتيره الصحافي بأن "الرئيس في خير حال. لقد عمل حتى الثالثة فجراً وأخلد الى النوم لفترة قصيرة ثم أفاق في الخامسة ليعود الى عمله."

جثم ألوف الناس في الخارج، حول البناء الابيض الذي بدا كشبح في رمادية الفجر، متقاربين تحت مظلات وخيم ارتجلت من أغطية وصفائح بلاستيك. وكانوا يصغون الى اشاعات سرت بينهم كالنار في الهشيم: "لقد سمعنا أن الرئيس غورباتشيف حي. ولا يزال محتجزاً في دارته في القرم على أيدي رجال الـ"ك.ج.ب." وهم يعلنون أنهم لا يضمنون حياته إن حصلت محاولة لتحريره بالقوة."

أطلّت الشمس من بين الغيوم. ولم ينقطع سيل الناس لا في المطر ولا في الصحو. كانت الجموع تخرج من محطة المترو وتأخذ مواقع حول مبنى البرلمان. وحملت مجموعة من النساء لافتة كتب عليها: "أيها الجنود! لا تطلقوا النار على أمهاتكم وأخواتكم!" وحملت لافتات أخرى كلمة واحدة: "حرية!"

زرعت الحواجز والمتاريس على كل التقاطعات المؤدية الى المبنى. وأغلق معبر "كالينين بروسبكت" بحافلات أوقفت في عرض الطريق. توقف سائق سيارة مذهولا وسأل سائقي الحافلات الواقفين قرب الحاجز: "هل فعلتم ذلك من تلقائكم أم أن أحداً أمركم؟"

فرد أحد السائقين: "نحن الشعب! فلا نحتاج الى أوامر."

واصل أعضاء البرلمان تحركهم عبر المدينة متصلين بالوحدات العسكرية. ومع أن بعض قادة الوحدات رفضوا لقاءهم، فان الجنود لم يخفوا مشاعر التأييد. وعندما سأل نائب جندياً عما اذا كان يعتزم اطلاق النار على الناس، أجابه هذا: "أمجنون أنت؟ أمي هناك!"

التقت مجموعة من النواب ظهر الثلثاء قافلة من الشاحنات العسكرية في طريق منسك الرئيسية. كانت الشاحنات متجهة الى وسط موسكو حاملة مصابيح كاشفة ضخمة تستخدم لاضاءة السماء ليلا أثناء عمليات انزال مظليين. ولم يكن قائد القافلة

يعرف سبب ارسالها، فقال له أحد النواب: "سأخبرك أنا السبب، إنها لدعم هجوم على برلمان روسيا الذي انتخب شرعياً. عد من حيث أتيت، وقل لمن أرسلك إنك خُيِّرت بين أمرين: فاما العودة واما تحطيم هذه الاضواء الفخمة وتحويلها شظايا."

وبعد ثلاث ساعات من المفاوضات والاتصالات الهاتفية، قفل بعض الشاحنات.

ذلك المساء ضاعفت تظاهرة ارتأها يلتسين أعداد الحشود حول البرلمان وفي الشوارع القريبة. وألقيت خلالها خطب في الجماهير. ثم ظهر ممثل كوميدي شهير على احدى الشرفات وأسعد الناس بنكاته اللاذعة عن "عصبة الثمانية." قال في احداها: "كنت أراقب ياناييف أثناء مؤتمره الصحافي. كيف يمكن أن يدار حكم نظيف بيدين قذرتين مرتجفتين؟"

ووزعت على الجماهير تقارير تفيد أن أعضاء في "لجنة الطوارىء" استقالوا لاصابتهم بأمراض لم تحدد.

بحر من الناس

جلست إيما بروك في بيتها مأخوذة بالمسرحية الجارية أمام عينيها قرب مبنى البرلمان. ثم سمعت ابن زوجها يقول انه سينضم الى الحشود هناك، فاستدارت نحوه. كان يوري في العشرين من عمره وطالبا في معهد موسكو، وهو قال لها: "ان مكاني هناك، بين الناس. أي حياة يمكن أن أتوقعها في هذه البلاد اذا انتصر الرجعيون؟"

وكانت إيما تعرف أن والده، المسافر في عمل، يريدها أن تثنيه عن المخاطرة، لكنها تأثرت بتصميمه على أخذ موقف. وفكرت في طُرُقها الاحتجاجية الواهية: قراءة الادب المحظور، والتفكير – من دون تنفيذ – في الانضمام الى حركة الانفصال. لقد أمضت حياتها مضطهدة من النظام الشيوعي، لكنها لم تفعل شيئا لمحاربته.

كان يوري عند الباب عندما قررت إيما أن الوقت حان للاشتراك في النضال، فقالت له: "انتظر دقيقة، انني آتية معك."

عندما وصلت إيما بروك الى "البيت الابيض" ذلك المساء، بدا المنظر مثل لوحة تركيبية: عشرات من المشاهد الصغيرة الزاخرة بالحياة تثير كلها شعوراً انفعاليا مفرداً: أطفال يتسلقون دبابات متوقفة في الشارع المطل على النهر، فيما آباؤهم الفخورون يلتقطون لهم صوراً. أناس يقفون قرب نار مكشوفة يحتسون الشاي ويستدفئون وسط البرد والرطوبة. شاحنة تتوقف ويوزع سائقها شطائر همبرغر كبيرة من محلات "مكدونالد."

رأت إيما أناسا يتوجهون الى سائق دبابة ويسألونه: "لماذا لا تدير دبابتك وتدافع عن المبنى؟"

فأجاب الجندي: "انني أتلقى أوامري من وزير الدفاع."
فرد رجل قائلا: "لكن وزير الدفاع مجرم!" وحرّكت شجاعة الرجل مشاعر إيما.

أبلغت "لجنة الطوارىء" في الرابعة الا ربعاً مساء انذاراً آخر الى يلتسين عبر الهاتف: "اسحب الحواجز والمتاريس واستسلم، أو واجه هجوما شاملا."
فأمر يلتسين بتوزيع الاسلحة والاقنعة الواقية من الغاز على الوزراء والنواب في مكتبه الخارجي.
وفي الرابعة والنصف خرج يلتسين لمصافحة الاشخاص الذين تجمعوا في المكتب، وكلهم من الذين عملوا معه لسنوات وهم الآن على استعداد للموت معه. واذ انتقل من واحد الى آخر بعزم وتصميم، كان يتوقف ليخاطب كل فرد منهم: "شكراً لكم لانكم قررتم البقاء. سوف نصمد مهما يكن الثمن."
وأتى المدد كذلك من بعيد، من لينينغراد، حيث ملأ بحر من الناس – ١٨٠ ألفا كما ذكر – ساحة القصر التي انطلقت منها شرارة ثورة ١٩١٧. وتحدى محافظ المدينة أناتولي سوبتشاك المتآمرين: "إننا لا نعترف بكم! نحن نريد حكم القانون!"
وحاول السفير السوفييتي في صوفيا عاصمة بلغاريا تأمين دعم لقادة الانقلاب، لكنه مس وتراً حساسا لدى الرئيس غير الشيوعي زيليو زيليف عندما حاول الضغط عليه، اذ تناول هذا سماعة الهاتف غاضبا واتصل بيلتسين معلنا دعمه اياه. فقال له الرئيس الروسي ممتنا: "انك أول زعيم أجنبي يتصل بي."
وتلقى يلتسين في السادسة والنصف مساء اتصالا من رئيس الوزراء البريطاني جون ميجور، وتباحثا في الضغوط التي يمكن أن يمارسها الغرب من أجل اطلاق غورباتشيف. وأخبر يلتسين رئيس الوزراء البريطاني أن الدبابات هي في طريقها الى مبنى البرلمان، وأضاف: "لا اظن أن لدي وقتاً كثيرا."
كان الجنرال كاربوخين أطلع ضباطه على خطة الاقتحام خلال اجتماعه واياهم ذلك المساء في القاعدة السرية لـ"مجموعة ألفا" في موسكو. كانت الخطة تقضي بالانتشار وأخذ المواقع في منتصف الليل، وبدء الهجوم في الثالثة صباحاً.
سأله الضابط ميخائيل غولوفاتوف عن مصدر الأمر، فأجاب كاربوخين: "إنه أمر من الحكومة."
سأله الضابط ثانية: "أي حكومة؟"
فاحمر وجه الجنرال غضبا، لكن غولوفاتوف عاند، ووقف الضباط الباقون معه.
كان رجال "مجموعة ألفا" نخبة صغيرة فخورة بمهنتها. وهم عملوا على إنقاذ أبرياء، كثيرين، بمن فيهم أطفال، من قبضة ارهابيين ومجرمين. لكنهم، في يناير

(كانون الثاني) ١٩٩١، أرسلوا الى فيلنيوس من دون ابلاغهم طبيعة المهمة هناك. وأمروا بالهجوم على مبنى محطة التلفزيون، فقتل واحد منهم اضافة الى الليتوانيين الثلاثة عشر. وها هم الآن يؤمرون ثانية بمهاجمة مدنيين. لم يكن أي منهم يشك في قدرة المجموعة على تنفيذ المهمة، فبصرف النظر عن عدد المدافعين عن "البيت الابيض"، لن يتمكنوا من الصمود طويلا أمام محترفين مدربين كهؤلاء. ولكن هل الاوامر شرعية؟ وماذا لو هاجمهم الجمهور واضطروا الى شق طريقهم قتالا؟ وكم من الاشخاص قد يقتلون؟

مرت الدقائق متباطئة والضباط يتداولون الامر. وأخيراً أخبر غولوفاتوف الجنرال المتقد غضبا أن الجواب هو لا. وبقيت الـ"لا" قاطعة على رغم التهديد بمحاكمات عسكرية واعدامات. للمرة الاولى في تاريخها ترفض "مجموعة ألفا" أمراً مباشراً.

كان واضحا داخل "البيت الابيض" أن يأس الانقلابيين، بفعل أخطائهم التكتيكية والتمرد في صفوفهم، يدفعهم الى توجيه ضربة واحدة حاسمة: الاستيلاء على "البيت الابيض" بؤرة المقاومة، وعندئذ يفوزون بكل شيء.

كانت دلائل استعدادهم لاستخدام قوات كبيرة بدأت تتضح خلال الساعات القليلة الماضية. فالسلاح الذي كان يتحرك عشوائيا بدأ يتجه للاطباق على "البيت الابيض." وكشفت المناظير المقرِّبة أن الاشخاص "الغامضين" الذين يراقبون مبنى البرلمان عن سطوح الابنية المجاورة لم يكونوا سوى قناصين مزودين ببنادق متطورة.

استمر تدفق الجماهير، وأعلن نائب الرئيس روتسكوي أن هجوماً قد يشن تلك الليلة بالدبابات أو بالطائرات أو بالغازات. وناشد الناس ألا يغادروا، فالساعات العشر الآتية قد تكون حاسمة.

وأقيم مركز اسعاف أولي أمام "البيت الابيض" وعادت إيما الى منزلها لاحضار مناشف وشراشف يمكن استخدامها أقنعة واقية من الغاز بعد بلّها بالماء. ولاحظت لدى عودتها أن عدد الاطباء يفوق ما يستوعبه المركز، فتوجهت الى حافلة حيث كان بعض النسوة يعددن شطائر، وجلست تساعدهن. كان المطر ينقر سطح الحافلة بايقاع منتظم فيما إيما تقطع الخبز والنقانق وتضع الشطائر الجاهزة في سلال لتوزيعها على الناس. وكانت تغادر الحافلة بين فينة وأخرى للاستماع الى نشرات الاخبار تبثها مكبرات الصوت.

وتصاعد التوتر خارج "البيت الابيض" مع اقتراب الظلام. وبات المطر ينهمر كالسيل.

في الساعة ٨،٤٣ سمع المتحلقون حول أجهزة الراديو اعلانا لحظر التجول بدءاً بالحادية عشرة. وكان كثيرون أحضروا قوارير "ترموس" عازلة للحرارة وبطانيات ومظلات، في نية واضحة للبقاء طوال الليل، سواء أحظر التجول أم لم يحظر.

وتكررت التقارير عن دبابات تقترب، ورافقت كل تقرير موجة من القلق سرت بين الجماهير. ثم أعلنت "اذاعة البيت الابيض" أن جنوداً مغاوير في لباس مدني قد يقودون الهجوم، لذلك أخلى المدافعون "حزاماً أمنياً" حول المبنى بعرض حوالى ٤٥ متراً، محذرين من أنهم سيطلقون النار على كل من يحاول عبوره. ثم سمع صوت روتسكوي وهو يحضّ الامهات والاطفال على العودة الى منازلهم قائلا: "لا تيأسوا اذا ما حدث أمر مأسوي هنا، فالنضال سيستمر."

التفتت إيما الى حيث وقف يوري، فلم تلمحه. فراحت تراقب شباناً آخرين وقفوا على مقربة منها، هادئين والعزم واضح في عيونهم، مستعدين للقتال من أجل مستقبلهم. أحست أن مستقبل الشعب الروسي كله معلق تلك الليلة على كف عفريت، فقررت البقاء وعادت الى مقعدها في الحافلة تقطّع الخبز والنقانق.

بعد قليل مد جندي رأسه داخل الحافلة وطلب من النسوة الرحيل.

فاحتجّت إيما: "لكننا نحضّر شطائر!"

فصرخ الجندي: "شطائر؟ اننا نتوقع هجوماً!"

مع مواطنيه

دعي يوري ايفانوف، ورشاش كلاشنيكوف معلق بكتفه، الى مكتب فالنتين بيرفيلييف. كان الشاب الحقوقي ابن التاسعة والعشرين والذي كلف الحراسة، على وشك أن يكلَّف مهمة خاصة. وحين دخل المكتب رأى بيرفيلييف واقفاً مع رجل أصلع محدودب قليلا بدت ملامحه مألوفة.

سأله بيرفيلييف: "هل تعرف هذا السيد؟"

فجمد ايفانوف وقد أخرسته المفاجأة، اذ أدرك أنه في حضرة مستيسلاف روستروبوفيتش أعظم عازف فيولونسيل[٤] في العالم وأشهر الموسيقيين الروس الاحياء.

صافحه روستروبوفيتش مبتسماً: "يوري، انني سعيد بلقائك."

وقال له بيرفيلييف: "لقد حضر المايسترو[٥] الى هذا المكان ليقف مع شعب روسيا. عليك أن تحمي حياته في كل الاحوال، وإن كلفتك حياتك. هل تعي ما أقول؟"

فأومأ ايفانوف ايجاباً.

---

(٤) الفيولونسيل (cello) كمان كبيرة.

(٥) المايسترو أستاذ في فن ما، وخصوصا الموسيقى.

لكن روستروبوفيتش (٦٤ عاماً) طمأنه قائلا: "لا تأخذ الامر بجدية كبرى، اننا رفقاء سلاح! تعال، خذني في جولة."

لا يمكن صديقين أن يكونا أقرب. مشى الرجلان جنباً الى جنب في جولة على المبنى، فاتقد الامل في كل رأى ابن روسيا الشهير بين مواطنيه. وذات مرة كانا جالسين في غرفة الاذاعة وروسترو بوفيتش ينتظر دوره لمخاطبة الجماهير، فأغفى ايفانوف المنهك على كتف المايسترو تاركاً اياه يحمل الرشاش.

سمع ايفانوف أثناء جولته قصة روستروبوفيتش المثيرة عن عودته الى موسكو. فقد سمع المايسترو نبأ الانقلاب وهو في باريس، فقرر أن موقعه هو بين مواطنيه.

صرف المايسترو يوماً في اعداد وصيته الاخيرة وتدبير شؤونه، ثم ركب طائرة متجهة الى موسكو من دون أن يحصل على تأشيرة دخول ومن دون أن ينبىء زوجته شفهيا، وإنما ترك لها رسالة كتب فيها ان ذلك فرض عليه أن يؤديه. وفي مطار موسكو احتال للمرور عبر دائرة الهجرة، زاعما للمسؤولين أنه آت لحضور مؤتمر للروس "المغتربين." ثم ركب سيارة الى مبنى البرلمان.

عندما أعلنت "اذاعة البيت الابيض" أن مستيسلاف روستروبوفيتش عاد الى الوطن ليقف مع شعبه دفاعاً عن الحرية، ران على الجماهير صمت ذاهل للحظات، ثم تعالت الهتافات تشق عنان السماء. وفي الفجر سلطت أنوار كشافة على روستروبوفيتش وهو واقف تحت المطر على شرفة الطبقة الثانية، فشرع الناس يهتفون ويصفقون بايقاع واحد: "روس – ترو – بو – فيتش! روس – ترو – بو – فيتش!"

ردّ المايسترو بصوت عال: "شكراً يا أصدقائي، انني واقف معكم." كانت سلامته الشخصية آخر ما يفكر فيه. وعندما رافقه ايفانوف الى الطبقة السفلى، تحت الارض، باعتبارها أكثر أماناً، تحملها المايسترو عشر دقائق ثم طلب العودة الى الطبقات العليا ليكون مع شعبه. وعندما اقترح عليه ايفانوف الانتقال الى السفارة الامريكية القريبة، خرج روستروبوفيتش الى الجماهير وايفانوف يعدو محاولا اللحاق به. وراح عازف الفيولونسيل يتنقل من نار الى أخرى وهو يتحدث الى الناس ويعانقهم. لقد عاد الى روسيا ليشاركهم في مصيرهم، ووقف تحت المطر، في أخطر موقع في البلاد، يمنح الناس شجاعة.

التقى إليا كريتشفسكي صديقا وقررا أن يذهبا معا الى "البيت الابيض." ولما كان إليا يعرف أن عائلته ستقلق عليه، أخبر أمه أنه خارج ليتمشى، فهذا ما اعتاد أن يفعله كل ليلة.

أعجب إليا بالحواجز المقامة. فإذا سار من محطة المترو رأى الشوارع مسدودة

بسيارات وشاحنات وحافلات، والناس يحاورون سائقي الدبابات ومعظمهم شبان بدوا فزعين قليلا. لم يكن أحد مهتما بقرار منع التجول.

تحركت مشاعر إليا أمام "البيت الابيض" لمشاهدته ألوف الناس وقد استعدوا للبقاء تحت المطر ومحاربة القامعين. وأراد أن يبقى معهم، اذ خامره أن هذه الليلة الثانية ستكون حاسمة. لكنه كان يعرف أن أهله سيقلقون إن لم يعد الى المنزل. وفي ساعة متقدمة من الليل مشى ورفيقه الى محطة المترو على الطريق الرئيسية. وسمعا في شارع جانبي صرير عربات مدرعة، فركضا بقية المسافة الى الطريق الرئيسية، وشاهدا ثماني ناقلات جند مدرعة كانت تتحرك في اتجاه "البيت الابيض" وقد علقت في معبر تحت الارض في نقطة "كالينين بروسبكت" التي سُد طرفاها بحافلات. كانت الناقلات اقتحمت الحاجز الاول لتفاجأ بالثاني، فاستدارت، لكن الجماهير أغلقت الحاجز خلفها وعززته.

لقد أصبح المسرح جاهزا لفصول مأساة.

سمعت الطلقات الاولى بعيد منتصف الليل، وهي أتت من معبر "كالينين بروسبكت" حيث بدأ الجنود اطلاق النار في الهواء – كما أقسموا لاحقا – بقصد ابعاد الجمهور الذي أطبق عليهم من كل الجوانب. ولكن لم تذهب كل الرصاصات في الهواء، فسقط عدد من الناس وقد أصيبوا، ربما، بشظايا مرتدة من جدران المعبر وسقفه.

هرع إليا الى أسفل منحدر الطريق لمساعدة رجل أمسك معدته بكلتا يديه، وبعدما ساعد في نقله الى سيارة اسعاف في الجانب الآخر من الحاجز، أسرع عائداً الى المنحدر حيث كانت الناقلات تصدم الحافلات المنقلبة محاولة شق طريق. ووقف مستنداً الى حائط المعبر فيما تحركت احدى الناقلات خلفيا لتصدم حافلة.



يوري ايفانوف
نائماً على كتف مستيلاف روسترو بوفيتش.

فجأة قفز ديمتري كومار الى الناقلة، فانتزع الفتحة الخلفية وصرخ في أفراد الطاقم. ويقول شهود انه كان يحاول اقناعهم بالتوقف لأن الناس سيفتحون الحاجز ويسمحون لهم بالمرور، لكن الناقلة اندفعت خلفيا ملقية كومار على ظهره، فتوفي حالما اصطدم رأسه بالارض، وبقيت رجلاه عالقتين داخل الناقلة وهذه تندفع جيئة وذهابا جارّة رأس كومار وكتفيه على الارض والدم يسيل على الطريق.

توقفت الناقلة كأنما استعداداً لهجوم جديد على الحاجز. فاندفع عدد من الرجال محاولين تخليص الجثة، لكن الناقلة عادت تروح وتغدو. فقفز الرجال بعيداً، الا واحداً أصابته رصاصة فسقط ميتا تحت سلاسل الناقلة التي مرت فوق جسده.

أشعل واحد من الجمهور الغاضب فتيلة في زجاجة ملأى بالوقود، والقاها على الناقلة وارتفعت زجاجة ثانية في الهواء وانفجرت ملتهبة، وتبعتها ثالثة. فاشتعل جانب الناقلة وسرعان ما اضطرمت فيه النار.

ودب الذعر في المكان حيث علق جنود خائفون وسط جمهور معادٍ. فقفز أفراد الطاقم من الناقلة المشتعلة وركضوا في اتجاه ناقلة ثانية وهم يطلقون النار في الهواء.

تحرك إليا في اتجاه الناقلة الثانية، وسُمع يصرخ: "ماذا تفعلون أيها الاوغاد؟ لماذا تقتلون اخوانكم؟" وبعد لحظة أصابته رصاصة من رشاش فسقط ميتا.

ضربة أخيرة

حذرت "اذاعة البيت الابيض" الناس من الوقوف في وجه الدبابات، ونصحتهم بأن يفسحوا لها المجال: "لا تصرخوا ولا تستثيروهم. اذا كنتم تحملون سلاحا، القوه بعيداً. أنتم تحموننا بمجرد وجودكم هنا."

لعلع صوت بيلا كوركوفا عبر الراديو في الثانية والنصف صباحا: "اخوتي وأخواتي! رتل من الدبابات يتحرك في اتجاه البيت الابيض. اننا نتوقع هجوما خلال الدقائق العشر الآتية."

وصمتت "اذاعة البيت الابيض."

أطفئت الانوار داخل مبنى البرلمان، وبث مراسل "اذاعة الحرية" ما سماه "تقريري الاخير"، ولم يعد لدى الناس ما يفعلونه خلال الدقائق الحرجة التالية... سوى الانتظار.

جلس بوريس يلتسين في مكتبه في الطبقة الخامسة يستمع الى تقارير مساعديه عن الاوضاع في الخارج. بدا منهكا، وجهه تعب وعيناه حمراوان، لكنه بقي على اناقة الملبس، وكان صوته حازماً وأوامره لا تعرف التردد. وقال أحد مساعديه إن نظراته كانت نظرات رجل لا يَملك شيئا يأسف عليه.

سار فالنتين بيرفيلييف عبر الاروقة المظلمة في الطبقة الرابعة. ورأى أضواء في بيوت كثيرة عبر النهر على رغم تلك الساعة المتقدمة من الليل. كان الموسكوبيون يشاركون المدافعين عن "البيت الابيض" في انتظارهم. فمن يستطيع النوم والدبابات تتحرك ومصير روسيا متوقف على ما يحصل في الساعات القليلة المقبلة؟

توقف بيرفيلييف في مكتب روتسكوي. كان الحراس المنهكون نائمين في كراسيهم وهم يحتضنون رشاشاتهم. فقرر بيرفيلييف ألا يوقظهم الا لدى سماع الطلقة الاولى.

كانت الستائر مسدلة داخل مكتب نائب الرئيس. فوضع بيرفيلييف المصباح الوحيد المضاء على الارض مالئا الغرفة بالظلال. كان روتسكوي جالساً الى طاولته يكتب ومسدسه الى جانبه. فطلب منه بيرفيلييف سلاحاً، فالتفت اليه روتسكوي قائلا: "سلاحك الافضل عقلك وقلمك."

تابع بيرفيلييف سيره الى مكتبه تائقاً الى محادثة زوجته، لكنه خشي أن يوقظ رنين الهاتف أبناءه. لذلك اتصل بشقيق زوجته وقال له: "اننا نتوقع هجوماً في أي لحظة، ولا أعتقد أن كثيرين سينجون." وبعد صمت قصير تابع: "عليك الاهتمام بعائلتي."

كان جهاز استخبارات يلتسين في الطبقة الثالثة يتابع تحركات الوحدات العسكرية، اذ كانت مجموعات من المدافعين تطوف المدينة وتمد الجهاز بالاخبار، كما تابع مواطنون متيقظون الاتصال هاتفيا بـ"البيت الابيض" والافادة عما يرونه في الشوارع.

تركز اهتمام المدافعين على لواء متحرك من الـ"ك.ج.ب." مقره في قطاع جنوب غرب موسكو، فهذه الوحدة تملك العديد والعتاد اللازمين لانقاذ الانقلاب المتعثر. وقد اتصل أحد ضباط اللواء بمكتب يلتسين ليكشف أن المجموعة تعد لهجوم شامل على "البيت الابيض."

توجه بعض أعضاء البرلمان الى ذلك القطاع لاقناع وحدة الـ"ك.ج.ب." بأن الانقلاب غير مشروع، ولكن لم تُعرف نتيجة مفاوضاتهم.

ولم يلبث المسؤولون في "البيت الابيض" أن علموا أن وحدة الـ"ك.ج.ب." أتمت انتشارها وبدأت تتحرك في خط مستقيم نحو مبنى البرلمان. فانتظر بيرفيلييف مصغياً لسماع الطلقات الاولى التي تؤذن ببدء الهجوم.

فجأة دخل عليه أحد مساعديه حاملا رسالة من جهاز الاستخبارات تفيد أن دبابات الـ"ك.ج.ب." قطعت نصف المسافة الى "البيت الابيض" ثم... توقفت. أيمكن أن تكون وحدات الـ"ك.ج.ب." استجابت لنداءات أعضاء البرلمان؟ أيمكن أن تقف الى جانب الشعب؟



متظاهرون يحملون علمهم الجديد.

تطايرت المكالمات بين مكتب بيرفيلييف وعناصر جهاز الاستخبارات. لقد أوقف اللواء هجومه حقا، وبدأ مفاوضون عنه يتصلون هاتفيا ليبلغوا الى "البيت الابيض" أن الدبابات لن تتقدم.

وقف بيرفيلييف يستمع الى صليل الدبابات المتراجعة من وسط موسكو، فيما خيوط الفجر الوردية تلوّن السماء خارج نافذته.

عندما بث "اذاعة البيت الابيض" أخبار هذه التطورات، بحثت إيما بروك عن إبن زوجها يوري، فنادته وقفلا عائدين الى المنزل. وهما شاهدا في الطريق رتلا من الدبابات يزحف شمالا، بعيداً عن وسط المدينة. فجأة هرع اليهما رجل صارخا: "غادرا هذا المكان. هذه ليست لعباً، ويمكن أن تقتلا."

كانت إيما لتسمع هذه النصيحة من قبل. أما الآن فقد هزت رأسها مبتسمة: "لا أظن ذلك، لقد انتهى كل شيء."

الاربعاء. كان الامل الاخير للانقلابيين بكسب الشرعية تصديق مشروع قانون لدى اللجنة التنفيذية الدائمة في مجلس السوفييت الاعلى. وكانت الخلفية السياسية لأعضاء اللجنة تكاد لا تميز عن خلفية زعماء الانقلاب، لذا لم يكن أحد متأكدا من نتيجة اقتراع اللجنة. فألقى ألس أداموفيتش خطابا رنانا أمام الجمعية خاتما بقوله: "كونوا رجالا مرة في حياتكم."

وسقط المشروع في النهاية.

عندما سمع يوري كرياكين النبأ قال لزملائه: "لقد ابتسم الحظ لروسيا للمرة الاولى في القرن العشرين."

وبعد الظهر ركب وفد، يرئسه روتسكوي، طائرة حملته الى القرم للقاء غورباتشيف والعودة به الى موسكو.

لكن الوقت لم يكن حان بعد للاحتفال بالنصر، فقد انتشرت تقارير في "البيت الابيض" تفيد أن عناصر من الـ"ك.ج.ب." تسللت داخل المبنى وهي تستعد لضربة يائسة أخيرة. فشدد المدافعون الاجراءات الامنية في المبنى تحسباً.

كان أداموفيتش نائماً على كراسيّ مصفوفة في أحد أروقة الطبقة الخامسة. فرنّ جرس الهاتف على مقربة منه. تناول السماعة، فأتاه صوت قال له: "انتبه، لقد كلفنا طلاب كلية الشرطة حراسة هذه الطبقة. اذا اضطررت الى التحرك من مكانك، فامش ببطء، ومهما فعلت فلا تضع يديك في جيوبك والا تعرضت لاطلاق النار."

استرجاع الكرملين

الخميس. وصلت الطائرة التي تقل غورباتشيف الى موسكو في الثانية صباحاً. لكن الرئيس عاد ناجياً، لا بطلاً. وهو بدا على سلم الطائرة، بمعطفه الواقي المتغضن ووجهه المنهك، أبعد ما يكون عن الرجل القوي الذي غادر موسكو قبل أسبوعين.

انكشف المتآمرون الذين أوشكوا أن يجروا البلاد الى حرب أهلية تذهب بعشرات الالوف من الضحايا. وعندما استعاد الموالون لغورباتشيف قصر الكرملين، وجدوا يانايف في مكتبه ثملاً غير واعٍ ما حدث. وأرسل ١٤ متآمراً الى السجن في انتظار محاكمتهم بتهم عدة، منها الخيانة. وبعد أيام استعيدت الحقيبة التي تحتوي على الرموز الخاصة باطلاق الصواريخ النووية السوفييتية.

تحرك نحو "البيت الابيض" جمهور هائل ضم نحو ١٠٠ ألف مواطن للاحتفال بفشل الانقلاب. واقترح يلتسين، ملوحاً لهم من شرفة الطبقة الثانية، تغيير اسم الساحة ليصبح "ساحة روسيا الحرة." فهدرت الجموع موافقة.

ثم ظهر المايسترو مستيسلاف روستروبوفيتش ليخاطبهم قائلاً: "أيها الموسكوبيون، لقد منحتموني يومين من أسعد أيام حياتي." وفي الغد رافقه يوري ايفانوف الى المطار وسار معه نحو الطائرة المتجهة الى باريس. فشد المايسترو يد حارسه قائلاً: "أخي يوري، عندما نمتَ حملتُ أنا بندقيتك. زرني في باريس، واذا نمتُ فاحمل أنت الفيولونسيل!"

الجمعة. علّق يلتسين نشاطات الحزب الشيوعي في روسيا.

السبت. ظلت السطيحة الفسيحة أمام "البيت الابيض" تحمل، مثل كل ساحة معركة، آثار متاريس وبقايا نار خبتْ. أما المشاعر المشتركة والشعور المفاجىء بالوحدة بين ألوف الروس فلا تزال متقدة باشراق.

١٠٠ ألف مواطن جاؤوا ليدفنوا ضحايا الانقلاب الثلاث: ديمتري كومار وإليا كريتشفسكي وفلاديمير أوزوف وهو محاسب في السابعة والثلاثين من عمره.

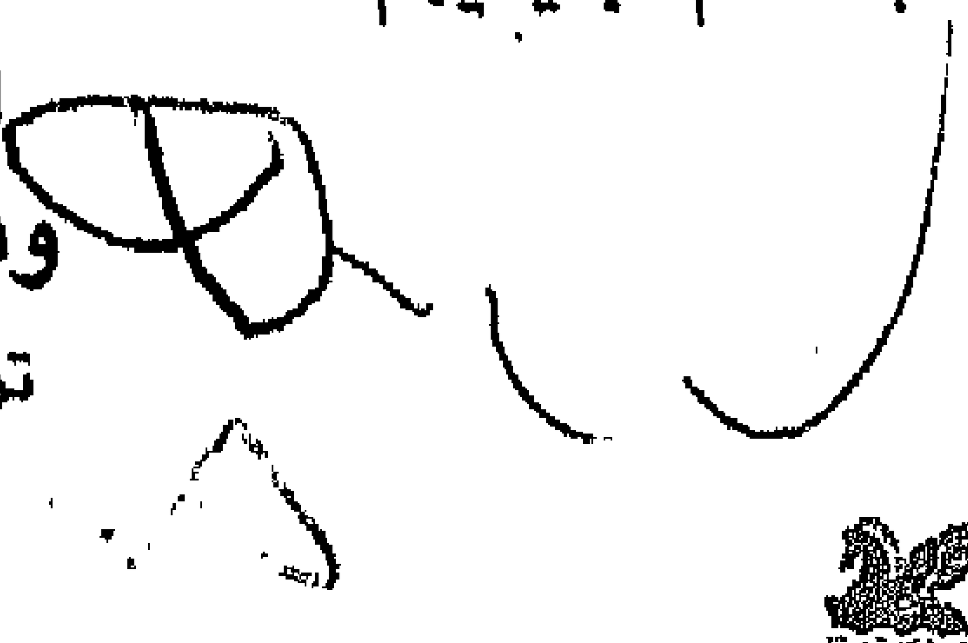
تجمع الناس خارج جدار الكرملين حول علم روسي يرمز الى ايمانهم العنيد بمستقبل أفضل. كانوا يلمسونه فيوحِّدهم أمل باشراقة فجر جديد.

ثم توجهوا الى "البيت الابيض" في مسيرة كئيبة رصينة تثير المشاعر. وعلى امتداد "كالينين بروسبكت" ترك التجار حوانيتهم وخرجوا لمشاهدة المسيرة. وراحت النسوة يدفعن الاطفال قُدُماً على جانبي الطريق، فهذه لحظات لا تثمن، وذكرى تختزن للغد.

أشاد يلتسين بالضحايا في كلمة عاطفية واصفاً اياهم بـ"أبطال الوطن" وطالبا الغفران من عائلاتهم، "لأنني أنا رئيس البلاد، لم أستطع انقاذهم."

خلال ثلاثة أيام هزت العالم تشبث الشعب الروسي بأحلامه الفتية ووقف المواطنون وقفة رجل واحد وهم يمسكون مستقبل بلادهم بأيديهم.

لورنس إليوت
وديفيد ساتر ■
ترجمة فواز خوري



زهرة غاردينيا

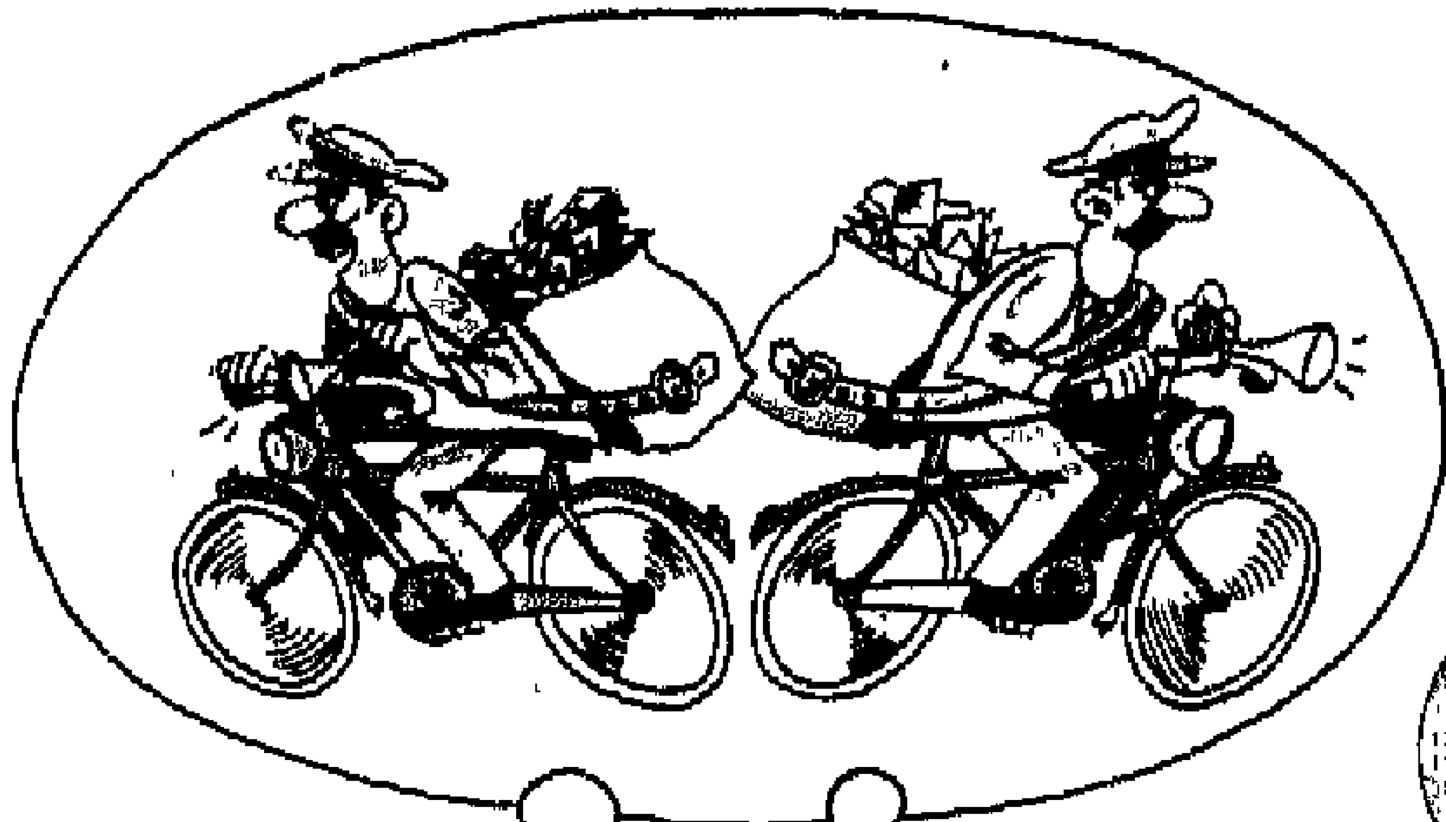
اعجبت احدى الصديقات بزهرة غاردينيا متفتحة في بيتنا. فابدت رغبتها في ان تزين بها فستانها خلال حفلة تخرّج تلميذاتها بعد اربعة أيام. ولما كانت زهرة الغاردينيا المتفتّحة لا تعيش سوى يوم أو يومين، فكّرت زوجتي في البرعم اليتيم الباقي في النبتة، ولكن لم يبدُ انه سيتفتّح في غضون الأيام الأربعة التالية. الا ان زوجتي صممت على اهدائه الى صديقتها في الموعد زهرة كاملة. فراحت ترويه بماء المطر الدافىء المشبع بالفيتامينات، وترشّ أوراقه، وتنقل النبتة من مكان الى آخر في الغرفة لكي يبقى البرعم معرضا لنور الشمس، وتحدّثها برقّة على انغام موسيقى ناعمة.

وفي نهاية اليوم الثالث كان البرعم لا يزال مغلقا.

صبيحة اليوم الرابع نظرتُ الى نبتة الغاردينيا مذهولا: لقد تحوّل البرعم، تحت مصباح كهربائي استمر مضاء فوقه طوال الليل، زهرة متفتحة ناصعة البياض جاهزة لحفلة تخرّج تلميذات صديقتنا.

ب.س.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"رافع اثقال مغمور" - للفنان الامريكي - الايطالي أوسكار دي ميهو (١٩٨٩)

فبراير (شباط) ١٩٩٢ - شعبان ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest February '92 N° 159

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

أمراض تحيّر الأطباء
(ص ٥٩)

الجنس على طريقة عمر الخيام
(ص ١٤)

الوجبات الخفيفة تخفض الوزن
(ص ٩)

قراصنة السفن التجارية
(ص ٧٦)

Reader's Digest

المختار

من ريدرز دايجست

مجـلة شهـريّـة

رئيس التحرير - المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة - المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE. الهاتف: ٣٧٠٥٧٥/٣٥٠٧٦٠

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ - ٣٢٧٤٨٤

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ - فاكس ٨٦٤٥٧٢ - ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية - البوشرية، المتن الشمالي - لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. 350760 / 370575

Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O.Box 11-688, Beirut, Lebanon.

Telex 43283 PRESSE LE. FAX (1) 864572. Tel (1) 216058/327484

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

February '92 N° 159 (New Series) Vol. 14

ريـدرز دايجسـت

المؤسسان. دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعاتـ الدوليّـة

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الامريكية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والآسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الامريكية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضا في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٥٠٠ل - سورية ٧٥ل - الأردن ١د - الكويت ١د - الامارات العربية المتحدة ١٠د - قطر ١٠ر - البحرين ١د
السعودية ١٢ر - مصر ٢ج - السودان ١ج - ليبيا ٥٠٠د - الجمهورية اليمنية ٢٥ ر - مسقط ١ ر - قبرص ١،٥ ج
تونس ١د - المغرب ١٠د - الجزائر ٧د - انكلترا ١،٥ج - اليونان ٤٠٠د - كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د

حديقة أفكار

- ليس المهم، في النتيجة، نوع السلاح المستخدم وانما الجهة التي قاتلنا الى جانبها.

غ.ك. تشسترتون، كاتب وناقد بريطاني

- أسوا السجون قلب مغلق.

ي.ب.ث.

- لقد واجهتُ من المشاكل مع ذاتي أكثر مما واجهت مع أي انسان أخر.

دوايت مودي

- لا شيء يجعل المرأة أكثر جمالا كايمانها هي بأنها جميلة.

صوفيا لورين، ممثلة ايطالية

- قد تقي العثرة من سقطة.

مثل انكليزي

- الخوف هو الغرفة المظلمة حيث تظهر السلبيات.

ا.ل.

- تضعف القوانين العبثية مفعول القوانين الضرورية.

مونتيسكيو، فيلسوف فرنسي

- ليست هناك أسئلة غبية، ولكن هناك اجابات غبية.

مارشال لوب

- لم تدعم حكومة مشروعا الا بالمقدار اللازم لازاحته من طريقها.

هنري ديفيد ثورو، كاتب أمريكي

قصة لعيد العشاق

الرابع عشر من فبراير (شباط)
عيد العشاق
هنا قصة لهذه المناسبة

كان لاري وجوان زوجين عاديين، عاشا في منزل عادي يقوم في شارع عادي. وككل الازواج العاديين، جهدا لتأمين متطلبات الحياة ومنح أولادهما جواً عائلياً مناسباً.

كانا عاديين أيضاً في ناحية أخرى، اذ كانت لهما نزاعاتهما. وكانت معظم أحاديثهما ملامات على أخطاء في حياتهما الزوجية.

... الى أن جاء نهار، ووقع حادث خارج جداً على المألوف.

قال لاري لزوجته: "أتعرفين يا جوان أن لدي أدراجاً سحرية كلما فتحتها وجدتها ملأى بجوارب وثياب داخلية؟ أريد أن أشكرك لانك داومت على ملئها طوال هذه السنين."

حدقت جوان الى زوجها من فوق نظارتيها وسألته: "ماذا تريد يا لاري؟"

فأجاب: "لا شيء، انما أردت أن تعلمي مدى تقديري لهذه الادراج السحرية."

لم تكن المرة الاولى يتصرف لاري بغرابة، لذا لم تعِرْ جوان الحادث التفاتاً... الى أن مضت بضعة أيام.

"جوان، شكراً لك لانك أدرجت أرقام كل هذه الشيكات في سجل مصاريف هذا الشهر. لقد سجلت ١٥ رقماً صحيحاً من أصل ١٦، وهذا رقم قياسي."

رفعت جوان رأسها غير مصدقة ما تسمع: "لاري، انك دائم التذمر من أخطائي في تسجيل أرقام الشيكات. فماذا غيَّرك الآن؟"

– أبداً، ليس هناك من سبب. أردت فقط أن تعرفي أنني أقدر الجهد الذي تبذلين.

هزت جوان رأسها وعادت الى الثوب الذي كانت ترتقه مهمهمة: "وَيْلي، ماذا حدث لهذا الرجل؟"

ولكن عندما دفعت جوان شيكا في اليوم التالي راجعت دفتر الشيكات لتتأكد من أنها أدرجت فيه الرقم الصحيح. وتساءلت: "لماذا اهتم فجأة بأرقام الشيكات السخيفة؟"

حاولت جوان تناسي الحادث، لكن تصرفات لاري ازدادت غرابة. فهو قال لها ذات مساء: "جوان، كان العشاء رائعا. انني أقدر لك كل هذا الجهد. لا بد من أنك أعددت أكثر من ١٤ ألف وقعة لي وللاولاد خلال السنوات الخمس عشرة الاخيرة."

ثم: "رائع! جوان، البيت رائع! لقد بذلت جهداً كبيراً لجعله يبدو جميلاً."

و: "شكراً يا جوان لأنك أنت. انني أنعم برفقتك فعلاً."

بدأت جوان تشعر بالقلق يتأكلها، وراحت تتساءل: "أين تهكمه؟ وانتقاداته؟"

وأكدت ابنتها شيلي (١٦ عاما) مخاوفها عندما هرعت اليها قائلة: "أماه، لقد جُنّ أبي! فهو قال لي انني أبدو جميلة. قال لي ذلك على رغم كل هذه المساحيق على وجهي وهذه الثياب البالية التي أرتديها. هذا ليس أبي. ماذا حدث له يا أماه؟"

لم يُشف لاري من دائه، ودأب على ابراز الايجابيات يوما بعد يوم. واعتادت جوان تصرفات زوجها الغريبة، ووجدت نفسها تمنحه أحيانا "شكرا" بخيلة. وكانت فخورة بشجاعتها في مواجهة تلك الغرائب والعجائب، الى أن حصل ذات يوم أمر تركها مربكة تماما.

قال لاري: "جوان، أريدك أن تمنحي نفسك اجازة من عمل البيت. سأتولى أنا جلي الصحون. أرجوك، دعي تلك المقلاة وغادري المطبخ."

صمتت جوان طويلا ثم قالت: "شكرا لك لاري، شكراً جزيلا."

لقد صار خَطْو جوان أخفّ وثقتها بنفسها أكبر. وصارت بين فينة وأخرى تدندن لحنا. وبدا أنها لم تعد تعاني حالات كآبة هذه الايام. وفكرت: "يبدو انني أحب طريقة لاري الجديدة."

كان من الممكن أن تنتهي القصة هنا، لو لم يحدث أمر آخر خارج بكليته على المألوف. وكانت جوان هي التي "فعلتها" هذه المرة.

"لاري، أريد أن أعبر لك عن امتناني للجهد الذي بذلته كل هذه السنوات من أجل تأمين متطلبات حياتنا. أظن أنني لم أخبرك من قبل بمدى تقديري لذلك!"

لم يكشف لاري قط سبب التحول المثير في تصرفه، على رغم محاولات جوان استنطاقه الجواب. وغالب الظن أن هذا التحول سيبقى أحد ألغاز الحياة. لكنه لغز يسعدني أن أحيا به.

جوان لارسن ■

فاجئوا من تحبون بهدية لا تنسى



تمر اعياد من نحب في غفلة عنا، فننسى مثلا ان عيد الآباء يقع في ١٢ يناير (كانون الثاني) وعيد الامهات في ٢١ مارس (آذار)
كما المناسبات الاجتماعية والشخصية ولاسيما منها اعياد الميلاد وذكرى الزواج وعيد الحب...

فهل فكرتم في هدية غير عادية، هدية ترافق من تحبون لأكثر من سنة، ترفقونها ببطاقة شخصية تعبرون فيها عن عاطفتكم تجاهه واهتمامكم به؟

فاذا اردتم اهداء من تحبون اشتراكاً لمدة سنة في "المختار" تفيدون خلالها من العرض الخاص (١٦ عدداً بدلا من ١٢) خلال الفترة بين ١/١/١٩٩٢ و٣١/١٢/١٩٩٢ فما عليكم الا ملء القسيمة بخط واضح باسم من تودون اهداءه الاشتراك وعنوانه الكامل مرفقة بشيك مسحوب على مصرف في نيويورك بقيمة ٣٠ دولاراً امريكياً باسم "المختار من ريدرز دايجست" وارسالهما بالبريد المضمون (المسجل) الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France

لا تنسوا ان ترسلوا مع القسيمة والشيك بطاقة شخصية موجهة الى المهدى اليه فنضعها بدورنا ضمن الرسالة التي نوجهها اليه.

اسم المهدى اليه ______________

____

عنوانه ______________

____

المناسبة وتاريخها ______________

توقيع المهدي ______________

مع أخلص تمنياتنا

Reader's Digest
المختار

فبراير (شباط) ١٩٩٢
شعبان ١٤١٢

السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

القوام الرهيف والصحة الجيدة يتطلبان أمرين: غذاء صحياً ورياضة

أحسنوا اختيار وجباتكم الخفيفة

يتذكر جوناثان روبنسون (٣٨ عاما) وجبات خفيفة[١] كان يتناولها، وكأنه يستعيد ذكرى أصدقاء حميمين: دجاج مقلي، وفطائر، وكعك محلى... ويشغل روبنسون اليوم منصب نائب رئيس شركة للتسويق، وكان تعرَّض عام ١٩٩٠ لضغوط عمل جديدة، وخلال ١٢ شهراً زاد وزنه سبعة كيلوغرامات قال إن معظمها عائد الى تناوله وجبات خفيفة. واذ أصبح وزنه ١٠٥ كيلوغرامات أدرك أنه تخطى الحد المناسب لطوله البالغ ١٩٥ سنتيمتراً.

ولانقاص وزنه، لجأ روبنسون الى تناول وجبات غداء أخف استثنى منها اللحم الأحمر كليا. وعدَّل نوعية الاطعمة التي يتناولها بين الوجبات على نحو صارم، فبدلا من تناول "الأطايب" الغنية بالمواد الدهنية راح يأكل الفاكهة والخضر واللبن والبسكويت المصنوع من الدقيق الكامل والفشار الخالي من الزيت. ولم تمض ستة أسابيع حتى نقص وزنه سبعة كيلوغرامات، كما استطاع خلال صيف ١٩٩١ إنقاص وزنه خمسة كيلوغرامات أخرى.

يقول روبنسون: "سهَّلت عليَّ الوجبات

(١) الوجبات الخفيفة (snacks) هي تلك التي يتناولها المرء بين الوجبات الرئيسية الثلاث، كالشطائر والحلوى والبسكويت والشوكولاتة.

ILLUSTRATIONS: CATHY O'CONNOR

الخفيفة المدروسة والحمية المتوازنة مهمة انقاص وزني وابقائه منقوصا."

وتلفت ماري أبوت هيس، رئيسة الجمعية الامريكية لانظمة الحمية، الى أن "الناس يتحولون بسرعة الى اتباع الوجبات الخفيفة نظاما لأكلهم. ويعكس هذا التحول تغيرات أساسية في مجتمعاتنا، بينها ازدياد عدد الامهات العاملات وتسارع نمط الحياة وتوافر الاطعمة الجاهزة."

وقد أظهرت الأبحاث الطبية أن الوجبات الخفيفة، اذا ما حُضِّرت على نحو صحيح، تزيد الناس عافية وتساعدهم في ضبط وزنهم. وفي دراسة حديثة أجريت في جامعة كورنيل، طلب من ١٣ امرأة تناول ما شئنه من ٤١ صنفا من الاطعمة القليلة الدهن في الوجبات الرئيسية والخفيفة. فخسرن ما معدله ٢،٥ كيلوغرام خلال ١١ أسبوعا.

وأجرى الدكتور ديفيد جنكينز، أستاذ العلوم الطبية والغذائية في جامعة تورنتو بكندا، دراسة جاءت نتائجها غير متوقعة. فخلال فترتين امتدت كل منهما أسبوعين، تناول سبعة رجال الطعام الصحي ذاته. في الفترة الاولى تناولوا وجبات فطور وغداء وعشاء. وفي الفترة الثانية تناولوا الطعام ذاته مقسوما ١٧ وجبة صغيرة. وعندما فحص الباحثون دم هؤلاء الرجال، وجدوا أن الحمية القائمة على الوجبات الصغيرة خفضت نسبة الكولسترول الاجمالية بمعدل ٨،٥ في المئة. وأهم من ذلك أن كولسترول البروتيين الدهني القليل الكثافة الذي يدعوه الأطباء "الكولسترول السيىء"[٢] انخفض بنسبة ١٣،٥ في المئة. وقد أذهل هذا الهبوط الباحثين.



بيد أن العلوم الطبية بينت سبب هذه النتائج باكتشافها أن وجبات الطعام الكبيرة وغير المنتظمة تمد الجسم بسعرات حرارية (كالوري) تفوق متطلبات التفاعلات المعقدة التي تنظم عمليات الهضم والأيض،[٣] فلا يستهلك الجسم الطعام كله طاقة، ويخزن الفائض في شكل مواد دهنية.

لكن الوجبات الخفيفة لا تناسب الجميع، ولاسيما أولئك العاجزون عن مقاومة ميلهم الى الطعام غير المناسب. غير أننا، بغالبيتنا، نستطيع تناول وجبات خفيفة تتيح لنا ضبط وزننا والتمتع بصحة جيدة، ان اتبعنا ما يوصي به خبراء التغذية:

١. تجنبوا معظم الوجبات الخفيفة المصنعة.

درج لاعب كرة السلة بيل ماركهام طوال سنوات على التهام مصبعات السكاكر (بونبون) ورقائق البطاطا وأطعمة

(٢) Low-density lipoprotein cholesterol «LDL»
(٣) Metabolism

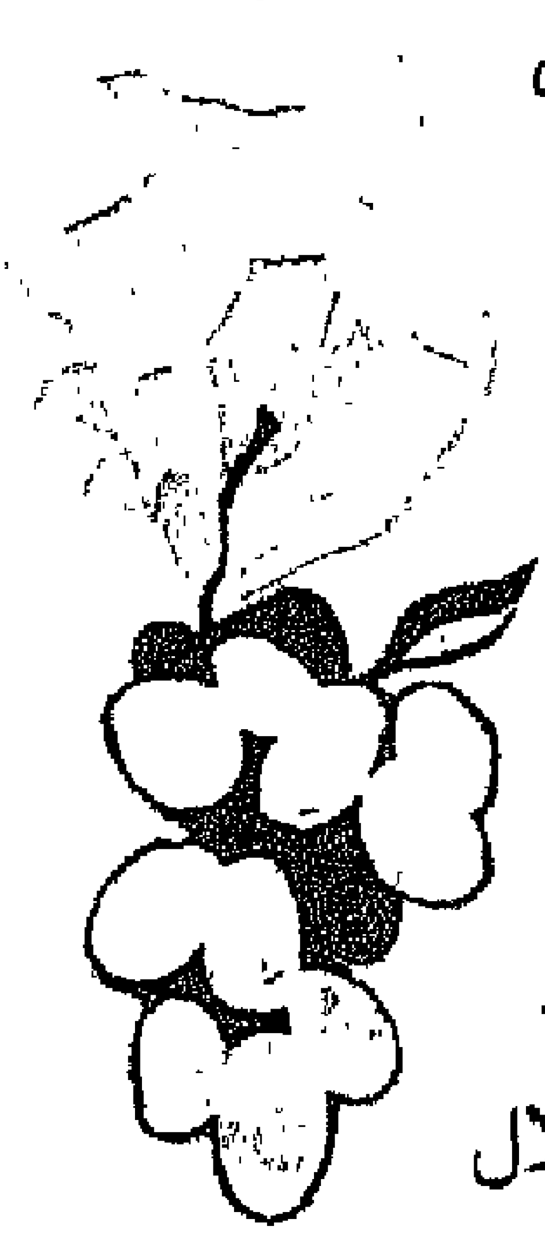
أخرى ذات قيمة غذائية متدنية. ولم تكن هذه الوجبات الخفيفة الزاخرة بالسعرات الحرارية تسبب له أي مشكلة خلال مواسم اللعب. غير أن وزنه كان يزيد كل صيف نحو ٤،٥ كيلوغرامات، ولدى بدء تمارين الخريف كان هذا الرياضي يشعر بالكسل والبلادة.

وفي العام ١٩٩٠، وكان ماركهام في الثانية والعشرين من عمره، ألغى جميع الوجبات الخفيفة واكتفى بثلاث وجبات صحية يومياً علّه يوقف دورة زيادة الوزن الموسمية التي عاناها. لكنه كان يظل جائعاً، ولم يقو على مقاومة اغراء مصبعات السكاكر. وأخيراً لم يجد بداً من اللجوء الى الاختصاصية بالتغذية المسؤولة عن فريقه، فقالت له: "أنت تتناول الوجبات الخفيفة غير المناسبة." واقترحت عليه ابدالها باللبن والفاكهة والشطائر المنزلية الصغيرة. فوجد ماركهام في النظام الجديد متعة، وتمكن للمرة الاولى من المحافظة على وزنه خلال الصيف.

يحذر خبراء التغذية من أن كثيراً من هذه الاطعمة السريعة يمد الجسم بسعرات حرارية باطلة على حساب المغذيات الضرورية، مع أن لا مانع من تناول بعضها.

٢. خططوا للوجبات الخفيفة كما تخططون للوجبات الرئيسية.

جاكي برنينغ مستشارة في شؤون التغذية لدى فريق "دنفر برونكوس" لكرة القدم، وهي تحض اللاعبين على اختيار وجبات خفيفة غنية بالمغذيات، وهذه أطعمة قليلة الدهن عموماً وتوفر معظم الفيتامينات والمواد المعدنية مع أقل مقدار ممكن من السعرات الحرارية. وهي أيضاً أطعمة نوعية تماثل ما نأكله عادة خلال الوجبات الرئيسية. وتقول برنينغ إن مصبعات السكاكر ليست وجبة عشاء، كما لا يجوز تناولها كوجبة خفيفة. ويفضل عليها تناول قطعة خبز مكسوة بطبقة رقيقة من الزبدة.



وتقول مارلين ديسالفو الاختصاصية بالتغذية السريرية: "لا تركزوا اهتمامكم على الاطعمة التي لا يناسبكم تناولها. واحتفظوا بالاطعمة المحللة في منازلكم وفي أدراج مكاتبكم. فاذا وجدتم في متناولكم أطعمة خفيفة صحية، فهذا ما ستأكلونه."

وقد أظهر تقرير رسمي أن الوجبات الخفيفة تؤمن نحو ٢٠ في المئة من السعرات الحرارية اليومية. ويرى الخبراء أن الافادة الفضلى من السعرات الحرارية المستمدة من الوجبات الخفيفة تحصل بالتوفيق بين هذه الوجبات والحاجات الغذائية.

وعلى سبيل المثال، إن اكثر ما يفيد الأطفال في مرحلة ما قبل الدراسة هو تناول قطع صغيرة من اللحم والدجاج والفاكهة ورقائق الذرة الجافة (كورن

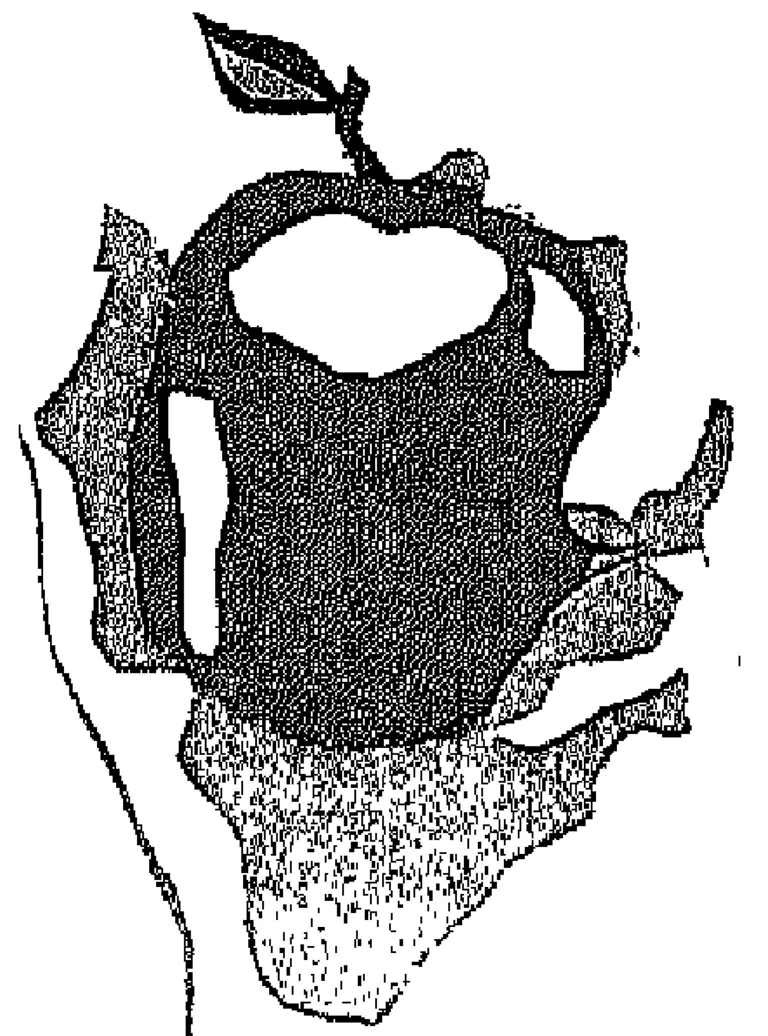
فلايكس) والبسكويت الهش والخضر المطبوخة قليلا ومشتقات الحليب.

أما المراهقون فلا يحصلون، غالبا، على كفايتهم من الكلسيوم وفق نظامهم الغذائي العادي. لذلك فان الحليب واللبن والبيتزا وشطائر لحم البقر الهبر وشرائح الجبن المحمصة هي خير اختياراتهم.

ويحتاج المسنون الى نماذج معدلة من طعام المراهقين، غنية بالكلسيوم وقليلة الدهن. وعليهم أيضاً تضمين نظامهم الغذائي الدجاج وسمك التن لاحتوائهما على البروتيين والحديد والزنك والفيتامين "ب"، كذلك الحلوى المصنوعة من دقيق الشوفان والبسكويت الهش المصنوع من دقيق القمح الكامل والخضر النيئة الغنية بالفيتامينين "أ" و"ج".

٣. وقتوا وجباتكم الخفيفة بدقة.

تقول أليشا موغ – ستالبرغ الباحثة في أنظمة الحمية بكلية الطب التابعة لجامعة نورث – وسترن في شيكاغو: "كلوا عندما تجوعون لا عندما تشير الساعة الى وقت الاكل."



وتفيد افلين تريبول الاختصاصية بأنظمة الحمية أن الكبد تستنفد مخزونها من الكربوهيدرات التي يحولها الجسم سكراً في الدم، بعد مرور أربع الى ست ساعات على تناول الطعام. وقد تشعرون عندئذ بالتعب أو بالصداع. ولكي تحافظوا على مستوى طاقتكم، لا تمضوا أكثر من خمس ساعات من دون تناول وجبة خفيفة.

كشفت دراسة غذائية حديثة أن تناول وجبة خفيفة بعد الظهر يحسن القدرات الذهنية. وقد حلل الباحثون القدرات الذهنية لثمانية تلاميذ تناولوا بعد الظهر وجبة خفيفة غنية بالطاقة الحرارية، ثم قارنوا أداءهم الذهني بعدما أبدلوا الوجبة الخفيفة بمشروب مرطب خال من السعرات الحرارية (دايت) ومن الكافيين. فتبين أن أداء التلاميذ بعد تناولهم الوجبة الخفيفة كان أفضل بنسبة راوحت بين ٢٠ و٣٠ في المئة في اختبارات الذاكرة والتركيز. ويرى الباحثون أن الوقت الامثل لتناول وجبة خفيفة بعد الظهر هو بين الثالثة والرابعة.

٤. انتبهوا الى ملصقات الأطعمة الخفيفة.

درج طبيب نفساني على تناول عصير عنب معلب في فترة استراحته الصباحية. وهو أخبر زميلته جين نيومارك الاختصاصية بأنظمة الحمية: "تحوي هذه العلبة ٩٠ سعرة حرارية فقط!" فنظرت نيومارك الى ملصق العلبة وهزت رأسها: "انها تحوي ٩٠ سعرة حرارية في الحصة الواحدة. لكن الملصق يفيد أنها تحوي حصتين!"

لذا تتوجب قراءة ملصقات الأطعمة بدقة. وتقترح نيومارك. اختيار وجبات خفيفة تتضمن كل حصة منها:

صوديوم: ٢٥٠ مليغراماً أو أقل.

دهن: ٣ غرامات أو أقل في كل ١٠٠ سعرة حرارية.

ألياف: بين ٤ و٥ غرامات.

وتنبهوا للألاعيب. فالسلعة التي دونت على ملصقها عبارة "خفيف" لا تحتوي بالضرورة على سعرات حرارية أقل. فقد تكون أخف من ناحية اللون أو التركيب أو النكهة! والوجبات الخفيفة التي يروج لها على أنها "خالية من الكولسترول" لا تخلو دائماً من مواد دهنية، فهي لا تحتوي على دهن حيواني، لكن كثيراً منها يحتوي على نسب عالية من الدهن النباتي المشبع[٤] الذي يزيد الكولسترول.

٥. اقرنوا الوجبات الخفيفة بالرياضة.

توالت السنون وديفيد وجودي توليت مواظبان على تناول وجبات خفيفة. ونادراً ما كانا يمارسان الرياضة. ولكن عندما زاد وزن جودي كثيراً فبلغ ٧٢ كيلوغراماً، وبلغ وزن ديفيد ١٠٣ كيلوغرامات، قرر الزوجان تغيير نمط حياتهما. فباشرا في شهر فبراير (شباط) ١٩٩١ برنامجاً تضمن المشي مدة ساعة ثلاث مرات في الاسبوع، وتناول وجبات صحية. فتخلصت جودي من ١١ كيلوغراماً خلال ١٢ أسبوعاً، وخسر ديفيد ١٤ كيلوغراماً.

يقول الخبراء إن الرياضة والطعام الخفيف الصحيح هما التركيبة المثلى لخفض الوزن. فكلاهما يساعد في ضبط الشهية وزيادة مستوى الطاقة، وكلاهما يزيد مستوى الأيض أي سرعة الافادة من الطعام. وكلما تناولتم طعاماً غنياً بالكربوهيدرات أحرقت عملية الهضم نحو ١٠ في المئة من السعرات الحرارية التي يحويها.

يتفق الاختصاصيون بالتغذية على أهمية الجمع بين الرياضة والاطعمة الخفيفة الصحية، لأن ممارسة التمارين – مهما قلَّت – تمد المرء برضى ذاتي يؤدي به الى اختيار الاطعمة الصحية والوصول الى توازن غذائي يزيده عافية.

باتريشا سكالكا ■

(٤) Saturated vegetable fat

مصاعد كسولة

المصاعد في كليتنا بطيئة جداً. وفيما انا انتظر وصول أحدها سمعت طالباً يقول: "كان يمكن أن أتخرج في ثلاث سنوات لو أبدلوا هذه المصاعد!"

ك.ج.

على خطى عمر الخيام

الشهوة الحسِّية هي الشرارة التي تبقي نار الزواج متقدة

لم تبخل الحياة على ريتشارد، فهو رئيس دائرة الشرطة في مدينة كبرى، ويتمتع بنفوذ وغنى وشهرة. وله أربعة أولاد من لين، زوجته منذ ست عشرة سنة، وكان زواجهما مثالياً.. أو هذا ما اعتقده ريتشارد.

... الى أن التقى مضيفة جوية تدعى ديان في رحلة عمل. وهو يقول: "كأنما تيار كهربائي سرى بيننا." وانتهت مكالماتهما الهاتفية الى لقاءات، ووقع ريتشارد، قبل أن يعي ماذا يحدث، في شرك علاقة عاطفية محرَّمة. وهو أدرك خطأ ما يفعله، لكنه بدا عاجزاً عن ترك ديان.

واذ أغرق في علاقته الجديدة ازدادت كآبته. وتهاوى زواجه وتعثرت قراراته المهنية وخسر وظيفته في النهاية.

كان ريتشارد يعيش الوهم الذي درج معظم الافلام والاغاني الشعبية الغربية على التلميح اليه: أن فضلى العلاقات الجنسية هي العلاقة المحرَّمة. لكنه تعلّم، وقد دفع الثمن غالياً، أن الافكار

الرومانسية عن هذه العلاقات ليست سوى تخيلات، وأن العلاقات الجنسية خارج مخدع الزوجية هي في الحقيقة طريق الى اليأس لا رجعة فيها.

يرى عدد من الخبراء أن العلاقة الجنسية الفضلى هي العلاقة الزوجية، ما دامت مشبعة بالعنصر السري الذي يتمتع به كثير من الازواج والزوجات السعداء. هذا العنصر هو الشهوة الحسية.[1] وتنصح لوان كول الخبيرة بمعالجة مشاكل الجنس: "اذا رغبتما في اعادة الاثارة الى زواجكما، فاحرصا على تنمية علاقة أكثر حسيّة، وستتمتعان بحياتكما معاً أكثر من أي وقت مضى، بما فيها علاقتكما الجنسية."

والشهوة الحسية تعني اشراك الحواس الخمس في المتعة: اللمس والبصر والسمع والشم والذوق. كما تعني، بالنسبة الى أسعد الازواج، ادخال حاسة سادسة هي المرح.

يقول الاختصاصي بعلم النفس بيرني زلبرغلد: "كثيراً ما يخبرني أزواج أن علاقتهم تفتقر الى المرح الذي كان يسود لقاءات ما قبل الزواج. فأنصحهم: افعلوا مثل ما كنتم تفعلون في فترة تعارفكم، تسترجعوا المرح!"

دأب جوي (٤٠ عاماً) وزوجته كارين (٣٥ عاماً) على الاستعانة بحاضنة للعناية بأولادهما لكي يتمكنا من قضاء بعض الوقت في كوخ صيد كلما رغبا في خلوة. وتقول كارين: "يقع الكوخ في غابة جميلة. هناك نأكل ونشرب ونتبادل العواطف الحميمة. نحن نخصص وقتاً نكون فيه عاطفيين، لذا لن نفقد ذلك الشعور اللذيذ بأننا مراهقان مغرمان."

والمرح قد "يكسر الجليد" في الاتصال الجنسي. تشاجر مايكل وبربارة قبل بضع سنوات، وكانا كلاهما في السابعة والثلاثين من العمر، ثم سافر مايكل في رحلة عمل. ورغبت بربارة نادمة في اشاعة جو من المرح على لقائهما بعد عودته، فطبعت عدداً من الاسئلة على بطاقات، كان بعضها من نوع: ماذا يحب واحدكما في الآخر؟ وألمحت أسئلة أخرى الى حركات وذكريات مرحة.

وعندما عاد مايكل مساء بعد أيام وجد أضواء غرفة الجلوس خافتة والنار مشبوبة في الموقد. وشرحت بربارة "اللعبة" لزوجها ثم راحا يسحبان البطاقات، كل بدوره، فيجيب الواحد منهما عن السؤال أو ينفذ التعليمات التي تضمنتها البطاقة.

ويستذكر مايكل أن "اللعبة التي أعدتها بربارة كانت تجربة رائعة، اذ ساعدتني على تلمّس كل الايجابيات في علاقتنا، وهي أمور كنت نسيتها في دوامة الحياة اليومية."

كما أثارت اللعبة توق الزوجين الى الجنس.

وليس مهما كيف تلهوان معاً. يفضل بعض الازواج عشاء على ضوء الشموع، فيما يحب آخرون مشاهدة مباراة أو السير في نزهة. المهم أن يركز كل واحد

(١) Sensuality

تفكيره على الآخر وينأى عن كل ما يلهي.

وما ان تسترجعا شعور المرح حتى تصبحا قادرين على اكتشاف الطرق التي تغني بها الحواس الخمس سعادتكما:



اللمس: يفاجأ الخبراء، لدى سؤالهم الازواج عن نوع العلاقة الجسدية التي يتشوقون اليها مع شركائهم، أن معظمها غير مرتبط بالجنس. تقول الاختصاصية بعلم النفس السريري ستيلا رزنيك: "يرغب الناس في العناق والقبل ساعة الفطور وبعد العمل. انهم يتشوقون الى الاحساس بتمريرة ذراع على الكتف وبتدليكة للعنق أو الظهر. وكل هذه جزء من حاجتنا العميقة الى التمتع بعلاقة جسدية حميمة."

يعتقد بعض الازواج أن اللمس الشهواني لا بد من أن يقود الى الجماع. لكن الامر ليس كذلك بالضرورة. لنأخذ الرقص مثلاً: انه عملية شهوانية حسية لكنه ليس عملية جنسية. يقول زلبرغلد: "كثيراً ما يقاوم الرجال اللمسات التي لا تقود الى غاية. وأنا أقترح عليهم محاولة تبادل فرك الظهر وتدليك القدمين."

ويستحثّ اللمس الشهوة الحسية من طريق اطلاق الانـدورفينات،[٢] وهي افرازات كيميائيـة ترفـع الاحساس بالسعادة. وقد يخفض العناق ضغط الدم ويُشعر الناس بأنهم أكثر هدوءاً وسعادة. تقول الدكتورة تيريزا كرنشو من سان دييغو: "يحس الازواج الذين يستمتعون باللمس أنهم في حال أفضل لانهم، طبياً، في حال أفضل. كما أن قدرة اللمس على تخفيف حدة التوتر قد تمهد لممارسة جنسية ممتعة."



البصر: جرّبا أولاً لغة العيون. تقول شيرلي زوسمان المستشارة في شؤون العلاقات الجنسية والزوجية: "لا بد أنكم سمعتم عبارة: ان عشقنا فعذرنا أن في وجهنا نظراً. النظرات المتبادلة هي عملية شهوانية حسية جداً."

كذلك بصيص نار الموقد وضوء الشموع.

يبحث ستيف ونانسي عن مكان منعزل عندما يرغبان في قضاء وقت حميم. وتقول نانسي: "الاطار الطبيعي مهم. قد تسعدنا تمضية أوقات في كوخ صغير يطل على مناظر خلابة، لكن النار المستعرة في موقد هناك هي ما يضفي جواً حالماً على جلستنا."



السمـع: احتلت المـوسيقى ، المـرتبة الاولى بين مثيرات الشهوة الجنسية، اذ أعلن ثلاثة أرباع الازواج المشاركين في دراسة أن الموسيقى تستثير رغبتهم في ممارسة الجنس.

(٢) Endorphins

نشأ جوي وكارين في عصر الروك اند رول، لكن كارين انصرفت قبل سنوات الى الاهتمام بالموسيقى الكلاسيكية. ولم تلقَ هذه الموسيقى اهتماماً من زوجها، الى أن بدأت تضع تسجيلاً لموسيقى رافيل أثناء ممارستهما الجنس. تقول كارين: "لا يزال جوي يحب موسيقى الروك، لكنه صار يستثار كثيراً كلما استمعنا الى مقطوعة البوليرو."

ولا تنتقصا من الامكانات الشهوانية الكامنة في أصوات أخرى مثل تكسّر الامواج على الشاطىء أو خرير السواقي أو الهمسات الحالمة. تجد آمي (٣٣ عاماً) صوت انهمار المطر مثيراً لانه يذكرها بالسنوات التي عاشتها وزوجها جون (٤١ عاماً) في قارب. كانا ينامان في حجرة تحت السطح، وكان صوت المطر يملأ أذانهما. وهي تقول: "كان ذلك مثيراً حتى أصبح صوت المطر المنهمر يعني شيئاً خاصاً في حياتي."

ولا تستخفّوا بالقدرة الحسية لرسالة مثيرة تترك على آلة تسجيل للمكالمات الهاتفية. كان جون، عندما يعرف أنه سيتأخر في العودة الى البيت، يترك لزوجته رسائل "ذات مغزى" تتضمن معنى أبعد من ساعة وصوله. تقول آمي: "كنت أعرف عندما أستمع الى الرسالة أن جون يفكر فيَّ، وذلك ينطوي على اطراء واثارة."



الشم: قد تجترح الروائح العطرية معجزات. تنصح زوسمان باستخدام العطور والورود والصابون والشموع. وتقترح على الازواج زيارة متاجر العطور وأدوات الحمام معاً لانتقاء الشذا الذي يستهويهما.

تهوى كارين أوراق التوت المعطرة والشذا الذي تنشره، وكثيراً ما تستخدم هي وزوجها هذا "العطر" خلال جلساتهما الحميمة. مر الاثنان ذات يوم بمحل يبيع شموعاً معطرة، وصادف أن كانت الرائحة المنبعثة من المحل رائحة توت. وتذكر كارين: "تبادلنا نظرة ذات معنى، ولم يطل بنا الوقت في السوق."



الذوق: "بعض شراب ورغيف خبز وأنتِ" كانت كل ما احتاج اليه الشاعر الفارسي عمر الخيام لاثارة رغباته. ان في دغدغة براعم التذوق أكثر من ارضاء لشهية للاكل، فهي تثير شهيات أخرى جاعلة ما يحدث بعد تناول الحلوى أحلى وأشهى.

حين يستوعب المرء لامحدودية امكانات الشهوة الحسية الزوجية يتضح له سبب قصور العلاقات المحرَّمة عن منح الرضى. فالشهوة الحسية تنشىء علاقات حميمة طويلة الاجل، خلافاً للعلاقات المحرَّمة. وتغذي العلاقة الزوجية الثقة والشعور العميق بالارتياح اللذين يعتبرهما الخبراء حيويين لعلاقة جنسية مشبعة.

وأنتما قادران على اعادة اكتشاف الشهوة الحسية في زواج تظنانه بات مملا. انها هناك، فنمّياها.

وصاحبنا ريتشارد مثال حي. فهو أنهى علاقته المحرَّمة بعد ثلاث سنوات وأنقذ زواجه بأعجوبة، وبات يدير مع زوجته ليز مكتب محاماة. وهما يؤكدان أن علاقتهما أفضل مما كانت أبداً.

كيف استطاع ريتشارد وليز الحفاظ على زواج غني بالاثارة؟ انهما يتعانقان تكراراً، ويمسك الواحد منهما يد الآخر، وكثيراً ما يلهوان أثناء مشاهدة البرامج التلفزيونية. وأحيانا، عندما تكون ليز مشغولة في المطبخ، يفاجئها ريتشارد بمعانقة. وعندما يكون هو متوتر الاعصاب تدلك ليز عنقه وكتفيه.

يقول ريتشارد: "لقد أدت هذه النزعة الحسية الى تجديد حياتنا الزوجية. واذا كان الجنس هو النار في العلاقة، فان الشهوة هي الشرارة التي تبقي النار متقدة."

مايكل كاسلمان ■

التبضّع في القرى

التبضّع في القرى مسالة استهلاك للوقت، فالناس يعرفون بعضهم بعضا في المجتمعات الصغيرة. ويحرص الباعة على سؤال الزبائن عن صحتهم واحوالهم، ما يشكّل مصدر ازعاج للزبائن الغرباء.

أعجبني اعلان رأيته معلقا على واجهة أحد المحالّ القروية وقد جاء فيه: "رجاء، لا تستعجلونا، فنحن قرويون. كلّما أسرعنا تاخرنا."

ش.م.

جامعيون

غادرت ورفيقي حرم جامعتنا لحضور مباراة في كرة القدم. وفي الطريق حدثني عن قلقة حول صعوبة ايجاد وظائف في المستقبل بسبب التدهور الاقتصادي. فأكدت له ان ليس لدينا ما نخشاه ونحن خريجا جامعة شهيرة.

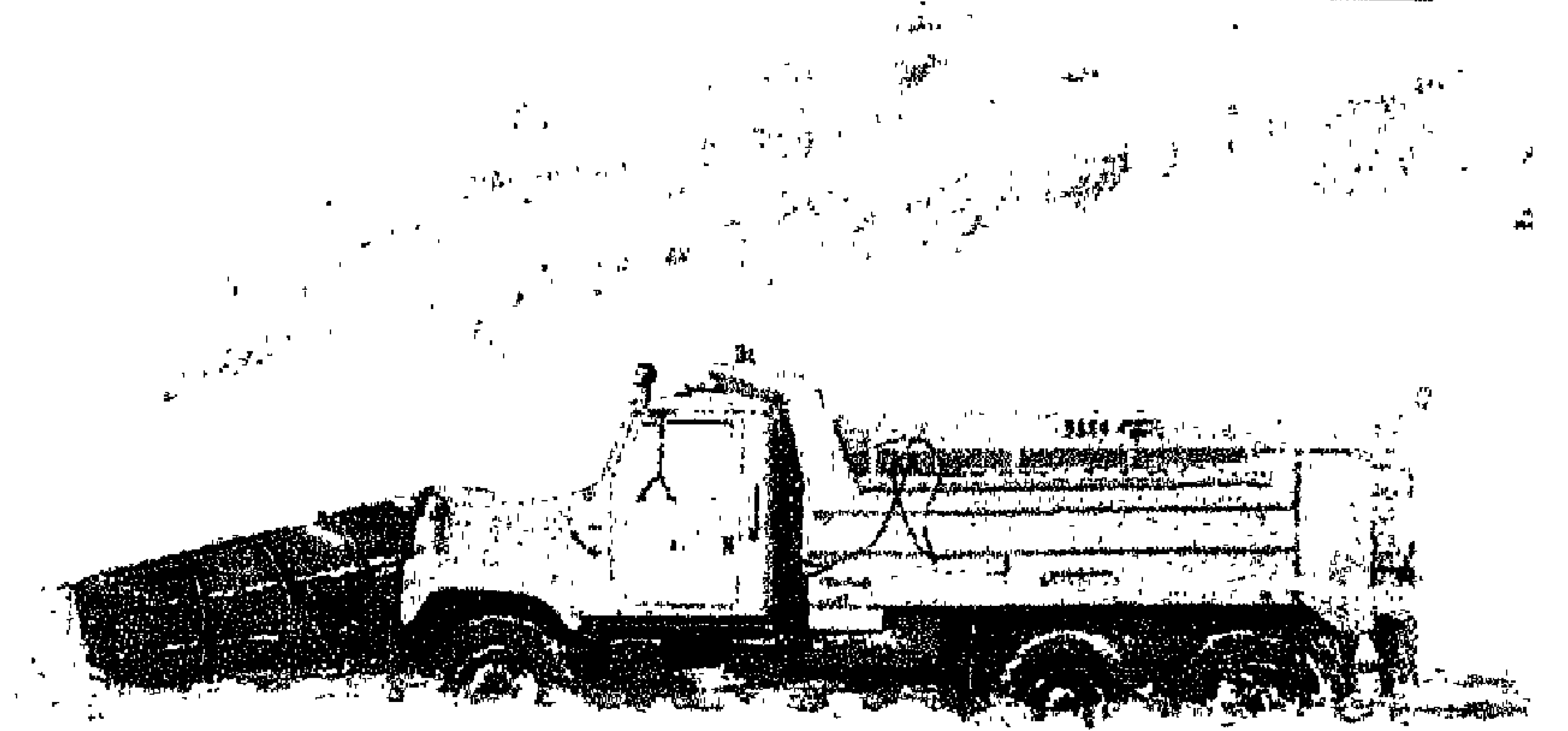
ولدى وصولنا الى بوابة الملعب اقترب منا متسول ما ان رأى قميص رفيقي وعليه شعار الجامعة حتى انطلق يغني نشيد جامعتنا. أعطيت الرجل بعض النقود، وفيما نحن نعبر البوابة قال لي رفيقي: "أرأيت؟ ذلك الرجل مثال حي على ما ينتظرنا!"

غ.هـ

واحدة فقط!

حاولت جميع الوسائل الممكنة لكي أجعل المربية الجديدة تشعر كأنها في بيتها. مرة تركت لها علبة البسكويت على المائدة. وفي اليوم التالي، حين فتحتُ العلبة، اكتشفتُ داخلها ورقة كنت تركتُها لزوجي الذي يتبع حمية وكتبتُ فيها: "قطعة واحدة فقط!"

ب.و.



علق المنقذ داخل شاحنته التي دفنها الثلج فقبع ينتظر معجزة تخلصه من الجدران البيضاء المطبقة عليه

سجين الشَّرنقة البيضاء

اشتدت قبضة دون فيشر على المقود وهو يقود شاحنته التابعة لمديرية الطرق عبر "ممر تيتون" في ولاية ويومنغ. وكان دون (٦٣ عاما) عمل خلال السنوات الثلاث والعشرين الاخيرة في جرف الثلج الذي يغطي المنعطفات الحادة في الطريق الجبلية الرئيسية بين جاكسون هول بولاية ويوميغ وخط ولاية ايداهو. وكثيراً ما أدى واجبه وسط عواصف عنيفة، لكن العاصفة الثلجية التي هبت يوم ١١ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ هزت شجاعته، اذ كان لا يكاد يجرف الثلج عن الطريق حتى تعود فتبيَضّ في لحظة.

وزاد الأمر سوءاً أن كتل ثلج كانت تسقط على الطريق أثناء عملية الجرف الأولى صباحاً، فأدرك دون أن هذا يعني أمراً واحداً: ثلجاً غير مستقر في الجبل، النذير الاول بانهيال ثلجي.

ILLUSTRATIONS: BILL DODGE



وعلى مسافة ٨٠٠ متر من القمة مر بشاحنة صغيرة وسيارة متوقفتين في الخط الذي كان نظفه لتوِّه. كان سائق الشاحنة يحاول ادارة محرك السيارة المتعطلة. فقرر دون التوقف خلال جولته التالية للتأكد من سلامتهما.

في السابعة والدقيقة الثالثة والخمسين أعلن كبير العمال جاك أوكلي عبر جهاز الارسال قراره اغلاق الممر. فكان رد دون: "عليَّ القيام بجولة أخرى، فهناك سائقان عالقان في أعلى الطريق."

أجابه أوكلي: "كن حذراً، فالطريق خطرة."

زحفت شاحنة دون صعداً عبر الثلج الذي تجمع مجدداً منذ رحلته الأخيرة. وأوقفها عند فسحة جانبية تحت "غلوري بول" وهو واد ضيق يبلغ عمقه ٦٠٠ متر وتحده صخور عمودية شاهقة تعلو الطريق العامة. فتح دون باب الشاحنة في وجه الريح المزمجرة وخوَّض في الثلج الذي بلغت سماكته ركبتيه، ليعاين جرافته. فلاحظ أن الثلج المدوِّم ملأ جوف الجرافة.

وراوده احساس بوجوب التراجع والعودة الى جاكسون هول. لكنه لم يتردد عندما فكر في العربتين اللتين كان رآهما في أعلى الطريق.

وهكذا صعد دون الى شاحنته وتابع طريقه فيما لاح جدار "غلوري بول" فوقه، بثلوجه المهدِّدة، كبندقية محشوة مصوَّبة. ولم يكد ينطلق حتى هبت ريح عاصفة حرفت آليته التي تزن ٢٠ طناً الى



جانبي الطريق. وفي ثوان مزقت عصفةٌ زجاجَ النافذة اليمنى وحاجب الريح الامامي كما لو كانا من ورق.

وفيما أضاءت أنوار المصابيح كتلة الثلج فوق الطريق، رأى دون حافة تتغضن وتنثني فوقه. كانت أطنان من الثلج والحجار تتكتل وتتدفع نحوه. داس كابح الشاحنة وحاول تسييرها خلفياً، ولكن بعد فوات الأوان، اذ تدفق الثلج الثقيل عبر النافذة وملأ ركن القيادة وسمّر دون الى مقعده.

وسرعان ما أطاح الانهيال الثلجي الشاحنة ذات العجلات العشر في الهواء كأنها وسادة خفيفة، وانتزع المرايا والمعدن ولوى الجرافة. وغمر الثلج المنهال الشاحنة وقذفها مسافة ٦٠ متراً على المنحدر الثلجي، فاستقرت على حافة واد منقلبة على جانبها الايسر حيث مقعد السائق.

"**انها النهاية.**" حدق دون في الظلام المريع نافضاً الثلج برموشه. وتبين له أنه بات سجين شرنقة جليدية. حاول التركيز على تنفسه، فكل لهاث قصير كان درعاً موقتة ضد الموت، اذ عصر الثلج المتراكم صدره وتضاءلت كمية الهواء المتوافرة. كان يجهل عمق الثلج الذي دفن تحته وأي اتجاه هو الى فوق.

وبعد لحظات رعدت فوق رأسه كتلة منزلقة أخرى، فأيقن أن أحداً لن يتمكن من العثور عليه، اذ لن يُطلب من المنقذين ولوج منطقة متقلقلة كهذه.

وقال دون في نفسه: "هذه هي النهاية اذاً، هكذا سينتهي بي الامر بعد كل هذه السنين." وكان لا يزال يسمع طنين مفتاح اشعال الشاحنة ففكر: "عندما تفرغ البطارية ويتوقف هذا الطنين سأكون أنا أيضاً في عداد الأموات" وما ان ساورته هذه الفكرة حتى قاومها وراح يعمل ذهنه لايجاد وسيلة للخلاص.

لم يكن قادراً على الوصول الى جهاز الارسال لطلب النجدة، فقد كانت قدمه اليمنى عالقة بين دواستي الكابح والقابض (دبرياج) بينما علقت قدمه اليسرى تحت المقعد. ومضّه الألم في ركبته الملتوية فيما كانت يده اليسرى، وراحتها الى أعلى، محشورة بين ركبته اليسرى والمقود.

كان دون رفع ذراعه اليمنى غريزياً لحماية نفسه أثناء سقوط الشاحنة، وها هي الآن محشورة في وضع تحية دائمة قرب لوحة أجهزة القياس. وكان يحرك أصابعه بصعوبة، فشرع يخدش الثلج بأظفاره حتى نزفت أنامله، محاولاً كسب فسحة ثمينة لا تتجاوز مساحتها بضعة مليمترات. ومع كل نفس كان يشد قبضته ويرخيها الى أن ذاب الثلج مخلفاً تجويفاً جليدياً حول يده.

فكر دون في زوجته كولين (٣٨ عاماً) وأولادهما الخمسة، فخيل اليه أن الوقت تجمد أيضاً. كان اعتزم تنظيف مدخل منزلهما من الثلج بعد انتهائه من عمله. وأقلقه أن كولين قد لا تتمكن من جرفه.

وفكر دون في زملائه وفي الرفقة التي

كانت محور حياته بحيث جعلته يتطوع للعمل مجاناً في عطل نهاية الأسبوع. كما تذكر رحلات الصيد الكثيرة برفقة جاك أوكلي.

كم هو متشوق الى رؤية أوكلي في هذه اللحظة!

شكل الثلج الذائب بفعل تنفس دون طبقة جليدية رقيقة على بعد بضعة سنتيمترات من وجهه ليغدو "قناع موت" يمنع عنه الأوكسيجين. وشعر بضيق كأنما صدره محتجز بين فكي ملزمة. وكان الثلج الذائب يقطر على رقبته في نهير جليدي ويبلل لباسه الرقيق. وبدأ دون يرتعش بعنف. واذ نال منه الارهاق الشديد راح يغيب بين نوم ويقظة. سمع أصواتاً آتية من بعيد. وتهيأ له أن والده المتوفى قبل أكثر من عشر سنين يطمئنه: "سوف تنجو!"

جدار من ثلج. هالَ روس موزس أن أحداً لم يتمكن من الاتصال بدون فيشر منذ ما قبل الثامنة صباحاً، وقد صارت الساعة الثامنة والدقيقة الخامسة والعشرين، وليس من عادة فيشر التأخر في الاتصال، وهو المعروف بين زملائه بمهارته واحترافيته. وللحال تطوع موزس، وهو سائق جرافة، وتقني اللاسلكي تشاك كاكاليسيك للبحث عن الرجل الذي كان بمثابة أب لسائر أفراد الفريق الذين يصغرونه سناً.

ركب الرجلان شاحنة كاكاليسيك الصغيرة. وفيما هما يتجاوزان لافتات وحواجز تشير الى أن الطريق مقفلة، تابع موزس محاولات الاتصال بدون. وإذ باءت هذه المحاولات بالفشل أيقن الزميلان أن في الأمر سوءاً.

ثم اجتازا المنعطفات الحادة تحت "غلوري بول"، فطالعهما جدار ثلجي بلغ ارتفاعه متراً ونصف متر.

قال كاكاليسيك: "ابق هنا وانصت الى جهاز الارسال. أما أنا فسأصعد للتحقق من احتمال انزلاق في غلوري بول."

التقط كاكاليسيك رفشاً وتسلق حافة الجرف بجهد. فتبين له أن جدار غلوري بول انهار فعلاً. وهو لم ير في بادىء الأمر سوى طبقة بيضاء فوق مجاز الانهيال، لكنه تنبه، اذ ألقى نظرة عن قرب، الى جلاميد وأغصان اختلطت بالثلج. وما لبث أن لاح له شيء أسود... زاوية واقي الصدمات لشاحنة!

هرع كاكاليسيك نحو الشاحنة وشرع يحفر. ثم ألقى نظرة الى أعلى الوادي فلاحظ أن نصف الكتلة الثلجية في جدار "غلوري بول" لا يزال معلقاً فوقه يهدد بالسقوط. فأعمل رفشه في الثلج وقد تملكه الهلع، الى أن أدرك الحفرة المفتوحة حيث كانت النافذة اليمنى لقمرة الشاحنة. فحفر داخلها وهو ينادي دون. وفجأة برزت يد يمنى من الثلج.

فتمتم كاكاليسيك: "يا إلهي، انه حي!" وراح ينشب أصابعه في الثلج متحاشياً استخدام الرفش. ومزق الزجاج المكسور قفازيه وجرَّح يديه فيما هو يحفر ليكشف رأس دون، إلى أن تمكن

من انتزاع الجليد والثلج من حول أنفه وفمه.

عبَّ دون هواء نقياً للمرة الاولى منذ أكثر من ساعة، وتراءى له منظر السماء عبر اطار النافذة المكسورة كمعجزة.

قال: "انني بردان."

فطمأنه كاكاليسيك: "سأخرجك من هنا، وستكون على ما يرام."

تمنى كاكاليسيك لو يصدق هو نفسه الكلمات التي نطقها. فقد كان جلد دون رمادياً، وهو بين الصحو والغيبوبة.

قبضة جليدية. فيما كانت قاذفة الثلج التابعة لمديرية الطرق تشق ممراً عبر الثلج الزاحل في الطريق، كان كاكاليسيك حرر رأس دون وكتفيه. وحين وصل جاك أوكلي وثب هو وموزس فوق الجرف وانزلقا حتى الشاحنة المدفونة. مد موزس يده لالتقاط يد دون. أما أوكلي فلم يحتمل رؤية صديقه عالقا، فزحف عائداً الى شاحنته لطلب النجدة عبر جهاز الارسال وللبحث عن شيء يعينه في الحفر. لكنه لم يعثر إلا على علبة قهوة رماها الى كاكاليسيك. وبدأ الرجلان عملاً منظماً. كان كاكاليسيك يملأ العلبة ثلجاً ثم يمررها الى موزس الذي يفرغها ويعيدها اليه.

وكان أوكلي يراقب عن حافة الجرف متحفزاً لتنبيههما اذا ما بدأت كتلة الثلج تنهال، لكنه كان مدركاً أن الانذار قد يجيء متأخراً.

واستمر الرجلان يملأان العلبة ويفرغانها مرة تلو أخرى بوتيرة مضنية، الى أن تمكنا من تحرير دون الى خصره.

قال كاكاليسيك أخيراً: "حسناً يا دون. سأشبك ذراعي بذراعك وسنحاول جذبك الى الخارج."

لكن المنقذين أخفقا في زحزحة جسم دون المتيبس، وظل الثلج ممسكاً به بقبضة جليدية. ثم عمد كاكاليسيك الى توسيع النفق فاتحاً الباب الايمن وجارفاً الثلج من الداخل فيما موزس ينبش الثلج برفشه من فوق.

وتباعدت فترات صحو دون. وكان منقذاه يحاولان حمله على التحدث كلما أفاق، لكن كل ما استطاعه بضع أنات مبهمة. فأدرك كاكاليسيك وموزس أن صديقهما كان يتجلد حتى الموت.

عزم لا يلين. وصل فريق انقاذ تابع لدائرة الاطفاء في الحادية عشرة صباحاً. وانسل اختصاصي بالمعالجة الطارئة تحت الشاحنة. وجرف العمال حفرة عمقها ثلاثة أمتار أمام الشاحنة ليتمكنوا من سحب دون عبر حاجب الريح. واقتلعوا المقود بواسطة قاطعات هيدروليكية، وأزالوا الثلج عن ساقي دون. واضطر الفريق الى قص جزمته التي شكلت عقبة أخيرة أمام اخراجه.

مدد الرجال زميلهم على لوح خشبي أنزلوه عبر الحاجب الزجاجي، ثم حملوه خارجا الى سيارة اسعاف في الانتظار. كانت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الثامنة، وقد مضى على وقوع الانهيال الثلجي الذي دفن دون نحو أربع ساعات.

تبين لدى وصول دون الى مستشفى سانت جون في جاكسون أن حرارة جسده تدنت على نحو خطر الى ٢٩،٥ درجة مئوية.

وخلال عملية اعادة تدفئة أفاق وهو في حال من الارتعاش الشديد لا يتذكر شيئاً عن تفاصيل انقاذه بعد ذلك النفس الأول من الهواء المنعش. ولم يعثر الأطباء الا على بعض خدوش وكدمات والتواء في ساقه اليسرى ورضة في ذراعه اليمنى.

غادر دون المستشفى بعد يومين. واثباتاً منه لعزيمته الصلبة عاد الى عمله يوم الاثنين التالي، ورافق فريق العمل الذي تولى اخراج شاحنته من الثلج. وهو قال لزملائه: "أنا ممتنّ لكم حقاً. لقد خاطرتم بحياتكم من أجلي، ولا يمكنكم تصور مدى سعادتي لوجودي هنا بينكم وسماعي أصواتكم."

فرد موزس: "ما هذا الهراء؟ نحن لم نفعل شيئاً لم تكن لتفعله أنت من أجلنا."

لم يُعثر على الشاحنة والسيارة اللتين عاد دون لانقاذهما. واستنتج رجال الامن أن السائقين تمكنا من النجاة عبر الطريق الجبلية التي كان دون أنهى فتحها. وأخيراً انتشلت جرافة شاحنة دون من مسافة ١٥٠٠ متر في الوادي الضيق.

تلقى تشاك كاكاليسنيك وروس موزس جائزة تمنحها مديرية الطرق في ويومينغ مكافأة لمن ينجز أعمالا بطولية. وأُصلحت شاحنة دون، وهو يقودها اليوم في ممر تيتون.

جودي س. كلايتون ■



حيلة ناجحة

كان صديقي العجوز يفقد سمعه تدريجاً. رأيته ذات يوم يضع سماعتي رأس موصولتين بمكبر صوت (ميكروفون) مثبت على سترته. فاقتربتُ منه وقلتُ له صائحاً بأعلى صوتي: "أيفيدك هذا الجهاز؟"

أجابني: "نعم، كثيراً." ثم أضاف بشقاوة: "ليس فيه بطاريات، ولكن ما ان يراه الناس حتى يتكلموا معي بصوت عال."

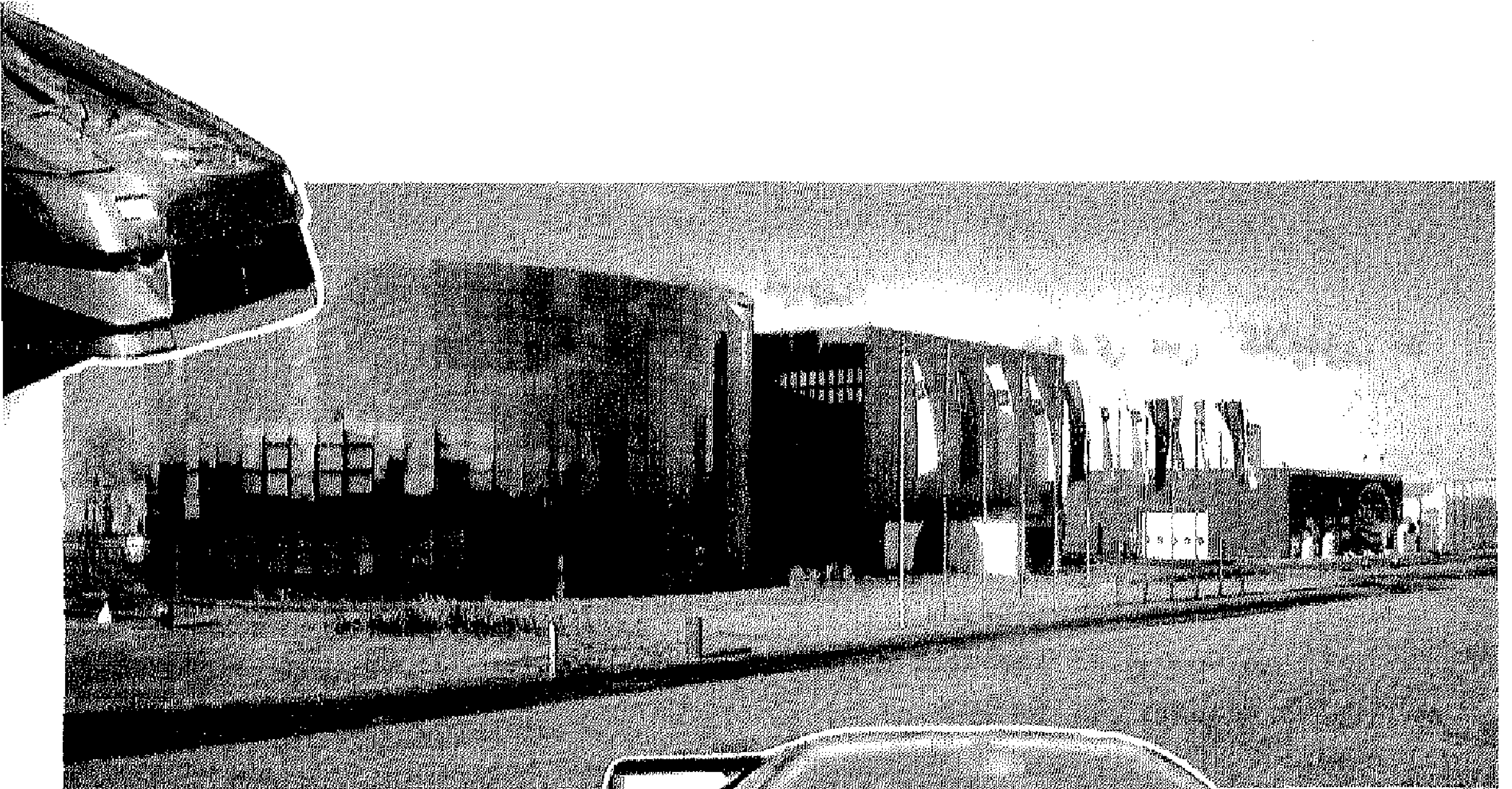
ت.ج.

فأرة في الفخ

حين انتقلنا الى السكن في مزرعة، كان علينا ان نتعود نمط حياة لم نألفه من قبل. وذات مساء عبرت فأرة غرفة جلوسنا واختفت. بحثنا عنها كثيراً فلم نجدها، ولم نعثر على أيّ ثقب يمكن أن تكون ولجته. واصرَّ زوجي على انها لا بد اختبأت داخل احدى علب الألعاب. وهذا ما كان فعلا، لقد اختبأت في صندوق لعبة "فخّ الفئران."

ك.ش.

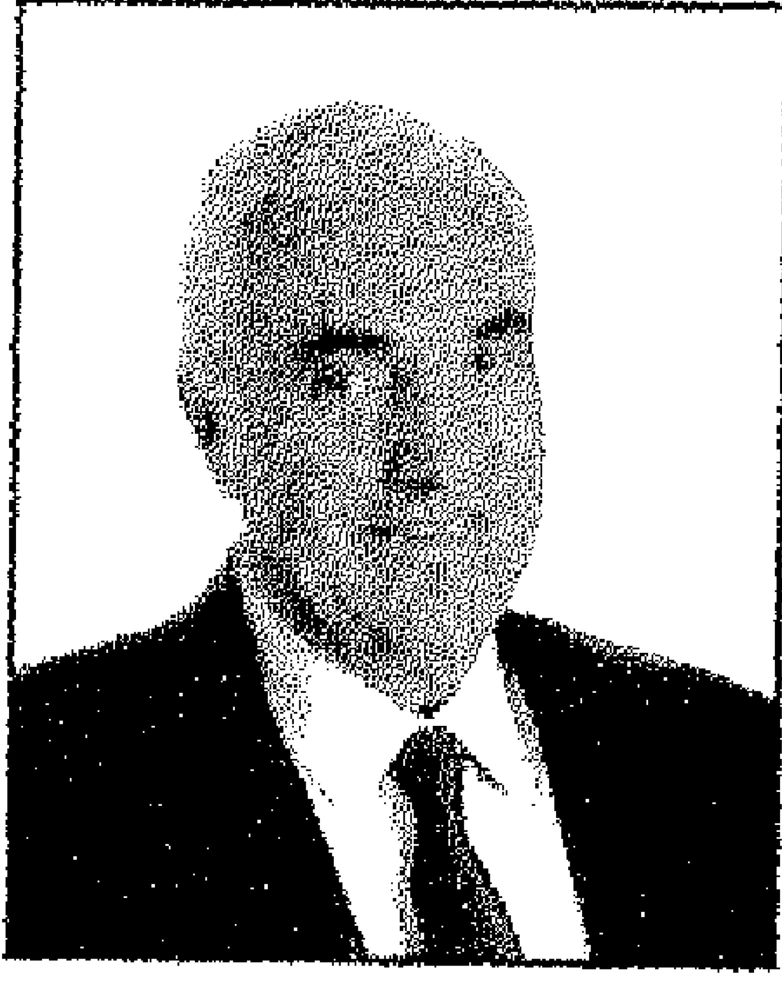
عَودة البوغاتي



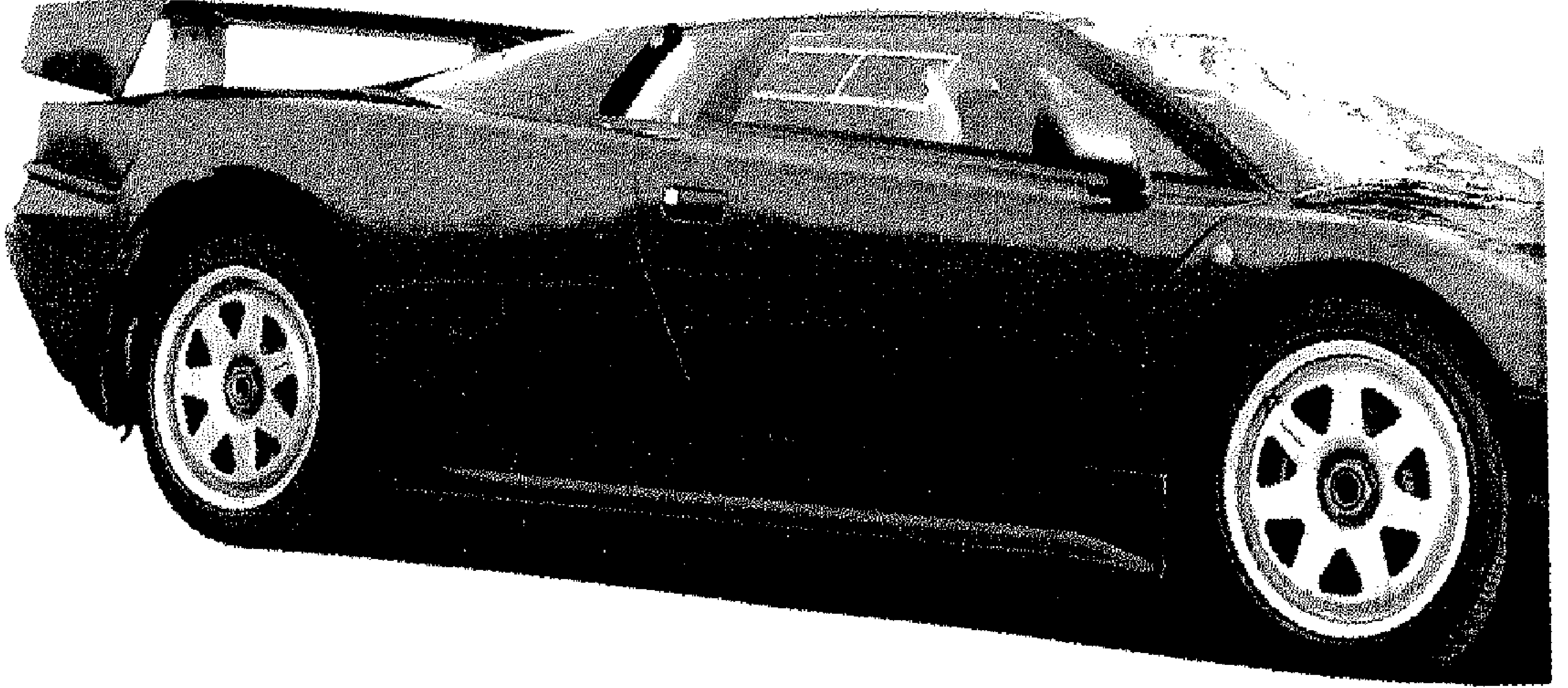


من اليسار: رومانو ارتيولي ومنظر جانبي للسيارة «EB 110» التي عرضت في باريس في سبتمبر (ايلول) ١٩٩١؛ المصنع في كامبوغاليانو (مودينا): منظر امامي لنموذج «EB 110».

PHOTOS: ROBERTO BIGANO / BUGATTI AUTOMOBILI



تعود هذه السيارة الجذابة لتأسر الهواة بعد غيبة ٤٠ عاماً



احتفالاً بالذكرى العاشرة بعد المئة لمولد ايتوري بوغاتي، في ١٤ سبتمبر (أيلول) ١٩٩١، تشكّل موكب ضم ٨٢ سيارة من الاغلى والاكثر شعبية لدى الهواة. مرّت أمام قوس "لاديفانس" على مشارف باريس وتابعت سيرها الى قوس النصر في وسط المدينة. وشاركت في العرض سيارات من معظم الطرازات العشرين الرئيسية التي أنتجها المصمم العظيم بوغاتي، بينها: الطراز ١٣[١] الصغير وهو الاول من سلسلة سيارات أنتجها بوغاتي، وسيارات سباق شهيرة من الطرازين ٣٥ و٥٠[٢] والطراز ٥٧[٣] الانيق الذي كان في الثلاثينات من "مستلزمات" الرجل الرياضي.

لكن الانظار اتجهت كلها نحو السيارة الاخيرة «EB 110»، وهي ذات مقعدين، واطئة الى حد لا يصدق، ومطلية بلون أزرق صيفي. وقد رمزت هذه القادمة الجديدة الى بعث احدى أروع الماركات[٤] في تاريخ صناعة السيارات بعد غياب أربعين سنة. ولقد غامر رومانو أرتيولي، مؤسس الشركة المصنّعة لهذا الطراز الجديد من بوغاتي، بكل ما يملك في سبيل انتاجه تحقيقاً لحلم حياته.

تعتبر طرازات بوغاتي من السيارات الاكثر سحراً وجاذبية في العالم، ذلك لأن

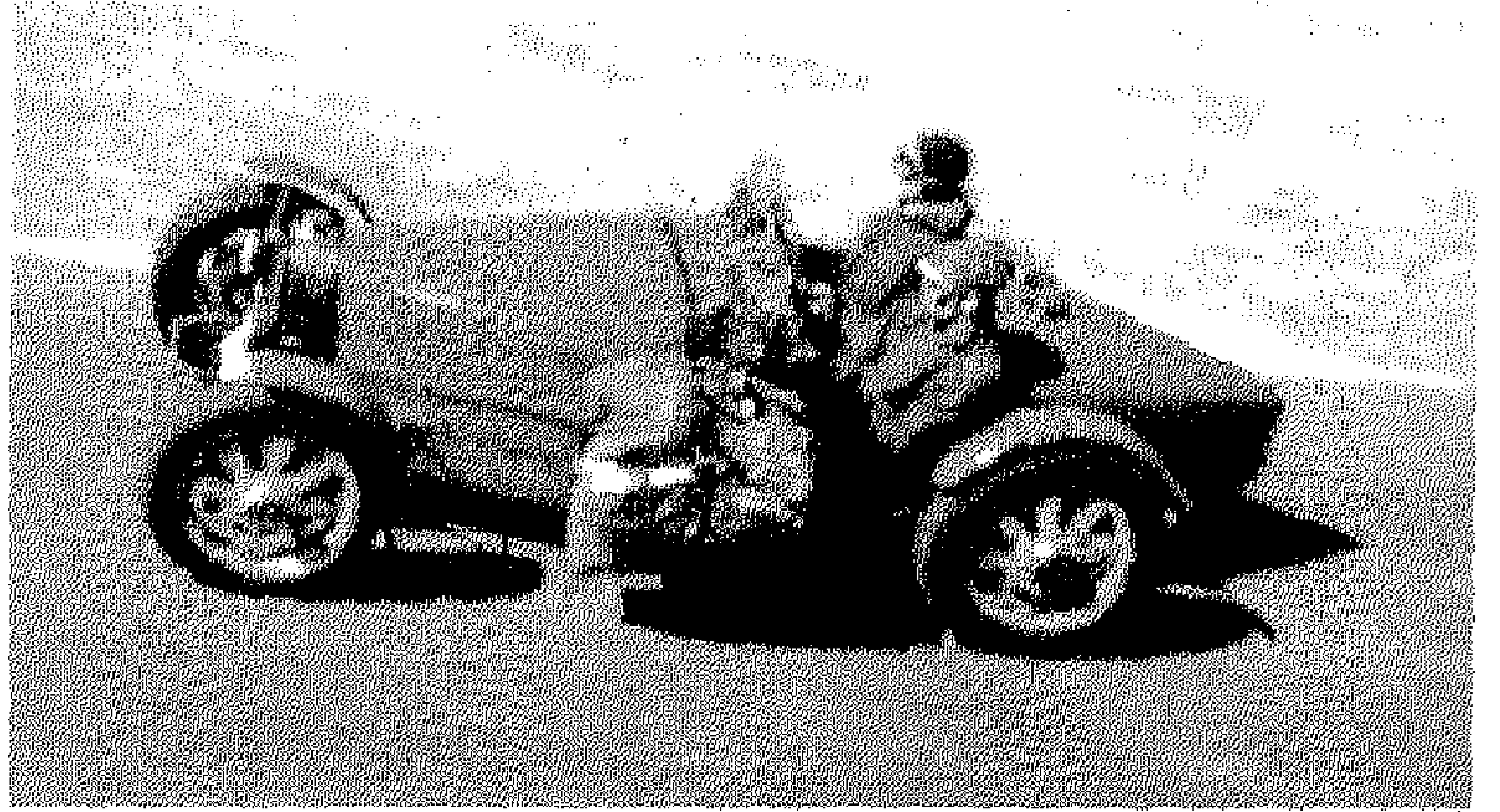
(١) Type 13

(٢) Type 35 and Type 50

(٣) Type 57

(٤) الماركة (marque) هي الاسم التجاري لسلعة ما.

ايتوري بوغاتي لم يكن مجرد رائد في صناعة السيارات، بل فنان بدأ عام ١٩١٠ ابداع نحو ٨٠٠٠ سيارة من الاكثر تطورا والاغلى ثمنا في عصره، وذلك في بلدة مولشايم في شمال فرنسا. وبعد وفاته عام ١٩٤٧ أنتجت شركته بضعة نماذج أخرى قبل أن تنسحب نهائيا من سوق انتاج السيارات. ومع ذلك استمر سحر بوغاتي حيا في الذاكرة، وأصبحت السيارات الالف والثمانمئة المتبقية في العالم من انتاجه موضوع ارتباط عاطفي بين مجموعة مالكيها في عشرات الدول. ونادراً ما تنتقل ملكية سيارة بوغاتي من هاو الى آخر، لكن العدد القليل منها الذي يباع يأتي بأسعار خيالية كما روائع الفنانين الكبار. ففي العام ١٩٨٧ بيعت "بوغاتي رويال" ضخمة – وهي طراز أنتجت منه ست سيارات فقط – بمبلغ ٩ ملايين دولار، وبعد ثلاث سنوات ثُمِّنت بـ١٦ مليونا.



بوغاتي من الطراز ٥١ ربحت سباق "غران بري." وهي تضم ٨ أسطوانات وتبلغ سرعتها ٢١٠ كيلومترات في الساعة.

مهووس بوغاتي! قبل فترة قصيرة من انتاج آخر سيارة بوغاتي عام ١٩٤٩، خطا رومانو أرتيولي أولى خطواته في عالم الاعمال وهو لما يزل طالبا في السادسة عشرة من عمره. وكان ابن تاجر ثري من بولزانو في ايطاليا ولا يحتاج الى العمل، غير أنه افتتن بالسيارات والمحركات منذ نعومته. كانت هوايته اجراء اصلاحات مختلفة على سيارات أصدقائه، وسرعان ما فرض عليه حجم العمل الاستعانة بمساعد.

كان رومانو قرأ، منذ كان في الثانية عشرة، كل ما وقع عليه من أخبار بوغاتي وسياراته المذهلة. فعرف مثلا أن بوغاتي كان نزّاعا الى الكمال الى حد أنه كان يصنّع البراغي والمسامير المصومولة والعزقات التي كانت تستخدم في صنع سياراته، وأن محركات بوغاتي صمّمت وصنعت بمراعاة شديدة للتفاصيل بحيث استخدمت وحدة اسطوانات متكاملة مع رؤوسها[5] مما ألغى الحاجة الى حشيّات أو سدادات مانعة للتسرب، وأن صنع المحور الخلفي الذي يزن ٦ كيلوغرامات فقط كان يتطلب كتلة من الفولاذ زنتها ٥٠ كيلوغراما يذهب ٤٤ كيلوغراما منها نثاراً أثناء التفريز. ثم أن سيارات بوغاتي كانت بين الاوائل التي استخدمت نظام الكوابح الهيدروليكية.[6]

---

(٥) Integral cylinder block and head

(٦) Hydraulic brakes

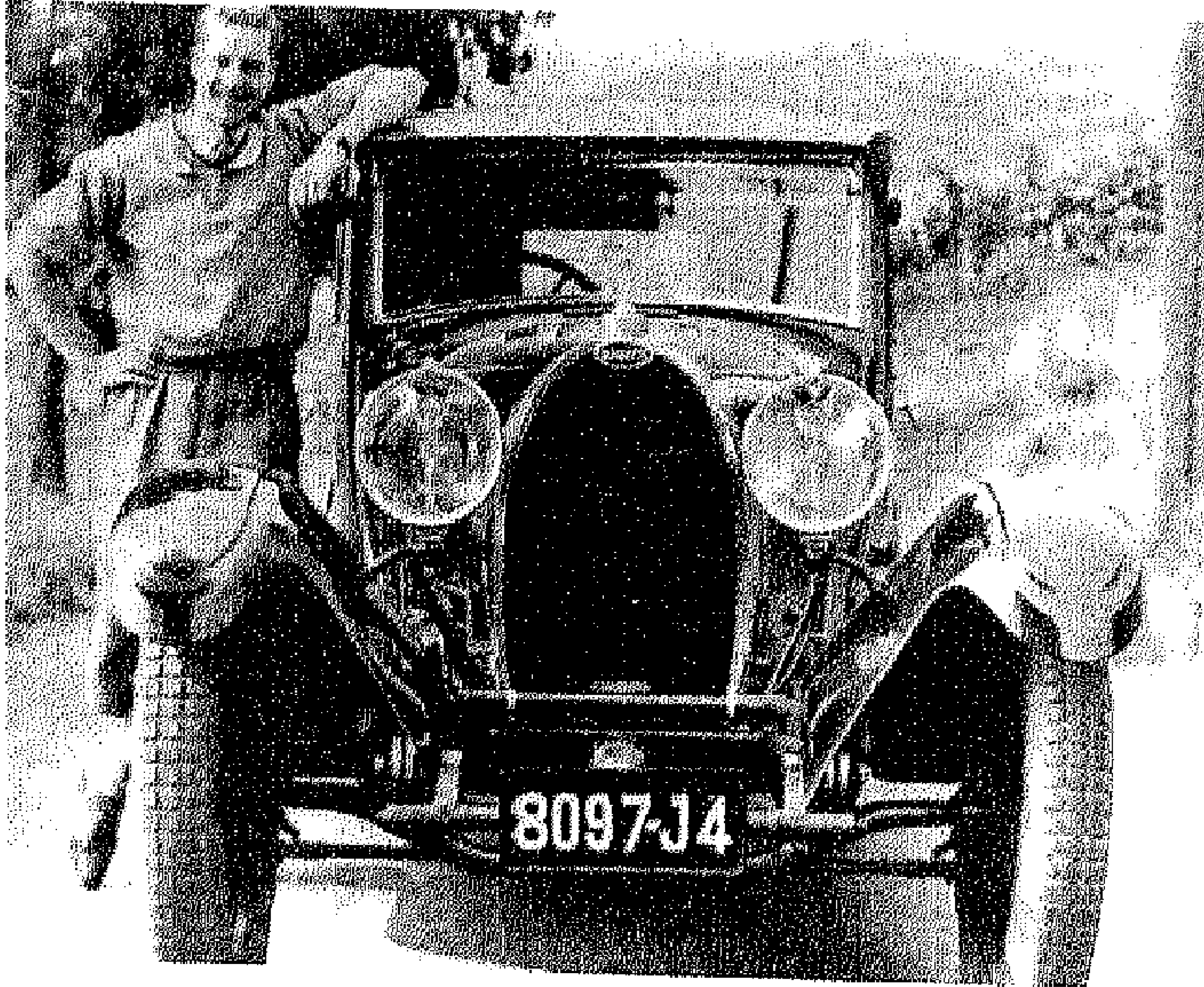
PHOTO: UMBERTO GUIZZARDI / COURTESY OF CENTRO CULTURALE BUGATTI

كان في امكان أرتيولي أن يتصور كل واحدة من سيارات بوغاتي بتفاصيلها: الطراز ١٣ الذي حصد عدداً كبيراً من جوائز سباقات السيارات الصغيرة في أوائل العشرينات والمزود عمود حدبات علويا[٧] و١٦ صماما موزعة على أربع أسطوانات. والطراز ٣٥ الذي كتبت عنه نشرة "مجلس التصميم البريطاني" عام ١٩٧٩ أن "توازن مواقع العجلات والرادياتور (المبرِّد أو المشعاع) وحجرة القيادة والمؤخر هي أقرب ما يمكن الى الكمال المطلق." والسيارات الست من طراز "بوغاتي رويال" التي صنعت قرابة العام ١٩٣٠ بسعر ٤٠ ألف دولار الواحدة، أي ما يعادل ثلاثة أضعاف سعر سيارة "رولز رويس"، وقد بيع ثلاث منها فقط.

بعض جنــون. حين علم أرتيولي أن شركـة بوغـاتي أوقفت انتاج السيارات غمره حزن كأنه فقد عزيزاً. ولكن خامره شعور غامض بأن ارث بوغاتي كان له، وحلم بأن يكمل الرسالة من حيث توقف ايتوري بوغاتي.

انغمس رومانو في هذه الاثناء في تجارة السيارات، فحصل على حق استيراد سيارات "فيراري" الى ألمانيا وسيارات "سوزوكي" وماركات أجنبية أخرى الى ايطاليا. وتبلغ قيمة مبيعاته السنوية في ايطاليا وحدها نحو ٣٠٠ مليار لير (٢٣٠ مليون دولار) سنويا.

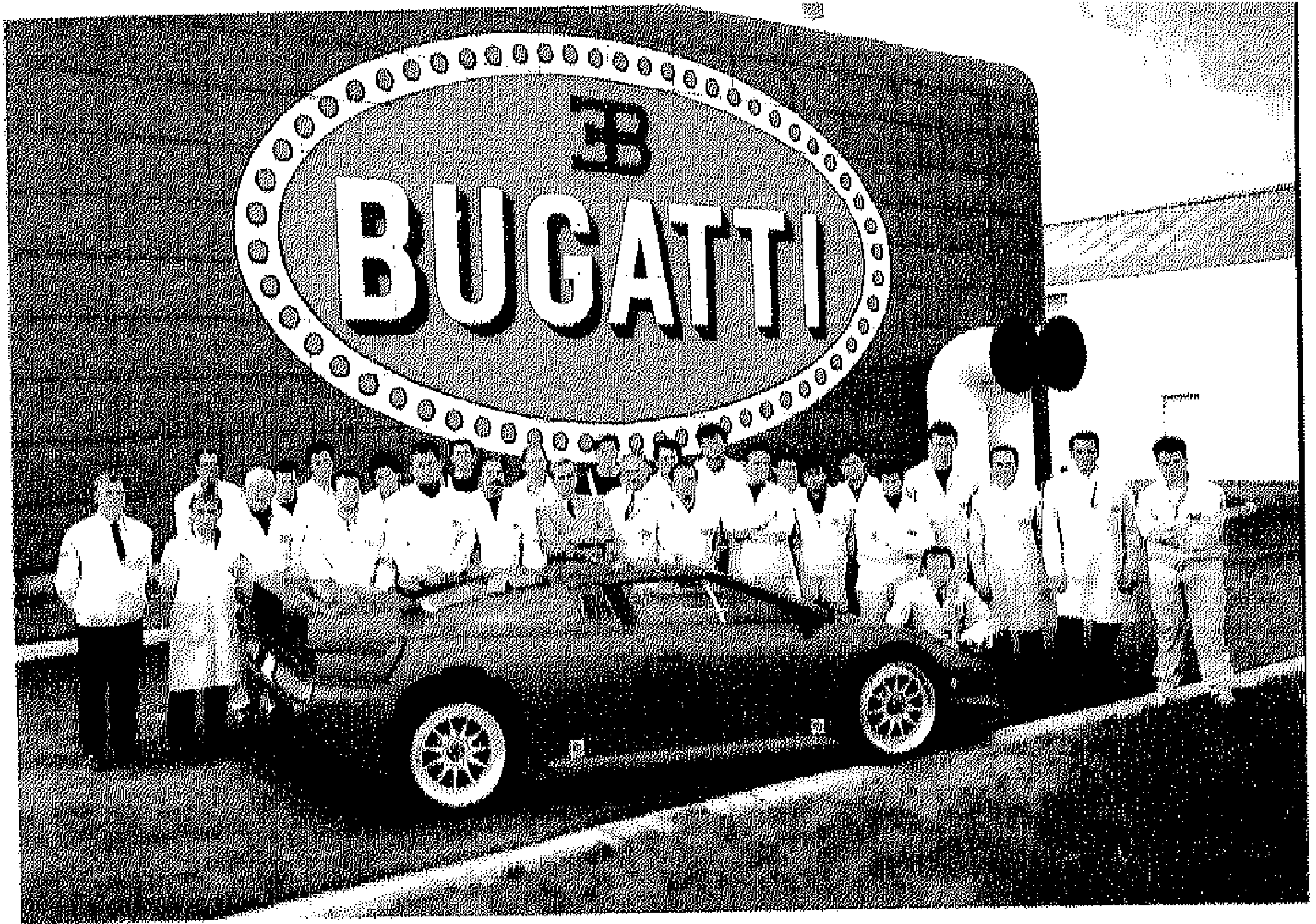
وبحلول العام ١٩٨٠، وكان بلغ الثامنة والاربعين من عمره، امتلك أرتيولي ما كان يتمناه: ثروة كبيرة وزوجة جميلة وابنتين رائعتين. لكنه مع ذلك شعر بغصة. كان يتذكر حلم صباه ويتساءل عما اذا فقد مقدرته على الابداع والتطلع الى ما ينبض له قلبه وليس فقط الى ما يقرره عقله. وهو آمن بأن ايتوري بوغاتي، الفنان قبل أي شيء آخر، لم يفقد هذه المقدرة وأن ذلك كان سر عظمته وأنه لم يساوم على أحلامه حتى عندما قادته في اتجاه مغاير للتفكير السليم. لو كان بوغاتي مجرد رجل أعمال لما وصلت فكرة سيارة "رويال" الى التصاميم، ومع ذلك ستنظر اليها الاجيال المقبلة على أنها أحد أروع انجازات العصر الصناعي.



جان، ابن ايتوري بوغاتي، متكئاً على سيارة كوبيه من طراز "فياكري" صنعت عام ١٩٢٩.

(٧) Overhead camshaft

PHOTO: COURTESY OF CENTRO CULTURALE BUGATTI



شعار الماركة الشهيرة، وفريق كامبوغاليانو حول نموذج السيارة. الرجل البادي ببزة رسمية في الوسط هو مدير الفريق نيكولا ماتيراتزي.

توصل أرتيولي، نتيجة هذا الحوار مع الذات، الى أن الحياة هي أكثر من مجرد بيانات موازنة وأن الوقت حان ليدع بعضاً من الجنون يتسرب الى حياته وليحلم ثانية.

اجتماع عائلي. زار أرتيولي مصنع بوغاتي القديم في مولشايم. وكانت الشركة تحولت بعد انسحابها من سوق السيارات الى تصنيع قطع تدخل في صناعة الطائرات، ثم اندمجت عام ١٩٧٧ بشركة جورج ميسييه تحت اسم "ميسييه - بوغاتي" التي تملك معظم أسهمها حالياً مؤسسة حكومية تعنى بشؤون الطيران، ويتكون نصف انتاجها من أجهزة هبوط وكوابح للطائرات المدنية.

وتعقَّب أرتيولي أثر آخر ذَكَر حي من عائلة بوغاتي، ويدعى ميشال وهو الآن في السادسة والاربعين من عمره ويعيش في جنوب فرنسا، وأطلعه على ما يعتزم القيام به. فأبدى ميشال حماسة للمشروع ووعد أرتيولي قائلاً: "سأساعدك ما استطعت."

وبرزت المشكلة التالية في التمويل. كان أرتيولي في حاجة الى مئة مليار لير (٧٥ مليون دولار) وذلك معناه تأمين مئتي مليار تحسباً لتكاليف غير متوقعة. لكنه سرعان ما وجد أصدقاء أغنياء يثق بهم وتحدوهم حماسة لتمويل مشروعه.

وواجه أخيراً مسألة قراره النهائي. دعا عائلته في أوائل ١٩٨٦ الى اجتماع لمناقشة مشروع بوغاتي، وبادر زوجته وابنتيه: "انني أنوي احياء أحد أشهر الاسماء في تاريخ صناعة السيارات. وهو مشروع ضخم، وأنا مضطر الى توظيف

PHOTO: ROBERTO BIGANO/ BUGATTI AUTOMOBILI

كل مواردنا فيه. سننتهي الى الفقر اذا لم ينجح. لذا، اذا كان لديكن أي مخاوف، فالآن وقت اقناعي بالعدول."

ردت زوجته ريناتا: "متى نجح أحدهم في اقناعك بالعدول عن أمر ترغب فيه؟ هيا، امضِ قدماً، فأنت تحلم بهذا الامر مذ كنت صبياً."

كاد أرتيولي يطير فرحاً، فالجميع التزم رأيه. فقال لهن: "يجب أن تدركن أن البوغاتي الجديدة التي سننتجها ستتفوق على أي سيارة أخرى. ولكن يجب أن تتفوق في اطار السلامة والراحة المطلقتين، محدِّدة مقاييس جديدة للكمال، والا فلن تكون بوغاتي."

الاسرع والآمن. كان أرتيولي زار مولشايم وتحدث الى المسؤولين في "ميسييه – بوغاتي" واتفق معهم على صفقة تتيح عودة ماركة "بوغاتي" الى الحياة. ولم يبق الا اختيار موقع للمصنع. وكان رأي أرتيولي أن مودينا هي المكان الوحيد حيث يمكن انتاج السيارة التي يفكر فيها.

وتقع هذه البلدة الجميلة في شمال بولونيا، وهي ترقى الى عصر النهضة ويقطنها ١٨٠ ألف نسمة. ومنها يأتي كثير من فضلي السيارات الرياضية في العالم، اذ تصنَّع في المنطقة كل سيارات الـ"فيراري" والـ"لامبورغيني" والـ"مازيراتي" والـ"دو توماسو." وتتوافر في مودينا مصانع كما يتوافر تقنيون يمكنهم أن يساعدوا أرتيولي في صنع سيارته.

اتصل ارتيولي في منتصف العام ١٩٨٧ بثلاثة تقنيين هم أوليفييرو بيدراتزي وتيزيانو بينيدتي وأكيلي بيفيني. كان الثلاثة موظفين في شركة "لامبورغيني" حتى العام ١٩٧٥ عندما أسسوا "تكنوستايل" وهي شركة اكتسبت شهرتها بتصميم محركات مبتكرة جداً لسيارات سباق ونماذج تجريبية. وهو قال لهم: "أريد أن أبني سيارة تكون الأسرع والأكثر أماناً وتوفيراً للراحة والأقل تلويثاً للجو من أي سيارة صنعت الى الآن. لكم حرية مطلقة في ما يختص بالشأن الهندسي، ولا عوائق مالية. وسأجعلكم شركاء في مؤسسة بوغاتي أوتوموبيلي الجديدة."

لم يتردد الثلاثة في قبول العرض. وبعد وقت قصير بدأ العمل في بناء المصنع المستقبلي على قطعة أرض مساحتها ٨٠ ألف متر مربع في كامبوغاليانو وهي بلدة صغيرة على مشارف مودينا.

ويعمل في المصنع الآن مئتا موظف من جنسيات ايطالية وألمانية وفرنسية وبريطانية. كما أضيفت مساحة ٩٠ ألف متر مربع الى الموقع. وتتلقى الشركة، منذ انتشر الحديث عما يقوم به المصنع، ٥٠ طلب توظيف يومياً. وتدفقت الطلبات أيضاً لشراء السيارة الجديدة. وتقرر أن ينتج المصنع اعتباراً من هذه السنة

(١٩٩٢) ١٥٠ سيارة «EB 110.» وقد غطى الطلب الى الآن انتاج أربع سنوات، أما السعر فلم يعلن بعد.

سيارة فضائية! ليعلم من يهمه الأمر أن توقيع شيك بمبلغ ضخم لن يكون كافياً للحصول على بوغاتي جديدة. فعلى الراغبين في الشراء الحضور شخصياً الى المصنع اذ لن يكون هناك موزعون، مع أن البعض يخشى أن يسبب هذا الأمر مشاكل لمالكي السيارات حين تبرز حاجة الى الخدمة والصيانة. ثم إن على الراغبين في الشراء أن يحصلوا من لجنة ضمانات خاصة على "براءة" تثبت أنهم هواة حقيقيون لهذا النوع من السيارات، وذلك للتأكد من أن السيارات لا تنتهي في أيدي مضاربين يعمدون الى بيعها في اليوم التالي بأضعاف سعر الشراء.

لكن، لنفترض أنك قادر على شراء سيارة بوغاتي جديدة. فما الذي تحصل عليه في مقابل ما تدفعه؟

ستكون لديك واحدة من أسرع السيارات في العالم، تبلغ سرعتها القصوى ٣٥٠ كيلومتراً في الساعة، ذات محرك هو مزيج من الالمنيوم والتيتانيوم سعة ٣٥٠٠ سنتيمتر مكعب مؤلف من ١٢ أسطوانة و٦٠ صماما وأربع ضاغطات توربو، يؤهلها للانطلاق بسرعة صاروخية من صفر الى ١٠٠ كيلومتر في الساعة في ٣،٧ ثوانٍ.

والاهم، ربما، هو أنك ستحصل على سيارة تتميز بابداع هندسي ذي تقنية عالية، حُددت بها معايير جديدة لمفهومي السلامة والراحة. والاساس هو في هيكلها (الشاسي) المصنوع من ألياف الفحم[8] وهو مقاوم وخفيف على نحو لا يصدق وقد طورته "ايروسباسيال" رائدة الشركات الفرنسية في مجال الفضاء. كما زودت سيارة «EB 110» نظام دفع بالعجلات الاربع، وهذا جديد على سيارات السرعات الفائقة. فجاءت النتيجة تماسكا لا يصدق مع الطريق في سرعات قصوى.

أما الكوابح الفحمية[9] التي استوحيت من كوابح الطائرات فتبقي محرك السيارة المتميز بقوة ٥٥٠ حصانا تحت سيطرة كاملة. ويراقب كمبيوتر داخلي وظائف المحرك والحرارة والضغط في العجلات ومدى تأكلها.

وتتميز سيارة «EB 110» بهيكل واطىء لا يرتفع عن الطريق سوى ٨ سنتيمترات، لكن مجرد لمس زر خاص يرفع نوابض التعليق[10] ١١ سنتيمتراً اضافية. وهي زُودت أجهزة متطورة لخفض استهلاك الوقود وتقليل نسبة التلوث. أما بالنسبة الى الراحة التي توفرها لراكبها فيقول ارتيولي: "هناك مكان واحد يؤمن للانسان راحة أكبر، وهو العوم في السائل الذي يملأ رحم الام."

---

(٨) Carbon fiber
(٩) Carbon brakes
(١٠) suspension او ما يعرف بالـ "امورتيسور".

حلم المعلم. تحدث أرتيولي عن حلمه ونحن جالسان في مكتبه في مبنى مكعب من الزجاج الازرق على مقربة من حظيرة الانتاج. قال: "ينـزع الناس الى الافتراض أنهم خالدون، ولذا تراهم أبداً يؤجلون أعمالا الى الغد. لكنني أدرك أن الوقت المتوافر محدود، وأنك اذا لم تفعل ما تريده الآن فقد يفوت الاوان غداً. ليس من الضروري أن تنجح، ولكن من حقك على نفسك أن تحاول."

أعد مسؤولون في الشركة جولة لمجموعة من مالكي سيارات بوغاتي داخل المصنع يوم تدشينه في ١٥ سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠. وحضر هؤلاء من أنحاء العالم، وكثيرون منهم قادوا سياراتهم الكلاسيكية الرائعة من مولشايم لتسليم شعلة من المصنع القديم الى المصنع الجديد. وكانت بين هؤلاء ستيلا تاسيدري ابنة الثالثة والثمانين التي عملت سكرتيرة خاصة لايتوري بوغاتي مدى عشرين سنة. وهي هتفت أثناء زيارتها مصنع المستقبل: "هذا حلم المعلم الذي لم يستطع هو تحقيقه!"

كانت هذه الكلمات بالنسبة الى ارتيولي وفريقه أحلى إشادة.

كريستوفر ماثيوز ■



خمسون سنة أخرى!

سأل المريض طبيبه: "هل تظن انني سأعيش ٥٠ سنة اخرى يا دكتور؟"
- كم عمرك الآن؟
"أربعون."
- هل تشرب أو تقامر أو تنغمس في اللذات؟
"كلا، كلا. أنا لا أشرب ولا أقامر وأكره النساء. انني في الواقع لا أشكو من أي رذيلة."
فرد الطبيب حانقاً: "ولماذا اذاً ترغب في العيش ٥٠ سنة اخرى؟"

هـ.م.

محاباة عائلية

دخل موظف اداري المصعد وقد بدا عليه الانزعاج. فسأله رجل أعمال كان في الداخل: "ما الامر؟"

فصاح: "محاباة عائلية! لقد تخطاني رئيسي وعين ابن شقيقته مديراً للمكتب!"

فناوله رجل الاعمال بطاقته قائلا: "اذا احتجت الى مشورة قانونية فلا تتردد في الاتصال بي."

نظر الشاب الى البطاقة فقرأ فيها: "الزيّات وأولاده، مكتب محاماة."

ن.ب.

كيف نرمم التصدع العائلي

ست لمع لرأب الصدع ولمّ الشمل



PHOTO: © PAUL BARTON / THE STOCK SHOP

□ ترقرقت عينا مولي بالدمع حين نظرت من فوق مائدة الطعام الى أبنائها الثلاثة وأفراد أسرهم. انها أسيانة لغياب وجوه أربعة: ابنها الأصغر طوم وزوجته ايلين وولديهما. وسبب غيابهم خصام ايلين وزوجة أحد أبناء مولي الآخرين منذ سنين إثر حادثة أبتا باصرار أن تعللاها، وما زالتا ترفضان أن تجتمعا تحت سقف واحد.

□ بعد سنتين من وفاة زوجة ديفيد الاولى قرر أن يتزوج ثانية. فطلب من ابنه الاكبر تشارلز أن يكون اشبينه (شاهده) في العرس. قبل تشارلز الطلب، لكنه بعد مناكفة موضوعها هر أبيه نكل فجأة عما وعد ولم يحضر حفلة الزفاف. حز الأمر في نفس ديفيد فقطع علاقته بابنه. ولم يتصالحا إلا بعد سنين عشر.

العائلات في أيامنا آخذة في التباعد والتبدد، وأواصرها تتفكك. ولذا ففي كل عائلة تقريبا حزازات مستديمة. وقد يستعر الغضب أعواما فيجرح مشاعر أفراد آخرين من الأسرة، مثل مولي، فضلا عن المتخاصمين.

وتنشأ معظم الحزازات من توافه الحوادث. ويقول جاي فولبرغ عميد كلية الحقوق في جامعة سان فرنسيسكو والوسيط المجرب في فض نزاعات العائلات: "تفاصيل تلك الحوادث تنسى، وما يبقى سلوك ملموس لدى المتنازعين يأبى بعناد اتخاذ أي خطوة استرضاء." ومثاله قول احدى كنتي مولي لها عن غريمتها: "قد أصالحها في دقيقة، لكني لن أهاتفها أولا."

في هذه الحالات يلوح دور التوسط. والوسيط فرد محترم من أعضاء الأسرة أو مرشد روحي أو محام... أو أنت! يقول فولبرغ: "على رغم الشحناء وطول مدة الصدع بين المتخاصمين، فان الشاذ فقط هو من يرفض في نهاية الأمر علاقة وطيدة مع الذين أحبهم ذات يوم."

ان كنتم تنشدون إعادة التناغم الى أسرتكم المتباغضة، هاكم أساليب يشير بها أهل الخبرة:

١. تدخلوا فوراً.

ان شهدتم العداوات تتفاقم، تدخلوا على عجل. اذ كلما طال انتظاركم زادت الضغينة بين المتنازعين وصعب اصلاح ذات البين.

تذكروا أن "الساعات تطوى طيا" كما قال العالم النفساني كارل زلاتشين. أما المستشارة العائلية برنيس أتكين التي فاوضت مراراً من أجل مصالحات على فراش الموت، فتستذكر أماً نبذت ابنها بمرارة عقب زواجه من غير رضاها. انقضت السنون وهما مقاطعان، ولم تر المرأة أحفادها قط.

أخيراً، بعدما صارت أيام الأم معدودة، لان قلب الابن. وانهمرت الدموع على وسادة العجوز اذ حضنته، وسألته بصوت متهدج: "ألديك صورهم؟" وبعد لحظات كحّلت عينيها بوجوه أحفادها للمرة الاولى. تقول اتكين: "توفيت الأم بعد بضعة أيام، لكني موقنة أنها قضت باسمة."

٢. لا تؤثروا طرفاً على طرف.

أقيموا اتصالات بالطرفين في وقت واحد، وليكن جلياً أنكم وُسطاء وحسب. هذا ما فعلته كارولين وأخوها هارولد بعد سعيهما الى مصالحة أمهما وعمتهما نحوا من سنة. تقول كارولين: "قصد هارولد بيت أمي في العشية نفسها التي قابلت فيها العمة مارثا. وبذا لم تشعر إحداهما بأننا قابلنا الأخرى اولا."

وفي رأي زلاتشين: "إن خاطبتم طرفا قبل طرف، تولد انطباع بأنكم ستشكلون تحالفا لمواجهة الطرف الآخر. تحاشوا هذا الأمر."

أصغوا الى كل فريق بحياد. ولا تسعوا الى اعترافات أو استمطار اعتذارات. هذا ما يشير به فولبرغ. وهو يقول: "ليكن واضحا ان الأوان أزف لفتح صفحة جديدة، لا لاعادة كتابة الصفحة القديمة. يمكنكم أن تبدأوا بالقول: لم أدر كيف بدأت المسألة، ولا أباليَ، ما أعلمه هو أن العائلة بأسرها مجروحة المشاعر. هذه المناشدة يصعب على أي طرف مقاومتها."

٣. ضعوا قواعد أساسية.

أسألوا كل طرف عن مقترحاته حول مكان اللقاء وموضوع النقاش، ثم قابلوا بين اقتراحي الطرفين. فالاتفاق على الصغائر، من مثل أمكنة الجلوس أو البادىء بالحديث، قد يشجع على النقاش حول مسائل أخرى أخطر شأنا.

قد يَصْلُح اجتماع عائلي تقليدي لقاء

للمصالحة حيث يتشجع كل طرف على التقدم في اتجاه الآخر في جو حميم. لكن حاذروا الاصرار على هذا الاقتراح إن لاقيتم استنكافا من أحد الطرفين. فبعض المتخاصمين يؤثر المصالحة سرا.

واذا ما اجتمعا وجها لوجه، دعوا كلا منهما يدلي بحجته من دون أن يقاطعه الآخر. وابقوا النقاش متركزا حول القضايا والمشاعر لا حول الطباع. وأسقطوا تعليقات مثل: "لطالما كان سام خسيسا" أو "ماري تبغضني لاني اذكى منها."

الى ذلك، تقيّدوا بخطة اللقاء المتفق عليه ولا تحيدوا عنها قيد شعرة. فأي انحراف قد يعدّ تحيزا.

٤. تصنّعوا البراءة.

"أسلوب كولومبو" هو الاسم الذي أطلقته إتكين على أسلوب البراءة المزعومة للتحري التلفزيوني الشهير.

قد تفتتحون الاجتماع بالقول: "اتراني فهمت الأمر على وجهه الصحيح؟ في حفلة الميلاد، قبل عشر سنين، أراقت الشراب على فستانك الجديد، فغاظك فعلها منذ ذلك اليوم. احقّ ما قلت؟"

وتعقّب اتكين: "اذ تعرضون الأمر على هذا النحو، تتكشف للناس الحماقة في تكبير حادثة بسيطة."

٥. استعيدوا أيام الهناء.

حين توسطت اديث في خلاف قديم بين أبيها وأخيها، ركزت على الأوقات الخاصة المميزة التي تقاسماها. وهي تروي ما حصل: "قلت لابي: "أتذكر تلك المباراة حين كنت أنت الحكم فطردت جيمي من الملعب؟ لكم بكى آنذاك، فهدّأت من روعه وقلت له على الانسان ان يكون منصفا وإن جُرحت مشاعره. جيمي ما زال يذكر ذلك!" اغرورقت عينا أبي بالدمع. فأدركت انني اجتزت العقبة الأولى."

يقول زلاتشين: "المغزى من ذلك أن اوقات الهناء في ماضيات الايام قد تبشر بأيام سعد في الآتيات. عليكم ان تستعيدوا المشاعر الحميمة القديمة."

٦. لا تنتظروا أعاجيب.

بعض المتنازعين يسلمون بأن ما فات قد فات، لكن آخرين لا يعقدون صلحا كاملا. تستذكر كارولين ما يأتي: "بدت أمي وعمتي مارثا وقد سرّي عنهما اذ انتهت الحزازة بينهما. وأنا اشك في انهما ستعودان حميمتين كما كانتا، لكن ذلك حسّن علاقتي بهما."

ان بدأ التئام الجروح، ثابروا على استمراره. وإصلاح ذات البين ضمن أفراد الأسرة الواحدة لا يحرر المتخاصمين من ثقل الضغائن فحسب، بل يعود بالنفع العميم على الأسرة أجمع. فأواصر الرحم هي التي تمنح العائلات القوة والسند في الأتراح والافراح.

ادوين كيستر

وسالي فالنتي كيستر ■

في العربية غنى لا يُحَدّ ودقة لا تنتهي. هنا فروق بليغة في اسماء صغار الحيوان وذكور ما شُهر منه الاناث وإناث ما شُهر منه الذكور.

صغار الحيوان

ولد كل سبع "جُرْوٌ"، وولد كل ذي ريش "فَرْخٌ"، وولد كل وحشية "طِفْلٌ" هذا جملة هذا الباب.

ثم ولد الفرس "مُهْرٌ" و"فَلُوٌ".

وولد الحمار "جَحْش" و"عِفْو" و"تَوْلَبٌ" وكذلك البغل الصغير.

وولد البقرة "عِجْلٌ" و"عِجَّوْلٌ" والانثى "عِجْلَةٌ".

وولد الضائنة حين تضعه امه ذكراً كان أو انثى "سَخْلَة" وجمعه سِخَال وبَهْمة وبَهْم، فإذا بلغ أربعة اشهر وفُصِل عن أمه فهو "حَمَلٌ" و"خَرُوفٌ" والانثى "خَرُوفَة" و"رِخْل".

وولد الماعزة حين تضعه امه ذكراً كان او انثى "سَخْلَةٌ" و"بَهْمة" فإذا بلغ اربعة اشهر وفُصِل عن امه فهو "جَفْرٌ" والانثى "جَفْرَة" و"عَرِيض" و"عَتُود" إذا رَعَى وقَوِيَ، وجمعه عِرْضان وَعِدَّان واعتِدةٌ، وهو في كل ذلك "جَدْيٌ" والانثى "عَنَاقٌ".

وولد الناقة في اول النتاج "رُبَع"، والانثى "رُبَعَة"، والجميع "رِبَاع"، وفي آخر النتاج "هُبَع"، والانثى "هُبَعَة" ولا يجمع هُبَع هِبَاعا، وهو في ذلك كله "حُوَار".

وولد الأسد "شِبْلٌ".

وولد الأُرْوِيَّة «غُفْرٌ».

وولد الضبع «الفُرْعُلُ"، فإن كان من الذئب فهو "سِمْعُ".

وولد الدُّبّ "دَيْسَم".

وولد الثعلب "هِجْرِس".

وولد الفيل "دَغْفَلٌ".

وولد الظبية "خِشْفٌ" و"طَلًا".

وولد الخنزير "خِنَّوْص".

وولد الأرنب "خِرْنِق".

وولد الضَّب "حِسْل".

وولد اليَرْبُوع وَالفأرَة "دِرْص"، وولد الكلب والذئبة والهرّة والجرذ "دِرْصُ" ايضاً.

و"الرِّئَال" فِرَاخ النعام، واحدها رَأْلٌ، و"حَفَّانُها" صِغَارها، سميت بذلك لحفيف الطَّيَرَان.

والفراخ [من الحمام] يقال لها "الجَوَازِل".

و"النُّهَار" فَرْخُ القطاة، ويقال "اللَّيْل" فرخ الكَرَوان.

وقالوا للذكر من أولاد الضان إذا هو كَبِرَ "كَبْش" والانثى "نَعْجَة"، والذكر من أولاد المعز إذا كبر "تَيْس" والانثى "عَنْزَة".

ذكور
ما شهر منه الاناث

"اليَعَاقيب" ذكور الحَجَل، واحدها يَعْقُوب، و"السُّلَكُ" الذكَرُ من فراخها، والانثى سُلَكَةٌ.

و"الخَرَب" ذكر الحُبَارَى.

و"ساق حُرّ" ذكر القَمَارِيّ.

و"الفَيَّاد" ذكر البُوم، ويقال: هو الصَّدَى..

و"اليَعْسُوب" ذكر النحل [وهو اميرها].

و"الحنْظُب"، و"العُنْظُب" ذكر الجَرَاد، وفي كتاب سيبويه "العُنْظُبَاء" بالمدّ، فاما الخُنْظَب - بفتح الظاء - فذكر الخنافس، وهو ايضا الخُنْفُس.

و"الحِرْبَاء" ذكر أم حُبَين.

و"العَضْرَفُوط" ذكر العَظاءِ.

و"الضِّبْعَانُ" ذكر الضباع.

و"الأُفْعُوَانُ" ذكر الأفاعي.

و"العُقْرُبَان" ذكر العَقارب.

و"الثُّعْلُبَانُ" ذكر الثعالب.

و"الغَيْلم" ذكر السَّلاحِف، والانثى سُلَحْفاة ويقال: سُلَحْفية.

و"العُلْجُوم" ذكر الضفَادع.

و"الشَّيْهَمُ" ذكر القنافذ.

و"الخُزَز" الذكر من الارانب، وجمعه خِزَّان.

و"الحيْقُطَان" ذكر الدُّرّاج.

و"الظَّلِيم" ذكر النَّعَام.

و"القِطُّ" و"الضَّيْوَنُ" ذكر السنانير.

إناث
ما شهر منه الذكور

الأنثى من الذئاب "سِلْقَة" و"ذِئْبة".

والانثى من الثعالب "ثُرْمُلَة" و"ثَعْلَبة".

والانثى من الوعول "أرْوِية" وثلاث "أرَاوِيّ" إلى العَشر، فإذا كثرت فهي الأرْوَى.

والانثى من القرود "قِشة" و"قِرْدة".

والانثى من الارانب "عِكْرِشة".

والانثى من العقبان "لَقْوَة".

والانثى من الأسُود "لَبُؤَة" بضم الباء وبالهمزة.

والانثى من العصافير "عُصْفُورَة".

والانثى من النمور "نَمِرَة".

ومن الضفادع "ضِفْدَعَة".

ومن القنافذ "قُنْفُذة".

ويقال "بِرْذَوْن" و"بِرْذَوْنة".

يعتقد معظم الناس أن أمراض القلب مقصورة على الرجال. لكنها في الواقع قاتل لا يفرق بين الجنسين

أمراض القلب لا تفرّق بين النساء والرجال

كانت بتينا كايس تحس ألماً خفيفاً بين عظمتي كتفيها وتشكو من صعوبة في التنفس. ورد الاطباء ذلك الى التهاب في الشعب الرئوية[1] ولما استفحلت حالها رجحوا أنها تعاني نوبات عارضة من القلق العصابي[2]. وبعد ثلاثة أسابيع أحست، وهي تعبر أحد الشوارع، قشعريرة رافقها تعرُّق.

وللحال توجهت بسيارتها الى المستشفى حيث أظهر تخطيط لقلبها ارتفاعاً في سرعة نبضها. لكن الطبيب عزا ذلك الى القلق. فأخبرته بتينا أنها تعاني ألماً حاداً في ذراعها اليسرى وبين كتفيها، وغثياناً. وكانت تشكو ارتفاعاً في ضغط الدم ووزناً زائداً بلغ ١٠٩ كيلوغرامات وتدخن ثلاث علب من السجائر يومياً. وكان والدها أصيب بنوبة قلبية خطرة وهو في الرابعة والاربعين من عمره. وهي تقول: "مع ذلك طمأنني الطبيب قائلاً: يا بتينا، لا أظن أن قلبك يعاني علة. فأنت امرأة، ولا تزالين في الثانية والثلاثين من عمرك."

وبعد أيام بلغ منها الألم مبلغاً جعل زوجها يهرع بها الى المستشفى ليلاً حيث لم يلبث قلبها أن توقف. وتمكن الأطباء من اعادة نبضها بواسطة جهاز خاص لوقف الرجفان القلبي.[3] لكن قلبها كان أصيب بضرر بالغ. وحاول الاطباء معالجتها لاحقاً بالجراحة التحويلية[4] ثم بجراحة تقويم الاوعية الدموية[5] لكنهم أدركوا في نهاية المطاف أن أملها الوحيد في البقاء قيد الحياة يتمثل في عملية زرع. وبعد انتظار دام أربعة أشهر تلقت بتينا كايس قلباً جديداً في ١٤ فبراير (شباط) ١٩٩٠. وهي اليوم في صحة جيدة، وقد أقلعت عن التدخين وانخفض ضغط دمها ونقص وزنها الى ٥٤ كيلوغراماً وباتت تمارس تمارين رياضية منتظمة.

في سياق ذلك باتت بتينا كايس ناطقة باسم "جمعية القلب الامريكية." تقول: "درجنا على الاعتقاد أن النساء لا يصبن بنوبات قلبية، بحيث بتنا لا نحصل غالباً

(١) Bronchitis
(٢) Anxiety
(٣) Defibrillator
(٤) Bypass surgery. وهي ما يُعرف عاميا بجراحة القلب المفتوح.
(٥) Angioplasty

على العلاج الطبي الذي نحتاج اليه. ثمة كثير من المعلومات الخاطئة في هذا المجال."

أطباء لا يعرفون. يعتبر مرض القلب في الولايات المتحدة القاتل الاول للرجال والنساء. وتشير التوقعات الى أن نحو نصف النساء الامريكيات سيقضين بأمراض القلب والاوعية الدموية. وتفيد الاحصاءات أن نحو ٢٥٠ ألف امرأة يمتن سنويا بنوبات قلبية، فيما تقضي أمراض قلبية – وعائية أخرى على نحو ٢٥٠ ألف امرأة كذلك. وهذا يكاد يعادل عدد الوفيات للسبب نفسه لدى الرجال. وبالمقارنة، يقضي نحو ٤٢ ألف امرأة سنويا بداء سرطان الثدي، المرض الذي تخشاه النساء أكثر من سواه.

وفي رأي الطبيبة الباحثة في أوعية القلب الدموية ماريان ج. ليغاتو التي شاركت في وضع كتاب "قلب الأنثى: الحقيقة عن النساء وأمراض الشرايين التاجية"[٦]، يبقى أكثر من ثلث النوبات القلبية لدى النساء غير مشخص لأن الضحية تنسب الاعراض خطأً الى علة أخرى. وتؤكد الدكتورة ليغاتو أن "معظم الرجال والنساء يعتقدون أن مرض القلب مشكلة مقصورة على الرجال. صدقوني، ان مرض القلب قاتل لا يميز بين الجنسين."

وأحد أسباب التأخر في ادراك هذا الامر هو أن النساء عموماً يُصبن بمرض القلب في عمر يتجاوز متوسط أعمار الرجال المصابين به بعشر سنين. لكنه يصير الداء القاتل الرئيسي لهن متى بلغن الخامسة والخمسين. وحين تصاب النساء بنوبات قلبية يرتفع احتمال وفاتهن في الاسابيع الاولى ضعفي ما هو لدى الرجال. وتظهر الاحصاءات أن ٣٩ في المئة من النساء اللواتي يُصبن بنوبة قلبية يمتن في غضون سنة، بالمقارنة مع ٣١ في المئة من الرجال. أما اذا اجتزن السنة الاولى فيبقى احتمال اصابتهن بنوبة ثانية ضعفي ما هو لدى الرجال.

إن سد النقص الحاصل في معلومات الاطباء لأمر بالغ الاهمية. فلقد خلصت دراسة أجريت عام ١٩٨٧ في كلية الطب بجامعة ألبرت أينشتاين في نيويورك الى أن الاطباء ينحون الى تشخيص ألم الصدر لدى المرأة على أنه "نفساني"، أكثر مما يفعلون لدى معاينتهم الرجال. كما أنهم لا يعمدون غالبا الى إحالة النساء اللواتي تأتي نتائج فحوصهن غير طبيعية على مزيد من الاجراءات الطبية.

وحتى عندما يأتي تشخيص مرض القلب صحيحا، فقد لا تعالج المرأة المصابة بمثل الاهتمام الذي يولاه نظيرها بين الذكور. وبحسب دراستين منفصلتين نشرتا في ٥ يوليو (تموز) ١٩٩١ وشملت احداهما نحو ٨٢ ألف مريض، تبين أن نسبة النساء اللواتي يُعتقد أنهن مصابات بمرض في القلب ويُخضَعْن للقثطرة[٧]

(٦) The Female Heart: The Truth About Women and Coronary Artery Disease

(٧) Cardiac catheterization

(التمييل) لا تتجاوز نصف نسبة الرجال المصابين الذين يخضعون لهذه العملية. والقثطرة إجراء تشخيصي يُعتمد لتحديد مدى أي انسداد. كما أن نسبة النساء اللواتي يخضعن للجراحة التحويلية وجراحة تقويم الاوعية هي دونها لدى الرجال. وهذه النتائج بالغة الاهمية لأن عدداً كبيراً من أولئك النسوة يعاني أعراضا حادة وإعاقات بالغة تفوق ما يعانيه الرجال.

ولربما كانت الضرورة القصوى هي إيصال هذه المعلومات الى النساء أنفسهن. مثال ذلك ما حصل مع مارجوري كوبر قبل يومين من عيد ميلادها الستين، إذ أحست، بينما كانت تريِّض كلبها، ألما صدريا فظيعا جعلها تخرّ على ركبتيها. فاستراحت حتى شعرت بتحسن، ثم عادت الى بيتها حيث تجاهلت الاعراض المتواصلة مدى ٤٨ ساعة. ولما ازداد الألم في صدرها وأعلى بطنها اتصل أحد أبنائها بأخيه الكبير جايمس منسق خدمات الطوارىء في أحد المستشفيات، فنقلها هذا فوراً الى هناك.

وأثبتت الفحوص صحة مخاوف جايمس، إذ تبين أن والدته أصيبت بنوبة قلبية خطرة. وفي غرفة العمليات توقف قلبها نهائيا ولم ينجح في احيائه علاج، فماتت.

يقول جايمس كوبر: "هناك كثير من الفرضيات. ولكن لو أدركت أمي أهمية العلاج السريع فلربما كانت لا تزال بيننا اليوم."

وفي دراسة أجراها طبيبا القلب ستانلي شميدت ومارك بورش من كلية الطب في جامعة فرجينيا، تبيَّن أن النساء أقل دراية باستخدام العقاقير المذيبة للجلطات وبأهمية العلاج المبكر. كما تبيَّن أن معدل الفترة التي تستغرقها النساء للاتصال بالمستشفى منذ لحظة ظهور الاعراض هو أربع ساعات، بالمقارنة مع ساعة واحدة لدى الرجال، علما أن ٦٠ في المئة من الوفيات الناتجة من النوبات القلبية تحدث خلال الساعة الأولى من الاصابة.

التشخيص. يتباين الرجال والنساء أيضا حين يتعلق الامر بفحوص الامراض القلبية. فلاسباب لا تزال مجهولة، تُعطي فحوص دولاب الدوس[٨] – حيث يعدو المريض مراوحا مكانه فيما تسجل الكترودات موصولة الى الصدر النشاط الكهربائي للقلب – نتائج ايجابية كاذبة تزيد نسبتها لدى النساء على ما هي لدى الرجال.

وفي فحص أكثر تطوراً، يُحقن الثاليوم[٩] المشعّ في أحد الاوردة لمراقبة تدفق الدم الى القلب خلال التمرين. فتأتي النتائج أحيانا مضللة لدى النساء. والسبب هو أن ألياف الثدي تغيّر المسار الظاهر لحركة الدم المشعّ على شاشة الكمبيوتر التي يعتمدها الاطباء لتحليل النتائج. يقول الدكتور جونثان هالبرين

(٨) Treadmill test. وهو ما يعرف بفحص الاجهاد.
(٩) الثاليوم (thallum) عنصر فلزي يشبه الرصاص.

الاختصاصي بأمراض القلب: "قد يكون تشخيص أمراض القلب لدى النساء أصعب منه لدى الرجال."

ويحضّ الدكتور هالبرين كل امرأة تلاحظ أي تغير في حالها، خصوصا في ما يتعلق بالاعراض التقليدية لامراض القلب من انزعاج صدريّ وضيق في التنفس ودوار وتورُّم في الساقين، على استشارة طبيبها والتأكد من الحصول على جواب مقنع. ويضيف: "إنْ جاء رأي الطبيب مخالفا لما تعتقدين، فلا تخشي الثبات في موقفك."

جاءت امرأة الى هالبرين يوما تشكو خفقانا سريعاً في قلبها لم يوله طبيبها اهتماماً كبيراً. ويذكر هالبرين: "وجدت في قلبها خريراً استدعى جراحة ابدال صمام. هذه المرأة مثال نموذجي لمريضة تقول: ثمة خلل ما، ولا يهمني ما يقوله الطبيب. وقد ثبت أنها كانت مصيبة تماما."

العلاج. يقول الدكتور ديفيد كوين الاستاذ في كلية الطب بجامعة ييل: "لو أصبتم بنوبة قلبية قبل ٢٠ سنة، لكان العمل الوحيد المستطاع هو تأمين بعض الشعور بالراحة. واذا كنتم، مثلا، تشكون ارتجافا بطينيا[١٠] لكُنا حاولنا معالجة قلبكم بصدمة كهربائية لاعادة النبض الى طبيعته. لكن أي أدوية لتصحيح المشكلة الطارئة أو تخفيف تضرر القلب لم تكن متوافرة أنذاك. أما اليوم فنلجأ الى العقاقير لاذابة الجلطات السادّة للشرايين، ونحقن النيتروغليسرين[١١] وريديا لتوسيع الاوعية الدموية، ونعطي حاصرات بيتا[١٢] لمنع تضرر القلب."

وكما تتباين نتائج تشخيص أمراض القلب بين النساء والرجال، كذلك يتباين العلاج. وتوصف جراحة القلب التحويلية غالبا لتخفيف ألم الصدر لدى الرجال. وهي مفيدة اذا نجحت، لكن خطر اعتمادها لدى النساء يصل الى ضعفين. وقد رأس عالم الاوبئة جيرالد أوكونور دراسة حديثة شملت أكثر من ٣٠٠٠ مريض أجريت لهم جراحة تحويلية، فتبين أن نسبة النساء اللواتي توفين نتيجة الجراحة بلغت ٧،٣ في المئة بالمقارنة مع ٣،٢ في المئة من الرجال. ويورد الباحثون تفسيرين لهذا التفاوت، أولهما أن النساء يكنَّ عادة أكثر اعتلالاً عندما يُحَلْن على الجراحة التحويلية، وثانيهما أن صغر شرايين النساء يجعل الجراحة أكثر صعوبة.

وغالباً ما تكون العلاجات الصالحة للرجال صالحة للنساء أيضاً. وقد ارتأت دراسة حديثة قادتها عالمة الاوبئة الاستاذة جوان مانسون أن النساء اللواتي يتناولن ما بين حبة أسبيرين واحدة وست حبّات أسبوعيا يخفضن، كالرجال، خطر إصابتهن بنوبة قلبية أولى. (استشيروا طبيبكم قبل اعتماد الاسبيرين علاجا ذاتيا.)

---

(١٠) Ventricular fibrillation

(١١) Nitroglycerine

(١٢) Beta blockers

وتشير الابحاث الحالية الى أن علاج تعويض الاستروجين[١٣] يمكن أن يخفف خطر الاصابة بنوبة قلبية بنسبة تصل الى نصف في المئة بين النساء اللواتي اجتزن سن اليأس[١٤] واللواتي استؤصلت أرحامهن[١٥]. ومع أن هذا العلاج قد يزيد خطر الاصابة بسرطاني الثدي والرحم لدى بعض النساء، يتفق معظم الاطباء على أن فوائده تفوق مساوئه بالنسبة الى معظمهن. (راجعي طبيبك.)

وفي ما يأتي أمور تتوجب على النساء معرفتها لتحصين أنفسهن:

الوقاية. كثير من عوامل الاصابة بمرض القلب هي ذاتها عند النساء وعند الرجال: البدانة وارتفاع ضغط الدم والسكري وارتفاع نسبة الكولسترول والتدخين. على أن الخطر الذي يتهدد النساء يفوق، في كثير من الحالات، ذلك الذي يتهدد الرجال.

فارتفاع مستويات التريغليسريد،[١٦] وهي البنية الكيميائية لمعظم الدهون في الجسم، يجعل النساء أكثر تعرضاً للاصابة بنوبات قلبية. ويقدَّر أن ثلث الاصابات بأمراض القلب عموماً لدى النساء مرتبط بالبدانة.

كذلك يتنامى اعتبار الاجهاد من عوامل الخطر المهمة. فلقد بينت دراسة أجريت عام ١٩٨٩ على رجال ونساء يديرون مصنع سيارات في أسوج (السويد) أن الرجال يسترخون على نحو أسرع لدى عودتهم الى منازلهم بحيث ينخفض ضغط دمهم وتهبط مستويات هرمون النورادرينالين[١٧] في أجسامهم، بينما يبقى الجهاز العصبي لدى النساء "مشدوداً" مدة أطول.

ومن أسوأ عوامل الخطر التدخين الذي يسبب ٥٠ في المئة من النوبات القلبية لدى النساء الشابات والمتوسطات الاعمار.

ويبلغ الخطر ذروته لدى المدخِّنات اللواتي يتناولن أقراص منع الحمل، بحيث يتعرضن للاصابة بنوبات قلبية بنسبة ٣٩ في المئة أكثر من النساء اللواتي لا يدخنَّ ولا يتناولن أقراصاً.

يقول الدكتور هالبرين: "إن السيطرة على معظم العوامل المسببة لأمراض القلب أمر ممكن، وهي مفتاح الحل. فاذا ما غيَّرت امرأة نمط حياتها في سن مبكرة، حين لا تكون معرضة بدرجة عالية لخطر الاصابة بأمراض القلب، يتضاءل احتمال اصابتها لاحقاً بأزمات قلبية."

موجز القول إن على النساء أن يدركن، كما الرجال، أن صحتهن وقف عليهن. وتناشد الدكتورة ليغاتو كل امرأة في العالم: "لقد ولدتِ بقلب واحد، لذا فان كل ما تفعلين لابقاء قلبك قوياً حسن الاداء هو أمر يستحق العناء."

بير اولا واميلي دولير ■

(١٣) Estrogen-replacement therapy
(١٤) Menopause. وهي مرحلة ما بعد انقطاع الدورة الشهرية.
(١٥) Hysterectomy
(١٦) Triglyceride
(١٧) Noradrenaline

كونوا الملاك الحارس لأولادكم المراهقين

يواجه اولادكم المراهقون دعوات خطرة من رفاقهم تحضّهم على معاقرة الخمر وتعاطي المخدرات والتغيب عن المدرسة.
لكن في وسعكم انتم مساعدة اولادكم على دحر هذه الضغوط

كانت شيلي (١٤ عاما) تستمتع برفقة زميلها في المدرسة جو وهو فتى وسيم. وذات يوم أخذ جو وجهها بين يديه محاولا تقبيلها فاعتراها الخوف وتراجعت قائلة: "لا، ارجوك." واذ اصرّ زعقت صرخة مدوية فابتعد عنها جو غاضباً، متجهم الوجه.

وفي المدرسة أخبر جو الجميع بأن شيلي "معقّدة" وتتصنع الحشمة. فاحمرت وجنتاها خجلا فيما راح زملاؤها يسخرون منها ويضحكون.

لقد خبرت شيلي الناحية السيئة من ضغط الرفاق الذي بات مشكلة مستشرية في أوساط الشباب. وأظهر استطلاع أجرته "أندية الفتيان والفتيات في أمريكا" وشمل ٣٢٨٢ مراهقا ومراهقة، أن ثلثي هؤلاء تعرضوا لضغوط من رفاقهم لحملهم على معاقرة الخمر أو تعاطي المخدرات أو ممارسة الجنس. كما واجه ٤٠ في المئة منهم ضغوطا لكي لا يجتهدوا في مدارسهم.

تقول جودي ليس – مونتيليون التي وضعت برنامجا لمساعدة الطلاب في المرحلة الثانوية على جبه ضغوط رفاقهم: "لقد باتت المراهقة أكثر صعوبة مما

مضى. وتبدأ الخيارات والمسؤوليات باكراً، وكثيرون هم الاولاد الذين يبحثون عن الحب والثقة في أماكن غير مناسبة."

يشاهد الاولاد ويسمعون على شاشات التلفزيون ألوف الاشارات والعبارات الجنسية. وتساهم التلفزة والسينما والموسيقى في اظهار الخمر والجنس والمخدرات والفشل أموراً مسلية بعيدة عن أجواء القلق. وفي البيت يتحجج مراهقون صغار بأن الجميع يأتون مثل هذه الاعمال.

وفيما يشعر أولياء كثر بعجزهم عن تغيير الامور، يؤكد لهم الخبراء أنهم حاليا في موقع أفضل لمساعدة أبنائهم على مقاومة الحاح زملائهم وازعاجاتهم. وتبين دراسة أجرتها العالمة النفسانية ليندا غروسمان أن الاولاد الذين تدربوا مع أوليائهم على تقنيات لفرض أنفسهم في المجتمع باتوا، بعد سنتين، أقل من أترابهم تعرضاً لادمان المخدرات. وتضيف غروسمان: "ان تدخل الاهل هو العنصر الاساسي والحاسم في قدرة الولد على مقاومة ضغوط أنداده." ويوافقها العالم النفساني جون كلابي مضيفاً: "ما برح للاولياء التأثير الاهم في المراهقين، ولاسيما في أوائل سن المراهقة."

اليكم ما يمكنكم فعله:

أعطوا كل أمر حقَّه. لكي تتعرفوا الى شؤون أولادكم وشجونهم عليكم بالاستماع اليهم يومياً. يقول جايمس فانترس وهو مدير ناد للشبيبة: "لا تستمعوا الى أولادكم وأنتم تشاهدون التلفاز أو تقرأون صحيفة، بل انظروا اليهم وأعطوهم اهتمامكم الكلي، فأنتم لستم في حاجة الى الاستماع فقط بل الى الفهم أيضاً. والاولياء الذين يبذلون هذا الجهد الاضافي يشكلون فارقاً أساسياً في حياة أولادهم."

واجهوا المخاوف. أن يكون المرء مختلفاً عن الآخرين او أضحوكة في أعينهم أو أن يخاطر في خسارة أصدقائه، كلها أمور مخيفة بالنسبة الى أولادكم. لذا بددوا مخاوفهم من خلال شرحكم النتائج المحتملة لافعالهم. هل رفض شرب الخمر في احدى الحفلات يؤدي الى ازدراء الاصدقاء لهم؟ وهل رفض ممارسة الجنس يعني نهاية علاقة عزيزة؟ تقترح ليندا غروسمان أن يناقش الاولياء مع أولادهم "مدى احتمال خسارة صديق حق بهذه السهولة. أخبروهم كم الاختلاف عن الآخرين شاق وكم يعتبر الاقدام عليه تصرفاً شجاعاً وناضجاً."

تقول مولي (١٨ عاماً): "لم أخسر أصدقائي عندما رفضت التهرب من المدرسة كما يفعلون. فالاصدقاء الحقيقيون يتقبلون تباين الآراء. ومع الوقت ترك معظمهم المدرسة، أما أنا فأكملت دراستي وأنوي دخول الجامعة السنة المقبلة. وأنا مسرورة لانني قلت "لا" آنذاك."

يصبح الاولاد أكثر استعدادا للاصغاء الى ذويهم عندما يدركون أن البالغين يتعرضون هم أيضا لضغوط من اندادهم. بيِّنوا لاولادكم كم يشق عليكم أن تقولوا "لا" لاناس تحبونهم. فالاولياء الذين يقاومون ضغوط أندادهم يعطون أولادهم درسا قيما.

اعقدوا جلسات تمرين. التمرن على جبه أوضاع صعبة يساعد على صقل مهارة الاولاد وثقتهم بأنفسهم. ويمكن أن يتضمن التمرين تمثيل دور صديق يقدم سيجارة أو خمرة أو مخدرات الى ولدكم أو رفيق يأبى أن يُرفض طلبه المزعج.

في برنامج أعدته غروسمان، يتمرن الاولياء والمراهقون على الفاظ بسيطة مثل "لا، شكرا" أو حازمة مثل "لا أريد أن أفعل ذلك" أو ملؤها الثقة مثل: "انا لست في حاجة الى هذه الاشياء، ولا حاجة بي الى أن أكون مثل الآخرين." وتتضمن تقنيات أخرى تجاهل الشخص الضاغط ومغادرة المكان والتهديد بكشف أمره لشخص مسؤول.

ان استعدادا مماثلا ساعد كاثي على رفض كتابة واجب مدرسي لصديقتها باتي. تقول كاثي: "لقد ضغطت علي باتي كثيرا، لكني تمرنت مع أهلي على قول "لا" حتى بت أتقنها. وعندما كررت باتي طلبها أجبتها: أنت أعز صديقة لدي، لكني لا أستطيع أن أساعدك لئلا يكتشف الاستاذ أمرنا ونقع في ورطة. فغضبت باتي، لكنها أدركت انني على حق، وما زلنا صديقتين، وهي لم تعد تزعجني بطلباتها."

عززوا احترام الذات. في وسع الاهل تخفيف ضعف أولادهم وتأثرهم بالضغط من طريق تدعيم احساسهم بذواتهم. اسألوا أولادكم عن آرائهم، واعهدوا اليهم في مسؤوليات تلائم أعمارهم، واهتموا بما يفكرون ويقولون ويفعلون. ان تنامي الشعور باحترام الذات من خلال هذه المعاملة يساعد أولادكم على التجرؤ في الاختلاف عن اندادهم وعلى قول "لا" عند اللزوم.

أما الطريقة الاخرى لبناء احترام الذات فهي بتشجيع أولادكم على الانشغال في هوايات أو التطوع لتأدية بعض الاعمال أو الانضمام الى ناد مدرسي أو تولي عمل جزئي. فمن شأن هذه النشاطات محاربة الضجر وتعريف أولادكم الى أصدقاء يشاطرونهم القيم ذاتها. دعوا أولادكم يختارون هواياتهم بأنفسهم وأظهروا اهتمامكم بها من خلال حضور المسرحيات أو الحفلات أو المباريات التي يشاركون فيها.

يقول طوم شويلر وهو مستشار تربوي: "الاولاد المنشغلون باهتمامات وهوايات والذين يتعاطون مع الضغط بايجابية هم أقل عرضة للاستسلام."

أثنوا على الزملاء الصالحين. قد يسأم الاولاد سماع البالغين ينصحونهم

بالرفض تكراراً. ولكن قد يكون للنصيحة عينها أو التحذير عينه الصادرين عن مراهق آخر تأثير قوي. وتسليما بصواب هذه الملاحظة، فإن طلاباً ورياضيين مميزين أخذوا على عاتقهم ارشاد طلاب آخرين الى أهمية أخذ موقف حازم وخيارات ايجابية وتجنب التصرفات الرعناء.

وقد يصبح المثال الذي يعطيه أحد الاصدقاء نقطة تحول في حياة الاولاد. كيفن (١٧ عاما) تلميذ لامع تعاطى المخدرات فترة وعانى مشاكل في المدرسة. ثم توفي صديقه ماني في حادث دراجة نارية.

يقول كيفن: "ترك ماني في حياته تأثيراً ايجابياً في كثيرين، وقد حملني موته على التفكير في ما أريد أن أفعل بحياتي. فشرعت أهتم بصحتي وأجتهد في دروسي، ثم تدربت لأصير مستشاراً لزملائي."

لتكن المحبة حافزكم. عندما يتداعى حزم أولادكم ويتقاعسون عن أخذ القرار، عليكم أن تتدخلوا.

منعت سالي ابنها براد (١٤ عاما) من الذهاب الى حفلة برفقة صديق. وتتذكر سالي: "قلت لبراد اني أحبه ويهمني أمره، لكني لا أستطيع السماح له بالذهاب. وحرصت على أن تبقى نبرة صوتي محبة، وأضفت مازحة أنه سوف يشكرني عندما يصبح في الثلاثين. فتذمر براد واحتج لكن بلا حماسة شديدة. وأظنه كان قلقاً في شأن الحفلة وقد خفف تدخلي عن كاهله."

عندما تشعرون بضرورة تحذير أولادكم من صداقة ما، حاذروا قطع هذه الصداقة والا منحتم الصديق غير المرغوب فيه سلطة أكبر مما لديه. وتقول غروسمان: "يستحسن أن تعبروا عن قلقكم من دون دخول نزاع على السلطة."

يمكن تفادي الازمات من خلال التدخل باكراً وجعل أولادكم يشعرون بأنهم محبوبون من دون قيد ولا شرط. لكن الامر ليس سهلا، خصوصا مع المراهقين. وتكرار عبارة "سوف أحبك دائما" في الاوقات السعيدة والاوقات العصيبة على حد سواء قد يعني الكثير بالنسبة الى ولدكم ويعزز قدراته في التغلب على ضغط أنداده.

كاثلين ماكوي ■

محنة مشوقة

اصبت بـ"ديسك" اذ انزاحت فقرتان في أسفل ظهري لدى محاولتي زحزحة الغسالة. فتقاطرت عليّ الصديقات والجارات واهتممن بكل شؤون المنزل من غسل وكيّ وطهو. وعادتني صديقة مرة، وهي أمّ مشغولة على الدوام. واذ رات هذه العناية الفائقة التي أحطت بها انحنت عليّ وهمست: "اخبريني بالضبط كيف انحنيت حين حاولتِ زحزحة الغسالة."

س.ب.



نقتني أجهزة متطورة
لكننا لا نحسن استعمالها!

تكنولوجيا معقّدة لحياة بسيطة

تستيقظ في الصباح فتجد فمك جافا وجسمك مبللاً بالعرق. وترى أن درجة الحرارة في المنزل مرتفعة جداً لانك لم تعرف مطلقاً كيف تبرمج "ترموستات"[١] التدفئة المركزية الذي أنجبته التكنولوجيا العالية قبل سنتين.

وفي المطبخ تضع كوب ماء في فرن الـ"ميكروويف"[٢] الذي يرجع عهده الى ثلاث سنوات. وتشعر بأسى لأنك لم تكتشف من أوجه استخدامه الا تسخين الماء لتحضير القهوة السريعة واذابة الجليد عن الطعام.

وفي السيارة تتلمس بارتباك أزرار الراديو الرقمية محاولا تحويلها عن

(١) الترموستات اداة لضبط الحرارة.
(٢) microwave اي الموجة الصغرى.

CONDENSED FROM CHICAGO TRIBUNE MAGAZINE (FEBRUARY 11,'90), © 1990 BY CHICAGO TRIBUNE CO., CHICAGO, ILL. ILLUSTRATION: MORT DRUCKER

موسيقى الروك التي كانت ابنتك تستمع اليها. وما هي الا لحظات حتى تجد أن سيارتك انحرفت ٤٥ درجة عن مسارها فيما أنت تجهد في تبيُّن ضوابط الراديو وقيادة السيارة في آن. واذا ببوق قريب جداً ينهرك ويرغمك على اتباع الخط الصحيح. تشعر باحباط فتقفل الراديو وتكمل طريقك الى المكتب بصمت يائس.

تدخل مكتبك. وقبل أن يتسنّى لك نزع معطفك يرن جرس الهاتف. انه رئيس الشركة يتصل من خارج البلاد وقد طلب رقمك خطأ بدلا من رقم مديرك، لذا يطلب منك تحويل الاتصال بسرعة. ولكن على رغم أنك تستخدم الجهاز منذ سنة فانك لم تتعلّم طريقة التحويل، فتضغط الزر الخطأ وتقطع الاتصال.

قد يكون في هذا السيناريو[٣] شيء من المغالاة، الا أنه ليس بعيد الاحتمال. وهذا ما يراه لورنس ب. فيلدمان أستاذ مادة التسويق في جامعة إيلينوي بشيكاغو، وهو الذي درس طرائق الناس في استخدام الادوات المنزلية التي أنتجتها التكنولوجيا العالية. ويعتقد فيلدمان أن المنزل صائر الى الامتلاء بأدوات متطورة نادراً ما تستخدم بطاقاتها الكاملة لانها معقّدة يصعب تشغيلها.

يقول فيلدمان: "يشتري الناس هذه الآلات بحسن نية وفي اعتقادهم أنهم سيتعلمون طرق استخدامها. وحين يخفقون في فهم كتب الارشادات، يخافون من وفرة الازرار والمفاتيح ولا يشغّلون الا ما هو مخصص للوظائف الأساسية."

ولا يخفى عمق الاحباط الذي يشعر به الزبائن. لنأخذ، على سبيل المثال، باتريسيا وزوجها بيل. اشترى الزوجان قبل أسابيع جهاز تلفزة ستيريو وجهاز فيديو ستيريو وجهاز فونوغراف مدمَّجاً (كومباكت ديسك).

تقول باتريسيا: "لكل منها جهاز تحكم من بُعد.[٤] وذلك الذي للفونوغراف يحوي ٦٤ زراً. ولي إلمام بوظائف بعضها مثل AM/FM. ولا جدوى من قراءة الارشادات، انها كاللغة الصينية."

وقد وجدت باتريسيا وسيلة مبتكرة لمعالجة مشكلة أجهزة التحكم الثلاثة: انها تتقدم من الاجهزة وتشغّلها يدويا.

ويدرك الزوجان مدى الهدر التكنولوجي في عدم إلمامهما بوظائف الازرار الغامضة، لكنهما لا يخجلان لجهلهما. ويقول بيل: "لقد نال صهري شهادة تقدير لعمله الرائع في تصميم برامج كمبيوتر لآلات التصوير القمري في برنامج أبولو الفضائي. لكنه يعترف من دون مواربة بأنه عاجز عن تشغيل جهاز الفيديو في بيته. فاذا كان هو لا يخجل لجهله، فلماذا أخجل أنا؟"

ولا ينحى فيلدمان باللوم على غباوة الزبائن وعدم كفايتهم. بل يعتقد أن أساس المشكلة هو التصميم السيىء. وكثيرون من خبراء التكنولوجيا يرتبكون أمام بعض الآلات.

وفي كتاب "سيكولوجيا الاشياء اليومية"[٥] يذكر دونالد أ. نورمان أن رجلا

---

(٣) السيناريو نص مسرحي او سينمائي.
(٤) Remote control
(٥) The Psychology of Everyday Things

محبطا ساخطا على ساعته الرقمية الجديدة قال له: "أنت تحتاج الى شهادة في الهندسة لتعرف كيف تشغل هذه الساعة."

ويضيف نورمان: "حسنا، أنا أحمل شهادة في الهندسة. امهلوني بضع ساعات فأحلّل طرق تشغيلها. ولكن لماذا يستغرق ذلك ساعات؟"

تشارلز أوين أستاذ في معهد إيلينوي للتكنولوجيا ومستشار في مشاكل التصميم لدى بعض شركات التكنولوجيا العالية، اشترى حديثا آلة تصوير متطورة، وهو يقول متذمرا: "كلما تعين علي استخدام احدى تقنيات الكاميرا، تعين علي في المقابل تمضية ساعة في مراجعة كتيِّب الارشادات."

ويتهم أوين أصحاب المصانع بعدم الاكتراث للزبائن، اذ تصدر كتب الارشادات كأنها تفسيرات لافكار خطرت سابقا. فلو حُذفت الكلمات الاصطلاحية في هذه الارشادات وتُرجمت الى لغة سهلة مفهومة، لسَهُل استخدام المنتجات التكنولوجية.

فاذا كانت تعقيدات التكنولوجيا العالية عائدة الى التصميم السيىء وغموض الارشادات، كما يدعي بعض النقاد، فلماذا يتغاضى المستهلكون عن هذا الامر؟ ولماذا تقتني جهاز فيديو يسجل أربعة برامج تلفزيونية ويبرمَج لمدة ١٤ يوما، اذا كنت لا تستخدمه الا لمشاهدة أشرطة مسجلة؟

يقول نورمان: "ما دام الناس يعتقدون أن سواهم قادر على استخدام الاداة، فهم يلومون أنفسهم. لا أحد يريد أن يعترف بأنه واجه صعوبة. تلك هي مؤامرة التستّر والصمت."

وقد يشتري الناس أدوات متطورة رمزا لعلو المقام، وغالبا ما يغرّهم مظهر هذه الادوات كما تغرّهم وظائفها المفترضة. وتستخدم احدى ربات البيوت زرَّين من أصل ١٧ زرا في فرن الميكروويف الذي اشترته، وهي اختارت ذلك النموذج لانها لم ترغب في النموذج الذي "يبدو رخيصا" ويدار بقرص.

اذا استمر الناس في شراء الادوات المتطورة على أساس المظاهر، فذلك ما يقدمه اليهم أصحاب المعامل. فاذا كانت التطويرات المعقدة لا تؤثر في المبيعات، فلماذا يتكلف أصحاب المعامل نفقات تبسيط التصاميم؟

ويتوقع أوين أن تؤدي المنافسة الى فرض تحسينات كبيرة على تصاميم التكنولوجيا العالية، ويقول: "الشركة التي تصنع منتجات يفهم المستهلك طرق استخدامها هي التي ستبرز في الاسواق العالمية."

والى أن يطالب المستهلكون بمنتجات متطورة سهلة الاستخدام تبقى توقعات أوين من دون أساس. ونحن لا نزال متساهلين، فكلما ظهر شيء جديد في الاسواق بادرنا الى شرائه ونحن عالمون في أعماق قلوبنا أن هذه الآلة الجهنمية ستحيِّرنا ولن نعرف طريقة استخدامها.

واذا شعرت بالغباوة فلا تبتئس، ولا ترتبك، ولا تخجل، لأن لك زملاء كثيرين.

وليم مولن ■

افتحوا عقولكم تسهل حياتكم

كثيراً ما نتقوقع في المألوف فنعمى عن وقائع طارئة قد تأتي نتائجها وخيمة

لا ينجو أحد من ارتكاب أخطاء غفلة مثل اقفال أبواب سيارة والمفاتيح داخلها أو القاء جوارب متسخة في سلة المهملات.

يروي أحد الاصدقاء هذه الطرفة عن ثلاثة أجيال من التصرف اللاواعي: كانت زوجة شابة تعد لطهور طبق روستو، فاقتطعت شريحة من اللحمة قبل وضعها في القدر. وعندما سئلت عن السبب أجابت إن أمها تفعل ذلك عندما تعدّ طبق روستو.

استثار السؤال فضول الشابة فاتصلت بأمها لتسأل عن السبب.

جاء رد الام مطابقاً: "هذه هي الطريقة التي اعتمدتها أمي."

اتصلت الشابة بجدتها وسألتها لماذا تقتطع شريحة من اللحم قبل طهو الروستو. فأجابت الجدة: "لانها الطريقة الوحيدة لادخال قطعة اللحم في القدر التي أملكها!"

تراوح نتائج التصرف الآلي بين البسيطة والكارثية. وتظهر الامثلة الآتية

كيف نعطِّل تفكيرنا البديهي عندما نعتبر معلوماتنا صحيحة بصرف النظر عن الظروف المحيطة بها. والواقع أننا اذا احتفظنا ببداهتنا ووعينا نبقى مسيطرين على مجريات الامور فيما نحن منفتحون على الاحتمالات الكثيرة في الحياة.

التفكير في المطلق. اجريت مرة تجربة لمعرفة ردود فعل الناس على المشاكل التي يواجهونها. وقفت زميلة لي على ناصية شارع تكثر فيها الحركة، وأخبرت أحد المارة أنها لوت ركبتها وتحتاج الى مساعدة. وطلبت منه أن يحضر لها ضمادة من نوع معيَّن من الصيدلية القريبة. وكان الصيدلي وافق على القول ان هذا النوع من الضمادات نفد لديه.

لم يفكر واحد من المارة الخمسة والعشرين الذين أخضعناهم للتجربة في سؤال الصيدلي عما اذا كان يوصي بنوع آخر من الضمادات.

من المؤسف أن يهمل الناس البحث عن خيارات بديلة ما ان يضعوا نصب أعينهم حلاً معيناً.

أيا تكن المشكلة فاننا نستطيع أن نجد خيارات أكثر اذا أدركنا أن لا اجابات صحيحة في المطلق بل مجموعة من الحلول الممكنة.

الوقوع في مصيدة التصنيف. عندما كنت لا أزال تلميذة، اشتكت جدتي لأمي من أن أفعى تزحف داخل جمجمتها وتسبب لها صداعا. واعتبر الاطباء هذا الوصف غريبا وشخصوه على أنه خرف.

وحين توفيت جدتي بعد سنة، كشف التشريح ورما في دماغها. وقد شاركتُ والدتي في ألمها وشعورها بالذنب. ولكن هل كان في امكاننا نحن الاثنتين أن نشك في تشخيص الاطباء؟ لم أتوقف عن التساؤل لسنوات طويلة لاحقة كيف تركنا أنفسنا نقع في مصيدة التصنيفات. لقد افترض الاطباء، اذ واجهتهم امرأة مسنّة تتفوه بكلام غريب، أنها لا بد خرفة. واعتبرنا، أنا ووالدتي، أن الاطباء خبراء بالامر وافترضنا أنهم يعرفون أكثر من الجميع.

حين تواجهون مشكلة جديدة، دققوا في كل فَرَضيّاتكم قبل أن تخططوا ما ستفعلون.

عمى المألوف. كثيرا ما يخدّرنا ايقاع المألوف ويعطل فعل العقل. مرة أعطيتُ أمينة صندوق في متجر بطاقة اعتماد جديدة، فلاحظتْ أنني لم أوقِّعها بعد، فردتها الي لاوقِّعها، ثم أخذت البطاقة ومرّرتها عبر الآلة التي تنسخها على الفاتورة وسلمتني هذه لاوقِّعها ففعلت. وبحركة آلية أدنت أمينة الصندوق الفاتورة من البطاقة لترى ما اذا كان التوقيعان متطابقين.

لم يكن خطأ أمينة الصندوق* في هذه الحال أكثر من طرفة أرويها. لكن اعتياد

(*) على صاحب بطاقة الاعتماد (credit card) ان يوقعها حالما يتسلمها.

طريقة رتيبة في عمل ما تحجب عنا واقعاً حاضراً قد يؤدي الى نتائج قاتلة.

تحطمت طائرة في واشنطن في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٢ فقتل فيها ٧٨ شخصاً. كانت في رحلة عادية من واشنطن الى فلوريدا ويتولاها طاقم ذو خبرة كافية. فماذا حدث اذا؟ أشارت التحقيقات الى أن الخطأ وقع في الكشف الروتيني الذي يجريه قائد الطائرة ومساعده قبيل الاقلاع للتأكد من سلامة الاجهزة، وهما فعلا ذلك كما اعتادا دائما. لكن أدلة ظهرت لاحقاً أشارت الى أنهما، خلافا لما اعتقدا، لم يكونا يفكران في ما كانا يفعلان، اذ تبين أن أحد الاجهزة التي تحققا منها ولم يهتما بتشغيلها كان جهاز اذابة الجليد عن المحركات، ولم يكن الطياران هذه المرة في أجواء الجنوب الدافىء، اذ كان الثلج يسقط، وتراكم بعض منه على الجناحين. وتحطمت الطائرة أثناء الاقلاع، والسبب الرئيسي هو أن الطيارين عجزا عن مواجهة مشكلة الثلج المتراكم لاهمالهما تشغيل جهاز اذابة الجليد.

التعميمات الجارفة. ننزع، نحن البالغين، الى استخدام عبارات عمومية فضفاضة لتبرير ما نكره أو ما نعتبره مشكلة. خذوا مثل الرجل الذي يعلن أنه يكره الشتاء. قد يكتشف هذا الرجل، لو جعل أفكاره أكثر تحديداً، أن ما يضايقه في الشتاء هو احساسه بأن الثياب الثقيلة تقيد حركته. وقد تغيّر نظرتَهُ سترةٌ واقية خفيفة أو نظام تدفئة أفضل في سيارته.

أو خذوا مثل زوجين يتجادلان حول جدوى شراء مكيف هواء. هي لا تحتمل الحرارة، وهو يعارض الشراء مدعيا أن يصاب بـ"زكام المكيف" في المكتب. ربما كان الحل الافضل بارتدائه سترة في المكتب وبوضع مروحة تكييف في علّية البيت.

انكم تضاعفون قدرتكم على حل مشكلة ما اذ أجبرتم أنفسكم على التفتيش بعناية أكبر عن السبب المحدد لعدم رضاكم.

التقوقع الفكري. كثيراً ما يفكر الناس آلياً في ما لا يستطيعونه بدل التفكير في ما يستطيعون. أخبرني مؤلف موسيقي شاب عن عجزه الدائم عن اكمال ألحان كان يبدأ تأليفها. واستمر احساسه بالفشل حتى تمكن من وضع مشكلته في اطار فكري جديد. فبدلاً من النظر الى نفسه على أنه عاجز، ركز على موهبته في ابداع الافكار الموسيقية الاساسية، ثم عمد الى الاستعانة بمؤلف موسيقي يجيد وضع التفاصيل الموسيقية، وشكل الاثنان فريقا متميزاً خصب الانتاج.

وقد يؤدي هذا الاسلوب الى فوائد أهم. تعتقد غالبية الناس، مثلا، أن الالم ملازم للجراحات ولا يمكن التغلب عليه الا بالمسكنات.

أجريت وبعض زملائي تجربة عمدنا فيها الى اقناع عدد من المرضى الذين

ينتظرون اجراء جراحات رئيسية، بأن يضعوا آلامهم في أطر فكرية أخرى. طلبنا منهم أن يتخيلوا أنفسهم يلعبون الكرة أو يعدّون طعاما لحفلة. ومعلوم أن لاعبي الكرة يكادون لا يشعرون بآلام الرضوض التي يصابون بها أثناء تدافعهم في اللعب، وكذلك هو الامر بالنسبة الى سيدة دهمها الوقت وهي تحضر مأدبة عشاء لعشرة مدعوين. ومن جهة أخرى، يشعر شخص بألم حقيقي اذا خدشه حد ورقة من تقرير ممل يقرأه أثناء عمله.

أكدنا للمرضى، مستخدمين أمثلة كهذه، أن الاحساس بالالم، أمر يمكن تجنبه ومواجهة تأثيره بالطريقة التي ينظرون من خلالها الى وضعهم.

رأى مسؤولون في المستشفى، من غير أن يدروا بنظريتنا، نتيجة استخدام المسكنات ومدة تأثيرها في مرضى هذه المجموعة بالمقارنة مع مجموعة أخرى لم يتلق أفرادها أي نصائح. فتبين أن مرضانا، الذين دُرِّبوا على وضع الاحساس بالالم في أطر فكرية غير مرتبطة بالخطر، تناولوا مسكنات أقل وغادروا المستشفى في وقت أقصر. واكتسب المشاركون في الاختبار مقدرة أكبر على التحكم بفترة النقاهة عندما وضعوا تجربتهم الجراحية في أطر مختلفة ونظروا اليها بخيال أوسع.

اذا شئنا أن نصل بآمالنا وحياتنا الى حيث نريد، فنحن كلنا نحتاج الى الابداع والوعي بحيث نبقى منفتحين لتقبل معلومات ورؤى جديدة.

ايلين لانجر ■

تكنولوجيا!

التحقت بمقرر تعليمي في الجامعة موضوعه "تاريخ التكنولوجيا." وجاء في خلاصته انه متابعة لتطور التكنولوجيا من أيام الرومان الى الثورة الصناعية، ودراسة لوقع هذا التطور على المجتمع أي - بكلام آخر - دراسة تأثير الآلات في حياة الناس.

وحين دخلنا قاعة الصف ذات يوم اخبرنا الاستاذ أن في وسعنا الانصراف. ولما سألناه عن السبب اوضح أن مسجلة الفيديو تعطلت.

ت.ك.

حديقة الكنز

اهمل جيراننا تشذيب نباتات حديقتهم أربعة عشر عاماً، فنَمتْ وكثفت وشكّلت ستارا أخضر لحديقتنا. وذات يوم سمعنا خلف العلّيق أصواتاً وكلمات تنمّ عن بحث حثيث جارٍ تؤكده صيحات اكتشافات متتالية: طابة! لعبة! حذاء!

أخيراً سمعنا صيحة ظافرة أكّدت لنا ان المطلوب قد وُجد: جزّازة العشب!

ج.س.



الصّبيان الضائعون

معاقون عقلياً أنقذتهم امرأة وفتحت أمامهم أبواب الحب والعناية

وقف اثنا عشر رجلاً يغنون ملء قلوبهم على منصة في الهواء الطلق في بلدة مارغيت الساحلية بمقاطعة كنت البريطانية، وهم يرتدون بزات زرقاء ورمادية. وكان الناس المتنزهون في الحديقة العامة والجالسون على مقاعدها يبتسمون ويصفقون ويغنون معهم.

السيدة التي ترتدي الثوب الاحمر هي دوريس بارغيتر. والرجال هم "فتيان دوريس."

تملك دوريس بيتين وفندقا سابقاً في مارغيت، حوّلتها منازل لـ ٥٤ رجلاً متخلفين عقليا أو مصابين بعاهات خلقية أو دماغية تعوق قدرتهم على التعلّم. وتترجّح أعمارهم بين ٣٦ و٩٢ عاماً، لكن "عمرهم الذهني" هو في حدود ست سنوات أو سبع. وبعضهم لم يعرف النطق في حياته. وقد سُرِّح معظمهم من مؤسسات مقيتة أدخلوا اليها منذ طفولتهم وغشاهم النسيان.

PHOTOGRAPH: JULIEN NIEMAN

تقول دوريس الكثيرة التواضع في الكلام على جهودها المتواصلة: "كل ما فعلته هو أنني أعطيتهم الحب والعناية والامان، تلك المشاعر التي افتقدوها دائما. العمل مستمر بلا انقطاع - انتظري دقيقة، فقد تركت روني ناقعاً قدمه المتقرّحة في الحمّام - ولكنْ أي شيء آخر يعطيني هذا المقدار من الفرح والرضى؟"

في غرفة التسلية الواسعة المتألقة في أحد المنازل الثلاثة، تحيِّي دوريس كهلاً قصير القامة: "مرحبا يا عزيزي فريد!" فيثب عن كرسيه ويتشبّث برجليها ويصرخ مثل طفل. تلاطفه، لكنه يجهش عندما تتركه. وهذا طوني يطرز بابرة على نسيج "كنفا." تناديه دوريس وتعطيه قطعة حلوى.

لقد غدت مجموعات "العناية المحلية" مثالاً تقتديه مدن كثيرة، وهي تقضي بجمع أشخاص معاقين عقلياً في مركز واحد حيث يلقون رعاية ودعماً. لكن الاعتمادات المخصصة لمركز المعاقين غير كافية غالبا. وينعكس ذلك مشاكل تواجه كثيراً من البائسين الوحيدين. فبعضهم بلا مأوى، وبعضهم الآخر في السجون لاقترافهم "جرائم" جهل عادات المجتمع.

حب وحزم. عرفت دوريس معنى التعرض للاكراهات في مصحّ. فقد توفيت والدتها إثر ولادتها، "وتنازل أبي عني كما لو كنت قالب جبن." وبعد طفولة تعسة في دور الايتام وفي خدمة المنازل تزوجت وانجبت ابنتها جاكي. لكن زوجها توفي بداء السل في ريعان شبابه.

عملت دوريس في مصانع النسيج ومستشفيات الامراض العقلية لتعول ابنتها. وفي العام ١٩٦٣ تزوجت ثانية وأصبحت مديرة فندق في مارغيت وفر عملاً موسميًا لستة رجال معاقين. وفي نهاية ذلك الصيف أُقفل المصح الذي كان المنزل الوحيد لهؤلاء الرجال، فوجدتهم دوريس جالسين على الرصيف، حاملين بمقتنياتهم في أكياس: باسيل، فكتور، سيدني، الاخوان ليني وجوني مع ببغائه الاوسترالية في قفص.

أخذتهم دوريس الى منزلها واعتنت بهم، وبدأت تعلّم جوني النطق للمرة الاولى في حياته المهملة.

عندما اشتكى الجيران من الوضع - وكانت هذه الشكوى فاتحة اعتراضات جاهلة كثيرة واجهتها دوريس - رهن زوجها أليك بيتهما ليستأجرا فندقا صغيراً للرجال الستة. ولأن المكان يتسع لأكثر سألت دوريس العامل الاجتماعي في المصح القديم أن يرسل اليها بضعة "صبيان" آخرين، فوصل على حين غرة ٤٠ رجلاً بائسو المظهر "في شاحنتين مقفلتين تُشبهان سيارات نقل السجناء."

كان كثير من الرجال الجدد يفتقرون الى التهذيب. يدخنون ويتعاطون الكحول ويبدِّدون في مكاتب المراهنات مصروف الجيب الذي تعطيهم اياه دوريس. وكانت الشرطة تقبض عليهم باستمرار لقرعهم

أجراس أبواب الناس أو اقترافهم سرقات تافهة أو محاولتهم السطو على دكان بمسدس ألعوبة.

كانت دوريس لطيفة ومُحِبّة، ولكن حازمة أيضاً. تقول: "هددني أحدهم مرة بسكين زاعقاً أنه قاطع عنقي لا محالة. فسألته: من سيعينك عليّ؟ وهو هنا منذ ٢٨ سنة، وقد تعلّم كيف يحِب ويحَب."

روّضت دوريس الرجال تدريجاً على النشاط وحسن المظهر. ولكن مجدّداً تصدى لها جيران تشاجروا معها ومع الصبيان في الشارع ونعتوهم بـ"حثالة الارض."

مقهى الشباب. لم ترتدع دوريس وأليك، بل اشتريا منزلين مشرفين على مصطبة مشتركة، كما اشتريا فندقاً قديماً على الواجهة البحرية في مارغيت. وقد اعطى عملها أُكُلَه حتى غدا كل من في المدينة فخوراً بما أنجزته.

يقول النائب روجر غايل الذي يثابر على زيارة المراكز الثلاثة: "عندما أخذت المستشفيات تقفل أبوابها، وطُرح المرضى العقليون في مدن ساحلية مثل مارغيت التي تتوافر فيها فنادق صغيرة كثيرة، اعترى الخوف الناس: ليس في مدينتي! ليس في شارعي! لكنَّ صبيان دوريس كانوا نظيفين ومرتبين وحسني السلوك بحيث تلاشت مشاعر الخوف والعداء."

يعيش "صبيان" دوريس في غرف نوم مرتبة، وهناك دمية على كل وسادة. الاقل إعاقة بينهم يُسَرّون بتنفيذ أعمال في المنزل والحديقة. و"صغيري جوني" الذي وجدته جالساً على رصيف الشارع مع ببغائه تعلّم كيّ الثياب والطبخ وتقرير وجبات الطعام.

يقول ديفيد ميرسكي صهر دوريس الذي تخلى عن صالون الحلاقة الذي كان يستثمره ليدير مؤسساتها: "جوني لا يتقن الكتابة، لكني أعرف أنَّ عبارة "١٢٠ سمكة + ٢" تعني أنه يريدني أن اشتري ١٢٠ سمكة وكيسين كبيرين من البطاطا."

كان الرجال يكرهون طريقة "المعالجة بالعمل"(*) التي اعتمدت في المصحّات، لذا اشترت دوريس وزوجها مقهى قديماً ورمماه بهدف ابعاد الرجال عن مقاهي الشاطىء. وقالت لهم دوريس: "أنه لكم، اعتنوا به." وهم الآن يقصدونه لشرب الشاي وتناول الوجبات الخفيفة والرفقة. ويعلمهم الندل ألعاباً بسيطة ويساعدونهم في تركيب أحجيات الصور المقطعة.

صداقات حقيقية. دوريس هي "ماما" الجميع. أما أليك فيمنعه انحراف صحته الآن من المساهمة النشطة في ادارة المؤسسة. وديفيد هو "العم ديفيد..." وابنة دوريس التي تتولى المسؤوليات عندما تغيب والدتها هي "العمة جاكي." ويتلقى كل رجل إعانة

(*) المعالجة بالعمل طريقة قوامها تكليف المريض اداء ضرب من العمل الخفيف يصرفه عن التفكير في نفسه ويعجل في شفائه.

مالية حكومية بحيث لم تعد دوريس مضطرة الى الكدح والتقتير. ويساعد فريق من النسوة النشيطات والمرحات على العناية بالمعاقين. والجو السائد بين "الصبيان" وفريق الخدمة يتسم بالمزاح والود، وعلى رغم أن بعض الرجال منطو على نفسه فثمة صداقات حقيقية تترسّخ.

تقاسم هاري وبرت غرفة واحدة سنين عدة. لم يتكالما ابداً أو يهتم أحدهما للآخر. ثم مرض هاري ولم يلبث أن توفي. ووجدت دوريس برت يتطوّف في الخارج. قال لها: "أنا أبحث عن هاري."

حضرت له دوريس كوب شاي ووضعته في فراشه. ولم تمض أيام قليلة حتى توفي برت أيضاً.

واهتمت دوريس بمراسم الدفن، فهي أقرب "الانسباء." الى معظم أولئك الرجال الذين لا يتذكرون مَنْ أهلهم ولا يحملون شهادة مولد ولا تاريخاً لحياتهم.

وعندما جاء الأب نورمان بالدوك الى المدينة لاحظ أن الرجال يحبون الموسيقى والترانيم. وقد أصبحت "جوقة" دوريس ذائعة الصيت.

حفلات شاي. لو أن الرجال والنساء المعاقين، أمثال "صبيان" دوريس، تلقوا في صغرهم خدمات التربية الخاصة المتوافرة اليوم لكانوا أقل اتكالية الآن. لكنهم حرموا هذه الخدمات، وها هم الآن يُعَدّون بالملايين. تقول نانسي دورثينغتون، مديرة مجلس مقاطعة كنت: "إن المعاقين الذين يعانون درجة حادة من شبه التخلف العقلي، مثل صبيان دوريس، لا يحظون في أي مكان في البلاد بعناية أفضل من تلك التي تغدقها عليهم دوريس وديفيد. وهي رعاية لا يسع كثيرين تقديمها مهما دفع لهم من مال. فالحاجة هي الى أمثال دوريس." وفي العام ١٩٨٣ قلدت دوريس بارغيتر "وسام الامبراطورية البريطانية" اقراراً بفضلها وبقيمة عملها.

كل سنة تقيم دوريس لصبيانها ولمعاقين آخرين في أرجاء المقاطعة حفلة شاي كبرى في "الحدائق الشتوية" في مارغيت. فيجلس فريق العمل في المؤسسة مع قرابة ٥٠٠ معاق الى موائد طويلة، فيشربون ويأكلون ويلوحون بالاعلام ويشعلون المفرقعات وهم معتمرون قبعات ورقية.

ويدعى الجميع الى باحة الرقص. جوني يرقص بخطوات خرقاء. و"فريد الصغير" ذو الوجه الطفولي يدور على رؤوس أصابعه وقد نشر ذراعية مثل راقص باليه. أما الرجال الذين يشكون خللاً في التنسيق الحركي فقد قبعوا في ركن واحد وراحوا يتلوّون.

سأل أحد المدعوين دوريس: "متى تنوين التقاعد؟" فصرخت: "أتقاعد؟ أبداً، فصبياني هم حياتي!"

مونيكا ديكنز ■

اذا رغبت حقاً في فهم امر ما، حاول تغييره. ك.ل.

ماذا تفعلون إذا حيّر مرضكم الأطباء؟

يصاب أناس كثيرون بأمراض "غامضة" تقودهم الى تطواف لا ينتهي على أطباء مختلفين. فكيف نتحاشى الوقوع في هذا الشرك؟

عندما أحست جويس أديسون بألم دائم في معدتها خريف ١٩٨٨، شخّص الطبيب ألمها بأنه عائد الى مشاكل في المرارة، وارتأى أن تمتنع عن تناول المأكولات الدهنية. وتذْكُر أديسون وهي مصوِّرة في السابعة والثلاثين من عمرها: "كنت قرأت عن أمراض المعدة، فتأكد لي أنْ لا علاقة لأعراضي بنظام أكلي."

وتحول ألم معدة أديسون أثناء رحلة لها أوائل العام ١٩٨٩ أعراض غثيان ودوار وإسهال استمرت متقطعة أشهراً. وفي أبريل (نيسان) ١٩٨٩ أمضت أسبوعين في بريطانيا. ولدى عودتها تفاقم إسهالها الى حد أنها أصيبت بجفاف (استنزاف سوائل الجسم) وتعين دخولها المستشفى حيث أمضت بضعة أيام. ولم تشر الفحوص الى اصابتها بالكوليرا أو بطفيليات معوية. وبعد مغادرتها المستشفى شخص طبيبها أنها مصابة بالتهاب فيروسي في المعدة والامعاء يدعى "انفلونزا المعدة."[1] لكن

(١) Gastroenteritis or «stomach flu»



حالها لم تتحسن على رغم ما وصفه الطبيب من عقاقير.

وفي الاشهر التالية أصيبت أديسون بأعراض جديدة راوحت بين النفخة البطنية والأرق والصداع والتعرُّق الليلي. فقال لها احد الاطباء إنها تشكو من تهيج معوي[2] سببه الاجهاد الناتج من وطأة اصابة والدتها بسرطان الثدي. فاعترضت قائلة: "لكني كنت معتلَّة قبل اشهر من تشخيص مرض أمي!"

وهكذا انهارت حياة أديسون. كانت تشعر بعياء لكنها لم تستطع النوم. وكانت مضطرة الى البقاء على مقربة من المرحاض مما عزلها اجتماعيا. ووضعت لائحة بأعراضها وعلاجاتها ونتائج فحوصها، ولكن كلما أبرزت اللائحة لأطباء رمقوها بنظرة استغراب، وتذكر: "ظنوا أني مصابة بوسواس المرض."

وذات ليلة عانت أديسون أكثر الاعراض إرعابا. وهي تروي: "استيقظت فشاهدت خصلة كبيرة من شعري على الوسادة، هالني الامر وأيقنت أنني مصابة بالسرطان."

ان الأعراض التي عانتها أديسون يمكن أن تعني مئات الاعتلالات الجسدية، بعضها ثانوي وبعضها قد يشكل خطراً على الحياة. ولئن عانيتم أعراضا دائمة ولم تؤدِّ الفحوص الى تشخيص محدد، فانتبهوا: أنتم لغز طبِّي.

يتعرض الجسم البشري لاعتلالات لا ينجح أي طبيب في تشخيصها كلها. يقول الدكتور ألن جيانيني الاختصاصي بالحساسية والمناعة في مركز سان فرنسيسكو الطبي بجامعة كاليفورنيا: "يستطيع أطباء الصحة والامراض الداخلية تشخيص معظم الحالات، لكنهم اذا ما استبعدوا احتمالات أخرى وانتهوا الى افتراض ما، كأن يقولوا إن السبب هو حساسية لنوع من الطعام، فانهم يحيلون مرضاهم على اختصاصي مثلي. إني أبحث عن أشياء لا تخطر ببال أطباء آخرين."

بيد أن الالغاز الطبية شأن يربك حتى الاختصاصيين. وكثيرا ما يحدث ذلك في الاعتلالات الاقل شيوعا مثل الذأب الاحمراري الجهازي.[3] يقول الدكتور ألن لاش الاختصاصي بأمراض الروماتزم (الرثية): "قد يربك الذأب الاطباء لأن مظاهره غير محددة، فقد يصاب المريض بآلام في المفاصل وبطفح جلدي حساس للضوء ويتساقط شعره ويعاني حمى وعياء في أوقات مختلفة."

فإذا أُصبتم بأعراض تعتقدون أن الاطباء أساؤوا تشخيصها أو لم يعيروها اهتماما كافيا، تقصوا الامر بأنفسكم. فقد تتمكنون من جمع قرائن تتيح حلّ لغزكم الطبي إن اتبعتم الارشادات الآتية:

١. جدوا طبيباً تثقون به، ويُستحسن أن تجدوه وأنتم معافون. فالطبيب الذي يألفكم معافين هو أفضل مَنْ يلاحظ تبدل حالكم.

(٢) Irritable-bowel syndrome

(٣) Systemic lupus erythematosus. وهو التهاب جلدي يشمل الجسم كله.

وإن لم يتمكن طبيب صحة من حل اللغز، فدعوه يحيلكم على أطباء اختصاصيين ويشرف على علاجكم. فمن الخطأ التطواف من اختصاصي الى آخر. يقول الدكتور دانيال لوربر الاختصاصي بالغُدد الصُمّ: "لا يرى الاختصاصيون سوى جزء منكم. أما طبيب الصحة فيراكم كُلاًّ متكاملا."

قبل سنوات، شكَت دوروثي غاردنر (٣٨ عاما) من برودة في يديها وبقع حمر على جلدها وحَرْقة شديدة في "باب" معدتها. ولمَّا تفاقمت حالها استشارت عددا من الاختصاصيين بأمراض المعدة والامعاء، فوصفوا لها أدوية وارتأوا أن تخضع لجراحة لمعالجة حَرْقتها.

واذ شكك طبيبها في ضرورة الجراحة، أحالها على اختصاصي آخر تمكن من حلّ لغزها الطبي باكتشافه أنها مصابة بالخَزَب . المتصلِّب[٤] وهو مرض يسبب مشاكل عدة بينها حرقة تتأتى من ضعف أداء المريء. وتذكر غاردنر: "أربكني الاختصاصيون، لكن طبيبي سدد خطاي وجاءني أخيراً باختصاصي توصل الى التشخيص الصحيح." ونتيجة العلاج خفت أعراض المرض لدى غاردنر.

٢. **لا تتجاهلوا أعراضكم.** لا تستخفّوا بأي عَرَض باعتباره نتيجة "وسواس مرضي" أو "تقدم في السن" أو "نصيب من الحياة"، وخصوصا اذا ما بدأ عَرَض ما يؤثر سلبا في قدرتكم على العمل أو تمتعكم بالحياة.

مثال ذلك أعراض الصداع والاعياء المزمن وألم الحوض والتبوّل المفرط التي لازمت مليندا دمريوس (٣٨ عاماً) سنوات ولم تعتبرها "من الخطورة بحيث" تبرر استشارة طبيب. وأخيراً لم تجد بداً من استشارة عدة اختصاصيين لتشخيص كل من أعراضها. قال لها أحدهم ان صداعها ناتج من التهاب في الجيوب الانفية. وقدّر طبيب عظم أن الالم في حوضها ناتج من تمارين الرقص الحيهوائي.[٥]

بعد ذلك، استشارت مليندا طبيباً اختصاصياً بالروماتزم. وتذْكُر: "شرعت في وصف بعض أعراضي، وحزر هو الاعراض الاخرى. وهكذا علمت أني أشكو من الميالجيا الليفية[٦] وهو مرض روماتزمي. مَنْ كان ليرتاب في أن لألم الحوض علاقة بالاعياء المزمن والتبوُّل المفرط؟"

٣. **أفيدوا بحكمة من الدقائق العشرين.** لا تهدروا هذا الوقت الذي يستغرقه الفحص الطبي النموذجي. صفوا أعراضكم وعلاجاتكم بدقة ووفق تسلسلها الزمني. متى بدأت المشكلة؟ كيف أحسستم بها؟ هل طرأ ما بدَّل الاعراض؟ ماذا قال الاطباء الآخرون؟

ومن المفيد أيضا الاحتفاظ بسجل يومي للاعراض. أين كنتم عندما تكشَّفت؟

(٤) Scleroderma. وهو تيبس جميع طبقات الجلد.
(٥) Aerobic dance
(٦) Fibromyalgia. والميالجيا وجع في العضل.

ماذا كنتم تفعلون؟ يقول الدكتور جيانيني الاختصاصي بالحساسية والمناعة: "قد تكشف السجلات اليومية أنماطا تساعد في تشخيص أمراض الحساسية والربو والاعتلالات الناشئة من ممارسة مهنة معينة وغير ذلك من الحالات."

احتفظوا بسجل خاص لتاريخكم الطبي، فاصابتكم بشلل الاطفال قبل ٣٠ سنة أو تعرضكم لحادث سيارة قبل بضع سنوات قد يؤثران في الاعراض التي تعانونها حاضراً.

وسجل العائلة الطبي دليل مهم أيضا. فاذا كان السرطان أو السكري أو أي مرض آخر متوارثا في عائلتكم، فقد يزداد احتمال اصابتكم به.

٤. ضعوا لائحة بكل العقاقير التي تتناولونها. لاحظت امرأة في الثامنة والسبعين من العمر زيادة غير طبيعية في ضربات قلبها. فوصف لها طبيبها دواء للقلب اسمه "ديغوكسن."[٧] تقول قريبتها الدكتورة جولي بالر: "الديغوكسن يمكن أن يكون ساما، ولا يُلجأ الى وصفه الا بعد استبعاد احتمالات أخرى." وأحد هذه الاحتمالات تناول جرعات مفرطة من هرمون الغدة الدرقية. وكانت المرأة تتناول هذا الهرمون منذ سنوات من غير أن تواجه مشكلة.

سألت بالر قريبتها في اتصال هاتفي عما اذا كان طبيبها دقق في جرعات دواء الغدة الدرقية الذي تتناوله. ولمّا أجابت نفيا طلبت منها بالر قراءة الشرح الوارد على ملصق زجاجة الدواء. تقول بالر: "تبين لي أن ثمة سوء تفاهم، اذ كانت قريبتي تتناول حبوبا تبلغ قوتها ضعفي ما حدده الطبيب." ولما عدل طبيبها الجرعة اختفت أعراض القلب.

يقصد من هذا الدرس وجوب إحضار قوارير الادوية للمعاينة ليتسنى للطبيب مراجعة الشروح المرفقة بها. ولا تغفلوا ذكر ما تتناولون من عقاقير أخرى لا يصفها طبيب، بما في ذلك الفيتامينات والمكملات المعدنية. فالجرعات الزائدة من الفيتامينين "أ" و"د" قد تسبب عياء، كما قد يسبب تناول الفيتامين "ب" خدراً وغير ذلك من الاعراض العصبية الغامضة.

٥. فكروا في وظيفتكم ونمط حياتكم. إنْ أردتم تحديد ما اذا كان للغزكم الطبي علاقة بوظيفتكم، اطرحوا على أنفسكم هذه الاسئلة:

هل تشعرون بالمرض في أيام العمل ثم تتحسن حالكم خلال العطلات؟ هل استجد شيء في عملكم، مثل عملية انتاج جديدة قد تعرضكم لمواد كيميائية خطرة؟ هل يعاني زملاؤكم في العمل الاعراض نفسها؟

قد تتجاوز الاعراض الغامضة نطاق العمل لترتبط بالعوامل الناشئة من نمط العيش. هل لديكم حيوانات مدلَّلة؟ فهذه لا تسبب حساسية فحسب، بل يمكن أن

(٧) Digoxin

تنقل أمراضاً معدية الى الناس. هل قمتم برحلة؟ فالمسافرون معرضون لالتقاط أنواع مختلفة من الامراض. هل عدَّلتم أخيراً كمية ما تستهلكون من كافيين؟ فالناس الذين ينقطعون فجأة عن القهوة والشاي والكولا يتعرضون في كثير من الاحيان لأوجاع رأس مرتبطة بالانقطاع عن الكافيين.

٦. **أجروا بعض الابحاث.** أُبلغ الى جانيس غوثري قبل سبع سنوات أنها مصابة بنوع نادر من سرطان المبيض. وعندما أشار عليها طبيبها بالعلاج الاشعاعي، قررت اجراء أبحاث حول مرضها. تقول: "علمت، نتيجة أبحاثي، أن العلاج الاشعاعي لا ينفع في السرطان الذي أصابني. لذا لجأت الى طبيب آخر سعيا الى علاج مختلف."

بعد سنة من تشخيص مرضها أسست غوثري مؤسسة "المورد الصحي"[٨] التي تعنى بالابحاث الطبية. فأمَّها مرضى كثيرون يعانون أعراضاً غامضة بينهم رجل أفاد أنه يعاني، مذ أُجريت له جراحة تحويلية،[٩] ضيق تنفس لم يعرف طبيبه سبباً له.

تقول غوثري: "وجدنا لحاله مقالا طبيا يتحدث عما وصفه تماما: ضيق تنفس بعد جراحة تحويلية. وأرسلنا إليه المقال مقترحين عليه مناقشته مع طبيبه."

ويمكن الراغبين في اجراء أبحاث تتعلق بامراضهم العثور على معلومات كثيرة في المكتبات العامة.

٧. **اعتبروا العوامل العاطفية.** في غمرة السعي اليائس الى تفسير للأعراض المرضيّة، يُقنع بعض الناس أنفسهم بأنهم يعانون مرضاً قرأوا عنه قبل مدة وجيزة. لذلك لا تتسرعوا في الاستنتاج.

فالاجهاد والقلق والكآبة حالات يمكن أن تسبب أعراضاً جسدية. لذا، حين يدقق طبيب الامراض الداخلية ليو غالاند في أعراض غامضة، يضع لائحة بالامكانات ويصنفها بحسب أرجحيتها. فان كان السبب المحتمل مشكلة مرتبطة بالصحة العقلية، فانه يذكره منذ البداية.

يقول غالاند: "أراجع مع المريض نتيجة كل فحص على حدة، ومتى تبين أن ثمة مشاكل عاطفية انفعالية، فقد أقترح عليه مراجعة طبيب نفساني من دون أن أمسّ بمشاعره."

بحلول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩، كانت جويس أديسون عانت إسهالا استمر أكثر من سنة. ثم قرأت مقالا عن بحث يجريه الدكتور غالاند ويفيد أن ربع المرضى الذين تُشخَّص حالاتهم على أنها تهيُّج معوي هم، في الواقع، مصابون بالـ"جيارديا لامبليا"[١٠] وهي طفيليات معوية مجهرية تسبب داء الجياردييات[١١] الذي تنجم عنه أعراض محيِّرة تراوح بين

(٨) The Health Resource

(٩) Bypass surgery. وهي تحويل مجرى الدم في شريان مسدود، وتعرف بجراحة "القلب المفتوح."

(١٠) Giardia lamblia

(١١) Giardiasis

أوجاع معوية واعاقات خطيرة تطاول الجسم كله.

يقول غالاند: "من الصعب اكتشاف الجياردیا، خصوصا لأن الفحوص المخبرية غالبا تعجز عن ملاحظتها."

اتصلتْ أديسون بالدكتور غالاند. فتأكد له بالفحص المجهري أنها مصابة بداء الجيارديات. فعولجت لمدة تسعة أشهر. وهي تقول: "بدأتُ أتحسن منذ اليوم الاول. وأنا الآن بصحة جيدة."

تتحدث أديسون عن الالغاز الطبية بمعرفة هي وليدة تجربة أليمة. تقول: "إنْ أصبت باعتلال آخر غير مألوف – وآمل الا يحصل ذلك أبداً – فسأجري مزيداً من الابحاث بنفسي. وسأكون أقل صبراً مع الاطباء الذين لا يأخذون ملاحظاتي جدياً. وإذا علمت أني مريضة، فلن أصغي الى أي شخص يقول لي: أنتِ على ما يرام."

مايكل كاسلمان ■

هاوية ميكانيك

توقفتْ سيارة صديقتي فجاة، ولم تنفع محاولاتها في ادارتها من جديد. ففتحت غطاء المحرّك واخذت تعبث في الداخل حتى وجدت قطعة فالتة. واذ لم تكن تفقه شيئا من الميكانيك، اتصلت بي واخبرتني بما وجدت وطلبت مني المساعدة. ولكم كانت دهشتي حين وصلت واكتشفت ان القطعة الفالتة التي وجدتها لم تكن سوى قضيب قياس الزيت في المحرّك، فيما توقّفت السيارة لنفاد الوقود في خزانها.

م.ف.

أمنية لو تتحقق

استيقظت ذات ليلة لأجد امي جالسة على الشرفة. فمضيتُ اليها وسالتها عن سبب ارقها.

اجابت: "لا استطيع النوم، ثم انّي شاهدت نجماً مذنّباً فتلفظت في سرّي بأمنية."

سالتُها: "وماذا تمنّيتِ؟"

اجابت: "أن يتوقف والدك عن الشخير."

ز.ل.

ذاكرة خائنة

قال لي احد الاصدقاء: "لن تصدق يا ابرهيم ما حدث معي. لقد التقيت صديقا ووقفت واياه ساعة نتحدث وانا ادعوه طوال الوقت يا ابرهيم، حتى انتبهت في النهاية الى ان ابرهيم اسمك أنت وليس اسمه."

أجبته: "ان اموراً كهذه تحدث. لكن اسمي في الواقع هو داود وليس ابرهيم."

داود بيطار

الضحك

جدة بردانة

■ اصطحبتني جدّتي في زيارة لشقيقتها في الريف. وحين هممنا بالخلود الى النوم ذاك المساء هتفت: "برررر! يا لهذا الصقيع! ستصطكّ أسناني طوال الليل!" ولم تلبث أن نزعت طاقم أسنانها الاصطناعية ووضعته في كوب ماء ثم أضافت: "الآن يمكننا أن ننام بهدوء."

ر.ت.

النجدة يا دكتور!

■ وصل رجل لاهثاً الى الطبقة الخامسة من مبنى، ودخل ثم قال: "دكتور، ماذا أفعل لأستعيد لياقتي؟"

- عليك أن تخفف من أكلك فتخسر خمسة وعشرين كيلوغراماً من وزنك، وتمتنع عن التدخين والكحول، وفي النهاية تقصد طبيب عيون.

"ولماذا طبيب العيون؟"

- لكي تستطيع قراءة اللافتة على الباب. فأنا مهندس ولست طبيباً. الطبيب هو في الطبقة الاولى.

ت.ف.ب.

هاربة!

■ صديقي تقني في شركة للغاز. كان يتفقد عدّاد الغاز في احد المنازل، يرافقه زميل له أصغر منه سنّاً. فتحدّاه صديقي ان يسابقه لكي يُثبت له أن في وسع الكهول ان يبزوا الشباب في الركض.

وبعدما قطعا مسافة في سباقهما، لاحظا أنّ صاحبة البيت الذي خرجا منه تجدّ في اثرهما لاهثة. فتوقفا للحال وسالاها عما بها. فاجابت: "حين رايت عاملين من شركة الغاز يفرّان من بيتي، رايت من الأفضل ان افعل مثلهما."

د.ج.

جد غيور

■ كثيراً ما اسال اصحابي الكهول عن مشاعرهم الاولى لدى معرفتهم انهم سيصبحون جدوداً بعد اشهر. فيجيبني معظمهم بانه يشعر بسعادة واثارة عارمتين. لكن احدهم فاجاني يوماً بقوله: "نزل علي الخبر كالصاعقة. فقد تاكد لي اخيراً ان ابنتي تعاشر رجلا."

ن.ر.

سر الجلّاية

■ انتقل شقيقي الى السكن وحده في شقة جديدة. وقد أعجبه كل ما في الشقة، الا جلّاية الصحون التي لم تكن تعمل جيداً. وحين زارنا بعد ايام تطرقنا الى الراحة التي توفرها جلاية الصحون في البيت. فعلقت أمي على الامر قائلة: "لكن الصابون غالٍ جداً."

فهتف اخي وقد شعّت الحقيقة من عينيه: "صابون؟"

ت.ف.

تتناهى الينا في هذه المدينة الفاتنة أصوات غريبة لم نسمعها في مكان

لم تطأ قدماي البندقية صيفا ولا في أيام المهرجانات ومواسم العروض السينمائية والفنية الضخمة. فالبندقية التي أعرفها هي مدينة الخريف والشتاء عندما يقل السياح فتعود ملكا لأبنائها.

ومهما يكن زائرها قرأ أو سمع عن تأثيرها البصري، فانها تأخذه دائما على حين غرة.



ولا أزال، بعد خمس زيارات للبندقية، اقع أسير سحرها الأخاذ، لا بفعل الهندسة المتميزة والقصور والجسور والروعة الشاملة، بل لاقتران الهندسة بالفضاء والنور واللون والماء، وخصوصا الماء.

حين يقع تطرك على الطرق المائية في البندقية يتكون لديك أولاً انطباع سمعي، فتزول الاحاسيس العادية وتحل مكانها اخرى جديدة. وتتناهى اليك أصوات ووقع أقدام وتغريد عصافير وسعال من نافذة في الضفة المقابلة. لكن هذه الاصوات تختلف جميعها عن تلك التي ألفها المرء في اليابسة التي غادرها.

عرفت البندقية متدثرة برداء ضبابي شفاف يتقطر ندى، والحزن والارهاق يخطّان معالمها ويحولان كل جسر فيها جسر تنهدات. والحال أيام السديم[1] أشبه برحلة الى عالم الظلمات.

لكن شتاء البندقية غالبا ما يكون متألقا. فيجلس المرء في مقهى

(١) السديم هو الضباب الرقيق



"فلوريان" ناعماً بالدفء فيما يعزف موسيقيون في الخارج ألحاناً تذكي الحنين.

منذ مئات السنين والبندقية في منحى انحداري، لكن الانحدار هو جوهر طابعها المميز. وهي ما كنت لتبدو جذابة الى هذا الحد لو أنها تطورت بالمفهوم الحديث للازدهار. وسكان البندقية أنفسهم لا يتكلمون كثيراً عن مدينتهم، بل انهم لا يأتون على ذكرها ما لم يُسألوا. والحقيقة أنهم فخورون بمسقط رأسهم ومتعلقون به، لكن المدينة لا تستثيرهم بمقدار ما تستثيرنا.

في أي حال، التفكير في البندقية تخالطه على الدوام نفحة رومنسية. زرتها مرة في أوائل نوفمبر (تشرين الثاني) فوصلت قرابة منتصف الليل. وكانت حركة السير في القنوات متوقفة تضامناً مع بحارة الغندولات[2] الذين أعلنوا اضراباً. وكانت ريح شديدة تهب من الهَوْر.[3]

ألفيت نفسي في ورطة اذ وقفت منتظرة على منصة الرسو ومعي حقائب ثقيلة. وأخيراً توصلت الى صفقة مع بحارة مركب محمل بالفحم، فنزلت اليهم بحقائبي وجلست وسط الحمولة السوداء وانطلقنا في القناة الكبرى التي كان الحكام والأشراف قديماً يسلكونها بجلال ووقار.

سأتذكر دائماً رحلة منتصف الليل تلك وسط المياه الحالكة وصراخ البحارة وزعيق طيور البحر. كان معظم القصور غارقاً في الظلام، وأعمدة المرسى تومض فجأة عاكسة أنوارنا. وبدت المصابيح القليلة المضاءة في النوافذ شاحبة مخضرَّة.

كانت الضفتان خاليتين من المارة، ومع ذلك أحسست وقعاً غريباً لا أستطيع وصفه بسوى أنه أصوات مائية منبعثة من الارصفة.

لقد متعت ناظري بمشاهد البندقية: باسيليك سان مارك، الساحة "السعيدة" التي تغص متاجرها بسلع باهظة الاثمان، المتاحف، المعارض. وبدأت أشكل بندقية خاصة بي، تماماً كما يفعل المرء حين يستقر في بلد جديد ويكسب أصدقاء جدداً فيعمد أخيراً الى اصطفاء قلة محببة منهم. وهكذا تكررت زياراتي لهؤلاء "الاصدقاء" خلال رحلاتي الشتائية.

ان غياب الحشود هو من حسنات الزيارة في غير المواسم السياحية، اذ يتسنى للمرء أن ينعم بجلسة منفردة هانئة في مَعْلم ما والتمتع برائعة فنية. وكم أحب أن أجتاز زاوية في ساحة سان مارك لاشاهد أولئك الامراء الاربعة الوسيمين الخجولين، النافذين جداً، وهم متماسكون يتشاورون في ما بينهم.

وأذكر أيضاً رحلة لي في الشتاء على متن معدِّية الى تورشيلو إحدى الجزر في هَوْر البندقية التي تتميز بكاتدرائية خلابة بنيت في القرن الحادي عشر.

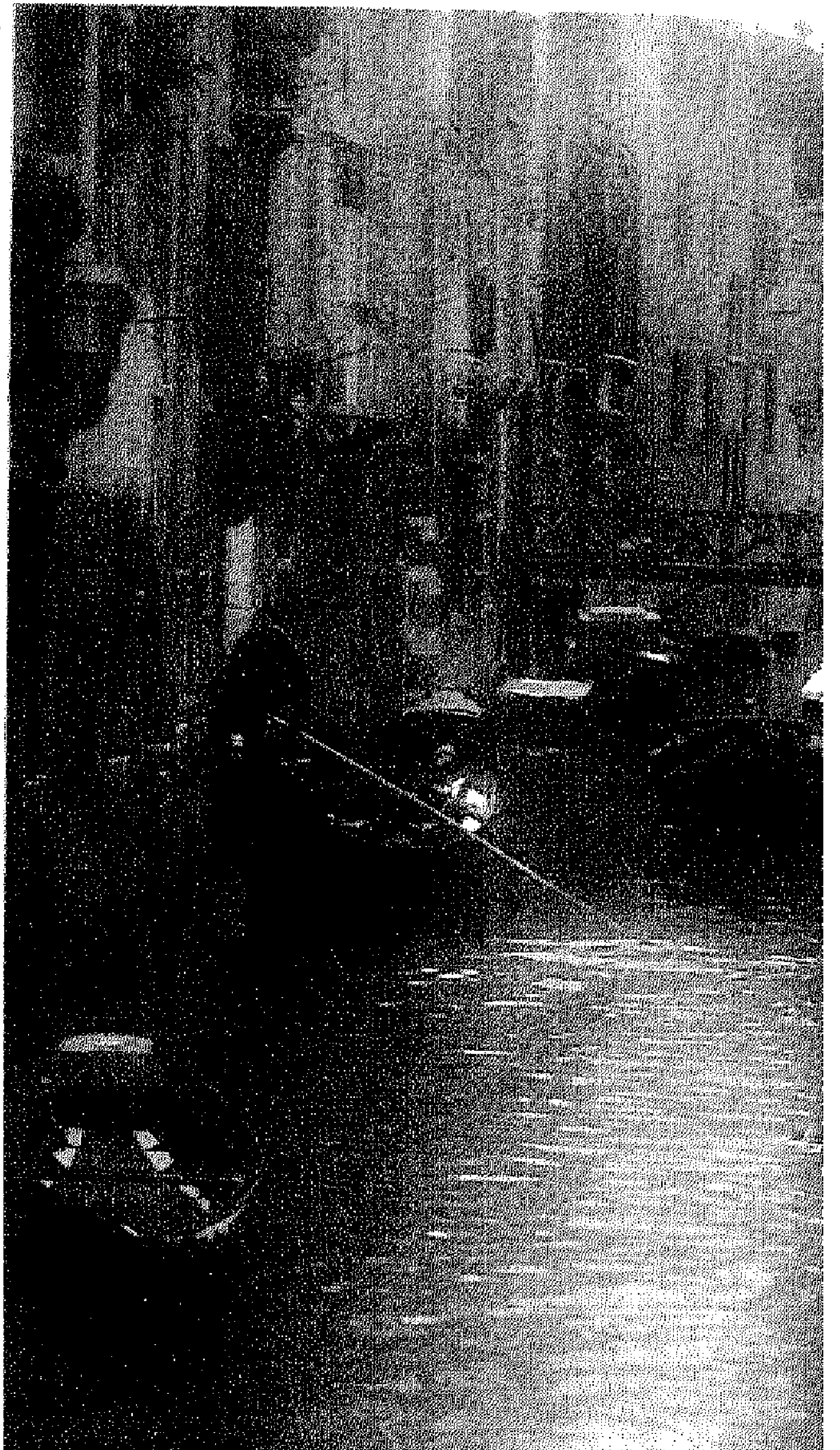
(٢) الغندول زورق طويل يستخدم في قنوات البندقية.
(٣) هور البندقية بحيرات ضحلة متصلة بالبحر.

وليست الكنوز الفنية صديقاتي الوحيدة، فأنا أتردد باستمرار على "رفقاء" ألفتهم خلال نزهات مشي في ساحات ساكنة وطرق تعصف بها الريح. من هؤلاء متجر قبعات يقع داخل منزل صغير مربّع مطل على القناة قرب سانتا ماريا فورموزا. وقد علقت في واجهاته وتكدست في الداخل تشكيلة متنوعة: قبعات من القش واللباد والمخمل الأسود وقلانس بحارة وقبعات عالية وعريضة.

وتمضي ساعات وأنا أسيرة روعة الجسور فوق القنوات الجانبية. وقد شيدت مجموعات منها منحرفة لا تخدم غاية عملية، مما يزيدها سحراً.

ولا يخبو شعوري بالدهشة أبداً، لأن هذه الطيبة البصرية وهذا السمو السمعي بُنيا في الحقيقة على التجارة. وقد قال أحدهم ان الثقافة تتبع الذهب.

لا يسَعُ المرء اليوم أن يعيش في البندقية وفق النمط الحضاري الذي ولّد المدينة، فهو لا يستطيع أن يحيا في أحد قصورها حياة عصرية، اذ سيضطر الى تكريس نفسه لصيانة الجدران والاهتمام بالخدم واعطاء الأوامر باصلاح مركبه النهري الخاص وطلي أعمدة المرسى وتنظيف ثريات الكريستال قطعة قطعة. إن امتلاك قصر في البندقية أمر مروع بلا شك، لكن ثمة من لا يزال يمتلك قصوراً.



جاءت زيارتي الاولى للبندقية متأخرة قياساً على أسفاري الكثيرة. كنت أدخرها لمناسبة رومنطيقية، غير أن هذه المناسبات لم تتزامن يوماً وامكانات القيام برحلة. لذا جئت اليها فجأة في شتاء ١٩٧٥، فكانت البندقية ذاتها هي المناسبة الرومنطيقية.

لقد أصبح الوسيط غاية.

موريل سبارك ■

الطف تخصّص: تربية الزواحف!

بالنسبة الى الجنس "الخشن" تبدو هذه العالمة شواذاً لأنها تربي عظاءات

في أحد أيام سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ وصلت الى الحدود بين بناما وكوستاريكا شاحنة تقودها امرأة أثارت ريبة الحرس. فسألها أحدهم: "ماذا تنقلين في شاحنتك؟"

أجابت داغمار فيرنر: "١٢٠٠ إغوانة."

ذهل الحارس، اذ ما عسى هذه المرأة الشقراء التي تحمل جواز سفر ألمانيا تفعل بهذا العدد الكبير من العظاءات الضخمة؟

أدركت داغمار أن الرجل لن يسمح لها بالمرور، فسحبت سلاحها السري "إغناسيو" من مؤخر الشاحنة، وهو إغوانة أليفة تزن خمسة كيلوغرامات، وراحت تمسّده برفق. وتتذكر فيرنر ما حدث آنذاك ضاحكة: "دهش الخفير لشجاعتي ولوّح بيده للحال سامحا لي بالعبور. لم يعلم أن الاغوانات لا تؤذي، فهي تقتات بالنبات فقط."

خلال السنوات السبع المنصرمة اشتهرت البروفسورة داغمار فيرنر في بلدان أمريكا الوسطى. ويناديها الناس هناك بتحبّب "ماما إغوانة." وفيرنر خبيرة مرموقة بعظاءات الاغوانة الخضر، عملت على تدجينها وتربيتها فأنقذتها من



يبلغ طول الاغوانة الخضراء مترين وهي تعيش على الاغصان.

PHOTO: © RICHARD K. HOFMEISTER / SMITHSONIAN

الانقراض. تقول إيرا روبينوف مديرة معهد سميثسونيان للأبحاث الاستوائية في بناما: "يُعتبر مشروعها أحد أنجح مشاريع صيانة البيئة في أمريكا الجنوبية."

عام ١٩٨٣ كانت "مؤسسة و. ألتون جونز" في شارلوتسفيل بفيرجينيا خصصت لمعهد "سميثسونيان" موازنة لاجراء تحقيق في حال الاغوانات الخضر يدوم خمس سنوات. فهذا النوع من العظاءات كان أحد الانواع الاكثر انتشاراً في هذا الجزء من العالم، لكنه بات على شفا الانقراض. فالغابات الاستوائية التي تعيش فيها الاغوانات وتقتات تتعرض للقطع. ويصطاد الناس هذه العظاءات طمعاً بلحمها الذي يشبه بطعمه لحم الدجاج.

كان من الضروري أخذ إجراءات إنقاذية فورية. فاتصل المعهد بداغمار فيرنر العالمة بالحيوان في جامعة بروت بالمانيا التي سبق لها ان درست زواحف ضخمة في جزر غالاباغوس، وطلب منها أن تأتي الى بناما لتقود الابحاث هناك. فوافقت.

كانت قلة من الحقائق العلمية معروفة عن سلوك الاغوانة: تضع الأنثى نحو ٤٠ بيضة دفعة واحدة في حفرة في الارض، فتفقس بعد نحو ثلاثة أشهر. ولون صغار الاغوانة أخضر زاهٍ يساعدها على التموُّه بين أوراق الشجر. أما العظاءات الكبيرة البالغة فرمادية اللون مما يسهل عليها "الامتزاج" بالاغصان الكبيرة.

الاغوانة عملاقة مقارنة بأنواع أخرى من السلالة. قد يتجاوز طولها المترين، ويشكل ذنبها القوي معظم جسمها، وهو سلاحها الرئيسي تضرب به كسوط. الاغوانة بعيدة عن الجمال، فعيناها جاحظتان ومخالبها طويلة وجلدها حرشفي، ولها لحمة متدلية تحت الرقبة وأشواك طويلة لينة على امتداد ظهرها.

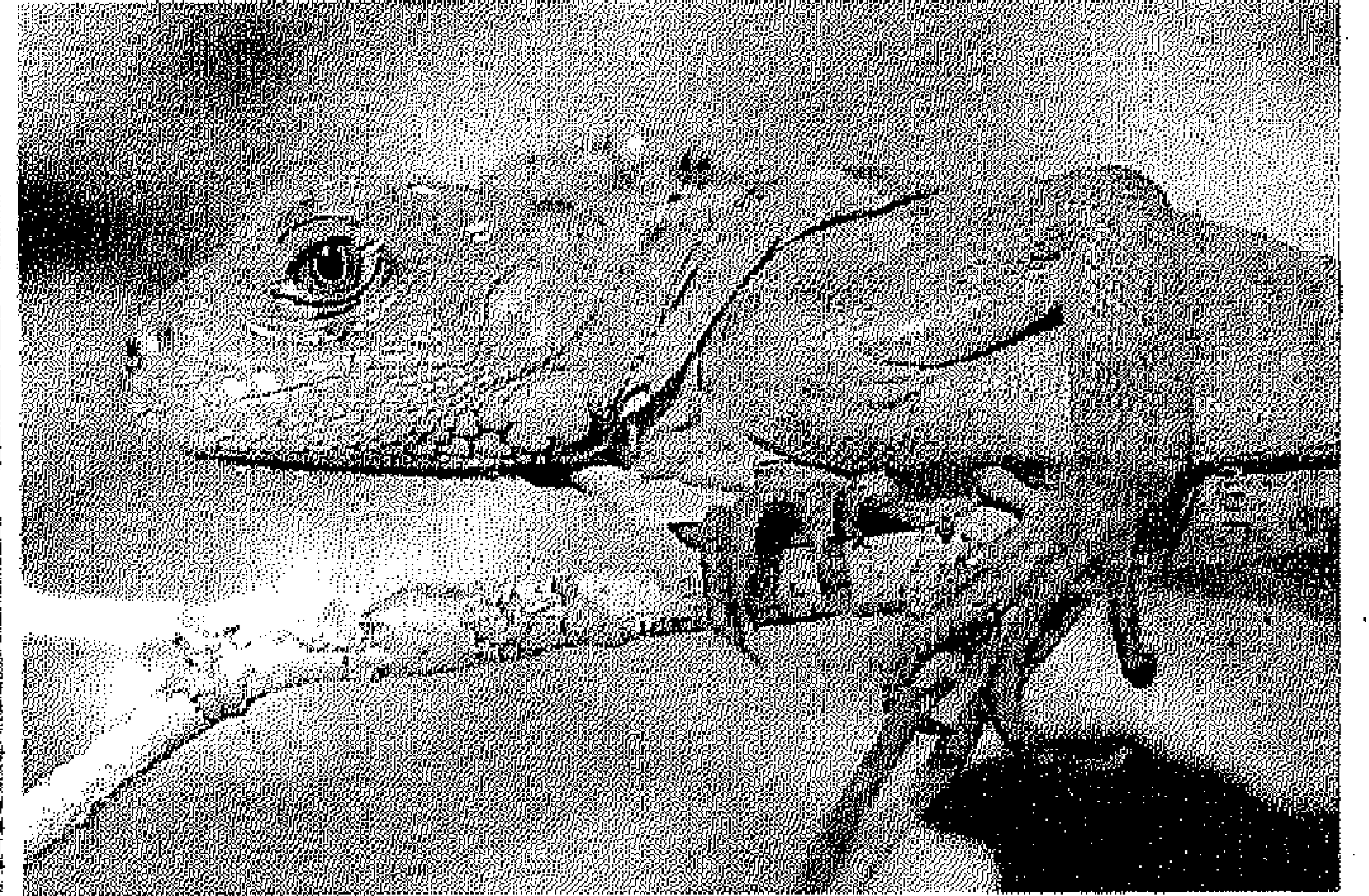
نظام عشائر. وصلت داغمار فيرنر الى بناما في فبراير (شباط) ١٩٨٣. وما لبثت أن أدركت أنها، اذا أرادت لمشروعها النجاح، فعليها تربية أعداد كبيرة من الاغوانات في الأسر ثم اعطاؤها للسكان المحليين واقناعهم بأن يرعوها ويصبحوا مربّي عظاءات داجنة. وكان معظم محاولات تربية الاغوانة في الاسر باء بالفشل.

التمست فيرنر مشورة بيولوجيين (علماء أحياء). فأبدى هؤلاء شكوكهم في امكان انجاز المهمة. فلا نظام غذائياً مضموناً، والمعلومات ضئيلة عن تناسل الاغوانة ونموها، ومن المحتمل أن تجتاحها الاوبئة وتتصارع ذكورها بشراسة حتى النفوق.

لكن فيرنر لم تستسلم، وقررت، في حال احجام زملائها عن المساعدة، أن تتعلم تربية الاغوانات بنفسها. فعمدت الى بناء خمس حظائر بألواح معدنية في "سوبيرانيا ناشونال بارك" على بعد ١٥ كيلومتراً من مدينة بناما، ووضعت داخلها صناديق من خيزران مأوى للاغوانات.



اللون الرمادي للاغوانة البالغة يؤمّن لها تمويها جيداً.



تُعرف صغار الاغوانة بجلدها الاخضر الزاهي.

وجمعت في الحظائر صغار إغوانات التُقطت داخل البلاد، وأطعمتها أوراق نبات رخصة وفاكهة استوائية. فنمت الحيوانات وازدهرت المزرعة.

في السنة التالية أسرت فيرنر وثلاثة من مساعديها البناميين إغوانات "حبلى" بالقرب من مركز الابحاث. فتلقت درسها الاول، اذ اكتشفت ان الاغوانة تخبىء بيوضها اللينة في حُفر مستطيلة متلوية. وكانت فيرنر صممت على جمع البيوض وتفقيسها اصطناعيا. قالت: "استغرق كشف الحفر والعثور على الاعشاش ساعات. وارتأيت أن ثمة طريقة أفضل من هذه لا محالة."

فعمدت الى بناء عش اصطناعي مبتكر وبسيط: صندوق من حجار اسمنت مدفون في حفرة في الارض وموصول بأنبوب تصريف ملىء نصفه بالتراب، كأنه مدخل عش طبيعي. تقول فيرنر: "قبلته الاغوانات للحال."

أما طريقة الحضانة فحُلَّت أيضا على نحو سهل غير معقد، من طريق وضع البيض في صناديق من البلاستيك الاسفنجي (ستيروفوم) معبأة بالرمل وتحمى بحرارة الشمس الاستوائية. ويفقس اكثر من ٩٠ في المئة من البيض داخل هذه الصناديق، أي ضعفي ما يفقس في الاعشاش الطبيعية.

PHOTOS: (LEFT) © J.A. PROVENZA / OKAPIA (RIGHT) © F. GOHLER / OKAPIA

حتمت تربية الاغوانة على فيرنر أن تعمل حارسة وطبيبة وحاضنة في وقت واحد. وأقامت داخل الاقفاص حواجز لتفادي صراع الذكور. وبسطت شباكاً لصيد السمك فوق حظائـر الصغار لحمايتها من النسور والصقور. وأخذت تتفهم، تدريجاً، بعض أسرار الاغوانات الخضر، فصارت تعرف أنها تحب، الى ثمر البابايا وزهرة الآلام،* أوراق اللوبياء والكـايوت وسـواهما من النبـاتـات الاستوائية. واكتشفت أن ذكراً واحداً يكفي أربع إناث للتكاثر بنسبة صحيحة، وان الاغوانات الخضر تنحو الى انشاء عائلة، فكل واحدة منها تعرف أفراد "عشيرتها"، وتؤثر صغارها التجمع مع "اخوتها."

في المزرعة، يكتمل نضج الاغوانة جنسيا في عامها الثاني، أي أبكر سنة من نضجها في البرية. وبانتفاء خطر الاعداء، وبتوفير وقاية من الطقس الرديء، يكتمل نمو الصغار حتى سن البلوغ.

جزر غالاباغوس. الابداع والعزم والارادة الصلبة صفات اتسمت بها داغمار فيرنر. ولدت في ٣٠ ابريل (نيسان) ١٩٤٤ في مدينة هال بألمانيا الشرقية، وأمضت طفولتها مع ثلاث شقيقات أكبر منها سناً في مزرعة العائلة.

عام ١٩٥٢ هاجرت العائلة الى راينفلدن وهي بلدة صغيرة في المانيا "الغربية" على الحدود السويسرية.

وبعد تخرج داغمار في المدرسة الثانوية عام ١٩٦٥ درست علم الحيوان في جامعة بال بسويسرا. وكانت أثناء العطل الفصلية تقصد بريطانيا وتعمل مساعدة في "محطة رافنغلاس للسلوك الحيواني" التابعة لجامعة أكسفورد. وكانت لها مساهمة كبيرة في الأبحاث هناك، مما حمل مدير المحطة نيكولاس تنبرغن، الحائز جائزة نوبل، على ارسال كتاب اشادة بمؤهلاتها الى جامعة بال حيث نالت داغمار درجة دكتوراه في علم الحيوان.

في غضون ذلك ازداد افتتـانها بالزواحف، خصوصا لضآلة المعلومات عنها. تقول فيرنر: "كان حلمي أن أذهب الى جزر غالاباغوس لدراسة الزواحف الكبيرة. وكانت لي محادثات في هذا الموضوع مع أستاذي الدكتور ديفيد سن. وذات يوم عام ١٩٦٩ أخبرني ان الجامعة مستعدة لتمويل أبحاث في تلك الجزر، فأثارني الخبر وكدت أطير فرحاً." ثم عاشت أشهراً وحيدة في جزر مقفرة في المحيط الهادئ، تستكشف بحماسة حياة الزواحف وأنماط عيشها. وعادت الى المانيا "الغربية" عام ١٩٨٠. وكانت عاكفة على تقويم أبحاثها في جامعة بروت عندما دعاها معهد "سميثسونيان" الى بناما.

"زراعة" رابحة. ربت فيرنر أكثر من ١٥ الف إغوانة خضراء خلال سبع

(*) Passionfruit

سنوات. وفي العام ١٩٨٦ أطلقت ألوفا منها في الغابات الاستوائية المحيطة بالقرى البنامية. (اظهرت الاختبارات الميدانية لاحقاً ان الاغوانات الصغيرة المرباة في المزارع تتكيف جيداً والحياة في البرية.) كما مدّت فيرنر مزارعين محليين بهذه العظاءات، وأمنت لهم مواد لبناء حظائر وأعشاش. وتولى عالم بيولوجيا وعالم أحراج من مساعدي فيرنر تعليمهم طريقة الاعتناء بهذه الحيوانات. وهكذا ولدت "مزارع الاغوانة." وتحمّس السكان للمشروع. وفي العام ١٩٨٨ أقيمت مزرعة في كوستاريكا المجاورة.

وثمة اختبار نموذجي لمزارع من تشوبامبا في بناما. فهو اعتاد تربية الماشية، اما اليوم فتسرح عظاءات الاغوانة في كل مكان من مزرعته، على الشجر وحول مسكنه وفي الغابة الصغيرة التي يملكها. تقول كارول ستوني وهي مستشارة أمريكية في علم الاحراج: "لقد تحولت مزرعته محمية استوائية للحياة البرية. ولا يزال لديه بعض الماشية، لكنه عاكف على زرع الاشجار وتربية مزيد من الاغوانات التي تؤمن له ربحاً أوفر."

عام ١٩٨٨ نفدت منحة "معهد سميثسونيان"، فدعيت فيرنر الى جامعة كوستاريكا الوطنية لتصبح استاذة ادارة الحياة البرية. وفي السنة التالية دُمجت وظيفتها في البرنامج الالماني الدولي للتبادل الثقافي. وكان لدى فيرنر ٢٣٥٠ إغوانة حين أسست محطة جديدة للابحاث في محمية خاصة للحياة البرية مجاورة لـ"محمية كارارا البيولوجية" قرب ساحل المحيط الهادئ. فنمت المستعمرة، وفي مايو (أيار) تم تفقيس ٣٠ ألف بيضة، وستطلق الاغوانات لاحقاً في الاحراج المحيطة بقرى كوستاريكا.

تحوُّل ايجابي. تحتفظ فيرنر بمكتب في بناما تعود اليه غالبا لزيارة المزارع المزدهرة. و"مؤسسة الاغوانة الخضراء" التي أسستها عام ١٩٨٥ تدير برامج لاعادة إسكان القرى الريفية، وتتابع أبحاث الاغوانة، فيما تنصرف فيرنر الى جمع المال اللازم لنشر الخطة في أنحاء الامريكتين. وهي حصلت على مساعدات مالية من مؤسسات بيئية مثل "إنتر – أميريكان" و"الصندوق العالمي للحياة البرية" في الولايات المتحدة. والى الآن، نال أكثر من ٣٠ طالبا درجات جامعية لعملهم في مزرعة فيرنر لتربية الاغوانة. وهي باشرت برنامجاً تدريبياً لدارسي الاغوانة من هندوراس وغواتيمالا ودول أخرى.

لكن فيرنر ترى أن واجبها الاهم ايصال الرسالة الى سكان القرى. وهي تحاضر وتوزع منشورات في الاماكن العامة وأندية الشبيبة. وبغية لفت انتباه الاولاد، وضعت حظائر إغوانات في أماكن مجاورة للمدارس. تقول كيث أوبرغ ممثلة كوستاريكا لدى مؤسسة "إنتر – أميريكان": "إنها تتحدث الى السكان المحليين بنبرة عفوية محببة فتنال رضاهم، وذلك غير عادي في العلماء."

وكان للمزارع الزاهرة تأثير جانبي مثير، اذ حفزت السكان المحليين على زرع الاشجار وحمايتها، لأن الاغوانة تقتات بأوراق الشجر. وذلك أمر في منتهى الاهمية، لأنه يعني تحوُّلا ايجابياً في أمريكا الوسطى والجنوبية حيث تتلف سنويا ملايين الهكتارات من الغابات الاستوائية. فاذا أدرك الناس ان الاشجار تدر عليهم أرباحاً من خلال تربية الاغوانة، فقد يُنقذ مزيد من الغابات الغالية الضرورية للحفاظ على مستوى عال من الاوكسيجين ومستوى متدن من ثاني أوكسيد الكربون في جو الارض.

قال أوسكار أرياس سانشيز الرئيس السابق لجمهورية كوستاريكا الحائز جائزة نوبل، بعدما زار مزرعة فيرنر في فبراير (شباط) ١٩٩٠: "إن انجازات داغمار فيرنر عظيمة حقاً. فهي، الى عملها الرائع في إنقاذ الاغوانة من الهلاك، تنقذ بيئتها أيضاً. ان لها ديناً كبيراً على شعوب أمريكا الجنوبية."

نويل فيتماير ■

مشكلة مستعصية

طلبت المعلمة من التلاميذ الذين يعانون مشاكل في نظرهم أن يجلسوا قريبين من اللوح. وما لبثت أن وصلت تلميذة متأخِّرة، فكرّرت المعلّمة سؤالها: "أتعانين أي مشكلة في عينيكِ؟"

أجابت الفتاة بعد لحظة تفكير: "نعم، لا يمكنني أن أكحل رموشي."

ب.ر.

كسول!

استغرق ابني في النوم صباح يوم عطلة، ولم يردّ على نداءاتي المتكررة. فدخلت غرفته المعتّمة ونزعت عنه ملاءته وقلت له: "هيا انهض يا وليد، انّه صباح ربيعي جميل، حتى العشب نما وصار لونه أخضر."

فدفن وليد رأسه تحت الوسادة متكاسلا وتأوّه قائلا: "هذا يعني أن عليّ أن أجزّه أيضاً، أليس كذلك؟"

م.ب.

طبيب العائلة

زوجي طبيب صحة، وغالباً ما يلتقي مرضاه في أماكن اجتماعية. ذات يوم كنا نتناول طعام الغداء في مطعم حين انتبه الى وجود عائلة من "زبائنه" هناك. فمضى اليهم لالقاء التحيّة، واذا بابنتهم الصغيرة تبتسم له ابتسامة معرفة ثم تفتح فمها وتقول: "آااه!"

م.ا.

عصابات شرسة تنهب السفن وتخطفها وقد خرجت جرأتها على كل الحدود

قراصنة!

شاطىء في ليلة قمراء، ورجل بساق خشبية، وصبي. صاحب الساق الخشبية يتكلم: "هاي! جيم، يا عزيزي، يؤلم لونغ جون العجوز أن يتركك فجأة هكذا. لكن حمولة من تلفزيونات سوني الصغيرة تمخر الليلة عباب مضائق جاوة.[1] انها ثمينة جداً يا عزيزي، لامعة كأكواز الرمان ويانعة للقطاف."[2]

هل يبدو لكم ذلك ضرباً من الخيال؟ فكروا ثانية. فالقراصنة الحقيقيون موجودون فعلا. وهم رجال عصابات يقتنصون الغنائم مستخدمين سيوفاً وخطاطيف[3] وخرقاً ملونة يعصبون بها رؤوسهم وزوارق آلية سريعة ومتفجرات ودعماً مالياً وفيراً. انهم، كما يقول قبطان سفينة نجا من براثنهم، "مجموعة خطرة جداً."

(١) جزيرة في اندونيسيا
(٢) استعارة من اجواء رواية "جزيرة الكنز" يبرز فيها الكاتب التشابه بين قراصنة الامس واليوم
(٣) الخُطّاف حديدة معقوفة

في ١٥ ابريل (نيسان) ١٩٩١ تسلقت عصبة من القراصنة المدججين بأسلحة رشاشة متن السفينة التجارية "هاي هيو - ١" قبالة شاطىء فيتنام، وسأل أفرادها القبطان إن كان يحمل أجهزة فيديو على متن سفينته.

أجابهم القبطان: "نعم، نحو ٨٠٠ جهاز."

فكبّله القراصنة بالاصفاد هو وبحارته الثلاثة عشر وساقوهم الى عنبر السفينة حيث أقفلوا عليهم باب حجرة سلاسل المرساة التي لا تتجاوز مساحتها تسعة أمتار مربعة.

أمضى القبطان ورجاله أربعة أيام لم يستطيعوا خلالها الا التنصت. وكان أول ما تناهى الى سمعهم صوت تشغيل آلة رافعة، ثم صوت سفينة أخرى ترسو الى جانب سفينتهم. وحين عثرت السلطات على "هاي هيو - ١" كان وزنها نقص ٤٠٠ طن من الاجهزة الالكترونية والدراجات النارية والمعلبات.

لا تقتصر حوادث كهذه على آسيا. فلكل من شرق المتوسط وغرب افريقيا والبرازيل وسواها "لونغ جون" محلي.

في العام ١٩٩٠، صعد قراصنة الى متن السفينة الحاوية "آشلي لايكس" فيما كانت على مقربة من غواياكيل في الاكوادور. وكانت شقيقتها "ستيلا لايكس" تعرضت لثلاثة حوادث مماثلة في تلك المنطقة.

وفي غرب افريقيا يعمل قراصنة شباب في مجموعات يراوح عديدها بين ١٥ و١٠٠. وهم ينتظرون رسو السفن، ثم يتوجهون اليها في قوارب خشبية ذوات محركات، ويتسلقونها.

يقول مايكل نيكل قبطان الناقلة الامريكية "فاريل لاينز": "للقراصنة مستعمرات دائمة قبالة شاطيء لاغوس في نيجيريا. وقد صعدوا الى متن سفينتنا وهي بعد في ميناء ابيدجان بساحل العاج. فاضطررنا الى تحصين انفسنا في الداخل."

وقد يبقى القراصنة على متن السفينة ساعات يحطمون خلالها أقفال الحاويات ويسرقون ما فيها. وذات مرة ضاق مسؤولو شركة "كارلاندر لاين" النروجية ذرعا بمحاولات ابعاد قراصنة لاغوس، فاستخدموا نبّالين محليين لرشقهم بالاسهم.

كلّ ما يطفو! يقول ستيفن شميدت نائب رئيس العمليات في شركة "بريزيدنت لاينز" الامريكية: "الى سنوات قليلة خلت كانت ضخامة السفن الحاوية وسرعتها تنجيانها من القراصنة. لكن ذلك انتهى الآن." وهو يعرف بواخر (لغير شركته) هوجمت وهي مبحرة بسرعة ٢٠ عقدة (٣٧ كيلومتراً في الساعة). فالقراصنة اليوم يهاجمون كل ما يطفو على وجه الماء، بما في ذلك ناقلات المواد التي لا تعبأ في صناديق أو أكياس (كالقمح) وناقلات النفط. ففي العامين الماضيين شملت لائحة الضحايا ناقلة النفط الكورية "أوشن رنر" (١٢٠ ألف

CONDENSED FROM FORTUNE (JULY 15, '91), © 1991 BY
THE TIME INC. MAGAZINE CO., NEW YORK, N.Y. ILLUSTRATION: EDWARD MARTINEZ

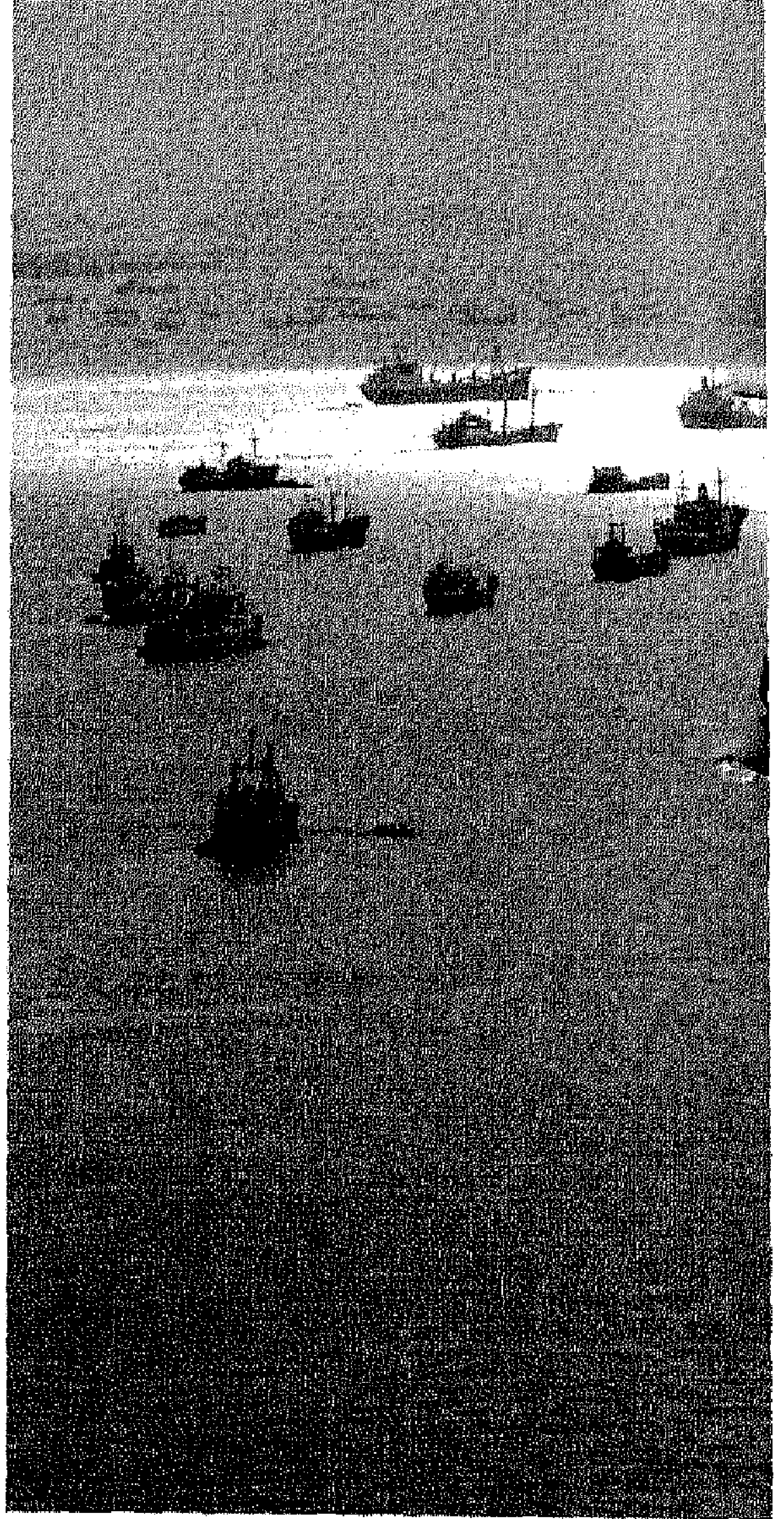


طن) وناقلة النفط الامريكية "أوشن سيتي" (٨٠ ألف طن) وناقلة المعادن الخام اليونانية "كونكار دينوس" (١١٤ ألف طن).

وفي حين كان لصوص الامس يقيسون غنائمهم بأمتار الحرير وأرطال الجواهر والافاويه، فان لصوص اليوم يقيسونها بأطنان الاسمنت والقهوة وبطاريات السيارات وقضبان الفولاذ والثياب الداخلية. وقد تضمنت لائحة أعدها فليمنغ رامسبي رئيس دائرة الخدمات في "المجلس البحري للبلطيق والعالم" وهو أكبر اتحاد عالمي لمالكي السفن، بضائع سُرقت حديثاً ثم بيعت خلال ساعات أحياناً بواسطة تجار مسروقات. ومنها: ٣٠٠٠ طن من السكر كانت متجهة من ايطاليا الى لبنان و٢٥٠٠ طن من رُبّ البندورة (الطماطم) كانت متجهة من اليونان الى الجزائر.

يقول رامسبي: "استولى القراصنة على سفينة كانت تعبر جزر الفيلبين وغنموا منها ٣٠٠٠ طن من الفولاذ. وهم

PHOTO: R. IAN LLOYD



يدخل مضيق ملقة نحو ٣٠٠ سفينة يومياً مما يجعله انشط مسارح القرصنة في العالم.

استبقوا القبطان وأجبروا البحارة على العودة الى الميناء في قارب نجاة."

وقد تصل قيمة الغنيمة الى ملايين الدولارات، لكنها غالباً لا تتجاوز عشرات الآلاف.

كوارث محتملة. يشهد العالم ما يزيد على ١٢٠ عملية قرصنة سنوياً. وتزداد هذه العمليات سريعاً في بعض المناطق، الامر الذي دفع "اتحاد النقل الدولي"، وهو تجمع لاصحاب السفن مقره لندن، الى مناشدة حكومات الدول المجاورة لبحر الصين الجنوبي في مايو (أيار) ١٩٩١ كبح جماح القراصنة بعدما زادت عملياتهم أكثر من ستة أضعاف خلال العام ١٩٩٠ (من ٦ عمليات الى ٤٠).

بيد أن الخبراء يعتقدون أن الحوادث التي يتم الابلاغ عنها لا تتجاوز نسبتها الاربعين في المئة. ويفسر مايكل فارلي الامر، وهو مدير جمعية مالكي السفن في هونغ كونغ: "لا فائدة فعلية من الابلاغ عن تعرضكم لعملية قرصنة، اذ من الممكن أن تفقدوا صدقيتكم، فذلك يشير ضمناً الى أن سفنكم غير مأمونة."

ويعتقد بعض القباطنة والبحارة أن هذه الحوادث تنعكس سلباً على سمعتهم الملاحية، كما أنهم يخشون أعمال انتقام شخصية. ويذكر مايكل نيكل أن قراصنة في غرب افريقيا قتلوا عدداً من القباطنة الدانمركيين الذين حاولوا ردعهم. ويضيف: "بعد ذلك توقف الدانمركيون عن الذهاب الى تلك المنطقة."

وليست هناك دار مقاصة مركزية تحفظ سجلا يبين ما تتكبده صناعة النقل البحري من خسائر بسبب أعمال القرصنة. ولكن تشير معلومات شركات التأمين الى أن حجم الخسائر في بعض السنوات يصل الى ١٠٠ مليون دولار. في الفيلبين، مثلاً، سُرقت خلال الاعوام الثلاثة الماضية ثماني سفن شحن

بحمولاتها. ويعتقد الخبراء ومن بينهم اريك ألن مدير "المكتب البحري الدولي"، وهو فرع لغرفة التجارة الدولية مختص بمكافحة الجريمة، ان مجمل الخسائر على نطاق عالمي يقارب ٢٥٠ مليون دولار سنوياً.

وأدهى من ذلك أن أعمال القرصنة قد تفرض على العالم ضريبة أغلى كثيراً. يقول مايكل غراي وهو محرر في صحيفة "لويدز ليست انترناشونال" التي تعنى بالنقل البحري: "يقلقني دائماً أن تجنح ناقلة نفط أو حاوية مواد كيميائية وترتطم بالشاطىء لمجرد أن مسدساً وُجِّه الى رأس القبطان. فهذا قد يتسبب في كارثة بيئية هائلة."

إن حلّت كارثة كهذه، فغالب الظن أن تصيب مياه سنغافورة ثاني أنشط موانىء العالم، لاضطرار السفن المتنقلة بين بحر الصين الجنوبي والمحيط الهندي الى الابطاء في هذه المياه لكي تستطيع اجتياز ممرات ضيقة، ومنها قناة فيليب ومضيق ملقة الذي يدخله نحو ٣٠٠ سفينة يوميا وينفّذ فيه معظم عمليات القرصنة في العالم. وتؤمن كوكبة من الجزر الصغيرة القريبة غير المأهولة مخبأ للقراصنة.

هواة ومحترفون. تجري عمليات القرصنة عادة في الصباح الباكر ما بين الاولى بعد منتصف الليل والسادسة فجراً. فيقترب زورق سريع يحمل ثلاثة رجال أو اربعة من مؤخر السفينة حيث يرمي الرجال خطاطيفهم لتعلق بحافة السفينة، ثم يشرعون في التسلق الى متنها. وما ان يصلوا حتى يتجهوا مباشرة الى قمرة القبطان التي تحتوي على خزنة السفينة المتضمنة عادة نحو ٥٠ ألف دولار مخصصة لدفع رواتب البحارة ورسوم الموانىء والوكلاء. يجبر القراصنة القبطان على فتح الخزنة فيجردونها من محتوياتها. ويستولون على ما يمكن انتزاعه من ممتلكات البحارة القيّمة، ثم يختفون في الظلام في أقل من ربع ساعة.

وهذا ما حدث تماماً للسفينة الاوسترالية الحاوية "تي ان تي اكسبرس" (٢٠ ألف طن) وشقيقتها "براسل" في العام ١٩٩٠. وقد أفاد تيم بوند قبطان "تي ان تي اكسبرس" أن أربعة رجال، يرتدي أحدهم قناعاً على طراز النينجا،[٤] اعتلوا متن سفينته قبيل الفجر فيما كانت على بعد ٣٠ كيلومتراً من جنوب سنغافورة، فأفرغوا الخزنة ونهبوا محتويات قمرته ثم أوثقوه وهربوا.

بعض القراصنة الأسيويين هم من صيادي الاسماك أو المزارعين الفقراء المتلهفين لسرقة ما تقع عليه أيديهم، حتى ألبسة النوم والثياب الشتوية. لكن أولئك الذين يستخدمون الرادار لتحديد مواقع أهدافهم ويشوشون ترددات أجهزة اللاسلكي في السفن المستهدفة ويجوبون المضيق في زوارق سريعة كتلك

(٤) النينجا (Ninja) مقاتلون شرسون يكثر ذكرهم وظهورهم في افلام سينمائية حديثة.

التي يستخدمها رجال خفر السواحل، فانهم بالتأكيد محترفون. وهم أيضاً قادرون على تنسيق عمليات هجوم معقدة كتلك التي تعرضت لها السفينة الحاوية "زيم يوكوهاما" في مضيق سنغافورة عام ١٩٨٩. وهي عملية تطلبت أسطولا من ١٢ زورقا آليا حملت عشرين رجلا.

لكن أجرأ القراصنة في العالم، كما يقول اريك ألن، هم أعضاء في عصابات الجريمة المنظمة التي تعمل انطلاقا من سنغافورة وهونغ كونغ وتايلاند وتايوان وماليزيا واندونيسيا والفيليبين. هؤلاء لا يكتفون بسرقة البضائع، بل يعمدون الى اغراق السفن وتحويل وجهاتها واختطافها بحسب الطلب.

اكتشف محققون يعملون مع ألن أن في وسع أي زبون قادر على دفع مبلغ يراوح بين ١٠٠ ألف دولار و٣٠٠ ألف، الوقوف على شرفة غرفة في فندق يطل على خليج مانيلا وتعيين السفينة التي يريد سرقتها، مع الطاقم أو من دونه. (وعبارة "من دونه" تعني إما قتل البحارة واما اجبارهم على العودة سباحة.) وبهذه الطريقة اختفت عشر سفن نقل وهي راسية في خليج مانيلا منذ العام ١٩٨١. يقول ألن: "لو أن طائرة فُقدت، لتم انذار كل مطارات العالم، لكننا في عالم البحار نفتقد نظاما كهذا."

مخطوفة بائسة. يفيد كيو شياو – لين وهو مفتش سابق في شرطة تايوان وأبرع المحققين العاملين مع ألن، أن زعماء القراصنة هم في حركة دائمة، يطيرون بين الموانىء الآسيوية في أجنحة ركاب الدرجة الاولى ويقيمون في أفخم الفنادق ويعيشون حياة ترف وبذخ. وتتحرك الاموال النقدية اللازمة لدفع مصاريف الترف والرشوات وتزوير الوثائق عبر شبكة مصرفية غير مشروعة قادرة على تحويل مبالغ تصل الى ثلاثة ملايين دولار في ساعات قليلة.

أما أكثر هذه النشاطات اثارة فهي عمليات الاحتيال التي تتطلب وجود "سفينة شبح." ولتحقيق ذلك تسرق العصابة سفينة تغير اسمها وعلمها وطلاء مداخنها. ثم ينطلق بها القراصنة – مزوَّدين أوراق تسجيل تبدو أصلية – بحثاً عن مغانم سهلة. وعندما يصلون الى مرفأ لا تشك سلطاته في أمرهم، يقدمون عروضا مغرية لنقل البضائع. فيعمد التجار المحليون، وقد أعجبتهم الاسعار، الى ائتمانهم على بضائعهم التي تذهب الى غير رجعة. ولا تلبث السفينة أن تظهر باسم جديد وأوراق جديدة لتكرر عملية الاحتيال مع ضحايا جدد.

انتحلت أحدى هذه السفن البائسة أربع هويات مختلفة خلال أربعة أشهر. حدث ذلك حين استولى أربعة رجال مدججين بالسلاح على السفينة "سيلفر مد" (٥٣٥٠ طنا) المسجلة في ليبيريا، فيما كانت راسية في خليج مانيلا في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨. وبعد أسبوعين، شوهدت قرب سنغافورة وهي تحمل اسم "لا بامبا"." وشوهدت لاحقا في مياه

ماليزيا. ثم اتجهت جنوبا باسم "سي ركس" ناقلة شحنة من ألواح الخشب لم يعثر لها على أثر. وبعد تغيير اسمها مجدداً الى "ستامفورد" أُوقفت أخيراً في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٩ قبالة شاطىء لوزون في الفيلبين وهي تحمل اسم "ستار ايس."

تدابير رادعة. كيف ينجو القراصنة بفعالهم؟

الامر سهل في الواقع. فمع تحول السفن الى اعتماد مزيد من تقنيات التسيير الآلي، أصبحت تعمل بطواقم أصغر بحيث لا تحتاج سفينة حاوية تبلغ حمولتها ٢٣ ألف طن الى أكثر من ١٢ بحاراً. كما أن البحارة لا يحملون، عادة، أسلحة نارية تبعاً لسياسة اتحادات النقل البحري.

التي يخشاها مرتكبو هذه العمليات. فالقرصنة لا تُعتبر قرصنة بموجب القانون الا اذا حدثت في المياه الدولية حيث تصل عقوبتها أحيانا الى الاعدام، وفي ما

ويمكن الحصول على أوراق تسجيل مزورة وغير ذلك من الوثائق في مقابل ٥٠ ألف دولار للسفينة الواحدة (عشرة أضعاف الرسم الشرعي) من مراكز تسجيل في بلدان مثل بناما والهندوراس حيث يتمتع المسؤولون بحصانة ديبلوماسية، كما يقول اريك ألن. ونادراً ما يتحقق الشاحنون من صحة هذه الاوراق، إما كسلا واما خشية جرح المشاعر.

ولا تتضمن القوانين كثيراً من البنود

عدا ذلك لا تخرج عن كونها سرقة كبيرة تقع في اطار القانون الجزائي للبلد المعني. يقول مسؤول كبير في "الاتحاد الوطني للشحن البحري" في سنغافورة: "ما ان تغادر السفينة مياهنا الاقليمية حتى يخرج الامر من أيدينا."

لكن كيث غراهام أستاذ مادة القانون الدولي في اكاديمية كاليفورنيا البحرية يعتبر هذا العذر "مجرد تفاهة". فالقراصنة لا يتمتعون برعاية أي بلد، لذا يُعتبرون قانونا "أعداء البشرية جمعاء."

والى أن يحين ذلك، يبدو أن للمشكلة حلا بسيطا. يؤكد الخبراء أن السفن التي تعبر مياها تكثر فيها القرصنة تستطيع الحؤول دون هجمات القراصنة، باستثناء قلة من المحترفين الشديدي البأس، وذلك بجعل مظهرها أقل جاذبية، أي باضاءة كل الانوار الخارجية وزيادة السرعة ووضع حراس مرئيين، خصوصا في الليل وفي مؤخر السفينة. كذلك بالتأكد من أن خراطيم الاطفاء جاهزة دائما لاطلاق المياه، فضغطها قد يمكّن بحاراً يقظا من اسقاط المهاجمين وقذفهم بعيداً.

ويضيف اريك ألن أن "السفن الاشباح" يمكن وقفها بسهولة هي أيضا اذا صرف الزبائن وقتا كافيا للتحقق من صحة أوراق التسجيل.

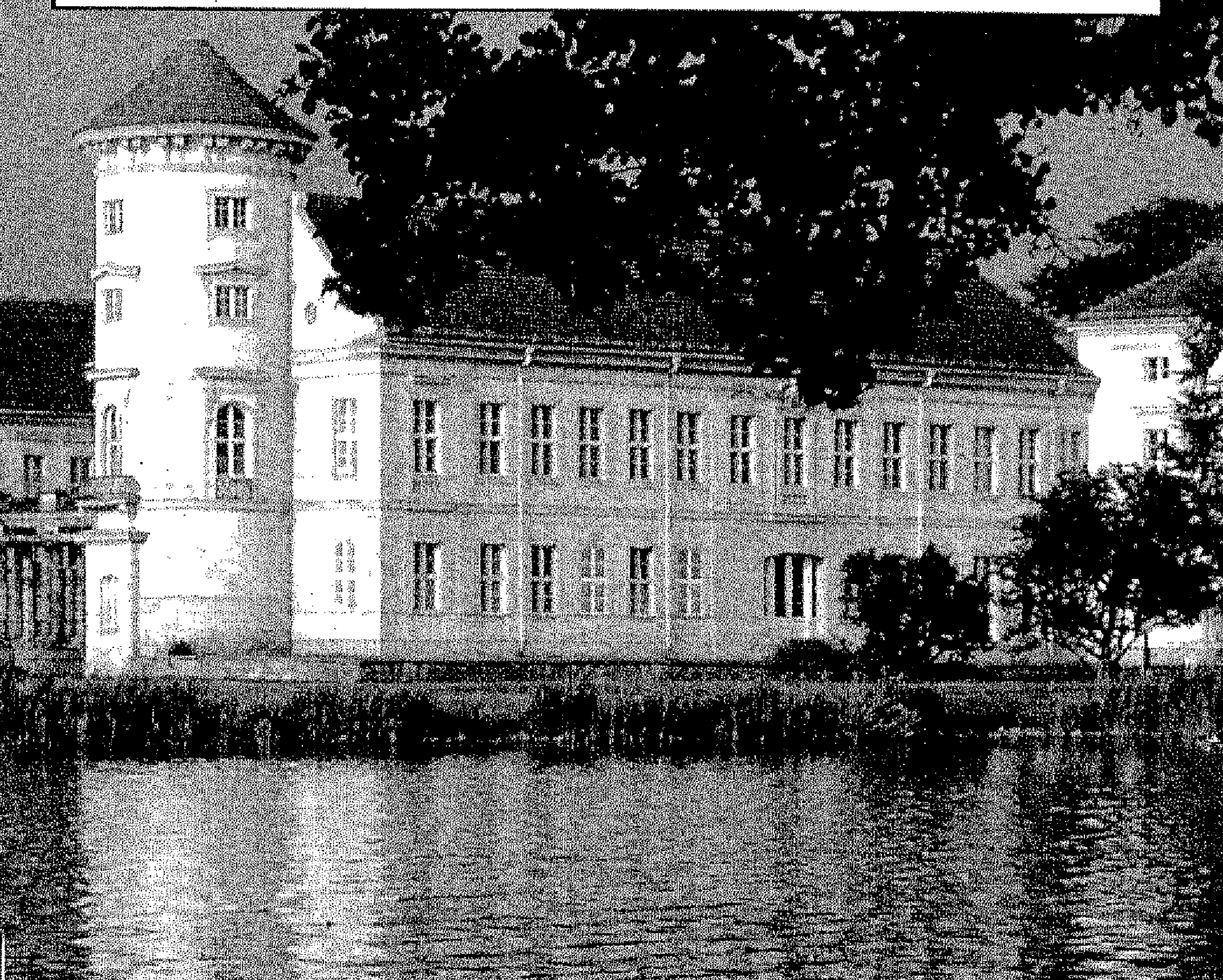
عندما ينفذ القيمون على النقل البحري هذه التدابير سيفهم القراصنة أن "مهنتهم" باتت خطرة وأن الوقت حان للتخلي عنها.

ألن فارنام ■

رحلة في الرّيف الالماني

مناظر تسحر الالباب في تخوم براندنبرغ

كتب المؤلف الألماني تيودور فونتان في مقدمة كتابه "رحلات عبر تخوم براندنبرغ": "على مَنْ يرغب في زيارة التخوم أن يحمل محبة الارض وأهلها." فسارت في خطاه أجيال تعرفت الى ذلك الريف المتعرج بين نهري الالب والاودر والذي بقي، في عدة نواح، كما وصفه فونتان قبل مئة عام. فما زالت أشجار الزان العتيقة الحانية تحت وطأة ثقلها تدلي أغصانها الى بحيرة ستشلن، وما زالت قوارب التجذيف تؤجّر صيفاً لنزهات رومنسية.

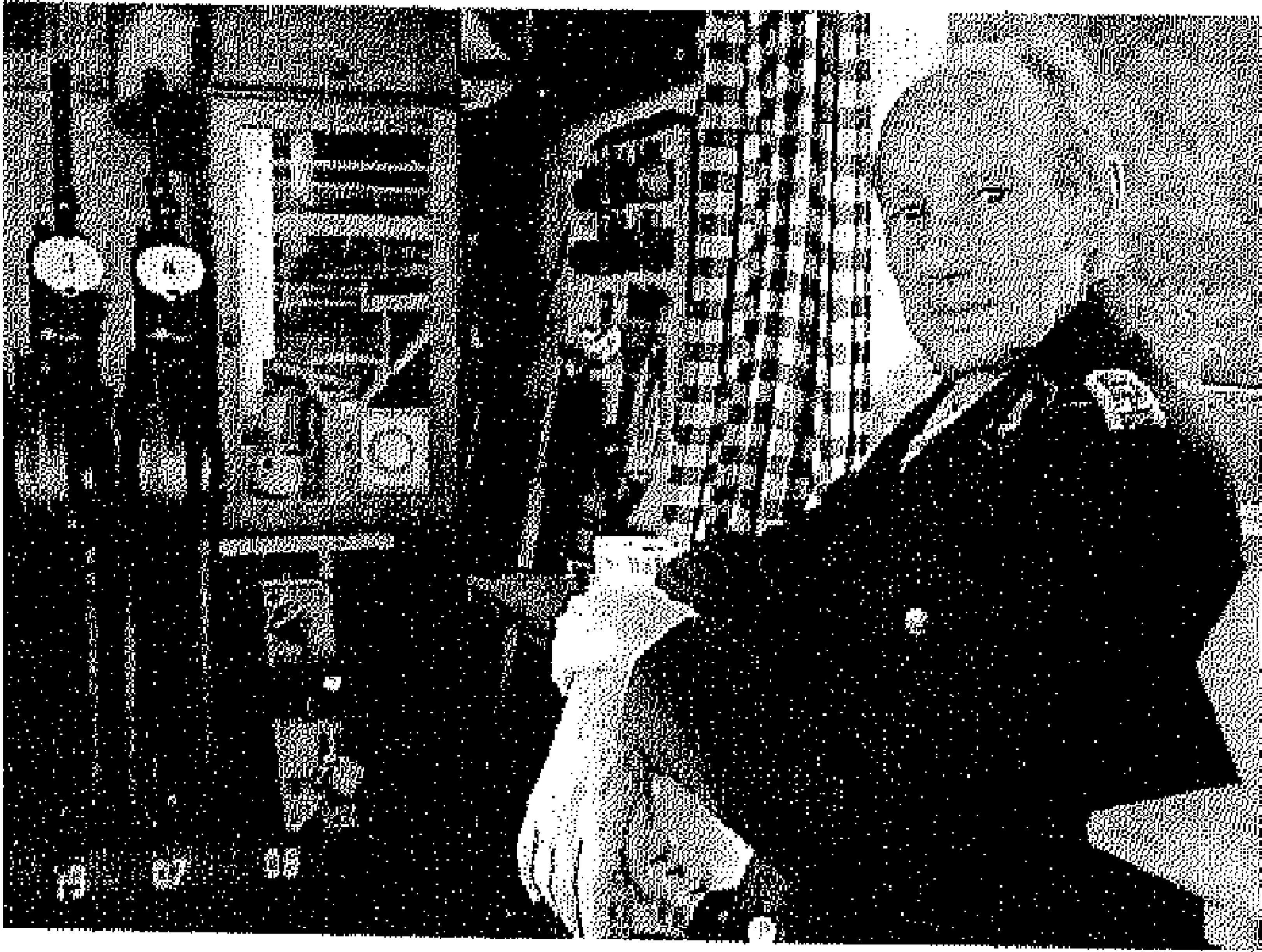




وبراندنبرغ، التي تبلغ مساحتها ٣٠ ألف كيلومتر مربع، هي كبرى ولايات ألمانيا "الشرقية." لكنها الصغرى من حيث عدد السكان بعد ولاية مكلنبرغ – بوميرانيا، اذ لا يزيد تعدادها على مليونين ونصف مليون. أما تخومها* فريف منبسط تنقّطه بحيرات وقنوات وأنهر لا تحصى، وتتخلله تلال خفيضة يدعوها السكان "سويسرا التخوم." ويكمن سحره في مروجه المتموجة بلطف وغاباته وأراضيه الخصبة. وتعود التربة الرملية للمنطقة الى كثبان الداخل التي تذروها الريح، والى ذوبان الثلج والجليد في الوهاد. ولطالما دعيت التخوم في ما مضى "مرملة الامبراطورية الرومانية."

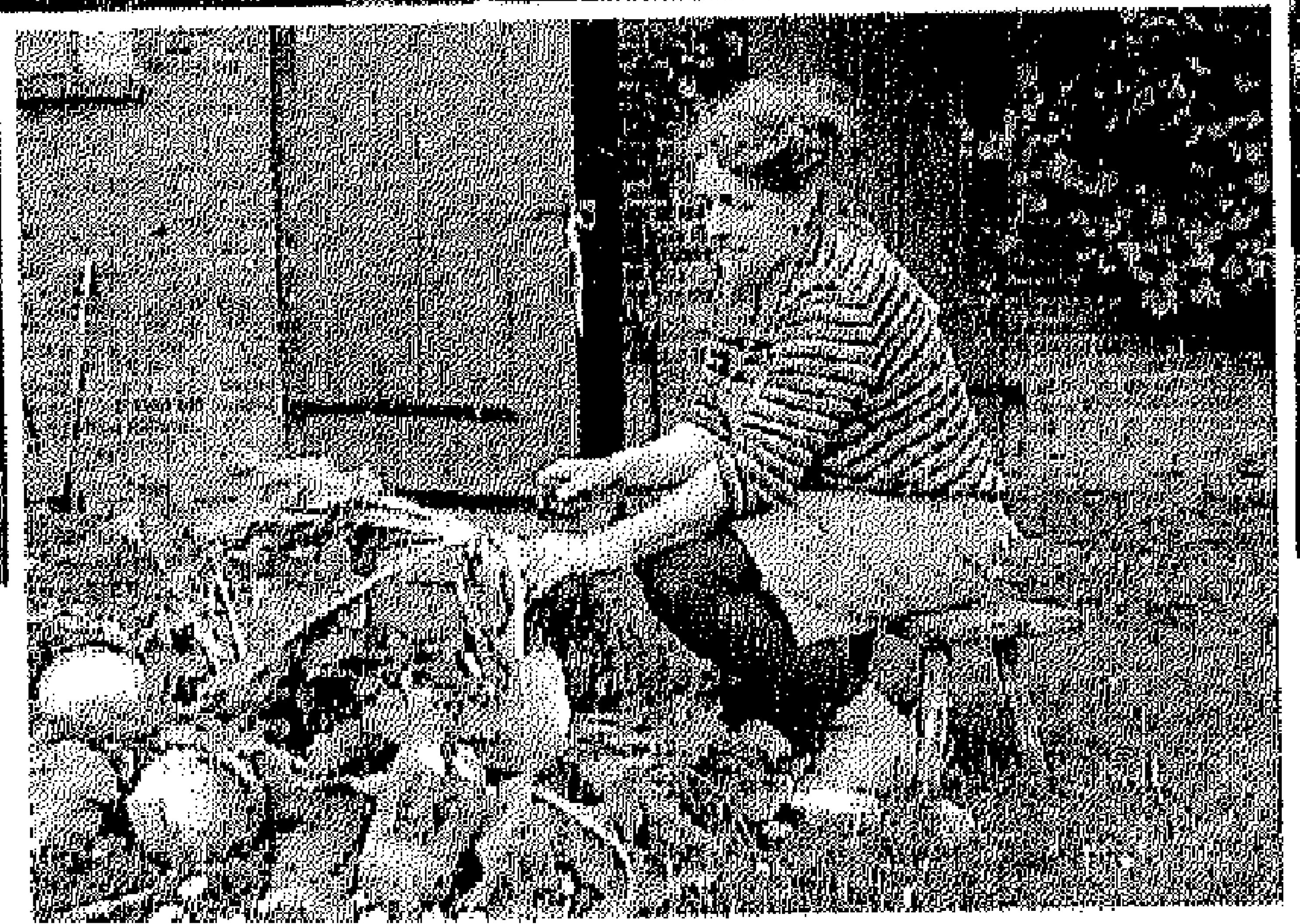
كانت تخوم براندنبرغ دائمة الفقر قياساً الى مناطق ألمانية أخرى. ومع ذلك تزخر الارض حول برلين بأبنية وصروح شاهدة على التاريخ. وتذكّر الاديرة

(*) The Brandenburg March





(فوق) داخل كوخ البواب في غوليفتز.
(الى اليمين) مزارع يشحن الغلال في مركب.
(اقصى اليمين) قوارب في بحيرة في كورين وسط محمية طبيعية.
(اعلى اليمين) زوجة مزارع تسوق أبقاراً عائدة للمبيت.



برج سانت لورنس يعلو فوق منازل هافلبرغ الباروكية والكلاسيكية المحدثة.
(تحت) زوجة مزارع تعنى بحديقة مطبخها.

البندكتية الشهيرة في لهنن وكورين وزينا باستعمار بلدان أوروبا الشرقية في القرنين الثاني عشر والثالث عشر. وقد مكث الامبراطور شارل الرابع في بلدة تنجرموندي المتاخمة لنهر الالب بين ١٣٧٣ و١٣٧٨. ويستحضر النصب التذكاري المقام في ساحة فهربلين ماضي بروسيا الحربي حين أجبر الامير الاكبر فريدريك غليوم الجيش الاسوجي (السويدي) على التقهقر عام ١٦٧٥. ومن الآثار الباقية قصر سيسيلنهوف الذي مكث فيه غليوم الثاني، آخر أباطرة ألمانيا، قبل نفيه عام ١٩١٨. وتعود شهرة هذا القصر، الذي بات اليوم فندقا فخما، الى اعتماده مكانا لتوقيع معاهدة بوتسدام بين جوزف ستالين وهاري ترومان وكلمنت أتلي في أغسطس (آب) ١٩٤٥.

كانت تخوم براندنبرغ موطنا للقبائل الجرمانية والسلافية، ثم تحولت أيضا دياراً للمهاجرين الهولنديين واليهود وللهوغنوت الفرنسيين والبروتستانت اللاجئين من النمسا. كما وردت على المنطقة أعداد من الساكسون زادت في

خليط الجنسيات. وأهل تخوم براندنبرغ معروفون بالفطنة والظرف والواقعية والانفتاح والعمل الجاد. وظهر إقدامهم عام ١٩٣٤ عندما "اخترعوا" مصعداً للسفن في نيدرفنو ما زال الى اليوم يتيح للسفن ارتقاء فارق ٣٦ متراً بين شطري قناة أودر – هافل التي تشكل جزءاً من الممر المائي بين مدينتي برلين وستيتن.

بعد توحيد النقد الالماني عام ١٩٩٠ اضطر المزارعون في منطقة هافل الخصبة الى بيع نتاجهم على قارعة الطرق لصعوبة بيعه في المتاجر المحلية. ولجأ بعضهم الى نقله في مراكب الى أسواق برلين عبر نهر هافل وقناة لاندفير.

وتأسست جمعية اقليمية لترويج الصناعة في تخوم براندنبرغ في سبتمبر (أيلول)، انضم اليها أكثر من ٣٣ ألف مؤسسة تجارية خلال الاشهر التسعة الأولى من العام ١٩٩٠. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) تأسس في بلدة تلتو مركز للتكنولوجيا حظي بدعم وزارة الاقتصاد والتكنولوجيا من ولاية نورثراين – وستفاليا.

ومذ انهار الجدار الفاصل اكتشف



قصر سيسيلنهوف في بوتسدام.

سكان برلين مجدداً منطقة الاستجمام المتاخمة لمدينتهم. وتتدفق السيارات أرتالاً في طرق القرى الوادعة والمروج الخضِرة. ويرحب سكان التخوم بالسياح كما كانوا يفعلون في الماضي، اذ ما زال قضاء النزهات في ربوعهم جزءاً من حياتهم، كما ثمار اللفت والمقامات القروية والمنازل الريفية التي تثير حنيننا الى الماضي.

ماريان هوفاغن ■

طرب ممنوع

كان ابني وزوجته مسافرين في سيارتهما. فتوقفا في بلدة لتناول العشاء. وكان الوقت متقدماً فلم يجدا سوى مطعم واحد مفتوحاً تعزف فيه فرقة موسيقية. وما كادا يدخلان حتى بادرتهما النادلة بأن عليهما دفع رسم إضافي للفرقة الموسيقية. فردّ ابني: "لكننا نبغي ان نأكل، ليس إلا."

فقالت النادلة: "إذا تفضلا، ولكن اياكما أن تبدوا مطروبين وإلا دفعتما الثمن."

أ.د.

تأملات معاصرة

خداع الآخرين

■ سهلٌ على الانسان ان يخدع ذاته. وممكن أن يخدع أولئك الذين يعمل لديهم. وصعب عليه أن يخدع أولئك الذين يعمل معهم. ولكن مستحيل أن يخدع أولئك الذين يعملون لديه.

هاري تاير

الجاذبية

■ الجاذبية غامضة. قد تكمن في طريقة تصرف، أو في نبرة صوت، أو في حركة يدين. لكنها، مهما تكن، يجب أن تبقى لغزاً، وخصوصاً بالنسبة الى صاحبها. اذ ما إن يدرك المرء الميزة التي يجدها الناس جذابة فيه حتى تصبح تكلفاً. وليس أقل جاذبية من التكلف.

ركس هاريسون، ممثل بريطاني

الرأي العام

■ ليحذر السياسيون الذين يعتمدون نتائج استطلاعات الرأي لتقرير مواقفهم واتجاهاتهم. فالشعب لا يستطيع توقع ردود فعله ازاء أحداث مستقبلية أو افتراضية.

هذا درس تعلمناه من حرب الخليج: قبل الحرب كان أقل من ٥٠ بالمئة من الامريكيين يدعمون عملاً عسكرياً سريعاً، وما ان بدأت الحرب حتى تغير الرأي العام الى حد مثير فأيدت الغالبية العظمى من الامريكيين قرار دخول الحرب.

لا يعني هذا أن على الساسة تجاهل الرأي العام، لكن المفتاح لاعادة انتخابهم هو التمييز بين ما يفكر فيه الناس اليوم وما سوف يفكرون فيه في الانتخابات التالية. وقد يعني ذلك اقناع الناس بتغيير آرائهم، وهذا هو الفرق بين أن يكون المرء قائداً أو تابعاً.

همفري تايلور

نفوس كبيرة

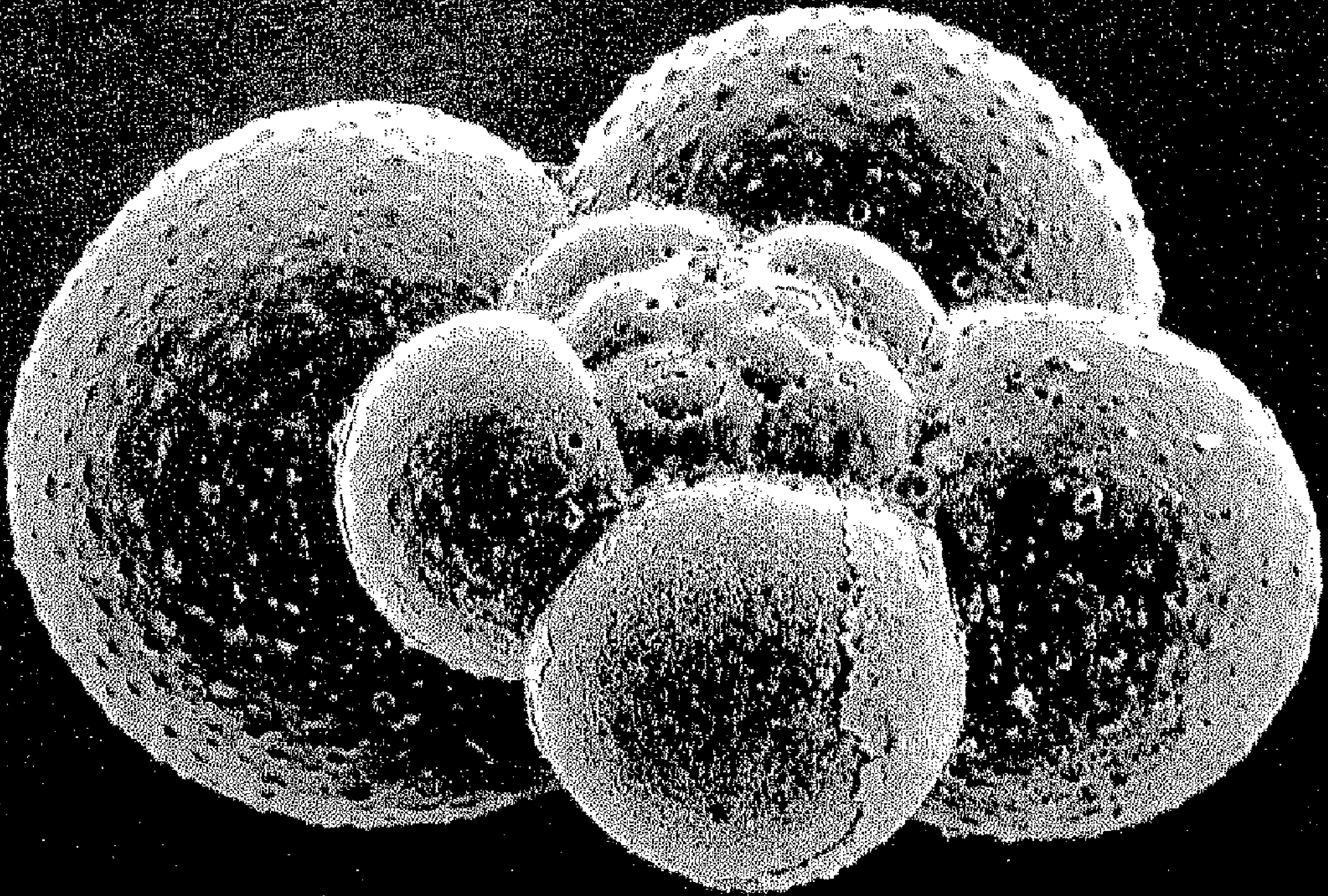
■ ما أبهج صحبة الناس السموحين الكرام، انهم يترفعون عن توافه الامور ويركزون فكرهم، غريزياً، على كل ما هو خيِّر وإيجابي حولهم، خلافاً لذوي النفوس الصغيرة الذين يجهدون لاظهار تفوقهم وبراعتهم ومعرفتهم وأصالتهم، وهم أبداً يتذمرون. أصحاب النفوس الكبيرة لا يعرفون الحسد ولا الغرور، وهم يسعدون بكل ما هو حقيقي ومتين، أينما وجد. والجميل أنهم يجدونه في كل مكان.

فان ويك بروكس، كاتب امريكي

اعمل اليوم

■ أحاول أن أعتمد فلسفة تلك العجوز التي قالت إن أفضل ما في المستقبل أنه يأتيك يوماً بعد يوم.

دين اتشيسون، سياسي امريكي راحل



حسناوات البحار

حيوانات مجهرية أمّنت معلومات قيّمة عن التقلبات المناخية في تاريخ الارض

انسابت سفينة الابحاث "بانوليروس ٢" في المحيط الاطلسي قرب جزر برمودا. وغاص البروفسور كريستوف هملبن عالم الاحاثة المجهرية[1] الى عمق ١٠ أمتار في المياه الصافية حاملا جرّة. اقتربت منه كرة صغيرة تغطيها أشواك، ففتح غطاء الجرّة قليلا والتقط الكائن الصغير.

وهو أُخبر لاحقا في مختبر "محطة برمودا للابحاث البيولوجية" ان هذا الكائن هو مُنخْرَب[2] شوكي من فصيلة "أوربولينا أونيفرسا."[3]

---

(١) Micropaleontologist. وعلم الاحاثة يبحث في أشكال الحياة في العصور الجيولوجية السالفة كما تمثلها المتحجرات او المستحاثات الحيوانية والنباتية.

(٢) Foraminifer. والمنخْرَبات حيوانات بحرية دنيا مثقّبة الاصداف.

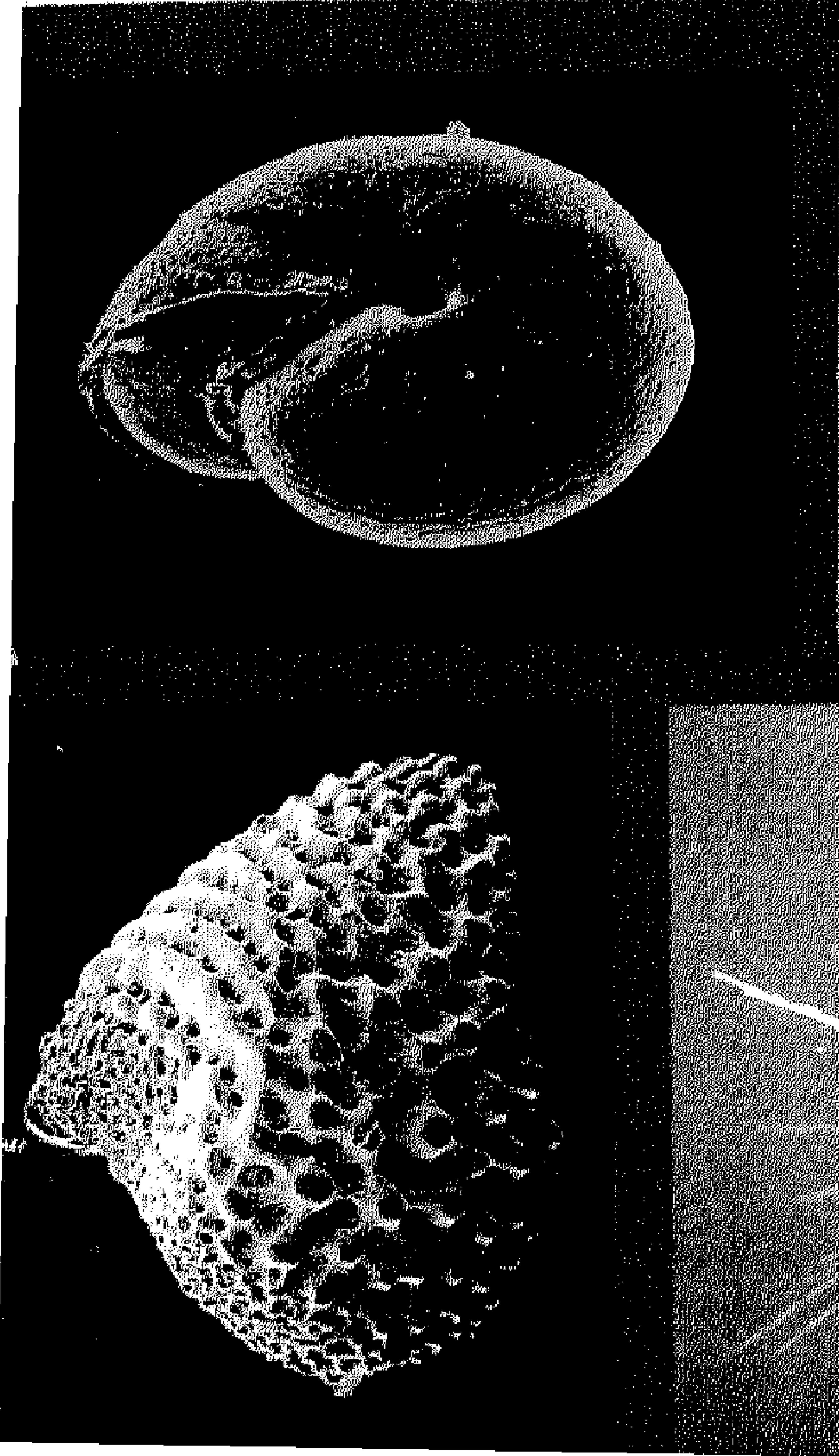
(٣) Orbulina universa.

يعيش أربعون نوعا من هذه الحيوانات البحرية الطافية ذوات الخلية الواحدة في محيطات العالم. ويراوح حجم الواحد منها، مع صدفته الكلسية، بين ٠،١ مليمتر ومليمتر واحد. وهي تدعى منخربات بسبب ثقوب التنفس الدقيقة التي لا تحصى في صدفتها.

تكون الاصناف المفترسة من المنخربات مسلحة بمئات الشعيرات، لا تتجاوز ثخانة الواحدة منها جزءين من ألف من المليمتر لكن طولها قد يصل الى سنتيمتر. وتلتقط المنخربات بواسطتها هدبيات وقشريات ويرق حلازين.[٤]

عندما يبلغ المنخرب يومه الثامن والعشرين يغوص الى عمق ١٠٠ متر في المحيط وينقسم الى نحو ٢٠٠ ألف خلية ابنة. وفي طريق العودة الى الضوء ينفق ٩٩ في المئة من هذه الصغار ضحايا الحيوانات الاخرى ونقص التغذية. والى أصداف المنخربات البالغة، تغرق مليارات من الاصداف الكلسية المتناهية

(٤) Ciliates, copepods and snail larvae



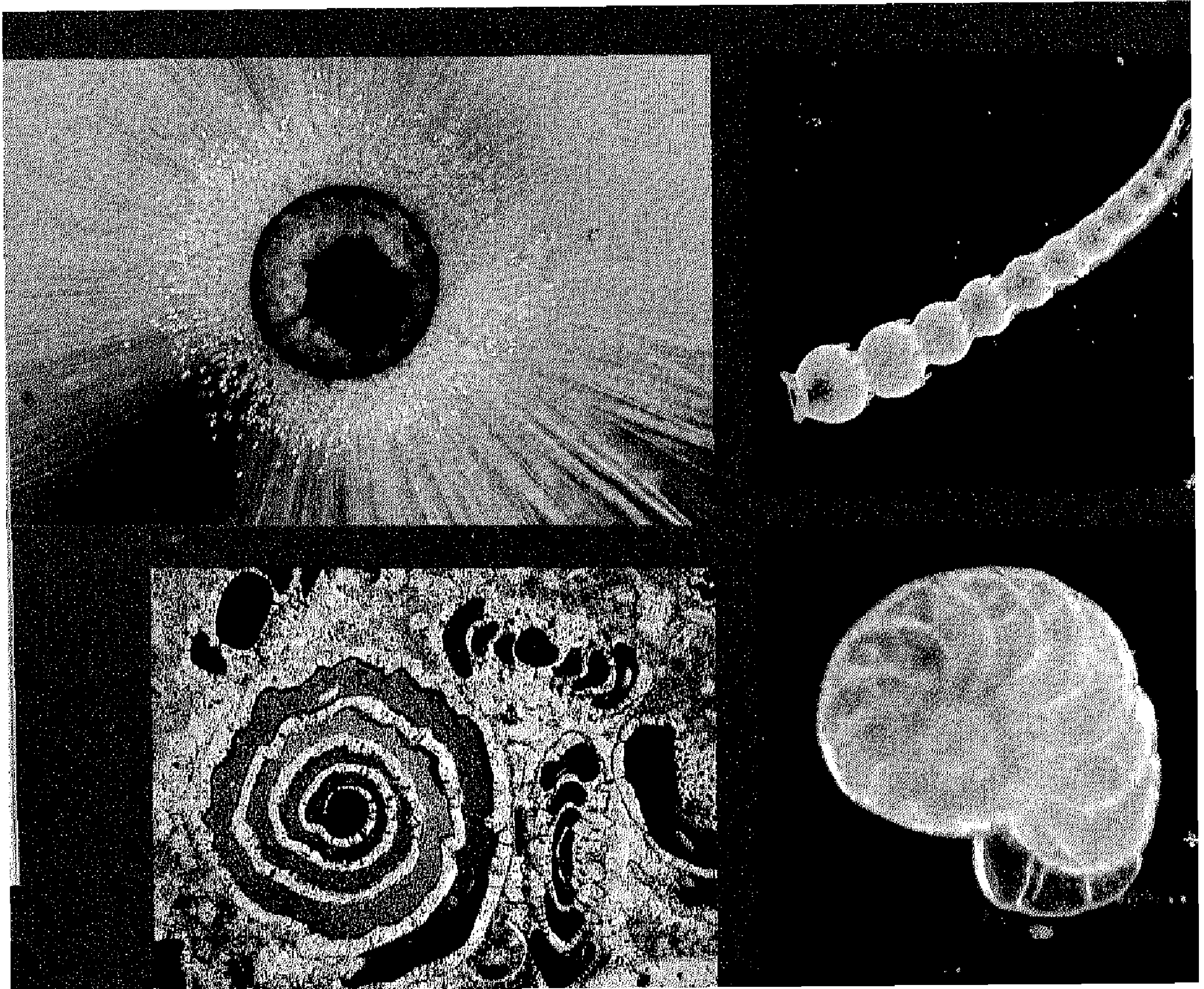
للمنخربات أشكال مختلفة. ويعيش نحو ألف نوع منها في قيعان المحيطات والمياه الساحلية والبحيرات الداخلية المالحة. وتقطن نسيباتها الشوكيات في البحار المفتوحة. المنخرب الاول من اليمين، والذي تحته، هما من الاحافير. وفي اقصى اليسار (تحت) صدفة احفورية لولبية لكائن احادي الخلية في مقطع صخري رقيق.

MANFRED KAGE AND PROF. CHRISTOPH HEMLEBEN

في الصغر الى قاع البحر، كما دأبت طوال ١٢٠ مليون سنة ماضية: جيل كل شهر.

هناك تختلط بأصداف المنخربات التي تعيش على أرض المحيط. وتشتمل عائلة المنخربات على ألف نوع سكنت قيعان البحار منذ ٥٧٠ مليون سنة، لكنها تعيش أيضاً في المياه الساحلية الضحلة والبحيرات الداخلية المالحة. وعبر العصور، كوّنت بقايا المنخربات والكائنات الاخرى طبقة من الاصداف تبلغ سماكتها بضع مئات من الامتار وتغطي ثلث مساحة قيعان البحار.

ان الانتشار الواسع للمنخربات وقدرتها على التكيف والتغيّرات المناخية للمحيطات عبر ملايين السنين، جعلاها هدفاً للابحاث. وكانت شركات النفط العالمية هي الاولى في اعتماد نتائج أبحاث علماء الاحاثة المجهرية الذين حددوا أعمار الطبقات الرسوبية استناداً الى أنواع المنخربات المكتشفة فيها، واستطاعوا بذلك تقدير امكان وجود النفط

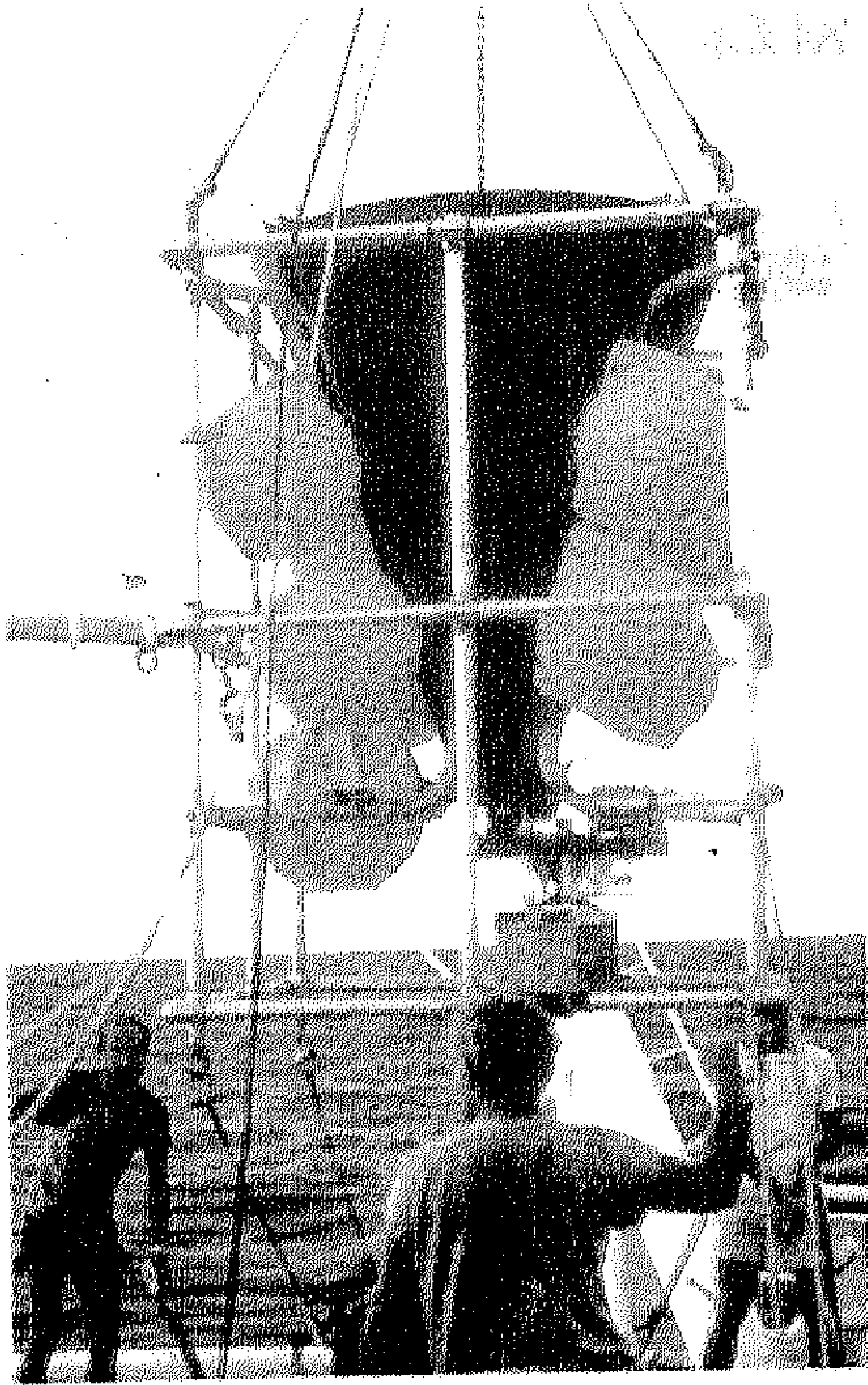


وعلى أي أعماق. وفيما يُستخدم علماء فيزياء الارض اليوم في مشاريع حفر خاصة مستعينين بأجهزة قياس حديثة، تبقى معلومات علماء الاحاثة ضرورية في البحث عن مخزونات نفط جديدة.

بالنسبة الى البروفسور هملبن، تشكل الاحافير مفتاح البحث في التغيّرات المناخية في المحيطات وعلى الارض. وهو ركّب، مع زملاء له، "أفخاخا" رسوبية على أعماق تصل الى ٤٠٠٠ متر تحت سطح البحر. وتتسرب الاصداف باستمرار الى الافخاخ الواسعة المفتوحة على شكل قمع. ويتولّى جهاز تحكّم بواسطة الكمبيوتر تحريك حاوية جديدة كل شهر تركّز عند قاعدة القمع. وعندما تنقضي السنة يسحب الفخ الى السطح وتحلل محتوياته. والى ذلك، تستخرج من قاع البحر عينات طبقية يصل طولها الى ٢٤ متراً وقد يبلغ عمر طبقاتها السفلى مليونين ونصف مليون سنة.

يستدل العلماء من تركيب الصدفة، كما من حجمها وكثافتها، الى الظروف البيئية التي صمدت المنخربات أمامها خلال حقبات مبكرة من تاريخ الارض. يقول هملبن: "اننا نعرف درجات الحرارة ومعدلات الملوحة حيث تتمكن بعض أنواع المنخربات من البقاء، كما نعرف كيف تؤثر الاحوال البيئية وموارد الغذاء في نموها، ومن ذلك نكوّن صورة دقيقة عما كانت أحوال المناخ في زمن حياة العينات المستخرجة."

أجرى هملبن أبحاثا في شمال



CHRISTOPH HEMLEBEN

علماء يجمعون اصداف منخربات في افخاخ رسوبية معلقة بعوامات.

الاطلسي وفي البحر الاحمر بالتعاون مع علماء احاثة وجيولوجيين. والبحر الاحمر حقل فريد لتحديد الاحوال المناخية، لان تأثير تبدل المناخ بين الحقبات الباردة والحارة واضح استثنائياً هنا. فالروافد الداخلية قليلة، وعندما تكون الارض على أبواب عصر جليدي جديد، تنحبس كميات من المياه أكثر من العادة في منطقة القطبين وفي الانهار الجليدية، فينخفض مستوى البحر الاحمر وتزداد ملوحته.

أثبتت تحاليل العينات المحفورة أن الارض خَبرت خلال المليوني سنة الاخيرة خمس حقبات دافئة وأربعة

عصور جليدية كبرى على الاقل. ودام الانتقال من حقبة جليدية الى أخرى دافئة ما بين بضع مئة سنة وبضعة آلاف سنة. وهذا تبدل سريع جداً من وجهة نظر جيولوجية. وفي المقابل، استغرق تبريد الارض (الانتقال الى عصر جليدي) كل مرة ٧٠ ألف سنة أو أكثر، غالباً ما تخللتها فترات دافئة قصيرة.

ان تقويم الاحوال المناخية في العصور السالفة قد يحمل الاجابة عن سؤال طالما طرحه العلماء وعامة الناس: هل مناخ الارض في حال تحوّل؟

يقول هملبن: "يبدو كأننا وصلنا الى أوج حقبة دافئة. فنادراً ما كانت الارض خلال الـ٤٠٠ ألف سنة الماضية أدفأ منها الآن. ومتوقع أن تهبط حرارة الكرة الارضية تدريجاً من الآن فصاعداً... اللهم الا اذا أفسد الانسان ايقاع الطبيعة."

يورغن ناكوت ■



عمى الألوان

ذهب زوجي المصاب بعمى الألوان الى متجر للادوات المنزلية، وطلب مصباحين: واحداً زهرياً وواحداً أصفر. فأحضر له الموظف مصباحين وسأله بارتياب: "أهذا طلبك؟" فتظاهر زوجي بانعام النظر فيهما ثم قال: "نعم."

واذ همَّ الموظف بوضع المصباحين في علبة صاح به صاحب المتجر الذي كان يراقب ما يجري: "ما هذا؟ لقد طلب منك الزبون مصباحاً زهرياً وآخر أصفر، فلماذا تعطيه واحداً أخضر وآخر أزرق."

فارتبك الموظف وقال معتذراً: "عفواً، فانا مصاب بعمى الالوان!"

ا.س.

جغرافيا رياضية

طلب منا أستاذ الجغرافيا أن نستعين بصور من الاقمار الاصطناعية وبابحاث سابقة لتوقع حال الطقس خلال الشتاء. ووعد بان يمنح علامات اضافية للطالب الذي تصدق توقعاته لعدد عطل نهاية الاسبوع الماطرة.

وبدا في نهاية الفصل أن توقعات واحد من الطلاب جاءت صحيحة تماماً. فسأله الاستاذ: "ماذا استخدمت؟ صور أقمار اصطناعية أم أبحاثاً سابقة؟"

أجاب الجغرافي الشاب: "لا هذه ولا تلك. لقد أحصيت عدد مباريات كرة القدم المقرر اقامتها هذا الفصل."

ك.ب.

كاسح الذهب

فاز جان - كلود كيلي بثلاث ميداليات ذهبية في دورة الالعاب الشتوية عام ١٩٦٨. وهو اليوم يحقق لأبناء بلده حلماً راودهم زمناً طويلاً

يتسمّر نحو ملياري مشاهد أمام شاشات التلفزة في أنحاء العالم ليشاهدوا افتتاح دورة الالعاب الاولمبية الشتوية صبيحة ٨ فبراير (شباط) ١٩٩٢، في حضور ٣٥ الف شخص يملأون مدرجات الملعب في بلدة البرفيل الصغيرة الواقعة في منطقة السافوا جنوب شرق فرنسا. ويقف على منصة الاستعراض رجل أنيق المظهر وسيم القسمات يراقب بفخر واعتزاز ثمرة جهد استغرق عشر سنين. فهذا الحدث هو بالنسبة الى جان - كلود كيلي وأبناء منطقته السافوا تحقيق لحلم قديم، وهو بالنسبة الى الفي رياضي مشارك بداية احدى أروع دورات الالعاب الشتوية.

لا يكثر كيلي من اطلاق الوعود، لكنه متى قطع وعداً وفى به. حين تقاعد من



"مهنته" الاولى في السن الرابعة والعشرين كان أبرز متزلج في تاريخ الرياضة. واليوم، وقد بلغ الثامنة والاربعين، يعتبر رجل أعمال ناجحاً في ثلاث قارات. وهو يسترعي الانتباه على رغم ضآلة بنيته. وفي حين تراه بادي الاسترخاء، يطالعك بعينين زرقاوين تنمّان عن استعداد للوثوب.

عندما زرت مقر اللجنة المنظمة للألعاب الأولمبية الشتوية «COJO» في ألبرفيل قبل أشهر من موعد افتتاح الدورة، لاحظت خلو الجدران من الساعات. ولكن إن أدرت أياً من أجهزة الكمبيوتر المنتشرة في المكان، ظهر على الشاشة أولاً عدد الايام الفاصلة عن بدء المباريات في ٨ فبراير (شباط).

يقول كيلي: "العدّ العكسي اليومي حافز أكثر اثارة."

لاشك في أن الحظ ابتسم لجان – كلود كيلي، وإنْ يكن هو نفسه لا يؤمن بالحظ كثيراً. يقول: "يحالفني الحظ بمقدار ما أعمل." وعلى رغم أن أصدقاءه يتحدثون عن خصاله الفطرية التي جعلت منه بطلاً، كتصميمه وانضباطه، فان قدرته على العمل وتخطي العقبات هي من أبرز مزاياه.

ويقول صديق طفولته جان – بيار غيرال: "مر كيلي في حياته بتجارب قاسية حفرت في نفسه عبراً ودروساً".

ثلوج سرمدية. تعتبر ألبرفيل البوابة الغربية لوادي تارنتيز في منطقة السافوا. أما بلدة فالديزير الصغيرة حيث ترعرع جان – كلود فهي ثانية أعلى معالم الوادي وأقصاها شرقاً حيث يرتفع جدار مثلّم من القمم الجبلية المغطاة بثلوج سرمدية. ولطالما جال في فكر جان – كلود، الذي كان يذهب الى مدرسته تزلجاً، أن الخروج من المدرسة أكثر افادة من دخولها. وكان والده روبرت يناشد القيمين على مصاعد التزلج في المنطقة نُصح ابنه بضرورة المثابرة على دروسه. لكنه أدرك بمرور السنين أنه يجبه ارادة صلبة.

يقول بوب بيتي الذي تولى تدريب فريق التزلج الاميركي فترة طويلة: "اذا أردتم أن تعرفوا كيف غدا جان – كلود بطلاً، فعليكم أن تسألوا روبرت كيلي. انه مكافح."

كان روبرت كيلي قائد طائرة مقاتلة في الحرب العالمية الثانية، وشارك في "غزو" الحلفاء فرنسا. وفي العام ١٩٤٦ انتقل وزوجته مادلين وولديه من الالزاس، مسقط رأسه، الى فالديزير حيث فتح متجراً للوازم الرياضية. وُلد ابنه الثالث ميك عام ١٩٥٠، لكن مأساة حلت بالعائلة بعد سنتين اذ هجرت مادلين زوجها وأولادها ورحلت. فأصاب هذا الحدث جان – كلود بجرح عميق لم يجد له متنفساً إلا في الخروج مع صديقه جان – بيار غيرال لصيد السمك وتسلق الجبال.

وفيما دانى الصديقان سن المراهقة لاحظ غيرال في كيلي اصراراً عنيفاً على

الفوز في كل ما كانا يفعلانه. وهو يذكر: "كان كيلي سقيماً يشكو من علّة رئوية استدعت بقاءه فترة في مصح. لكنه كان يتمتع بميزة خاصة، برغبة جامحة في أن يكون الافضل على الدراجات الهوائية وفي السيارات وعلى المزالج." وتلك كانت الميزة التي ما انفك أونوريه بونيه مدرب منتخب التزلج الفرنسي يبحث عنها في سعيه الدائم الى اكتشاف رياضيين واعدين، فلم يتردد في ضم جان – كلود الى فريقه عام ١٩٦٠.

بعد مدة قصيرة فقد جان – كلود السيطرة على سيارته فيما كان يقودها على طريق جبلية. وخرج سالماً، لكن الراكب الى جانبه قتل، وكان صديقاً وزميلاً في الفريق. فترك الحادث ندباً عاطفياً في نفس جان – كلود، لكنه مضى يبذل ذاته للفريق. وكان المدرب يشجعه قائلاً: "زد سرعتك دائماً، وكن كلّي التركيز." وهذا ما فعله تماماً، ومع أنه كان يتعثر باستمرار، فلم يدعه بونيه ينسحب من أي سباق أو يتخلف عن أي تمرين. وكان يقول له: "أكمل السباق، ولا يهمني كم يستغرق ذلك من وقت."

وفي وقت لاحق من تلك السنة التقى كيلي متزلجاً من كاليفورنيا يدعى جيمي هوغا جاء يشارك في مباراة في فالديزير تدخل في اطار بطولة العالم. وسرعان ما غدا الشابان صديقين حميمين. كان جيمي مرحاً وغير رسمي على نحو استهوى زميله الفرنسي الاكثر جدية، فأدى ترحالهما معاً الى جعل كيلي أقل تزمتاً. لكن تحوُّل كيلي عن الجدِّية وقف عند حدّ معيَّن. ففي أحد السباقات التي أقيمت في يوغوسلافيا عام ١٩٦٢ وصل الشابان متأخرين، فقفزا من كرسي مصعد التزلج ليختصرا المسافة الى خط الانطلاق. لكن جان – كلود أخفق في تفادي أحد أعمدة الاسلاك، فسقط متأوهاً.

فسأله هوغا: "ما بك؟"

أجاب كيلي: "لقد أصيبت ساقي."
وكان مسمار لولبي ناتىء من العمود غار فيها الى عمق ثمانية سنتيمترات.

لم يدرك هوغا مبلغ اصابة كيلي، فاستنهضه صائحاً: "هيا، قم بسرعة والا خسرنا دورنا."

لم يخسر الاثنان دورهما، وفاز كيلي في السباق. وفيما كان هوغا يهنىء صديقه لاحظ فجأة ما حدث له. ويذكر: "أذهلتني قدرة كيلي على كتم الالم والتركيز على الفوز فحسب."

الفوز بالذهب. حين رأى المدرب دلفين بلاك المتزلج الشاب "طائراً" فوق أحد الممرات المائية المتجمدة، قال له: "ستكون البطل يوما ما."

وبعد سنوات أقرَّ كيلي: "صدَّقت ما قاله لي بلاك. فعلى المرء أن يصدق مَنْ يثق بقدراته."

بيد أن ثقة كيلي بذاته اهتزت في السنوات التي تلت فوزه الكبير في فالديزير في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٦١. فلقد أقعده كسر في رجله عن

مشاركة المنتخب الفرنسي في مباريات كأس العالم عام ١٩٦٢ في شاموني جنوب شرق فرنسا. وبعد سنتين خسر السباقات الثلاثة التي شارك فيها في دورة الالعاب الاولمبية في انسبروك بالنمسا من جراء اعتلالات في معدته. يذكر هوغا: "قال جان-كلود انه يريد التخلي عن رياضة التزلج، لكني كنت أعلم أنه لن يفعل. لقد جعلته الخسارة أكثر تصميما على الفوز."

وجاءت المكافأة أخيراً عام ١٩٦٧ عندما حلّ كيلي أول في سباقات بطولة كأس العالم محققا ٢٣ انتصاراً في ٣٠ سباقا. وهو وعد صديقه جان-بيار غيرال باحراز ثلاث ميداليات ذهبية في دورة الالعاب الاولمبية الشتوية في غرونوبل بفرنسا، وهذا نصر لم يحققه سوى المتزلج النمسوي طوني سايلر عام ١٩٥٦.

وفي اليوم المقرر لسباق الانحدار كشط كيلي معظم الشمع عن مزلاجيه وهو يتمرن استعداداً على رقعة جليد. واذ لم يتسنَّ له وقت لابدال مزلاجيه غار قلبه في صدره هلعاً، فصاح به مدربه بونيه: "لا تستسلم، أبذل وسعك!"

انطلق كيلي باندفاعة هائلة وبسرعة بلغت، لدى اجتيازه علامة منتصف المسافة، ١٥٠ كيلومتراً في الساعة. وكان حفظ كل منعطف عن ظهر قلب. وبلغ خط النهاية متقدما طليعة المتسابقين الآخرين بـ ٠,٠٨ ثانية. فحصل على الميدالية الذهبية. كما فاز ببطولة سباق التعرج الطويل وسباقات التعرُّج العادي في الايام التالية ليصبح بطلاً ثلاثيا للألعاب الاولمبية!

قبل أشهر من أولمبياد ١٩٦٨ عرض متعهد نجوم الرياضة مارك ماكورماك على كيلي أن يصبح مدير أعماله في الولايات المتحدة. وفي السنين العشر التالية تجاوزت شهرة كيلي الاوساط الرياضية اذ ظهر اسمه على سيارات ونظارات شمسية ومزالج وساعات. كما أنه جرب التمثيل السينمائي حيث التقى الممثلة الفرنسية الجميلة دانيال غوبير، فتزوجا عام ١٩٧٣، وتبنى كيلي ولدين لها من زواجها الاول ورزقا بنتاً. وبنيا منزلاً في جنيف استقروا فيه وعاشا بسعادة.

وفي العام ١٩٧٧ اشترى كيلي نصف ملكية مؤسسة فرنسية صغيرة تصنع ألبسة تزلج. وبحلول العام ١٩٨٠ بات رجلاً غنياً. لكنه لم ينسَ واجباً قديماً، أن يردّ بعض الجميل الى المكان الذي أطلقه. وكان أبناء السافوا يحلمون منذ سنين باضافة الالعاب الاولمبية في جبالهم، لكنهم كانوا يفتقرون الى ما يلزم من بنية تحتية وفنادق تتيح لهم تقديم عرض يغري القيمين على هذه الالعاب. فوجد كيلي في ميشال بارنييه، وهو سياسي شاب طموح من المنطقة، شريكا مناسباً لمساعدة أبناء السافوا في تحقيق حلمهم.

الكرامة الوطنية. بحلول العام ١٩٨٣ تمكن كيلي وبارنييه من جمع ١٥ مليون

فرنك[1] من منتجي المزالج الفرنسيين وسواهم من رجال الاعمال. فسطّرا عرضاً الى اللجنة الاولمبية الدولية اقترحا فيه بلدة ألبرفيل موقعاً مضيفاً.

وفي العام ١٩٨٥ بدأت قرى السافوا تجمع الاموال وتشارك في الحملة. فكتب تلاميذ المدارس رسائل الى أعضاء اللجنة الاولمبية وأرسلوا اليهم رسوماً. وزار كيلي أكثر من نصف أعضاء اللجنة المؤلفة من ٩١ عضواً لاقناعهم باعتماد ألبرفيل موقعاً للمباريات. يقول ليو لاكروا وهو عضو سابق في منتخب التزلج الفرنسي: "لاشك في أن جان – كلود ألهم المنطقة برمتها وضع ثقلها في المجهود."

اجتمع أعضاء اللجنة الاولمبية في لوزان بسويسرا في ١٧ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٦ لاختيار الموقع المضيف لدورة الألعاب الاولمبية الشتوية السادسة عشرة. لكن باريس كانت تقدمت بعرض لاضافة الالعاب الصيفية، ووفق التقليد المتبع لا يمكن بلداً واحداً اضافة الالعاب الصيفية والشتوية. ولما كان معروفاً أن خوان انطونيو سامارانش، وهو اسباني كان يرئس اللجنة، آثر اقامة الالعاب في مسقط رأسه برشلونة، طلب كيلي وبارنييه من رئيس بلدية باريس ورئيس الوزراء الفرنسي آنذاك جاك شيراك، أن يقدِّم الكرامة الوطنية على المصالح البلدية ويلقي خطاباً مؤثراً لمصلحة ألبرفيل. فلبى شيراك النداء، وربح أبناء السافوا رهانهم في جولة الاقتراع الخامسة التي أجرتها اللجنة الدولية لاختيار المكان المضيف. وصرَّح كيلي لوسائل الاعلام: "هذا الفوز هو ميداليتي الذهبية الرابعة، وفرنسا هي الرابحة الكبرى."

حب ضائع. كانت دانيال أصيبت قبل سنة ونصف سنة بداء السرطان، فعضَّ كيلي على جرحه وواصل قيادة حملة ألبرفيل. ولكن عندما أعلن هو وبارنييه أوائل ١٩٨٧ ضرورة استثناء احدى قرى وادي تارنتيز من المشاركة في استقبال المباريات لاسباب تتعلق بالموازنة، هبت عاصفة احتجاج واتهم كيلي بتفضيل بلدته فالديزير. واذ وجد نفسه عاجزاً عن جبه أصدقائه وجيرانه ومرض زوجته، لم يجد بداً من الانسحاب من الحملة الأولمبية.

وبعد جراحة فاشلة لاستئصال سرطان دانيال لم يترك كيلي اختصاصياً إلا استشاره ولا بحثاً أو اكتشافاً طبياً إلا تابعه. وفيما مضى سرطان زوجته يستشري بلا هوادة، واصل كفاحه من دون أن يفضي بدخيلته الى أحد. ويقول أبوه متنهداً: "حتى أنا لم أعلم بخطورة مرض دانيال إلا قبل وفاتها بخمسة أشهر."

وقبيل وفاتها في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٧، طلبت دانيال من كيلي العودة الى نشاطاته الاولمبية. فحوَّل عاطفته الجارفة من حبه الضائع الى

(١) الدولار الامريكي يعادل حاليا نحو ٥،٢ فرنكات فرنسية.

قيادة الدورة الاولمبية. قال بصوت رقيق: "لقد غادرتني دانيال باكراً. وكان عليّ القبول بأن حياتي معها انتهت بعد ٢٠ سنة."

منحدر "ذكي." عمد كيلي وبارنييه، بصفتهما الرئيسين المشاركين للجنة الألعاب الاولمبية الشتوية، الى معالجة مشاكل النقل، يساعدهما فريق محلي قوي وتعضدهما السلطات المحلية والمركزية. وكان ازدحام السير في السافوا عائقاً قديم العهد. أما اليوم فقد سَهُل الوصول الى ألبرفيل بعد شق طريق جديدة طولها ٦٠ كيلومتراً. وبما أن المشاهدين يحتاجون الى مكان للاقامة والمنامة، جاب كيلي وادي تارنتيز مناشداً الناس تحسين بيوتهم "لتبدو جميلة كثلوجهم." ولم تكن حملته مجرد محاولة لتجميل المحيط، بل هي أتاحت للمتعهدين استثمار أموالهم على أفضل وجه.

لكن مشكلات الموازنة التي كانت تبرز بين حين وآخر أيقظت في كيلي حرصاً فُطر عليه رجال أعمال السافوا. من هذه المشكلات الكلفة المقدرة لإنشاء مسلك للمزالج المزدوجة[٢] في لابلان وما يقتضيه من اجراءات سلامة باهظة الكلفة. لذلك لجأ كيلي الى خفض المصاريف الاجمالية باقتطاعه نصف الموازنة المخصصة لاحتفالات الافتتاح، مصرّاً على أن "الالعاب الاولمبية" شأن رياضي لا يستدعي اقامة احتفالات مكلفة تتخطى امكاناتنا."

استخدمت أجهزة الكمبيوتر في مقر اللجنة المنظمة للالعاب الاولمبية لادارة كل الشؤون، بدءاً ببطاقات الدخول وانتهاء بتصميم منحدرات التزلج. ولكن، بالنسبة الى كيلي، لا شيء يعادل اللمسة البشرية. فحين بدأ برنار روسي اعادة تشكيل منحدر التزلج في جبل بلفارد، قال له كيلي: "أريد منحدراً ذكياً يختبر المهارة أكثر مما يختبر السرعة المحض." وكان بلفارد أحد الجبال التي تدرب عليها كيلي، فقال لروسي: "لا تبخل بشيء، فهذا منحدرنا، هنا سباق السباقات."

وأدرك روسي مراد صديقه.

قال لي كيلي في ختام زيارتي لبلدة ألبرفيل: "عندما تبدأ الألعاب ننكفىء نحن ليحتلّ اللاعبون المسرح. ومتى انتهت الالعاب سأعود الى داري لوصل ما انقطع من حياتي."

أخبرتُ كيلي أنه يذكرني بالممثل السينمائي ألن لاد في فيلم "شين."[٣]

فقال: "تماماً." ثم التفت الى رياضي شاب لم يكن ولد عندما أُنتج الفيلم، وقال له: "يروي هذا الفيلم قصة رجل يضع الامور في نصابها، رجل كان أسرع من شهر مسدساً. لقد شاهدت هذا الفيلم عشر مرات."

تأملت كيلي فلم يساورني شك في صدق كلامه.

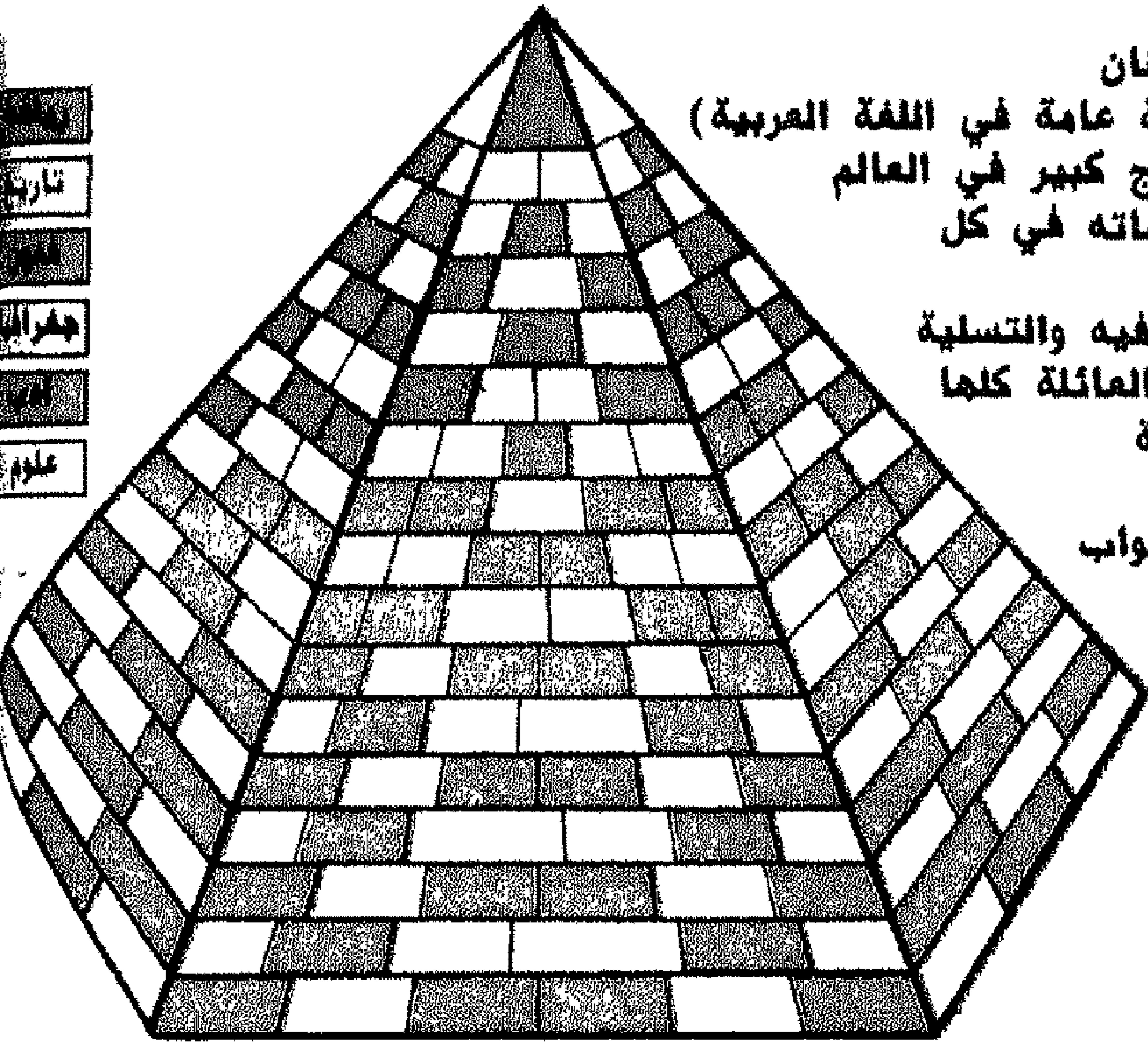
روجر كابلان ■

(٢) Bobsled
(٣) Shane

لعبة التحدي في الثقافة والمعلومات

هرم المعرفة

لعبة عربية تثقيفية مشو

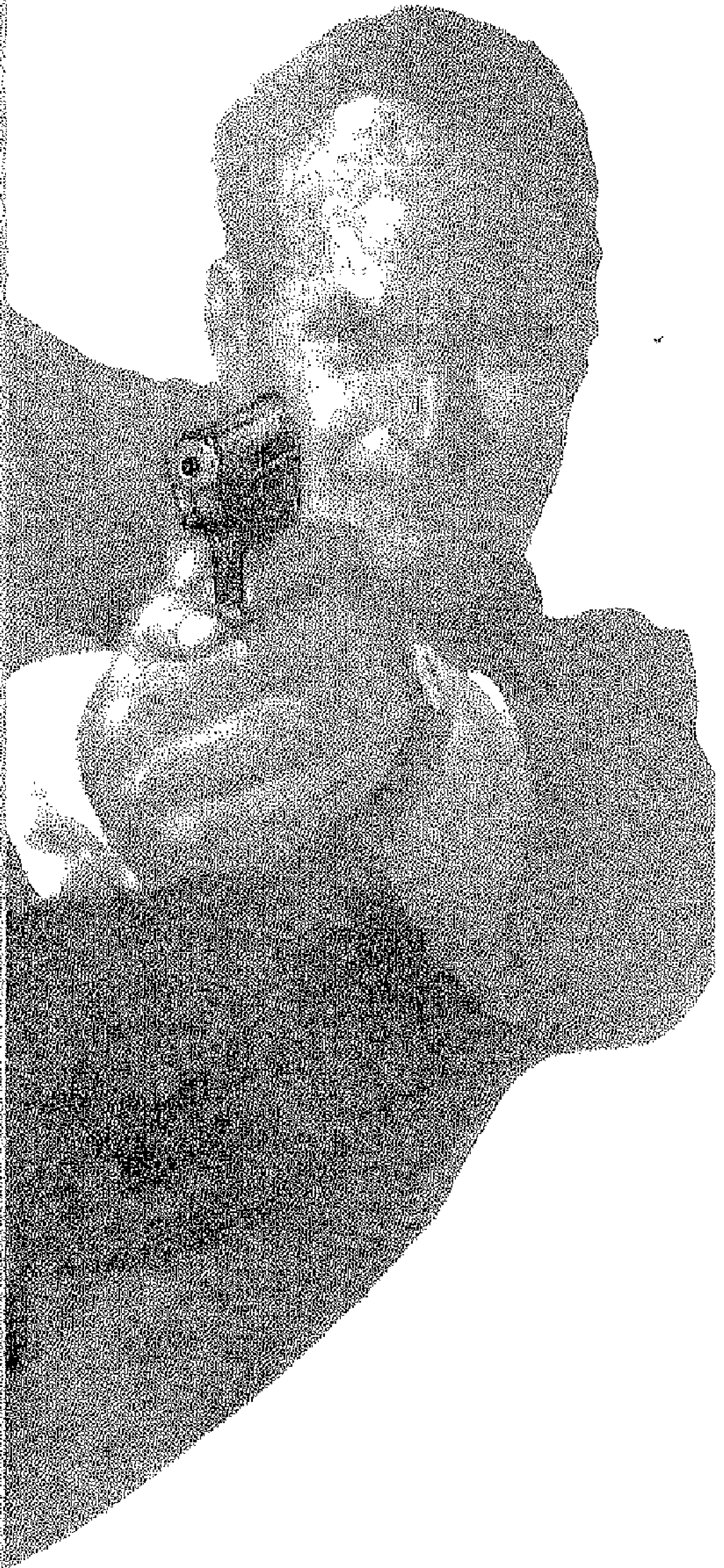


- ▲ هرم المعرفة: صممت والتجت في لبنان
- ▲ هرم المعرفة: اول لعبة معرفة (ثقافة عامة في اللغة العربية)
- ▲ هرم المعرفة: لعبة من التي لها رواج كبير في العالم
- ▲ هرم المعرفة: لمن اراد توسيع معلوماته في كل الميادين والحقول
- ▲ هرم المعرفة: طريقة جديدة في الترفيه والتسلية
- ▲ هرم المعرفة: لعبة تسلية للشباب والعائلة كلها
- ▲ هرم المعرفة: من سن الخامسة عشرة وما فوق
- ▲ هرم المعرفة: ٣٦٠٠ سؤال و٣٦٠٠ جواب
- ▲ هرم المعرفة: ستة مواضيع مختلفة

كتاب الشهر

الحلقة الكبرى

بقلم ناثان أدامس



لم يتوقع إدوارد مادونا أن يتحول التحقيق الروتيني الذي بدأه في قضية ضبط كمية صغيرة من الهيروويين عملية مطاردة اعتبرت من الاوسع في تاريخ مكافحة تجارة المخدرات، تصدى فيها فريق شباب من عملاء مكافحة المخدرات لمنظمة تهريب قاسية لا ترحم تدعى "عصابة الحلقة الكبرى."

واجه مادونا في بادىء الامر صعوبة في اقناع مديرية مكافحة المخدرات في الولايات المتحدة بالبعد الخطير لهذه القضية. وهو لم يكن في أي حال سوى محقق عادي في مدينة سياتل بولاية واشنطن، بينما كان زملاؤه في الساحل الشرقي للولايات المتحدة زمرة بائسة قليلة العدد تفتقر الى الخبرة وتُعرف بـ"المجموعة ٤١."

وكان لا بد لهم للنجاح في مهمتهم من الاقدام على ما لم يجرؤ أحد عليه في مكافحة المخدرات، ألا وهو اختراق العالم الخفي لـ"الكارتل" الصيني للمخدرات وكشف رئيسه الداهية جوني كون واقتياده الى المحاكمة. وتعمل لدى كون المحنك في إدارة امبراطوريته عصابة من أشد المجرمين بطشاً ووحشية. فهل يتمكن أولئك المحققون الأغرار من تحقيق هدفهم؟




VISA CLASS



كان ادوارد مادونا (٣٣ عاما) العميل الخاص في مكتب مديرية مكافحة المخدرات في مدينة سياتل، يتطلع الى قضاء يوم أحد هادىء ينصرف فيه الى العناية بحديقته. كان ذلك في ٢٣ يونيو (حزيران) ١٩٨٥. لكن جهاز الاتصال المثبت الى وسطه بدأ يرسل ذبذبة بعد دقائق من انتصاف النهار، فدخل مادونا منزله واتصل بمكتبه ثم أقفل الخط حانقا.

وقال لزوجته: "قبض رجال الجمارك على اثنين من مهربي المخدرات كانا في طائرة آتية من طوكيو. يبدو أن الامر لا يتعدى كمية صغيرة، ربما ٥٠ غراما."

بعد ساعة وقف مادونا يراقب مفتشي الجمارك في مطار سياتل وهم يثقبون ١٣٨ مستوعبا معدنيا عازلا لحفظ مكعبات الثلج كان الراكبان صرحا بها في وثيقة الشحن على أنها عينـات انتـاجيـة. وأفـرغ المفتشون ٩٦ كيلوغراماً من الهيروين النقي، وهي أضخم شحنة من نوعها آتية من شرق اسيا تصادر في الولايات المتحدة.

ولكن رافق هذا الانجاز نبأ سيىء، فقبل وصول مادونا سمح لاحد المهربين، وهو صيني من هونغ كونغ ناحل ذو شاربين يدعى فانغ هان – شنغ، بدخول غرفة الحمام بمفرده لقضاء حاجته. وبعد دقائق تبعه مفتشون للتحقق مـن وجـوده هـنـاك فـرأوا عـلى

الارض شاربين مستعارين وشاهدوا نافذة الحمام الصغيرة مفتوحة. لقد توارى المهرب.

وكان المهرب الآخر محتجزاً في غرفة تحت مراقبة شديدة. وهو ادعى أنه مهندس كهرباء جاء في رحلة عمل. وقال بانكليزية متعثرة: "أنا لا أعرف شيئاً عن الهيروبين. أنا مكلف تسليم صديق مكعبات الثلج، ومن المفترض أن أنقلها الى شيكاغو حيث طلب مني أن أنتظر اتصالاً هاتفياً."

طلب العميل الخاص مادونا من مفتشي الجمارك السماح له بالاختلاء بالمتهم. كان الرجل صغير القامة ناحلها، وهو أطلع مادونا على جواز سفره، فسأله هذا: "هل أنت تشن تسونغ – منغ؟"

أجاب الصيني وقد بدأ جبينه يندى: "نعم أنا طومي تشن."

كان مادونا رقيباً سابقاً في الشرطة التحق بمديرية مكافحة المخدرات قبل ثمانية أشهر فقط، آملاً أن يعوض في حرب المخدرات ما فاته في وظيفته الروتينية السابقة. لكن القضايا التي أسندت اليه اقتصرت على تحقيقات في عمليات اتجار محلية بمادتي الكوكايين والماريوانا تُعتبر ثانوية في الأهمية.

ألقى مادونا نظرة فاحصة على المهرب، فبدا له جلياً أن الرجل مرتعب، ولكن ممن؟

قال له: استرخِ يا طومي. لا أحد يريد ايذاءك. ولكن لدينا مشكلة كبيرة تتمثل في مستوعبات مكعبات الثلج، ولا أرى الا مخرجا واحداً."

ثم عرض مادونا على تشن صفقة اشترط فيها عليه، إن هو أراد فرصة لينجو من عقوبة بالسجن مدتها عشرون سنة، أن يتابع سفره الى شيكاغو ويسلم البضاعة ويكشف للمحققين هوية أصحابها ويشهد ضدهم.

قال تشن هازاً رأسه برفض قاطع: "لا، لا، لا يمكنني أن أفعل ذلك."

حدق مادونا مشدوهاً الى الرجل موضحاً له تكراراً أن لا خيار أمامه. وتساءل: "كيف يعقل ألا يدرك هذا الرجل أن اللعبة انتهت؟"

رضخ تشن أخيراً للواقع مبدياً استعداده للذهاب الى شيكاغو وانتظار الاتصال الموعود. لكنه رفض الادلاء بشهادة، "والا قضوا علي وعلى جميع أفراد عائلتي."

سأله مادونا: "ومن سيقضي عليك؟"

لكنه لم يحظ بجواب.

بعد ساعتين اصطحب مادونا تشن في طائرة الى شيكاغو، ونزلا في فندق هيلتون قرب المطار وفقاً لتعليمات قال تشن انها أعطيت له. وتولى أحد عملاء مديرية مكافحة المخدرات حراسة تشن في غرفته، وتوزع ثلاثة عملاء في الممشى، وأقام مادونا في غرفة مجاورة. رن الهاتف في غرفة مادونا قبيل الحادية عشرة ليلاً. وطلب المتكلم

التحدث مع حارس تشن. طرق مادونا جدار الغرفة، فانسلّ الحارس الى الداخل للرد على المكالمة.

وما هي الا ثوان حتى سمع مادونا ضجة عالية في غرفة تشن، فهتف بالذين يتولون المراقبة وهو يخفّ الى الغرفة المجاورة: "أسرعوا الى هناك!"

لكن تشن كان قد توارى.

لقد تمكن المهرب من خلع النافذة المقفلة وخرج منها، فسقط من ارتفاع ست طبقات على مظلة صلبة، ثم تمكن من القفز طبقتين أخريين الى الشارع تحته. وما لا يسهل تصديقه أن تشن لم ينجُ من الهلاك فحسب، بل توارى تحت جنح الظلام.

اتصل مادونا لاسلكيا بالشرطة والمستشفيات ومحطات وسائل النقل وزودهم أوصاف الهارب. وتساءل وقد عرته قشعريرة: "ما هذا الرعب القاتل الذي يدفع بأحدهم الى القفز من نافذة في الطبقة الثامنة؟"

بعد نصف ساعة لمح شرطي في محطة للركاب رجلاً آسيويا أشعث الشعر نازفا كان على وشك ركوب حافلة متوجهة الى نيويورك.

كان الرجل مصابا بكسر في كاحله وبجروح داخلية حادة، ومع ذلك تمكن من ايقاف سيارة أجرة قرب الفندق وكاد ينجح في الفرار.

صوت من الداخل

صباح اليوم التالي عاد مادونا المهربَ تشن في المستشفى حيث نقل للمعالجة، وجلس على جانب سريره وذكره بالعقوبة التي تنتظره: "عشرون سنة سجنا، هذه فترة طويلة يا طومي!"

لكن تشن الذي أدار وجهه الى الحائط محدقا الى الفراغ كان قد أخذ قراره. فهو يفضل دخول السجن على البوح بما يعرف. وبدا واضحا أنه كان يعيش رعبا قاتلاً لم يفقهه مادونا.

عاد مادونا الى مكتبه في سياتل ووضع تقريره مضمّنا اياه فرار تشن المذهل ورفضه التعاون. كانت الادلة المتوافرة ١٣٨ وعاء لمكعّبات الثلج و٩٦ كيلوغراما من الهيرويين ومهربا كسيحا، وهي لم تقد الى أي نتيجة مفيدة. ولم تكن لدى مادونا فكرة عما اذا كانت الشحنة يتيمة أم هي واحدة من شحنات عدة. وزاد في احباطه عدم تمكنه من معرفة مرسلها.

شارف صيف ١٩٨٥ الانتهاء وظل طومي تشن صامتا لا يستجيب لالحاح مادونا المتكرر. وبحث هذا في أوراق تشن الشخصية وبطاقات سفره وأرسل نسخا عن

مفكرته المتضمنة أسماء وأرقام هواتف مبهمة الى مكاتب مديرية مكافحة المخدرات في أنحاء العالم.

لكن أحداً لم يتعرف الى صورة المهرب أو يسمع باسم طومي تشن أو فانغ هان – شنغ المهرب الآخر الذي نجح في الفرار.

لم يسعْ مادونا التخلي عن متابعة التحقيق. فعمد الى وثائق السفر المصادرة في المطار، وبعد التدقيق فيها رسم "مشهداً" للحادث: رجلان صينيان يسافران معا من بانكوك أو طوكيو ومعهما مصنوعات معدنية وينزلان في فنادق هيلتون. ثم اتصل مادونا بـ"بنك المعلومات" لدى مصلحة الجمارك.

يُطلب من كل زائر للولايات المتحدة ملء قسيمتين لدائرتي الجمارك والهجرة يمكن ادخالهما كمبيوتر "الجهاز الوطني لمنع ادخال المخدرات عبر الحدود" (NNBIS) [١]. فهل يتمكن هذا الجهاز من تحديد الاشخاص الذين تطابق أوصافهم "الرسم" الذي ابتدعه؟

كان مادونا مدركاً أن ذلك عمل ضخم يتطلب التدقيق في مئات الالوف من البيانات العائدة الى دائرتي الجمارك والهجرة. لكن منسِّق المعلومات وعد بأن يجعل الجهاز يقوم بالعمل المطلوب.

بحلول آخر شهر أغسطس (آب) أُعلم مادونا بأن ثمة ١٩ زائراً تطابق أوصافهم رسمه. ونُبِّه الى أن هؤلاء هم من المشتبه فيهم "المحتملين" ويمكن أن يكونوا أبرياء.

أكبَّ مادونا في سياتل على جهاز الكمبيوتر لديه وأخذ يعرض على الشاشة المعلومات التي اختزنها من جهاز «NNBIS.» وكانت سجلات السفر كثيفة بحيث صرف زهاء ساعة لمراجعة تواريخ الوصول والاقلاع وأرقام الرحلات وبلدان المنشأ وعناوين الاقامة في الولايات المتحدة.

ولم يكد ينتهي من العرض حتى استوى في جلسته: لقد أصاب الهدف بحدسه.

اكتشف مادونا أوجه شبه عدة في كل من المشتبه فيهم. فكثيرون منهم قاموا بما لا يقل عن اثنتي عشرة رحلة منذ العام ١٩٨٣، وغالبا ما وصلوا مصحوبين بأوعية معدنية لمكعبات ثلج أو بزهريات معدنية يُصرح أنها "نماذج مبيعات." ونادراً ما تغيرت وجهتهم النهائية: أحد فنادق هيلتون، في مدينة نيويورك عادة.

كان فانغ هان – شنغ قام بأربع رحلات سابقة مماثلة. بينما أحضر طومي تشن ٩٨ مستوعباً لمكعبات الثلج قبل توقيفه بشهر واحد. وكان كلا المهربين مسافراً مع آخرين ظهرت أسماؤهم على شاشة الكمبيوتر. وبدا أنهم كانوا يحضرون من كل ناحية في الشرق الأقصى.

(١) National Narcotics Border Interdiction System

اعتدل مادونا في جلسته وقد أخذه الذهول. فالمعلومات المتوافرة من جهاز «NNBIS» تشير الى أنه رفع الغطاء عن شبكة مخدرات هائلة. وبات في امكانه أخيراً، بعد أشهر من المحاولات غير المجدية، التحرك واقتفاء "العقول المدبرة" المتوارية في خفايا عالم المخدرات.

طلب مادونا من دوائر الامن افادته عن دخول أي من المشتبه فيهم البلاد ثانية. وطلب أيضا تسجيلا لجميع المكالمات الخارجية التي تجرى من غرف المشتبه فيهم في الفنادق التي ينزلون فيها أثناء زياراتهم الولايات المتحدة. فسجلت مئات المكالمات التي شملت بلداناً بعيدة جداً مثل هونغ كونغ وتايوان.

وأرسل مادونا أيضا تقريراً الى مركز مديرية مكافحة المخدرات في العاصمة واشنطن تضمّن الادلة التي استخلصها والتي تشير الى أن المزوِّدين الصينيين قد يكونون هم المسيطرين على سوق الهيروين في الولايات المتحدة. وأضاف أن ما يصل الى ٦٥ في المئة من الهيروين يدخل البلاد عبر منظمة واحدة.

بعد ذلك اتصل مادونا بمديرية مكافحة المخدرات في نيويورك. وسرعان ما اتضح له أن أي تحقيق في شأن تجار المخدرات الشرقيين ليس من أولويات المسؤولين في المديرية. وهم أوكلوا الى عميل واحد مجهَد مساعدته فلم يستطع تقديم عون يذكر، وكان على مادونا أن يتكل على نفسه.

في ٣٠ أغسطس (آب) طبعت آلة التلكس في مكتب مادونا رسالة وجيزة ملحة مفادها أن عملاء مديرية مكافحة المخدرات في بانكوك اكتشفوا مكان وجود فانغ، المهرِّب الفار، وأنهم يعتقدون أنه ذهب ضحية عملية اغتيال محترفة برصاصة اخترقت قلبه.

درب الهيروين

عرف مادونا أن قطع أحجيته كانت مبعثرة في المقلب الآخر من الكرة الارضية، وأن عليه للعثور عليها السفر الى هناك. فرتب لقاء مع فريق مديرية مكافحة المخدرات في تايلند وطلب من ادارة شرطة هونغ كونغ ايفاد محقق لاشتباهه بوجود حلقة لشبكة مخدرات في هونغ كونغ.

توصف بانكوك في كتب السياحة بأنها مدينة ساحرة، سكانها ٥،٥ ملايين، تلتمع في صفحة قنواتها المائية الهادئة انعكاسات هياكل الباغودة[٢] المذهبة. لكن بانكوك، على روعتها، تشكل المحطة الرئيسية التي تتفرع منها درب تجارة الهيروين. ففيها أكثر من ١٠٠٠ كيلومتر من الطرق المعبدة والمسالك الوعرة والممرات الحرجية

(٢) الباغودة هيكل صيني او ياباني او هندي متعدد الادوار.

الشديدة الانحدار، تربط حقول الخشخاش المخفية في مينمار (بورما) بخليج تايلند وبحر الصين الجنوبي. وخلف مظاهر الجمال والرقة يقوم عالم خفي غامض يسود فيه الفساد والعنف والجشع والقتل.

كان الامر مثيراً بالنسبة الى ادوارد مادونا الذي لم تطأ قدماه أرضاً خارج أمريكا الشمالية. فصباح ١٢ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٥ دخل مكتب مديرية مكافحة المخدرات في بانكوك والتقى عدداً من العملاء والمحللين. وبادره المفتش السري البريطاني الآتي من هونغ كونغ ماداً يده: "أنا جون بريتشارد."

كانت تلك بداية صداقة بينهما.

أصغى مادونا بانتباه الى بريتشارد وهو يشرح له بنية مجموعات التهريب الصينية في هونغ كونغ. قال انه لم يكن في الامكان اقتفاء اتصال واحد من الاتصالات التي حددها مادونا الى أي منظمة اجرام معروفة. ولاحظ أن "من نلاحقه، أيا يكن، ذكي جداً."

وشرع بريتشارد ومادونا يتفحصان جوازات السفر الثمانية والوثائق الأخرى التي اكتشفتها السلطات التايلندية بعد مقتل فانغ. وكان أحدها صادراً من هونغ كونغ وآخر من سنغافورة وثالث من لاباز في بوليفيا.

قال بريتشارد: "صاحبنا فانغ متعدد الهويات. ولكن مهلاً، ما هذا؟"

تبين لبريتشارد، بينما كان يحدق الى الجواز الباهت البالي الصادر من هونغ كونغ، أن الصورة فيه لا تشبه فانغ. وقال لمادونا: "انني أعرف صاحب هذه الصورة. انه يدعى لي كوون ويلقب "النمر". وهو عضو سابق في حركة الشبيبة التي ساندت ماوتسي تونغ في الستينات. ونحن نراقبه منذ زمن."

قبل سنة، في ٢٦ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٤، اعترض زورق لجمارك هونغ كونغ سفينة صيدٍ تحمل ١٣٥ كيلوغراماً من الهيروين التايلندي معبأة في براميل للوقود، وشحنة صغيرة من الاسلحة تضم مسدسات أوتوماتيكية وكواتم صوت. وعلم ضباط مكافحة المخدرات من أحد بحارة السفينة، وهو الوحيد الذي أبدى استعداداً للتعاون، أن منظمي الشحنة هم من سكان هونغ كونغ. لكن هؤلاء تمكنوا جميعاً من الفرار قبل القبض عليهم. وكان "النمر" لي بينهم.

لقد وفّر جواز السفر لمادونا أخيراً دليلا على ارتباط مصرع فانغ بقضية المخدرات في سياتل وهونغ كونغ. كما وجد مادونا حليفاً.

كان بريتشارد، كما مادونا، بدأ العمل شرطياً يتولى أعمال الدورية في مسقط رأسه بدفورشاير ببريطانيا. والتحق عام ١٩٨١ بدائرة الشرطة في هونغ كونغ، لكنه لم يعيَّن في مكتب مكافحة المخدرات قبل سوى ثمانية أشهر. وباتت مهمته الآن كشف الارتباط

بين عصابات الهيروييين المحلية وقضية مادونا. وميزته أنه كان يتكلم اللغة الكانتونية (نسبة الى مدينة كانتون في الصين).

قال مادونا لزميله بريتشارد في مطار بانكوك، معلقا على مهمتهما: "نحن أعمى يقود أعمى."

فنبهه بريتشارد: "احترس يا إد." كانا كلاهما يعرفان أن عملاء مكافحة المخدرات هم دوما أهداف للعنف الذي يرافق تجارة المخدرات.

فرد مادونا: "ثق بأني لن أنسى ذلك." ثم حمل حقيبته وتوجه الى ردهة المسافرين.

الحلقة الكبرى

عاد جون بريتشارد الى مكتبه الضيق في هونغ كونغ الواقع في الطبقة العاشرة من مبنى دائرة الشرطة في شارع أرسينال والمطل على ميناء فيكتوريا حيث ترسو سفن شراعية وزوارق صينية ذوات مجذاف واحد. فطالعته كومة من تقارير الاستطلاع هي خلاصة مئات من ساعات العمل التي نفذتها وحدته منذ أعلمته مديرية مكافحة المخدرات بضبط مستوعبات مكعبات الثلج في يونيو (حزيران) والاشتباه في وجود صلة لها بهونغ كونغ.

وكان فريقه المؤلف من خمسة صينيين حدد وكالة السفر التي اشترى منها المهربان بطاقتي سفرهما الى سياتل. ولكن تبين أن ثمن البطاقتين دفع نقداً لئلا يترك المهربان أي أثر يكشف هويتهما. وكان على بريتشارد أن يواصل التدقيق في أرقام الاتصالات الهاتفية الواردة على أرقام في هونغ كونغ وتايوان مسجلة في دفتر عناوين طومي تشن.

ثم عكف على درس تسجيلات التحقيق في قضية سفينة الصيد واعادة التدقيق في المستندات حتى ساعة متقدمة من الليل. ولفت نظره تقرير فيه تحليل فائق السرِّية يصف نشاطات منظمة اجرامية جديدة في هونغ كونغ تدعى "عصابة الحلقة الكبرى"[٣] وهي "كارتل"[٤] لنحو ٣٥٠ مجرماً عتياً كان يتخذ من مدينة كانتون في جمهورية الصين الشعبية مقراً له، ثم نقل هؤلاء عملياتهم الى هونغ كونغ في أواخر السبعينات، لكن الدلائل أشارت الى أنهم ما زالوا على صلة وثيقة بمجموعات في البر الصيني يزودونهم الهيروييين من ميانمار. و"النمر" لي هو أحد زعمائهم.

تابع بريتشارد بحثه، فعثر على مرجع سابق في ملف آخر يشير الى عصابة الحلقة الكبرى في قضية كندية بتاريخ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٣. فقد أوقف رجال

(٣) Big Circle Gang

(٤) الكارتل (cartel) اتحاد بين جماعات من اجل عمل مشترك.

الشرطة في تورنتو رجلين ينقلان ٣،٥ كيلوغرامات من الهيرويين مخبأة في حقيبة سفر ذات قعر مزدوج مرسلة الى نيويورك. وتبين من السجلات أن الرجلين توقفا في سنغافورة قبل أن يصلا الى كندا. وقد أجرى أحدهما اتصالاً من سنغافورة بتاجر فرو في هونغ كونغ يدعى كون يو – ليونغ.

قال بريتشارد لنفسه بصوت عال: "أنا أراهن يا سيد كون على أنك تتاجر بأكثر من الفراء." وتابع التدقيق في ملفه.

ادعى كون يو – ليونغ الملقب "جوني كون" أنه مصدِّر بسيط. ولد في شنغهاي، وهو يعيش مع زوجته في شقة فخمة في كولون الواقعة في الجهة الاخرى من الخليج قبالة وسط هونغ كونغ.

لم يصدّق رجال الشرطة رواية كون الزاعمة أن المكالمة من سنغافورة كانت من شخص أراد الاتصال بأحد الضيوف في منزله. ولكن لم يكن لديهم دليل ثابت على ضلوعه في صفقة المخدرات في تورنتو.

وضع بريتشارد الملف جانبا. لكن الاسمين، كون يو – لونغ وجوني كون، ظلا يترددان بالحاح في ذاكرته، وبات منزعجا كمن يحسّ حكاكا في جلده تعجز يده عن مطاولته. وحين أعاد قراءة استجواب بحّار سفينة الصيد اتضح له السبب. كان جوني كون أحد الذين ساهموا في نفقات الرحلة، وقد هرب الى تايوان.

تناول بريتشارد الملف التالي، فوجد أن الشرطة حصلت على تفويض لتفتيش شقة كون حيث عثرت على صناديق ملأى بوثائق تكشف عمليات ست شركات في هونغ كونغ يديرها جوني كون.

وفي كشوف حساباته بانت قيود بألوف الدولارات المودعة مصارف مختلفة، وهي تفوق كثيراً مردود تجارة الفراء التي يدّعيها. وكانت ثمة جداول رواتب لستين موظفا وردت أسماء كثيرين منهم في ملفات سابقة على أنهم أعضاء في عصابة الحلقة الكبرى. وكان بينهم "النمر" لي.

تكاملت هذه المعلومات كتركيبة فسيفساء معقدة. لقد اكتشف مادونا وبريتشارد عملية تهريب واسعة للهيروين الى الولايات المتحدة، وباتا يتعقّبان زمرة من أخطر تجار المخدرات في العالم.

في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٥ طار بريتشارد الى سياتل لتقديم ما لديه من أدلة في محاكمة طومي تشن والادلاء بشهادته في شأن بطاقتي السفر اللتين اشتراهما تشن وتوقفه في هونغ كونغ وهو في طريقه الى الولايات المتحدة مع فانغ هان – شنغ.

كان مادونا في الانتظار لدى وصول بريتشارد، وقال له مكتئبا: "جون، لم نحرز أي

تقدم في قضية تعقب كون وسائر أفراد العصابة. وهم ربما أدخلوا ظنا من الهيرؤيين منذ عملية مستوعبات مكعبات الثلج."

فرد بريتشارد: "بل أحرزنا تقدما، وقد يأتينا الجواب من طريق أرقام الهاتف في دفتر تشن التي لم نستنفدها بعد."

لفت نظر بريتشارد، أثناء المحاكمة، رجل صيني في نحو الاربعين يرتدي بذلة ثمينة ويجلس بين النظارة. وكان في احدى عينيه انحراف شديد فبدت كأنها تحدق الى السقف. وهو جلس هادئا يدون ملاحظات ولا يتحدث الى أحد. لكن بريتشارد الذي كان يراقبه عن كثب لاحظ التفاتة تعارف بينه وبين تشن.

اقترب بريتشارد من الرجل تدريجا، فلمح ملفا الى جانبه طُبع عليه اسم وعنوان: "سو وكاربهاري، محاميان – كولون، هونغ كونغ."

تذكر بريتشارد أن هذين هما المحاميان نفسهما اللذان مثلا المهرب في قضية كندا والمتهمين في قضية سفينة الصيد. وها هما الآن يتابعان قضية طومي تشن. فهل هذه مجرد مصادفة؟

عصبة الاثني عشر

في ٢٣ ديسمبر (كانون الاول) دين تشن وحكم عليه بالسجن عشرين سنة. وبعد يومين عاد بريتشارد الى هونغ كونغ، والى التهام الشطائر الباردة والقهوة الفاترة في مقر الشرطة.

وكان كلما اطلع على تقارير التحريين العاملين في امرته ازداد اقتناعا بأنهم سائرون في الطريق الصحيح. كان كون أجنبيا دخل البلاد بطريقة غير مشروعة وزعم أنه لاجىء وأُعطي ترخيصا بالاقامة عام ١٩٦٢. وبعد خمس سنوات غادر هونغ كونغ الى فيتنام الجنوبية (آنذاك) وجعل من سايغون قاعدة لعملياته، حيث كان يبيع الجنود الامريكيين في اواخر الستينات مجوهرات ذهبية وفراء وساعات مهرّبة. وفي العام ١٩٧٤ بدأ يتجر بالهيروين في تايلند، وبعد ست سنوات بلغ عدد موظفي شركاته ٣٠٠ في هونغ كونغ وحدها، الى ١٥٠ آخرين في البر الصيني. وكان يمتلك أيضا شركتين في الحي الصيني تشايناتاون في نيويورك، تتعاطى احداهما تجارة الفرو والاخرى بيع العقارات والاراضي.

وبات جوني كون (٤٢ عاما) يلبس بذلات فاخرة من أجود أنواع الحرير ويغشى أفخم المطاعم، تلمع في معصمه ساعة مرصعة بالالماس ثمنها ٣٠ ألف دولار، وأظفاره مقلمة مصقولة.

ولكن على رغم فخامة مظهر كون كان بريتشارد يعرف أنه وعصابته مجرمون قساة

لا يعرفون الرحمة، وأن معاونيه هم من "الحرس الحمر" السابقين المتخصصين بتجارة الهيروبيين والسطو والاغتيال. وقد اشتبه بريتشارد في أن يكون كون نفسه أعطى الأمر بتصفية فانغ.

أمضى بريتشارد ردحاً طويلا من شهر يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ يعمل كل ليلة وحيداً في مكتبه. ومن بين مئات تسجيلات التنصت الهاتفية على الارقام المأخوذة من مفكرة العناوين الخاصة بتشن، كان يعيد التدقيق في كل اتصال أجراه كون أو معاونوه. وكان لا بد للتحقيق أن ينتهي عاجلا أو آجلا.

وقد حدث ذلك أخيراً، ذات ليلة في أواخر يناير (كانون الثاني). اذ تبين أن مكالمة واحدة سجلت عام ١٩٨٣ الى تايبه عاصمة تايوان من هاتف في هونغ كونغ عائد الى أحد معاوني كون الكبار. وقد ظهر الرقم نفسه في دفتر عناوين طومي تشن. وجدتُها!

اتصل بريتشارد بمادونا في مركز مكافحة المخدرات في سياتل وقال وهو يزف اليه الخبر: "ألم أقل لك أن تصبر؟"

أكبّ بريتشارد حتى الصباح على كتابة التقرير الرسمي. وكانت سلسلة الادلة واضحة تثبت أن الشبكة التي يديرها جوني كون هي المسؤولة عن شحنة الهيروبيين القياسية الى سياتل في يونيو (حزيران)، وربما عن شحنات كثيرة بعدها الى الولايات المتحدة.

كانت اماطة اللثام عن حلقة كون انتصاراً على كل العوائق. لكنها بداية فقط، اذ لم يكن هناك سوى شاهد واحد هو بحار سفينة الصيد، وما لم يتوافر شهود آخر فسيكون توجيه الاتهامات والاعتقالات والادانة مجرد حلم.

ولكن على مسافة محيط وقارة كانت المساعدة في الطريق على نحو غير متوقع وعلى أيدي وحدة أغرار قليلي الخبرة تابعة لمديرية مكافحة المخدرات تدعى "المجموعة ٤١".

وقف العميل الخاص ريتشارد لامانيا (٣٧ عاما) في أحد المكاتب الحكومية في نيويورك وحدّق الى العملاء في "المجموعة ٤١" وخاطبهم بحدة قائلا: "لا يهمني ماذا كنتم قبل تسلمي المسؤولية هنا. ستكون المجموعة ٤١ أفضل مجموعة في مديرية مكافحة المخدرات!"

وكان لامانيا كلّف في وقت سابقٍ من يناير (كانون الثاني) ذاك تولي مسؤولية المجموعة، وراعه ما كانت عليه. فقد أحدثت "المجموعة ٤١" لكشف مؤامرات تهريب المخدرات، لكنها لم تحقق شيئا يذكر. والاعتقالات التي قامت بها كانت قليلة جداً.

كانت المجموعة في الحقيقة مهملة بين مجموعات المكافحة، واقتصر نشاط أفرادها على الاعمال المكتبية بدل المهمات الميدانية، حتى أنها لم تكن تملك سيارة مراقبة.

كانت معنويات المجموعة في الحضيض، فثلاثة من عناصرها الخمسة طلبوا اعفاءهم، وكثيراً ما كان المدّعون العامون في المبنى يجندونهم كحراس شخصيين بدل تشجيعهم على ملاحقة قضايا المخدرات التي انتدبوا لها.

كانت مديرية مكافحة المخدرات في الواقع لا تملك أي دفاع ضد خطر الهيروبين المستورد من القارة الآسيوية. لكنها كانت اختارت على الاقل الشخص الملائم للمهمة، وهو لامانيا. وقد تميز هذا بكونه أسيويا متخصصا، وهو المحقق الابيض الوحيد الذي يتكلم اللغتين الكانتونية والماندرين.[5] وكان أمضى ست سنوات ونصف سنة في الشرق الاقصى، في هونغ كونغ أولا ثم في بانكوك. لقد أعد نفسه لتحدي الصعاب، وصمّم على أن يحذو عملاؤه حذوه.

قال لهم: "أريدكم أن تخبروني لحظة يطلب منكم أحد المدّعين القيام بمهمة حراسة. انكم تعملون لي وليس لهم. والآن، لنوجّه نشاطنا الى القبض على المهربين."

لم يكتف لامانيا بذلك، بل زاد عدد عناصره مجنداً عملاء آخرين من فروع لمديرية مكافحة المخدرات في ضواحي نيويورك. ولفت انتباهه بين هؤلاء شاب خبير بتحركات الشوارع يدعى كيفن دونلي (٢٩ عاما) فكلفه التحقيق في قضية كون. وبعد لقائه زملاءه الجدد وصفهم دونلي مازحا بـ"عصبة الاثني عشر."

ما خفي كان أعظم!

لم يكن مضى على عمل أعضاء الوحدة أسبوع حتى ورد عليهم أول انذار. ففي الثامنة مساء ١٩ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ أُبلغ الى لامانيا أن مفتشي الجمارك في مطار جون ف. كينيدي بنيويورك قبضوا على امرأة صينية معها ٢٠ كيلوغراماً من الهيروبين موضبة داخل اطارات صور معدنية كبيرة. وكان العملاء يحاولون مراقبة عملية تسليم البضاعة المفترض أن تتم في أحد فنادق مانهاتن. فانضم اليهم لامانيا واستجوب المرأة بلغة الماندرين. قالت له انها جاءت من طوكيو وقد طُلب منها احضار الاطارات الى صديق. وادعت أنها لم تكن تعلم باحتوائها على الهيروبين. وأضافت أن شخصا سيتصل بها في الفندق لتسلمها.

قال لامانيا: "حسنا، سننتظر."

أظهر جواز سفر المرأة أنها في الثانية والخمسين ومن سكان تايوان. وهي بدت مثقفة وأنيقة، لكنها كانت قلقة أيضا.

(٥) الماندرين هي اللغة الصينية الرسمية المنطوقة في نحو اربعة اخماس الصين، وهي اساسا لغة الشمال.

بعد ساعتين رن الهاتف. فطلب لامانيا من المرأة أن ترد بلغة الماندرين، وبهدوء كأنما ليس في الامر شيء. الا أنها بدل ذلك انطلقت في سيل من الكلام بلهجة صينية عرفها لامانيا لكنه لم يفهمها. وبدا واضحاً أنها كانت تنذر المتكلم بأنها موقوفة وأن ثمة أناسا معها في الغرفة.

فانتزع لامانيا سماعة الهاتف من يدها وأقفل الخط.

لزمت المرأة الصمت المطبق ولم تدل بشيء آخر واقتيدت الى السجن. ولكن لازم لامانيا شعور غامض لم يفارقه بأن ثمة أمراً مألوفاً في اعتقالها.

وحين دخل مكتبه في اليوم التالي أكبَّ على مراجعة تقارير لمديرية مكافحة المخدرات تتضمن قضايا مشابهة لقضية المرأة الصينية. فوقع على قضية مصادرة أوعية المكعبات الثلجية في سياتل قبل سبعة أشهر. وتبين له أن ثمة تشابها مذهلا بين القضيتين. فقد استخدم في كلتيهما مهربون صينيون ومصنوعات معدنية مصممة بمهارة لاحتواء المخدرات. فهل ثمة صلة بين القضيتين؟

اتصل لامانيا هاتفياً بسياتل. وهناك دوّن مادونا التفاصيل وسأل عن رحلة المرأة والمحطات التي مرت بها قبل وصولها الى نيويورك.

فأخبره لامانيا: "جاءت مباشرة من طوكيو، لكن بطاقات السفر دلت على أن رحلتها بدأت في بانكوك."

عرف مادونا أن هذه هي الوجهة نفسها التي سلكها فانغ هان – شنغ وطومي تشن.

ثم سأل لامانيا: "هل تعرف الفندق الذي نزلت فيه المرأة في تايلند؟"

أجاب لامانيا بعد تفحص افادة المرأة: "فندق مونتيان."

ضغط مادونا السماعة لدى سماعه هذه المعلومات المثيرة. فمونتيان كان الفندق نفسه في بانكوك الذي نزل فيه طومي تشن. قال: "هذه شحنة أخرى من كون!"

أطلع مادونا زميله على آخر ما توصل اليه التحقيق، فضلا عما تبلغه من جون بريتشارد في هونغ كونغ. وشدد على ضرورة أن يحصلا على بعض الدعم، والا فلن يستطيعا الذهاب أبعد في التحقيق.

أجاب لامانيا: "سأتكلم مع المقر الرئيسي في هذا الشأن."

بعد ثلاثة أيام من مصادرة المخدرات في مطار جون ف. كينيدي بنيويورك، توجه لامانيا لمقابلة كاثرين بالمر، وهي مساعدة للمدعي العام ملحقة بدائرة العدل في المنطقة الشرقية. كانت بالمر في الثلاثين من عمرها وتفتقر الى الخبرة في دعاوى المخدرات. وتردد أنها التحقت بالدائرة حديثا لتتخلص من رتابة العمل في مكتب محاماة في وسط مدينة نيويورك.

صدم لامانيا اذ دخل مكتب كاثرين بالمر، فهو لم يتوقع أن تكون مختلفة عن غرفة أي مدَّع عرفه سابقا.

أجال نظره في مكتبها مندهشا، فقد غطت الجدران صور تذكارية من مباريات البايسبول (كرة القاعدة) وصفوف من الاعلام الرياضية المثلثة والقبعات وصور الفرق الرياضية. وفي احدى الزوايا استقر مضرب مائل، وعلقت على طرف الطاولة كرة موقّعة من كارل يسترزمسكي ضارب الكرة الاسطوري.

قال لها لامانيا: "أرى أنك هاوية."

أجابت: "أنا من أنصار فريق بوسطن ريد سوكس. هل من خدمة يا ريتش؟"

تناقشا في القضايا التي كان يعمل عليها. فأخبرها عن الطريق التي سلكها المهربون والوسائل المتشابهة التي استخدمت في عمليتي سياتل ومطار جون ف. كينيدي، وأعرب لها عن اعتقاده أن تجار المخدرات الآسيويين هم في طريقهم الى السيطرة على معظم سوق الهيرويين في مدينة نيويورك، وأن الكميات التي صودرت في مطار سياتل ومطار جون ف. كينيدي ليست سوى عينة، وما خفي كان أعظم.

وشدّد لامانيا على أن لا أمل في التصدي لهذه الشبكة الا بوضع استراتيجية موحدة. لذا فهو في حاجة الى مزيد من الدعم. فالمجموعة ٤١ تشبه فريقا من الدرجة الثالثة يلعب ضد فرق من الدرجة الاولى، وهو يحتاج الى "هداف خارق"، فهل في استطاعته الاعتماد على بالمر؟

أجابته مبتسمة: "هيا بنا الآن!"

أدرك لامانيا أنه كان يطلب من بالمر المجازفة في دعم القضية، لأنه لم يكن هو ولا مادونا قادرين على أن يعداها بشيء ملموس. ولكن، من جهة أخرى، لن يكون



في استطاعته تحقيق أي تقدم من دون تعاون مكتب المدعي العام، ومساعد المدعي العام هو الذي يضع يده على التحقيق ويصدر مذكرات التفتيش. وفي النهاية، فان كسب قضايا الاتهامات والمحاكمات أو خسارتها متوقفان على بالمر.

بعد أسبوعين طار مادونا الى نيويورك للمشاركة في "مجلس حرب." وأحضر معه العناوين وأرقام الهاتف وخلاصة تحريات بريتشارد عن منظمة جوني كون. بدا له واضحاً أن صفقة المخدرات المخبأة في اطارات الصور التي صودرت في مطار جون ف. كينيدي هي نموذج لطريقة عمل تشن وفانغ. وسرعان ما أخذ التحقيق المشترك بين لامانيا ومادونا يترجم نشاطاً متنامياً للمجموعة ٤١ الساعية الى تحويل النظرية حقيقة ادعائية.

"احتجزوه!"

تابعت المجموعة ٤١ خلال أشهر مارس (آذار) وابريل (نيسان) ومايو (أيار) ١٩٨٦ اقتفاء أرقام الهاتف بحثاً عن أدلة وشهود. ومرة أخرى لم يتحقق أي تقدم مهم. ثم، في ساعة متقدمة من ليل ١٨ يونيو (حزيران)، استيقظ مادونا من نوم عميق على رنين الهاتف بجانب سريره في سياتل. كان المتكلم بريتشارد من هونغ كونغ. قال: "لقد تمكنوا منه."

سأله مادونا مترنحاً: "من هو الذي تمكنوا منه؟"

أجاب: "شاهِدنا!"

فقد تعقّب قتلة محترفون بحار سفينة صيد السمك وأطلقوا عليه الرصاص من الخلف من مسدس عيار ٠،٤٥ أمام أفراد عائلته، ثم مال أحد المسلحين فوقه ببرودة وأطلق رصاصة "الامان" في رأسه قبل أن يلوذ وصحبه بالفرار. وهكذا، في لحظة قاتلة، انهارت الدعوى على جوني كون.

قال بريتشارد لمادونا: "آسف يا صديقي، لقد عدنا من حيث بدأنا."

ولم تكن الأمور في نيويورك أيضاً تسير كما أراد لامانيا والمجموعة ٤١. كان دونلي ورجاله يخرجون يومياً الى الشوارع ويكتسبون خبرة في حبائل العالم الآسيوي التحتي ويجندون مخبرين ويضيفون مزيداً من العملاء. لكنهم لم يحققوا أي تقدم في تحديد مكان الموزعين المحليين لبضاعة جوني كون.

كان مادونا يتعرض لضغط متزايد في سياتل لتخصيص وقت أكبر لقضايا أخرى. وكذلك الحال بالنسبة الى بريتشارد في هونغ كونغ. وكان مضى على بدء التحقيق ١٥ شهراً من غير أن يؤدي الى نتيجة. لكن فرصة لاحت لهما أخيراً في ٢٢ سبتمبر (أيلول) حين حققت "رسوم" مادونا بواسطة الكمبيوتر نجاحاً.

ففي مطار سياتل – تاكوما أوقف أحد مفتشي دائرة الهجرة رجلا تايوانيا حمل جواز سفره تأشيرة دخول بدت مزورة. ولكن ما لم تبدِ مديرية مكافحة المخدرات اهتماما بالقضية فكل ما سيكون في الامر أن الرجل سيرحَّل.

سأل مادونا: "ما اسمه؟" وبعد لحظات راح يجيل نظره في قائمة الاسماء التي وردت على جهازه. وتوقف عند أحدها هاتفا: "احتجزوه! أنا في طريقي اليكم!"

كان الرجل يدعى ين تشنغ – لينغ ويعرف أيضا باسم آه – لينغ، وهو أمريكي جنوبي تبناه والدان صينيان وتضمنت جوازات سفره تواريخ ولادة مختلفة وجنسيات عدة بحسب معطيات الكمبيوتر في "الجهاز الوطني لمنع ادخال المخدرات عبر الحدود." كما تبين أنه دخل الولايات المتحدة نحو ٢٠ مرة منذ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٤، وصرح مرتين في البيانات الجمركية عن شحن كميات كبيرة من الزهريات المعدنية. وقد رافقه فانغ هان – شنغ مرتين و"النمر" لي مرة واحدة.

كان آه – لينغ رجلا قصيرا نشيطا أنيقا في نحو الاربعين، صفف شعره في تقليعة غريبة، وصبغه بلون أزرق خفيف. وازدانت اصابعه بالجواهر، وبانت آثار التبرج على وجهه. لكنه بدا شديد الثقة بنفسه. وظل مصراً على أن ثمة خطأ في توقيفه. فهو آه – لينغ، رجل أعمال يتعاطى التصدير، وهذه بطاقته المهنية تثبت ذلك.

ألقى مادونا نظرة سريعة على عنوانه في تايبه ثم رمى البطاقة على الطاولة وقال له: "هذه مذكرة اتهام، وهذا اسمك عليها. فلنتكلم على مستوعبات مكعبات الثلج والزهريات التي سلمتها لحساب السيد كون."

قرأ مادونا تاريخ كل رحلة قام بها آه – لينغ الى نيويورك وشيكاغو والفنادق التي نزل فيها وتاريخ مغادرته، ثم قال له بحدة: "اننا نعرف كل شيء عنك. انظر بنفسك. هذه الاتهامات كفيلة بزجك في السجن مدى الحياة."

كانت تلك خدعة، لكنها جازت على آه – لينغ.

شرع آه – لينغ في قراءة قائمة مادونا، فازداد قلقه. واذ راح يمرر اصبعه على قائمة التواريخ بدأ ينهار بوضوح، وتهالك في كرسيه. واستغرقه الامر فترة ليتكلم. وأخيرا، تنفس عميقا وقال: "أراني مرتاحا الى أن المسألة انتهت، ذلك لانني كنت مدركا أن هذا سيحصل."

أقر آه – لينغ بأنه عمل مع جوني كون منذ العام ١٩٨٣، وأخبر عملاء مكافحة المخدرات أنه هو الذي عرّف كون الى فانغ، الرجل الذي وصفه بأنه كان بمثابة أخ له. وكان فانغ نفذ ثلاث عمليات تهريب، وحين أخفق في المرة الاخيرة "قتلوه."

عثر رجال المكافحة في حقيبة آه – لينغ اليدوية على ظرف صور، أخرجها مادونا ووضعها على الطاولة وسأل الموقوف: "من هم هؤلاء الأشخاص؟"

أدرك آه – لينغ أنه يواجه حكماً بالسجن مدة طويلة وأن لا خيار له الا التعاون، فوضع اصبعه على صورة وقال: "هذا كون،" دالا على رجل عريض الوجه يضع شعراً مستعاراً وشاربين زائفين. ثم أشار الى صورة "النمر" لي وأعضاء آخرين في مجلس "الحلقة الكبرى."

كان آه – لينغ حمل تلك الصور في حقيبته منذ مقتل فانغ متحينا الفرصة ليريها أحداً. وقال إن الصور ليست سوى البداية، فهو يعرف كيف تعمل "عصابة الحلقة الكبرى" ويعرف الشحنات التي هربتها مدى سنوات ويعرف أيضاً الذين أمدّوها بالمخدرات.

محاسب العصابة

استجوب مادونا ولامانيا آه – لينغ ما بين ٢٤ و٢٦ سبتمبر (أيلول) في غرفة فندق في ضواحي سياتل ووسط حراسة مشددة. فأفاد أن كون لجأ الى أربع طرق تهريب مختلفة الى الولايات المتحدة. وقد قام آه – لينغ نفسه برحلات كثيرة لهذه الغاية لم يعد يتذكر عددها. وكان بعد تسليمه المخدرات الى وسيط صيني أو زعيم مافيا محلية، يعود الى هونغ كونغ وحقائبه محشوة بالعملات النقدية التي بلغت مليون دولار وأكثر أحيانا. (كان المال يسلم الى ممثلي كون الذين يبيضونه[٦] عبر الجهاز المصرفي الصيني ويعيدون توظيفه في صفقات هيرويين تايلندية أخرى بأسعار الجملة أي ما يعادل ٨٠٠٠ دولار الكيلوغرام).

سأل مادونا ولامانيا آه – لينغ عما اذا كان يريد التعاون معهما. وبعد هنيهة صمت هز هذا رأسه ايجابا. فاقتربا منه أكثر وطلب منه لامانيا: "ماذا لو تقدم على خطوة أخرى يا آه – لينغ؟ هل أنت مستعد لأن تكون عميلا سريا لنا، فتبقى مع كون وتزودنا كل شيء: الكميات المصدرة ومموني المخدرات والطرق الجديدة التي تشحن عبرها؟ والأهم من كل ذلك أن تفيدنا عن جوني كون وتحركاته."

وهما تعهدا له في المقابل أن يعملا ما في وسعهما لتخفيف الحكم عليه. وحذراه من الا يخدع نفسه، فالخطر ماثل أبداً في لعبته المزدوجة، فاذا اكتشف أمره فلن يبقى حياً.

فهز آه – لينغ رأسه وقال بهدوء: "سأفعل ذلك."

عاد آه – لينغ الى هونغ كونغ حيث التقى بريتشارد وأكبّا معاً على تفحص صور

(٦) تبييض النقود (laundering) يعني توظيف اموال من مصادر غير شرعية وتنقيلها بين مؤسسات مالية مختلفة لاخفاء مصادرها. واهم مصادر هذه الاموال المخدرات والعاب الميسر و"الرقيق الابيض" والتهرب من دفع الضرائب.

قديمة لدى الشرطة لافراد عصابة "الحلقة الكبرى." وبمقارنة الأسماء مع حصيلة عمليات التنصت الهاتفية المسجلة، استطاع بريتشارد ومحللون في الشرطة رسم صورة بيانية للمنظمة تدعى "جدول تحليل الارتباط." وهي شملت كل علاقة مشبوهة بين تجار المخدرات والشركات المقامة واجهة لنشاطاتهم ومزودي المخدرات التايلنديين. وعندما اكتمل الجدول بدا شبيها ببيت عنكبوت ضخم متشعّب بشكل قفّاز اليد.

كان البعد الكامل للبنية التحتية للمنظمة هائلا. فثمة عناوين مخابىء، ومناطق لتوزيع الهيروين في هولندا وألمانيا الغربية، ومستودعات في مانيلا وبناما، ومصنع تجميع ساعات في الباراغواي، وكازينو في تايوان، وحانة وناد ليلي في طوكيو، وشركات لتصدير الفراء في الصين. وكان كل منها، بحسب آه – لينغ، يبيّض الارباح العائدة من المخدرات أو يتولى تمرير شحنات الهيروين والكوكايين. ودفعت هذه المعلومات الاستخبارية تحقيقات مديرية مكافحة المخدرات بسرعة مذهلة في غضون أسابيع.

ظل آه – لينغ طوال خريف ١٩٨٦ يوافي بريتشارد ومادونا بتقاريره. وغالبا ما كان يجري اتصالاته بسياتل من عواصم آسيوية مختلفة في ساعات متقدمة من الليل. وكان يلتقي أيضا عملاء في هونغ كونغ في مداخل أبنية خالية.

ولكن بدا أن جوني كون أخذ يبقي مسافة بينه وبين آه – لينغ، فلم يعهد اليه في مهمات جديدة. وفي حين ظل هذا على اتصال مستمر مع أعضاء في المنظمة، فهو لم يلتقِ جوني كون منذ أشهر، الامر الذي أثار قلق مادونا فتساءل: "هل افتضح أمره؟ لكن هذا مستحيل، والا لكان آه – لينغ هلك."

وكانت كاثرين بالمر تتصل بمادونا أسبوعيا لتطلع منه على أحدث المستجدات، فكان مادونا يزودها كل شاردة وواردة. لكن القضية لم تشهد أي جديد. وفي هذه الاثناء كانت الساعات الطويلة من العمل غير المثمر قد نالت من مادونا، فبدا محياه الفتيّ متغضنا واسودّ الجلد تحت عينيه.

في ١٤ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٧ لاحت لمادونا فرصة، اذ أيقظه رنين جرس الهاتف بجانب سريره في الحادية عشرة ليلا. وكان المتكلم أحد الموظفين في مكتب مديرية مكافحة المخدرات في أمريكا الجنوبية، الذي قال: "وردت الآن برقية الى واشنطن تفيد أن قنصل الولايات المتحدة في الباراغواي أبلغ الى الدوائر المعنية الامريكية أن الشرطة قبضت على أحد الصينيين بتهمة الاتجار بالكوكايين." ووفق الروتين المتبع، وزعت برقية التلكس على العملاء الذين يلاحقون قضية كون.

سأل مادونا: "ما اسمه؟"

فأجاب الموظف: "ريكي تشن."[٧]

كان بريتشارد وآه - لينغ عرفا أن تشن (٣٣ عاماً) من سكان هونغ كونغ هو محاسب "الحلقة الكبرى." وحين استجوبته الشرطة - والاستجواب قد يكون وحشياً في بلدان أمريكا الجنوبية - اعترف بأنه طار من هونغ كونغ الى الباراغواي عبر نيويورك ومعه مبلغ ٢٥ ألف دولار أعطاه اياها كون لشراء مخدرات.

أدرك مادونا للحال أن تشن، اذا ما وافق على التعاون، سيكون الشاهد الثاني الضروري لادانة "عصابة الحلقة الكبرى" وزعيمها. ولكن ثمة مشكلة: فهل يرضى المسؤولون الباراغوايانيون تسليمه؟ علماً أنه لم يكن هناك بعد أي أساس قانوني لترحيله.

تفتّق حل لكاثرين بالمر. فهي عرفت أن القانون القائم يفرض على كل شخص يُخرج معه من الولايات المتحدة أكثر من عشرة آلاف دولار أمريكي نقداً، وان كان توقفه في البلاد قصيراً، التصريح عن المبلغ للدوائر الجمركية. ويعتبر تجاهل ذلك انتهاكاً للقوانين الاتحادية.

وقالت بالمر لريتشارد لامانيا: "أراهنك على أنه لم يصرّح بشيء من ذلك."

أجاب لامانيا: "من السهل جداً التدقيق في الامر." واتصل بالمسؤولين فتأكد له أن تشن لم يعطِ أي تصريح.

قالت بالمر: "اذاً، علينا أخذ المبادرة. سنحاول سريعاً وضع أساس قانوني لتسليم تشن."

وفي أقل من أسبوع تمكنت بالمر من اقناع المسؤولين الامريكيين بعقد اتفاق يقضي بترحيل تشن من الباراغواي وتسليمه الى مديرية مكافحة المخدرات. وكان تشن مسروراً جداً للتخلص من عذاب السجن في أمريكا الجنوبية ومستعداً للادلاء بكل معلوماته.

من خلف الدخان

في ٩ مارس (آذار) ١٩٨٧ سُلّم تشن الى عملاء مكافحة المخدرات ونقل جواً الى نيويورك. واقتيد في اليوم التالي الى مكتب بالمر حيث كشف أبعاد امبراطورية كون المالية وممتلكاته في الولايات المتحدة.

وبتجنيد تشن للشهادة باتت كاثرين بالمر على قاب قوس من توجيه الاتهام. فجأة زالت كل العقبات التي كانت تحول دون نجاح مادونا ولامانيا والمجموعة ٤١ في مهمتهم.

(٧) الاسم مستعار لحماية الشاهد.

في ابريل (نيسان) علم مادونا ولامانيا أن آه – لينغ تلقى اتصالا من جوني كون للمرة الاولى منذ خمسة أشهر، طالبا منه التوجه الى سنغافورة.

قال مادونا لزميله: "ذكره بأن يكون متنبها."

وصل آه – لينغ الى سنغافورة في ١٤ ابريل (نيسان) وتوجه في سيارة أجرة الى أحد الفنادق الفخمة، حيث استقبله جوني كون عند باب جناحه وقاده الى كرسي خال. ولف الصمت عددا من معاوني كون هناك. قُدم الى آه – لينغ فنجان من الشاي بينما راح كون يتفحصه مليا من خلال ضباب دخان سيجارته.

ثم أعلن كون فجأة: "ثمة خائن بيننا، هل يمكنك أن تتصور من يكون؟"

أحس آه – لينغ كأن أصابع من الجليد تلتف حول عنقه، لكنه استطاع بعد بُرهة أن يقول: "هذا صحيح، ان سوء الحظ لاحقنا في الفترة الاخيرة، ولا بد من معرفة الخائن أيا يكن."

نفض كون سيجارته في منفضة. وبدا قلقا. فرجاله يُقبض عليهم، وقد ساءت سمعته لدى ممونيه بالمخدرات، وهم لن يبيعوه بطريقة "الامانة" بل عليه الآن أن يدفع ثمن كل شحنة سلفا ونقدا.

شاهد غال

لم يعد في وسع كون أن يجازف. فقد أعلمته مصادره أن تشن أوقف في الباراغواي وربما كان يتعاون مع المدعي العام في نيويورك. فاذا ثبت ذلك فلن يكون تشن في منأى عن انتقام زعماء العصابة. وسيعرفون من مخبرين مكان احتجازه، وسيقتل كما حل بالآخرين.

تساءل آه – لينغ عما اكتشفه كون أيضا. أتراه يتلاعب به؟ هل يخرج حيا من هذا الجناح؟

ابتسم له كون بهدوء قائلا ان لا شيء من هذا القبيل هو الذي دفعه الى استدعائه الى سنغافورة. فاعتقال تشن اضطر الحلقة الى وقف عملياتها عبر بناما. ولا بد من ايجاد وسائل وطرق بديلة. وأسرّ كون الى آه – لينغ: "ستضطلع من الآن فصاعدا بدور أكثر فاعلية وأوسع نشاطا."

غرق آه – لينغ في كرسيه وقد غمره الارتياح. وأوضح له كون أن ثمة خططا لا تزال قائمة لشحن كميات كبيرة من الهيروبيين. تصل الى حدود طن، لكن عمليات الشراء ستتطلب كثيرا من الوقت والتحضير. وستشحن المخدرات من تايلند في سفن حاويات الى مانيلا أولا ثم الى الساحل الغربي لامريكا. وستكون مهمة آه – لينغ استئجار مستودعات في لوس انجلس بكاليفورنيا.

قال له كون: "إننا نعتمد عليك."

استمر آه - لينغ طوال شهر يوليو (تموز) في الابلاغ عن تحضيرات كون لشحن كميات من الهيروويين في حدود الطن. وفي ذلك الشهر طار مرتين الى نيويورك حيث أبلغ الى بالمر ولامانيا ومادونا أن كون ما زال يرسل الهيروويين الى نيويورك وميامي.

في ٢٩ أغسطس (آب) التقى آه - لينغ عملاء في هونغ كونغ وأفاد أن كون بدأ شراء كميات من الهيروويين وخزنها في تايلند في اطار أحدث شحنة له، وأنه سيتقاضى مليون دولار لاتمام الصفقة. وأضاف أن كون أكد له أيضاً أن الهيروويين يرسل بانتظام، مرة في الشهر، من جمهورية الصين الشعبية الى أوروبا والولايات المتحدة بكميات تراوح بين ٣٥ و٤٥ كيلوغراماً.

في غضون ذلك أصبحت تصفية تشن هاجس كون.

أدرك ريتشارد لامانيا وكاثرين بالمر الخطر الذي يتهدد تشن. وفي سبيل توفير أقصى ما يمكن من الحماية له وضعاه في رعاية أمنية اتحادية.

في أوائل سبتمبر (أيلول) وضعت بالمر اللمسات الاخيرة لقضيتها تمهيداً لتقديمها الى المحكمة العليا آملة أن تنال حق توجيه اتهامات ضد كون وما لا يقل عن عشرة من أفراد "عصابة الحلقة الكبرى."

في ٢٣ سبتمبر (أيلول) حظيت بالمر، من حيث لم تتوقع، بشاهد آخر هو لاو شو - مينغ أحد المساعدين النافذين لمجلس "الحلقة الكبرى." وكان قرر تهريب كمية من المخدرات لحسابه الخاص الى الولايات المتحدة، فقبض عليه في لوس انجلس وفي حوزته خمسة كيلوغرامات مخبأة في حقائبه.

طار مادونا من سياتل والتقى لاو في السجن الاتحادي. فتبين له أنه ذلك الرجل الغريب الأنيق الذي لفت انتباه بريتشارد أثناء محاكمة طومي تشن قبل نحو سنتين. وكانت احدى عينيه لا تزال مصوبة الى الاعالي والاخرى ترف بسرعة وعصبية.

بادره مادونا: "قيل لي إنك راغب في مساعدتنا، أهذا صحيح؟"

كان لاو راغباً فعلاً في التعاون، اذ لم يكن في نيته دخول السجن. وكشف لمادونا كيف كان القتلة الذين يعملون للمنظمة يتعقبون الشهود بمعاونة ضباط شرطة فاسدين وبواسطة شبكة من التحريين الخاصين منتشرة في أنحاء العالم. وصمت لاو برهة ثم أضاف: "أنا نفسي بعثت برسالة الى طومي تشن بعد محاكمته، أهدده بقتل زوجته وأفراد عائلته اذا هو تكلم. وقد أكون أنا أيضاً رجلاً هالكاً."

ثم تحدث عن جريمة قتل أخرى وقعت حديثاً، حين حاول أحد منافسي كون في الحلقة الكبرى الانفصال، فتعقبه رجال كون الى الباراغواي حيث سحقوا جمجمته بمطرقة ورمّدوا جثته.

سأله مادونا: "هل توافق على أن تكون شاهدا؟"
أجاب: "نعم."
فاتصل مادونا ببريتشارد في هونغ كونغ ثم بلامانيا في نيويورك وزف اليهما الخبر. وبعد يومين كان لاو جالسا في مكتب كاثرين بالمر يكرر أمامها روايته.

وفي ١٥ ديسمبر (كانون الاول) التأمت هيئة محلفين كبرى في نيويورك للنظر في قضية مسؤولية كون عن خمس شحنات مخدرات، بدءا بالكمية المصادرة من سفينة الصيد ومن مستوعبات مكعبات الثلج في سياتل. وفي ٢١ ديسمبر (كانون الاول) قدمت بالمر مرافعتها.

بعد يومين وافقت هيئة المحلفين على توجيه تهم ضد كون و١٤ من صحبه. وخُتمت ملفات الاتهامات وحفظت في سرية تامة لئلا يدري بها كون والآخرون قبل توقيفهم.

الرجل الحرباء

تكثفت مطاردة جوني كون، فاستُنفرت دوائر شرطة مكافحة المخدرات، بما فيها الانتربول، في ١٢ دولة على الاقل. لكن كون بقي طليقا متملّصا في تنقل زئبقي دائم. وظل آه - لينغ وحده على اتصال به عبر مكالمات هاتفية سرية كانت تجرى في وقت متقدم ليلا.

وكانت لقاءاته مع عملائه تتم في أماكن مختلفة. ففي ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٨ عقد اجتماعا في طوكيو، وفي أوائل فبراير (شباط) عقد آخر في أحد فنادق تايبه، ثم في ٢٥ فبراير (شباط) أمر آه - لينغ بالتوجه الى طوكيو. وكانت الترتيبات أنجزت لشحن دفعة أولى من الهيروويين تبلغ نحو ٤٠٠ كيلوغرام من بانكوك الى مانيلا. لكن مشكلة واجهت كون تتعلق بتأمين أموال نقدية ثمنا للمخدرات، وتطلبت تدخل آه - لينغ.

كانت التكاليف الضخمة لمشتريات الهيروويين استنزفت موارد كون، وتعين عليه أن يبيع بعض عقاراته في نيويورك وسان فرنسيسكو. وقدر أن يحصل بذلك على نحو ٢٠ مليون دولار، فكلف آه - لينغ التوجه الى الولايات المتحدة وايجاد مشترين.

قال لامانيا لبالمر: "معنى ذلك كميات ضخمة جداً من المخدرات!"

ثم رسم مع كيفن دونلي وادوارد مادونا في سياتل خطة يطلب وكلاء العقارات بموجبها من كون الحضور شخصيا لتوقيع عقود البيع. وحين يُستدرج كون الى الولايات المتحدة يقبض عليه عملاء مكافحة المخدرات. في غضون ذلك يشن رجال الشرطة بامرة بريتشارد في هونغ كونغ حملة اعتقالات تشمل أعضاء آخرين في "عصابة الحلقة الكبرى."

أطلع بريتشارد آه – لينغ على الخطة المدبّرة، وكان على هذا أن يسافر الى نيويورك ويعود منها ليشرح لكون أن الشاري أصر على حضور المالك شخصياً لانجاز المعاملات النهائية.

خامر كون شك وأوجس خديعة. وتساءل: هل صحيح أن لا بد من ذهابه؟ وما الفائدة من توكيل محامين ودفع بدلات أتعابهم؟ لكنه وافق أخيراً على الذهاب، فقد اجتذبه المال كمغنطيس. وفي مكالمة هاتفية مراقبة طلب من كون أن يلتقيه الثامنة مساء ١٣ مارس (آذار) في مقهى فندق هيلتون بنيويورك. والتزاماً منه الحذر المطلق لم يذكر كون كيف سيأتي ومتى ومن أين.

قبل يومين من الموعد المتوقع لوصول كون توجه مادونا من سياتل الى المقر الرئيسي لمديرية مكافحة المخدرات في نيويورك لحضور اجتماع أخير نوقشت فيه التعليمات النهائية تمهيداً لاعتقال كون. ولم يكن أحد من العملاء رأى قبلا "الرجل الحرباء" الذي يتنكر بأشكال مختلفة. فوزع عليهم مادونا ولامانيا الصور القليلة التي كانت في حوزتهما وأمراهم: "احفظوا صورته في ذاكرتكم جيداً والتزموا الحذر. ان كون نادراً ما يسير الا ومعه من يحمي ظهره."

اتصل مادونا ببريتشارد في هونغ كونغ، مشدداً على ضرورة ألا يتعدى الفارق الزمني في توقيت تحركهما جزءاً من الثانية. فما ان يعتقل كون في نيويورك حتى تعطى الاشارة لمباشرة توقيف الاعضاء الآخرين.

فرد بريتشارد: "هذه المهمة غاية في السهولة."

الساعة الصفر

كان الطقس مساء الاحد ١٣ مارس (آذار) بارداً وعاصفاً. وضرب عملاء المجموعة ٤١ طوقاً حول فندق هيلتون وتوزعوا في الشارع مختبئين في مداخل الابنية المقابلة لردهة الاستقبال. وجلس مادونا الى طاولة في مقهى الفندق يراقب ساعته. كان ذلك قبل دقائق من "الساعة الصفر." وجلس لامانيا قبالته، وقريبا منهما جلس كيفن دونلي العميل الاول في المجموعة، وراح ينقر على الطاولة بعود شراب متظاهراً باللامبالاة فيما داخله يعتمل اثارة، اذ لم يغب عن باله تحذير لامانيا من ان كون يؤمن دائماً حماية قوية لظهره، وربما كان رجاله منتشرين مثلهم يترصدون ويراقبون.

وتجاوز الوقت الساعة الثامنة. وغصّت الردهة بالناس. لكن أحداً لم ينضمّ الى آه – لينغ الذي بقي منتحياً احدى الزوايا.

وتلاحقت صور مراحل التحقيق كشريط سينمائي في مخيلة مادونا: بداية القصة في مطار سياتل – تاكوما، ومعلومات الكمبيوتر، والبحث المستمر، وهاوية البايسبول

مساعدة المدعي العام القليلة الخبرة، والشرطي السابق في هونغ كونغ الذي أصبح أفضل صديق. باستثناء لامانيا، بدأ العملاء يلاحقون القضية أغرارا يتحدون شبكات تجارة المخدرات الاوسع انتشاراً والافضل تنظيما. ومذذاك تحول كل واحد منهم محترفا بامتياز، وازداد مادونا معهم قوة وثقة بالنجاح. وهو الآن يكاد لا يصدق أن القضية توشك على الانتهاء.

وما عتّم أن قطع حبل أفكاره مرور رجل صيني حسن الهندام مشى متمهلا متلفتا كمن يبحث عن شخص ما. كان الرجل قصير القامة مكتنزا، وفي معصمه ساعة لماعة مرصّعة بالحجار الكريمة، وعيناه قاتمتان تتحركان كالزئبق.

حبس مادونا أنفاسه. هل هذا رجل أعمال أم...؟ بدا له واضحا ان لا حرس معه ولا كشافة كامنين قرب الباب لانذاره. أحسّ مادونا ضيقا وحيرة. فهو يعلم أن كون لا يسافر بعيداً الا ومعه مسلحوه. أما دونلي فتطلع الى الرجل وتابع النقر على الطاولة.



عاد الرجل بعد لحظات، فنظر الى آه – لينغ وأشار اليه لينتقل الى قاعة الطعام.
جلس كون وآه – لينغ في المطعم، وتبعهما العملاء الثلاثة بعد لحظات وجلسوا قريباً من المدخل حيث يستطيعون مراقبة الأبواب بعيداً من الرجلين لئلا يثيروا الانتباه. وراقب مادونا، بطرف عينه، كون وآه – لينغ وهما يبحثان في قضية البيع. وبعد ساعة نهض كون وارتدى معطفه وخرج من الباب الخلفي المفضي مباشرة الى الشارع، وخفَّ مسرعاً متوجها جنوبا. فتبعه رجال المكافحة. وقال مادونا وقد أصبحوا قريبين منه: "الآن!" وما هي الا لحظات حتى أدركوه، فشهر دونلي مسدسه وهتف لامانيا: "سيّد كون! رجال المكافحة الاتحادية، أنت موقوف!"
استدار جوني كون ببطء وقد خلا وجهه من أي تعبير، وقال بهدوء: "انكم مخطئون، أنا السيد ونغ."
ثم حضرت سيارة للمكافحة فهتف لامانيا: "كبلوا يديه ولنذهب من هنا."
دُفع كون الى المقعد الخلفي للسيارة وهو ما زال يردد محتجا أنهم قبضوا على الرجل الخطأ. وفي الطريق الى مقر مديرية المكافحة تلا عليه لامانيا حقوقه.
وقرابة منتصف الليل اتصل لامانيا هاتفيا ببريتشارد وأنبأه باعتقال كون. وبعد ساعتين تلقى اتصالا أبلغ فيه أن شرطة هونغ كونغ اعتقلت معظم المطلوبين المحليين في العصابة.

المرأة التنّين

عكفت كاثرين بالمر في مكتبها على اعداد مذكرة استدعاء كون الى المحكمة في اليوم التالي، ثم وضعت المسودات النهائية لطلبات تسليم معاوني كون الذين قبضوا عليهم في هونغ كونغ. وما ان أنهت عملها حتى غلبها الانهاك فنامت على الأريكة.
اقتيد جوني كون في العاشرة قبل ظهر ١٤ مارس (آذار) ١٩٨٨ الى المحكمة الاتحادية في بروكلين. وبدا واثقاً ببراءته حتى سماعه تلاوة التهم الموجهة اليه وعلمه بالقبض على الآخرين وأنه لن يطلق بكفالة.
وفي الطريق الى زنزانته التفت الى كيفن دونلي وقد استدقت حدقتاه حتى أصبحتا كرأسي ابرتين وقال بصوت بارد خفيض: "سيموت الآخرون ثم تموت أنت!"
لم يكترث دونلي لكلام كون واعتبره تهديداً فارغا. لكن مديرية المكافحة علمت لاحقا أن ثمة خطة مدبّرة لخطف دونلي وحقنه جرعة قاتلة من الهيرويين. وكادت كاثرين بالمر أن تقضي ضحية انتقام تجار المخدرات الآسيويين الذين أرسلوا الى مكتبها حقيبة يد مفخخة داخلها بندقية مقصَّرة معدة للانطلاق لحظة فتحها. لكن رجال المكافحة تنبهوا الى الخطر ومنعوا بالمر من فتح الحقيبة.

بعد سجن القائد تفرقت "عصابة الحلقة الكبرى" وتبعثرت. وفي ١٨ مارس (آذار) قبض رجال بريتشارد على أحد كبار معاوني كون لدى عودته الى هونغ كونغ من مانيلا. وسُلِّم الى الولايات المتحدة في ٢٥ مارس (آذار) ثم انتحر شنقاً في زنزانته. في غضون ذلك قبض رجال المكافحة في الحي الصيني بنيويورك على موزع آخر لكون، وعُلم أن ثمة موزعا ثالثا في الصين.

وضاعفت مديرية مكافحة المخدرات حراستها للشاهدين تشن وآه - لينغ، فكانت تنقلهما باستمرار الى أماكن مختلفة. وصادر عملاؤها رسائل بعثها كون من السجن عارضا مبالغ طائلة لقتل أولئك الذين سيشهدون ضده. لكن الخوف الذي كان يثيره سابقا في قلوب أعضاء "عصابة الحلقة الكبرى" تلاشى. حتى ان طومي تشن، المهرب الذي اعتقل في مطار سياتل، قبل التعاون في مقابل أن ترأف به المحكمة.

وأخيراً، بعد مساومات تمهيدية استمرت أكثر من سنة، اعترف جوني كون بصحة كل الاتهامات التي وجهت اليه. وفي ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ حكم عليه بالسجن ٢٧ سنة في سجن اتحادي.

لكن المجموعة ٤١ لم تنتظر نتيجة المحاكمة للاحتفال بما أنجزته. فبعد يومين من اعتقال كون حجز لامانيا ومادونا وعملاء المجموعة مقهى في شارع مانهاتن وأقاموا حفلة احتفاء بانتصارهم في معركة المخدرات الطويلة. وكانت كاثرين بالمر ضيفة الشرف. وقال لامانيا إنه لولا اخلاصها ومثابرتها لما استطاعوا بلوغ النجاح. وعرف الجميع قوة شكيمتها وفضلها في كسر حلقة المخدرات الجهنمية، وأطلق عليها سكان الحي الصيني لقب "المرأة التنين."

ونوّه المدعي العام الامريكي ريتشارد ثورنبرغ لاحقا بخدماتها المميزة، وهذا هو الشرف الارفع الذي تمنحه الدائرة.

ومنح بريتشارد، الذي صار الآن كبير مفتشي دائرة التحري، شهادة استحقاق من حاكم هونغ كونغ وجائزة الخدمة العامة من دائرة العدل في الولايات المتحدة، وهذه واحدة من المناسبات القليلة تمنح فيها الجائزة لضابط أمن غير أمريكي.

وظل لامانيا وبالمر يقودان حملات اختراق لمعاقل تجار المخدرات في آسيا. وبفضل جهودهما كشف النقاب عن معظم شبكات تهريب الهيروين الآسيوية.

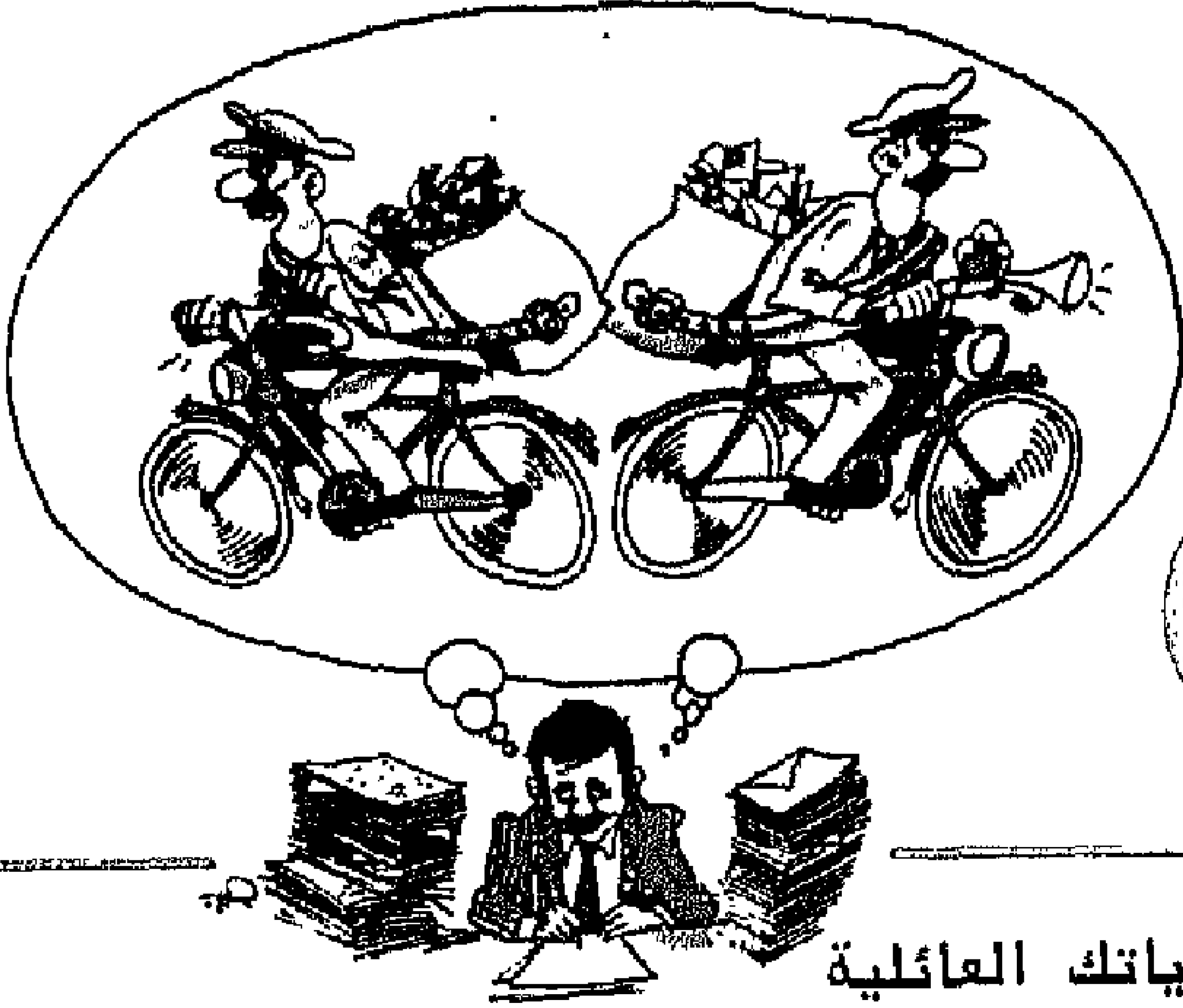
ناثان ادامس ■

ترجمة الياس عقل

الكتب سند لنا في وحدتنا، وهي تجنبنا ان نصبح عبئا على انفسنا.

جيريمي كولبير، كاتب بريطاني

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"فضة الغابة" – زيتية للفنانة الامريكية اليزابيث أوالت، ١٩٨٨

مارس (آذار) ١٩٩٢ - رمضان ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest March '92 N° 160

أوسع المجلات انتشارًا في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهريًا

٤ قواعد لنحافة دائمة
(ص ٣٣)

كفاحي ضد الايدز
(ص ٢٨)

الخطر النووي في أوروبا الشرقية
(ص ٩)

أجمل نساء الدنيا
(ص ١٧)

Reader's Digest

المختار من ريدرز دايجست

مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.

مديرة التحرير: راغدة حداد. محررة مساعدة: لورا نفاع. الاشتراكات: فريال علاف.

مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس. الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.

رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.

المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.

التحرير والادارة: بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.

التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE . الهاتف: (١) ٣٤١٥٩٧/٣٧٠٥٧٥.

الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف (١)٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤

التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ – فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان

التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.

الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية – البوشرية، المتن الشمالي – لبنان.

التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.

Managing Director: Dany Dahdah-Baz.

Makdessi St., Shartouni Bldg., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.

Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE. Tel. (1) 341597 / 370575

Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O.Box 11-688, Beirut, Lebanon.

Telex 43283 PRESSE LE. FAX (1) 864572. Tel (1) 216058/327484

Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

March '92 N° 160 (New Series) Vol. 14

ريدرز دايجست

المؤسسان دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون. مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

تنشر "ريدرز دايجست" في اللغة الانكليزية (الطبعات الاميركية، الكندية، البريطانية، الاوسترالية، النيوزيلندية، الافريقية الجنوبية، الهندية والاسيوية) وفي الفرنسية (الطبعات الفرنسية، الكندية، البلجيكية والسويسرية) وفي الاسبانية (الطبعات الاميركية اللاتينية والاسبانية) وفي البرتغالية والاسوجية والنروجية والدانمركية والفنلندية والالمانية (الطبعتين الالمانية والسويسرية) وفي الايطالية والهولندية (الطبعتين الهولندية والبلجيكية) والصينية والروسية والهنغارية والكورية والهندية، الى العربية. وهي تنشر ايضاً في طبعة خاصة بحروف كبيرة، وفي طبعة بحروف بريل، وعلى اشرطة مسجلة.

لبنان ١٥٠٠ل – سورية ٧٥ل – الأردن ١د – الكويت ١د – الامارات العربية المتحدة ١٠د – قطر ١٠ر – البحرين ١د
السعودية ١٢ر – مصر ٢ج – السودان ١ج – ليبيا ٥٠٠د – الجمهورية اليمنية ٢٥ ر – مسقط ١ ر – قبرص ١،٥ ج
تونس ١د – المغرب ١٠د – الجزائر ٧د – انكلترا ١،٥ج – اليونان ٤٠٠د – كندا وامريكا الشمالية ٢،٥د



- ليس حمل الناس على محبتك سوى الوجه الآخر لمحبتك أنت اياهم.

نورمان بيل، كاتب ومحرر

- الايمان هو تصديقنا أموراً يحملنا العقل على رفض تصديقها.

ج.س.

- الأعذار مداميك تبنى بها بيوت الفشل.

و.ن.

- يبدو أن كلّ شيء يتغيّر، فالناس باتوا يأخذون ما يقوله الممثلون الهزليون على محمل الجد وما يقوله السياسيون على سبيل المزاح.

ويل روجرز، فكاهي وممثل أمريكي

- كن صبوراً مع الجميع. ولكن، قبل كل شيء، كن صبوراً مع نفسك.

ق.ف.

- اذا فكرت طويلا في ما ستقرر أن تفعله بحياتك، فستكتشف في النهاية أنك فعلت ما قررت.

ب.ش.

- لا يقتصر فنّ المحادثة على قول الكلمة المناسبة في الوقت المناسب، بل يتعداه الى عدم قول الكلمة الخطأ حين تغري اللحظة بذلك.

د.ن.

- نحن، من دون ثقافة، في خطر رهيب من أن نصدّق كل ما يقوله لنا المثقفون.

غ.ك. تشسترتون، كاتب بريطاني

- كل ما يستحق الاعزاز في هذا العالم يبدأ بالقلب، لا بالرأس.

س.ت.

كاتب فكاهي يفشي بعض الأسرار في مهنة إضحاك الآخرين



إضحاك الناس... فن

عمل جين بيريت طوال عشرين سنة في تأليف نكات للكوميدي الأمريكي بوب هوب، وكان السفر جواً من صميم عمله. وفي إحدى الرحلات، بينما كان منشغلا عن الاصغاء الى تعليمات النجاة التي تتلوها المضيفة على مسامع الركاب، استرعت انتباهه عبارة فأرهف السمع. قالت المضيفة: "هناك خمسون طريقة للتخلص من حبيب، ولكن ثمة خمس طرق فقط للخروج من هذه الطائرة." وأضافت قبيل الاقلاع: "الرجاء اعادة المقاعد الى وضعها المستقيم الأكثر إزعاجاً، وبعد الاقلاع يمكنكم ارجاعها وكسر ركبتي المسافر الجالس خلفكم."

ويستشهد بيريت بهذه الطرفة لدلالتها. فروح الفكاهة تلفت انتباه أي شخص وتمرّر الرسالة المطلوبة. يقول بيريت: "يعجز بعض الاشخاص عن

CONDENSED FROM FORBES (OCTOBER 15, '90), © 1990 BY FORBES, INC., NEW YORK, N.Y.
ILLUSTRATION: CARY HENRIE

رواية أي طرفة حتى إن تكن روايتها تنقذهم من حبل المشنقة. ولكن في وسع كل انسان أن يكتسب روح الدعابة ويتعلّم فنون الظرف ويبرع فيها."

ويكمن السر في تنمية أسلوب خاص واتقان بعض الخدع والتمرن عليها وقتا كافيا.

والخطوة الاولى التي يوصي بها بيريت هي جمع "زاد" من القصص الطريفة. دوّنوا ٢٥ طرفة تجدونها مضحكة. ثم حاولوا أن تعرفوا إن كنتم تنجحون أكثر في رواية الطرائف الطويلة أو في رواية النكات المحكمة المقتضبة. لا تحاولوا الظهور بغير مظهركم. يقول بيريت ان تبنّي المرء مواضيع غير مناسبة يشبه تعليم حمار الغناء مما يزعج الحمار ويضيع وقت المعلّم.

ابحثوا عن الفكاهة على الدوام وليس فقط قبيل عزمكم على استعمالها. وقد تفي كتب الطُرَف بالطلب، الا أن بيريت يقترح البحث عن مواضيع في ثنايا الذاكرة. ويذكر مثلاً يوم جاءته ابنته الصغيرة، وكانت في صف الحضانة، وأخبرته أن المعلمة طلبت منها القاء قصيدة في حفلة المدرسة. فعرض عليها تأليف قصيدة خاصة تلقيها، لكنها أجابته: "لا يا أبي، فأنا سألقي القصيدة أمام المدرسة كلها، لذا أفضّل أن تكون جيدة."

فما من طرفة تريح الناس أكثر من تلك التي تنتقص من ذات صاحبها.

وينصح بيريت بتعديل الطرفة بحيث تلائم أسلوب الراوي وألفاظه.

ومن الضروري أيضا تكييف المواضيع وفقا للسامعين. تحدث بيريت مرة أمام جمع من مديري مطاعم "ماكدونالد" للوجبات السريعة، فقال: "لقد باعت مطاعم ماكدونالد أكثر من ٧٥ مليار شطيرة همبرغر. وهي تمكنت من احصاء العدد تحديداً لأنها باشرت اليوم استعمال الكيلوغرام الثاني من اللحم المفروم."

يقول بيريت: "كلما كانت الدعابة دقيقة ووثيقة الصلة بالموضوع زادت قدرتها على إضحاك المستمعين."

ولكن حاذروا الدعابة المهينة. ففي حفلة أقامتها إحدى الشركات روى بيريت طرفة طويلة تدور حول آلة طابعة لم تعمل يوماً. وفي منتصف الرواية استشاط مدير القسم الذي أنتج الآلة ونَهَر بيريت. وقد تعلم هذا منذ تلك الحادثة عدم المساس بمشاعر الآخرين والتزم السخرية من الامور التي يسخر أصحابها من أنفسهم علناً.

وعندما يهزأ بوب هوب بأحد الرؤساء فان سخريته لا تنال من السياسة الخارجية للرئيس بل من لعبة الغولف التي يمارسها أو من خيباته في الصيد.

واحدى القواعد الاساسية في فن بيريت هي الآتية: "اذا شككتَ في سلامة النكتة، فلا ترووها."

وينصح بيريت باسقاط فكرة بدء خطاب أو انهائه بطرفة، لأن ذلك يعكس شعوراً بعدم الثقة. أما اذا كنتم تصرون على سماع قهقهة قبل التطرق الى

موضوع خطابكم، فتذكروا أن تحمّلوا الطرفة مدلولا قوياً يدعم الخطاب.

ولكي تدعموا مقصدكم أعقبوا كلمتكم بطرفة صائبة. طلب مدير من موظفيه التصدي للمسائل المستعجلة أولاً، ودعم حجته بالآتي: "هناك مثل شائع في بلدتي يقول: إن اضطررت الى ابتلاع ضفدعة فلا تطل النظر اليها."

واذا شعرتم بضرورة إنهاء حديثكم بطرفة، فتحققوا من أنها ستلقى نجاحاً. فعندما تخيب طرفة الختام تتعسر تسوية الوضع لاحقاً.

الكوميديون المتمرسون أنفسهم لا يستبعدون الاخفاق بل يستعدون له ويستعينون عند الحاجة بما يعوض خيبتهم. حين يلقي بوب هوب طرفة فاشلة فانه يتبعها بعبارة مثل: "قالت لي زوجتي ان هذه الطرفة لن تضحك الناس، وأرى أنكم من رأيها."

واليكم تعليمات أخيرة: لتكن طرفتكم قصيرة، وأخبروها بروية، ولكن مهما تكن مضحكة فاياكم أن تستغرقوا في الضحك وأنتم تروونها.

ديان مشان ■

Reader's Digest
المختار

مارس (آذار) ١٩٩٢
رمضان ١٤١٢

السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة

مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

تقرير خاص

الخطر النووي في أوروبا الشرقية

المفاعلات النووية في أوروبا الشرقية تفتقر الى أنظمة سلامة وافية وتهدد بحدوث كوارث نووية في المستقبل القريب

لو كان للقلق أن يولّد طاقة كهربائية، لاستطاع جوردان جوردانوف بمفرده اضاءة بلغاريا كلها. لكنه بدل ذلك مضطر الى الاعتماد علىً مفاعلات نووية هي من أقدم المفاعلات في الخدمة. جوردانوف هو المسؤول عن السلامة في مصنع الطاقة النووية الوحيد في بلغاريا الكائن في كوزلوداي على مسافة ١٢٠ كيلومترا من شمال العاصمة صوفيا. وحياته ليست سهلة، اذ يقول: "لدي نصف ما أحتاج اليه من العمال المجازين، وجهازا كمبيوتر من دون طابعة، وآلتان ناسختان من دون ورق، وتُكتب تقاريرنا باليد اذ لم تعد لدينا أشرطة للآلات الكاتبة."

تعرَّض مصنع الطاقة في كوزلوداي في يونيو (حزيران) ١٩٩١ لاقسى عملية تفتيش في تاريخه جاءت نتائجها مذهلة ومثيرة للذعر. فقد أفاد فريق من المفتشين الغربيين الذين أوفدتهم الوكالة الدولية للطاقة الذرية في تقريرهم الذي

PHOTOS: ARNAUD ADIDA/GAMMA.

غطى ١٤٤ صفحة، أن حالة المصنع "غير مقبولة" وحذروا من أنه "من غير الحكمة" تشغيل أربع من الوحدات الست في المصنع. وخلال عشرة أيام في يوليو (تموز) اكتشفت ثلاث حالات تسرب اشعاعي واندلع حريق واحد.

تؤوي كوزلوداي أربعة من أصل ٢٤ مفاعلا نووياً سوفييتية التصميم تعمل بالماء المضغوط وتستخدم لتوليد الطاقة في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفييتي. ومنها ثمانية في تشيكوسلوفاكيا وأربعة في المجر (هنغاريا) وثمانية في الاتحاد السوفييتي. وظلت ألمانيا "الشرقية" تستخدم أربعة من هذه المفاعلات حتى اعادة توحيد الالمانيتين عندما أمرت الحكومة في بون باغلاقها لانها لا تفي بمقاييس السلامة المعتمدة في الغرب.

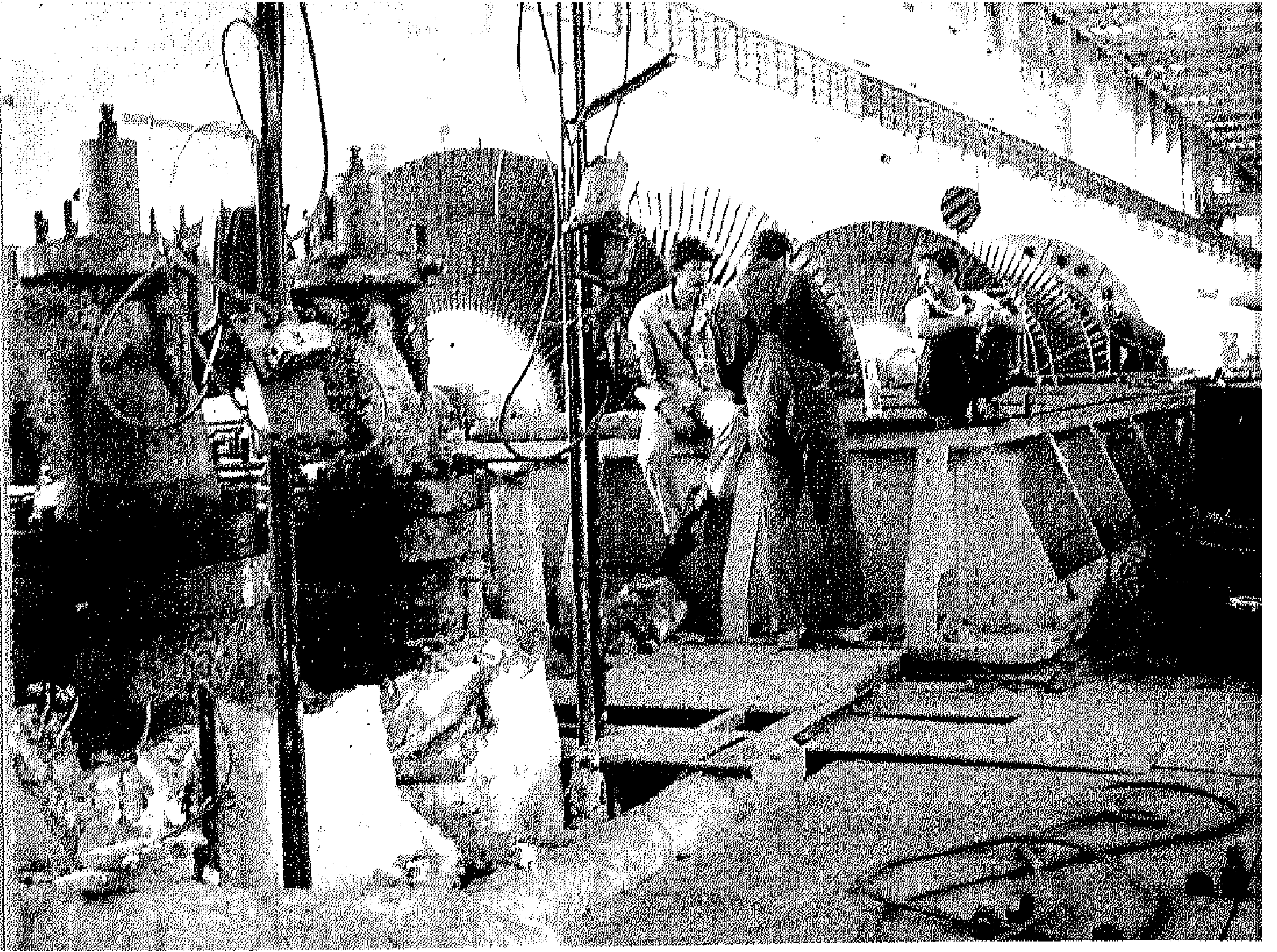
وتعتبر هذه المفاعلات من وجهة نظر عدد متنام من النقاد كوارث كامنة تنتظر الوقوع. وتكتسب التحذيرات في شأنها صدقية اكبر لانها تصدر أيضاً عن هيئات تؤيد استخدام الطاقة النووية لتوليد الطاقة، ومن أبرزها الوكالة الدولية للطاقة الذرية وهي سلطة الرقابة التي أقامتها منظمة الامم المتحدة للاشراف على مصانع توليد الطاقة النووية في العالم، واللجنة الاستشارية الدولية للشؤون النووية وهي "نادٍ" مستقلّ من علماء ذرة ومسؤولين حكوميين ومديري مصانع من ٢٤ بلداً. حتى نادي موسكو الدولي للطاقة، وهو هيئة مستقلة من الخبراء، انضم الى دعاة القيام "باجراء طارىء ورئيسي" لدراسة هذه المفاعلات التي عفاها الزمن لتقرير اصلاحها أو اغلاقها.

ويحذر ولفغانغ كرومب عضو اللجنة النمسوية التي تولت فحص المفاعلات الاربعة في المصنع التشيكوسلوفاكي للطاقة في بوهونيس التي تبعد ٥٥ كيلومتراً فقط عن الحدود مع النمسا، من "احتمال مواجهة انصهار في قلب المفاعل النووي[1] على المدى الطويل اذا استمر تشغيل المفاعلات." وهذا ما حدث في تشيرنوبيل: انصهار يحترق خلاله الوقود النووي من دون ضابط داخل قلب المفاعل فتتسرب ذرات مشعة الى الجو والارض.

ضمّنت اللجنة تقريرها الذي صدر في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ "سيناريو" حادث رهيب يمكن أن يقع في بوهونيس: اذا حصل انصهار نووي، وكان الطقس صاحياً في الموقع والريح تهب خفيفة من الشرق والطقس ماطراً في النمسا، فستتلوث مساحة ٧٥٠ كيلومتراً مربعاً الى الشمال من فيينا الى درجة خطيرة جداً خلال ساعات قلائل. وسيقتضي التسمم الاشعاعي اجلاء فورياً للسكان من منطقة التلوث.

طلبت الحكومة النمسوية التي أقلقها التقرير اغلاق اثنين من المفاعلات الاقدم في بوهونيس. وعرض المستشار النمسوي فرانز فرانيتزكي تعويض تشيكوسلوفاكيا النقص في الطاقة الكهربائية الناتج من اغلاق المفاعلين،

(١) A core meltdown



ورشة صيانة توربينات في مصنع كوزلوداي النووي لانتاج الطاقة حيث أوضاع العمل "غير مقبولة" والحوادث حتمية.

لكن تشيكوسلوفاكيا رفضت العرض.

عندما صمم السوفييت هذا "الجيل" المبكر من المفاعلات «VVER-440» في أوائل الستينات، اعتبرت آمَنَ كثيراً من الطراز ذي القلب الغرافيتي في تشيرنوبيل. فهي أصغر، ولذلك تحتوي على كمية أقل من اليورانيوم، ثم إن ابطاء التفاعل النووي وضبطه أسهل فيها. وهي تحوي الى ذلك كمية من الماء داخل دوائر التبريد أكبر مما تحويه المفاعلات التي تعتمد القلب الغرافيتي، مما يشكل نظرياً حماية أفضل من الانصهار. ولكن خلافاً للنماذج الغربية، لم تكن لأي من المفاعلات السوفييتية قبة حاوية[٢] ذات جدران كثيفة من الفولاذ والاسمنت لحصر الاشعاعات في حال حصول تسرب خطير أو انصهار.

ممارسات خطرة. قمت عام ١٩٩٠ بجولة على مصانع الطاقة النووية في بلغاريا وألمانيا "الشرقية" وتشيكوسلوفاكيا للاطلاع على مشاكلها عن كثب. وحالما وصلت الى مصنع كوزلوداي في بلغاريا شاهدت أنابيب خضراء ضخمة تمتد من مجمّع من

(٢) Containment dome

المباني الاسمنتية الخفيضة عبر حقول القمح السمراء في اتجاه البلدات القريبة لتغذيتها بالحرارة. ومعلوم أن القوة الزلزالية[٣] لهذه المنطقة من سهل الدانوب هي ٦ درجات بمقياس .M.S.K. ولم تُراع في تصميم مصنع الطاقة في كوزلوداي مقاومته للهزات الارضية. فلما تعرضت المنطقة عام ١٩٧٧ لهزة راوحت قوتها بين ٥ و٦ درجات، قاربت أنابيب التبريد الرئيسية حد التمزق وتسريب البخار المشبع بالاشعاعات.

ما ان دخلتُ المصنع حتى قادني أحد الموظفين الى غرفة التوربينات (العنفات) حيث تصمّ الضوضاء الآذان وحيث انتشرت على الارض بقع من الزيت والماء. وكانت الثقوب في الارض المعدنية فاغرة بعرض متر، والخرق البالية وكسر الخشب مصائد سهلة للحرائق. وقد شهد مصنع كوزلوداي أكثر من ثلاثين حريقاً منذ أبريل (نيسان) ١٩٨٧، حصل ١٢ منها في العام ١٩٩٠ وحده. ويزداد خطر هذه الحرائق في غياب فواصل عازلة للنار بين أقسام المصنع.

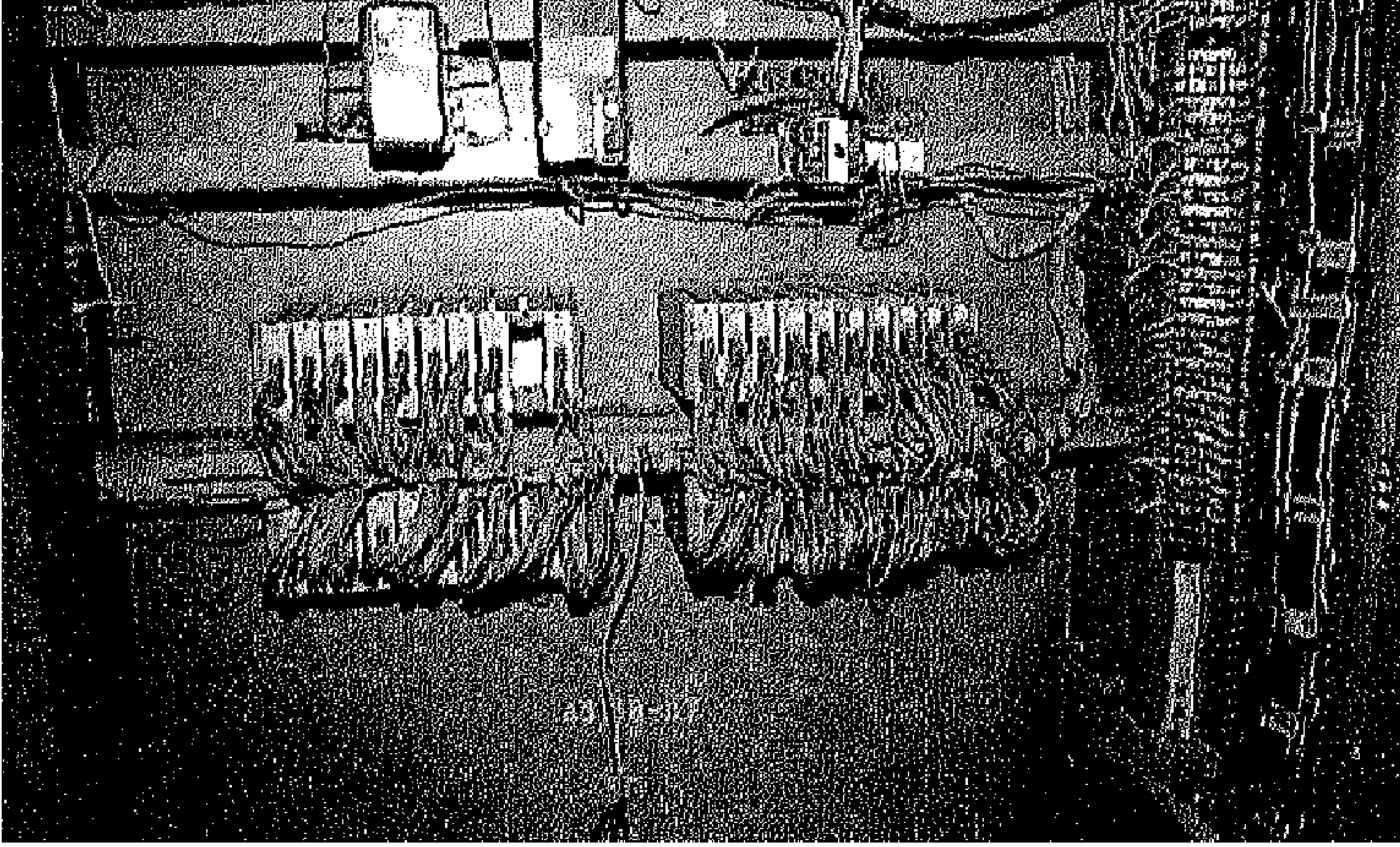
توقفتُ خارج غرفة المراقبة لوحدة الانتاج الرقم ١ لانظر الى أجهزة التشغيل الكهربائية. كل الدوائر، ويعود تصميمها الى الستينات، هي ميكانيكية وليست الكترونية كمثيلاتها في الغرب. وميزة مفاتيح التشغيل الالكترونية أنها ذاتية المراقبة تختبر أداءها كل بضع ثوان، أما في النماذج المستخدمة في كوزلوداي، فيتولى تقني فحص كل دائرة يدوياً، وهي يمكن أن تتعطل بعد دقيقة من الفحص.

تترك هذه التكنولوجيا العتيقة النظام الكهربائي عرضة للخطأ البشري. ويعمد المهندسون في مصنع غريفسفالد النووي لتوليد الطاقة في ألمانيا "الشرقية" الى حشر علب سجائر فارغة بين نقاط تماس المرحّلات[٤] لتقويم بنية الاجهزة.

وثمة خطأ رئيسي آخر في تصميم هذه المصانع هو تجميع أنظمة السلامة في مكان واحد بدلا من ابقاء نظام الدعم الاحتياطي مفصولا تماماً كما في مصانع الغرب. لذا قد يؤدي حريق أو فيضان أو أي خلل فني آخر في غرفة واحدة الى تعطيل أنظمة السلامة حول المفاعلات حيث أهميتها الرئيسية. وقد تسبّب حريق شب في غرفة المفاتيح الكهربائية في غريفسفالد عام ١٩٧٥ في انقطاع تام للتيار الكهربائي شلّ جميع مضخات التبريد الاثنتي عشرة لاحد المفاعلات، وبدأت الحرارة داخل قلب المفاعل ترتفع على نحو خطر. فهرع العمال مسعورين في كل اتجاه لاخماد النار واعادة التيار وتشغيل المضخات، وتمكنوا في النهاية من اعادة تشغيل احدى المضخات وتفادي حصول انصهار.

لم تظهر القصة في الصحف الا بعدما بادر عاملون ألمان شرقيون الى ابلاغ حكومة ألمانيا الغربية بالحادث عام

(٣) Seismic intensity
(٤) Relay contacts



أسلاك كهربائية مكشوفة على لوحة التحكم في كوزلوداي.

١٩٩٠، فترافقت وأخباراً أخرى عن ممارسات خطرة في غريفسفالد مما أثار ضجة واسعة في أوساط الرأي العام. وفي نهاية تلك السنة أغلق آخر المفاعلات الاربعة في المصنع.

لا ضمانات. داخل غرفة المراقبة لوحدة الانتاج الرقم ١ في كوزلوداي وقفت أمام منظومة مزدحمة من الساعات وأجهزة القياس والمفاتيح يشرف عليها ثلاثة مهندسين. اذا كان من مكان يوحي الامان في مصنع نووي للطاقة فهو غرف المراقبة، لكن مفتشي الوكالة الدولية للطاقة الذرية اكتشفوا أن غرف المراقبة لاربعة مفاعلات في كوزلوداي لا يمكن عزلها تماماً عن مؤثرات خارجية كالتسربات الاشعاعية والحرائق. ولم يكن في وحدتي الانتاج ١و٢ لوحات تشغيل في الاحوال الطارئة، كما أن هذه اللوحات في الوحدتين ٣و٤ هي قريبة من غرفتي المراقبة بحيث تصبح بلا جدوى.

قادني مهندس خارج غرفة المراقبة الى منصة تطل على قاعة المفاعل وهي غرفة كبيرة بطول ملعب كرة قدم. وفيها قُبّتان برتقاليتان بارتفاع خمسة أمتار وعرض ستة تغطيان أوعية الضغط في المفاعل(٥) المدفونة حتى نصفها تحت الارض.

أُخبرتُ أن هذه الاوعية تشكو خطأين في التصميم: الاول في تصميم دوائر التبريد الرئيسية وأنابيب الوصل المعدنية التي يبلغ قطرها ٥٠٠ مليمتر والمتشعبة من قلب المفاعل داخل الوعاء. ويبقى الماء المعالج كيميائياً داخل دائرة التبريد سائلاً بدل التبخر بفعل الضغط الهائل. لقد صمم السوفييت الدوائر لتتحمل تمزقاً صغيراً فقط – ٣٢ مليمتراً بدلا من ٥٠٠ مليمتر كما في المنشآت الغربية. ويقول فريدريك نيهاوز رئيس قسم السلامة النووية في الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "اذا تعرض أحد الانابيب

(٥) The reactor pressure vessels

الكبيرة للتمزق أصبح الانصهار قريب الاحتمال."

والخطأ الثاني هو أن أوعية الضغط ليست واسعة كفاية. ودفق النيوترونات الذي يولده قلب المفاعل يقصف جدرانها باستمرار مما يضعفها ويجعلها هشة. ويفسر ليوبولد فايل رئيس قسم السلامة النووية في مكتب الوقاية من الاشعاع في ألمانيا الامر بقوله: "تعرّض هشاشة الجدران الوعاء لخطر التمزق وخصوصاً في حال تبريد سريع."

وليست أخطاء التصميم المشاكل الوحيدة في كوزلوداي. يفيد تقرير الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "دأبت الدوائر الحكومية وادارات المحطات على التركيز على أولوية انتاج الطاقة وإن على حساب السلامة النووية." وقد نتج من ذلك تراكم من العاملين غير الاكفياء والمجهدين فوق طاقتهم واللامبالين الى حد مذهل، فهم يعرضون أنفسهم للاشعاعات ويهملون تدابير الصيانة الاساسية واجراءات الطوارىء. فخططهم لمواجهة حالات طارئة هي "قاصرة" بحسب مصادر الوكالة الدولية للطاقة الذرية، "وعملية الصيانة لا تضمن أداء أنظمة السلامة والطوارىء اذا ما وقع حادث خطير."

تلوث نووي؟ اضطر البلغاريون في الماضي الى الاعتماد على مستشارين سوفييت لمساعدتهم في تشغيل المفاعلات النووية. لكن هؤلاء المستشارين تركوا كوزلوداي في أوائل العام ١٩٩١ لخلاف على الاجور، آخذين معهم خبرتهم ومعرفتهم بالمصنع التي لم تتوافر للعاملين البلغاريين. ويقول موريس روزين مدير قسم السلامة النووية في الوكالة الدولية للطاقة الذرية: "ثمة مواصفات كثيرة لم يعلنها السوفييت. ونعتقد أن بعض هذه المعلومات غير موجود أصلاً، وأن بعضها لا يمكن أخذه منهم."

لكن التشيكوسلوفاكيين هم أسوأ حالا من جيرانهم في ما يختص بتخزين الوقود النووي المستهلك. وتشاهَد أبراج التبريد الثمانية في مصنع بوهونيس عن بعد كيلومترات، وهي تطل على الارض المحيطة بالمصنع. وقد أشار المهندس الكيميائي ايفان سميتشكو خلال جولة في المصنع الى مبنى منخفض قاتم اللون وقال: "داخل هذا المبنى برك مغطاة بالاسمنت محفورة عميقاً في الارض وتحوي واحداً من أكبر تراكمات الوقود النووي المستهلك في أوروبا الشرقية."

صممت هذه البرك أساساً لاحتواء الوقود المستهلك في سنة أو سنتين قبل شحنه الى الاتحاد السوفييتي للتخلص منه. لكن السوفييت يطلبون الآن مقابلا بالعملة الصعبة: نحو ١٠٠٠ دولار أمريكي للكيلوغرام الواحد. ولم تعلن أي من الدول التي كانت تدور في فلك الاتحاد السوفييتي استعدادها للدفع. وما زالت برك التخزين هذه تمتلىء بسرعة في أنحاء أوروبا الشرقية.

يقول جوزف فافروتشيك وزير البيئة

التشيكوسلوفاكي: "لقد حدثت تسربات كبيرة من مواد السيزيوم والبلوتونيوم المشعة من مصنع بوهونيس الى نهر دودفا القريب." ويكمن خطر أكبر من هذا في احتمال وقوع زلزال، إذ إن المصنع صمّم لتحمل زلازل تراوح قوتها بين ٥ و٦ درجات بمقياس .M.S.K فيما صنفت المنطقة المحيطة ببوهونيس ضمن نطاق زلازل بقوة ٧ أو ٨ درجات. وقد يؤدي تفجّر كبير في برك التخزين الى تدفق النفايات النووية الى نهر دودفا ومنه الى نهر الدانوب.

حلول وبدائل. ما هي بعض الحلول الممكنة لمشاكل هذه المفاعلات الخطرة؟

ان اعادة تأهيل الوحدات لتطابق المقاييس الغربية أمر غير عملي لان كلفتها قد تعادل كلفة بناء وحدات جديدة. لكن التشيكوسلوفاكيين وضعوا لائحة طموحه تتضمن ٨١ عملية تحسين لمصنع بوهونيس اضافة الى بناء قبب حاوية. (تقدر كلفة كل عملية بنحو ٥٠٠ مليون دولار.) وهم بدأوا فعلا تقوية المفاعلات تحسُّباً للزلازل، كما وعدوا بعزل انظمة السلامة ما أمكن ورفع مستوى تدريب العاملين في المصنع. لكن نيهاوز من الوكالة الدولية للطاقة الذرية يشكك في نجاح هذه الاجراءات ويحذر من استحالة "تعويض خلل في التصميم الاساسي عبر تحسين الاداء."

لا تملك حكومات دول أوروبا الشرقية خيارات كثيرة. ويلاحظ ليوبولد فايل من ألمانيا أن السلطات "لا يمكنها اغلاق مفاعلاتها حتى لو أرادت ذلك، لانه يعني المجاعة."

ويأتي ٢٧ في المئة من الطاقة الكهربائية المنتجة في تشيكوسلوفاكيا من المفاعلات النووية، وتعتمد بلغاريا على مصنع كوزلوداي لتأمين ٤٠ في المئة من الطاقة الكهربائية، وتواجه المجر التي تستمد نحو نصف طاقتها من مصنع واحد في باكس المأزق نفسه.

ما هي البدائل؟

يجب أولا اجراء خفض كبير في استهلاك الطاقة، فقد شجعت الطاقة الرخيصة المدعومة من الدولة على تبديد هائل في الطاقة. ويستهلك التشيكوسلوفاكيون، مثلا، ضعفي الطاقة المستهلكة في الغرب لانتاج السلع ذاتها. كذلك استهلكت المباني الاسمنتية العارية من المواد العازلة والتي تشكل النموذج السكني في أوروبا الشرقية، طاقة حرارية للتدفئة على مدى ثلاثين عاما بلغت كلفتها عشرة أضعاف كلفة البناء. ويمكن خفض استهلاك الطاقة على نحو ملحوظ بتركيب أجهزة ترموستات[6] وعدادات للحرارة والماء الساخن وعوازل للمنازل. وفي وسع أوروبا الشرقية اعتماد مصادر أخرى للطاقة مثل الماء والهواء.

وماذا عن بناء مصانع نووية جديدة لتوليد الطاقة؟

تسعى شركات "وستنغهاوس" الامريكية و"سيمنز" الالمانية و"فراماتوم" الفرنسية الى بيع مفاعلات

جديدة من أوروبا الشرقية. لكن حكومات المنطقة لا تملك من العملات الصعبة ما يكفي لدفع ملياري دولار ثمناً لكل مفاعل جديد. ويعرض بعضها، بدلا من ذلك، دفع القيمة للشركات المصنعة في شكل قدرات مستقبلية لتوليد الكهرباء. وقد وقعت حكومة تشيكوسلوفاكيا عقداً لتزويد مؤسسة الكهرباء الالمانية "بايرنفرك" طاقة من مصنع ذي قوة ١٧٦٠ ميغاواط يجرى بناؤه حالياً في موتشوف، في مقابل الآلات من "سيمنز."

وثمة عقبة كأداء أخرى أمام استخدام الطاقة النووية هي المعارضة الشعبية. وتبلغ نسبة معارضي هذا الاستخدام نحو ٤٠ في المئة في تشيكوسلوفاكيا والمجر وأكثر من ٥٠ في المئة في بلغاريا. وقد أوقفت الاحتجاجات الشعبية خلال ١٩٩٠ و ١٩٩١ العمل في بناء مفاعلات جديدة في تيملين في جنوب تشيكوسلوفاكيا وقرب بيلين في بلغاريا.

تحذير من القلب. من الواضح أن لا حل ممكناً من دون رؤوس أموال وخبرات غربية فورية. وقد دعت المجموعة الاوروبية ووكالة الطاقة النووية التابعة لمنظمة التعاون والتنمية الاقتصاديين خبراء نوويين من أوروبا الشرقية الى المشاركة في مشروع قائم لتطوير مستوى سلامة الاوعية وشبكات الانابيب في المفاعلات. كما أجرت وزارة البيئة الالمانية محادثات في تشيكوسلوفاكيا تناولت المشاكل التي تواجه مصنعي غريفسفالد وبوهونيس. ووافقت وكالة الطاقة الذرية في فرنسا على مساعدة التشيكوسلوفاكيين في تحديث مفاعلاتهم، بينما أرسلت مؤسسة الكهرباء الفرنسية مهندسين للعمل في كوزلوداي. كذلك تأسس اتحاد أوروبي في سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠ لرفع مستوى السلامة في المصانع النووية لانتاج الطاقة في بلغاريا.

لم يقدم الغرب مساعدات مالية، لكن هذه السياسة قد تتبدل. فبعد نشر ذلك التقرير المرعب للوكالة الدولية للطاقة الذرية عن مصنع كوزلوداي منحت المجموعة الاوروبية بلغاريا ١١ مليون وحدة نقدية أوروبية (ايكو) لتحسين عمليات الصيانة واعادة تدريب العاملين وشحذ ما يدعى في الصناعة النووية "ثقافة السلامة."

ويبقى سيف كارثة نووية مسلطاً فوق أوروبا. قال لي لوتشيزار توشيف في مكتب مجموعة "ايكوغلاسنوست" البلغارية لحماية البيئة في صوفيا: "تعاني بلغاريا وضعاً اقتصادياً كارثياً. ويستحيل علينا اغلاق مفاعلات كوزلوداي الخطرة، على رغم رغبتنا الشديدة في ذلك، من دون مساعدات من أوروبا الغربية."

فهل يسمع صانعو السياسة في الغرب والشرق تحذير توشيف النابع من القلب؟

ريتشارد كوفنغتون ■

ترجمة فواز خوري

(٦) الترموستات (thermostat) أداة لتنظيم الحرارة.

للحريّة أشكال، إن أنت فقدت شكلاً فعليك البحث عن آخر

أجمل نساء الدنيا



اعتقدت، مثل غالبية الأولاد، أن أمي قادرة على كل شيء. كانت امرأة مفعمة بالحيويّة والنشاط، تمارس كرة المضرب وتخيط ملابسنا وتحرّر زاوية في صحيفة. اعتدت أن أشعر بالرهبة حيال جمالها وانجازاتها.

كانت تحب التسلية وتمضي ساعات في تحضير المقبلات وملء البيت بالزهور من حديقتها وإعادة ترتيب الأثاث واستقبال صديقاتها.

وأقف مسمرة أراقبها وهي ترتدي ملابسها للمناسبات. وما زلت أذكر ذلك الثوب الأسود، المفضل لدينا، بصداره القاتم المزركش الذي يبرز شعرها الأشقر. واذ تنتعل حذاءها الأسود العالي تصبح في نظري أجمل نساء الدنيا.

إلا أنّ حياتها تبدلت في السن الحادية والثلاثين. كذلك حياتي. فجأة أضحت ممدّدة على ظهرها، أسيرة سرير في المستشفى، مشلولة

نتيجة ورم غير خبيث في الحبل الشوكي. وكنت في العاشرة آنذاك وصغيرة جداً على فهم التناقض في عبارة "غير خبيث"، اذ إن أمي لم تعد كما كانت أبداً.

واجهت أمي مرضها بالحماسة عينها التي كانت تضفيها على كلّ شيء. وصارت عبارات مثل «المداواة الطبيعية" و"معاق" جزءاً من عالم جديد غريب دخلناه معاً. وبدأتُ تدريجاً أعتني بأمي التي كانت تعتني بي.

وأخيراً تمكنْتُ من الجلوس في كرسي المقعدين، وأصبح جر كرسيّها الى المطبخ عادة يومية. هناك علمتني فن تقشير الجزر والبطاطا وفرك اللحم بالثوم النيء والملح والزبدة.

عندما بلغت الحادية عشرة أخبرتني أمي أنها وأبي سيرزقان طفلاً. وقد حضّها الأطباء على اسقاط الجنين لكنها رفضت بشدّة. وبعد فترة وجيزة أصبحنا أمّين لشقيقتي الصغرى ماري ترين. وفي وقت قصير تعلّمت كيف أبدل حفاظاتها وأحممها وأطعمها.

وما زالت احدى تلك اللحظات ماثلة أمامي. وقعت شقيقتي الصغرى، وكانت في الثانية، وجرحت ركبتيها. فانفجرت باكية وهرعت الي من دون أن تلتفت إلى ذراعي أمي الممدودتين لها. تأخرتُ كثيراً في ادراك مسحة الألم على وجه والدتي، وكان كل ما قالته لي: "من الطبيعي أن تركض إليك. إنك تعتنين بها جيّداً."

كل انجاز حققْته كان حدثا بارزاً تقاسمناه: السيارة الكهربائية الخاصة بالمعاقين، عودتها الى الجامعة، حصولها على شهادة الماجستير في التوجيه والإرشاد...

تعلمَتْ كل ما استطاعت تعلمه عن المعاقين. وفي النهاية أسست فريقاً داعماً دعته "اتحاد المعاقين." وفي احدى الأمسيات اصطحبتنا أنا وإخوتي الى مقر الاتحاد. لم أرَ في حياتي مثل هذا العدد من الناس المصابين بعاهات كثيرة كتلك. عدت الى البيت وأنا أفكر كم نحن محظوظون. وعرّفتنا أيضاً إلى ضحايا الشلل المخي موضحة لنا أن معظمهم كانوا ذات يوم بشوشين وسعداء مثلنا. وعلمتنا أيضاً كيف نتحدّث إلى المتخلفين عقلياً مشيرة إلى قدرة هؤلاء على حب الآخرين.

قلّما شعرت بالأسى والأسف لحال أمي، لأنها تقبلت واقعها بتفاؤل كبير. ولكن ذات يوم تحطم رضاي. فبعد فترة طويلة من غياب صورة أمي الأنيقة بحذائها العالي أقمنا حفلة في منزلنا. كنت صبيّة حينذاك، واذ نظرت إلى أمي الباسمة الجالسة جانباً تراقب أصدقاءها يرقصون، صعقتُ لقساوة قيودها الجسدية. وبرزت أمام عينيّ صورة والدتي المشرقة وهي ترقص، وتساءلت: أتراها تتذكر ذلك أيضاً؟ وعندما اقتربت منها رأيت مع ابتسامتها دموعاً تترقرق في عينيها. فهرعت الى غرفتي وبكيت.

عندما كبرت وامتهنت العمل في الاصلاحيات عرضت على والدتي أن

تدرِّس الكتابة الإبداعيّة في اصلاحية. أذكر كيف كان النزلاء يتحلقون حولها كلما وصلت ويتعلقون بكل كلمة تقولها، تماماً كما كنت أفعل عندما كنت طفلة.

وعندما باتت عاجزة عن الذهاب إلى الإصلاحية عمدت الى مراسلة السجناء. ذات يوم سلمتني رسالة الى سجين يدعى وايمون. فسألتها هل تسمح لي بقراءتها فوافقت، من دون أن تدرك أي الهام سيعطينيه ذلك. جاء في الرسالة:

"عزيزي وايمون،

"أفكر فيك دائماً منذ تلقيت رسالتك. ذكرت لي كم هو صعب أن يحجز المرء وراء القضبان. وأنا أتعاطف معك. ولكن عندما تقول لي انني لا أستطيع أن أتخيل الحياة داخل السجن، أشعر بأنني مضطرة الى القول انك مخطىء.

"ثمة أنواع مختلفة من السجون، يا وايمون.

"عندما أفقت ذات يوم وأنا مشلولة كلياً، وكنت في الحادية والثلاثين من عمري، غمرني شعور بأنني سجينة جسد لن يسمح لي بعد اليوم بالركض في مرج أو الرقص أو حمل طفل بين ذراعي.

"بقيت لفترة طويلة أسأل نفسي، وأنا ممددة على ظهري، هل الحياة تستحق العيش؟ وبدا لي كأنني خسرت كل شيء ذي معنى.

"ولكن في أحد الأيام خطر لي أنني ما زلت أملك حريّة الاختيار. هل أبتسم عندما أرى أولادي أم أبكي؟ هل ألوم الله أم أسأله أن يقوي إيماني؟ بكلمات أخرى، ماذا أفعل بالإرادة الحرة التي لا تزال ملكي؟

"صممت على التمتع بالحياة ما أمكن، والتفتيش عن طرق أتخطى بها عوائقي الجسدية بتوسيع آفاقي العقلية والروحيّة. كان لي أن أختار بين أن أكون مثالاً رائداً لأولادي وأن أذوي وأموت عاطفياً وجسدياً. للحرية أشكال عدة يا وايمون. وعندما نخسر شكلاً علينا البحث عن آخر.

"لك أن تنظر الى قضبانك، ولك أن تنظر من خلالها. لك أن تكون مثالاً يقتديه النزلاء الأصغر سناً، ولك أن تختلط بالمشاغبين. لك أن تحب الله وتسعى الى رضاه، ولك أن تدير ظهرك.

"نحن، يا وايمون، شريكان في هذه الحياة."

عندما فرغت من قراءة الرسالة غشى الدمع بصري. لكنني رأيت أمي بوضوح أكثر. ومرة أخرى شعرت برهبة فتاة صغيرة لها أم قادرة على كل شيء.

ماري راغيانتي ■

شغلت الكاتبة منصب رئيس "مجلس العفو والتسريح المشروط" في ولاية تنيسي. وكانت حملتها الهادفة الى فضح الفساد في حكومة الولاية موضوعاً لكتاب وفيلم سينمائي بعنوان "ماري".

حتى قصاصة الورق تغدو أخف عندما يرفعها اثنان. **مثل كوري**



القطار الأزرق

فندق فخم يجتاز براري افريقيا محمولا على عجلات

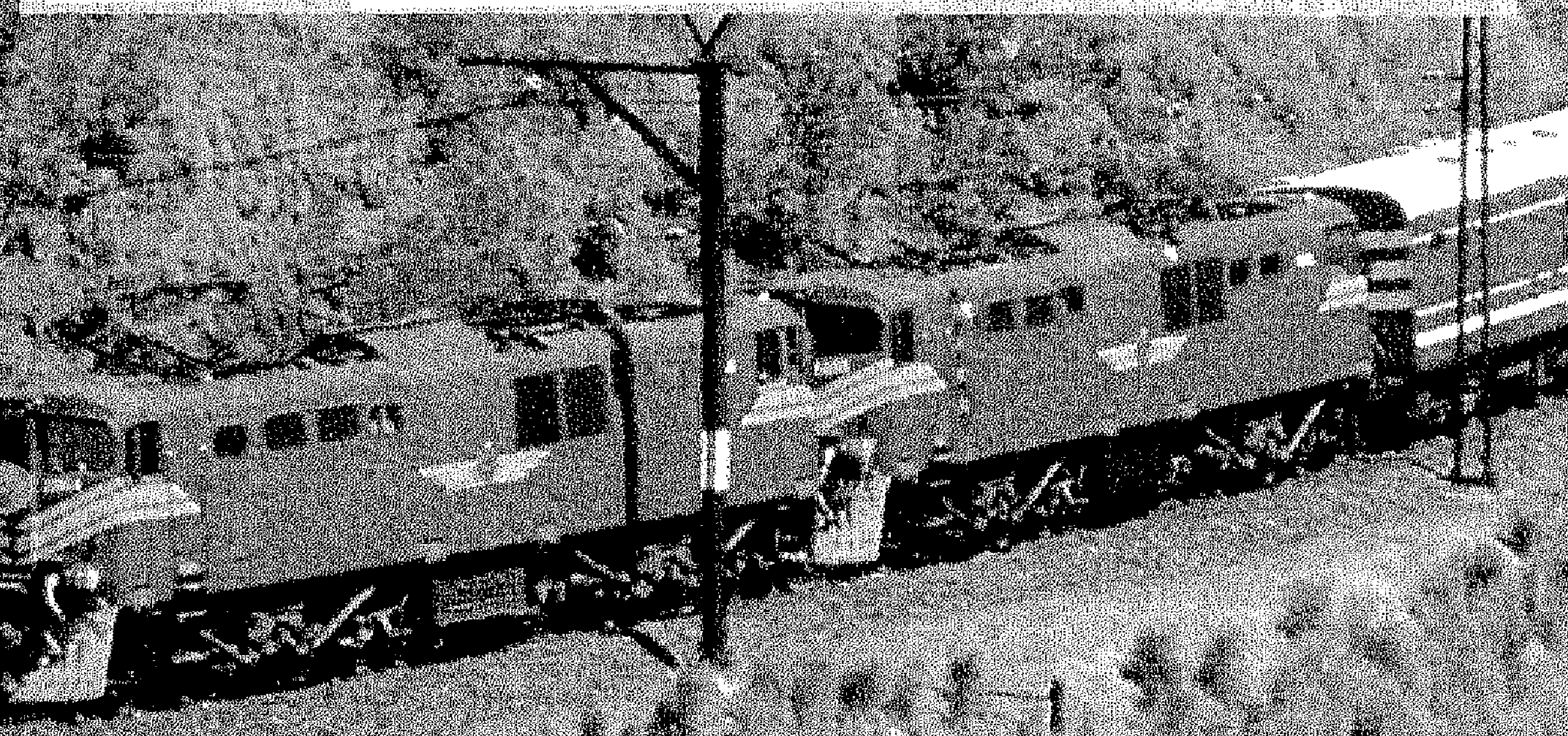
انها الحادية عشرة الا ربعاً في محطة السكك الحديد في كيب تاون (جنوب افريقيا). وينبعث صوت نسائي عبر مكبر الصوت في مقصورتي يعلن باللغات الانكليزية والافريقانية* والالمانية: "سيداتي، سادتي، بعد خمس دقائق ينطلق القطار الأزرق."

تناولت زجاجة شراب مثلجة وفتحتها احتفالا بتحقيق حلم طفولة احتبس داخلي ما يزيد على ثلاثين سنة. كنت في الثانية عشرة من عمري حين وقع نظري للمرة الأولى على القطار الازرق وهو يسير هادراً عبر الريف وسط عاصفة من الدخان والبخار.

وكانت عائلتي تعيش في ستيلفونتين وهي بلدة تعدين في قلب الاراضي

(*) الافريقانية لغة مواطني جنوب افريقيا المتحدرين من أصل أوروبي.

PHOTO: SPOORNET. INSET: JAMES DE VILLIERS



الزراعية المترامية لاقليم الترنسفال الغربي. تلك كانت آفاق حياتي حتى عصر ذلك اليوم من فبراير (شباط) ١٩٦٠ حين تمشيت الى خط السكة الحديد الذي لا يبعد كثيراً عن منزلنا.

هناك، اذ مرّ بي هادراً بصخب، تمكنت من رؤية كلمتي "القطار الازرق" على مقدم قاطرته، ولمحت ظلال سائقيه الكادحين وهما يغذيان النار المستعرة في أحشائه. ثم ابتعد متوارياً وقد أعشت سرعة دوران عجلاته بصري، جاراً مقطوراته ذوات اللونين الازرق والقشديّ.

ومنذ ذلك اليوم كنت أذهب الى هناك كلما مرّ... مرتين في الاسبوع. وكنت أتصوره جواز سفري الى العالم وبساطي السحري الذي سيحملني الى مدن بعيدة ومحيطات وجبال وصحارى. وما لبثت أن غدوت قادراً على التعرف الى سائقيه. وذات يوم لا أنساه، بعدما ألزمتني وعكة المنزل طوال أسبوع، رمى لي السائقان رسالة ملفوفة على قطعة من الفحم الحجري تسأل: "أين كنت؟ لقد افتقدناك." والتوقيع: "كوس ويان."

ولدى مرور القطار المرة التالية رفعتُ لافتة كتبت فيها شارحاً: "كنت مريضاً." فقهقه كوس ويان ولوحا بأيديهما عالياً.

ظللت أكثر من سنة أشاهد القطار الازرق يمرّ في ستيلفونتين بقيادة كوس ويان. ثم أتتني منهما رسالة أخرى جاء فيها: "لقد نُقلنا يا صديقنا الصغير. حفظك الله. كوس ويان." وأطلقا ثلاث صفرات طويلة كئيبة تحية وداع.

ولم يطل الوقت حتى نُقل والدي أيضاً الى مركز عمل آخر. وغادرنا ستيلفونتين نهائياً. لكن رباطاً أبدياً كان قد شدني الى المكان، فأخذت عهداً على نفسي أن أبحث عن كوس ويان يوماً ونركب القطار الازرق معا على خط الذكريات.

لكن، ويا للأسف، خذلتني يد القدر وطوّحت بي بعيداً خارج البلاد حيث أخذتني مهنتي. وركبت أفخم قطارات العالم: "أورينت اكسبرس" و"كنديان باسيفيك" و"ترانس أوستراليان" و"يونيون باسيفيك." ولا أظنني سألتقي كوس ويان أبداً. لكن سيكون في امكاني الآن، على الاقل، ركوب القطار الأزرق الذي هو في نظري أعظم قطارات العالم.

ترف ورفاه. انطلقنا في العاشرة والدقيقة الخمسين، فانزلقت عربات القطار الازرق السبع عشرة ناعمة لا يسمع لها صوت، في مستهل رحلة تمتد ١٦٠٠ كيلومتر شمالا الى بريتوريا عاصمة جنوب افريقيا. جلست متنعماً في مقصورتي الفخمة الواسعة المبردة التي تضم غرفة جلوس وغرفة نوم وثلاجة تحوي أنواعاً شتى مما لذ وطاب، فيما عصفت ريح شمالية غربية في الخارج لفّت جبل تايبل بملاءة من الغيوم المتقطعة.

بعد دقيقتين من بدء رحلتنا قرع الباب ودخل المضيف يوهان ستيميت قائلا: "اذا شئت أي أمر، يا سيدي، فما عليك الا رن الجرس. رحلة طيبة."

وبعد دقائق اذا بقرع ناعم آخر، ليطل ريغي فونر المشرف على حافلة قاعة الطعام سائلا: "هل يؤاتيك، يا سيدي، موعد الغداء الساعة الثانية عشرة؟ والعشاء الساعة السابعة؟"

ثم جاء دور مدير القطار آرثر ريكس: "هل كل شيء على ما يرام؟ أرجوك اعلامي بأي مشكلة قد تواجهك." لم أفاجأ بأن يكون بين الطاقم المؤلف من ٢٨ موظفاً ذوي كفاية عالية ٢٣ معنيون فقط بالسهر على راحة الركاب وتلبية حاجاتهم.

كانت عربات القطار الازرق التي أسرتني حين كنت ولداً قد سُحبت من الخدمة، كذلك القاطرات البخارية التي كانت تجرها. وهي تميزت طوال فترة استخدامها، من العام ١٩٣٩ الى العام ١٩٧٢، بأحدث وسائل الترف آنذاك.

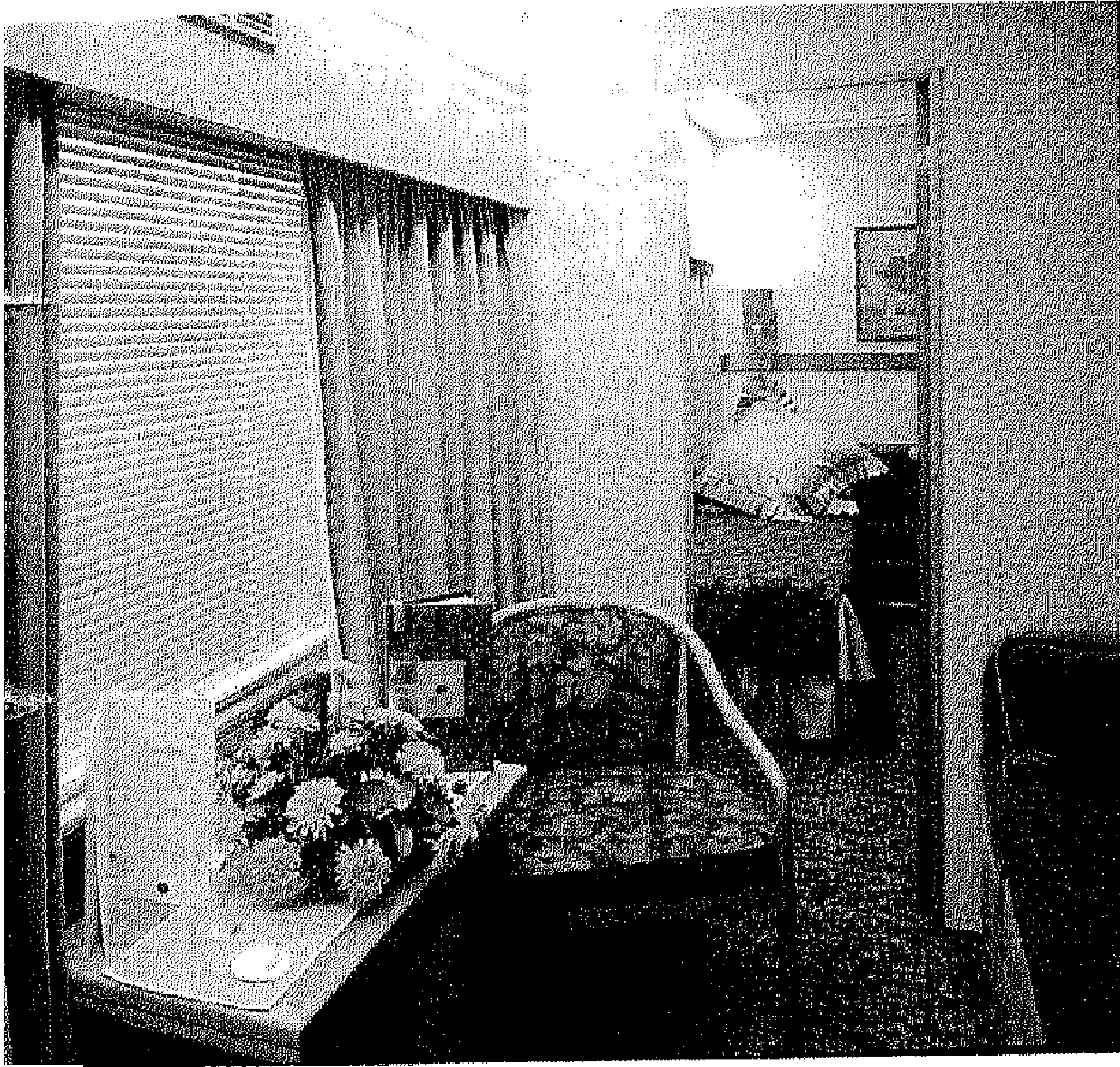
وبينما القطار مندفع صوب الجبال، رحت أفكر في الدور الذي اضطلعت به السكك الحديد في تاريخ جنوب افريقيا: منقبون باحثون عن الغنى في مناجم الالماس في كمبرلي، وصائدو ثروات يتدفقون الى مناجم الذهب في فتفاترسراند، وسياسيون، وقادة عسكريون، وتجار، ومحتالون، وشاحنات تنقل جنوداً وأعتدة أثناء الحرب التي وقعت بين الانكليز والبوير (المستعمرين الهولنديين الاوائل) بين ١٨٩٩ و١٩٠٢، ومهاجرون يتحدّون عالماً جديداً. جميع هؤلاء سافروا على الخط الرئيسي نفسه من الساحل الى المناطق الداخلية النائية.

ليس بالمال وحده. دوت صفارة التوقف في ولينغتون، أولى تسع محطات توقف قبل بريتوريا، ثم دخلنا وادي نهر بريد وارتقينا منه جبال وستر ودراكنشتاين الرائعة التي نحتتها الريح والمطر والجليد والثلج مدى ألوف السنين.

أنبأتني دقات الساعة الآتية عبر مكبر الصوت في المقصورة أن موعد الغداء أذن. ويحضّر طاهيان ومساعدوهما الطعام في العربة – المطبخ لينقل من ثم الى حافلة قاعة الطعام الصغيرة المريحة التي تضم ٤٧ مقعداً. وقد نُضدت على الطاولات سكاكين فضية وأطباق خزفية وكؤوس وأقداح زجاجية ذوات قواعد معدنية وفوط منشّاة. وأُجلستُ الى طاولة لشخصين. ولأن الشتاء هنا يتزامن والصيف في أوروبا، لم يكن في القطار سوى ٨٣ راكبا. لكن الحركة تشهد كثافة في وقت لاحق من السنة، فيضطر المسافرون الى حجز أمكنتهم قبل أشهر.

وخارج نافذتي انبسطت الكروم والحقول الخضر والحمر مواكب وصفوفاً على امتداد وادي نهر هكس، في ظل الجبال وتحت سماء صافية. ولم يعكر السكون سوى الايقاع المكبوت للعجلات.

بعد الغداء جلست في حافلة الاستراحة لتناول القهوة. كنت أسمع الركاب يتحدثون بالالمانية والفرنسية والايطالية واليابانية والانكليزية. وأخبرني تاجر مواد غذائية من لندن أنه وزوجته جاءا في رحلة منظمة الى جنوب افريقيا



جناح فخم
يحتل أكثر من نصف عربة.

تدوم ثلاثة أسابيع. وأضاف: "أخبرني صديق أن العطلة هنا لا تكتمل ما لم يسافر المرء في القطار الازرق. لقد كان على حق."

وأعرب ركاب آخرون عن الشعور نفسه. فحاولت استدراجهم لمعرفة ما اذا كانوا حقاً مولعين بالسفر في هذا القطار، مشيراً الى أن سعر صرف الرند (عملة جنوب افريقيا) في مقابل العملات الاجنبية هو الذي أغراهم، اذ تراوح تعريفات السفر بين ٤٠٦٤ رنداً (١٨٢٠ دولاراً) للجناح الفخم المعدّ لشخص أو شخصين و٩٠٨ رندات (٣٣٠ دولارا) لكل من راكبين يستخدمان غرفة حمام مشتركة. وقليلون من الجنوب – افريقيين يستطيعون تحمل هذه الكلفة.

فعلّق تاجر ألماس متقاعد: "هذه الرحلة لا تقاس بالمال وحده. فالقطار الأزرق، مثله مثل البواخر القديمة العابرة المحيطات، يلتزم في الخدمة مقاييس رفيعة محددة ترقى الى زمن أكثر ترفاً ورفاهاً. وهذه الرحلة بالنسبة إلي اختبار فريد في حياتي."

وقال لي داريل فاين المدير المبدع لوكالة اعلانات في كيب تاون الذي سافر ٧٢ مرة في القطار الازرق: "هناك سببان دفعاني الى ركوب القطار الأزرق. الاول كوني أكره السفر جواً، والثاني أن الرحلة في هذا القطار تطلق أفكاري من عقالها حين يعترض قدرتي الابداعية عائق."

مشاهد افريقية. انقضت أربع ساعات تقريبا على انطلاقنا من كيب تاون، واقتربنا من ديدورنس والنفق الجوفي

PHOTO: JAMES DE VILLIERS



حافلة قاعة الطعام
تتسع لـ٤٧ شخصاً.

الذي يربط وادي نهر هكس الخصيب برمال كارو وأحراجها. ويتألف نظام السكك الحديد في النفق الذي يمتد ١٦،٣ كيلومتراً من أربعة خطوط. والنفق هو الأطول في افريقيا والرابع في العالم. اجتزناه وأنوار الحافلات مضاءة.

تطلعت من نافذتي فاذا الجبال صارت وراءنا وأصبحنا على مشارف كارو. وازدادت سرعة القطار فشعرت باهتزاز العربة عند المنعطفات. وبعد خمسين دقيقة من عبور نهر توس أبطأ القطار أثناء مروره بمجموعة أبنية مشيّدة بالاجر الاحمر. وشاهدنا العلم البريطاني يرفرف فوق فندق "اللورد ميلنر" ذي الابراج وقد توقفت أمامه حافلة حمراء ذات طبقتين. تلك كانت ماتيسفونتين، قرية من العصر الفيكتوري صارت منتجعاً فخماً للاثرياء.

ومررنا عبر أحراج كارو الرتيبة التي تحفّ بجانبي الطريق الرئيسية الممتدة من نهر لمبوبو الرمادي الى المحيط الاطلسي. وشاهدنا قطعان غنم وظباء سارحة ترعى وطواحين هواء ناحلة وتلالا رابضة كأكواخ قبائل البازوتو. ثم مررنا بمزارع منعزلة تميز كلا منها بقعة خضراء من الاشجار، وكانت عصافات من الغبار تثور لولبياً في الجو. ورأينا منازل مهجورة ومقابر طال عليها الزمن. ثم دخلنا عمق بلاد قاسية جافة حيث لا يعيش سوى الاقوى.

وعدت الى مقصورتي حيث غرقت في نوم هانىء يهدهدني اهتزاز العربة. وحين استيقظت كان شفق المغيب يرتسم في الافق مغموراً بالوهج البرتقالي الناعم لشمس غاربة. وهبط الظلام فجأة ما خلا

PHOTO: JAMES DE VILLIERS

نوراً يشع بعيداً في بحر العتمة من بيت منعزل في إحدى المزارع.

ولما حان موعد العشاء ارتديت بذلة رسمية كما يقضي العرف في القطار الازرق، وجلست الى مائدة شاركني فيها بائع سيارات سألني كيف اكتسب "القطار الأزرق" اسمه. فشرحت له أن ذلك يعود الى قطارين فخمين أزرقين كانا في الخدمة بين ١٩٢٣ و١٩٣٧. وأضفت: "كان الجميع يعرفون القطارين من لونهما."

حلم تحقق. قبيل منتصف الليل توقفنا في دي آر لابدال القاطرة الكهربائية بأخرى تسير بالديزل استعداداً لرحلة مباشرة سريعة الى كمبرلي. وبينما أنا أتمشى على الرصيف أراقب عملية ابدال القاطرتين، لاحظت أن عربة الحقائب والمحرك الكهربائي الذي ينير القطار كانا وراء القاطرة مباشرة، تليهما أربع حافلات للركاب، فحافلات المطبخ والطعام والاستراحة في الوسط، ثم سبع حافلات أخرى للركاب، وفي المؤخر عربة شحن مغطاة ذات طبقتين اصطفت فيهما ثماني سيارات.

عدت الى مقصورتي. وانساب القطار ليلا عبر كمبرلي، مدينة الالماس الشهيرة، و"الثقب الكبير" الفائض واراضي غرب الترنسفال المفروشة بالعشب، نحو مدينتي كليركسدورب وبوتشفستروم في اقليم فورتركر.

استيقظت عندما تسلل الفجر ليغمر الريف، قلقاً خشية أن تفوتني رؤية تلك البقعة قرب بلدة ستيلفونتين حيث كنت، وأنا صبي، أشاهد القطار الازرق يمر هادراً. وظهر لي ذلك المنظر: الاهراء ونفايات المناجم كانت لا تزال هناك، لكن مجموعات من المنازل والمصانع قامت حيث لم يكن قبل ٣٠ سنة سوى مروج خضر. وحدقت الى الطريق المارة في موازاة خط السكة الحديد علّني استكشف معلماً مألوفاً... منزلا ومخزناً وبوابة في حقل. لكنني لم أرَ أيا منها. وتساءلت: أتراه ذاك هو المكان حيث اعتدت أن أقف؟ أم هنالك؟ السنوات الطويلة غيَّرت الاشياء ودرست المعالم.

وما لبثنا أن اخترقنا قلب المنطقة الصناعية والتجارية في جنوب افريقيا حيث مرامي نفايات المناجم، ومجمعات مساكن العمال، ومعدات التعدين، والمصانع، واللافتات، والاكواخ، والابنية الشاهقة، وصفوف المنازل البيض المنتظمة في الضواحي. كنت غارقاً في تأملاتي، ففاتني التنبّه الى دخول القطار محطة بريتوريا... خط النهاية بعد مسيرة ٢٥ ساعة و١٢ دقيقة.

وعدت بالذاكرة الى كوس ويان والصبي الصغير الذي كان يقف قرب السكة الحديد. يكفيني أنني، في مكان ما على امتداد هذا الخط، مررت بالبقعة نفسها حيث بدأ حلمي. لقد أتممت الرحلة التي عاهدت نفسي عليها. ركبت القطار الازرق!

فرنك بيت ■

حكايات من العالم

النظافة في عُمان

□■ تعنى حكومة عُمان بالنظافة الى حد أن المواطن قد يواجه غرامة لقيادة سيارة وسخة أو لترك منزله غير مطلي. ويفرض القانون تغطية مكيفات الهواء بشبكيات خشبية وستر مواقع البناء وحبال الغسيل عن الانظار.
قد لا يبدو هذا الشغف بالترتيب غريباً في البلاد الاسكندينافية، أما في منطقة غبراء رملية فتبدو هذه الدولة العربية واحة نظام تبهر الانظار.
أطلق السلطان قابوس، عندما تسلم السلطة في العام ١٩٧٠، مشروعاً لتجميل سلطنته. ففرض تضمين كل المباني الجديدة، حتى مواقف الحافلات، ملامح من فن العمارة الاسلامي. ولا يجوز طلاء المنازل الا بألوان تقليدية فاتحة. ويقوم السلطان خفية بجولات في انحاء السلطنة ليتأكد من اطاعة أوامره، فيتفحص زينات الشوارع ويأمر بازالة كل ما هو قذى للعين. أما إلقاء النفايات في الشوارع فقصاصه قاس: غرامة تعادل ٥٠ دولاراً للمخالفة الاولى، والسجن للثانية.

"وول ستريت جورنال"

شوكولاتة المايا

□■ إدمان الشوكولاتة في غواتيمالا تقليد قديم عميق الجذور. فقد درس خبير النقوش ديفيد ستيوارت كتابة هيروغليفية على إناء اكتشف في منطقة ريو أزول، وتعرّف الى رمز الشوكولاتة لدى شعوب المايا التي قطنت قديماً في أمريكا الوسطى. وأثبت فريق من كيميائيي شركة "هيرشي" للاغذية لاحقاً أن البقايا في الاناء الذي يعود الى ١٥٠٠ سنة خلت هي، فعلاً، شوكولاتة. وكان شهود عيان من الغزاة الاسبان رووا قصصاً عن استعمال شراب الشوكولاتة في الطقوس الهندية في امريكا الوسطى، ولكن لم يتوافر دليل ثابت على ذلك. أما الآن فقد تم التعرف الى نقوش ترمز الى الشوكولاتة على آنية أخرى من عصر المايا الكلاسيكي لم يكن الغرض من استعمالها معروفاً. ويفترض محللو النقوش على إناء ريو أزول أن "الاوصاف" الهيروغليفية تميّز بين أنواع الشوكولاتة المستخدمة، من الشراب الخفيف المزبد الى عصيدة الشوكولاتة.
كم كان المايا يحبون الشوكولاتة!

مجلة "ناشونال جيوغرافيك"

ثروات سان مارينو

□■ سان مارينو هي أصغر جمهورية في العالم. مساحتها ٦٢ كيلومتراً مربعاً من الاراضي الصخرية، وتحوطها ايطاليا من كل الجهات. وقد بلغت سان مارينو من الغنى أنها تدفع ٧٥ في المئة من أجور السفر لمواطنيها الكثر المقيمين في الخارج للعودة الى الجمهورية للاقتراع في الانتخابات العامة. ويلبي نحو نصف المغتربين هذه الدعوة.

نشرة "الهندسة البيئية"

كفاح زوجين ضد الايدز

قصة عائلة مزقها الداء الرهيب

بعد شوق وطول انتظار ولد ابننا سامويل[1] في ١٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥، فحلت البهجة في حياتنا. كان يزن ٣،٥ كيلوغرامات ويتمتع بصحة جيدة. وقد غمرت زوجي أنطوان سعادة لا توصف.

وطبيعي أن أكون سعيدة أنا أيضاً، لكن قلقاً غامضاً تملكني وقضّ مضجعي. فالتعب لم يفارقني. وكان وزني انخفض خمسة كيلوغرامات خلال فترة الحمل ولم أتمكن من تعويض هذا النقص لاحقاً. وعجز طبيبي عن معالجة التضخم في غددي اللمفوية والحمى الليلية التي كانت تنتابني. وفي يناير (كانون الثاني) ١٩٨٦ استشرت طبيب صحة فقال لي: "سأخضعك لجميع أنواع الفحوص، بما فيها فحص لاف."[2]

فأدركت أنه يعني فحص الايدز.[3] واتصلت به بعد أسبوعين فجاءني صوته مشوباً بالتوتر. ادعى في البداية أنه لم يتلق نتائج الفحص بعد. ثم "عثر" عليها فجأة وأبلغني أنني أحمل الفيروس. فراعني ما سمعت ولم أقو على الكلام، لكني استجمعت قواي في النهاية وسألته: "أتقول إنني مصابة بالايدز؟ وسأموت؟"

فأجابني بلطف: "اذهبي الى مركز نقل الدم وسيطلعك المسؤولون هناك على التفاصيل."

في المركز، شرحت لي طبيبتان بصبر وأناة أنني مصابة بفيروس قصور المناعة البشري[4] الذي يسبب مرض الايدز. ويغزو هذا الفيروس كريات الدم البيض

(١) الاسماء في هذا المقال مستعارة حفاظاً على خصوصية الاشخاص المعنيين.

(٢) Lymphadonepathy-associated virus أي الفيروس المرافق لاعتلال الغدد اللمفوية، وهذا هو الاسم القديم لداء الايدز.

(٣) Acquired immunodeficiency syndrome «AIDS» أي داء قصور المناعة المكتسب.

(٤) Human immunodeficiency virus «HIV»

فيقضي تدريجاً على نظام المناعة في جسمي. وما من علاج خاص للأمراض الكثيرة التي أصبحتُ معرَّضة لها الآن.

وفيما الطبيبتان مسترسلتان في الشرح قلت في نفسي: "لن أتمكن من تربية ابني!" ثم تدافعت تساؤلات مريعة في رأسي: كم تبقّى لي من وقت؟ متى سأمرض؟

نهاية سعادة. قبل ثلاث سنوات من ذلك اليوم الرهيب انتقلنا أنا وأنطوان الى جزيرة مارتينيك لبدء حياة جديدة. كنا ننتمي الى جيل وجد في المخدرات حلاً لكل استياء ونقمة. وقد حاولنا غير مرة التخلص من ادمان الهيروويين، لكننا لم نفلح. ولما تناهى الينا أن المخدرات غير متوافرة في جزر الهند الغربية[٥] انتقلنا الى هناك. فعملتُ مدرِّسة لمادة الرياضيات، وعمل أنطوان معداً لبرنامج اذاعي في محطة محلية. وأقلعنا عن تعاطي المخدرات وأصبح لدينا أصدقاء... وطفل الآن.

فجأة انهارت سعادتنا الجديدة.

عندما عدت الى البيت ارتميت بين ذراعي أنطوان أبكي بمرارة. لم أضطر الى شرح الأمر له فقد فهم. وأكد الفحص الذي خضع له أنطوان في اليوم التالي مخاوفنا، إذ تبين أنه هو أيضاً يحمل فيروس قصور المناعة على رغم مظهره المعافى. أما ابننا ساموييل، الذي أكمل عامه الأول، فكان عليه الانتظار عشرة أشهر قبل إخضاعه للفحص. وقد تأكلنا القلق والشك طوال هذه الفترة الى أن أظهرت نتائج الفحص أنه سليم.

لم تكن للمخدرات أي علاقة بمحنتنا لأننا لم نستعمل يوماً إبر مدمنين آخرين. وغالب الظن أن أنطوان التقط العدوى خلال علاقة عابرة أثناء رحلة عمل الى الكاميرون عام ١٩٨٢. فلما عاد الى فرنسا أصيب بحمى شديدة لم يُعرف لها سبب تلاشت بعد ثلاثة أيام. وتأكد لنا الآن أن تلك الحمى كانت العَرَض الأول للاصابة. لكني لم أحقد على أنطوان لاننا بنينا علاقتنا على الاحترام المتبادل. كنت أعرف أنه يحبني وأن مغامرته العارضة لم تكن بذات أهمية. فضلا عن أن خطر الاصابة بالايدز لم يكن يؤخذ على محمل الجد في فرنسا عام ١٩٨٢.

منبوذون! لم يرَ أنطوان سبباً للتكتم عن بليتنا. فأطلع صديقاً على حالنا، فتناقلت البلدة الخبر وصار حديثنا على كل شفة ولسان. وبات الأشخاص الذين كانوا بالأمس من خيرة أصدقائنا يمرون بنا مرور الكرام.

صرنا منبوذين.

وفي يونيو (حزيران) صُرف أنطوان من عمله. وعلل مديره ذلك بالآتي: "يا أنطوان، لا يقبل الموظفون الآخرون التكلم في أي مذياع تستعمله، وهم يهددون بالرحيل إن بقيت عندنا."

تلك كانت ضربة قاضية سددت الى

(٥) أرخبيل يفصل بين البحر الكاريبي والمحيط الاطلسي بات يعرف بالانتيل.

زوجي المعتد بنفسه والضنين باستقلاليته. فقال لي: "لقد انتهيت. لن يرضى أحد بتوظيفي بعد اليوم." واستسلم للكآبة أياماً ثم تمالك نفسه واقترح علي بالحاح: "لنذهب في رحلة، فقد تكون هذه فرصتنا الاخيرة."

طفنا لمدة شهرين في أنحاء أمريكا الجنوبية متنقلين من حافلة الى اخرى. ولما عدنا عرض منتج أفلام فيديو على أنطوان وظيفة في مجال الاعلان، فغمرته السعادة وأكب على العمل بحماسة فائقة. وذات عشية من نوفمبر (تشرين الثاني) عاد الى المنزل وثيابه ترشح ماء وقد اكتوى بحمى حارقة بعدما أمضى يومه في التصوير تحت المطر الغزير.

وشخّص الطبيب أنه مصاب بانفلونزا استوائية. وتدهورت حاله على مدى الايام الثلاثة التالية، وراح يصفر وهو يتنفس ويسعل ويبصق دماً. فنقلتُه مذعورة الى المستشفى في فور دو فرانس حيث أظهرت صور الأشعة أنه مصاب بالتهاب رئوي.[٦] وكانت تلك دلالة واضحة على أن الفيروس دخل مرحلة ناشطة.

وبعد علاج استمر أسبوعين عاد أنطوان الى عمله. لكن مديره الذي عرف كنه مرضه صَرَفه. فثبطت عزيمته وانهارت أعصابه وبدأ يستسلم للمرض. وظل يعاني مضاعفات الالتهاب الرئوي مما أرغمه على الاستمرار في تناول المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك). وعندما غزا الفيروس خلاياه العصبية ضرب الشلل رجليه فبدأ يستعين بعصا للسير ويغادر المنزل من حين الى آخر مصطحباً ساموبل الى الشاطىء. واعتدت في تلك الفترة أن أردد لنفسي: "علي أن أكون قوية، لا يسعني الاستسلام، ولن أمرض." وقد دهش أطبائي اذ ارتفع عدد كرياتي البيض وتلاشت الحمى واختفى التضخم الذي كنت أعانيه.

أبدى أنطوان شجاعة فائقة ولم يغرق في وهدة الاشفاق الذاتي على رغم توافر الظروف المؤاتية. وخلال إحدى نزهاته النادرة في البلدة رجمته شلة من المراهقين بالحجار وراح الفتيان يصرخون: "عد الى منزلك يا إيدز! عد الى منزلك يا إيدز!" وأصابه حجر في جبينه فوقع على الارض ولم يقوَ على النهوض. وكنت في طريقي الى المنزل برفقة صديقة، فرأيته وهرعت لمساعدته.

جمع غاضب. احتفلنا بذكرى زواجنا في مايو (أيار) ١٩٨٧ ودعونا ١٥ شخصاً. وانتهت مرحلة عزلتنا وأصبح لدينا أصدقاء جدد شهام ولطفاء تقبلوا هذا المرض المريع بحكمة وتعقل. وكان أحدهم كاتباً بلجيكياً تعرف الى أنطوان على الشاطىء وأصبحا صديقين.

وفي سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ نُقلتُ الى مدرسة ثانوية في جنوب غوادلوب. وقبل سفرنا الى هناك أمضينا بضعة أيام في نزل في إحدى قرى جزيرة دومينيكا الصغيرة الواقعة بين مارتينيك وغوادلوب. وكان مضيفنا اللطيف يعد لأنطوان شراباً

(٦) Pneumocystosis carinii

ساخناً من الأعشاب. ولكن بعد ثلاثة أيام اشتبه الجيران في اصابة "ذاك السائح" بالايدز، وسرعان ما اقتحم النزل حشد غاضب.

فوقف انطوان في المدخل وحاول رفع صوته فوق سيل الشتائم المنهالة عليه، وصرخ في الجمع: "نعم، أنا مصاب بالايدز، ولكن ألم يأمر الله بمساعدة المرضى؟" فهمد الصخب تدريجاً وأطبق صمت مربك على المكان.

لكن رجال شرطة قدموا في اليوم التالي لأخذنا الى المطار. وأوقفنا في المخفر حيث طُلب منا توقيع محضر اتهام. وأخذت لنا صور كما لو كنا مجرمين. ودوّن في السطر الذي يحدد "نوع الجرم" كلمة "إيدز."

سكنّا في بلدة في جنوب غوادلوب. وعلم رئيس البلدية من الصيدلي أن زوجي مصاب بالايدز، فرفض السماح لساموبل بدخول دار الحضانة المحلية مبرراً قراره بالآتي: "في المنطقة أناس طيبون، وقد يدفعهم الامر الى الرحيل." فأرسلت ابني الى مدرسة تبعد ستة كيلومترات عن منزلنا.

جمع الشمل. ازداد انطوان وهناً على نحو واضح حتى بات عاجزاً عن الشرب من دون مساعدة. كان طوله ١٨٣ سنتيمتراً الا أن وزنه لم يتجاوز ٤٨ كيلوغراماً. وبعد خضوعه لفحص عمومي في نوفمبر (تشرين الثاني) أخبرني طبيبه أنه لن يصمد طويلا.

قبيل الميلاد دعوت والديه الى زيارتنا. وكان أنطوان أطلعهما على مرضه قبل فترة قصيرة فلم يتقبلا الخبر برحابة صدر. ولكن عندما قدما لتمضية العطلة معنا وشاهدا ابنهما وما آلت اليه حاله من نحول ووهن تلاشى غضبهما. وقد سعد أنطوان بجمع الشمل فتحسنت صحته قليلا. لكنه عاد فانتكس بعد رحيل والديه. لم يعد قادراً على التنقل في المنزل، وبات يتكلم على نحو غير مترابط وغير موزون، وبدأت ذاكرته تخونه. وفي مارس (آذار) أصابته حمى شديدة استلزمت نقله الى المستشفى. وكنت أصطحب ساموبل كل يوم لزيارته، لكنه كان يتعب سريعاً ويطلب منا الرحيل.

وفي بواكير الربيع اتصل بي طبيبه وقال لي: "أخبرني أنطوان أنه يود رؤية فرنسا وذويه مرة أخيرة."

وفي تلك الليلة سافرنا الى باريس على متن طائرة – مستشفى. وكان أنطوان في شبه غيبوبة عندما وُضع في سرير في إحدى غرف مستشفى كلود برنار.

مكثت الى جانبه بضعة أيام، لكني كنت مضطرة الى العودة الى ساموبل الذي أودعته لدى أخي في مارتينيك. وفيما كنت أغادر الغرفة همس لي زوجي: "سنلتقي ثانية."

وهذا ما حصل، اذ سمح لانطوان بالسفر في يوليو (تموز) بعدما أمضى ثلاثة أسابيع في المستشفى وشهرين ونصف شهر في مصح. وباتت رجلاه مشلولتين تماماً، لكن وزنه زاد ١٢

كيلوغراماً وبدا أفضل حالا وتحسنت شهيته للطعام وعاد يبتسم.

وتوالت الأيام، وكان أنطوان يطلب مني على الدوام أن أحضر له كتباً جديدة حول الحياة الاخرى وشهادات أشخاص صارعوا المرض العضال. وسعى الى اكتساب حس سام من خلال اعترافه بأخطائه. فأقر بأنه غالباً ما كان مستبداً ومزهواً، ونزع الى تقبُّل المذلة التي انتهى اليها في اعتماده على الآخرين معتبراً اياها محنة أخرى عليه تحمُّلها.

تكلمنا على الموت مطولا خلال هذه الفترة، فكانت الحقبة الأغنى والأكثر عاطفية في حياتنا المشتركة. وقد ذكرنا أموراً حميمة وحساسة جداً من دون أن يخشى أحدنا إغضاب الآخر، إذ لم يعد لدينا ما نخسره.

أيام أخيرة. نزع أنطوان الى الهدوء أكثر فأكثر. وهو استدعى ساموبل ذات يوم وقال له: "أنا مريض جداً، وسأرحل عما قريب ولن أعود. ولكن لا تحزن لأني لن أكون تعيساً حيث أنا ذاهب."

في ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٨ عاوده الالتهاب الرئوي مترافقاً مع نزف مروع. وفاق الوضع قدرتي على التحمل، فأدخلت المستشفى بعدما هبط ضغط دمي فجأة، وأمضيت ثلاثة أيام اعتنى صديقانا آن وبرنار خلالها بزوجي وابني.

وفي يناير (كانون الثاني) دعيت الى حضور دورة تدريبية في بلدة بعيدة. وألح علي برنار وآن لقبول الدعوة وتعهدا الاهتمام بالامور في غيابي. وحضّني أنطوان هو أيضاً على الرحيل قائلا: "أنت في حاجة الى بعض التغيير. ولا تقلقي، فسيكون كل شيء على ما يرام."

غادرت البلدة في ١٧ فبراير (شباط). وفي اليوم التالي قرابة العاشرة صباحاً نادى أنطوان آن وبرنار وقال لهما: "أمسكا بيدي." وأسلم الروح.

أعتقد أن أنطوان كان عالماً بقرب ساعته فتعمد إبعادي كي لا أشهد رحيله. وهو خلَّف لي هدية قيِّمة، اذ لم يكن شجاعاً فحسب، بل حضَّرنا أيضاً لتقبل موته. لقد جعلني أقوى وأعمق تفكيراً وأكثر مراعاة للمشاعر. وذكرى قدرته الداخلية تعينني في الحفاظ على توازني. وها أنا أبقيها نصب عيني فأحاول أن أعيش حياة هادئة وسليمة. وأطلب العون من الله عز وجل ليعينني على الصمود ما أمكن لكي أربي ابني.

كليمانس ف. ■

كما روت لكاثرين غاليتزين

لا تزال كليمانس في الغوادلوب حيث تدرِّس الرياضيات. وهي تتمتع بصحة مرضية، وقد ازداد عدد الكريات البيض في دمها. انها عضو ناشط في جمعية انسانية هناك، وقد نظمت فريق دعم للأشخاص الذين يحملون فيروس الايدز. وهي ترعى ابنها ساموبل الذي أكمل عامه السابع.

العقل البشري مدفوع الى الفهم بمقدار ما هو الجسم مدفوع الى البقاء.

هـ. غ.

٤ قواعد للنحافة دائمة

قواعد بسيطة للحفاظ على رشاقة لا تزول

كان تيري كابلان سميناً معظم حياته. وهو يتذكر: "ما أعدَّت والدتي لونا من الطعام الا وكانت الزبدة عنصراً أساسيا فيه."

واذ استبد به القلق عمد الى انقاص وزنه ٢٢ كيلوغراماً. وبعد خمس سنوات تخلص من ٢٢ كيلوغراماً أخرى واستقر وزنه في السنتين التاليتين على ٨٠ كيلوغراما، أي أقل ٤٨ كيلوغراما مما كان في ذروة بدانته.

والمدهش أن كابلان ليس نموذجا شاذاً. فعلى رغم ما تشير اليه الابحاث من أن غالبية الذين يتبعون نظام حمية يستردون لاحقا الكيلوغرامات التي يفقدونها، يصر بعض الخبراء على أن الامور ليست سيئة الى هذا الحد، ويؤكدون أن كثيرين من متبعي الحمية الذين يترددون الى مراكز الابحاث وينتهون في جداول الاحصاءات هم الذين أخفقوا مرة تلو أخرى في انقاص وزنهم. ويذهب هذا الرأي الى أن هؤلاء الاشخاص هم الأقل قدرة على إزالة فائض وزنهم نهائيا. وفي المقابل، لا يحتاج كثيرون آخرون من متبعي الحمية الى الاستعانة بالاحصاءات المقارنة، لأنهم ينقصون وزنهم بأنفسهم ونهائيا.

وتدعم هذا الزعم أبحاث مثيرة. فخلال العامين ١٩٧٩ و١٩٨٠ استطلع ستانلي شاستر وهو اختصاصي بالسمنة في جامعة كولومبيا ١٦١ شخصا ما يبذلونه لانقاص وزنهم. وخلص الى أن نسبة المعالجة الذاتية في أوساط البدناء هي "أعلى كثيراً مما هو معروف." (وقد حدد البدين بأنه الشخص الذي يزيد وزنه ١٥ في المئة أو أكثر على المعدل الطبيعي.) فمن بين ٤٦ شخصا عانوا بدانة في حياتهم، اعتُبر ٢٥ منهم قد شُفوا، أي انهم لم يعودوا زائدي الوزن كما أنهم حافظوا على وزنهم الجديد فترة طويلة. وقد تخلص هؤلاء من ١٥،٧ كيلوغراما في المتوسط وحافظوا على وزنهم الجديد نحو ١١ سنة.

وسرعان ما ظهرت دراسة في صحيفة "تصرفات ادمانية"[1] تؤيد نتائج بحث شاستر. فقد تتبع الاختصاصيان بعلم النفس روبرت كولفن وسوزان أولسون

(١) Addictive Behaviors

عبر اعلانات دعائية في الصحف والراديو والتلفزة حالات ٤١ امرأة فقدت كل منهن من وزنها ما معدله ٢٤ كيلوغراماً لم تستعدها طوال ست سنوات، و١٣ رجلاً حافظوا على انخفاض في السمنة بلغ متوسطه ٣٤،٥ كيلوغراماً أثناء الفترة ذاتها. ولم يحتج سوى ٢١ من هؤلاء الى برامج خاصة أو اشراف طبي.

ولكن ما الذي يساعد الناس على انقاص وزنهم وعدم استعادة الكيلوغرامات الزائدة؟ اليكم وسائل ناجعة مستقاة من أبحاث حديثة وأشخاص اتبعوا نظام حمية فاعلاً:

تحولوا الى الأطعمة القليلة الدهن

بدأت سو تهتم جدياً بخفض وزنها قبل ١٦ سنة، فأنقصته تدريجاً من ٧٣ كيلوغراماً الى ٦٤، واستقرت على هذا الوزن مدة خمس سنوات. ثم فقدت سبعة كيلوغرامات أخرى. وهي قللت في بادىء الأمر من تناول الأطعمة الدهنية، وتقول: "اتبع زوجي أيضاً حمية قوامها طعام قليل الدهن، وهكذا تعلمت فن الطبخ الخفيف اللذيذ."

واستطاع الذين حافظوا على استقرار وزنهم فترة طويلة التوصل الى طريقة تجعل طعامهم القليل الدهن يمدهم برضى أكبر وضجر أقل. فابتكروا وجبات جديدة من اللحم الهبر والسمك والدجاج والخضر والحبوب الكاملة والفاكهة. وهم لا يحرمون أنفسهم أطباقهم المفضلة، بل يتناولون منها باعتدال. وفي المقابل، ينزع أولئك الذين يستعيدون الكيلوغرامات التي فقدوها الى حرمان أنفسهم أطعمتهم المفضلة خلال الحمية. ويعتقد بعض الخبراء أن هذه الطريقة تؤدي الى احباط للذات.

تحركوا.

حاولت تامي بوشولز طرقا شتى لانقاص وزنها. فامتنعت عن بعض الوجبات واكتفت بتناول الحساء المركّز المجفف وشاركت في لقاءات نادٍ لانقاص الوزن. وتقول: "غير أني لم ألتزم أبداً انقاص وزني." ثم اكتشفت أن لديها نسبة عالية من الكولسترول. وكانت تتدرب لتصبح اختصاصية بالحمية، وشعرت بأن مظهرها ليس لائقا لهذا الغرض فوزنها ٦٦ كيلوغراماً في حين لا يتعدى طولها ١٥٥ سنتيمتراً.

لذا انقصت تامي وزنها الى ٤٧ كيلوغراما في غضون ثلاث سنوات، واستقرت على وزنها الجديد منذ أربع سنوات. كيف؟ باتباع حمية متوازنة وتناول حصص أصغر وحصد فوائد التمارين الرياضية. وهي الآن تمشي يوميا نصف ساعة وتستمتع بممارسة التزلج وركوب الدراجة.

ويجمع الخبراء على أن التمارين المنتظمة تميز الناجحين في الحفاظ على وزن مستقر. وفي دراسة نشرتها مجلة مختصة بالتغذية السريرية،[٢] أجرى

(٢) American Journal of Clinical Nutrition

الباحثون سوزان كايمن ووليم بروفولد وجوديث ستيرن مقارنة بين ٣٠ امرأة حافظن على وزنهن المخفوض و٤٤ امرأة أخرى عجزن عن ذلك. وأفادت ٩٠ في المئة من اللواتي حافظن على وزنهن أنهن يمارسن تمارين رياضية نصف ساعة أو أكثر ثلاث مرات أسبوعيا على الأقل، بينما لا يفعل ذلك سوى ٣٤ في المئة من اللواتي استعدن ما فقدنه.

هل الاجهاد ضروري لكي تكون التمارين فاعلة؟

تجيب جوديث رودين وهي طبيبة نفسانية ورئيسة قسم علم النفس في جامعة ييل أن لا حاجة الى الاجهاد. لكنها تشدد على أهمية جعل التمارين المنتظمة جزءاً لا يتجزأ من العادات اليومية، مثلها مثل تنظيف الاسنان.

وفي دراسة حديثة تبين لرودين أن الأشخاص الذين استعادوا الكيلوغرامات التي فقدوها إما بالغوا في ممارسة التمارين الرياضية واما تخلوا عنها بسرعة. وتضيف: "لقد واظبوا فترة على الأكل الصحيح والتمارين الرياضية ثم رجعوا الى عاداتهم السابقة."

عالجوا مشاكلكم مباشرة

أظهرت الدراسة التي وضعها كايمن وبروفولد وستيرن أن الذين حافظوا على وزنهم كانوا أقدر من "المنتكسين" على معالجة مشاكلهم بمهارة. وقد أقر المنتكسون بأنهم يتجنبون مواجهة الصعاب، وأنهم متى استبد بهم القلق ينزعون الى الأكل سعياً الى شعور أفضل.

ويقول طوم فرانك الذي فقد نحو ١٥ كيلوغراماً وحافظ على وزنه الجديد طوال ١٥ سنة: "أعلم أني أفرط في الأكل عندما أكون متوتراً. ولكن ما ان أتقبل المشكلة وأسعى الى حلها حتى تختفي حاجتي الى الاكثار من الطعام."

تخلصوا من هاجس الحمية.

ان الانقاص البعيد المدى للوزن يعني التخلص من "ذهنية الحمية" أي من هاجس المرء أنه مقبل على نظام غذائي موقت آخر. تعلموا أن تنظروا الى عملية ضبط الوزن على أنها دائمة مدى الحياة.

وتؤيد الابحاث التي أجرتها كايمن وزميلاها هذا السلوك العقلي. فهم وجدوا أن الذين يحافظون على وزنهم المخفوض، خلافا للمنتكسين، يدركون أن عليهم مراقبة كمية الطعام الذي يتناولونه ونوعيته ومستوى النشاط الذي يمارسون.

باختصار، ليس هناك علاج سريع. ويقول تيري كابلان: "ما من نظام حمية لم أتبعه، لكني لم أنجح الا عندما تقبلت عملية ضبط الوزن كنمط عيش." ويضيف أن المسألة تتطلب بذلاً، لكنها تستحق العناء، لأن "الجهد الذي أبذله ليس الا جزءاً صغيراً جداً من معاناتي أيام زيادة وزني ٤٥ كيلوغراما على المعدل الطبيعي."

آن فلتشر ■



صربيا الكبرى حلم رجل وكابوس وطن

عادت الحرب الى أوروبا بعدما ساد الظن ردحاً أن شبحها قد طواه النسيان الى الابد. فبعدما أعلنت كرواتيا وسلوفينيا في يونيو (حزيران) ١٩٩١ استقلالهما عن الاتحاد اليوغوسلافي الذي هيمنت عليه صربيا، قبع العالم يراقب الوضع عاجزاً فيما عاد ورثة قرون من الكراهية يحتكمون الى السلاح. ولم تمضِ أشهر حتى أوقع النزاع مئات الضحايا وقسّم مناطق ومدناً وعائلات.

وسط عاصفة الاحداث يقف رئيس صربيا سلوبودان ميلوسيفيتش عاقداً العزم على مد سيطرته بأي ثمن.

CONDENSED FROM THE NEW YORK TIMES MAGAZINE (SEPT. 1, '91), © 1991 BY THE NEW YORK TIMES CO., NEW YORK, N.Y. PHOTOS: ALEXANDRA BOULAT / SIPA PRESS

ثارت ثائرة المسؤولين المئة والخمسين الذين يديرون صربيا كبرى جمهوريات يوغوسلافيا الست وأكثرها اكتظاظاً بالسكان. واضطرموا غيظاً وهم قابعون منذ ساعات ينتظرون قدوم قائدهم سلوبودان ميلوسيفيتش الذي استدعاهم الى بلغراد لعقد جلسة سرية استراتيجية، فيما البلاد تتخبط في حال من الفوضى والانهيار الاقتصادي والتظاهرات الطالبية الهادفة الى الاطاحة بالحكومة الصربية.

أخيراً وصل ميلوسيفيتش واعتلى المنصة وشرع يخطب في المجتمعين لأكثر من ساعة بصوت هادىء لا أثر فيه لانفعال، مجيبا عن تساؤلاتهم حتى نفادها. في تلك الليلة من منتصف مارس (آذار) ١٩٩١ حدد ذلك السياسي المنعزل عن العالم خطته لسحق المعارضة بقبضته القومية الحديد. قال إن واجب صربيا الاول هو الدفاع عن الصرب المشتتين في جمهوريات يوغوسلافيا الاخرى وإن عنى ذلك إعادة رسم خريطة البلاد بالقوة. وأضاف أن لا معارضة سياسية ولا عويل حول التدهور الاقتصادي يستطيعان الصمود أمام الدعوة الصربية الى السلاح.

وتابع ميلوسيفيتش خطابه: "يتوجب علينا ضمان وحدة صربيا إن أردنا فرض مسار الاحداث. فالحدود شأن يفرضه الاقوياء لا الضعفاء." ثم هاجم بعنف فئة لم يحدد اسمها تسعى الى اضعاف صربيا محذراً: "إنْ توجَّب علينا القتال، فسنقاتل بلا شك، وآمل ألا يكونوا من الجنون بحيث يعمدون الى مقاتلتنا، لأننا اذا كنا لا نتقن الاعمال فنحن على الاقل نتقن القتال."

وما كاد ميلوسيفيتش ينهي كلامه حتى دوّت القاعة بتصفيق راعد.

صربيا الكبرى. أدى انهيار الشيوعية الى تأجيج نعرات عرقية وقومية في أنحاء أوروبا. وشهدت يوغوسلافيا أعنف



سلوبودان ميلوسيفيتش
الصربي ذو القبضة الحديد

عمليات التفكك لاحتوائها على ثماني مجموعات عرقية فباتت منذ سنوات بؤرة تفجر مرتقب.

ويُعتبر الصرب أكثر هذه الاعراق اعتداداً قومياً. فصربيا هي الجمهورية اليوغوسلافية الوحيدة التي تمتعت بالاستقلال ردحاً طويلاً. وقد قاتلت الى جانب الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الاولى، فيما وقفت كرواتيا وسلوفينيا وقتئذ الى جانب المانيا والنمسا باعتبارهما جزءاً من الامبراطورية النمسوية - المجرية (الهنغارية). لذلك اعتبر الصرب أنفسهم الشركاء المهيمنين حين انضموا الى الكرواتيين والسلوفينيين في تأسيس الدولة اليوغوسلافية الحديثة عام ١٩١٨.

وخلال الحرب العالمية الثانية أخذت الاحداث في يوغوسلافيا منحى دموياً اذ أعدم عشرات الالوف من الصرب في "مخيمات الموت" التي هيأتها الحكومة الكرواتية الموالية للنازيين. وعمد المقاتلون الملكيون الصرب بدورهم الى ذبح قرويين كرواتيين، فيما شكل الصرب المقيمون خارج صربيا العمود الفقري لمحازبي يوسف بروز تيتو.

وعندما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها بدأ الصرب يطالبون بالانتقام. ولكن ما إن أحكم تيتو والحزب الشيوعي قبضتهما على الحكم حتى خمدت الاحقاد، وإن من غير حل. ومثَّل تيتو دوراً توازنياً بارعاً، اذ وضع حداً لطموحات الانفصاليين حين حيَّد الجمهوريات، وقلَّل من نفوذ الصرب بإحداثه مقاطعتي فويفودينا وكوسوفو ومنحهما حكماً ذاتياً ورسمه حدوداً تركت ملايين الصرب قاطنين خارج نطاق جمهوريتهم.

وبعد وفاة تيتو عام ١٩٨٠ وحلول سياسة البريسترويكا الاصلاحية التي اعتمدها الرئيس السوفييتي السابق ميخائيل غورباتشيف، سارع الزعماء الوطنيون الى اقتناص الفرصة لتصحيح أوضاع اعتبروها خطأ تاريخياً. واليوم يُعتبر ميلوسيفيتش (٥٠ عاماً) الذي يقود حملة "صربيا الكبرى" لاعادة جمع شمل الصرب ضمن حدود بلد واحد، اللاعب الأساسي في صراع الموت في يوغوسلافيا.

نجم صاعد. ولد سلوبودان ميلوسيفيتش في بلدة بوزاريفاك الصربية البعيدة ٦٠ كيلومتراً عن العاصمة بلغراد. وكان أبوه أستاذاً وأمه معلمة وعضواً ناشطاً في الحزب الشيوعي. وبعد الحرب انفصل والداه وعاد أبوه الى مونتنيغرو مسقط رأسه. وانتحر الوالدان لاحقاً.

لم يكن في سيرة ميلوسيفيتش الأولى ما يميزه عن غيره من الشباب المنضمين الى الحزب الشيوعي. ويقول صديقه ورفيقه في الجامعة نائب الرئيس الصربي بوديمير كوسوتيتش إن ميلوسيفيتش لم يجد في شبابه متسعاً من الوقت لممارسة الرياضة أو الانجراف في تيار اللهو، وكان "تلميذاً نجيباً يحب مطالعة الكتب

الأدبية." وقد تزوج زميلته في المدرسة الثانوية ميريانا ماركوفيتش التي تنتمي الى احدى العائلات الشيوعية البارزة في يوغوسلافيا.

التحق ميلوسيفيتش عام ١٩٦٠ بكلية الحقوق في جامعة بلغراد. ونمّى صداقات كانت له خير معين في ارتقاء سلم السلطة. وانتخب أميناً لمنظمة الشباب الشيوعي والتقى ايفان ستامبوليتش ابن شقيق أحد أقوى شيوعيي يوغوسلافيا. وفي السنوات التي تلت تخرجه أفاد من نجم ستامبوليتش الصاعد. وتولى الاثنان مناصب متعاقبة في شركات تدور في فلك الدولة، ووصلا سريعاً الى مراكز نافذة. وكان ميلوسيفيتش يتولى تباعاً المناصب التي يخليها ستامبوليتش.

وفي منتصف الثمانينات أصبح ستامبوليتش رئيس صربيا، فيما تولى ميلوسيفيتش المركز الثاني وهو رئاسة الحزب الشيوعي الصربي. ويذكر بوغدان بوغدانوفيتش محافظ بلغراد بين ١٩٨٢ و١٩٨٦ حماسة ميلوسيفيتش للشيوعية: "كاد المسؤولون أن يلغوا صفوف الماركسية اللينينية في المدارس والجامعات لأن الجميع اعتبرها دروساً سخيفة." لكن ميلوسيفيتش أصر على ابقائها. وهو لم يكتفِ بابقاءِ هذه الصفوف بل عمد الى زيادتها."

الا أن ميلوسيفيتش كان يتغير مع تغيُّر الظروف. وجاءت أولى الدلائل على تحوله المذهل من الشيوعية الى القومية عام ١٩٨٦ عندما كتب أعضاء الاكاديمية الصربية للعلوم والآداب مذكرة اعتبرها كثيرون الاساس الفكري لصعود نجم ميلوسيفيتش، اذ جاء فيها أن يوغوسلافيا سلبت صربيا شعبها، وأن لجميع الصرب القاطنين في جمهوريات يوغوسلافيا الحق في العيش داخل صربيا.

هاجم معظم قادة الحزب الشيوعي اليوغوسلافي هذه المذكرة بعنف. لكن ميلوسيفيتش لم يقل شيئاً قبل ٢٤ أبريل (نيسان) ١٩٨٧ حين زار كوسوفو بولي وهي بلدة يقطنها الصرب وتقع في اقليم كوسوفو الصربي حيث تبلغ نسبة السكان الألبان ٩٠ في المئة. وتجمع خارج قاعة الاجتماع ألوف من الصرب المتذمرين من سياسة القمع التي تمارسها الحكومة الشيوعية المنقادة للالبان. وبدأت الحشود تتدافع للتقدم والاقتراب من المدخل فيما الشرطة تدفعها الى الوراء وتنهال على الناس ضرباً بالعصي.

فجأة ظهر ميلوسيفيتش على الشرفة صارخاً: "لا يحق لأحد أن يضرب الناس!".

يقول أحد الصحافيين الذين رأوا ما حدث: "كان رد الفعل عفوياً. فقد بدا ميلوسيفيتش لدى عودته الى بلغراد كمرجل متأجج كما وصفه معاونوه القريبون. وكان لا يقوى على تهدئة نفسه."

ويتفق الاصدقاء والاعداء على أن تلك كانت نقطة تحول كبرى في حياة ميلوسيفيتش اذ شعر للمرة الاولى بمدى تأثيره في الجماهير.

شن ميلوسيفيتش بعد ذلك حملة سرية للاطاحة بحليفه القديم ايفان ستامبوليتش. وفي اجتماع عقدته اللجنة المركزية للحزب الشيوعي الصربي دبر انقلاباً أطاح بعد أشهر بالرئيس الصربي الذي لم يصدق ما حصل.

بسط السلطة. بعد إبعاد ستامبوليتش تحول ميلوسيفيتش الى الشارع سعياً الى تحقيق هدفه الاساسي: بناء "صربيا الكبرى." فنظمت تظاهرات ضمت مئات الالوف وهزت الحكومتين الشيوعيتين في كوسوفو وفويفودينا كما أججت سكان مونتنيغرو الصرب. وطرح ميلوسيفيتش نفسه محارباً مناهضاً للبيروقراطية ونسخة بلقانية ذات نكهة قومية عن غورباتشيف. فانطلقت الجماهير المؤيدة له في فويفودينا ترشق الزعماء الشيوعيين المحليين باللبن، فيما اندفعت وحدات من الشرطة الصربية المدعومة من الجيش الاتحادي الذي يهيمن عليه الصرب تسحق التظاهرات العرقية الألبانية محوِّلة المقاطعة برمتها معسكراً مسلحاً. وبنهاية العام ١٩٨٩ فاز ميلوسيفيتش بمسعاه اذ صوَّت برلمانا فويفودينا وكوسوفو على اعادة السلطات الرئيسية الى الحكومة الصربية.

في الخطوة التالية سعى ميلوسيفيتش الى بسط سلطته على يوغوسلافيا بأجمعها. لكن مسعاه كان عقيماً اذ حُلّ الحزب الشيوعي اليوغوسلافي بعد أشهر وأجريت انتخابات متعددة الاحزاب في كل جمهورية، حقق فيها المرشحون القوميون، بمن فيهم ميلوسيفيتش، انتصارات ساحقة. وفي مارس (آذار) ١٩٩١ دعت المعارضة الديموقراطية الصربية الى تظاهرة احتجاج على هيمنة الحكومة على وسائل الاعلام، وخصوصاً التلفاز الوسيلة الرئيسية التي اعتمدها ميلوسيفيتش في توسيع رقعة نفوذه.

اندفع عشرات الألوف من المتظاهرين الغاضبين الى ساحة الجمهورية في بلغراد. وعندما تقدم رجال الشرطة لوقفهم مستخدمين خراطيم ماء وقنابل مسيلة للدموع، انبرى لهم المتظاهرون. اذذاك أطلقت عيارات نارية أوقعت طالباً ورجل شرطة. فتحولت التظاهرة شغباً عارماً اجتاح وسط المدينة، إلا أنها قُمعت وقُهر الصرب بأيدي الشرطة الصربية هذه المرة.

تبعت ذلك تظاهرات دامت أياماً. لكن قادة الاحتجاج لم يقدموا خيارات بديلة من طروحات ميلوسيفيتش سوى التزام مبهم للديموقراطية. فلجأ ميلوسيفيتش الى تراجع استراتيجي أبدل بموجبه المدير المسؤول عن محطة التلفزة ووافق على لقاء الطلاب. وبعد ذلك عاد فركز اهتمامه على مسألة القومية. وطرحت صحف الدولة قضية كرواتيا مبرزة أن الحكومة الكرواتية تضطهد الاقلية الصربية بوحشية وتخطط لابادة جماعية.

لاقت هذه الرسالة آذاناً صاغية لدى الصرب. وحظي الخط السياسي للحزب الصربي بدعم غير مباشر من الحكومة

الكرواتية نفسها التي أوحت تصرفاتها اتباعها سياسة اضطهادية، أذ أصرت علي أن يوقّع الصرب قَسَم ولاء، مما صنّف الصرب في كرواتيا، قانونا، أقلية عرقية. كما عمدت الحكومة الى توزيع بنادق حربية على بعض المواطنين.

لا تنازلات. اتبع ميلوسيفيتش في مسعاه الى تحقيق "صربيا الكبرى" استراتيجية بسيطة قرنت كل خطوة بحملة دعائية – مبالغ فيها عادة – ركزت على الظلم اللاحق بالصرب. مثال على ذلك ما حصل أخيراً خلال المواجهات العنيفة في كرواتيا بين الثوار الصرب والشرطة الكرواتية، اذ بثت محطة التلفزة في بلغراد مقطعا معتّقا من مقابلة بين أدولف هتلر وعميله الكرواتي آنذاك انتي بافليتش، أُتبع بلقطة أخرى لرئيس كرواتيا الحالي فرانيو تودمان وهو يصافح المستشار الالماني هلموت كول. وتُركز الحملات الدعائية على اظهار صربيا بلداً يحاصره أعداء متآمرون كوكالة الاستخبارات الامريكية (CIA) وألمانيا والنمسا والفاتيكان والماسونية والشيوعية الدولية.

بعدما أذكى ميلوسيفيتش النار بالدعاية، انتقل الى الضغط على مناوئيه عبر التظاهرات المنظمة أو العمل العسكري أو الديبلوماسية. وهذه الاساليب، التي أجبرت حكومتي فويفودينا وكوسوفو على التخلي عن سلطاتهما لصربيا، تتهدد اليوم جمهورية بوسنيا الهرسك المقسمة التي تبلغ نسبة السلاف المسلمين فيها ٤٥ في المئة والصرب ٣٥ في المئة والكرواتيين ١٨ في المئة. (أعلنت بوسنيا الهرسك استقلالها في أكتوبر/تشرين الاول ١٩٩١).

أشاعت قساوة ميلوسيفيتش ومهاراته التكتيكية الخوف في قلوب مناوئيه ومؤيديه على السواء. فتراه، بفكه الناتىء وعينيه العسليتين الثاقبتين، مهيمنا على الاجتماعات. وهو، كما يقول ميلان كوكان رئيس سلوفينيا، "لا يقدم أي تنازلات، ويصر على قبول الآخرين حججه وآراءه بلا انتقاص." وفي أغسطس (آب) ١٩٩١، ضمن مساعي البعثة الاوروبية لاحلال السلام، أمضى وزير الخارجية الهولندي هانس فان دن بروك خمس ساعات محاولا اقناع ميلوسيفيتش بالسماح بارسال مراقبين غير مسلحين من المجموعة الاوروبية الى كرواتيا. لكن محاولاته خابت، وبعد الاجتماع صرح للمراسلين الصحافيين: "إننا نشفق على شعوب لها مثل هؤلاء القادة."

ورقة خطرة. يعيش ميلوسيفيتش حياة تقشف ظاهرة. فهو يؤثر لبس القمصان المنشّاة والبزّات القاتمة الرائجة في أوساط الحزب الشيوعي، ولا يسرف في شيء سوى تدخين السيجار الكوبي الفاخر. وهو لا يتحدث علنا الا في ما ندر، حتى القريبون منه يعترفون بأنهم لا يرونه الا لماما. يقول كوسوتيتش الذي عرفه

منذ أيام الدراسة الجامعية، إنه لم يدخل منزله ولم يلتقِ زوجته منذ أكثر من ٢٠ سنة.

يبدو أن الصرب قانعون حاليا بما ينالونه من "غذاء" قومي غني، إلا أنهم غافلون عن الاخطار التي "يغازلونها." فموجة الغلواء القومية التي تؤججها الدولة عبر التلفزة والصحف الموجهة طغت على المعارضة الديموقراطية. والثوار الصرب في كرواتيا وبوسنيا الهرسك مزمعون على اقتطاع أجزاء من الاراضي التي تقطنها مجموعات صربية. وهكذا يبدو أن ميلوسيفيتش بات قريباً من تحقيق "صربيا الكبرى" التي سعى اليها طويلا.

فإلام ستؤدي موجة العنف والفوضى؟ الواقع أن صربيا، اذا قيد لها أن تنتصر حرباً، ستكون معزولة عن أوروبا ومدمرة اقتصادياً وغارقة في نزاع طويل الامد مع المجموعات العرقية القاطنة ضمن حدودها الموسعة. يقول هاري ستاينر محرر الاخبار الدولية في صحيفة "فريمي" الاسبوعية المستقلة في بلغراد: "لقد نجح ميلوسيفيتش في جعل الصرب العاديين أكثر افتخاراً بصربيتهم. ويسود الشعور اياه قطاعاً كبيراً من المفكرين الصرب. فهم لا يريدون التمعن في الاخطار الكامنة في لعب ورقة طالما أثبت التاريخ خطرها."

ستيفن انغلبرغ ■



كوميديا

عندما سئل الاميرال المتقاعد وليم كرو، الرئيس السابق لهيئة الاركان المشتركة في الولايات المتحدة، عن صواب قراره الظهور في العرض التلفزيوني الكوميدي "تشيرز" رد على سائله قائلا: "عرض كوميدي؟ هل سبق لك أن حضرت جلسة في البنتاغون" (البنتاغون مقر وزارة الدفاع الامريكية.)

صحيفة "صن - تايمز"

عين ناقدة

كتب ناقد سينمائي عن أحد الافلام: "يبدو أن الحبكة كُتبت على فوطة في مطعم للوجبات السريعة."

وعن فيلم آخر: "لقد اشترك معظم الممثلين في هذا المشروع وهم غفل الاسماء. وهكذا سيخرجون، اذا كانوا محظوظين."

وعن آخر: "ثمة تفسير واحد لاختيار الممثلين في هذا الفيلم: لقد اجري امتحان للمرشحين وفاز الخاسرون بالادوار."

ن.ب.

تواجه الصناعة اليابانية مشكلة مقلقة تهدد بقلب النظام الاجتماعي في البلاد

أزمة عمالة في اليابان

في اليابان اليوم، يكاد لا يخلو مدخل مبنى تجاري أو ورشة بناء أو مصنع أو مطعم من لافتات صارت عنوان العصر: "نطلب عمالا."

تعلن لافتة معلقة على أحد مطاعم "كنتكي فرايد تشيكن" في طوكيو: "اعمل عندنا بدوام جزئي تذهب الى هاواي." وتعرض ادارة سلسلة المطاعم هذه اجازات يمضيها العاملون بدوام جزئي في مركز التدريب الفخم التابع للشركة في هاواي، وهي الموقع المفضل لدى اليابانيين لقضاء اجازاتهم.

أما اعلانات اتحاد الشحن الياباني المعلقة في محطات المترو[1] ففيها: "اننا في مأزق!" وقد بدأ بعض شركات الشحن منح كل من يوقع عقداً للعمل سائق شاحنة مبلغ ٣٠٠ الف ين ياباني (نحو ٢٠٠٠ دولار) احتفالاً بتوقيع العقد. حتى دائرة الشرطة في طوكيو تواجه مشكلة في ايجاد عناصر جدد لتسيير دورياتها في المدينة الاكثر أمناً في العالم، وقد انخفضت طلبات الالتحاق بالشرطة بنسبة ٤٦ في المئة في السنوات الثلاث الاخيرة.

تواجه الآلة الاقتصادية اليابانية التي لا تتوقف – وبسبب نجاحها بالذات – نقصاً في العمالة هو الاكثر حدة في تاريخ البلاد الحديث. ويقدر عدد الشركات التي انهارت تحت ضغط نقص العمالة في السنتين الاخيرتين بنحو ٦٠٠. وتتنافس شركات عملاقة مثل

(١) المترو شبكة القطار النفقي تحت مدينة ما.

"نيسان" و"مازدا" و"ماتسوشيتا"، التي تعتبر محركات المعجزة الاقتصادية اليابانية، لاغراء خريجي الجامعات واجتذابهم للعمل لديها. ويقول ناوهيكو سوغيمورا الطالب المتخرج في جامعة أوياما غاكوين في طوكيو والذي تلقى سيلا من المنشورات الاعلانية بما فيها عدد من أشرطة الفيديو الدعائية أرسلتها اليه أكثر من ١٠٠ شركة: "كل هذا يؤكد لي أن مجتمعنا يحتاج فعلا الى أيد بشرية عاملة."

خوف على التقاليد. المشكلة الراهنة للعمالة في اليابان هي، في قسم كبير منها، انعكاس لتغيرات ديموغرافية[٢] حادة. فلقد انخفض معدل الولادات في اطراد منذ منتصف الستينات، في وقت يميل معدل أعمار السكان نحو مرحلة الشيخوخة بوتيرة أسرع مما في أي مجتمع صناعي آخر. وقد تراجع نمو القوة العاملة، الذي بلغ ذروته في الستينات والسبعينات، في حين واصل الاقتصاد نموه السريع. والنتيجة معدل بطالة لا يتجاوز ٢،٢ في المئة يعتبره معظم اقتصاديي اليابان "استخداما كاملا" للقوى العاملة.

ان اقتصاداً بهذه القوة يستنفد كل الايدي العاملة هو "المشكلة" الاقتصادية التي يطمح اليها معظم الدول. لكنها في اليابان تهدد توازن القوى بين العامل ورب العمل. فللمرة الاولى في فترة ما بعد الحرب العالمية الثانية بدأت أعداد ملحوظة من الموظفين تغيير وظائفها في منتصف العمر المهني مما ترك خيبة لدى أرباب العمل الذين كانوا يتوقعون اخلاصاً ثابتاً للوظيفة الدائمة التي يوفرونها.

ويثقل طلبُ العمالة ضغطَ التضخم. فقد اضطر أرباب العمل الى عرض أجور أعلى للحصول على موظفين أكفياء. وأفادت الاتحادات العمالية في المؤسسات الكبرى عن زيادة في الاجور عام ١٩٩١ تجاوزت النسبة العادية ٥ في المئة.

وما هو أكثر اقلاقاً لليابانيين أن مسألة العمالة تهدد بهز النظام والتناسق الاجتماعيين اللذين يجلهما اليابانيون كل اجلال. فماذا عن دور المرأة في موقع العمل مثلاً؟ اذ تحرص التقاليد على اعتبار دور المرأة اليابانية المتزوجة البقاء في المنزل لتربية الاطفال والاهتمام بشؤون البيت، لكن النساء يمثلن حالياً نسبة ٤٠ في المئة من مجموع القوة العاملة في اليابان. وقد يبدو هذا الدفق النسائي، في رأي مراقبين غربيين كثيرين، حلاً طبيعياً لنقص العمالة، خصوصاً لدى اعتبار مدى ثقافة المرأة اليابانية، اذ يتلقى نحو ثلث النساء في اليابان دراسة جامعية.

لكن كثيراً من السياسيين والاداريين ورجال الاعمال اليابانيين ينظرون بحذر الى أي تحول في هذا المجال لا يتم بتأن

(٢)الديموغرافيا دراسة احصائية للسكان من حيث المواليد والوفيات والصحة والزواج وسوى ذلك.



انضمت النساء الى الحشود المتوجهة الى المكاتب. لكن غالبيتهن تعمل جزءاً من الوقت فقط.

واع، يشاركهم في هذا الشعور والحكمة النابعة منه ملايين من اليابانيين، بمن فيهم النساء، الذين يرون وجوب بقاء المرأة في المنزل وانجابها الاطفال بدل اكتساب ثقافة علمية والانصراف الى العمل.

نساء ومسنّون. تغري سوق العمالة مزيداً من النساء. واذا كانت كثيرات منهن لا يزلن يعملن "سيدات مكاتب" يهتممن بسكب الشاي وتأدية أعمال بسيطة يكلفهن اياها مديرون رجال، فان أقلية من النسوة اليابانيات (اللواتي تزداد أعدادهن على نحو ملحوظ) يتولين أعمالا خطرة وشاقة يبذل الرجال جهدهم لتفادي القيام بها. فنرى، مثلاً، في ورشة لشركة "ساتو كوموتن" للانشاءات في طوكيو، نساء يعتمرن خوذات معدنية ويرتدين سراويل جينز وهن يلوين قضبان فولاذ ويشغّلن رافعات. ويدّعي المشرف عليهن ساداتوشي أكيساوا مبتسما أن استخدام النساء ضاعف انتاجية الشركة، ليس لانهن عاملات مجتهدات فحسب - و"هن كذلك فعلا،" - بل أيضا لأن "الرجال يتلفتون فيرون النساء يعملن بالجهد نفسه الذي يبذلونه هم، الأمر الذي يشعرهم بالاحراج فيضاعفون جهدهم."

لكن النساء لن ينقذن قطاع العمل في اليابان من مأزق نقص العمالة، ذلك لأن غالبيتهن العظمى بمن فيها الشابات، على نقيض النساء الغربيات، لا يتدفقن الى كليات تدريس ادارة الاعمال والى مكاتب التوظيف للحصول على فرص عمل كالرجال. فهن يتطلعن الى الساعات الطويلة والحياة المنهكة التي يعيشها هؤلاء فلا يجدن فيها ما يغري. ويفضل معظم النساء العاملات وظائف بدوام جزئي.

ولملء الوظائف الخالية، تتطلع الشركات الآن الى الشريحة السكانية الاسرع نمواً في اليابان: كبار السن. ويشكّل المواطنون الذين تجاوزوا الخامسة والستين من أعمارهم ١١،٦ في المئة من مجموع السكان، ويتوقع أن تقفز هذه النسبة بحلول السنة ٢٠١٥ الى رقم مذهل: ٢٢،٥ في المئة. وقد بدأ عدد من الشركات، في ضوء ارتفاع متوسط العمر المتوقع في اليابان الى ما يقارب ثمانين عاماً والذي يعتبر الاعلى في

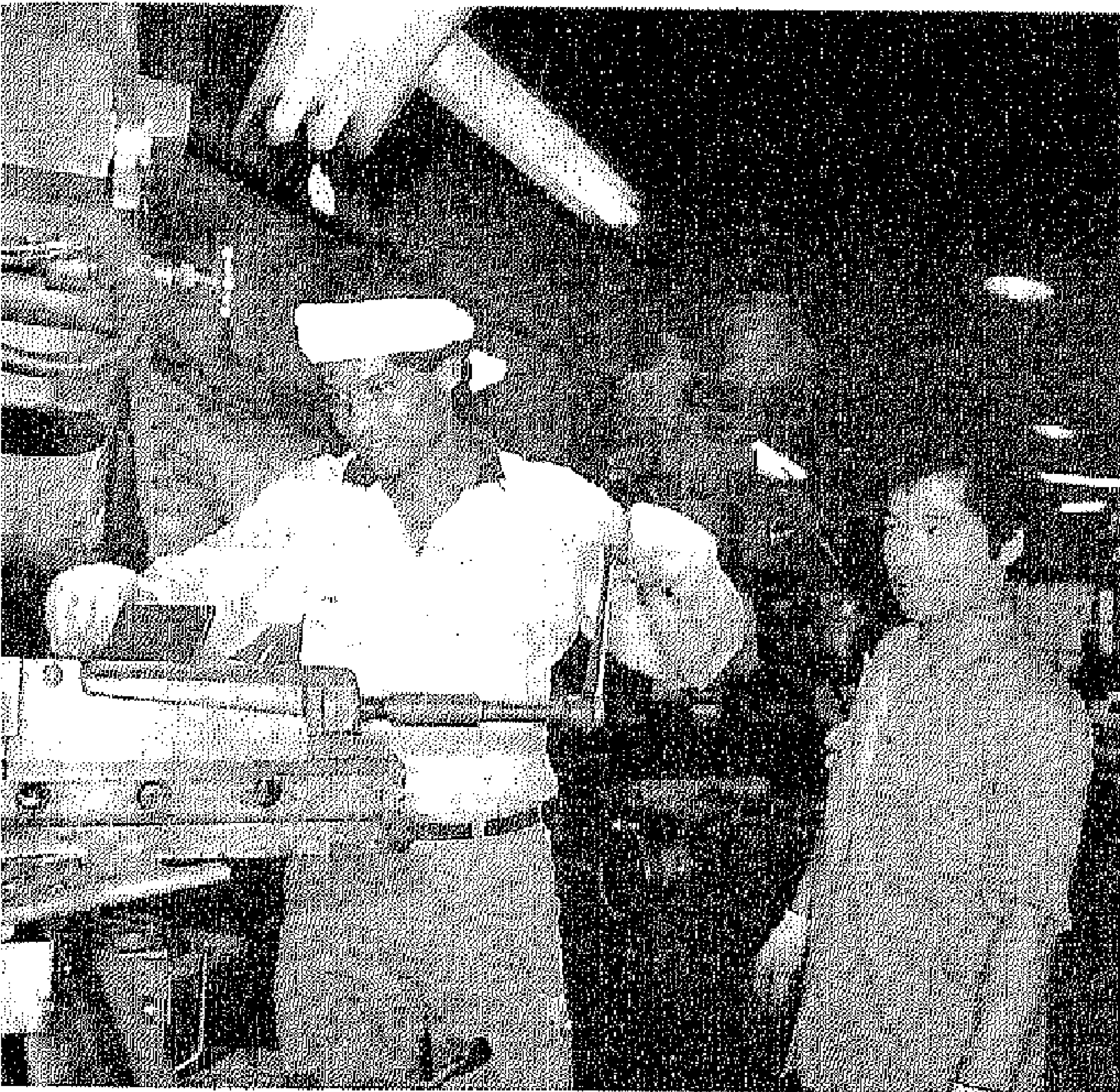
PHOTO: ROBERT WALLIS — SIPA

العالم حالياً، اعادة النظر في السياسة التقاعدية ورفع سن التقاعد من ٦٠ الى ٦٥. ومع ذلك تنتقل أعداد متزايدة من اليابانيين الذين تجاوزوا الخامسة والستين الى مهن جديدة. وتشجع الحكومة هذا المنحى، فهناك الآن ٤٢٥ مركز تشغيل لـ"الطاقة البشرية الفضية" (الشِيْب) تمولها الدولة، وتتلقى الشركات التي توظف مسنّين من خلال هذه المراكز دعماً حكومياً.

وشاعت قصص كقصة ناوتو موري: فهو عمل ٢٠ سنة سائق سيارة أجرة، الى أن اضطرته شركته الى التقاعد في السن الثالثة والستين. ولما كان لا يزال يتمتع بصحة جيدة فقد رفض الاذعان: "كانت رغبتي في العمل قوية جداً." وهكذا حصل على عمل لدى شركة "بلو" التي تملك أسطولا من ٥٠ شاحنة مغلقة (ڤان) تجوب أنحاء طوكيو رافعة لافتات اعلانية كبيرة. ويشعر موري الذي يعمل أسبوعين في الشهر بسعادة غامرة لانه عاود العمل للحصول على لقمة العيش، وهو يقول: "أريد أن أستمر في العمل حتى أبلغ الخامسة والسبعين على الاقل."

عمال أجانب. لكن كبار السن لا يقدمون الا القليل لحل مشكلة المؤسسات التي تحتاج الى عمال قادرين على تأدية مهمات تتطلب جهداً جسدياً كبيراً أو تنطوي على خطر في مقابل أجور متدنية نسبياً. ولذا فان القطاعات التي تعاني أكثر من نقص العمالة هي شركات الانشاءات والصناعات القديمة التي لا تزال منتشرة في بلدات تندر فيها الوظائف التي تتطلب مهارات حديثة، مثل كاوغوشي على مسافة ١٦ كيلومتراً من طوكيو. ويقول مدير مصنع للحديد المسبوك هناك: "لم يعد الشباب يأتون للعمل في مصانعنا، فهم يعتبرون هذا النوع من العمل غير جدير بهم."

والحل لكثير من أرباب العمل في كاوغوشي وغيرها هو احضار عمال أجانب من بنغلادش وباكستان والفيليبين وفيتنام وتايلند. وفي تقدير متحفظ لمحللي سوق العمالة، بلغ عدد العمال "غير



عامل اجنبي يشغل مخرطة. يبقى استقدام العمالة الاجنبية امراً غير مرغوب فيه في اليابان، لكن بقاء بعض المؤسسات مرهون بها.

PHOTO: PANA

الشرعيين" في اليابان عام ١٩٩٠ نحو ١١٠ آلاف. وللمرة الاولى في اليابان ثار جدل حاد حول ما اذا كانت العمالة الاجنبية عبئاً أم نعمة. ويؤيد أصحاب الاعمال الصغيرة والمتوسطة ادخال أعداد أكبر من العمال الاجانب لأن استمرار أعمالهم يتوقف على ذلك. فقد انهارت خمس شركات عام ١٩٩٠ في حي تسوروماكي في طوكيو مركز صناعة "طي الورق" (حيث تطوى صفحات الكتب قبل ارسالها للتجليد) "بسبب نقص العمالة،" كما قال يوكيماسا ميدوريكاوا مالك احدى هذه الشركات، وهو أضاف: "ستعقد ندوة دراسية في غضون أيام لتدريب أصحاب الشركات على سبل استقدام عمال أجانب، وانني أفكر في حضورها."

في بلد متجانس كاليابان، يبقى استقدام مزيد من الاجانب أمراً غير مرغوب فيه سياسياً، اذ يخشى كثير من اليابانيين أن يهدد تدفق العمال الاجانب التناسق الاجتماعي في البلاد ويؤثر في معدل الجريمة المنخفض هناك. ويبدو أن الحكومة من هذا الرأي، فقد شددت دائرة الهجرة أخيراً قوانين الهجرة الى اليابان لتتضمن عقوبات على الشركات التي تستخدم أجانب بصفة غير مشروعة.

والمفارقة أن الأثر البعيد المدى لنقص العمالة في اليابان قد يكون في الواقع اقتصاداً أقوى، ذلك لأنه ساعد في تأجيج فورة استثمارية لرؤوس الاموال لا مثيل لها في أي من الدول الصناعية الاخرى في فترة ما بعد الحرب.

فورة أموال. عندما يحين موعد النوبة الليلية في "يامازاكي مازاك" وهي شركة صغيرة للادوات الصناعية خارج طوكيو، يسلم العمال الستمئة العمل الى مجموعة من الروبوتات (الرجال الآليين). والهدف، كما يقول أحد المديرين، هو "الغاء عنصر العمالة من المعادلة." وقد أرصدت الشركات عام ١٩٩٠ أكثر من ٤٥٠ مليار ين (ثلاثة مليارات دولار) لصناعة روبوتات جديدة. وأظهرت دراسة حديثة ان هذا المبلغ سيرتفع الى ٩٠٠ مليار ين (ستة مليارات دولار) بحلول السنة ١٩٩٥.

ولم تقتصر فورة الاستثمار هذه على الصناعات التقليدية كالسيارات والاجهزة الالكترونية. فقد طورت شركة "أوباياشيغومي" وهي مؤسسة انشاءات كبيرة، نظاماً آلياً متقدماً لتشييد المباني تستخدم فيه روبوتات لاقامة أطر البناء وتنفيذ أعمال الدهان وتركيب زجاج النوافذ وتثبيتها. وتتمتع هذه الروبوتات بقدرة على الحركة وبمهارات حدت المحللين على القول انها قد تخفض حجم العمل الضروري في مواقع البناء بنسبة ٩٠ في المئة وتختصر المدة التي يستغرقها انجاز البناء الى النصف.

مع ذلك لا يستطيع استثمار مهما بلغ حجمه تحصين الاقتصاد – أو حتى الصناعات الفردية – من النتائج البعيدة المدى لتناقص القوة العاملة. خذوا مثلاً محطات تعبئة الوقود. يقول اتشيزو كاندا أحد الاداريين في شركة "نيسيكي

ايتوتشو" التي تسيطر على حصة كبيرة من محطات البنزين في البلاد، ان ايجاد عامل لمحطة هذه الايام أمر شبه مستحيل، على رغم زيادة أجر ساعة العمل من ٦٠٠ ين الى ١٠٠٠ (من ٤ دولارات الى ٧) في طوكيو في السنتين الاخيرتين، بينما حذرت وزارة التجارة والصناعة الدوليتين من أن اليابان قد تواجه، في الطرف الآخر من المنظور الاقتصادي، نقصا في عدد المبرمجين ومهندسي الكمبيوتر يمكن أن يصل الى مليون بحلول السنة ٢٠٠٠.

تبديل وظائف. ليس غريبا اذاً أن يعتبر العمال المهرة الناشطون أن ميزان القوى في سوق استهلاكية كهذه هو في تحوّل مستمر لمصلحتهم. وأحد الدلائل الواضحة تلك النسبة المتزايدة من الموظفين الاداريين الذين اشتهروا سابقاً بولائهم فباتوا يقفزون في منتصف حياتهم المهنية الى شركة أخرى أو الى مهنة جديدة كليا. وقد أثار يوشيتوشي ساكوراي (٤٦ عاما) ضجة قبل سنتين عندما ترك العمل لدى شركة "هوندا" للسيارات، وهو نجم صاعد فيها، ليؤسس شركة تختص بوضع مشاريع لسباقات السيارات.

بدّل نحو ثلاثة ملايين ياباني وظائفهم عام ١٩٨٩. ويقول أحد الباحثين الكبار في "معهد العمل" باليابان: "لم يسبق في تاريخ اليابان أن بدّل خريجو الجامعات وظائفهم كما يفعلون اليوم." ويقوى هذا الاتجاه خصوصا بين العمال الشباب. وكشفت دراسة شملت عشرة آلاف شاب في طوكيو راوحت اعمارهم بين العشرين والتاسعة والعشرين، أن ٤١ في المئة منهم يفكرون في تغيير وظائفهم أو يرغبون في ذلك.

كما بدأ بعض العمال اليابانيين استغلال هذا التحول الجديد في ميزان القوى لتحسين شروط العمل والحصول على اجازات أطول. يقول الناطق باسم اتحاد للموزعين في اليابان ان المتقدمين الى العمل في هذا القطاع – وهم قلة – ينزعون الى أمر واحد مشترك: "ان أول ما يسألون عنه جميعهم هو عدد أيام الاجازة."

وعلى رغم صعوبة ايجاد حل بسيط لمشكلة نقص الايدي العاملة، تستجيب اليابان لهذا المأزق الاقتصادي، كما فعلت سابقا، بتصميم غير عادي. ومن طريق "الغاء عنصر العمالة من المعادلة الاقتصادية" بواسطة الاستثمار المتنامي، لن تتمكن اليابان من تخفيف حدة الازمة العمالية فحسب، بل ستجعل مؤسساتها أيضاً أقوى على المنافسة.

بيل باول
ويوريكو هوشياي ■

تصدمك أزمة منتصف العمر لحظة تدرك ان أولادك وثيابك في عمر واحد تقريباً.
بيل تموز

ألزهايمر

عرض شيخوخة أم خرف وراثي؟

يجدّ العلماء في كشف أسرار هذا المرض الرهيب الذي يقعد الناس ويذهب بعقولهم

نسيت أليس زيلونكا (٧٣ عاماً) أن تملأ أرومات الشيكات التي سحبتها، فطمأنها ابنها وزوجته الى أن لا أهمية لذلك ولا سبب لكي تقلق، وقالا لها: "كلنا ننسى من حين الى آخر." ولكن حين أضاعت خاتم زواجها ومفتاح خزنتها اعتراها الخوف وقالت: "عقلي مظلم كعاصفة شتائية."

ان داء ألزهايمر[١] ذاك الاضطراب الذي يوهن الدماغ والذي عُزي سببه في الماضي الى تصلّب الشرايين، يصيب واحداً من كل عشرة أشخاص تجاوزوا الخامسة والستين ونحو نصف أولئك الذين تجاوزوا الخامسة والثمانين.

والتدمير الفادح الذي يسببه هذا المرض لأسوأ كثيراً مما يتصور الناس. فبعد ظهور الاعراض يستمر الدماغ في الانحطاط، وخلال مدة تراوح بين خمس سنوات وعشرين سنة يتحول النسيان البسيط غير المؤذي تشوشاً تاماً يفضي الى الموت.

ويسبب داء ألزهايمر ضيقاً لأهل المصاب. تقول باتريشيا هوبنر كنّة أليس زيلونكا التي تعاني الداء في نهاية أطواره: "هذا المرض لا يهدم صاحبه فحسب، فالمصابون به لا يعلمون ماذا يحدث. ان داء ألزهايمر يهدم العائلة."

في مواجهة هذا الوباء تبرز دلائل تبعث الامل. فخلال العقد الفائت بدأ الباحثون يفكون العقد البيوكيميائية والجزيئية التي تسبب الداء. وفي الاشهر الاخيرة اكتشفوا مداخل حلول يجري استقصاؤها للتوصل الى معالجات مستقبلية.

يعرف الآن أن هذا الداء يتلبّس أشكالا عدة. أحدها يبتلي الذين لم يبلغوا الخامسة والستين ويبدو وراثياً يسري في العائلات، ويظهر آخر عموماً بعد

(١) Alzheimer's disease

الخامسة والستين. وثمة نوعان من البروتيين هما بيتا - أميلويد وتاو[٢] متورطان في كل أشكال الداء. وكلاهما معنيان بتعطيل وظائف الخلايا في أقسام الدماغ المسؤولة عن الذاكرة واللغة والفكر.

وعلى رغم ازدياد المعرفة بخصائص الداء فلا شفاء منه ولا معالجة فاعلة. يقول دنيس سلكو وهو طبيب أعصاب وباحث في مستشفى بريغام ببوسطن يهتم بمرضى ألزهايمر: "ان ألزهايمر مرض ولغز معقدان. والمعالجة الذكية لن تأتي الا من تفهم أسبابه وخفاياه."

يخلّف ألزهايمر آثاراً جليّة في الدماغ. فالخلايا التالفة في أدمغة الضحايا مجدَّرة بنوعين من الشذوذ يدعيان: عقداً وصفائح.[٣] وتبدو العقد خيوطاً كثيفة متشابكة من بروتيين تاو المعدَّل داخل الخلايا العصبية المضروبة. أما الصفائح فتظهر على السطح الخارجي للخلايا العصبية، وهي كتل من بيتا - أميلويد متشابكة مع فروع ميتة أو مائتة من الاعصاب المحيطة.

ومهما يكن مسبب داء ألزهايمر، فقد بدأ المتخصصون بأمراض الاعصاب يرون نمطاً مألوفاً في موت الخلايا العصبية وتشابكها. فالخلايا التي تموت أولا كائنة في الجهاز الهامشي[٤] وهو جزء من الدماغ يضبط العواطف والذاكرة. وتشير الادلة المتجمعة من ألوف تقارير التشريح وتخطيطات الدماغ الى أن الجهاز الهامشي، وخصوصاً الجزء الذي يدعى قرن آمون[٥] مكتظ بالصفائح والعقد. ويضرب التلف تالياً قشرة المخ[٦] فيقتل الخلايا العصبية ونقاط اشتباكها[٧] في القسم المعنيّ باللغة والفكر.

ويبدو أن خريطة الدمار المتفشي تتوافق والتدهور المطرد في سلوك المريض. ويشرح الدكتور مارشال فولشتين وهو طبيب أعصاب وأمراض نفسانية في مؤسسات جونز هوبكنز الطبية، أن "الضحايا" الاولى للداء هي ذكريات من الماضي القريب، أفكار يضبطها قرن آمون في الدماغ. فالمرضى في المراحل الاولى يعجزون عن تذكر موعد ضربوه البارحة. ويتبع ذلك غياب صور طال اختزانها في الذاكرة. فينسى المرضى الطريق من محل البقالة الى المنزل، أو ينسون أسماء أولادهم. في هذه المرحلة يصاب المريض أحياناً بالكآبة والانحطاط، ربما لأن داء ألزهايمر يهاجم الموضع الأزرق[٨] في الدماغ حيث تصنع مادة كيميائية جوهرية في تنظيم المزاج والحالات النفسية.

حين شخص الطبيب، بعد سنوات، احتمال اصابة أليس بداء ألزهايمر، كانت

(٢) Beta-amyloid and tau
(٣) Tangles and plaques
(٤) Limbic system
(٥) Hyppocampus
(٦) Cerebral cortex
(٧) Synapses
(٨) Locus ceruleus

المسكينة أصبحت عاجزة عن الاحساس انها صائرة الى فقدان عقلها. وهي أخبرت كنتها باتريشيا حين أوصلها شرطي الى منزلها بعد ثلاث ساعات من مغادرتها السوق: "لم أضلّ طريقي، فهذا السائق أوصلني الى البيت."

كانت أليس قادرة على تذكر حوادث وقعت قبل عشرين سنة، لكنها باتت عاجزة عن تذكر ما حدث قبل خمس دقائق. كانت تتبع كنتها في أرجاء المنزل وتكرر طرح الأسئلة ذاتها. لكن باتريشيا صبورة ولطيفة. فكانت تجيبها: "اليوم الثلثاء، وقد تناولنا الغداء قبل نصف ساعة."

فتنسحب أليس الى غرفتها حيث تعيد تكديس مجموعة من الصحف، وتعدّ المال الذي أرسله اليها ابنها رولاند. وتعدّه ثانية وثالثة. وتخبىء طعاماً في حذائها تحت السرير، ثم تخرج وتنزل السلم الى باتريشيا وتسألها: "أي يوم هو هذا؟"

يظهر تدمير المرض على أشده في القشرة الخارجية للدماغ حيث مركز التفكير. ففي هذه المرحلة يعاني ما بين ٢٠ و٣٠ في المئة من المرضى أوهاماً، وبعضهم يعاني هلوسة، ويغدو آخرون مشككين متوجّسين يتوهمون أن أنسباءهم يسرقون دراهمهم. وهم يخسرون القدرة على فهم اللغة. ويعجز البعض عن تمييز الاشياء والوجوه، حتى وجوه من يحبون. ويصاب قليلون بنوبات أو يصبحون عنيفين. واذا طال عمر المصاب ماتت الخلايا العصبية في مناطق الضبط الحَرَكي[9] في الدماغ، مما يؤدي الى تدمير القدرة على المشي والكلام وحتى على الابتلاع.

وان يكن مرض ألزهايمر يظهر واضحاً في التشريح لا لبس فيه، الا أنه من الصعب تشخيصه بدقة تامة في المريض الحي. فهناك عدد من الأمراض التي تحدث أعراضاً مماثلة لاعراض ألزهايمر. كذلك تفعل بعض المخدرات. ويتوقع الباحثون توافر فحص بيوكيميائي للداء في غضون العقد الحالي. أما في الوقت الحاضر فيبقى تشخيصه رهن الفحوص العصبية والنفسانية وافادات العائلة عن التغيرات السلوكية للمريض.

كانت أليس تذرع غرفتها ليلا، وفي النهار تجول في المنزل ولا تتوقف الا عند الثلاجة لتاكل. وباتت تثور أحياناً بعدما اتسمت بالخجل والهدوء في ماضي حياتها. وذات صباح صفعت كنتها على وجهها، ثم نسيت كل شيء بعد لحظات.

لا أحد يعرف أسباب انقضاض داء ألزهايمر العنيف على الدماغ، ولكن يبدو أن جينات[10] معتلّة تعمل على إحداث بعض أنواعه. فالكروموزوم ٢١، وهو واحد من الكروموزومات الـ٢٣ الموجودة في كل الخلايا البشرية، قد يؤدي دوراً أساسيا

(٩) Motor-control

(١٠) الجينات (genes) هي حاملات الخصائص الوراثية في كروموزومات (صبغيات) الخلايا.

في جلاء الغموض. فالمصابون بمتلازمة "داون"،[١١] وهي شكل خِلقي من التخلف العقلي يسببه حصول الجنين على نسخة اضافية من الكروموزوم ٢١، تتكون في أدمغتهم آفات مماثلة لتلك التي تظهر في أدمغة المصابين بداء ألزهايمر.

والكروموزوم ٢١ هو أيضاً موطن الجينة التي تولّد بيتا - أميلويد. وقد اكتشف الباحثون عام ١٩٩١ أدلة قاطعة على تشوهات في هذه الجينة لدى مرضى ورثوا داء ألزهايمر.

وتتلازم هذه الاكتشافات والتجارب الحديثة التي تشير الى أن بيتا - أميلويد قد تكون سامة للخلايا العصبية في أدمغة الجرذان. يبدأ بيتا - أميلويد كجزء من بروتيين طبيعي أكثر طولا يدعى بشير الاميلويد (APP).[١٢] في الحالات العادية، تقطع الأنزيمات (الخمائر) APP أجزاء أصغر. وأحد مراكز القطع هو وسط وحدة بيتا - أميلويد مما يتسبب في تدميرها. ويظنّ أن الـ APP في المصابين بداء ألزهايمر يُقتطع في المكان الخطأ، فتبقى بيتا - أميلويد سليمة. ويتوقع الدكتور سلكو أن تبرهن التجارب المستقبلية "أن بيتا - أميلويد هي بداية السلسلة الرهيبة التي تمهّد للاصابة بداء ألزهايمر."

ويعتقد كثير من الباحثين أن فهم هذه الحالة البيوكيميائية المعقدة سيتيح يوماً اكتشاف علاج لداء ألزهايمر وربما تلافي الاصابة به. وفي هذا السبيل يعمل عدد من المختبرات وشركات الادوية على استكشاف سبل للحؤول دون انتاج بيتا - أميلويد من APP وسبل تفادي سمِّيتها. ويرى باحثون آخرون أملا في "عوامل النمو"[١٣] وهي بروتيينات طبيعية تجدد الخلايا العصبية. في هذه الاثناء تختبر شركات صيدلانية عقاقير قد تعزز نشاط الاسيتلكولين ومواد كيميائية أخرى في الدماغ مهمة للذاكرة ويفتقر اليها المصابون بداء ألزهايمر.

تقيم أليس الآن في دار للعجزة، وتكاد لا تعرف أهلها لدى قدومهم لزيارتها. تجلس متصلّبة في كرسيها المدولب وتقرص جلدها بلا وعي.

وتراقب حفيدتها كيري والدها وهو يطعم أمّه.

يعلم رولاند أن ألزهايمر يسري أحيانا في العائلات، وذلك يقضّ مضجعه كلما نسي موعداً أو اسماً. وهو يقول لزوجته باتريشيا: "اذا حدث وأصبت بهذا المرض، خذيني مباشرة الى دار عجزة. فلا أريد أن تعاني ابنتنا هذه المأساة."

ولا ينعم أهالي ضحايا ألزهايمر بأمل في فرج عاجل. فهم يعيشون في جحيم مغلق، والاصوات التي تطالب بالحق في المعالجة والشفاء تخفت وسط الصخب الذي تثيره أمراض قاتلة أخرى مثل الايدز وأمراض القلب.

(١١) Down syndrome
(١٢) Amyloid precursor protein
(١٣) Growth factors

لكن القضية تتعدى زيادة المخصصات لأبحاث داء ألزهايمر. فهي أيضا مسألة خوف. يقول زافين خاتشاتوريان مدير مكتب أبحاث داء الزهايمر في المعهد الوطني للشيخوخة في الولايات المتحدة: "اذا خُيّر الناس في الشيء الذي يرضون التخلّي عنه، فسيكون العقل خيارهم الاخير."

ويقول الدكتور دونالد بريس الاختصاصي بالبيولوجيا العصبية في مؤسسات جونز هوبكنز: "أتفاءل عندما أرى العلماء والاطباء والممرضين والباحثين الشباب يكرسون جهد حياتهم لمكافحة هذا المرض. قد يبدو المستقبل كالحا أحيانا، الا أنه يحمل بذور أمل."

شانون براونلي ■



تفاحة جدتي

تسلّلت اشعة الشمس من نافذة المطبخ مكذّبة توقعات ميزان الحرارة، واستراحت على الرف حيث قبعت تفاحة عتيقة كنت اشتريتها قبل ثلاثة أسابيع من امراة تجر عربة فواكه على ناصية الشارع.

تنهدت وانا أعمل السكين في التفاحة وأزيل كدماتها استعداداً لتقطيعها وتحضير طبق من سلطة الفواكه. فجأة شدّت نظري حركة في الاعلى. تطلعت عبر النافذة فرايت سرباً من العصافير في تشكيل مثل جنود مجنّحين في خطو منضبط. عبرت العصافير واختفت، نحو طقس أدفأ في مكان ما. فتساءلت لبرهة: الست انا أيضاً في حاجة الى أن أطير بعيداً وأبحث عن مكان جديد يمنحني دفؤه بعض راحة؟

عدت من رحلة التساؤل لاكتشف انني كنت انزع قشرة التفاحة في لفّة طويلة كدائرة لا تنتهي. وتراءت لي يدا جدتي تفعلان ذلك تماماً قبل سنين كثيرة. كانت جدتي، عندما اعود من المدرسة تعبة شاكية، تاخذ تفاحة حمراء براقة من سلة الفواكه فتقشرها بهذه الطريقة وتقطعها ست قطع متساوية تقدمها الي بصمت.

نسيت سلطة الفواكه التي كنت أحضرها، وقطعت التفاحة ست قطع متساوية وضعتها بعناية في الصحن الازرق الذي كان لجدتي، ثم جلست أتمتع بمذاقها مشدوهة بهذه المعجزة الصغيرة التي أعادت جدتي عبر الذكريات لتمنحني راحة ورضى.

ج.ك.

صديقة مزعجة

كنت وزوجي نائمين صباح يوم عطلة عندما ايقظنا رنين الهاتف. فرد زوجي متثائباً، وكانت المتكلمة صديقتنا زينب. فغمغم زوجي: "لا يزال الوقت مبكراً."

فردت زينب: "لا باس، فانا مستيقظة منذ السادسة."

ج.ت.

كلمات حلوة



ان كلمات بسيطة
نابعة من القلب
نخص بها صديقاً او زميلا أو غريباً
تضفي على نهاره غبطة وقد تغير حياته

خلال عملي الاوّل محرّراً رياضيا في مجلة لم أتلقَّ كثيراً من رسائل المعجبين. لذا أثارت فضولي ذات صباح رسالة ملقاة على طاولة مكتبي، وكان المغلّف يحمل شعار كبرى صحف المدينة.

فضضتُ الكتاب وقرأت: "مقالك رائع حول منتخب كرة السلة. ثابر على عملك الجيّد." وحملت الرسالة توقيع المحرر الرياضي دون ولف. ولما كنت فتى مراهقاً فقد كانت كلمات ولف كقطرات ندى على شفتي ظمآن. واحتفظت بالرسالة في درج مكتبي حتى تأكلت أطرافها. وكلما ساورني شك في قدرتي على الكتابة كنت أقرأها فأسترجع بهجتي واندفاعي.

حين توثقت معرفتي بدون ولف، اكتشفت فيه عادة المبادرة السريعة الى توجيه كلمات تشجيعية الى الناس في كل معارج الحياة. قال لي: "يسرني أن أجعل الآخرين سعيدين بأنفسهم."

ولا غرو في أن دون ولف نَعِم

PHOTO: ERNEST COPPOLINO

بصداقات كثيرة. وحين توفي عام ١٩٩٠ عن ٧٥ عاماً، أغرقت الصحيفة برسائل واتصالات من أناس سبق أن تلقوا عباراته المشجّعة.

السهل الممتنع. حاولت عبر السنين أن أقتدي بدون وبأصدقاء آخرين يهتمون للناس باخلاص يحدوهم على كتابة تعليقات مشجعة. فأنا أعتقد أن هذه الطريقة تأتي نتائج مثمرة. فهي تبدو، في هذا العالم البارد الخالي من التجاوب، ينابيع دفء واطمئنان. فنحن نحتاج الى من يعزّز ثقتنا بأنفسنا من وقت الى آخر. وبضعة سطور من الاطراء قادرة على تبديد سيئات نهار، وربما حياة برمّتها.

فلماذا يندر كتّاب الرسائل المتفائلة المشجعة؟

أعتقد أن كثيرين ممّن يتجنبون هذه الخطوة أشخاص يعتريهم الخجل والارتباك. فهم يخشون أن يسيء الآخرون فهمهم مما يجعلهم يبدون مبتذلين أو متزلفين. ثم إن الكتابة تستغرق وقتاً، واستخدام الهاتف أسهل.

لكن عيب الاتصالات الهاتفيّة أنّها ذات تأثير لا يدوم. فالرسالة التي نكتبها الى آخرين تترجم على الورق صدق تمنياتنا. انها تسجيل لما نشعر به يتيح لكلماتنا أن تُدّخر فتُقرأ غير مرّة وتُستذوق.

وقد تستغرق كتابة بعض الرسائل وقتاً طويلا جداً. ومع ذلك فثمة أشخاص كثيرو الاشغال يكتبونها ومنهم الرئيس الامريكي جورج بوش. ويقول البعض انه مدين بانجازاته السياسية لقلمه الجاهز دوما. كيف ذلك؟بتعزيز كلّ لقاءاته بردود فعل صادرة عن القلب يصوغها بكلمة ثناء أو بسطر مديح أو بايماءة شكر. وهو لا يوجّه رسائله الى أصدقائه وشركائه فحسب، بل كذلك الى أناس يتعرّف اليهم مصادفة أو الى غرباء مثل ذلك الرجل الذي أعاره مظلة ففوجىء بالرئيس يربت ظهره بمودة شاكراً.

حتى الاعلاميون الذين لا يحب الرؤساء مراسلتهم يتلقون رسائل ودية من بوش. وكذلك أفراد عائلاتهم. في أحد أيام الصيف دعا بوش عدداً من الصحافيين ورجال الاعلام الى حفلة شواء في منزله في كينيبنكبورت بولاية ماين. وفيما كانت كاتي الصغيرة ابنة جاك غاليفان المخرج في شبكة "اي بي سي" للتلفزة، تسبح في البركة، سقطت سنّها فراحت تبكي. ورأى الرئيس الدموع في عينيها فسألها ما بها. ولما أخبرته أدرك مدى أساها اذ تذكر تجارب مماثلة لاولاده في حداثتهم. فالصغيرة لن تتمكن من تخبئة سنّها المفقودة تحت وسادتها مساء في انتظار أن تأتي "حورية الأسنان" وتبدلها بهديّة صغيرة كما تقول الخرافة. فطلب بوش من أحد مساعديه أن يأتيه بورقة رئاسيّة تحمل رسما لدارته في كينيبنكبورت، فوضع عليها علامة × حيث موقع البركة وكتب الجملة الآتية: "عزيزتي حوريّة الاسنان، لقد وقعت سنّ كاتي فعلا حيث علامة ×. أنا أقسم على ذلك. جورج بوش."

لقد توافر في هذه الكلمات أسلوب السهل الممتنع في كتابة الرسائل، اذ خلت من الاسهاب وأفاضت عاطفة. وأهم من ذلك انها جعلت كاتي تكف عن البكاء.

وكان الرئيس الامريكي الراحل أبراهام لينكولن موهوباً أيضاً في كتابة الرسائل. واحدى أشهر كتاباته رسالة تعزية رقيقة وجهها الى السيّدة ليديا بيكسبي التي ثكلت ولدين في ساحة المعركة وجاء فيها: "انّني أشعر كم هي هشة وعقيمة كلماتي التي أحاول عبرها التخفيف من حسرتك في هذه الخسارة المفجعة. وأضرع الى الله أن يخفف من لوعتك ويحفظ في قلبك ذكرى من أحببتِ وخسرتِ والفخر الكبير بالتضحية التي رفعت على مذبح الحريّة."

ويُلاحظ أن مديري المؤسسات الكبرى الذين اعتادوا نمطاً ادارياً قائماً على القسوة والبرودة والانعزال بدأوا يتعلّمون كتابة الرسائل التي ترفع من معنويّات مرؤوسيهم، وهم يقطفون ثمارها.

كان من عادة دونالد بيترسن الرئيس السابق لمجلس ادارة شركة "فورد" الذي عزي اليه الفضل في انقاذ الشركة من الافلاس في الثمانينات، أن يمرّر رسائل تشجيعيّة سريعة الى موظفيه كل يوم. وهو يقول: "كنت أخربش ملاحظاتي على ورقة مذكرة أو على زاوية رسالة وأمررها اليهم. ان أفضل عشر دقائق من يومك هي تلك التي تمضيها في عمل يدفع الناس الذين يعملون لديك الى الامام."

ويضيف بيترسن ملاحظاً: "غالبا ما يجهل الناس الذين نحبّهم ماهية شعورنا ازاءهم. فالواحد منا يفكر كالآتي: انني لا أنتقد، فلماذا أثني؟ وننسى أنّ البشر يحتاجون دوماً الى تعزيزات ايجابيّة، وأن هذه التعزيزات هي أساس عيشنا."

أربع مزايا. ما الذي تتطلبه كتابة رسائل ترفع المعنويّات وتدفىء القلوب؟ انها لا تقتضي سوى تجرّد من الانانية ورغبة في التعبير عن التقدير. ويتحلّى كتبة الرسائل المشجعة بمزايا أربع:

١. الصدق. فالمبالغة في الاطناب لا تجدي.

٢. الاقتضاب. تكفي أسطر ثلاثة للتعبير عما نشعر به.

٣. الدقّة في التحديد. ثمة فرق كبير بين أن نقول لزميل: "كان خطابك جيداً" وأن نقول له: "لقد كان حديثك عن الوعي البيئي عظيماً جداً."

٤. العفوية. هذه المزية تضفي على الرسالة خصوصية وحماسة تنطبعان طويلا في ذهن قارئها.

وبما أن مجرّد البحث عن أدوات للكتابة يفقد المرء مزيّة العفوية فانني احتفظ حتى في أسفاري بأوراق وظروف وطوابع. وليس من الضروري اعتماد ادوات فخمة وباهظة الثمن، فما يهمّ هو الفكرة.

تطلّع جيّدا حولك وابحث عمّن يستحق رسالة شكر أو تقدير: جارك، زوجك، أمين المكتبة، نسيبك، عمدة منطقتك، زميلك، أستاذك، طبيبك. لا حاجة بك الى أن تكون

شاعراً. ابحث عن حدث قريب. تراه ملائماً، كذكرى عمل مشترك أو عيد ميلاد أو عطلة.

ولا تقيِّد مديحك. ان لصيغة أفعل التفضيـل، مثل "أعظم" و"اذكى" و"أجمل"، وقعاً حسناً في النفوس. وحتى إن تجاوز ثناؤك الحقيقة قليلا فتذكر أن الآمال هي قاعدة تحقيق الاحلام.

وَرَدت علي اليوم رسالة اطراء من ربّ عملي القديم نورمان بيل. وكان قال لي مرّة ان الهدف من كتابة الرسائل المشجعة هو، ببساطة، إعلاء صرح الآخرين لأنّ أناساً كثيرين يعملون في حقل التهديم.

كانت رسالته الصغيرة الي ملأى بعبارات مشجعة دفعتني الى الجلوس لكتابة رسائل أجَّلتها منذ زمن. لست ادري ما اذا كانت رسائلي هذه ستضفي على نهار أصحابها شيئاً جميلا كما كانت تفعل بي، ولكن، كما قال صديقي دون ولف، يسرني أن أجعل الآخرين سعيدين بأنفسهم.

فريد باور ■



شرشف حماتي

اكتشفت الجانب المرح في حماتي عندما قرات الملاحظة الآتية مثبتة بدبوس الى شرشف قطني أبيض في أحد أدراجها: "ملاحظة لي: اعتبري النتائج قبل استخدامك هذا الغطاء. كيّه يستغرق ٢٢ دقيقة. هل يستحق ضيوفك ذلك؟ الا يليق بهم الغطاء الاحمر؟ فكري في الامر!"

ر.ر.

عاشت الأسامي!

يسافر زوجي عزيز كثيراً بداعي العمل. وخلال غيابه مرة افاقت طفلتنا شاكية من التهاب في أذنها. فأخذتها بسرعة الى الطبيب ثم الى الصيدلية حيث انتظرنا دقائق قبل أن نحصل على الدواء.

وفي البيت قرأت التعليمات التي رافقت زجاجة الدواء، ودهشت حين اكتشفت عبارة "شكراً، عزيز" وقد أضيفت طباعةً في أسفل الورقة.

أحسست نقمة عارمة، فاتصلت بالصيدلية. وعندما ردت موظفة بادرتها بحدّة: "لقد غادرت صيدليتكم قبل نصف ساعة. انا أخذت طفلتي الى الطبيب. وأنا أحضرت الوصفة لكم. وأنا حررت الشيك ثمن الدواء. فهلا شرحتِ لي لماذا تشكرون زوجي بدلا مني لتعامله معكم؟"

قاطعت الموظفة سيل غضبي بلطف قائلة: "سيدتي، عزيز هو الصيدلي هنا، وهو يشكرك أنت!"

د.ا.

من وضع السم في الشراب؟

مهووس بروايات الجرائم الغامضة قرر امتحان براعته بتسميم الجيران

شعرت بيغي كار بنار تسفع قدميها. كان الاحساس الحارق ينبع من داخلها كأن دمها يغلي. ودهمتها آلام في رأسها وصدرها. وعجز الأطباء عن معرفة سبب علتها.

كانت بيغي وقد بلغت الحادية والاربعين من عمرها امرأة نشيطة واقعية. عملت في مطعم صغير واشتهرت بمرحها وحبها للعمل. وكانت تزوجت أخيراً رجلا قاسي الملامح يدعى باي كار، وهو مشرف على العمال في منجم للفوسفات في بارتو بولاية فلوريدا. كان هذا الزواج الثاني لكليهما. فألفت بيغي نفسها بين ليلة وضحاها والدة لأربعة مراهقين.

فكرت بيغي في نفسها اذ أحست بالالم الحارق: "لدي ما يكفيني من المشاكل، وأنا في غنى عن هذا المرض. أود فقط لو أعرف حقيقة ما يحدث لي."

بعد خمسة أيام على ادخالها المستشفى تراجعت أعراض مرض بيغي فأُرسلت الى منزلها. لكن الألم عاودها بعد أقل من أسبوع. وترافق مع تلعثم في الكلام، وضبابية في الرؤية وضعف في النبض. فعمدت شقيقة زوجها، وهي ممرضة، الى استدعاء سيارة اسعاف. وقالت للمسعفين باكية: "هذه المرأة تموت!"

كان ذلك في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨.

ضرب الشلل جسم بيغي شيئا فشيئا وتيبست حنجرتها. واقتصر اتصالها

بالآخرين على لغة الاشارة التي تعلمتها من والديها الأصمين. فكانت يداها تترجمان الآتي: "الالم ينهش جسدي. لماذا أنا مريضة الى هذا الحد؟"

لم يجرؤ زوجها باي، رحمة بها، أن يخبرها ان ابنها دوان (١٧ عاما) وابنه ترافيس (١٦ عاما) هما في المستشفى يعانيان الاعراض الغامضة اياها.

وبدأ الأطباء يشتبهون في أن يكون في الأمر تسمماً ناشئاً من أكل لحم أو سمك فاسدين. لكن أحد الاختصاصيين بالأمراض العصبية لاحظ تساقط شعر بيغي بكثرة. وأكدت نتيجة التحليل المخبري صحة شكوكه. كانت بيغي والشابان يعانون تسمماً بالثاليوم.

والثاليوم معدن ثقيل بالغ السمية كان يستخدم في صنع سم الجرذان، وحظر تداوله قبل عشرين سنة. إلا أنه لا يزال يدخل بعض الصناعات ويستعمل في بعض أشكاله غير السامة لأغراض طبية. ويكمن خطر هذه المادة الكيميائية التي لا لون لها ولا طعم في انها، فور دخولها الجسم، تشل قدرته على تأييض الأوكسيجين.[1] وليس ثمة ترياق فاعل ضدها. وقد يمر أسبوعان قبل ظهور أولى علامات استفحالها في الجسم المتمثلة بتساقط الشعر سريعاً.

لم يعثر مندوبو الدوائر الصحية على أي أثر لهذه المادة القاتلة في بساتين البرتقال المجاورة لمنزل آل كار ولا في البئر التي توفر لهم ماء الشرب ولا في منجم الفوسفات ولا حتى في المطعم الذي عملت فيه بيغي. وفحصوا طعام آل كار وعاينوا ما التصق من مواد على الأرض والجدران في منزلهم المبني بالآجر والمؤلف من طبقة واحدة. ثم خطر لأحدهم القاء نظرة خلف صفيحة النفايات، فوجد علبة كرتون تتسع لثماني زجاجات من الكولا، لم يبق فيها سوى ثلاث لم تفتح، بينما وجدت أربع أخرى فارغة في أنحاء مختلفة من المنزل.

عثر تقنيو المختبر على آثار للثاليوم في الزجاجات الأربع الفارغة بعدما فحصوا أكثر من أربعمئة عينة مما التصق عليها. كما احتوت الزجاجات الثلاث المقفلة على كميات قاتلة من المعدن.

بدا أن بيغي وأفراد عائلتها كانوا ضحايا جريمة قتل. وقد نفذ المسمم عمله بدقة وعناية فائقتين. وهو نزع أغطية الزجاجات بواسطة مفك براغي، ثم أعاد احكامها بمهارة استدعت الاستعانة بمجهر لاكتشاف العبث الذي حصل.

بعد فترة قصيرة دخلت بيغي حال غيبوبة، وباتت أجهزة الانعاش الاصطناعية تمدها بأسباب الحياة. وشرع المحققون يتساءلون: "من تراه أراد القضاء على هذه العائلة؟"

النفس الاخير. كُلف التحري أرني مينسي من دائرة شرطة البلدة، والتحري براد بريك من مكتب التحقيقات الاتحادي

---

(١) الايض (metabolism) هو مجموع التغيرات الكيميائية في الخلايا الحية.

(FBI)، التحقيق في القضية. فشكّلا فريقا غير متجانس. كان مينسي كهلا ثرثاراً يمكن تصوره غارقاً في كرسي يتبادل الاقاصيص مع زملائه. أما بريك، المحامي الذي تحول رجل أمن، فكان يصغره سناً ويبدو أنحف ببزته وربطة عنقه، وكان غير محب للظهور ويتمتع بنباهة ونظرة ثاقبة الى التفاصيل.

مشط الرجلان منطقة آلتوراس، سائلين عن السبب الذي يمكن أن يدفع بشخص ما الى ايذاء بيغي وعائلتها. لكن المقابلات التي أجرياها خلت من أي جواب مقنع.

كان باي في نظرهما المشبوه الرئيسي، ليس لسببٍ سوى افتقادهما الى أدلة مغايرة. واطلع التحريان على سجلاته المالية، واكتشفا أيضا أن علاقته مع بيغي لم تكن كلها حباً وكلمات معسولة، وأنهما افترقا مرة أثناء فترة زواجهما القصيرة، إلا انهما عادا فتصالحا.

ولم يتوافر سوى دليل قاطع واحد للقضية، وهو تهديد طبع نصه بالآلة الكاتبة وتلقاه باي قبل بضعة أشهر وجاء فيه: "لديك أنت ومن يسمى عائلتك مهلة أسبوعين لتغادروا فلوريدا الى الابد، وإلا تعرضتم جميعاً للهلاك. وهذا ليس مزاحا."

لم يولِ مينسي وبريك الرسالة أهمية عندما عرضها باي عليهما، كما لم يأتيا على ذكرها في مقابلاتهما، وقصدهما أن أي شخص "يتطوع" بتقديم معلومات عن رسالة أو تهديد يكشف نفسه.

وكانت "رحلة الصيد" التالية لهما زيارة منزل جاري آل كار وهما الخبير بالكمبيوتر جورج تريبال (٣٩ عاما) وزوجته ديانا الجراحة الاختصاصية بتقويم الأعضاء.

كان تريبال يقف خارجا قرب مرأب سيارته، وقال لهما انه يقطن في هذا المنزل مع زوجته منذ ثماني سنوات. وعندما أتيا على ذكر آل كار بدا واضحا



تجاهل باي وبيغي تهديداً مطبوعا اعتبراه مزحة. لكن بيغي وابنها وابن زوجها أصيبوا بمرض غامض ذهب بحياتها.

PHOTO: THE LEDGER

ان ترييال لا يكن لهم مشاعر ود، وهو قال: "يخيل الي أحيانا أن كل واحد من الذين يقيمون هناك يملك خمس شاحنات."

وهو اعتبر باي رجلا ثرثاراً متبجحاً يحاول دائماً أن يبيعه اشياء مختلفة. وذكر أن باي زاره مرة وعرض عليه مجموعة من أدوات التصليح المنزلي أعجبته، لكنه تراجع عن عرضه في اليوم التالي. وبدا واضحاً ان هذه الحادثة كانت لا تزال تثير حفيظة ترييال.

واذ سألاه هل لديه أي فكرة عن السبب الذي يمكن ان يدفع بأحدهم الى إيذاء آل كار، أجاب: "لا بد أن شخصاً ما أراد اجبارهم على الرحيل."

جهد بريك لئلا تتغير تعابير وجهه لدى سماع هذا الجواب، وتبادل مع مينسي نظرة سريعة. وأدرك المحققان وهما يغادران المكان أن ترييال غدا المشبوه الرئيسي في نظرهما، فهو أول من قدم سببا لحال التسمم ذكّرهما برسالة التهديد: "ارحلوا وإلا..."

شعر باي كار بارتياب الناس فيه من خلال نظراتهم اليه وتوقفهم عن الاحاديث لحظة مروره بهم. حتى ان بعض أصدقائه اعتقدوا أنه سمم زوجته.

لكن صديقا يدعى غرانت كان أكثر دراية. ففي ليال كثيرة كان يتوقف في المستشفى ليعود بيغي وقد باتت في حكم الميتة. ولاحظ اكثر من مرة وهو يدخل غرفتها المظلمة أن باي كان يمسك يدها ويكلمها بهدوء.

ولما لم يعد هناك أمل في نجاتها، أخذ القرار الصعب في ٣ مارس (آذار) ١٩٨٩ بعد مرور خمسة أشهر على حادثة التسمم. وضع غرانت ذراعه حول كتفي باي فيما الأطباء يفصلون عنها أنبوب جهاز الانعاش الاصطناعي، وشهقت بيغي كار نفسها الأخير.

جرائم غامضة. لم يسترعِ جورج ترييال اهتمام معظم جيرانه في آلتوراس. فقد كان يعيش حياة هادئة ممضياً معظم أوقاته في تجارب على أجهزة الكمبيوتر أو في زيارة المتنزهات والمحميات الطبيعية أو في انجاز بعض الاعمال نيابة عن زوجته ديانا. وكانت هذه شديدة الولاء له على رغم خصوصية مزاجه. وهو كان، على سبيل المثال، يكره ضجيج التلفزيون، مما يضطرها الى زيارة احدى الصديقات لمشاهدة برنامجها التلفزيوني المفضل "الجريمة الغامضة."[٢]

تعرفت ديانا الى جورج بواسطة اعلان في باب للتعارف ضمن نشرة تصدرها جمعية "مينسا" لذوي الذكاء الخارق. وانتقلا الى آلتوراس بعد حصولها على عرض للعمل جراحة لتقويم الأعضاء في بلدة بارتو المجاورة.

وسرعان ما أنشأ الزوجان فرعاً غير رسمي لجمعية "مينسا" في منطقة اقامتهما، وعملا معا على مشروع خاص لهذا الفرع سمَّياه "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة."[٣]

(٢) Murder, She Wrote
(٣) Murder Mystery Weekend

كانت هذه فكرة ديانا. فهي من عشاق الجرائم الغامضة منذ طفولتها. أما "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة" فكانت تقدم سنويا على مسرح أحد الفنادق ولكل منها حبكة مختلفة كل عام. ويتولى بعض الأعضاء تمثيل الجريمة بينما يحاول آخرون معرفة المجرم. وعلى عكس ديانا، لم يشارك جورج في أي دور، بل اكتفى بالتدقيق في النصوص التي تكتبها زوجته.

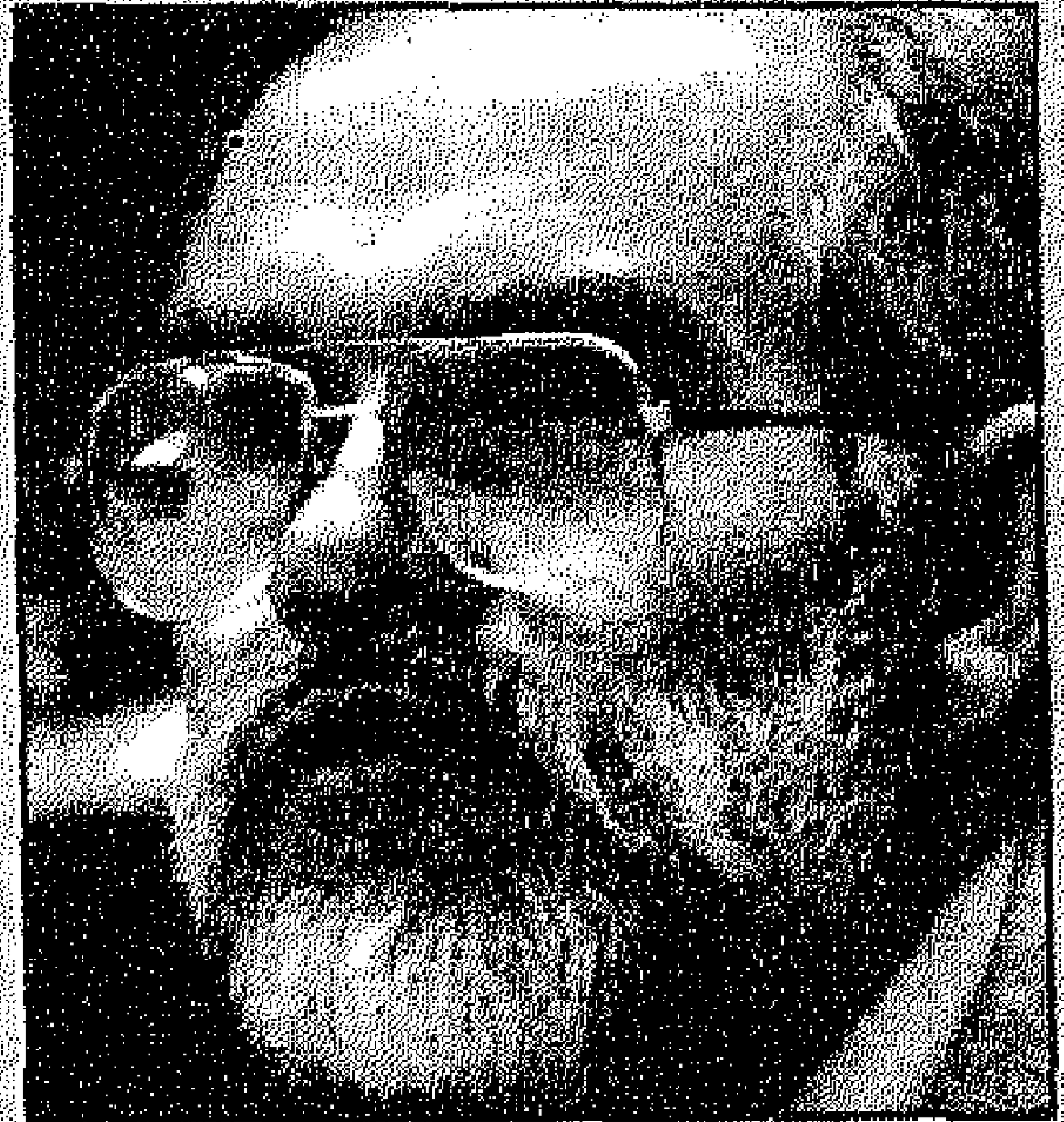
اكتشف التحريان بريك ومينسي بعد لقائهما ترييال أنه اتهم عام ١٩٧٥ بالتورط في صنع عقار "أمفيتامين" لاحدى كبرى شبكات المخدرات في جنوب شرق الولايات المتحدة. كما أنه عمد في مرحلة دراسته الى رش مقبض ثلاجة بمادة تسبب هذياناً صنعها بنفسه اذ اشتبه في أن أحدهم كان يسرق طعام رفيقه في الغرفة، آملا أن يمتص جلد السارق هذه المادة.

ثم أعلم التحريان بمشادات حصلت بين آل ترييال وآل كار. فقد وقعت بينهما صدامات في شأن قيادة ابن باي دراجة هوائية داخل أرض ترييال. وقبل حادث التسمم بأسبوع حصلت ملاسنة حادة بين ديانا وبيغي بسبب الموسيقى الصاخبة التي كانت تنبعث من منزل آل كار.

دور خطر. أصرَّ رئيس الشرطة لورنس كرو على حل القضية. كان غاضباً، فالجريمة باردة ومدروسة، وهو رأى أن المنطق والشرطة والخبرة القانونية عرضة لسخرية قاتل منحرف يتمتع بدرجة ذكاء عالية ويعتبر القتل لعبة.

وبدا أن فكرة بز رجال الشرطة دهاء كانت تستهوي ترييال، تماماً كما تستهويه فكرة التخلص من عدو.

واذ شعر كرو بوصول التحقيق إلى طريق مسدودة، سأل بريك ومينسي محبطاً: "كيف سنعمل على حل هذه القضية؟"



أورد جورج ترييال في كتيِّب حول تمثيلية "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة": "حين يجد الأشخاص الحذرون رسالة تهديد بالموت على عتبة منزلهم، فانهم يعاينون جيداً ما يأكلون."

PHOTO: CALVIN KNIGHT / THE LEDGER

علم كرو أن عرض "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة" بات وشيكا، فصمم على "زرع" مخبر سري في مكان عرض المسرحية ليصادق تريبال. فاختار لهذه المهمة المحققة الخاصة سوزان غوريك. وكان عليها انتحال شخصية شيري غوين الوافدة حديثا للالتحاق بفريق الممثلين.

التقت غوريك تريبال لدى توقيعها عقد الاشتراك في مسرحية "جريمة نهاية الأسبوع الغامضة." وعلى أثر حديث قصير بينهما قدم اليها تريبال الكتيب المخصص بتعريف المشتركين على المسرحية. وفي وقت متقدم من ذلك المساء، بينما كانت غوريك تتصفح الكتيب، وقعت على مقطع تقشعر له الأبدان ورد فيه: "حين يجد الأشخاص الحذرون رسالة تهديد بالموت على عتبة منزلهم، فانهم يعاينون جيداً ما يأكلون. فمعظم الأشياء قرب العتبة وسيلة جار للقول: أنا لا أحبكم. ارحلوا وإلا..."

وفكرت غوريك: "لا شك في أن تريبال وضع الزجاجات المسممة على عتبة منزل آل كار وهو يعلم أن أحدهم سيُدخلها. فهل يكون الكتيِّب وسيلة للتباهي بنجاح عملية التسميم؟"

كان على غوريك أن تجيد أداء دورها في المسرحية لمعرفة الجواب. فأقامت مع تريبال صداقة سريعة، وكان كل ما عليها فعله أن تطرح عليه سؤالا فيسترسل في الكلام ساعات. رأت فيه رجلا عبقرياً ذا معرفة موسوعية. ولكن ماذا يحصل ان فضح أمرها؟ لذلك كانت تراقب طعامها بحذر كلما تناولا الغداء معاً. واذا اضطرت الى ترك المائدة لسبب ما، كانت تمتنع عن الأكل بعد عودتها.

ذكاء شرير. عزم جورج وديانا، بعد مرور ستة أشهر على تأدية غوريك دور شيري غوين، على الانتقال الى منزل جديد في بلدة سيبرينغ، فسألتهما غوريك تأجيرها بيتهما القديم فوافقا.

بادرت غوريك وبعض رجال الشرطة بتفتيش المنزل ليلة انتقالها إليه في ١٢ ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٩. وفيما كان بريك يفتش في المرآب عثر على زجاجة بنية صغيرة في دُرج تحت كومة من الخرق. فوضعها في كيس نايلون مخصص لجمع الادلة وأرسلها الى المختبر الشرعي التابع لمكتب التحقيقات الاتحادي في واشنطن.

وبعد ستة أسابيع كانت غوريك تتناول طعام العشاء مع تريبال، فأبرزت له بطاقتي بريك ومينسي وأخبرته أن الشرطيين السريين يعملان على حل قضية التسمم وقد سألاها عنه.

حدق تريبال الى البطاقتين مصدوما.

تلقى بريك في ١٢ مارس (آذار) ١٩٩٠ اتصالا هاتفيا من مكتب التحقيقات الاتحادي يعلمه بأن الزجاجة التي وجدها تحتوي على مادة الثاليوم. فاجتمع فريق العمل في مكتب كرو وأخذ قراراً بعرض القضية على المحكمة العليا.

وبحلول ٧ ابريل (نيسان) ١٩٩٠، بعد

مرور أكثر من سنة على وفاة بيغي كار، توقفت قرب منزل آل تريبال عشر سيارات تقل ثلاثين شرطيا يتقدمهم بريك مينسي.

واستسلم تريبال خانعا.

اكتشف رجال الشرطة اثناء تفتيشهم منزل تريبال في سيبرينغ كتيبا عنوانه "الدليل العام للتسميم" وفيه معلومات عن أنواع السموم جمعها تريبال. وتضمن الكتيب بابا مخصصا بمادة الثاليوم. كما عثر بين مجموعة الروايات البوليسية التي اقتنتها ديانا على رواية أغاثا كريستي "الحصان الشاحب"[٤] حول سلسلة من جرائم القتل تسميما بالثاليوم.

لم يستبعد تريبال أن يصدر حكم ببراءته على رغم الأدلة الظرفية القاطعة، حتى انه طلب سيارة أجرة تعيده إلى منزله في اليوم الأخير للمحاكمة. ولم تضطرب ملامحه الحالمة عندما صدر حكم هيئة المحلّفين.

دين جورج تريبال بتهمة القتل وحكم عليه بالاعدام. وهو لا يزال في السجن.

هل كانت وفاة بيغي كار احدى "أحاجي" الجريمة الغامضة بالنسبة الى تريبال؟ هذا ما يظنه التحري في دائرة مكافحة المخدرات، ريتشارد بروتون، الذي كان اعتقل تريبال قبل مدة طويلة بتهمة رش الأمفيتامين. وهو يقول: "اعتقد تريبال أنه أذكى كثيراً من سواه. ولا بد أنه يعيش معاناة مريرة حاليا، لا لأنه دين، بل لأن حفنة من رجال الشرطة الريفيين انتصرت عليه وزجته في السجن."

مايكل ماكلاود ■

روسي في أمريكا

خلال زيارة للولايات المتحدة، التقى الرئيس السوفييتي السابق غورباتشيف روسيا مهاجراً فسأله: "ماذا تشتغل هنا؟"

أجاب المهاجر: "انني أعمل مع شقيقي وشقيقتي في مصنع كبير."

– وكيف يعاملك رؤساؤك الراسماليون؟

"معاملة رائعة يا سيدي. في الواقع، اذا التقاك رئيسك وانت تمشي من المصنع الى البيت، فانه يقلّك في سيارته الكبيرة، ويأخذك لتناول العشاء في مطاعم فخمة، ويغدق عليك الهدايا؟"

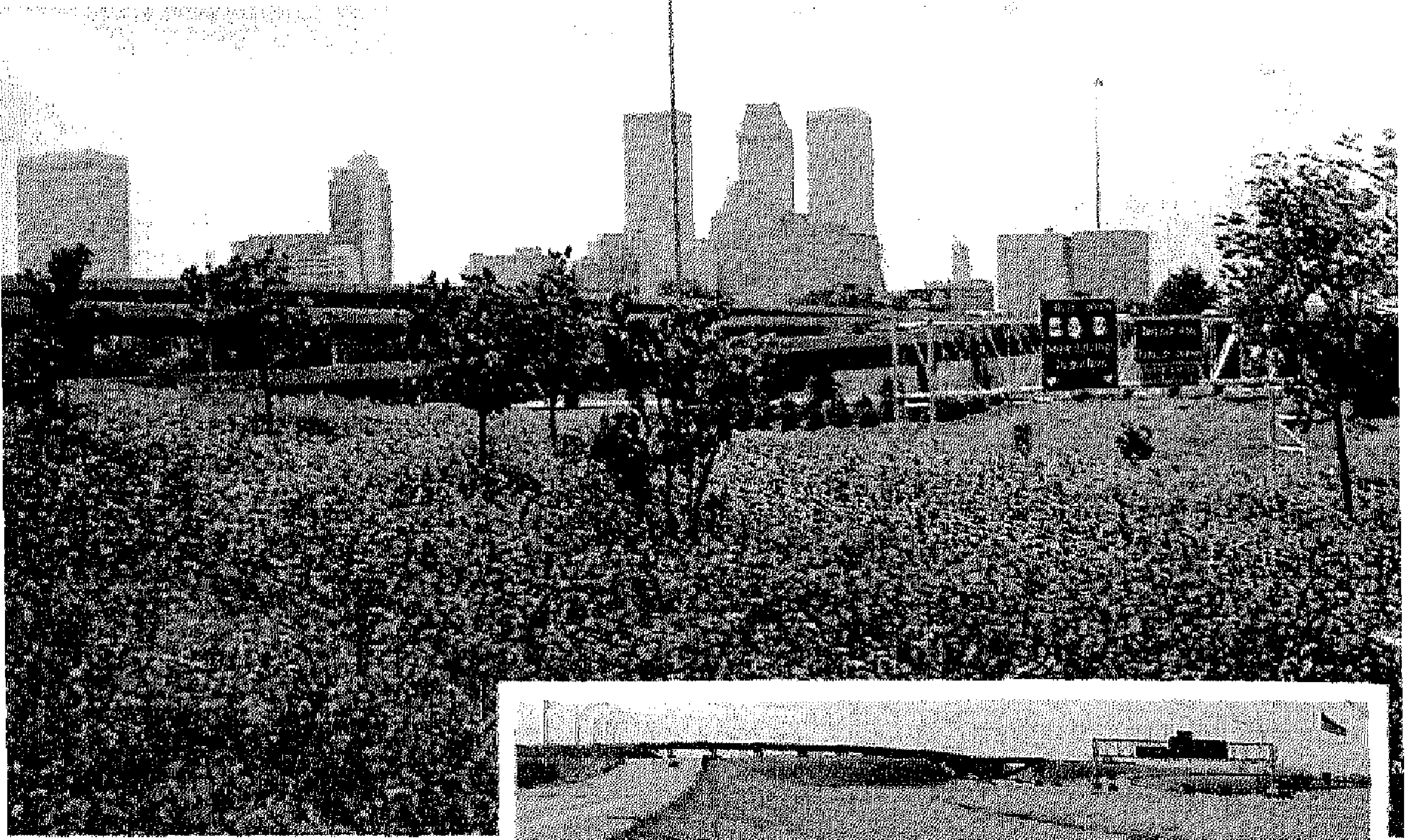
ذهل الزعيم السوفييتي وسأل الرجل: "هل يحصل ذلك دائما؟"

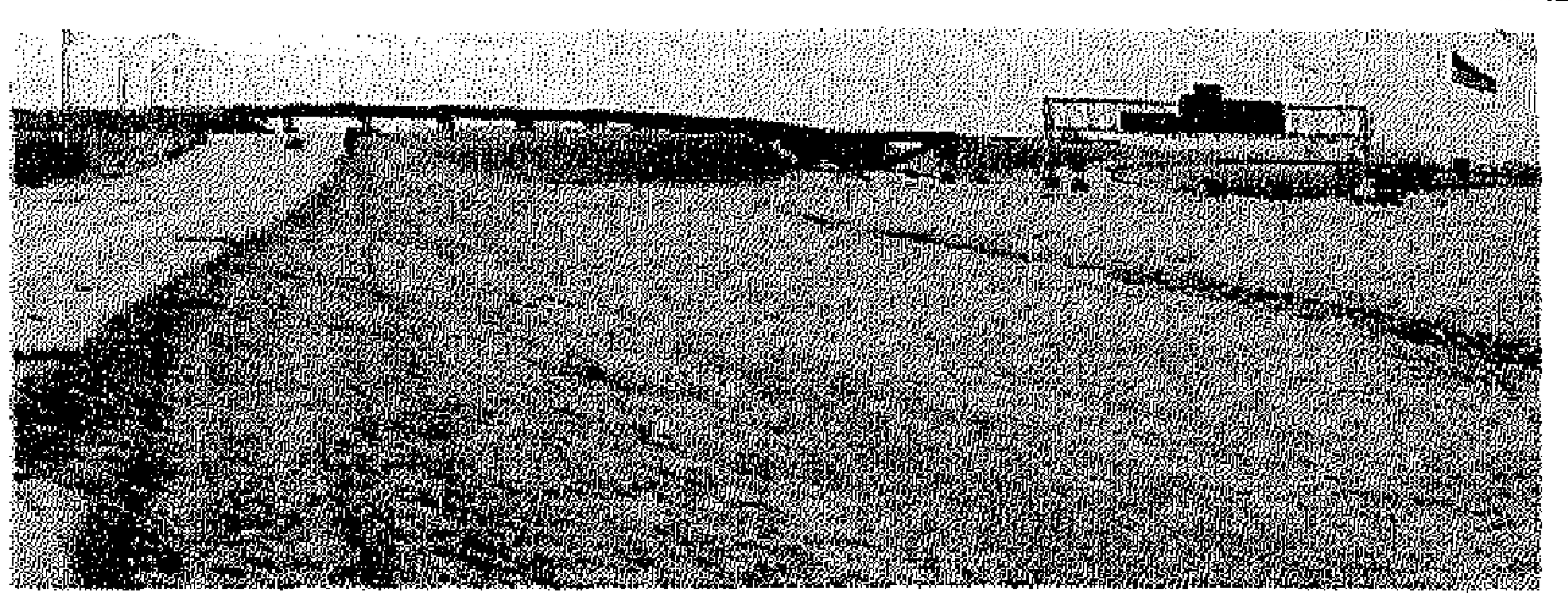
فأجابه: "في الحقيقة، لم يحصل هذا معي أبدا، لكنه حصل مع شقيقتي."

صحيفة "غازيت"

احدى حسنات رواية نكتة "بريئة" هذه الايام هي الاحتمال الكبير الا يكون احد سمعها من قبل.

د.ل.





فاصل بين طريقين قرب تلسا في ولاية أوكلاهوما اصبح موئلا للأزهار البرية والأشجار الوارفة.

أصْدقاء الطبيعَة

أدرك هؤلاء المتطوعون أن نظافة البيئة تبدأ من عقر دارهم فهبوا يداً واحدة ينظفون شوارعهم ويجمِّلون شطآنهم

حركة "إنهاض الاشجار"

صُدم ايليوت هاو (١٧ عاما) اذ تبين له عام ١٩٧٢ أن أشجار الدردار التي لطفت هواء أوكلاهوما منذ أواخر القرن الماضي تتعرض للقطع المنظم على أيدي عمال البلدية. وفي حين هلل معظم الاهالي لتوسيع "الشارع ٥١" قرر هاو ابلاغ المسؤولين أن هناك مواطنا واحداً على الأقل يُحزنه غياب شجر الدردار.

وتعجب هاو اذ لاقى أذناً صاغية لدى مفوض الطرق سيد باترسون الذي دعاه الى لقاء للتباحث في الموضوع. وعلى أثر هذا اللقاء نظَّم باترسون لقاءات أخرى حضرها أعضاء نادي الحدائق في المدينة ومهندسو جنائن وممثلون لجميع القطاعات المدينية. وأبلغ باترسون الى

PHOTOS: COURTESY OF UP WITH TREES, TULSA, OKLA

المجتمعين أن المدينة خسرت نحو ٢٠٠ ألف شجرة من جراء التوسع المديني والعواصف والأمراض النباتية. ولسوء الحظ كانت تلسا تفتقر الى الاموال اللازمة لاعادة التشجير.

لم يلزم المجتمعين وقت طويل ليدركوا أن أي أمل في عكس هذا التدهور يقع على عاتقهم شخصياً. وأدى هذا الادراك الى تأسيس حركة "إنهاض الأشجار."[١]

يقول هاو: "كنت في عطلات نهاية الاسبوع أستعير شاحنة والدي وأجول على المشاتل مع باترسون نطلب هبات."

وسرعان ما اكتسبت حركة "إنهاض الأشجار" زخماً عظيماً. فوهبتها "شركة الخدمات العامة" في أوكلاهوما شاحنة ريّ ونشارة لوقاية جذور الغراس. وبدأت الشركات الكبيرة ترعى مواقع محددة بتقديمها جوائز سنوية الى المؤسسات التي تجمِّل أملاكها المتاخمة للطرق العامة. كما غدت رعاية الأشجار من المبادىء الملتزَمة فردياً.

وبمر السنوات غرست ألوف الشجيرات وأعداد لا تحصى من الازهار البرية بالتعاون مع أندية الحدائق في المنطقة، مما حوَّل عشرات الشوارع الجانبية العارية حدائق غنّاء. وكما جاء في منشورات حركة "إنهاض الأشجار": "لا يغرس المرء شجرة لنفسه، بل للرخاء العام." ولأن نمو أشجار الدردار والصنوبر وغيرها من الأشجار المعمرة يستغرق سنين، فستفيد منها أجيال لم تولد بعد.

في صبيحة يوم بارد من فبراير (شباط) ١٩٩١ تجمع متطوعون على جنبات تلة تجاور طريق "بروكن أرو" وراحوا ينقبون الأرض ويغرسون الشتول ويسمدون الأشجار وينثرون النشارة حول الغراس النامية، فيما السيارات والشاحنات المارة بهم تطلق أبواقها في عرض تشجيعي مؤثر.

أصدقاء النهر

يتدفق نهر هوساتونيك من منابعه في جبال بركشاير جنوباً عبر تخوم بلدة غريت بارنغتون الواقعة على الطرف الغربي من ولاية مساتشوستس. وتدير البلدة ظهرها الى النهر مؤكدة المثل السائد: "بعيد عن العين بعيد عن القلب." فعلى مر السنين والبلدة تلقي نفايات أبنيتها وفضلاتها المنزلية وأشجارها المقتلعة بفعل العواصف على ضفاف النهر.

ذلك كان المنظر المنفِّر الذي طالع راشيل فلتشر في أحد أيام مارس (آذار) ١٩٨٨ عندما نظرت من نافذة خلفية في مبنى مؤسسة "صندوق الارض" حيث تعمل.

أخذت فلتشر تتحدث الى زملائها وأصدقائها والى كل من له أذنان تسمعان، عن الحال المزرية التي صارت اليها ضفاف النهر. ولم يحل فصل الصيف حتى نجحت في تنظيم حملة نظافة قوامها ٢٠ متطوعاً عملوا معها على

(١) Up With Trees



رفع كتل الرماد المتحجر والزجاجات الفارغة والأنقاض على امتداد تسعة أمتار من ضفة النهر الى مبنى "صندوق الأرض." ثم زرعوا أعشاباً لمنع انجراف التربة.

ألهم هذا العمل المتواضع نشوء ثورة صغيرة. فكالمت أمينة المكتبة في احدى المدارس فلتشر تسألها أن يتولى فريقها "معالجة" ضفة النهر المحاذية للمدرسة. لكن فلتشر اقترحت عليها أن يتولى التلاميذ هذه المهمة "لارساء شعور الواجب في نفوسهم." وذات يوم ثلثاء من يونيو (حزيران) ١٩٨٩ تطوع ٧٠ تلميذاً لازالة الأنقاض عن ضفة النهر مستعملين ما طاولته أيديهم من أدوات.

وفي خريف ١٩٩٠ تطوعت مجموعة فلتشر لتنظيف النهر من بقايا مبنى صيدلية التهمته النار قبل سنوات وجُرفت أنقاضه الى ضفة النهر لاقامة صيدلية جديدة.

وفي غمرة الجهود المبذولة لتنظيف ضفة النهر، كوَّن المتطوعون سلسلة بشرية لنقل الركام قطعة قطعة من أسفل الضفة الى مرمى للنفايات أعد لهذه الغاية. فتمكنوا في يوم واحد من إزالة ٧٧٠٠ كيلوغرام من النفايات. وتؤكد فلتشر أن هذه السلسلة البشرية التي ضمت أناساً قلما تحادثوا قبلا هي رمز لأفضل ما أنتجته الحملة، إذ "أمسك الجميع كل قطعة من الانقاض."

وفي العام ١٩٩٠ منحت أندية المنطقة فلتشر لقب "مواطنة العام." وهي تقول: "لم أكن أعرف الكثير عن علم البيئة. لكن جهلي هذا كان مفيداً، اذ أدركتُ أن لكل انسان قدرة على المساعدة بطريقة ما."

ايام النظافة

راقبت ماريا غولد ابنها الصغير براين وهو يلهو على شاطىء خليج هندرسون المعروف باسم بوردي سبيت (أي مَبْصق

بوردي).[٢] ولم تلبث أن رأته ينحني ثم يعود اليها راكضاً وفي يده حلقات بلاستيكية متصلة كانت لرزمة من ست علب مرطبات. سأل الصبي أمه: "لماذا تُركت هذه هنا؟" فبيَّنت له كيف تُفَك الحلقات، مضيفة أن طيور الشاطىء والكائنات المائية لا ترى الحلقات تحت الماء فتعلق بها. لكن براين بقي حائراً لوجود مثل هذا الشيء على الشاطىء وليس في سلة مهملات.

كان عجب الطفل مشابهاً لعجب أمه عندما قرأت لائحة بالأشياء التي وُجدت على الشاطىء في "يوم النظافة" الذي نظمه مصرف بوجت ساوند حيث تعمل في ١٦ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩. ففي ذلك اليوم تطوع موظفو المصرف وعائلاتهم لإزالة أطنان من النفايات والأنقاض من نحو ٥٠ موقعاً على شاطىء بوجت ساوند، ومما أزالوا أدوات مطبخية ودواليب ومحاقن وأحمال شاحنات من البلاستيك والزجاج والورق. وللمرة الاولى أدركت ماريا غولد "مدى خطورة الوضع." لذلك، حين أخبرها مديرها أن حملة ١٩٩٠ تتطلب قائداً جديداً، عرضت غولد تنظيم مجموعة تتولى تنظيف بوردي سبيت.

في خريف ١٩٩٠ عبرت غولد مع زملائها وعائلاتهم جسراً أدى بهم الى بوردي سبيت. وهناك رفعوا عن الشاطىء أكواماً من النفايات، بينها تلفاز ولُعب وقطع سيارات وملابس وعدد لا يحصى من علب الالمنيوم وقوارير البلاستيك.

ومع انصرام النهار ملأوا ٣١ كيساً كبيراً.

وقد أدت الحملات التي تولاها ٢٣٠٠ متطوع الى رفع نحو ١٥ طناً من الحطام عن ٥٥ موقعاً في بوجت ساوند.

ويقدم مصرف بوجت ساوند الدعم المالي لهذه الأعمال (بلغت مساهمته ٣٦ ألف دولار عام ١٩٩٠). ولكن تبقى قوة المشروع متوقفة على توافر رأس مال بشري. يقول ديفيد بارنت المشرف على البرنامج: "كان في وسعنا التبرع بالمال لقضية ما كما يفعل معظم الشركات، لكننا آثرنا أن نفعل شيئاً يحرك موظفي المصرف على صعيد شخصي."

واليوم، حين تقود ماريا غولد سيارتها في الشارع المحاذي لشاطىء بوردي سبيت، فانها تراقب ما تجمع من نفايات على الرمال التي نظفتها قبل أشهر. واذا كان ابنها براين معها، فانه يسألها أن تأخذه الى الشاطىء، لا ليلعب، بل ليرفع النفايات.

الآفاق الخضر

لا تذكر هلن كيلباتريك متى بدأت مجموعات من اللصوص تستخدم قطعة الأرض الخالية المجاورة لمنزلها ورشة مفتوحة لتفكيك السيارات المسروقة. ثم بدأ تجار المخدرات يحومون كنسور جائعة حول هذه الأرض، فباتت بؤرة خطرة انتثرت فيها هياكل سيارات وأمتعة بالية وأدوات منزلية مطروحة.

(٢) Purdy Spit

شكت كيلباتريك الأمر الى هلن بوش رئيسة "مجلس الشرطة الأهلية" في المنطقة، آملة أن تثير الموضوع خلال الجلسة المقبلة. لكن بوش اقترحت عليها فكرة أخرى: "لماذا لا تنشئين حديقة؟"

أجابتها كيلباتريك: "هل تمزحين؟"

ولكن سرعان ما أصدرت سلطات الولاية اذناً بانشاء حديقة "غرين هورايزنز"[٣] (أي الآفاق الخضر).

وفي صيف ١٩٨٤ رُفعت أكوام النفايات وغُرست خمس حدائق. وفي العام ١٩٨٧ بلغ عدد الحدائق ١٥. وفي ١٩٩٠ تولى أكثر من ٤٠ بستانياً العناية بـ٩٠ حديقة تبلغ مساحة كل منها ٣٦ متراً مربعاً وتنتج بمجملها ما قيمته ٥٠ ألف دولار من الخُضر كل موسم. وغدت "غرين هورايزنز" المساهم الاكبر في برنامج جامعة روتجرز للبستنة المدينية.

وكانت تلك الحدائق الصغيرة، الى جمالها، كافية لسد حاجة البستانيين من الخُضر بحيث لم يضطروا الى شراء حبة بندورة (طماطم) أو بصلة أو كيلوغرام من اللوبياء مذ التحقوا بالبرنامج. وهم وهبوا في العام ١٩٩٠ وحده أكثر من طن من نتاجهم الى جمعيات خيرية ومطاعم مجانية تقدم وجبات ساخنة الى المعوزين.

وتتحدث هلن بوش، التي اختيرت حديقتها بين الخمس الأول في الحدائق الأهلية عام ١٩٩٠، عن احدى الفوائد الأخرى للبرنامج. تقول: "غدونا نتعاون ضمن شبكة متراصة تتيح لنا التصدي للمشاكل." والدليل على ذلك ما حدث أخيراً حين تصدى بستانيو "غرين هورايزنز" لتجار المخدرات بتجمعهم مساء وسيرهم في الشوارع ملوحين بلافتات ومرددين: "لا مخدرات بعد اليوم."

هذا أيضاً مثل على أن تهذيب البيئة يستتبع تهذيب المجتمع.

مشروع "المآثر الحسنة"

ذُهل الرجل الآتي من مينيسوتا اذ رأى أكياس النفايات المجمّعة على مسافات تتباعد نحو ١٠٠ متر على طول "الطريق ٩٣" التي سلكها بعد ساعات من اجتيازه حدود كندا – مونتانا. ففي صبيحة ذلك اليوم من أبريل (نيسان ١٩٨٦ تطوع مئات الكشافة لتنظيف جزء من الطريق الممتدة ٤٥٠ كيلومتراً ضمن الولاية.

توقف الرجل الآتي من مينيسوتا ليشكر المتطوعين، ثم قدم مبلغاً من المال الى قائد الفريق قائلا: "ادعُ الاولاد الى الغداء."

في ذلك الصباح رفع الفتية ما يزيد على ٢٢٥ ألف كيلوغرام من الحطام. ولم يكن ذلك عملاً شاقاً. يقول منسق المشروع تشاك ثيموتي: "انه يدل على فاعلية العمل الجماعي: جهد بسيط مضروب في عدد كبير من الصبيان والبنات يساوي فائدة جمة للبيئة."

بعد أشهر اقترح ثيموتي على جايمس كينغ، رئيس مجلس الحركة الكشفية في

(٣) Green Horizons

مونتانا آنذاك، تعميم عمليات التنظيف على أنحاء الولاية. وفي صبيحة يوم سبت من أبريل (نيسان) ١٩٨٧ انتشر نحو ٧٠٠٠ كشاف على مساحة ٣٧٥ ألف كيلومتر مربع ورفعوا نحو ٩٠٠ طن من النفايات.

وفي السنة التالية استهدفت عمليات التنظيف المتنزهات والمخيمات وغير ذلك من الأماكن العامة، فزاد عدد المتطوعين على ١٥ ألفاً. وبحلول العام ١٩٩٠ اجتذب مشروع "المآثر الحسنة"[٤] – الذي اقتبس ثيموتي اسمه من الشعار الكشفي: "اصنع مأثرة حسنة كل يوم" – ٣٥ ألف متطوع رفعوا كمية هائلة من النفايات بلغت خمسة ملايين كيلوغرام.

لاحظ ثيموتي بسرور تضاؤل كميات النفايات المبعثرة على جوانب الطرق. فهذا يعني، في رأيه، أن الناس بدأوا يدركون أن الفعل الجماعي يمكن أن يضر بالبيئة بمقدار ما يمكن أن يساعدها. يقول: "إن رمي علبة واحدة أو قارورة واحدة أو كيس واحد في السنة لا يبدو أمراً ذا بال. لكنه عمل تراكمي. فلو جُمعت هذه النفايات المطروحة لطمرت مدينة."

في اليوم التالي لحملة النظافة عام ١٩٩٠ اصطحب ثيموتي زوجته في نزهة الى وادي بيتروت ليريها "ما فعله الأولاد." وإذ مرّا ببعض أكياس النفايات الـ٤٠ ألفا التي جُمعت على جوانب الطرق ريثما ترفعها شاحنات حكومية، تذكر تيموثي مبدأ آخر في شريعة الكشافة: "لا تغادر مكاناً تطأه الا وقد أصبح أفضل مما كان."

قد تبدو هذه الفكرة بسيطة، لكن مفعولها سيكون هائلا اذا مارسها الجميع.

إدوين دوب ■

(٤) Project Good Turns

مطعم العائلات

اتخذ أحد المطاعم المحلية شعاراً هو "لدينا وقت لك" يردده الموظفون حين يردون على الهاتف. وذات مساء كنت واقفاً أمام الصندوق لدفع ما توجب علي، فرنَّ جرس الهاتف. فتناولت أمينة الصندوق السماعة وقالت: "هنا مطعم العائلات، لدينا وقت لك، انتظر لحظة من فضلك."

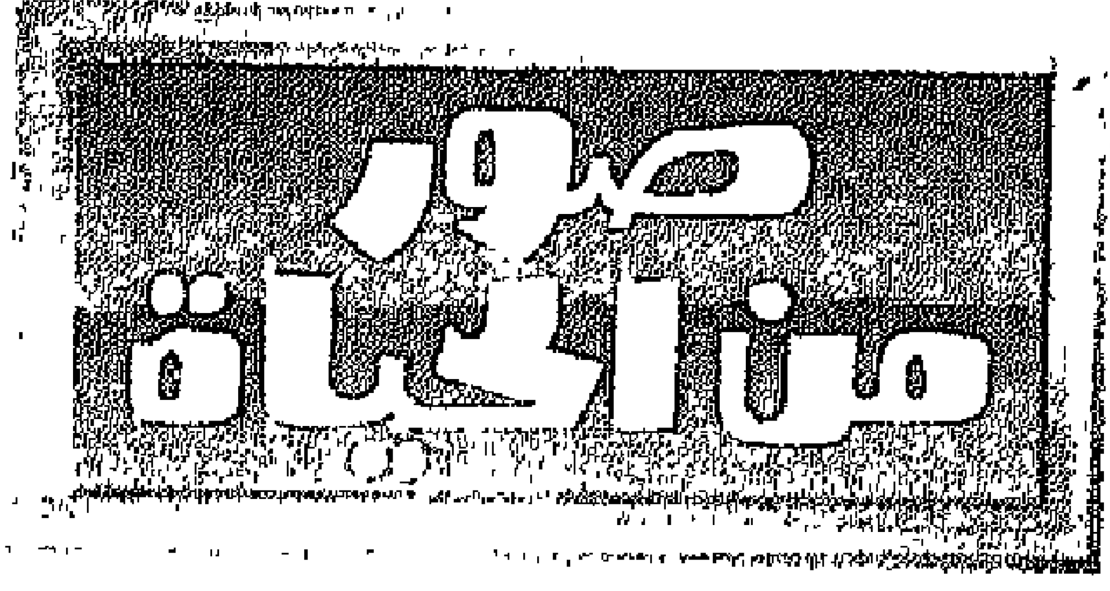
ب.ر.

ناريَّتان

اشتكى رجل الى صديقه: "اننا نتشاجر كثيراً أنا وزوجتي، فهي حساسة جداً، وأي أمر تافه يشعلها."

فهوَّن عليه الصديق قائلا: "احمد ربك يا رجل، فزوجتي تشتعل ذاتياً."

ر.د.



بواكير الربيع

■ ها أنا في مارس (آذار) قد ضقت ذرعاً بالشتاء. لقد تعبتُ من تقطيع البطاطا تحضيراً للعشاء، ومن المكوث قرب النار فيما الطبخة تغلي بهدوء. وأكاد أقول ان ما بدا مريحاً في نوفمبر (تشرين الثاني) صار الآن مضجراً. وان تكن بواكير الربيع داكنة ومبتلّة أكثر منها مخضوضرة وذهبية برّاقة، فهي وقت للتغيير، وهذا ما يجعلها جذّابة.

م.ب.

شاعرية مقلوبة

■ زارتنا قريبة من المدينة. فأخذناها في نزهة وسط المروج. وحين وصلنا الى بستان يفوح منه عبير زهر الليمون رفعت القريبة يديها وراحت تدور جذلة، وتنهدت قائلة: "ما أجمله شذاً! كأنه صابون معطّر!"

ج.ج.

مشكلة بريدية

■ انتقلت الى منزل جديد حيث واجهت مع ساعي البريد مشكلة مستعصية. كان لا يكفّ عن تسليمي رسائل موجهة الى المستأجرين السابقين. وفي محاولة لرفع اللبس، كتبت اسمي على صندوق البريد بحروف كبيرة واضحة. لكن الساعي واصل تزويدي رسائل ليست لي.

اخيراً كتبت إليه رسالة مؤداها أنه يخطىء في توزيع البريد، وتركتها له في الصندوق. وفي اليوم التالي تفقدت الصندوق، فعثرت على رسالتي وقد أضيفت عليها الجملة الآتية: "سيدي المحترم، إني أوزع البريد توزيعاً صحيحاً، لكنك أنت ساكن في العنوان غير الصحيح."

ج.ل.

جمرة في موضعها

■ بعد جراحة في ركبتي وأخرى لاقتلاع ضرس ملتهبة، عدت إلى البيت لأرتاح. وفيما كنت جالسة في أريكة وقدمي رازحة تحت كيس ثلج وفوق خدي كيس ماء ساخن، إذ بأمي تطلق صرخة ألم من المطبخ. استوضحتها الأمر بفم ملؤه الشاش، فردت قائلة: "لا شيء أكثر إيلاماً من جرح تحدثه حافة ورقة."

ل.ا.

شجار الشقيقات

■ كنتُ وشقيقتي جالستين على الشاطىء نراقب أولادنا يلعبون. ولم تلبث ابنتاي، وهما في الثامنة والتاسعة من العمر، أن بدأتا شجاراً صاخباً. فالتفتُّ الى شقيقتي منزعجة وتنهّدتُ قائلة: "في أي عمر تظنين أنهما ستتوقفان عن الشجار؟"
فابتسمت شقيقتي وسألتني: "ما عمرنا نحن؟"

س.م.

قاهرا القطب الشمالي

بدت فكرة الشبان النروجيين الثلاثة "فلتة" خيال جامح لكنها تحولت هاجساً حملهم على ركوب الاخطار القاتلة في الاصقاع الجليدية وبذل قصارى طاقاتهم الجسدية والعاطفية ليصبحوا أول من بلغ القطب الشمالي مشياً ومن دون أي مساعدة خارجية



الثلثاء ٨ مارس (آذار) ١٩٩٠ الاولى والنصف بعد الظهر شاهد ربان الطائرة منبسطاً من الجليد البحري شرق جزيرة ورد هنت وهي اخر بقعة من اليابسة في القارة الامريكية الشمالية فهبطنا فيها وراحت الطائرة تتواثب على الجليد. كانت الحرارة ٥٢ درجة مئوية تحت الصفر والجو مضباً والثلج يتساقط خفيفاً. وبدا الجليد مروّعاً تكثر فيه فتحات مائية وسلاسل ضغط[1] متقطعة متلوية ترتفع ١٥ متراً.

انزلنا المزالج والمؤن وراقبنا الطائرة "توين أوتر" وهي تحلق وتختفي في السديم. ثم عاد ارلينغ الى الشاطىء

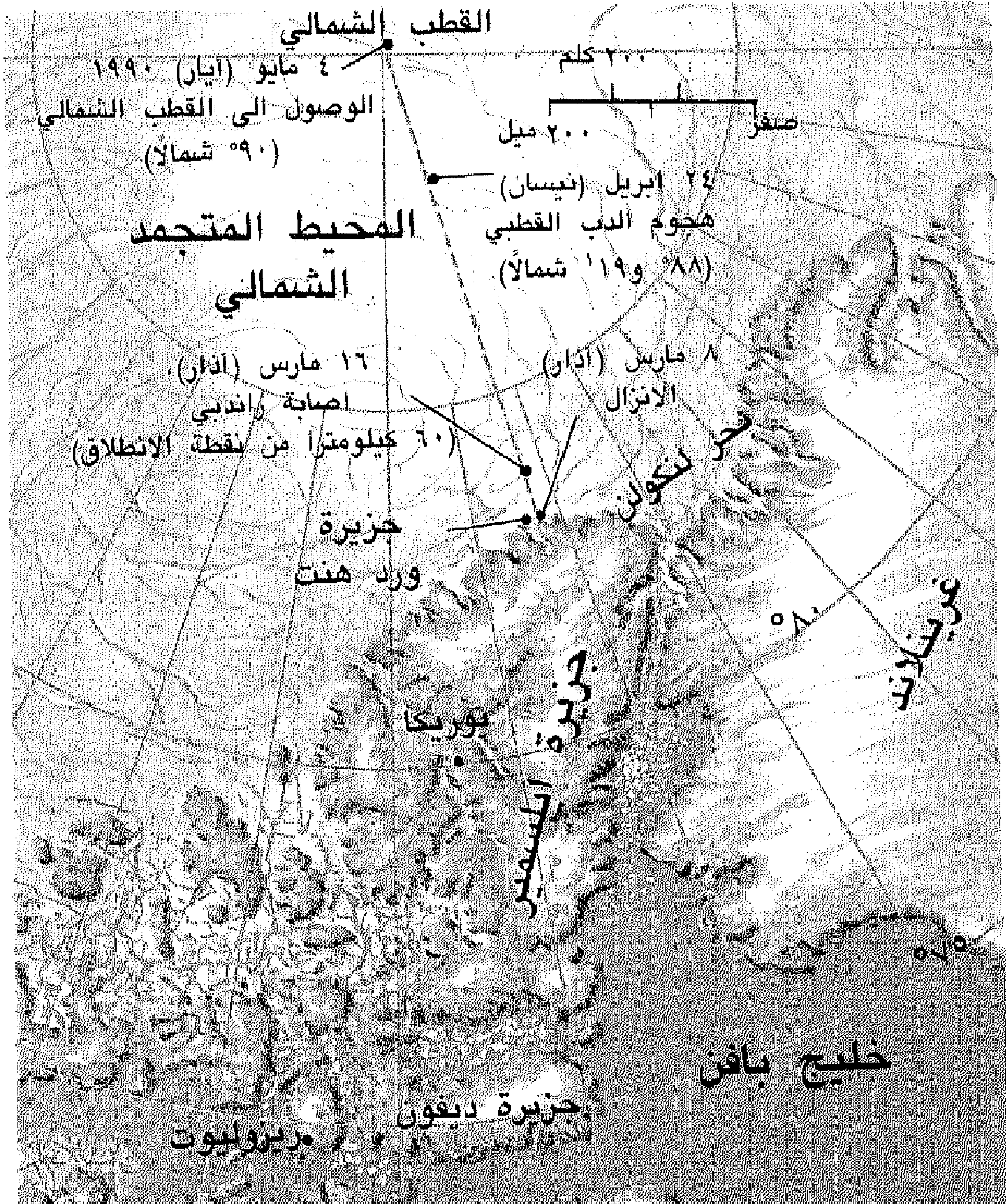
(١) Pressure ridges



ولمسه بيده دلالة رسمية على أننا بدأنا رحلتنا انطلاقاً من اليابسة، ورحنا أنا وغاير نبحث عن منطلق لعبورنا الاول للمياه السوداء.

هكذا استهل بورغ أوسلاند سرده لوقائع الرحلة البطولية عبر المحيط المتجمد الشمالي: ثلاثة شبان نروجيين في العقد الثالث، هم بورغ أوسلاند وغاير راندبي وارلينغ كاغ، بدأوا رحلتهم لاجتياز مسافة ٨٠٠ كيلومتر من رأس جزيرة ايلسمير في أقصى شمال كندا الى القطب الشمالي في قلب المحيط المتجمد الموحش. وكما يقضي العرف غير المكتوب المتبع دولياً في البعثات المموَّلة ذاتياً، لن تمدّهم طائرات بمؤن طازجة ولن يستخدموا وسائل نقل سوى مزالجهم... لا شيء ما خلا المؤن التي يحملونها على المزالج خلفهم والنار المتأججة في صدورهم.

لم يكن أحد نجح في انجاز هذا الامر. اذ لم تتمكن أي من البعثات الـ ١٢ غير



المدعومة التي قامت بالمحاولة قبلا من الوصول الى مسافة ٥٧٠ كيلومتراً من القطب. وقد اخفق البريطاني السر رنولف فيينس، الذي أطلق عليه "كتاب غينيس للارقام القياسية" عام ١٩٨٦ لقب "مستكشف عظيم"، في ثلاث محاولات للوصول الى القطب الشمالي من دون مساعدة. وفي الاسبوع الاول من مارس (آذار) ذاك عاود رنولف الكرة انطلاقاً من سيبيريا بفريق يضم المستكشف القطبي الدكتور مايكل سترود.

صعق المستكشفون النروجيون بالطبيعة القاسية التي تتميز بها منطقة القطب الشمالي. كانوا يجرّون مزالجهم الشبيهة بمغاطس الحمّام والبرد القارس يسفع وجوههم وأصابعهم، فيسحبونها متراً متراً على أرض مخيفة من ألواح ضخمة جليدية ضخمة ضربها تيار المحيط فرفعها وسحق بعضها ببعض فشكلت تصدعات وتلالاً وخنادق عميقة. وسدت هذه الحواجز الجليدية طريق الثلاثة فاضطروا الى تغيير مسارهم. وأخيراً عثروا على منفذ متجمد هو مجرى مائي وسط الأطواق يكسوه الجليد، فتقدموا جاهدين حوالى ثلاثة كيلومترات شمالاً قبل أن تحين السابعة مساء وينصبوا مخيمهم.

الاحد ١١ مارس (آذار). الصقيع قارس وقد بلغت الحرارة ٥٠ درجة مئوية تحت الصفر وتحول التكثف في الخيمة جليداً فتجمدت أكياس النوم. يوم الجمعة كسر ارلينغ سنه أثناء تناوله الغداء اذ غرز أسنانه في طعام متجمد فانكشف العصب وسبب له ألماً حاداً. لكننا كنا مجهّزين لمثل هذه الحالات الطارئة. ونجحتُ في تلبيس السن المكسورة بمعجون لحشو الاسنان.

اليوم هو الاول نسير فيه ثماني ساعات كاملة. قطعنا ٧٫٢ كيلومترات بمزالجنا. ولكن علينا تحسين أدائنا، فقياساً على هذا المعدل سيلزمنا اربعة أشهر لبلوغ القطب، وليس لدينا من الطعام الا ما يكفي لشهرين.

كان ارلينغ كاغ وغاير راندبي طالبين في كلية الحقوق عندما التقينا بورغ أوسلاند الذي كان يعمل آنذاك غطّاساً في حقول النفط البحرية النروجية. وتميز الثلاثة بحبهم تحدي المجهول. كان غاير جذّف ذات مرة ١٣٠٠ كيلومتر مخترقاً براري كندا. وانضم ارلينغ الى بعثات بحرية وبرية في أمريكا الوسطى وافريقيا والقارة القطبية الجنوبية. وقطع بورغ تزلجاً عام ١٩٨٦ عرض غرينلاند الممتد ٨٠٠ كيلومتر من الساحل الى الساحل.

وكان الوصول الى القطب الشمالي فكرة غاير، لكنه صار شاغل الثلاثة منذ طرح الفكرة على رفيقيه في أوائل العام ١٩٨٨. فأكبوا في السنتين التاليتين على قراءة كل ما تيسّر لهم عن رواد الاستكشاف القطبي. وتدربوا في الجزء القطبي من النروج وكندا حيث تحدثوا الى قومي اللابلاندر والاسكيمو والى كل



ارلينغ يعبر فوق أحد الشقوق في طوف جليدي.

من اختبر العيش على البحر المتجمد العظيم في "قمة العالم."

كانت المعدات التي صنعت خصيصاً للرحلة أفضل ما يمكن أن تحوزه بعثة الى القطب. فملابس الرواد مصنوعة من قماش هو آخر ما توصلت اليه تكنولوجيا الفضاء امتزج فيه النسيج الصناعي بالقطن والصوف. وأحذيتهم من نوع الـ"مكلوك" ينتعلها الهنود وهي مصنوعة من جلد حيوان الموظ ومبطنة بالفرو وتوفر الدفء في حرارة تصل الى ٥٠ درجة تحت الصفر، وهي ناعمة كفاية لتلافي تقرح الاقدام في المسيرات الطويلة التي تمتد ١٥ ساعة في اليوم. وهم الذين طلعوا بفكرة تصميم مزالج من البوليستر المقوّى بالزجاج الليفي (فيبرغلاس) فتعوم على صفحة الماء لتنقلهم عبر المياه المكشوفة.

كان ثقل الحمولة عاملا حاسماً. فالتزم الثلاثة حمل المؤن والمعدات الضرورية جداً. وكانت حصة كل منهم يومياً كيلوغراماً من الخبز ونصف ليتر من البنزين (الغازولين) الابيض لاذابة الجليد من أجل الحصول على ماء للطهو

PHOTO: BORGE OUSLAND

والشرب. واستخدموا جهاز راديو ذا تردد عال جداً خفيف الوزن بخلاف الاجهزة الثقيلة ذات التردد العالي البعيد المدى التي استخدمها آخرون قبلهم. وقصروا اتصالاتهم اللاسلكية على طائرات الخطوط الجوية الاسكندينافية SAS التي تعبر الاجواء القطبية. لكنهم استعانوا ايضاً بجهازي ارسال، أحدهما مرشد لاسلكي كبير من نوع "آرغوس"، يبثان ذبذبات ضوئية تحدد موقعهم واشارات لنجدتهم في الحالات الطارئة. كما استعانوا بجهاز متطور جداً يدعى "ساتناف"[٢] (ملاح فلكي) يعكس الاشارات اللاسلكية الواردة من الاقمار الاصطناعية في الفضاء فيساعدهم على تحديد موقعهم ومعرفة مبلغ تقدمهم.

الخميس ١٥ مارس (آذار). مرّ أسبوع على رحلتنا. اشتقت كثيراً الى صغيري ماكس والى زوجتي وينش.

بدأ النهار جيداً، الى أن انفصل نعل جزمتي. وقد استغرق ربطه بحبل مظلة ساعتين. فاصلاح أي شيء يقتضي وقتاً طويلا حين تكون أصابعك متجمدة والريح تكاد تنتزع مقلتي عينيك.

في ١٢ مارس (آذار) أجرينا اتصالا لاسلكياً بطائرة SAS كانت تطير فوقنا شمالاً، وبعثنا برسائل الى أهلنا. كل شيء يسير على ما يرام.

في ١٦ مارس (آذار)، وكان الثلاثة قطعوا مسافة ٦٠ كيلومتراً على الجليد، اذا بمزلجة غاير تخترق قشرة ثلجية وتغطس داخل صدع ضحل. فسقط على الجليد مما اسفر عن اصابة عصبه الوركي (النَسَوي) برضة تحولت في اليوم التالي التهاباً جعل من كل خطوة يخطوها عذاباً لا يحتمل. وأدرك غاير أن الرحلة انتهت بالنسبة اليه، فبادر الى تشجيع ارلينغ وبورغ والدموع في عينيه: "لكنكما انتما الاثنين ستواصلانها، وستنجحان في اتمامها."

عاد الثلاثة مكتئبين الى طوف منبسط يكفي لهبوط طائرة "توين أوتر" وكانوا مروا به قبل ساعة. هناك شغلوا جهاز "آرغوس" للارشاد وأرسلوا الاشارة المتفق عليها: "انتشال سريع."

مر يومان من غير أن تظهر الطائرة. فاشتد الحنق بارلينغ وبورغ لاضطرارهما الى الانتظار هناك طويلا، ولكن تملكهما في الوقت نفسه شعور بالذنب لادراكهما أن عذاب غاير كان يفوق عذابهما.

وفي اليوم الثالث ١٩ مارس (آذار) طمأنتهم طائرة SAS لاسلكيا الى ان رسالتهم وصلت لكن العواصف أغلقت محطة "يوريكا" المخصصة لتزود الوقود، وأنه يفترض مع تحسن الاحوال الجوية المتوقع في الغد أن تصل اليهم طائرة "توين أوتر" ظهراً آتية من قاعدة "ريزوليوت".

وصلت الطائرة في الاولى بعد الظهر. وأحضر الربان معه شطائر وفاكهة طازجة. فسال لعاب ارلينغ وبورغ، ولكن،

(٢) «Satnav» Satellite navigator

التزاما منهما القوانين المرعية رفضا تذوق أي شيء منها. كما فصلا حصة غاير من الطعام والوقود ونقلاها مع مزلجته وعدته الى الطائرة، اذ لم يجيزا لنفسهما، وقد صمما على بلوغ القطب من دون مساعدة، الافادة من زاد شخص آخر أو من أي شيء يؤتى به اليهما أثناء الرحلة.

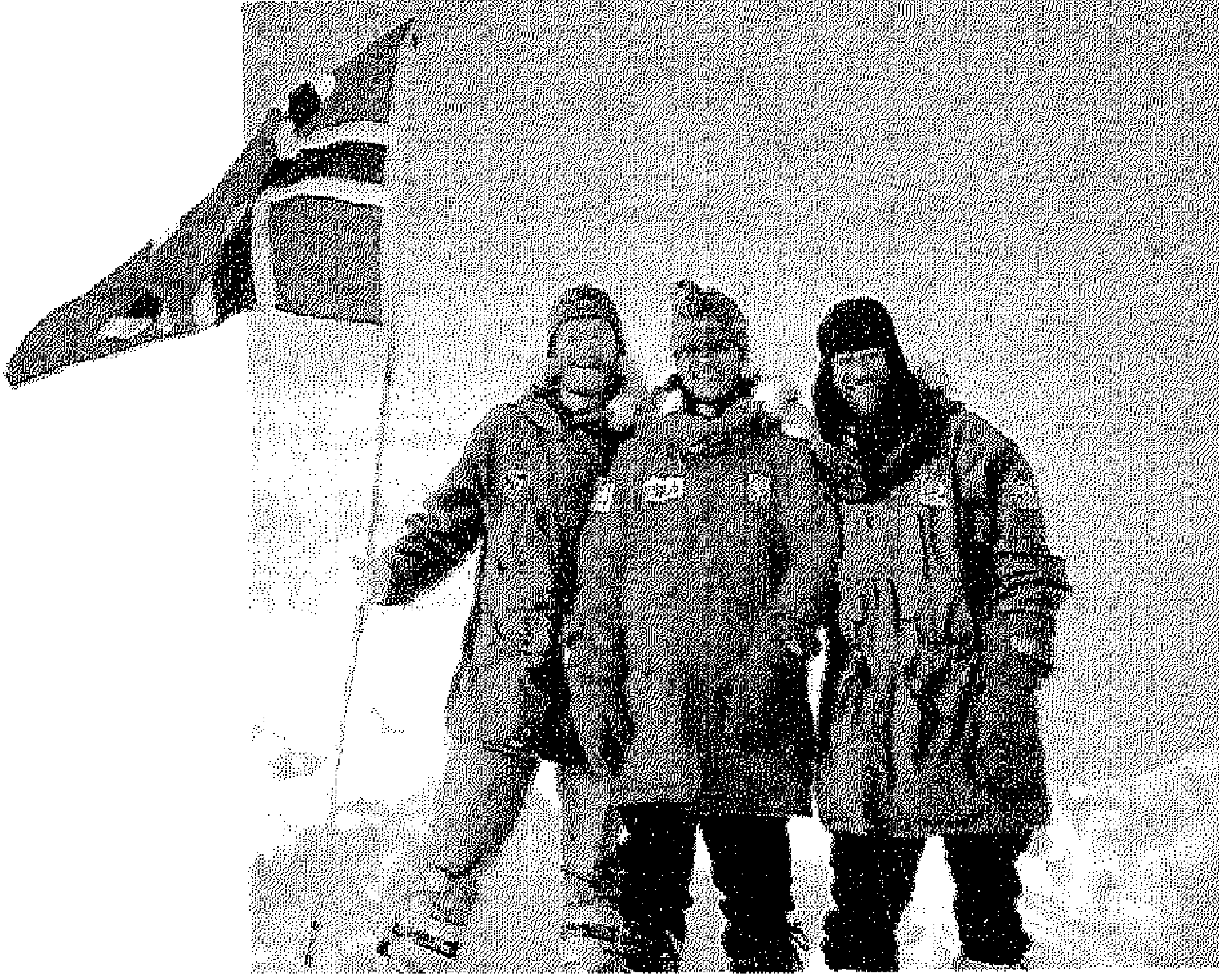
حين أقلعت الطائرة "توين أوتر" أحسا بثقل الوحشة. وبعدما صارا اثنين فقط اعترتهما فجأة حال من التهيُّب في مواجهة المغامرة الخطرة التي كانا مقدمين عليها. ولكن ما ان مرت دقائق حتى استعادا ثقتهما وانطلقا شمالا بعزم وتصميم لتعويض الايام الثلاثة ونصف اليوم التي أضاعاها انتظاراً على الطوف الجليدي.

الثلثاء ٢٠ مارس (آذار). **غاير، الرفيق العزيز الكفي الذي يعتمد عليه في الملمات، يا لعنف نكسته! كان الوصول الى القطب فكرته هو فحرمه الحظ الغاشم تحقيقها. تتنازعني أحاسيس مختلطة تحملني أحياناً على الاقرار صراحة بأنني لن أبالي لو عدت مع غاير الى منزلي والى صغيري ماكس وزوجتي وينش. لكنني وارلينغ سنواصل، نحن الاثنين فقط، السير الى أبعد ما تحملنا اليه طاقتنا.**

ازداد جسداهما صلابة ومناعة. ويوماً بعد يوم كانا يجتازان مسافة أطول قليلا ويبتعدان اكثر، تسعة كيلومترات، فعشرة... وكانا لا يزالان قريبين من تيار المحيط الذي قذف الأطواف الجليدية الضخمة الى الشاطىء. وبدت الارض سلسلة لامتناهية من الكتل المرتفعة المتراصة لا بد من تسلقها أو الالتفاف حولها. وكانا، كلما استطاعا، يستكشفان الطرق الفضلى، فيخلّفان المزالج وراءهما الى أن يعثرا على بقعة مياه متجمدة أو صفحة جليدية مسطحة تقودهما شمالا. واذ تهب عاصفة ثلجية عنيفة أو تحجب غيوم خفيضة معالم الارض، كانا يتلمسان طريقهما متقدمين خطوة خطوة.

كانا جائعين دائماً على رغم استهلاكهما ٥٧٥٠ وحدة حرارية (كالوري) في اليوم أي ضعفي ما يحويه غذاء عادي، فهما كانا يحرقان هذه الوحدات كلها، كذلك الدهن المختزن في جسميهما. وكانت وجبات الطعام هي هي: عصيدة مضافاً اليها زيت نباتي لفطور الصباح وللغداء، ولحما مقدداً مع بطاطا مجففة أو رز مطرّى بالماء ومشبع بالزيت النباتي للعشاء. قال ارلينغ: "كان مذاقها شهياً، ولم يكن ثمة ما يشبع نهمنا."

وقد غمَّهما وعيهما الدائم للمسيرة الطويلة المتبقية أمامهما والمنظر القاحل الذي لا يتغير مما أشعرهما بأنهما يعودان دائماً من حيث أتيا. وكثيًرا ما أغوتهما التجارب بركوب الاخطار. فعلى حافة ممر مائي متجمد قد لا يحملهما، أو على قمة سلسلة ضغط حيث يتعين عليهما الاختيار بين ربط المزالج وتركها تنزلق نزولا، كانت النكبات تداهنهما وتغريهما



رفع العلم النروجي فوق القطب. من اليمين بورغ أوسلاند وارلينغ كاغ وغاير راندبي.

بهمس غدّار: "هيا، لا بأس في المخاطرة أحياناً."

ذات يوم بعد مسيرة قرابة ١٢ ساعة وصلا الى مجرى مائي يبلغ عرضه متراً ونصف متر. ولما كان التعب نال منهما استنكفا عن البحث عن مكان أضيق للعبور كما اعتادا. فمال بورغ الى الامام وتأكد بواسطة عصا التزلج من صلابة الثلج على الضفة المقابلة قبل أن يقفز ويتسلق حائطها. واذ حاول ارلينغ الامر نفسه غرقت عصاه في الثلج الناعم فهوى خلفها. وحاول هَلعاً أن يجعل من مزلاجيه جسراً يربط الحافتين وأن يبقى خارج الماء، الا أن قطعاً من الجليد بدأت تتفتت تحته، مما بث الرعب في بورغ فنزع مزلاجيه وغطس من حافة الضفة وأمسك برفيقه من تحت ابطيه وراح يشد به صعوداً فيما ارلينغ يحاول رفع صدره الى صفحة الثلج.

في غضون ذلك تكسر مزيد من الجليد تحت ثقل جسديهما وأدركا أنه قد ينهار كلياً فيسقطان في تلك الشريحة المستطيلة من المياه السوداء. لكن ارلينغ تمكن بعد عناء من رفع نفسه الى أعلى الضفة حيث تمدد الرفيقان يرتجفان نتيجة العياء والبرد وادراكهما أنهما كانا على شفا الهلاك.

الخميس ١٢ ابريل (نيسان). نحن في حال يرثى لها. الدم ينزف من أنفينا بسبب الانهاك والصقيع، وبشرتنا السمراء تنسلخ عن وجهينا. قطعنا البارحة ١٣ كيلومتراً، وأظننا ارتددنا منها ثلاثة كيلومترات. كانت الريح الشمالية العاصفة تنفخ في اتجاهنا مباشرة. وتراكم الثلج كتلا، فكنا ندور حول بعضها ونتسلق البعض الآخر.

تصادف اليوم الذكرى الثانية لمولد

PHOTO: BJORN REESE

ماكس. أتساءل ماذا أعمل هنا منجرفاً في متاهات المحيط المتجمد الشمالي بدل أن أكون معك يا صغيري العزيز. ولكن لا تقلق، فحين أعود سنتمتع بأوقات عائلية حميمة. آه، كم أتحرق تطلعاً الى ذلك اليوم يا عزيزي ماكس.

بات الطعام هاجساً للشابين. وكانا يأويان في بعض "الليالي" الى فراشيهما والجوع ينهشهما فلا يستطيعان النوم.

وكان بورغ يسير مجهداً والمآكل الشهية تتراءى مغرية أمام عينيه ثم تختفي... فطائر محشوة بالجبن واللحم والمربى. أما ارلينغ القوي البنية الفارع الطول فكان يخال جسده يذوب.

كان الانسجام سائداً بينهما معظم الوقت، ولم يحاول أي منهما أن يطمح الى دور القائد. انما ذات يوم دوّن بورغ في دفتر يومياته: "ثار جدل بيني وبين إ. على طريقة تسخين الاشياء. انه لا يتحمل الانتقاد كثيراً، لكنني كنت على الأرجح حاد الطبع قليلاً." وبعد ١١ يوماً كتب: "كم أنا محظوظ لأن إ. رفيقي: انه عضد عظيم يتميز بالتصميم والعزم."

مساء ١٩ ابريل (نيسان) حملت اليهما طائرة SAS رسالة هزتهما: لقد وصل السر رنولف فيينس الى خط ٨٧ درجة و٣٦ دقيقة شمالاً. ومعنى ذلك أن البعثة البريطانية تتقدمهما بثلاثة أيام. فصمما على تخطي البريطانيين، ووضعا جدولا جديداً للافادة الى أقصى الحدود من ساعات النهار الاربع والعشرين. فاعتمدا "يوماً" من ٣٠ ساعة، يسيران منها ١٦ ساعة بدل عشر كما اعتادا وتبقى لهما ست ساعات للطعام ونصب المخيم وثماني ساعات ضرورية للنوم.

وكلما أوغلا شمالا ازدادت ساعات ظهور الشمس وارتفعت الحرارة الى أن بلغت "ذات يوم استوائي" - بحسب تعبير بورغ - ٣٥ درجة مئوية تحت الصفر. لكن الريح لم تخفّ، وأحدثت مزيداً من الشقوق العريضة في صفحة الجمد. ولو أن بعثات أخرى وجدت نفسها أمام مياه مكشوفة لكانت بحثت عن مكان آخر للعبور أو انتظرت تحول وجهة الريح لسد الثغرات. لكن ارلينغ وبورغ كانا مجهزين لمواجهة مثل هذه العوائق. فربطا مزالجهما وزلاجاتهما (السكي) معاً وصنعا منها طوفا وعبرا وأكملا المسيرة.

الاثنين ٢٣ أبريل (نيسان). اليوم الـ٤٧. أصيب إ. أمس بدوار شديد خلّفه ساهماً فاتر الهمة. لكنه، بما لديه من الشجاعة، واصل الرحلة. شعرت بألم في ظهري بسبب حمل مسدسي الـ"ماغنوم" الثقيل. وكان إ. يحتفظ بمسدسه في المزلجة فقررت أن أفعل مثله. لم يكن أحد أخبرنا عن سماعه بوجود دبب قطبية في هذه البقعة القصية شمالاً.

في اليوم التالي تقدما مسيرة ١٤ ساعة. وفيما كانا يتهيأان لنصب المخيم فوجئا بدب قطبي يندفع نحوهما من فوق جرف يبعد عنهما ٣٠ متراً. بان الدب تعباً

مربكاً، وربما كان يتضور جوعاً. فصاح بورغ: "انتبه!"

التفت ارلينغ الى تلك الناحية وخف الى مسدسه وفعل بورغ مثله. ولكن فيما انهمكا في اخراج سلاحيهما من المزلجة كان الدب اقترب منهما.

التقط بورغ مسدسه أولا واستدار وأطلق رصاصة تحذيرية في الثلج لم تثنِ الدب عن متابعة تقدمه حتى بات يُسمع لهاثه. وكان ارلينغ واقفاً الى جانب بورغ، فانتظرا لحظة رهيبة شاهدا خلالها في عيني الدب تصميماً على الفتك بهما وسمعا شخيره. ثم أطلقا معاً أربع رصاصات أردته عند أقدامهما.

وتابعا مغامرتهما. فكانا يسيران ١٤ ساعة أو ١٥ في اليوم ويقطعان ٢٥ كيلومتراً أو أكثر. وكانا يشعران أحياناً بأن التآكل المستمر في قوتهما بات دائماً، وأن جسديهما لن يقدرا على توليد طاقة كافية ليسيرا يوماً آخر. لكن النوم ثماني ساعات وتصميمهما على عدم الاستسلام كانا يجددان فيهما القدرة على المضي قدماً.

وهكذا اعتادا نمطاً واحداً – سيراً ثم نوماً ثم سيراً – تحول أثناءه لحمهما وعظمهما غلافين غريبين عنهما يخترقهما البرد والألم والانهاك لكنهما يستجيبان لاوامر العقل بالمشي والتزلج والدفع والشد بجهد يفوق قدرة البشر. وأخيراً، في اليوم الـ ٥٨ من رحلتهما، الخامسة والثلث بعد ظهر ٤ مايو (أيار)، وكانت قدرتهما على الاحتمال بلغت أقصى الحدود، وجّها جهاز "ساتناف" مرة أخرى نحو الفضاء فأدركا انهما وصلا الى الدرجة ٩٠ شمالا... القطب الشمالي!

تعانقا من دون أن يقويا على الكلام. ثم أرسلا اشارة "انتشال سريع" بواسطة جهاز "آرغوس." وحين وصلت طائرة "توين أوتر" كان على متنها غاير راندبي يفيض بهجة وحبوراً. وعلم الرحّالتان أن السر رنولف البريطاني اضطر الى اجهاض رحلته وهو على مسافة ١٦٠ كيلومتراً من القطب. وبذا يكون بورغ أوسلاند وارلينغ كاغ أول من بلغ القطب الشمالي من دون مدد.

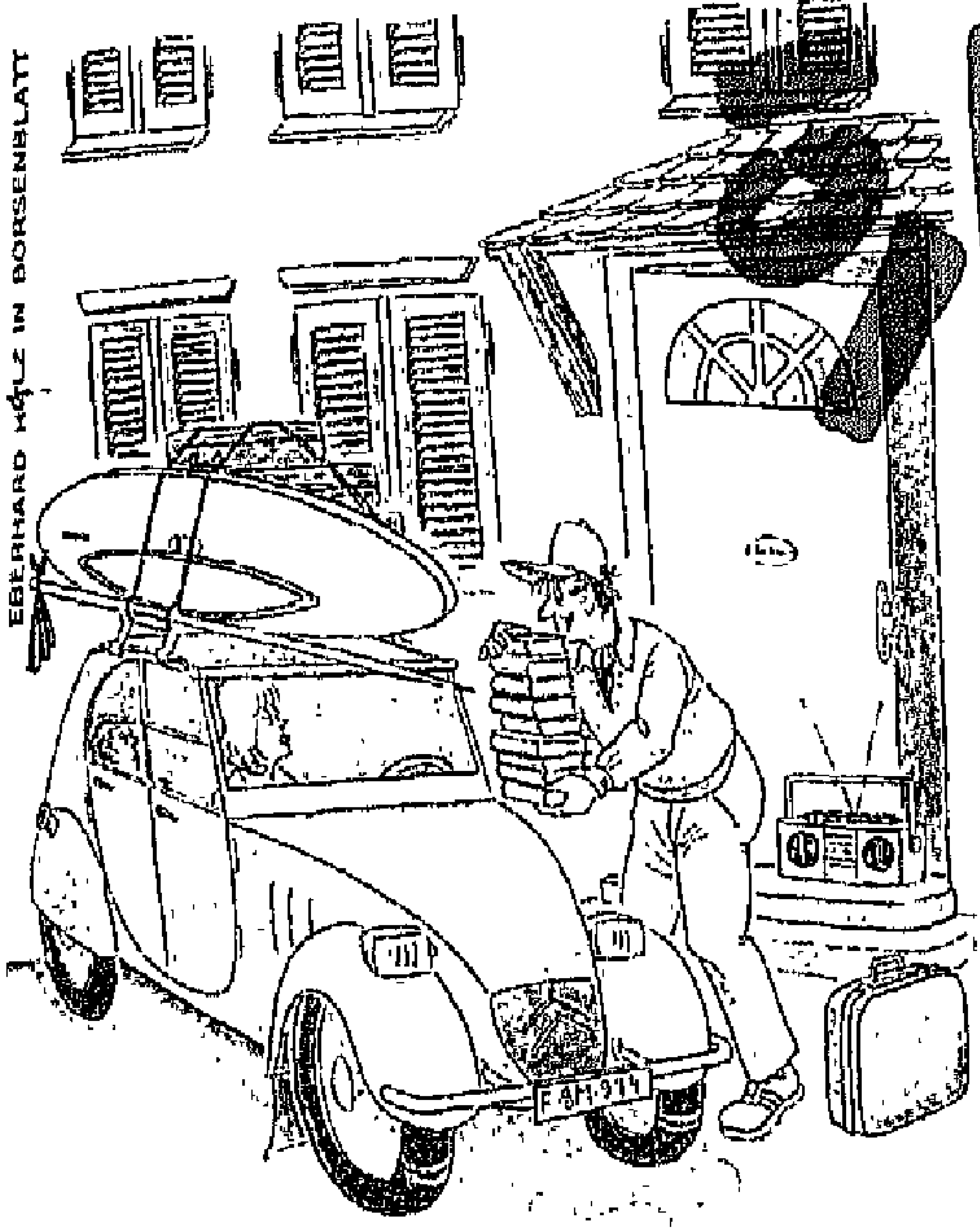
واذ حلقت الطائرة دائرة حول القطب لاحظا أن لا شيء في القطب يختلف عن الاصقاع المتجمدة التي قطعاها للوصول اليه... باستثناء ما اعتمل في صدريهما من العزم والثقة وروح التحدي والمغامرة التي مكنتهما من قهر العوامل المثبطة وتحقيق ذلك الحلم الكبير.

لورنس إليوت ■

قال الموظف لرئيسه: "لم أضحك لنكتتك لسببين، اولا لانها سخيفة، وثانيا لانني سأتقاعد غداً!"

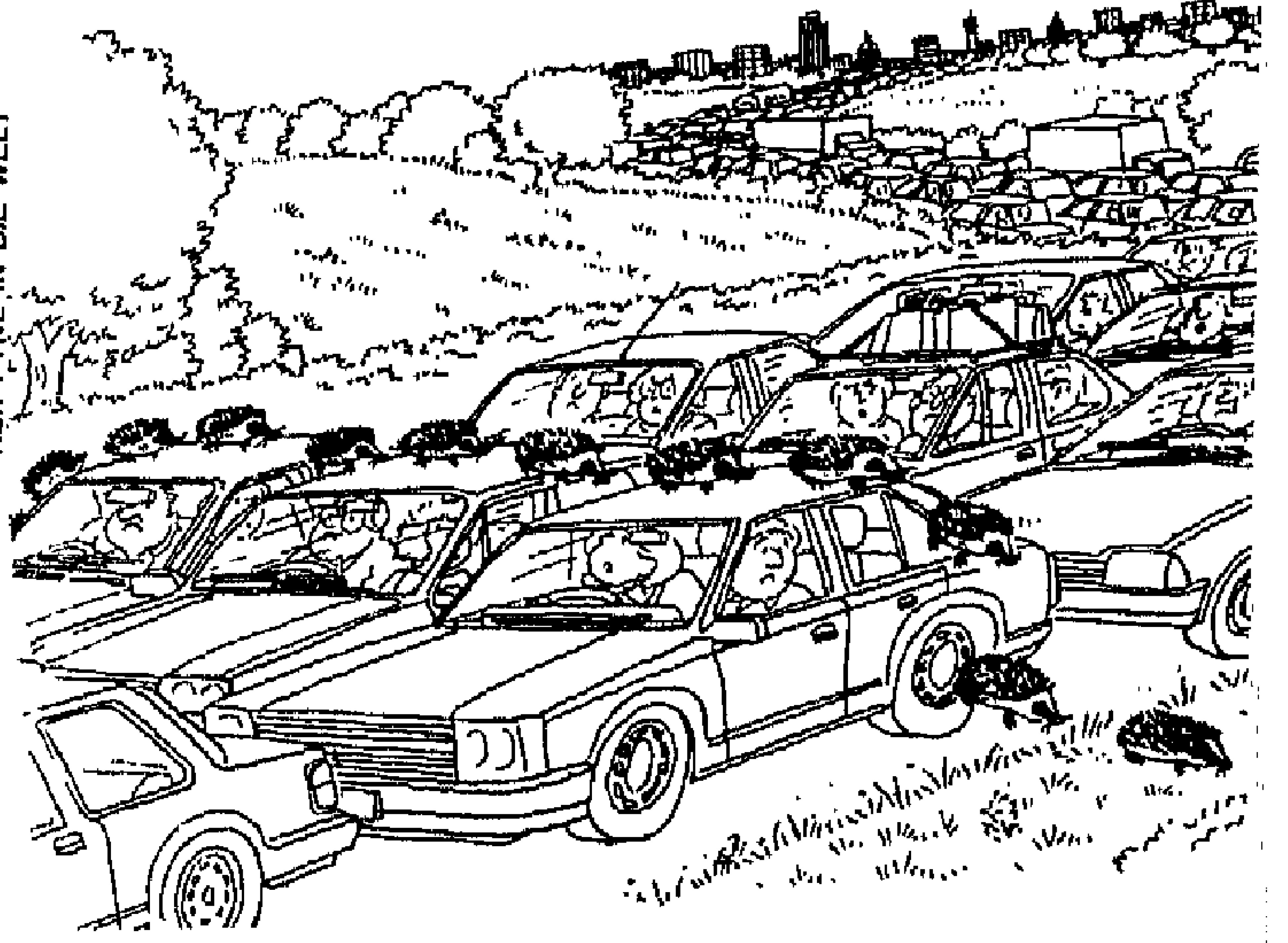
و.س.

حضارة السيارة



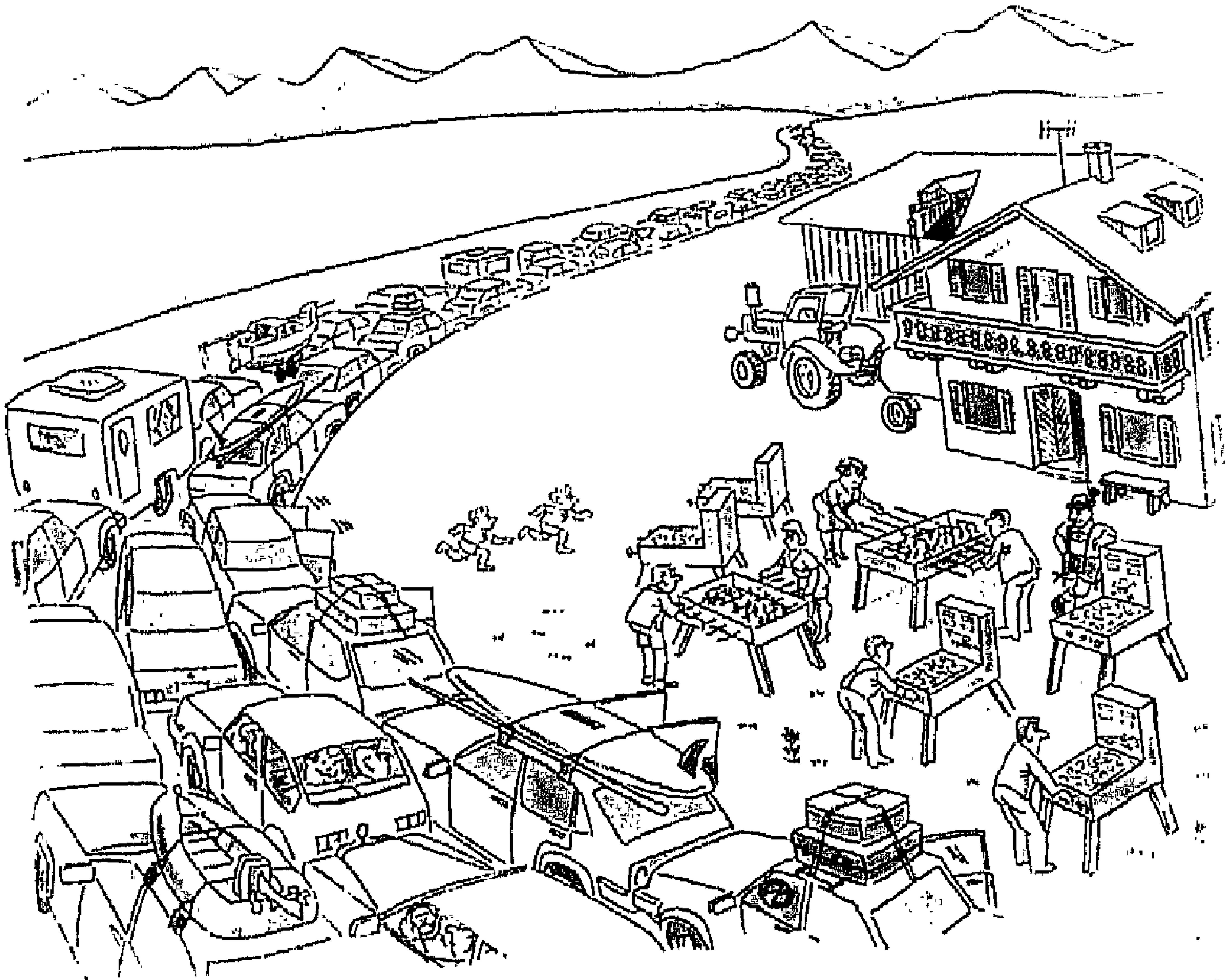
EBERHARD HÖLZ IN BÖRSENBLATT

"هذا يناسبني تماما، لقد سمعت على الراديو أن هناك أرتالاً من السيارات المتوقفة. أخيراً سيتسنى لي أن أقرأ الكتب التي أهديتها الي في عيد ميلادي."



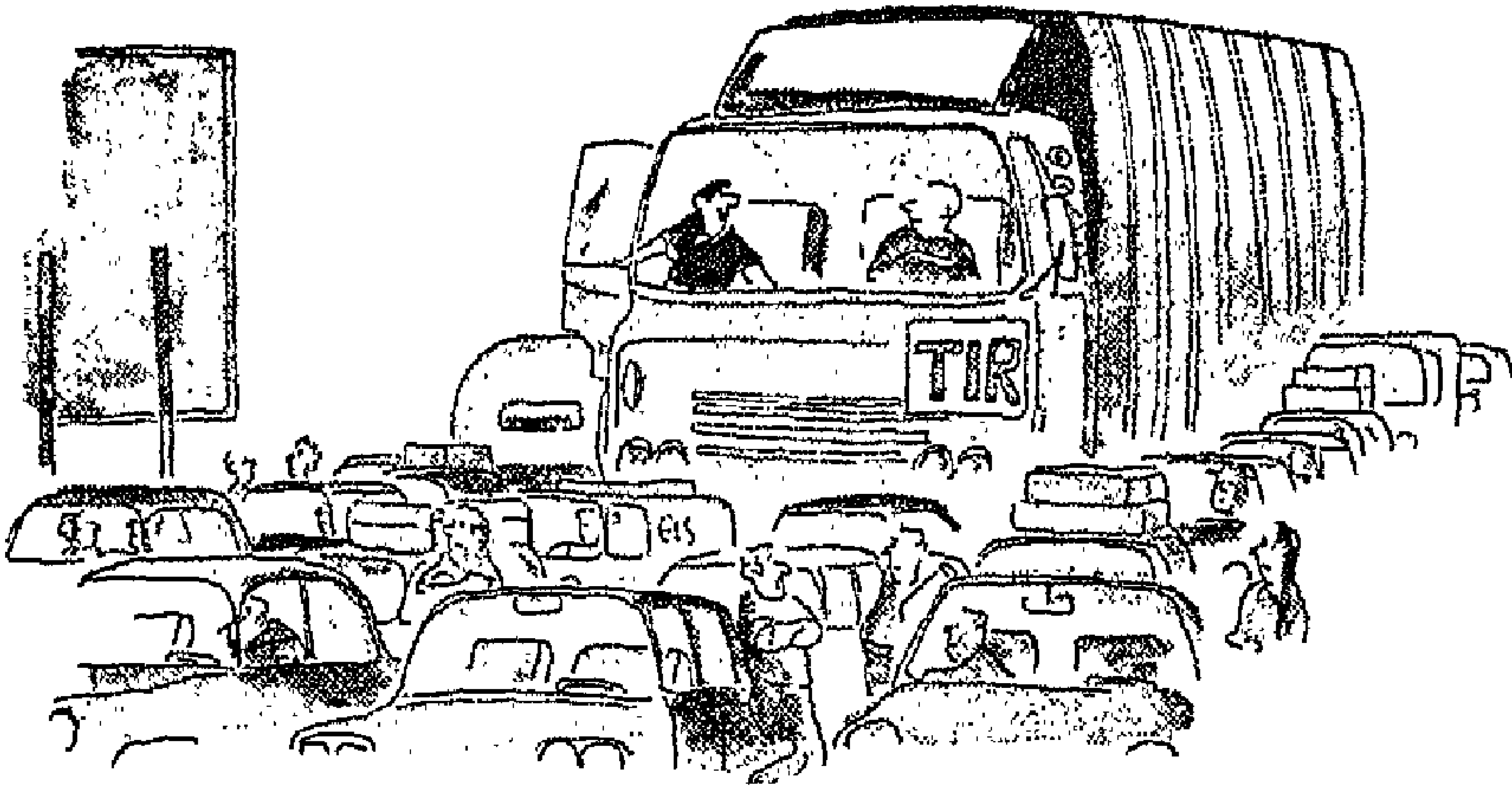
KEN PYNE IN DIE WELT

بدون تعليق.

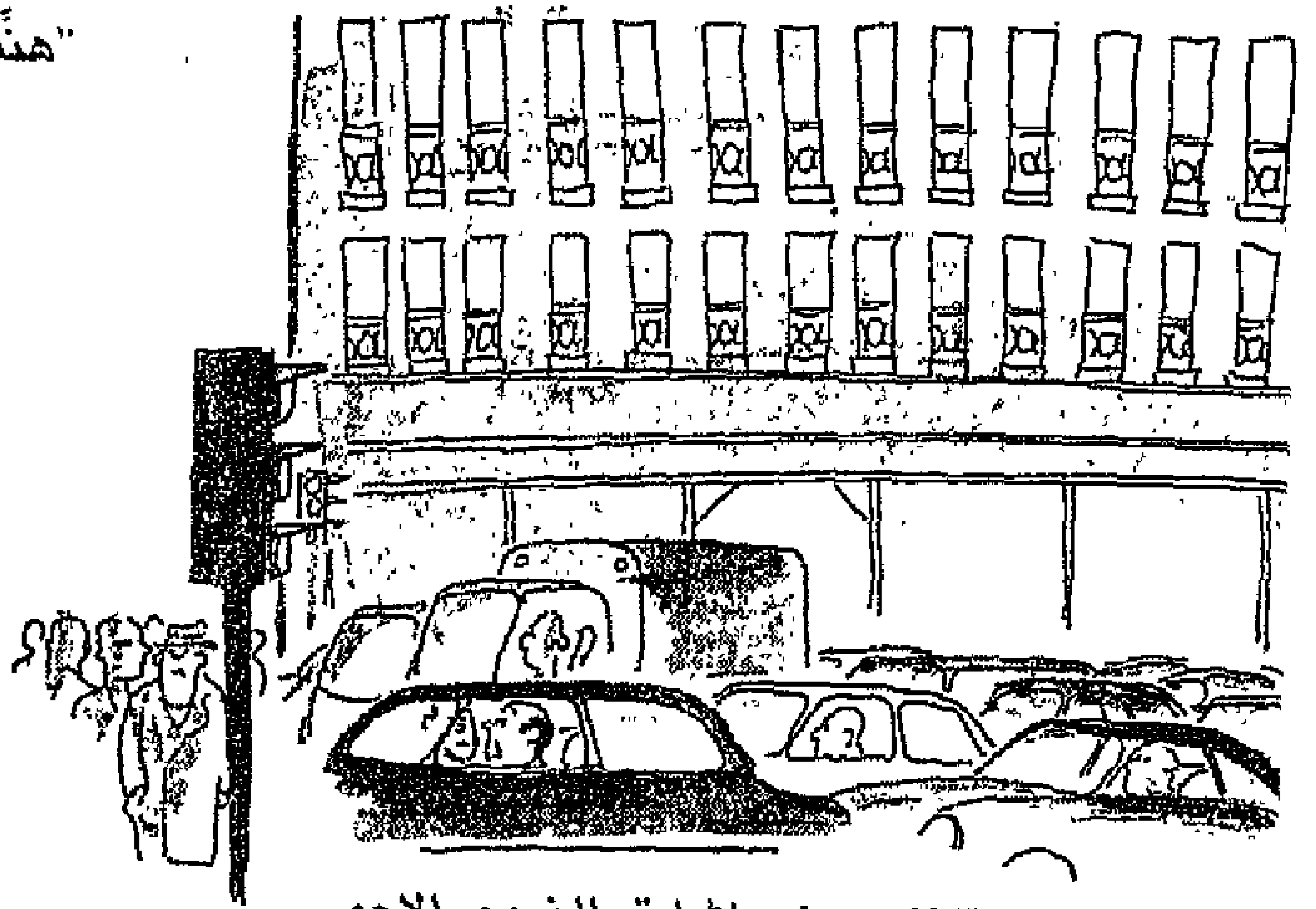


EBERHARD HOLZ IN BÖRZU

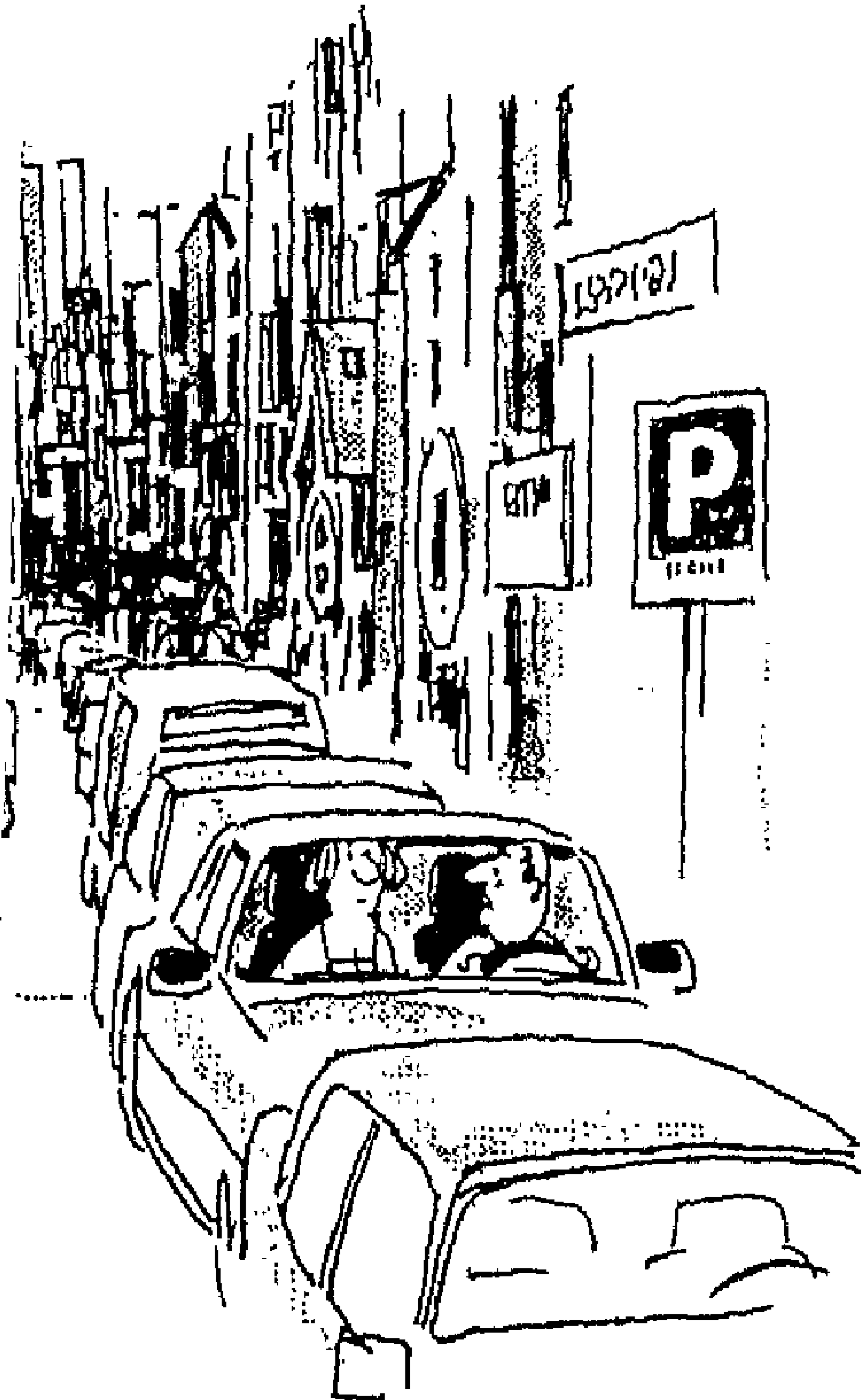
استراحة العم سالم.



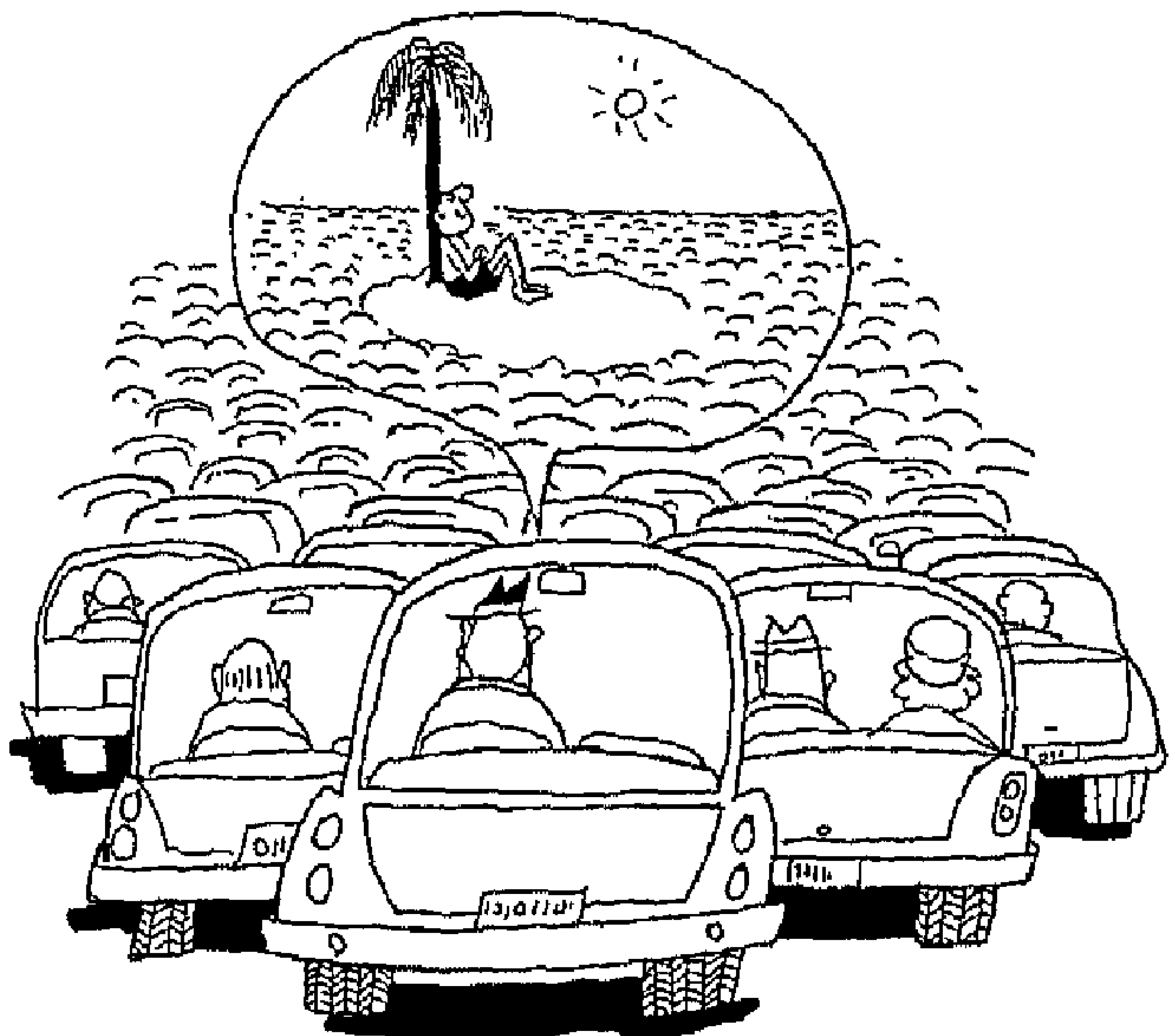
"هنِّئني! لقد خطبت الفتاة الشقراء في سيارة
الرينو المتوقفة أمامنا."
EKKO BUSH IN SÜDDEUTSCHE ZEITUNG



"أمر واحد يقلقني عند اشارة الضوء الاحمر،
انها تجعلني أفكر في حالي."
EKKO BUSH IN SUDDEUTSCHE ZEITUNG



"الحمد لله!
أخيراً عثرنا على موقف للسيارة.
اسألي ذلك السائق في أي بلدة نحن."
OTTO LANGER IN FUR SIE



HANS MOSER IN HÖRZU

بدون تعليق.



بعض السعادة مزاج موروث وبعضها فن مكتسب

هتف ابني البالغ من العمر ستة أعوام وهو يفتح لعبة الفيديو الجديدة التي أهديتها اليه: "هذا أسعد يوم في حياتي!" وسعادته هذه لم تقلّ عنها بهجته الأسبوع الفائت حين هتف لي الكلام نفسه لسبب آخر.

أحاول أن أنظر الى مثل هذه الامور بحسب أهميتها النسبية. فقد شعر ولدي أيضا بالتعاسة في الساعات الثماني والأربعين الاخيرة، لانني رفضت السماح له بتناول شطيرة قبل حلول موعد العشاء، وجعلته ينام في سريره هو، وأصررت على أن ينظف غرفته قبل خروجه الى اللعب.

يعتبر ادوارد دينر الاختصاصي بعلم النفس ان السعادة "حال" ذهنية و"سمة" شخصية. والحال هذه مزاج يروح ويجيء. ويمكنني اثارتها في ذهن ابنتي ذات العامين بمجرد أن أرسم على وجهي حركات مضحكة.

أما سمة السعادة فهي أكثر استقراراً. ويصفها دينر بـ"الاستعداد" للشعور بالسعادة، وهو ما ألاحظه في ابنتي اذ

تنهض من سريرها مبتسمة ومتشوقة لبدء يومها. أنها ستبقى محافظة على تفاؤلها وان صادفتها أوقات صعبة.

وسِمَة السعادة هذه مهارة يمكن اكتسابها. وأفضل سبيل الى ذلك التغلب على المصاعب الصغيرة في مرحلة الطفولة. يقول دنيس براجر مؤلف كتاب "السعادة مشكلة جدية": "يمكن أن يتمتع المرء بطفولة سعيدة جداً ويغدو بالغاً بائساً. والواقع أن الطفولة الخالية من أي الم أو خيبة هي شبه صيغة لبلوغ بائس."

وتحديد صيغة لمزاج سعيد في الحياة أمر أصعب، غير أن الباحثين تمكنوا من تحديد مقومات أساسية قد تساعد الوالدين على تنشئة أطفال يتمتعون بسِمَة سعادة هي جزء لا يتجزأ من شخصياتهم. وهنا بعض ارشادات تساعد كل أب وأم في هذا المجال:

امنحا طفلكما حرية الاختيار. وجد باحثون بعد مقابلات أجروها مع رابحي جوائز يانصيب أن أصحاب الحظ هؤلاء لم يكونوا أكثر سعادة من أناس لم يربحوا. ويوضح جون رايش أستاذ علم النفس أن "اليانصيب حدث خارجي، والفوز في هذه الحال لا يستلزم تحكماً أو توجيهاً أو براعة." السعادة، اذاً، مرتبطة بحس المرء لقدرته على ادارة حياته.

ويضعف هذا الاستنتاج النظرية القائلة بأن الطفولة هي أسعد مراحل الحياة، أو هكذا يجب أن تكون. فالأطفال مستثنون من المشاركة في أخذ القرارات في كل المجالات، سواء كان ذلك اعداد قائمة بطعام الغداء أو انجاب أطفال آخرين. والشعور بالعجز الذي يخلفه هذا الامر يمكن أن يجعل من الطفولة مرحلة أقل سعادة مما يعتقد البالغون.

واذا كان الوالدان لا يتنازلان عن دورهما كصانعي قرارات، ففي امكانهما البحث عن طرق لاشراك أطفالهما فيها. فيسمحان مثلا لطفلهما ذي العامين أن يأكل خياراً بدل الجزر المقطع للعشاء، أو يفسحان في المجال لابنهما البالغ ستة أعوام لاختيار ما يود مشاهدته من البرامج التلفزيونية "المحللة" له. فالأطفال يتعلمون، حتى في هذا المستوى، أخذ القرارات التي قد تؤثر في سعادتهم.

ولكن من المهم أن يدرك الوالدان أن تقديم الخيارات ليس كفيلا بتوفير السعادة. فقد يختار طفل أن يكون "غير سعيد." وهذا أمر بيّن لكل من رأى طفله يمضي نهاره متجهما على شاطىء البحر أو في حديقة الحيوان بسبب أمر صغير أثار استياءه. يقول براجر: "السعادة فعل ارادة. ولكل شخص أسباب ليكون غير سعيد. لكننا نستطيع أن نكيّف ردود فعلنا حيال تلك الاسباب." السعادة، اذاً، مسؤولية الطفل الى حد ما.

نميا علاقات حميمة. تعتبر العلاقات البناءة من مقومات السعادة. ولئن يكن الوالدان عاجزين عن التحكم

بالحياة الاجتماعية لولدهما مستقبلا، ففي امكانهما رعايتها بجعل علاقتهما حميمة ومريحة مع كل من أولادهما. تقول العالمة النفسانية كارول ريف: "يحتاج الأطفال أولا الى علاقات ايجابية مع والديهم اذا كان لهم أن ينجحوا في اقامة علاقات جيدة مع الآخرين."

ويمكن الوالدين أيضاً أن يشجعا أولادهما على لقاء أولاد آخرين باستمرار عبر الحاقهم بفريق لعب أو اصطحابهم الى الملعب في وقت يكون آخرون في عمرهم هناك. ويمكن أن يشكل المنزل المفتوح للاصدقاء عنصراً آخر مساعداً.

وأخيراً، يمكن الوالدين أن يساعدا أطفالهما على تطوير علاقة تعاطفية مع الآخرين، فيتحدثان اليهما، مثلا، عما يمكن أن يعيشه هؤلاء الآخرون، كتجاربهم العائلية، والقصص التي يقرأونها وبرامج التلفزة التي يتابعونها.

قاوما دافعكما الى التدليل.

يفترض المنطق، وتؤكد الابحاث، أن ذوي المداخيل الكافية هم أسعد من غيرهم. و"كافية" هي الكلمة المفتاح. فالمهم هو الحصول على ما يكفي لسد الحاجات الأساسية والشعور بالاكتفاء بما نملك.

يقول جون روزموند الاختصاصي بعلم النفس العائلي: "ان اعطاء الأطفال الكثير يولد لديهم وهماً بأن نيل الاشياء هو مصدر السعادة." وقد اكتشف روزموند أن أطفاله غدوا أبرع وأسعد كثيراً عندما خفض عدد لعبهم على نحو كبير. ويضيف: "ان الأطفال غير الماديين قادرون على الاكتفاء بالأقل لأنهم أقدر على الابداع في اللعب بما يملكون." هذا لا يعني حرمان الأطفال كلياً من الهدايا. بل، ببساطة، ينبغي الا يشعروا بأن سعادتهم تعتمد على دفق دائم من الاشياء المادية.

شجعا الاهتمامات المتنوعة.

يقول مايكل فورديس مؤلف كتاب "علم النفس في السعادة": "يعيش الافراد السعداء حياة متوازنة، ذلك لان سعادتهم نابعة من مصادر عدة. ومتى توقفت السعادة على أمر واحد فانها تصير غير ثابتة." قد نرى، مثلا، طفلا حرداً خائبا طوال الامسية لأن برنامجه التلفزيوني المفضل أرجىء، بينما قد يدفع هذا الامر طفلا آخر ذا اهتمامات أوسع الى التمتع بمطالعة كتاب أو التلهي بلعبة.

وفي حين لا يسع الوالدين معرفة ما قد يحوز اهتمام طفلهما، ففي امكانهما أن يقترحا عليه جملة نشاطات متنوعة. وقد يعني ذلك تقصير الوقت الذي يسمح له خلاله بمشاهدة التلفاز او ممارسة ألعاب فيديو التي قد "تخنق" اهتمامات أخرى.

ان التشجيع على الاهتمامات المتنوعة أمر مهم، خصوصاً بالنسبة الى الاولاد الذين يبرعون في أمر واحد. فغالباً ما يلقى هؤلاء اهتماماً كبيراً جداً بموهبتهم مما يدفعهم الى حصر نشاطهم بها واهمال اهتمامات أخرى. مثال ذلك أن صبياً صغيراً أظهر مقدرة على القراءة

قبل أنداده بوقت طويل. وإذ جعل والداه من هذه المسألة ظاهرة فريدة بدأت صورة الصبي عن ذاته تتمحور حول كونه "أفضل" قارىء. وقد لفت أحد المستشارين في المدرسة الى أن الصبي قد يكون أسعد اذا ساعده والداه على اكتشاف رياضات ونشاطات أخرى.

علِّما أطفالكما مهارة التكيف. يقول فوردايس: "يمر الاشخاص السعداء بأوقات كئيبة مثلهم مثل سائر الناس، لكنهم أكثر مقدرة من غيرهم على تخطيها." لذلك يمكن والدين مساعدة أطفالهما على اكتساب هذه المهارة البالغة الأهمية بأن يلفتا نظرهم الى ذلك الضوء الرفيع في آخر كل نفق مظلم.

وحين يتعذر اصلاح أمور حياتية بمواجهتها من موقف آخر، ينبغي للأهل مساعدة أطفالهم على اكتشاف مصادر تعزية وراحة. فكل انسان يملك أساليب لجبه الأيام الكالحة، وبعضها مؤذ، كالتهام قالب حلوى أو النزاع مع من نحب، وهذه أساليب فاشلة لانها تدمر احترام الذات والثقة بالنفس. وعوض ذلك يجب تعليم الطفل ايجاد العزاء في أمور تحيي فيه الحس بالسعادة، كالاستماع الى الموسيقى أو قراءة كتاب أو ركوب دراجة أو مناقشة مشكلته مع صديق.

وفِّرا لأولادكم بيتاً سعيداً. إن احدى فضلى الوسائل لمساعدة طفل على ايجاد سعادة دائمة هي بحث الأهل عنها في حياتهم هم. ويوضح فوردايس ان "أفضل ما يمكنكما القيام به من أجل طفلكما هو أن تصيرا شخصين سعيدين راضيين. فالولد الذي يترعرع في بيت سعيد يملك فرصة أكبر ليغدو بالغاً سعيداً."

قد يكون الارتباط بين الانسان والسعادة عائداً الى أسباب وراثية جزئياً. وثمة دلائل على أن النزوع الى السعادة مزاج وراثي، لكن السعادة تنشأ أيضاً من الجو الذي يوفره أهل سعداء، وفي ذلك يقول فوردايس: "الاكتساب العاطفي يتم خلال السنوات الأولى. فالطفل يتوصل الى استنتاجات من الجو العاطفي المحيط به قبل تعلمه الكلام، فيتساءل: هل العالم مفعم بالقلق والغضب أم هو مكان آمن سعيد؟"

لذلك يتحتم على الوالدين أن يمارسا في حياتهما القيم التي تولِّد السعادة. وأكثر من ذلك، عليهما أن يطلعا أولادهما على أسباب سعادتهما. ويضيف فوردايس: "من المهم التحدث عن الأيام السعيدة وتوضيح أن السعادة هدف يُرجى."

أما بالنسبة الي كأم، فالأمر يتلخص في الآتي: أنا لا أتمنى لابني حياة مليئة بأحداث مفرحة وبأشخاص يجلبون له الفرح فحسب، بل أتمنى أيضاً أن يستنبط مقدرته الخاصة على توليد السعادة الداخلية. فان نجح في ذلك استمرت أيامه سعيدة طوال العمر.

كارولين جابس ■

قصة من واقع الحياة



كان الهدوء مخيماً على المحيط
وإذا بوحش مفترس
ينقض على السبّاح

بدا المحيط بمياهه الخضراء خاليا الا من الاخوين اريك ونك لارسن وبعض حيوانات الفقمة التي كانت تطل برؤوسها السود بين فينة وأخرى. كان الاخوان يرتديان بذلتي غطس وقفازات، وقد جلسا على لوحين لركوب الامواج[1] تحت سماء زرقاء ومياه المحيط تحملهما صعوداً وهبوطاً. كانت الريح جنوبية في صبيحة هذا اليوم الواقع فيه الاول من يوليو (تموز) ١٩٩١، وارتفعت الامواج حوالى ١٢٠ سنتيمتراً لتتكسر على الشاطىء الضيق الموحش شمال خليج مونتري في كاليفورنيا.

بعيد الثامنة صباحا وجَّه نك (٥٠ عاماً) لوحه في اتجاه الشاطىء الذي كان يبعد حوالى ١٥٠ متراً، وقال لأخيه: "أنا ذاهب الى الشاحنة."



فرد اريك: "سألحق بك بعد قليل."

قبل عشرة أسابيع كان اريك (٣٢ عاما) لا يزال يعمل مهندس كمبيوتر في شركة في سيليكون فالي[2] حيث كلف وضع برامج لشبكة معلومات تعتمد الألياف الضوئية،[3] لحساب قاعدة فضائية قررت وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" بناءها. لكنه وجد أن المشروع يسير بوتيرة بطيئة جدا وشعر بحاجة الى الخروج الى الهواء الطلق.

وعندما بدأت الشركة تسرح موظفين، أبلغ اريك الى الادارة رغبته في أخذ اجازة بلا راتب معللا طلبه بالآتي: "هكذا أوفر عليكم طرد موظف."

ومنذاك تحولت حياته فورة رياضية ناشطة.

حافظ اريك الذي يزن ٨٠ كيلوغراما ويبلغ طوله ١٨٥ سنتيمترا على لياقة بدنية بلغت ذروتها أخيراً بممارسته العدو والسباحة وقيادة الدراجة الهوائية وركوب الأمواج والتجذيف. وكان سيعود الى عمله في الخريف، لكنه حاول ألا يشغل نفسه بهذا الأمر.

داخل الفم الكبير. حدق اريك الى البحر منتظراً تشكل موجة عالية. ثم لاحظ ان المياه على مقربة منه تضطرب مدومة فقال في نفسه: "هناك شيء كبير جداً تحت."

وشعر في تلك اللحظة بملزم قوي يطبق على رجله اليسرى. وفغر فاه مرتعبا إذ رأى صفين من الأنياب البيض المثلثة تنشب في لحمه وعضله. لقد أصبحت رجله، من الفخذ حتى القصبة، بين فكي قرش كبير أبيض يبلغ طوله ٤،٥ أمتار على الاقل.

تحرك اريك في رد فعل خاطف،

(١) Surfboards . وركوب الامواج رياضة شائعة في الغرب.
(٢) سيليكون فالي منطقة جنوب غرب سان فرنسيسكو تتركز فيها كبرى شركات الكمبيوتر والتكنولوجيا المتقدمة.
(٣) Fiber-optic data network

ILLUSTRATION: GARY GLOVER

فأمسك بيده اليسرى أعلى خطم القرش وباليمنى أسفله وراح يشد بكل ما أوتي لفتح الفكين المفترسين.

في تلك اللحظة فغر القرش فكيه فحرر اريك رجله بسرعة وانطلق مبتعداً. لكنه تأخر في ضم ذراعيه اللتين كانتا لا تزالان ممدودتين خارج لوح الركوب، إذ اندفع القرش يسوط الماء بذيله وأطبق فكيه على ذراعي اريك، فغرز أنيابه في اليسرى من المرفق حتى المعصم وسحق عظمة الساعد الايمن. وظلت يدا اريك سالمتين فراح يتلمس بهما داخل الفم الكبير.

كان اريك خائفاً لكنه لم يستسلم للذعر وركز تفكيره على الفكين وأخذ يشد ويسحب بكل قوته. وشعر بساعده الايمن يحتكّ بأنياب القرش، فجذبه بقوة هائلة وانتزعه الى الخارج. وهتف في نفسه: "هيا هاجمه. اضربه!" فجمع قبضته اليمنى وسدد بها ضربات متكررة الى البطن الابيض الرمادي. وشعر بجلد القرش قاسياً عضلياً. لكن الضغط زال عن ذراعه اليسرى فحررها.

خط دم. صار اريك تحت القرش بعيداً عن فكيه المخيفين. ثم شعر بجسده يرتجّ بعنف اذ انتزع القرش حبلا طوله ١٨٠ سنتيمتراً يربط كاحله الايمن باللوح.

جر القرش اريك من قدمه نحو القعر بسرعة كبيرة. فجأة وجد اريك نفسه يتخبط وقد انقطع الرسن ولا أثر للقرش في الجوار.

فاندفع الى سطح الماء وعبَّ الهواء باهتياج. وعثر على لوحه طافياً على بعد مترين فقفز اليه انبطاحاً وتمدد فوقه.

ولما علت به موجة لمح الشاطىء فجذف في اتجاهه بسرعة متواترة، إلا أن كل حركة من ذراعيه كانت تخلف وراءها خطاً قرمزياً. فحدق ملياً الى المحيط مرتعباً باحثاً عن زعنفة ظهرية. فالقرش ما زال هناك في مكان ما، ويكفيه أن يتعقب الدم للعثور على اريك.

لم يجرؤ اريك على التجذيف بسرعة أكبر، فكلما زادت سرعته تسارعت دقات قلبه ونزف مزيداً من الدم. وبعدما اجتاز نصف المسافة التفت وراءه فرأى موجة عالية تندفع في اتجاهه، ونجح في اعتلاء قمتها رافعاً رأسه ويداه توجهانه، وركبها الى الشاطىء. ولما وصل راح يهدىء روعه مفكراً: "لن ينال مني هنا."

واذ جلس على الرمل يتفحص الجلد الممزق تحت بذلة الغطس اعتراه شعور بالدوار. كانت الجروح تغطي رجله اليسرى وذراعيه وقد أدركت العظم. وقدَّر من التمزق العميق في ركبته أن القرش أتلف العضل. وكان الدم يتدفق من جرح في ذراعه اليسرى حيث قطع القرش شرياناً.

لقد نجا اريك من فكي القرش، لكنه قد ينزف حتى الموت خلال دقائق.

ضغط جرحه البالغ بيده اليمنى ورفع ذراعه فوق رأسه. لا بد من أن الدم كان يتدفق من الذراع منذ وقوع الحادث. وبدأ اريك يشعر بدوار.

النجدة! كانت المساعدة التي احتاج اليها اريك تبعد مئتي متر شمالاً. فوقف متحولاً الى ذلك الاتجاه ومشى جاراً رجله اليسرى الى أن غلبه الوهن فخر على الارض. لكنه أدرك انه اذا فقد وعيه ولم تعد يده قادرة على سد الجرح فسينزف حتى الموت. وفكر: "هل هذه نهايتي؟" وراح ذهنه يعمل بسرعة.

لقد ألمت به محن كثيرة في السابق فتغلب عليها جميعها. المسألة الاساسية هي في السيطرة على مشاعره وعدم الاستسلام الذي يمكن أن يعوق تفكيره وسلوكه. ففكر: "الحياة حلوة وأنا بعد شاب ولا أستحق الموت على هذا الشاطىء."

كان عليه أن يلتف حول الرأس البحري حيث يمكن أن يراه أحد. فوقف بجهد وذراعه لا تزال مطبقة، وراح يمشي مترنحاً على الشاطىء حاضاً نفسه بصوت عالٍ: "هيا تقدم!"

كان اريك مدركاً ما يحدث لجسده. فهو أمضى سنتين متطوعاً في أعمال دورية في مناطق التزلج عندما كان طالباً في مونتانا. وحاز شهادة في الاسعافات الأولية المتقدمة. وقد أفاد من هذه المهارة في أكثر من عشر مهمات انقاذ.

بعدما قطع ٥٠ متراً هوى على قفاه. كان في حاجة الى رفع رجليه عالياً ليتيح دفق مزيد من الدم الى أعضائه الحيوية، ولكن لم يكن لديه متسع من الوقت، فاستراح نصف دقيقة وتابع سيره متعثراً.

وقع على الرمل مرتين أخريين وهو في شبه اغماء. وشعر بالدم ينبض تحت كفه كأنه يوشك أن يتدفق، فشد قبضته على الجرح متمتماً: "تمالك نفسك يا رجل." ولمح أربعة شاليهات[٤] على مسافة ٩٠ متراً، فتوجه ناحيتها متعثر الخطى. لكنه لم يتمكن من الاقتراب منها اذ اضطر الى الجلوس. فأحدث الدم بركة حوله. وشرع يصرخ: "النجدة!"

"سعيد لانك هنا." في كوخ صغير على الشاطىء سمع بن بورديت (١٦ عاماً) نداء استغاثة فخرج يستطلع الامر. فرأى رجلاً ممدداً على الشاطىء يصرخ: "النجدة! لقد هاجمني قرش. اتصل برقم الطوارىء ٩١١."

لاحظ بن أن الدم يغطي ذراعي الرجل المرفوعتين، فاستدار وركض الى الكوخ. وفي الداخل سمعته امه ميشال يتحدث على الهاتف: "... على الشاطىء! هاجمه قرش وهو يبدو في حال سيئة جداً..." فأسرعت ميشال الى الشاطىء حيث رأت الرجل ما زال ممدداً يستغيث. فشهقت أمام منظر الدم المتخثر على رجليه وذراعيه، وجثت بجانبه فلاحظت أن شفتيه رماديتان. قال لها: "انني أفقد دمي. يجب وقف النزف. ذراعي اليسرى. هناك نقطة ضغط تحت، قرب الابط. اضغطي عليها بقوة."

فأغرقت ميشال أصابعها في شريان الذراع. وما هي الا ثوان حتى وصل بن

(٤) الشاليه كوخ بحري.

الى المكان حاملا عدداً من المناشف أسند اليها قدمي الرجل الجريح كما أشار عليه، ثم أسرع ليرشد فريق الانقاذ.

تجنبت ميشال النظر الى جروح اريك. وظلت تطرح عليه أسئلة لابقائه صاحياً.

وانضمت اليهما بعد عشر دقائق ممرضة هي رئيسة فرقة انقاذ محلية من المتطوعين في دافنبورت. ثم وصل نك لارسن، شقيق اريك، الذي كان متكئاً على الشاحنة على بعد بضع مئات الامتار من دون أن يرتاب بشيء. فقال له اريك عندما دنا منه وأمسك بيده: "أنا سعيد لأنك هنا."

وسرعان ما وصل فريق اسعاف وعمل قرابة ساعة على معالجة اريك. فأعطي أوكسيجينا نقياً ومُد بالسوائل من طريق الحقن الوريدي. ونزعت عنه بذلة الغطس وضمدت جروحه وألبس سروالا مطاطاً يمكن نفخه لضغط رجليه ودفع الدم الى القسم الأعلى من جسمه.

مهندس قوي. ذهل المسعفون لحفاظ اريك على صفاء تفكيره على رغم فقدانه كمية كبيرة من الدم وتدني ضغط دمه الى مستوى خطر. ولكن لم تمضِ دقائق حتى وصلت طوافة وأجلته الى مستشفى قريب وهناك عاد ضغط دمه الى معدله الطبيعي. وقدر الاطباء أنه فقد نحو نصف كمية دمه.

وفي غرفة العمليات عالج جراح رجل اريك فيما عالج آخر ذراعيه. كانت عضلة مقدم الفخذ ممزقة، كذلك جزء كامل من عضلة الذراع. وكشفت الجروح العميقة عظم الذراعين. حتى العظم نفسه أصيب بخدوش خلفتها أنياب القرش المسننة. وعلق أحد الأطباء على ما رآه قائلا: "كأنما العظم نشر بسكين مفللة."

أخضع اريك لجراحة استغرقت خمس ساعات نقل بعدها الى غرفة العناية المركزة. وضمدت جروحه الداخلية بمئتي قطبة، واقفلت الجروح السطحية بـ١٣٥ رزة سلكية من الفولاذ الذي لا يصدأ.

بعد أسبوع عاد اريك الى منزله مجبر الساق والذراعين. ولم تمضِ ثلاثة أسابيع حتى عاد الى الشاطىء وهو يعرج ليتذكر مغامرته المروعة. قال: "اظن أن القرش كان يتذوق طعمي آملا ان أكون فقمة. ولعله لم يستسِغْ مطاط بذلة الغطس فتركني."

ويعزو الاطباء نجاة اريك الى نباهته ولياقته البدنية. ويقول الدكتور أندرو نيفيث وهو طبيب في قسم الطوارىء وأول من عالج اريك في المستشفى: "يحقق المرء أشياء مذهلة عندما تدعو الضرورة. ويتمتع اريك بجسم رياضي وبقوة رجُلين اثنين."

وقد شفي اريك وعاد الى ممارسة أنواع الرياضة القاسية. لكنه يقول: "سأخصص لها وقتاً أقل، إذا تبدلت أولوياتي. فالحياة قصيرة وقد تنتهي في أي لحظة. وكنت دائماً على ثقة بأني سأحقق انجازاً بالغ الأهمية في مجال الهندسة، وأعتقد أن الوقت حان لذلك."

بيتر مايكلمور ■



■ إعداد وليم صعب

هنا الاجوبة الصحيحة لامتحان المحفوظات الشعرية الذي تضمنته دائرة المعارف في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩١. وكنا مددنا مهلة قبول الاجوبة الواردة من القراء، ولكن يؤسفنا أننا لم نتلقَّ اجابات صحيحة، كلياً، من أي مرسِل. لذا سنكتفي بثماني جوائز اشتراكات لمدة سنة في "المختار"، آملين أن نلتقي في مسابقات آتية.

ندرج في ما يأتي مطالع القصائد التي اختيرت منها الابيات الواردة في الامتحان، مع اسم ناظم كل قصيدة.

١. في الذاهبين الأولين
من القرون لنا بصائرْ
قس بن ساعدة

٢. أهاج قذاء عيني الاذِّكار
هدوءاً فالدموع لها انهمارُ
المهلهل

٣. قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
بسقط اللوى بين الدخول فحوملِ
امرؤ القيس

٤. أمن أم أوفى دمنة لم تَكَلَّمِ
بحومانة الدراج فالمتثلمِ
زهير بن ابي سلمى

٥. لخولة أطلال ببرقة ثهمد
تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليدِ
طرفة بن العبد

٦. ودّع هريرة: إن الركب مرتحلُ
وهل تطيق وداعاً أيها الرجلُ؟
اعشى قيس

٧. يا دار مية بالعلياء فالسند
أقوت وطال عليها سالف الأبدِ
النابغة الذبياني

٨. لا يحمل الحقد من تعلو به الرتب
ولا ينال العلى من طبعه الغضبُ
عنترة العبسي

٩. نُعدُّ المشرفية والعوالي
وتقتلنا المنون بلا قتالِ
ابو الطيب المتنبي

١٠. اعتزل ذكر الأغاني والغزل
وقُلِ الفصل وجانب من هزلْ
ابن الوردي

١١. أوَميضُ برقٍ في الأبيرق لاحا
أم في ربى نجدٍ أرى مصباحا؟
الفارض

١٢. الحمد لله الصمد
حالَ السرور والكمدْ
ناصيف اليازجي

١٣. قفي يا أخت يوشع خبرينا
أحاديث القرون الغابرينا
احمد شوقي

١٤. ذلك الشعب الذي آتاه نصرا
كان بالسبَّةِ من نيرون أحرى
خليل مطران

١٥. الخير في الناس مصنوع اذا جُبروا
والشر في الناس لا يفنى وإن قُبروا
جبران خليل جبران

١٦. قالوا دهت مصر دهياءُ، فقلت لهم:
هل غُيِّض النيل أم هل زُلزل الهرمُ؟
بشاره الخوري

١٧. حدِّث: فإنكَ صادقٌ يا طرّسُ
ما اللامس الرائي كمن يتلمسُ
رشيد الخوري (الشاعر القروي)

١٨. وطن النجوم، أنا هنا
حدِّقْ: أتذكر من أنا؟
إيليا ابو ماضي

١٩. رمتك بما تعدّ لنا الليالي
فهذا الشجو من ذاك الوصالِ
صلاح لبكي

٢٠. معاهد العلم في أفياء قحطان
هذا عمادٌ هوى في سفح لبنانِ
وديع عقل

٢١. هذي يدي – هلاّ جسستَ يدي؟
أخشى عليها النار من كبدي
شفيق معلوف

٢٢. هازجٌ صفّقتْ له الصحراءُ
فالمروءات جنّةٌ وانتشاءُ
سليمان العيسى

٢٣. وَالذي كرّم بالعُرب أنامَهْ
إن في لبنانَ تعريب الكرامَهْ
جورج صيدح

٢٤. ملّقيه بحسنِك المأجور
وادفعيه للانتقام الكبير
الياس ابو شبكة

٢٥. إذا الشعبُ يوماً أراد الحياة
فلا بدَّ أن يستجيب القدرْ
ابو القاسم الشابي

٢٦. إن الزمان – ولا أقول زماني –
بين "الطوابع" و"الرسوم" رماني
مصطفى وهبي التل

٢٧. يا بني العرب يا ليوث الغاب
عاث في غابكم قطيع الذئاب
احمد الصافي النجفي

٢٨. بلادي، فداك الروح، والله عالمُ
عليك سلامٌ خالص القصد سالمُ
محمد العيد آل خليفه

٢٩. لكل نقيصة في الناس عار
وشر معايب المرء القمارُ
نجيب الحداد

٣٠. غير مجد في ملتي واعتقادي
نوح باك ولا ترنم شادِ
ابو العلاء المعري

٣١. أقلّي اللوم، عاذلَ، والعتابا
وقولي إن أصبت لقد أصابا
جرير

٣٢. اسلك، بُنيَّ، مناهج الساداتِ
وتخلقنَّ بأشرف العاداتِ
ابو العتاهية

٣٣. إذا المرء لم يدنس من اللؤم عرضه
فكلّ رداءٍ يرتديه جميلُ
السموال

٣٤. أضحى التنائي بديلاً من تدانينا
وناب عن طيب لقيانا تجافينا
ابن زيدون

٣٥. أقبل الليل واتخذتُ طريقي
لك والنجم مؤنسي ورفيقي
علي محمود طه

٣٦. هل بالطلول لسائلٍ ردُّ
أم هَل لها بتكلمٍ عهدُ؟
فتى تهامي

٣٧. رُبَّ دار بالغضا طال بلاها
عكف الركب عليها فبكاها
الاربلي

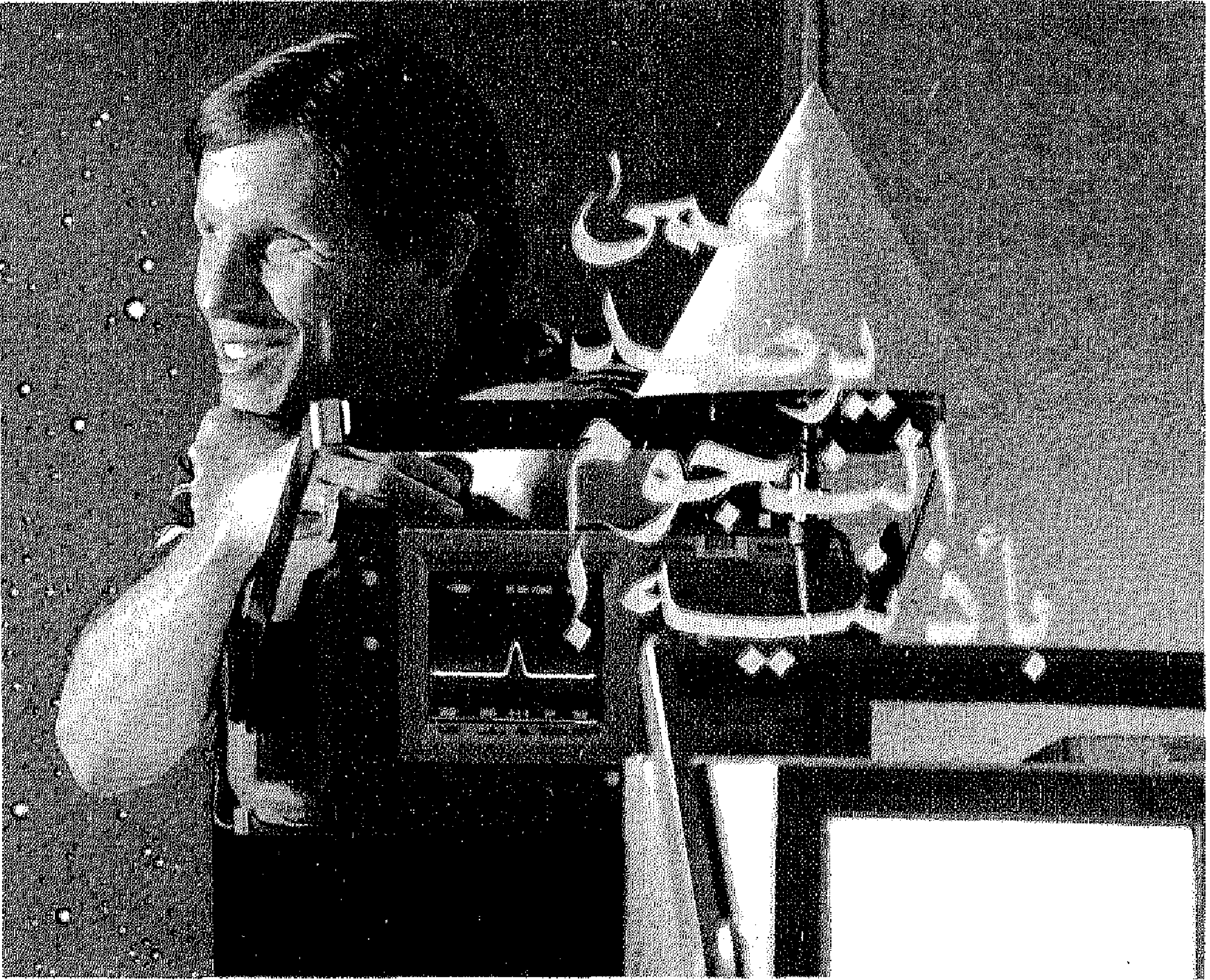
٣٨. بكاؤكما يشفي وإن كان لا يجدي
فجُودا فقد أودى نظيركما عندي
ابن الرومي

٣٩. خفّ القطين فراحوا منك أو بكروا
وأزعجتهم نوى في صرفها غِيَرُ
الأخطل

٤٠. هذا الذي تعرف البطحاء وطأته
والبيت يعرفه والحلّ والحرمُ
الفرزدق

الفائزون باشتراك لمدة سنة في مجلة "المختار"

راجية نجار مغربي – طرابلس، لبنان
مفتاح البراني محمود – طرابلس، ليبيا
د. محمد بعبيش – ادلب، سوريا
يوسف وصفي – البيضاء، المغرب
يمن فايز مغربي – طرابلس، لبنان
لمباركي محمد – العيون، المغرب
عبد العاطي البراني – طرابلس، ليبيا
كمال بدر الرافعي – طرابلس، لبنان



كفيف منذ ولادته، لكنه بات من أبرز العلماء في أبحاث الفضاء الخارجي

ذات يوم قائظ من يوليو (تموز) أدخلت كارول كولرز المستشفى في سانتا كلارا بكاليفورنيا لوضع طفلها الاول. وكان نظام تكييف الهواء في المستشفى معطلا، وبلغت الحرارة في غرفة التوليد الضيقة ٣٥ درجة مئوية. ثم تعطل جهاز مراقبة نبض الجنين.

فما كان من كنت كولرز، زوج كارول الذي كان يمسح العرق عن جبينها، الا أن رمى المنشفة وشرع ببرودة أعصاب يتقفى الاسلاك التي تصل جسم زوجته بجهاز المراقبة. ثم راح يتلمس بيديه كل وصلة متدلية من الجهاز.

عادت الممرضة فرأت كولرز يحبو على الارض، فانتهرته قائلة: "ماذا تفعل؟ لا يمكنك العبث بهذا الجهاز." وفي اللحظة ذاتها عثر كولرز على وصلة فالتة فأولج قابسها في مكانه الصحيح وعاد الجهاز الى العمل مرسلا اشارات منتظمة.

قال كولرز محاولا طمأنة الممرضة: "لا بأس، أنا عالم فيزيائي في ناسا.[١]"

واذا بدهشة ثانية تطالع الممرضة، لقد كان الرجل الذي نهرته كفيفا!

(١) NASA هي وكالة الفضاء الامريكية.

ولد كولرز قبل اوانه في أوكلاهوما عام ١٩٤٩، وأتلف بصره على أثر اعطائه جرعة قوية من الاوكسيجين مما غشّى عـدستي عينيـه وأتلف الشبكيَّتين الحساستين للضوء. فأقسم والداه، وندا وجورج، على تنشئته بحيث ينمو شاعراً بأنه قادر على عمل أي شيء ما خلا البصر.

طريق حياة. لم يكن التزام هذا العهد سهلا، اذ رأى الوالدان ابنهما كنت يسقط مراراً لدى تسلقه الاشجار. وتساءلا عما اذا كان طموحهما يتجاوز قدرة الصبي ويشكل خطراً عليه. لكن ارادة كنت كانت صلبة أيضاً، فكان ينهض بعد كل سقطة متشدداً. وتقول والدته وندا: "اتسم كنت بحاسة توازن رائعة. فكان يتحسس مواقع الاشياء كأن داخله جهاز رادار."

كان درع كولرز ضد اليأس والفشل شعار التحدي الذي بثه فيه والداه تكراراً: "في امكانك عمل كل شيء." وكانت هوايته المفضّلة في صغره ركوب الدراجة الهوائية. وهو يقول: "كان ركوب الدراجة سهلاً اذ لم يَنْهَني أحد عنه بحجة أن فاقدي البصر عاجزون عن الركوب."

وفي أحد سباقاته مع ابن الجيران اندفع كنت الصغير في المقدمة ما ان سمع صوت إشارة الانطلاق، وانتهى صادماً سيارة متوقفة، فجُرح. وارتاع صديقه اذ رأى الدم يتقطّر من فمه وقد تحطمت أسنانه الامامية. لكن كنت نهض غير مبال وأعلن بافتخار: "أنا فزت!"

كان يسيراً على والديه رعايته في الجوار، ولكن ماذا عن المدرسة؟

التزاماً منهما ذلك العهد القديم، قررا ادخاله مدرسة عادية. لكن المدارس الرسمية في أوكلاهوما رفضت قبوله.

ثم علمت والدته أن في كاليفورنيا مدارس تقبل الاولاد المكفوفين. فطلب والده جورج من الشركة التي يعمل فيها نقله الى فرع في كاليفورنيا. وهكذا انتقلت العائلة الى تمبل سيتي.

وأثبت كولرز الصغير أنه قادر على مضاهاة أفضل الاولاد. فقد كانت علاماته الاعلى في جميع الدروس، وكان كشافاً

ناشطاً. فلفت ذكاؤه انتباه معلميه الذين أولوه اهتماماً خاصاً، مما حداه على القول: "حين تلقى اهتماماً وتشجيعاً من شخص بالغ، فذلك يدفعك الى مزيد من الاصغاء والانتباه."

أبعد من البصر. لا تزال لويس بريكن، معلمة كنت في الصفوف الثانوية، تتذكر تلميذها النبيه المبدع: "كان ماهراً في كل ما يعمل بحيث ينسى المرء أنه معاق."

ولتعويض البصر تعلم كولرز شحذ حواسه الأخرى. وتتذكر بريكن ذات يوم حين قال لها في الملعب: "سيدة بريكن، ثمة طائرة مقبلة." فسألته: "أين هي؟ اني لا أرى شيئاً ولا أسمع هديراً." وما عتمت أن عبرت طائرة فوقهما، فضحك كنت.

وذات يوم قرأت والدته في دفتره عبارة كتبها بحروف كبيرة: "أنا عظيم." فتيقنت أن جهودها أفلحت في تنشئة ولد سليم من الاضطرابات العصبية.

كان فلويد ثالر أستاذ الكيمياء في المدرسة الثانوية المعلم الاشد تأثيراً في الفتى. وما زال كولرز يقتبس عنه ويذكر أحد أقواله المفضلة: "اذا زعمت أمراً مدهشاً، فحري بك أن تدعمه بدليل مدهش."

ذات يوم شرح ثالر خصائص مادة كيميائية لا لون لها، ثم وضعها في قارورة ماء، وللحال تحول لونها أحمر قانياً. وكان ثالر أضاف عنصراً خاصاً الى القارورة.

وسألهم: "لماذا تحول لون المادة أحمر؟"

فشرع التلاميذ، بمن فيهم كولرز، في تقديم تفسيرات شتى.

وبعد حين كشف لهم ثالر خدعته: "لقد أضفت شيئاً الى الماء خفية عنكم." وراح يشرح لهم الحكمة من هذه الحيلة: "قد تجدون في الطبيعة أموراً كثيرة تعجزون عن فهمها. ولكن تذكروا دائما أن الطبيعة منطقية ولا تحتجب عن المراقب الدقيق."

ومنذ ذلك الوقت تعلم كولرز أن يشكك في المزاعم العلمية المدهشة التي تفتقر الى أدلة مدهشة تدعمها.

ألقى كولرز كلمة صفه المتخرج في المدرسة الثانوية، وحاز شهاداته الجامعية بتفوق، ونال شهادة دكتوراه في علم الفيزياء من جامعة كاليفورنيا في بيركلي.

ولوالديه الفضل في اصطفائه حقله العلمي عملاً لحياته. ففي كل مساء كان أبوه المهندس يقرأ له بصوت عال كتباً أمثال "الكتاب الذهبي لعلم الفلك."[٢] فانطبعت في مخيلة كنت صور حية عن النجوم والكواكب والمجرات. وهو يقول: "من ذكرياتي الاول تخيُّلي نفسي واقفاً على كوكب أصقع من الجليد أو مخترقاً الحرارة على سطح الشمس."

في السن الخامسة والعشرين حضَّر كولرز برنامج كمبيوتر بيَّن فيه أن نظام رادار أزمعت "ناسا" على ادخاله في

(٢) The Golden Book of Astronomy

المكوك الفضائي لم يكن يستحق كلفته. واقتنعت "ناسا" وألغت مشروع الرادار.

وبعد بضع سنوات طلبت "ناسا" من كولرز العمل لديها.

مشروع فريد. كنت كولرز هو اليوم أحد أبرز العلماء في مركز إيمس التابع لوكالة "ناسا" في ماونتن فيو بكاليفورنيا. انه رجل وسيم ناحل فارع الطول ذو ابتسامة عريضة مشرقة يعيش حياة غنية. وهو عازف بيانو وغيتار ولاعب شطرنج ماهر وهاوي اتصالات لاسلكية.

كل صباح يغادر الشقة التي يسكنها مع زوجته وولديه، فيوصله أحد الاصدقاء الى عمله في مختبر أبحاث علوم الحياة في مركز إيميس. وهو يتنقل في الاروقة الطويلة من دون عناء. وقد اشتهر كباحث قدير ذي موهبة خارقة. واختصاصه اليوم "التطلُّع" الى السموات الكترونياً.

تشع من كل نجمة، بما في ذلك شمسنا، موجات راديو صوتية.[3] ويستخدم كولرز جهاز كمبيوتر خاصاً موصولا بمقاريب راديو (راديو تلسكوبات)[4] لترجمة الصور المرئية نتوءات تسجَّل على إضمامة ورق بحجم ظفر. وهكذا، كما يقول، "أحس الصورة على رؤوس أصابعي."

عندما تظهر كلمات أو معلومات حسابية على الشاشة يتولى كمبيوتر آخر ترجمة الاحرف والارقام كلمات انكليزية مسموعة. وللاتصال الصامت يقفل كولرز الصوت الالكتروني ويضع أصابعه على صف من ٤٠ مفتاحاً صغيراً تشبه قطع الدومينو. وتبرز من هذه المفاتيح دبابيس بيض تحوي حروف "برايل"[5] وتتيح لكولرز الاطلاع لمساً على الكلمات والمعلومات. يجلس كولرز الى هذا الجهاز يستكشف شيئاً ما في الفضاء، فيخالجه احساس لذيذ بأنه يطاول النجوم بيديه.

ومن خلال رؤياه الداخلية التي لا تثقلها التأثيرات الخارجية، يتبين أحياناً علاقات تخفى على زملائه المبصرين. وهو يقول: "في امكاني تصور الشيء على حقيقته، فكل المعلومات في رأسي تتحول صوراً ثلاثية الأبعاد." ويدهش كولرز زملاءه دائماً بمقدرته الخارقة، تلك المقدرة التي اكتسبها وهو جالس في حضن والده يصغي الى رواياته عن النجوم والشمس والقمر والاجرام.

ويعمل كولرز حالياً على استغلال مواهبه الفريدة لمساعدة "ناسا" في مشروعها "البحث عن كائنات ذكية خارج نطاق الارض."[6] وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢ ذكرى مرور ٥٠٠ سنة على اكتشاف كريستوفر كولومبوس أمريكا، تخطط "ناسا" لبدء أعظم بحث راديوتلسكوبي في التاريخ. وفي الثواني الستين الاول ستستقصي "ناسا" الفضاء بعمق ودقة يفوقان ما بلغته جميع الابحاث السابقة.

(٣) Radio noise

(٤) Radiotelescopes

(٥) Braille. وهي كتابة خاصة بالعميان تستخدم فيها احرف مؤلفة من نقاط نافرة.

(٦) Search For Extraterrestrial Intelligence

ضجيج أبيض! وظيفة كولرز تصميم أجهزة لغربلة أصوات الراديو واستكشاف أدلة على اتصالات ذكية منبعثة من الفضاء. وأجهزة كولرز فائقة الفاعلية الى حد أنها تقلّب في ثانية واحدة كل ما تتضمنه صفحات الموسوعة البريطانية (إنسيكلوبيديا بريتانيكا)[٧]. وهي تستقصي موجات الراديو المنبثة من الفضاء وتجري نحو ٥٠ مليون فحص في الثانية بحثاً عن اتصالات ذكية محتملة.

يقول كولرز: "نحن نبحث في طيف الراديو عن خطوط هي تواترات خاصة مبعثها طاقة أقوى ملايين الاضعاف من طاقة الشمس." ويضيف أن هذه الخطوط المعبّرة تنبعث حالياً من دلائل الكترونية على حضارتنا، كالراديو والتلفاز والرادار النابض وحتى اجهزة فتح أبواب المرائب من بُعد، "هذا هو نوع الدليل الذي ننشده في أبحاثنا عن الحياة في الفضاء الخارجي."

ولكن ما النفع إن لم تكتشف "ناسا" أي شيء؟

يبقى عندئذ أن أجهزة كولرز تحظى باهتمام خبراء الامن الوطني في سعيهم الى مراقبة اشارات الراديو لدى جهات معادية، وباهتمام مديرية الطيران الباحثة عن طرق جديدة للتسمّع والاسماع عبر الثرثرات اللاسلكية الكثيفة بهدف توجيه الطائرات في الاجواء.

يتّسم كولرز بتفاؤل دائم. ويلذ له التحدث عن برنامجه وعن استكشاف الحياة في الفضاء. وقد طلب منه أخيراً توجيه بعض طاقاته الى اقناع آخرين بأن المشروع مغامرة مثيرة. فبات يصرف بعض نهاراته في قاعات مؤتمرات محاضراً في لجان الكونغرس عن أهمية هذه "المغامرة." ويعرض أحد زملائه على الشاشة صوراً من المشروع.

تبدو علامات الضجر على الحاضرين ويأخذون في التململ. اذذاك يدير كولرز جهاز راديو للهواة قائلا: "هذه هي المشكلة الكبرى." فتمتلىء القاعة بهسهسة راديوستاتية[٨] تعرف بـ"الضجيج الابيض"، ويدب النشاط في الحاضرين ويغلب عليهم الاهتمام بالموضوع.

ويقول كولرز: "اننا نحاول التقاط اشارة موجة ضيقة وسط هذا الضجيج." ثم يسأل بنبرة قوية: "ما هي الموجة الضيقة؟"

يزمّ كولرز شفتيه ويطلق صفيراً حاداً متواصلا ويقول: "هذا ما يأمل علماء ناسا سماعه عندما يشرعون في استكشاف النجوم."

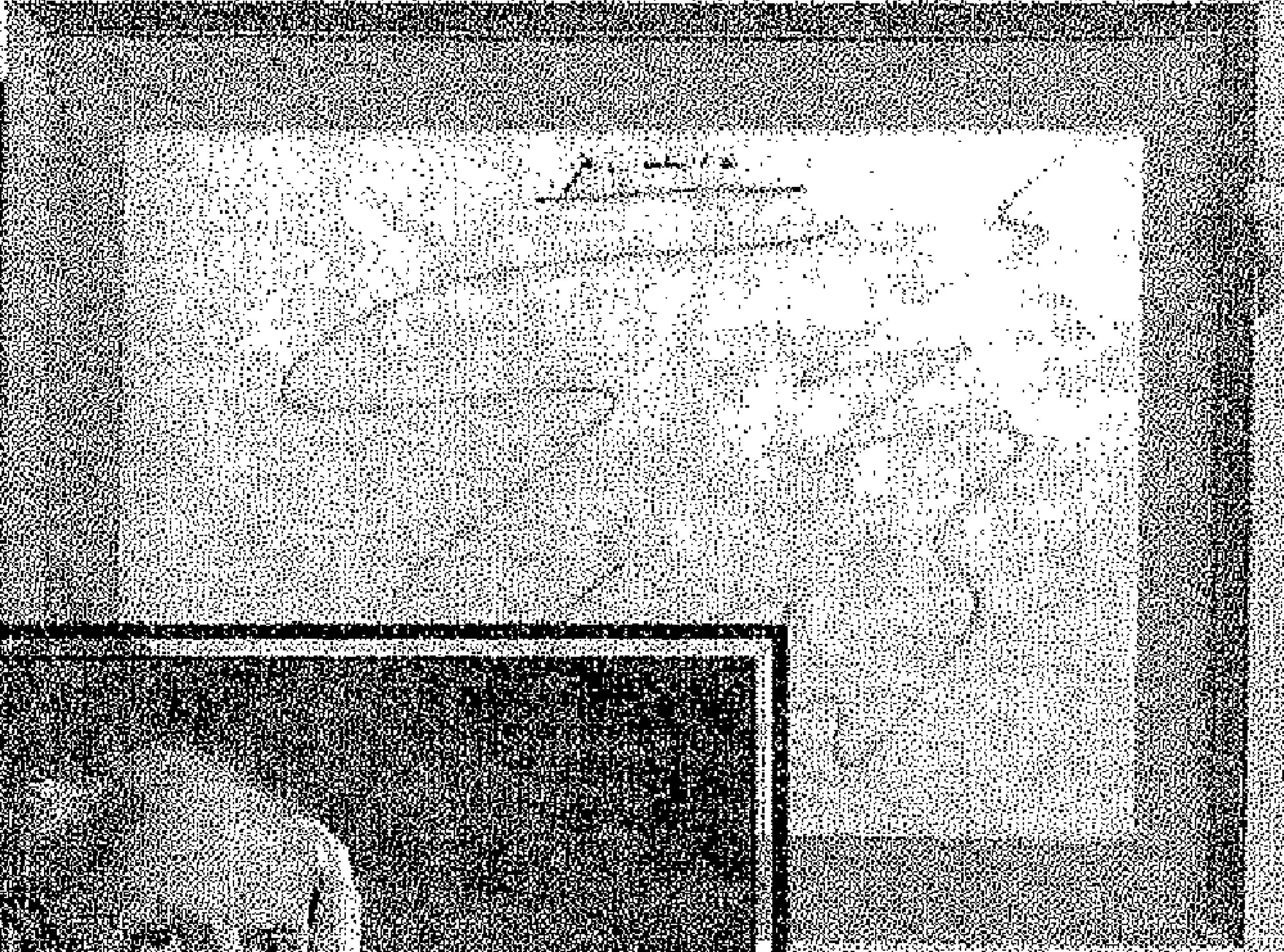
واذ ينهي كولرز محاضرته يكون العياء والملل فارقا جمع الحاضرين الذين انتشوا بالاطلاع على روعة الابحاث العلمية الخارقة. وهكذا يثبت كولرز مرة أخرى أنه ثمرة صالحة لعهد والديه وثقة معلميه وايمانه بأنه قادر على عمل ما يريد.

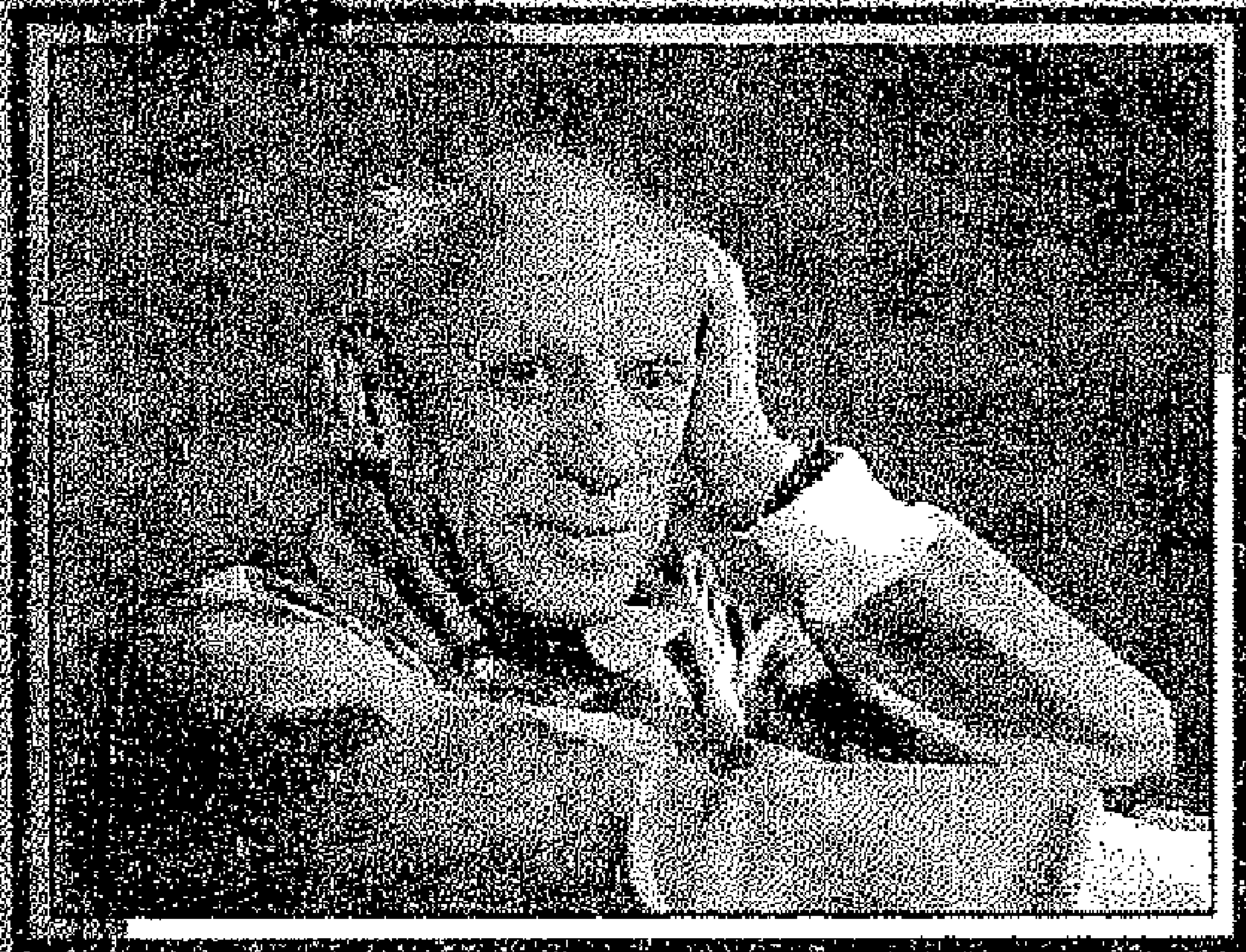
غرني وليمس الثالث ■

(٧) Encyclopaedia Britannica
(٨) Radio static

لقاء طريف مع عملاق الفن الحديث







بيكاسو معي

قبل سنين كثيرة كنت أجول في أوروبا في رحلة مع بعض الاصحاب، وكنت آنذاك في الثامنة عشرة من عمري. وذات يوم وجدنا أنفسنا في مدينة كان جنوب فرنسا وقد نفد مالنا. فعملنا في ورشة لطلاء الزوارق.

وفي أثناء تجوالي ظهراً على رصيف الميناء لمحت بابلو بيكاسو جالسا في أحد مطاعم الرصيف وهو يتناول الغداء مع زوجته جاكلين وثلاثة آخرين. وكنت أحمل دفتر رسم، فحضّني صديقي على الطلب من بيكاسو توقيع اسمه في دفتري. فتشجعت وفعلت، واستُجيب لطلبي الجريء.

لم يكن الفنان الذي ناهز الثمانين مضطراً الى هذه الاستجابة. ففي العام ١٩٦٥ كان بيكاسو يعيش حياة انعزال ويمضي معظم وقته عاملا في دارته

القائمة على احدى التلال العالية المطلة على مدينة كان.

تناول الفنان الورقة الكبيرة التي ناولته اياها وكتب اسمه في أعلى الصفحة. وكأن الفراغ تحت اسمه أغراه فأضاف زخرفة أنيقة. وبقيتُ سنوات لم أرَ في رسمه ذلك الا صورة تجريدية. لكن فن بيكاسو متجذر عادة في الواقع المرئي. لذلك قد تكون تلك الانحناءات الابداعية رمزاً لغيوم متلبدة أو لأمواج على شاطىء أو لميناء مدينة كان المترامي بعيداً قبالة طاولته في المطعم.

ابتهجت لكرمه وشكرته وانخرطنا في حديث متعثر. واذ كانت انكليزية بيكاسو أضعف من فرنسيتي فقد تولّت احدى السيدات على المائدة عملية الترجمة لكلينا. كان هو الذي يطرح الاسئلة وأنا أجيب عنها، وقد حاولت افهامه أني أعشق الرسم وأني معجب بأعماله الرائعة.

وعدت الى الزورق بعد حين مزهواً بالتحفة العفوية الرائعة التي ظفرت بها من يد بيكاسو والتي تخلّد ذكرى لقائي ذلك العبقري. وكان بيكاسو وصحبه ما زالوا جالسين الى المائدة، فقال لي صديقي الذي شجعني على محادثة بيكاسو: "لماذا لا تمعن في الافادة من حظك المدهش وترسم بيكاسو؟ فلن تسنح لك فرصة أخرى كهذه، ولا أظنه سيمانع."

لم أرغب في ازعاج بيكاسو ثانية، وأحسست أن جرأتي ستبلغ حد الوقاحة ان أنا عدت اليه. وخشيت ألا يكون استقبالي ودّياً كالمرة الاولى. ولكن راقتني فكرة صديقي فحملت دفتري واتجهت الى المائدة، ووقفت بجانب الطاولة وأسندت الدفتر الى حاجز معدني وشرعت في الرسم.

تنبه بيكاسو الى قصدي فأطلق تكشيرة عريضة وراح يغير ملامح وجهه مصعِّبا مهمتي، فتارة يدوّر عينيه ويمد لسانه وتارة يلوّح بكلتا يديه ويضمّهما إلى صدغيه ويرسم بأصابعه أشكالا مضحكة مستمتعا بأدائه كأنه وُلد بهلوانا. وأدركت غايته من تصرفه الغريب، اذ هدف الى امتحان مدى تصميمي وعزمي، فواصلت الرسم.

وإزاء عنادي وتشوقي لانّ بيكاسو أو رقّ قلبه لفنان ناشىء مكافح، فاستكان هادئا لدقائق مما سمح لي برسمه على حقيقته.

بدا لي في سترته المقلّمة باللونين الابيض والازرق يقظا نشيطا، جسمه مكتنز كأجسام المصارعين. وأضفت عليه سمرته الدكناء المتلوحة بالشمس مظهر رياضي في الستين لا عجوز شارف الرابعة والثمانين.

وأدهشتني فتوته وصفاء عينيه الثاقبتين المطلتين من وجه خال من الترهل. كانت عيناه آسرتين، وجهدت لكي أنقل فتنتهما وقوتهما رسما.

لكنه بدا أيضا، على رغم جلسائه، متوحداً منطويا غارقا في عالم خاص من السكون.

أنهى بيكاسو غداءه وطلب مني، بواسطة السيدة المترجمة، أن أريه رسمه. ارتبكت وحاولت الامتناع اذ لم أكن انتهيت بعد، وكانت حجتي أن ليست في رسمي جودة تليق بعبقري الفن. لكنه أصرّ على مطلبه. وحين رأى رسمه هزّ رأسه استحسانا.

ثم فاجأني معلنا رغبته في رسمي. واذا به يخط على الورقة ضربات سريعة واثقة مذهلة تحت رسمه الذي كلّفني دقائق مشوبة بالقلق، فبرزت صورة وجه ملتح. ولم يلبث أن ناولني الدفتر.

فماذا رأيت؟ لقد نقل الفنان احدى عينيّ الى أنفي ورسم تحتها ابتسامة عريضة بيّنها خط مستقيم واحد، فبدوت كفراشة متوثبة في احدى لوحاته الاسطورية.

ربما رأى فيَّ بيكاسو متطفلاً من عالم آخر يحدق اليه بفضول شاب مأخوذ لوقوفه وجهاً لوجه أمام عبقري.

حين أنظر الى الرسمين اليوم ألمس أكثر من أي وقت مضى ذلك التباين بين التردد المتعثر في رسمي وعبقرية التسامي والمرح والابداع المتجلّية في رسمه.

فيا لحسن حظي! لقد أتاح لي لقاء بيكاسو أن أدرك أن في حنايا ذاك الرجل الذي يحظى فنه بتبجيل واجلال منقطعي النظير جذوة حب للمرح والفكاهة.

فاللذة التي طبع بها ملامحي عفوياً في ذلك النهار القائظ من صيف ١٩٦٥ لم تخبُ قط، بل أضفت حيوية ومرحاً وفكاهة طبعت فنه في أواخر سني حياته المديدة.

ريتشارد كورك ■

مصيبة!

وقف الموظف الجديد أمام آلة تقطيع الاوراق وقد بدا عليه الاستغراب.
فسألته سكرتيرة مرت بجانبه: "هل تحتاج الى مساعدة؟"
أجابها: "نعم، كيف نشغّل هذه الآلة؟"
قالت: "بسيطة!" وتناولت التقرير السمين من يده ثم بدأت تلقمه الآلة.
وحين انتهت قال لها الموظف: "شكراً يا آنسة، ولكن من أين تخرج النسخ؟"

ك.م.

أين تختفي الجوارب؟

كنت أحزم حقائبي في عجلة استعداداً لرحلة عمل، فوجدت في درج جواربي زوجين غير متناسبين، أحدهما أزرق والآخر بني. فسألت زوجتي ممتعضاً: "أين تختفي جواربي؟"

فجاءني الجواب سريعاً، اذ وقع أحد الجوربين من يدي فانحنيت لالتقاطه، واكتشفتُ أنني أرتدي جورباً أزرق وآخر بنّياً!

ا.ب.

كتاب الشهر

البهلوانة المعجزة

بقلم هنري هورت

★ ★ ★ ★ ★

البهلوانة المعجزة

بقلم هنري هورت



انجل والندا بهلوانة مارست تدريبات طويلة وقاسية لتنمي في جسدها القدرة والرشاقة اللازمتين للسير على أسلاك عالية. بيد أن مهارات اكتسبتها في مرحلة سابقة من حياتها هي التي مدتها بالقوة واللياقة والقدرة على الاحتمال. فكيف قدر لطفولة تاعسة أن تهيىء شابة لمثل هذه الشجاعة في تخطي صعاب الحياة؟

تلألأت الاضواء الساطعة على النثار المعدني فوق الرداء الفيروزي الناعم كاشفة للجمهور الجذل في الاسفل مشهد جمال وشجاعة. وتألق جسد انجل والندا المرن وسط الظلام الذي لف قاعة العرض وهي تتهادى برشاقة على السلك الرفيع.

ولم تكد تبلغ منتصف المسافة حتى ترنحت وبانت على محياها وسط الاضواء الكاشفة مسحة خوف وذعر. وترجَّح قضيب التوازن بين يديها منذراً بخطر وشيك، فغارت قلوب مئات المشاهدين. كان واضحا أن ثمة خطبا ألم بها. ولم تكن تحتها شبكة تتلقفها إن سقطت، فهذا تقليد كرسه آل والندا العظام.

فجأة سُمعت صرخة شقت السكون: "أبعدوا الاضواء الكاشفة عن عينيها!" كانت تلك صرخة زوجها ستيف الذي وقف يراقبها من المنصة المقابلة. وما ان أُطفئت الاضواء الكاشفة حتى استعادت انجل توازنها وواصلت سيرها. كان عامل مهمل من فنيي الاضاءة سلَّط الاضواء عليها من تحت فعميت عن مراقبة قدمها اليمنى كلما وطأت السلك.

PHOTOS: © TERRY WILD

ومعروف أن السير على الاسلاك يتطلب من البهلوان الوقوف منتصب القامة مرفوع الرأس والاعتماد كليا على أحاسيس قدميه. فهذا فن لا يعتمد على العين بل على القدم التي ينبغي أن تنتقي مواطئها بدقة تحفّها الاخطار.

بيد أن انجل والندا تبز زملاءها جرأة. فهي لا تملك قدما يمنى، بل رجلٌ اصطناعية تبدأ تحت ركبتها. وبما أن الطرف الاصطناعي خلو من الاحاسيس، فهي تعوض هذا النقص بمراقبة موطىء قدمها اليمنى في كل خطوة.

انجل والندا هي البهلوانة الوحيدة في العالم التي تؤدي هذه العروض الجسورة بقدم اصطناعية.

لذلك حين استعادت توازنها ووقفت بثبات على السلك، دوت القاعة بالهتاف وشوهد وجه انجل يشع بالثقة مجدداً ويتألق ببسمة بهية حيّت بها الجمهور. وما ان اجتازت المسافة الفاصلة ووطأت المنصة البعيدة، حتى تحول الهتاف تصفيقا راعداً. وللحال اجتاز ستيف السلك بسرعة وانضم اليها. وتعانق الزوجان ثم انحنيا للجمهور بأبهة طبعت حياتهما كحاملي أحد أشهر الاسماء في عالم السيرك.

لكن النجاح الباهر الذي لاقاه هذا العرض في مانسفيلد بولاية بنسلفانيا في شهر مارس (آذار) ١٩٩٠، حمل مسحة كآبة غمرت المشاهدين. فقد كانت انجل والندا، ابنة الحادية والعشرين، على وشك الخضوع لجراحة استئصال ورم سرطاني للمرة الرابعة خلال أقل من أربع سنوات. وكان الجمهور مدركا أن ما يشهده ربما كان عرضها الاخير.

اختلطت انجل وستيف بالجمهور بعد انتهاء العرض وراحا يوقعان دفاتر تذكارية ويشكران المعجبين ويتقبلان التهاني. واجتذبت انجل الناس كعادتها بمرحها الدافىء وروحها الطيبة. أما السؤال الذي أخذ يتردد في الاذهان، ضمنا أو شفاها، فكان: كيف تقدر هذه المرأة الشابة على مواجهة مصيرها الغامض بهذا المقدار العظيم من الهدوء والشجاعة؟

★ ومضات حب ★

قبل سنوات كثيرة من عرض مانسفيلد كانت انجل والندا شخصا آخر يعيش في عالم مختلف.

ولدت اليزابيث (ليزي) بنتيا في ٢٠ مارس (آذار) ١٩٦٨، وكانت الصغرى بين ستة أولاد ترعرعوا في كنف والدين هربا من المجر (هنغاريا) واستقرا في ضاحية شمال مدينة نيويورك.

وكان منزل آل بنتيا مليئا بالخوف والرعب. فقد كان الوالد رجلا فظا نزق الطباع لا

يحلو له الاكل الا وحيداً في غرفة تعزله عن بقية العائلة. كان يأكل أولاً، ونادراً ما يسمح لاولاده بالمثول في محضره. وبعد أن يفرغ من الاكل كانت العائلة تأكل ما تبقى في غرفة الطعام.

وغالباً ما كان يردد لأولاده أنه يريدهم أقوياء. ولدى عودته الى البيت كان يطلب منهم أن يصطفّوا ويمدوا أيديهم لتلقي العقاب، اذ لا بد من أنهم ارتكبوا خطأ ما في غيابه. وكان يتنقل بينهم منهالاً بحزامه على أيديهم حتى لا يبقى منهم واحد إلا وقد علا صوته ألماً وبكاء.

وتذكر ليزي أن والدها كان يطرحها أرضاً وينهال على وجهها ضرباً. وكانت الأم السقيمة تحاول الدفاع عن أولادها وتتوسل الى زوجها لكي يتساهل قليلاً في معاملتهم. لكنه كان يرد على ذلك بحجزها في غرفتها أثناء غيابه، فيضطر الاولاد الى تحضير الطعام وتنظيف المنزل بأنفسهم.

وكانت سلطات الولاية تأمر أحياناً باخراج الاولاد من البيت وتوزيعهم على بيوت رعاية حيث تعنى بهم عائلات كريمة. وهذا نمط رافق ليزي طوال فترة طفولتها، فلم تبق طويلاً في عهدة عائلة واحدة.

أبعدت ليزي عن والديها للمرة الاولى عندما كانت في شهرها الثامن عشر. وكانت أولى محطاتها في منزل لين ساندباك التي لا تنسى ساعة وصول الطفلة الى دارها. تقول: "كانت مرتاعة لابتعادها عن اخوتها وأخواتها فمزقت فؤادي. وكانت لا تكف عن البكاء ولا تدعني أنزع سترتها. فضممتها الى صدري وهدأت خاطرها نحو ساعة. وعندما سكنت أذهلني مقدار ما كان فيها من محبة."

وفي عامها الثالث كانت ليزي فتاة جميلة شقراء زرقاء العينين تزين محياها ابتسامة شبه دائمة. فانتقلت الى منزل جون وبات ولسون في بلدة كرمل بولاية نيويورك حيث لاقت معاملة زاخرة بالمحبة والعطف. وعلى رغم أن سياسة هيئة الرعاية الاجتماعية قضت بنقلها بعد ١٨ شهراً، فما زالت تذكر آل ولسون بعاطفة جمّة الى اليوم. تقول: "يصعب على أناس حظوا بالمحبة طوال حياتهم أن يفهموا الجميل الذي يمكن أن تصنعه عائلة واحدة مثل آل ولسون."

عززت كل ومضة محبة عاشتها ليزي في طفولتها روحَها المعنوية وقدرتها على خوض معترك الحياة وتصميمها على مقاومة كل ما يخضعها لمشيئة الآخرين. وتذكر شقيقتها آنا، التي تكبرها بأحد عشر شهراً، رفض ليزي اللجوء الى البكاء حين كان الوالد يوسعهم ضرباً، على رغم أن البكاء الفوري كان الوسيلة الاكيدة لوقف القصاص. وتضيف آنا: "كانت ليزي ترفض البكاء مهما بلغ القصاص، لذا كانت دائما تتلقى أقسى العقوبات."

ولا بد من معرفة هذا الواقع لفهم تلك الطفلة التي تبرعمت لتصبح انجل والندا.
خلال سنوات تنقل ليزي بين منازل الاوصياء، كانت تُرسل الى منزلها الوالدي لقضاء بعض عطلات نهاية الاسبوع ومعظم عطلات الاعياد. إلا أن والدها لم يكن ليولي الاعياد أي اهتمام، لأن مثل هذه الاحتفالات كانت توقظ في نفسه ذكريات كابوسية عن الحياة في المجر وتقتضي احتراما لتقاليد درج على مقتها.

كانت الاعياد مناسبات كئيبة بالنسبة الى أولاد آل بنتيا. ولا تذكر انجل أنها تلقت أي هدية في منزل والدها، "ومع ذلك كنت ألجأ الى سرد قصص وهمية عن عطلة العيد لدى عودتي الى المنزل الذي يرعاني. وكان الاولاد هناك يتباهون بما تلقوه من هدايا ويتحدثون عن الاوقات الجميلة التي أمضوها. طبعاً، لم ينلنا نحن أي من هذه الاشياء، لكني كنت أتحدث دائما عن ديك الحبش الذي أكلناه والحلوى التي التهمناها. وأذكر ادعائي مرة الحصول على بيت دمية. وعندما سألني الاولاد لماذا لم آتِ به قلت لهم انه أكبر من أن تسعه السيارة."

★ زائرة غريبة ★

أدركت ليزي منذ سنواتها الأولى أن حرمانها تجاوز كثيرا مسألة هدايا الميلاد. ذات يوم، وكانت في الخامسة من عمرها، شرحت معلمة الحضانة للصف أن كثيراً من الاولاد يسرون بأن يكون لهم أصدقاء خياليون. وأضافت: "لكل طفل تخيلات يتراءى له فيها أصدقاء وهميون." لكن ليزي اعتبرت نفسها مستثناة، وقدَّرت أن التخيُّل – مهما عنى ذلك – هو من ضمن الاشياء التي يملكها الآخرون ولا تملكها هي.

ولم يمضِ زمن طويل حتى حدث لها ما كان بمثابة بلسم سحري لروحها المعنوية. اذ فيما كانت تقضي اجازة في منزل والديها، دخلت غرفة الحمام لكي تختلي بنفسها وتتصفح كتاباً مصوراً. فجأة تراءى لناظرها شكل امرأة جلست بجانبها وهي ترتدي ثوبا فضفاضا.

تقول انجل: "بدت لي كدخان أبيض ورمادي. فنظرت اليها من رأسها الى قدميها ثم أغمضت عينيّ باحكام." كان الشكل صامتا، لكن حضور المرأة أضفى على ليزي سلاما رهيفا لم تشعر بمثله من قبل. فهرعت لتخبر الآخرين ما شاهدت.

تعتبر انجل والندا تلك اللحظة نقطة تحول في طفولتها. وتقول: "علمت للمرة الاولى في حياتي أن في ذاتي شيئا خاصا، وأني لربما كنت أكثر من مجرد طفلة غير مرغوب فيها." واستمدت ليزي من هذه المعرفة قوة قادت خطاها الى اليوم. وهي تقول بسعادة: "تساءلت طويلا عما اذا كان ذاك الطيف هو الصديق الخيالي الذي تحدثت عنه المعلمة."

لكم كانت اليزابيث بنتيا تتمنى لو تستطيع تغيير بعض مناحي حياتها، لكنها ظلت تتمتع بكثير من الاستقلالية التي طالما انتزعتها من أولئك الذين تولوا العناية بها. كان واضحا لها أنها إن استكانت للنظم التي فرضتها عليها هيئات الرعاية الاجتماعية فسوف تتحطم حياتها شر تحطيم. لذلك بذلتْ قصارى جهدها لتفادي سيطرة الآخرين على حياتها، محققة ذلك بطيبة خلق ومرونة حيَّرتا العائلات التي تناوبت رعايتها. وكانت، الى ذلك، تنظر الى الحياة بتفاؤل ورضى على رغم كل ما تعرضت له من معاملة سيئة في منزلها الأبوي. وكثيراً ما كانت تهرب مع شقيقتها وبعض أشقائها، فيختفون أسابيع يمضونها مع بائع حلوى اسمه هارفي يجولون معه متظاهرين بأنهم أيتام يبيعون الحلوى في مواقف سيارات المراكز التجارية في نيويورك ونيوجرزي وكونتيكت. وتتذكر انجل: "طلب منا هارفي بيع الحلوى بدولارين ونصف دولار والاحتفاظ بنصف دولار لنا، لكننا كنا نبيعها بثلاث دولارات فنجني دولاراً ربحا صافيا."

ومن المغامرات الكبيرة التي عاشوها واحدة حدثت بعد بلوغ ليزي الثالثة عشرة، حين دبرت مع شقيقتها آنا واثنين من أشقائها مكيدة للهرب نهائياً من نظام الرعاية الاجتماعية ومنزل والديهم. حدث ذلك في أبريل (نيسان) ١٩٨١ حين تغيَّب الاخوة عن المدرسة اذ هربوا حاملين مقتنياتهم القليلة في أكياس نفايات، متنقلين في سيارات أقلتهم مجانا، الى أن انتهى بهم المطاف الى الطريق الرقم ٩٥ شمال شرق مدينة نيويورك، وهي احدى أكثر الطرق عبوراً في البلاد.

تذكر انجل: "كانت الطريق مناسبة لنا تماما، فالضوضاء أبعدت الناس عنها وجعلتنا بمنأى عن تدخلهم في شؤوننا." وأقام الاشقاء شبه خيمة في الغابة بنوها بما طاولته أيديهم من مواد، في مكان قريب من ميمنة الطريق قبيل اختراقها بلدة مامارونك. وكانوا يطهون طعامهم على نار يوقدونها في العراء، ويجنون ما يكفي أودهم من بيع السكاكر التي جمعوها خلال عملهم مع هارفي. وكانوا يعملون في الصباح متجولين في الاسواق التجارية، ثم يقضون بعد الظهر في دور السينما.

أمضى الاولاد نحواً من شهر ذاقوا خلاله طعم سعادة لم يعرفوها قبلاً. وتحاشوا الوقوع في مشاكل، الى أن جاء يوم كذبت ليزي وآنا في شأن عمرهما عندما حاولتا الحصول على عمل في أحد المتاجر. وسرعان ما ساقهما شرطي الى التحقيق، ومن ثم أعيدتا مع شقيقيهما الى هيئة الرعاية الاجتماعية.

بدأت ليزي تتحول مشكلة كبرى بالنسبة الى القيمين على هيئة الرعاية الاجتماعية. وكانت وضعت مجدداً في عهدة والدها، فلجأت الى أساليب متنوعة لتخفيف وطأة الاجواء الخانقة التي سادت المنزل. وكانت تمضي الليالي، وبضعة أيام متتالية أحيانا،

في اسطبل قديم أو منزل مهجور. وكانت، إذْ دعت الحاجة، تنام في سيارة تجدها غير مقفلة.

في تلك الفترة بدأت ليزي تتعاطى الكحول والماريوانا.

وذات يوم التقت امرأة اسمها ماري ألن ميهالشك شكلت مرتكز استقرار في حياتها. تقول ماري: "عندما التقيت ليزي للمرة الاولى كانت كدمات زرقاء وسوداء تغطي وجهها. وهي دخلت منزلنا مع احدى بناتي ولم تكن تجاوزت الرابعة عشرة من عمرها. كانت ليزي فتاة غير عادية تتسم ببرود بالغ وطمأنينة لافتة، تحب التحدث مع البالغين وتتمتع بغنى روحي لافت. وهي أهدت الي تمثالا خزفيا اشترته بمال جنته من عملها، وما زلت احتفظ به."

وتضيف ماري: "لقد تعرضت ليزي يوم التقيتها لضرب مبرح. لكنها أصرت على أنها لم تصب بأذى، وأن لا داعي الى القلق. ما زلت أرى تينك العينين الزرقاوين ترمقانني من وجهها المتورم وهي تناشدني ألا أقلق. ضممتها الى صدري ورحت أنشج. لكن ليزي لم تبكِ، بل حاولت مؤاساتي."



ILLUSTRATIONS: DAN BROWN

ولم تمضِ فترة قصيرة حتى حزمت ليزي أمتعتها في كيس نفايات وغادرت منزل أبيها الى غير رجعة.

صحيح أن ليزي عاشت حياة بؤس وقنوط، إلا أنها بقيت خلواً من أي أثر للمرارة. وما زالت تتذكر بولع مغامرات طفولتها. لكن ما يثير العجب حقاً هو أنها لا تذكر والدها بحقد أو استياء. تقول: "أعتقد أنه لم يعرف الحب أبداً، لذلك تعذر عليه الاحساس بالحب أو منحه أو تلقيه."

عندما توطدت العلاقة بين ليزي وماري ألن ميهالشك أدركتْ هذه أن عدم اكتراث الفتاة الظاهر لما تعرضت له من ظلم كان في الواقع نابعا من قرارها الصعب ألا تدع الآخرين يتحكمون بمصيرها، ومن تصميمها القوي على تحقيق ذاتها. وسارعت ماري ألن الى معالجة نزوع صديقتها الصغيرة الى تعاطي الكحول والماريوانا. تقول: "كنت قد زرت مستشفى يعالج فيه أطفال ولدتهم أمهات يتعاطين المخدرات. فصرفت مع ليزي وقتا طويلا نتباحث في هذا الموضوع."

★ الوالندا العظام ★

بلغت ليزي السادسة عشرة من عمرها، وكانت حياتها خلواً من أي علاقة عاطفية. لكنها مع ذلك كانت تحلم بأن تصبح زوجة وأماً. ولم يمضِ وقت طويل على حديثها مع ماري ألن حتى تخلت نهائيا عن الكحول والمخدرات. وعندما دعتها عائلة ميهالشك الى الاقامة معها، حصلت على عمل في متجر للمثلجات في موهيغان لايك بنيويورك، وراحت تعمل ساعات طويلة وتدخر مالاً لمستقبلها.

لاحظت ليزي بنتيا مع الوقت رجلا غريبا يحوم حول متجر المثلجات في أوقات الصباح. وتذكر: "دأب الرجل على مراقبتي عن كثب. كان بادي الهدوء. وخلته للوهلة الاولى غريب الاطوار، اذ كان يأخذ مني فنجان القهوة ويطيل التحديق الي. وأخيراً قررتُ التكلم اليه."

تبادلت ليزي والرجل الغريب حديثاً وديا قصيراً، لكنها ظلت ترى في تحديقه اليها أمرا غريبا.

في وقت لاحق من ذلك النهار سمعت ليزي صدح موسيقى ورأت جمهرة تحلقت في موقف سيارات المركز التجاري القريب. وكانت الانظار متجهة الى فوق حيث كان رجل يسير على سلك عال. فوقفت ليزي تراقب الرجل مفتونة وهو يسير على السلك برشاقة وثقة. ولما دنت أكثر تبين لها أنه ذاك الذي دأب على التردد الى متجر المثلجات.

فسألت امرأة وقفت الى جانبها: "من هذا الرجل؟"

فأجابت المرأة: "إنه من الوالندا."

فهتفت ليزي: "حقا؟ من هم الوالندا؟"

في تلك اللحظة ضج الجمهور هاتفا للرجل الذي وصفه مذيع هناك بأنه "الوالندا العظيم صاحب الاداء الذي لا يصدق."

كان ستيف والندا سليل عائلة امتهنت الألعاب البهلوانية وفتنت العالم بعروضها الجريئة طوال قرنين. كان صاحب عضلات مفتولة وجسم مكتنز وعينين سوداوين ثاقبتين وابتسامة ودودة، وقد أدرج اسمه في "كتاب غينيس للارقام القياسية."[1] وكان من أعماله الفذة عبوره شلالات فيكتوريا على سلك رفيع، وسيره على الحبل الاعلى لجسر "باي بريدج" بين سان فرنسيسكو وأوكلاند الذي يعلو ٢٣٠ مترا فوق الماء. ولربما كان أعظم عروضه "سباق الموت" الذي سار فيه على سلك رُبط بين سيارتين انطلقتا بسرعة ١٠٠ كيلومتر في الساعة.

وعلى مر أجيال من الاعمال الاستعراضية، حطّمت عائلة والندا أرقاما قياسية لا حصر لها. ولا شك في أن أشهر مآثر العائلة هو الهرم السباعي الذي ابتكره كارل والندا في الاربعينات. وكان عرض "الوالندا العظام" معلما أساسيا في سيرك الاخوة رنغلنغ وبارنوم وبايلي. وفي العام ١٩٧٨ قتل كارل اذ سقط عن سلك مشدود بين بناءين من عشر طبقات في سان خوان عاصمة بورتوريكو.

بدأ ستيف، حفيد شقيق كارل، تأدية عروض وهو في الثالثة من عمره. وكانت طفولته بهيجة أكسبتها المنافسة بين أفراد العائلة زخما خاصا، وهي زخرت بتجارب شملت احداها العيش مع مجموعة أسود مدربة في منزل واحد.

انحنى ستيف للجمهور بعد اكماله الجزء الاول من عرضه في بلدة موهيغان لايك. ثم طلب متطوعا يرافقه على السلك العالي في العرض اللاحق. وفيما هو يقلّب النظر في الجمهور المتحلق حوله، التقت عيناه عيني الفتاة الجميلة التي التقاها في متجر المثلجات. ولما أومأ اليها أشرق وجهها ابتهاجا.

إلا أن ليزي لم تكن واثقة بنفسها على رغم ما شرحه لها الوالندا العظيم من مبادىء أساسية. تقول: "لم أكن عالمة بما أفعل. ولكن استهوتني فكرة السير على السلك." فما كان منها إلا أن خلعت حذاءها ووضعت يديها على كتفي ستيف وتبعته لا تلوي على شيء. وهي تذكر: "سرت خلفه لا أخشى السقوط ما دمت متشبثة به. ومدتني قوته البالغة بشعور من الأمان."

يقول ستيف: "علمتُ من حركتها أنها صاحبة موهبة فطرية. كانت تتمتع برشاقة وقدرة على التوازن وثقة بالنفس. وكانت ذكية بحيث خالجها الخوف قليلا. وهذه صفات أساسية يجب أن يتمتع بها كل من أراد السير على سلك عالٍ."

(١) The Guinness Book of World Records

أدرك ستيف والندا أن يومه ذاك كان الأهم في حياته. ويقول: "عندما دخلت متجر المثلجات ورأيتها، لم تكن في نظري مجرد فتاة جميلة تلفت الانظار. شعرتُ بأني رأيتها من قبل، وبأني أعرف منٍ هي. ووجدتني أعرف شعرها الذهبي ووجهها ويديها وعينيها وكل ما فيها. لقد علمتُ، لحظة التقيتها، أنها ستكون لي زوجة."

لم يراود ليزي بنتيا أي من هذه الافكار، ولم تجل في ذهنها إلا الاثارة التي رافقت سيرها على السلك. تقول: "علمتُ أني اذا استطعت تعلم السير على السلك وأصبحت بهلوانة، فسأعيش أكثر المغامرات إثارة في حياتي."

★ ولادة نجمة ★

خلال الايام التالية لم يخفِ ستيف تعلقه الشديد بهذه الفتاة التي بات غير قادر على الابتعاد عنها. وبدأ القلق يساور مدير أعماله من جراء تدني قدرته على التركيز. يقول ستيف: "كنت كلما تحدثت اليها ازددت ثقة بشعوري نحوها. كانت ذكية وتتمتع بحس فكاهة رائع. لم ألتقِ يوما مكافحا مثلها."

حارت ليزي في أمر هذا المعجَب الولهان. غير أن ماري ألن حذرتها: "انه نجم سيرك، ولا يناسبك عمراً. أرجوك، لا تتورطي معه."

وبعد أيام قليلة على لقائهما الاول، وساعات قضياها يتحدثان خلال فواصل العروض وبعدها، تقدم ستيف بعرض مدهش اذ طلب من ليزي الذهاب معه الى جامايكا حيث اعتزم تقديم عرض خطر. ووعدها بأن يجعل منها بهلوانة قائلا إن تلك الرحلة ستعمق معرفتها بهذا الفن.

وتتساءل انجل اليوم: "أتراه ظنني مجنونة؟ لو طلب مني الذهاب الى نيوجرزي، مثلاً، لفكرت في الأمر. لكني رفضت حتى التفكير في الذهاب الى جامايكا."

مع ذلك أحست ليزي خيبة وهي تودع ستيف. فهي ظنت أن اختيارها هذه المهنة سيفتح لها مستقبلا غنياً بالاسفار والمغامرات والاثارة. كما سلمت بأنها باتت مفتونة بهذا الرجل الموهوب الذي أصغى باهتمام بالغ الى كل كلمة تفوهت بها. لذا ساورها القلق اذ بدا لها أنها قد لا تراه ثانية.

ما ان أنهى ستيف عرضه في جامايكا حتى عادالى نيويورك. وسمعت ليزي اعلانات دعائية عن عرض قريب له، فهرعت اليه قبل أن تتاح له فرصة للقدوم اليها.

أمضى الاثنان شهرين في لقاءات وجلسات قبالة منزل ماري ألن ميهالشك. وتقول انجل: "كان ستيف أول انسان فهم حقا كم كنت اروم النجاح في حياتي."

أما ستيف فآمن بأن ليزي هدية مَنَّ بها الله عليه. وهو أطلق عليها يوم لقائهما الاول لقب "انجل" (الملاك). يقول: "كانت الفوضى تكتنف حياتي. فقد خرجت من حرب

فيتنام ونفسي غضبى على العالم. فأدمنت المهدئات أمزجها بالكحول. وكانت انجل صغيرة السن، لكنها كانت دائمة التفاؤل. وقد أخذت حياتي منحى ايجابيا مذ التقيتها."

واليوم، حين يستعيد ستيف ذكرى تلك الايام، ينسب الى انجل كل الفضل في خلاصه من المخدرات والكحول.

كانت انجل درية بشؤون الحياة، فآثرت ألا تخبر ستيف أنها في السابعة عشرة من عمرها، وادعت أنها في الحادية والعشرين. فتقبَّل ستيف كلامها من دون أخذ ورد. ولم تطرح مسألة العمر ثانية إلا حين ركب الاثنان القطار المتجه الى نيويورك ليتزوجا.

يقول ستيف: "لم تفسح لي انجل أي مجال للقاء والديها. فتقبلت الامر، خصوصا أن ماري ألن كانت هي نفسها مستاءة مني فلم أشأ دخول متاهة جديدة من المشاكل مع والدي انجل."

لكن انجل عادت وأخبرت ستيف عن واقع عمرها في فورة صراحة مفاجئة وسط جلبة القطار المندفع. ولدى وصولهما الى نيويورك عمد ستيف، وقد صدمته فكرة الهرب مع قاصر، الى الاتصال بوالد الفتاة الذي لم يكن رأى ابنته أو تحدث اليها منذ سنتين. وشرح له على الهاتف أن انجل باتت لاعبة سيرك، وسأله عما اذا كان لديه أي اعتراض على ذلك.



ويذكر ستيف: "بدا والد انجل مرتكبا، وخلته يتساءل عن السبب الذي دعاني الى مكالمته. وحين أخبرته بصراحة ان ابنته هاربة مع نجم سيرك قال لي إن الامر لا يعنيه."

ضحكت انجل حين أخبرها ستيف عن تلك المكالمة. وكانت تلك المرة الاولى تسمع عن والدها مذ بلغت الخامسة عشرة. وهي تقول: "كنت سعيدة اذ وجدتني في بداية طريقي الى حياة جديدة."

عقدت حفلة القران في مدينة نيويورك، وأصبحت اليزابيث بنتيا، وهي في السابعة

عشرة من عمرها، انجل والندا، وهو اسم سيرافقها طوال حياتها. ولم تمضِ ايام قليلة حتى أصبح ستيف نجماً في عرض رعته سلطات احدى مدن نيوجرزي. في هذا العرض مشى ستيف على سلك رفيع امتد من الارض بزاوية ٤٥ درجة الى قمة رافعة تعلو ٢٠ متراً. وكان كلما فرغ من دوره الفذ يعود ليصطحب انجل ربع المسافة.

وتذكر انجل: "ضج الجمهور اعجاباً بستيف. وكانت تلك المرة الاولى يقدمني الى الجمهور بصفتي زوجته وشريكته. أحببت الانحناء للجمهور والتلويح بيدي وسماع الهتافات. في تلك اللحظة أدركت كم ستكون حياتنا معاً رائعة."

كان شعورهما بالحب والثقة ذلك اليوم منطلقا لاحلام شملت انجاب أولاد واستقرارا في منزل خاص وحياة على كفة الاخطار عاليا فوق جماهير هاتفة.

★ سعادة غامرة ★

لم يلبث الثنائي أن دعي الى غرب البلاد. فطوى الزوجان المسافة الى كاليفورنيا في سيارتهما. كانت انجل في مستهلّ حياة جديدة، ولكن لم يخامرها شك في أن خطاها مقودة بالروح اياها التي لازمتها على الدوام. ومع ذلك كان خلودها الى النوم في ساعة متقدمة من الليل في فنادق نظيفة قفزة نوعية لا سبيل الى مقارنتها بالعيش في خيمة رثة على جانب الطريق الرقم ٩٥.

أمضى الزوجان عشرة أيام في الطريق، وكانا يتوقفان بين حين وآخر ليشاهدا مناظر ومعالم لم تعرفها انجل الا سماعا. رأيا النبتة الدوارة[٢] في تكساس وبقر الوحش في نيو مكسيكو وسد هوفر على نهر كولورادو. أما أكثر المشاهد إثارة للاحاسيس فكان الفقر المدقع في احدى محميات الهنود الحمر.

تقول انجل التي لم تكن رأت البحر من قبل: "كان المحيط الهادىء أروع مشاهداتي. وقد قفزنا الى مياهه وسبحنا ولعبنا. فشعرت اذذاك بحرية قصوى لمجرد قدرتي على الارتماء في الماء من دون أن أصاب بأذى."

بعد قضاء بضعة أشهر في لوس انجلس، انتقل الزوجان الى بيغ بيرسيتي الواقعة في الجبال على مسافة ساعتين ونصف ساعة في السيارة من الشاطىء. وكان هدفهما العمل على اتقان مجموعة من ضروب السير على الاسلاك كي تتمكن انجل من الانضمام الى عروض ستيف. وعلى مقربة من بيتهما الجديد هناك، وجد ستيف شجرتين عاليتين ربط بينهما سلكا يعلو متراً واحداً عن الارض.

إن بعض مهارة البهلوان ايحاؤه أن المشي على الاسلاك أمر سهل. لكنه في الواقع ليس سهلا. فلقد احتسب ستيف وزن انجل وطول قامتها، فقدَّر أنها تحتاج الى قضيب

(٢) Tumbleweed

توازن يزن ١٥ كيلوغراماً. فاذا أخذنا في الاعتبار ساعات التمرين الطويلة التي أمضتها انجل ماشية على السلك حاملة هذا القضيب الثقيل طوال الوقت، لادركنا مدى الجهد الذي بذلته. وتشرح انجل الامر: "من الخطأ حمل قضيب التوازن في وضع مريح، اذ من الضروري أن تحمله أمامك ويداك نصف ممدودتين."

ما إن أتقنت انجل السير على السلك بيسر حتى بدأت ممارسة تمارين تمكنها من الجثوم والجلوس على السلك براحة تامة. وكان هدفها الاول تعلُّم تتبع خطى ستيف وتسلُّق كتفيه برشاقة. وعلى رغم طولها البالغ ١٦٥ سنتيمتراً، أي ما يفوق قليلاً الطول المثالي لهذه الحركة، فقد أتاح ستيف تحقيق هذه الغاية بما أوتي من قوة جسدية.

تقول انجل: "عندما أتقنت السير على علو متر واحد رفع ستيف السلك ثلاثة أمتار. فوجدت نفسي كمن يبدأ من جديد. إنه لأمر لا يصدق كيف ينظر المرء الى أسفل فينسى كل ما تعلمه."

وقد تعرضت انجل للانزلاق غير مرة، فكانت تتشبث بالسلك كي لا تسقط. وهي لم تسقط مرة.

وعلى رغم صعوبة تلك المهنة فقد عاشت انجل سعادة غامرة. تقول: "كنت أتعلم تقنيات جديدة كل يوم. فأحببت عملي وكل ما فيه."

إلا ان انجل بدأت تعاني مشكلة جانبية لازمتها أشهراً. كانت تشكو من انزعاج في صدرها رافقه احساس بأن رئتيها تمتلئان بمادة سائلة. وتحول قلقها ذعراً حين وجدت نفسها تبصق دماً كلما سعلت. اذذاك لم تجد بداً من استشارة طبيب. وبعد المعاينة واجراء فحوص مخبرية متنوعة شخَّص الطبيب أنها حامل.

قالت انجل للطبيب: "هذا رائع. ولكن أليس هناك أمر آخر؟ ماذا عن بصقي الدم؟"

فشرح لها الطبيب أن ذلك قد يكون ناتجاً من تمزق شريان صغير في رئتيها، وطلب منها ألا تقلق. فعادت مع زوجها الى البيت لمواصلة التمارين والاستعداد لاستقبال المولود الجديد.

تقول انجل: "أثارتني فكرة انجاب طفل، لكنني شعرت بأن ثمة خطباً."

واصلت انجل ممارسة التمارين القاسية. ومع الوقت ساورها قلق حيال اصابة قديمة في كاحلها الأيمن عندما كانت في الحادية عشرة من عمرها. بدا الامر وقتئذ مجرد التواء أليم، لكن السيدة التي كانت وصية عليها آنذاك اتهمتها بالكذب ولم تأخذها الى طبيب. ومنذ ذلك الوقت وانجل تداري كاحلها الأيمن.

ولكن كان ثمة أمر غير عادي في اصابة انجل. فقد بقي الجلد سليماً، ولكن تكونت في مقدَّم الكاحل – فوق حد الحذاء تماماً – كتلة مطاطة كانت كلما تعرضت لضربة، وإن طفيفة، تسبب لها ألماً شديداً يدوم ساعات أحياناً.

وفيما انجل تعيش حياتها الجديدة ازدادت اصابتها القديمة سوءاً على نحو مقلق. كما أنها استمرت تبصق دماً. ولم تبين صور الاشعة السينية (إكس) أي خلل في كاحلها أو صدرها. فنصحها الاطباء باستشارة اختصاصي اذا ما استمرت حالها هكذا بعد الولادة.

إلا ان انجابها ستيفن والندا الثاني زادها قلقاً. تقول: "أخبرني الاصدقاء أن شغفي البالغ بابني سيخف سريعاً. لكن ذلك لم يحصل. وبلغ من ولوعي به أنني كنت أسجل صوته على أشرطة. لقد أكمل ستيفن حياتنا."

★ خبر فاجع ★

لم يمضِ وقت طويل على ولادة ستيفن حتى عاودت انجل التمارين. وكانت تصطحبه معها، فتضعه في مهد الى جانب السلك. وراح الزوجان يخططان لعروض جديدة. لكن برنامجهما القاسي لم يثنهما عن استشارة عشرات الأطباء الاختصاصيين. لكنهما لم يجدا جواباً شافياً.

أخيراً بلغ الغضب من انجل حداً جعلها تحمل سجلاتها الطبية وتقتحم غرفة الطوارىء في المركز الطبي لمقاطعة سان برناردينو. وهناك أعلنت أنها لن تغادر المبنى قبل أن يشخص الأطباء مرضها.

واذ لفت عنادها اهتمام الاطباء، أصغوا بعناية الى قصتها، ثم اقتطعوا من كاحلها عينة أرسلوها الى عيادة مايو لاجراء فحوص عليها. فما كان من القيمين على العيادة إلا أن طلبوا عينة أخرى من موضع أعمق استلزم استئصالها تخديراً عمومياً. وعندما صدرت النتيجة حملت خبراً أليماً مفاده أن انجل مصابة بنوع نادر من سرطان الخلايا المغزلية[٣] استدعى بتر ساقها تحت الركبة مباشرة، وذلك في أواخر أغسطس (آب) ١٩٨٧.

يقول ستيف ان زوجته لم يرفّ لها جفن وهما يتداولان أمور المستقبل. فقد أخبرها الاطباء أن عليها ألا تتوقع أبداً العودة الى مهنتها. كذلك كان رأي أقرباء ستيف، وهم الخبراء في فن السير على الاسلاك. وقال لها أحدهم: "لا فائدة من المحاولة يا انجل، فالامر مستحيل."

أجمعت الآراء على أن عودة انجل الى مهنتها أمر غير ممكن أبداً، لأن السير على سلك يتطلب احساساً مرهفاً في القدمين ومرونة تامة في الكاحلين.

وبعد فترة انتظار حصلت انجل على ساق اصطناعية. ثم أمضت أشهراً تخضع لعلاج فيزيائي مستعينة بعكازين أولا ثم بعصا. وأخيراً نجحت في السير على ساقها

(٣) Spindle cell cancer called leiomyosarcoma

الاصطناعية. وكانت طوال هذه الاشهر تفكر تكراراً في ما قد تحسه اذا ما جربت السير على سلك، وهي تعلم أن أحداً لم ينجح في ذلك من قبل. لكن معرفتها تلك لم تمنعها من تنفيذ الخطوات في ذهنها مئات المرات.

أما الناحية الايجابية التي رأتها انجل في كل ذلك فكانت أن جسدها – كما أخبرها الاطباء – بات خلواً من المرض العضال.

بعد أربعة أشهر من بتر ساق انجل وعودتها الى بيتها وجدت نفسها على أهبة لمحاولة المستحيل: السير على سلك بساقها الاصطناعية.

وقف ستيف تحت السلك يراقب محاولتها الاولى عن كثب. ووقفت انجل بتؤدة على السلك، ثم أخذت تتقدم ببطء مراقبة قدمها الاصطناعية في كل خطوة.

تقول: "تطلب مني الامر تركيزاً يفوق التصور، لأن السير على الاسلاك يتطلب أن يبقى المرء متوتراً ولكن مرتاحاً في آن، كما يحتاج الى رشاقة ولباقة مميزتين. وكنت أحاول أن أتذكر دائما أن عينيَّ، لا قدميَّ، هما المرتكز الذي يتحكم ببقائي متوازنة فوق السلك."

وما ان بلغت انجل الطرف الآخر من السلك حتى هتف ستيف جذلا. لكن انجل لم تخط الى المنصة، بل وقفت في مكانها ثم استدارت عائدة من دون أن تهمل التدقيق في كل خطوة بقدمها الاصطناعية. فلبث ستيف في مكانه صامتاً. وعندما بلغت انجل منتصف المسافة وقفت على قدم واحدة وهي تنظر الى زوجها القابع تحتها. وما ان تلاقت نظراتهما حتى فاض محياها بابتسامة رضى ومحبة وثقة.

عندما عاد الزوجان الى بيتهما ذلك المساء شعرت انجل بألم يخترق صدرها.



وثقل تنفسها حتى كاد يتوقف. فنقلها ستيف الى غرفة الطوارىء حيث شخَّص الاطباء أن احدى رئتيها توقفت عن العمل. فسألتهم انجل إنْ كان لذلك علاقة ببصق الدم. فنفوا هذا الاحتمال. ثم شرحوا لها أن انهيار رئتها هو في الواقع حادث عرضي قد يصيب أي انسان يمارس نشاطاً جسدياً مرهقاً. وسرعان ما نفخوا رئتها بالهواء وباشروا اجراء الفحوص اللازمة.

شاركت انجل في غرفتها في المستشفى مريضة اسمها دارلين وايت وعمرها ٣٣ عاماً. وعلى مدى يومين راحت المريضتان تتبادلان أطراف الحديث وتقارنان بين حياتيهما. وقد شُدهت وايت لشجاعة انجل ولباقتها، وكانت وقتئذ في التاسعة عشرة من عمرها. وأكثر ما أدهشها انفتاح الشابة وطيبتها ورغبتها الصادقة في الاصغاء الى قصة حياتها.

قبعت انجل تنتظر ظهور النتائج وهي في الواقع عالمة بحقيقة مرضها. تقول وايت: "لم تكن انجل خائفة من سرطان الرئة، بل بَرِمة من انتظار التشخيص وتواقة الى الشروع في ما يرتئيه الاطباء من علاج. وكانتَ ثمة قوة بحتة في اصرارها على أن السرطان لن يقوى على تحطيم حياتها التي أزمعت على ملئها بكل ما لديها من قوة. واني على ثقة بأنها عنت كل كلمة قالته."

بعد ثلاثة أسابيع على عودة انجل الى بيتها تعطلت رئتها مجدداً. فأدرك أحد الاطباء أن العلة قد تكون ناتجة من سبب آخر. ونقلت انجل الى مركز "مدينة الامل" الطبي حيث أخضعت لفحوص جديدة.

وسرعان ما أعلن الاطباء أن انجل مصابة بالسرطان. وعمدوا الى اقتطاع نصف رئتها اليسرى. وبعد ثلاثة أشهر أُخضعت لجراحة جديدة اقتطع فيها جزء من رئتها اليمنى.

استعادت انجل عافيتها بعد أسابيع مضنية من العذاب اقترن فيها الألم الجسدي بالاحباط الناجم عن عجزها عن العناية بزوجها وابنها والغيظ من لامبالاة الاطباء الذين عاينوها من قبل. إلا أنها، كما قال ستيف، لم تظهر ما اعتمل داخلها من مرارة.

وما أن حل شهر أبريل (نيسان) ١٩٨٨ حتى رزحت العائلة تحت وطأة الفواتير الطبية الهائلة، خصوصاً لأن ستيف انقطع عن العمل بسبب مرض زوجته.

فكيف لشابة في هذا العمر اليانع أن تتغلب على عقبات ومصاعب كهذه؟

تقول انجل: "عدت بالذاكرة الى تلك الرؤيا التي طالعتني وأنا طفلة، ومدى ما منحَتْنيه من ثقة بالنفس. فارتاح قلبي وآمنت بأن السرطان الذي أصابني قد ولى. كنت متفائلة بصدق، فالتشاؤم مضيعة للوقت والطاقة. ووثقت بأني قادرة على تحقيق أقصى ما يمكن من نتائج ايجابية. ولم يخالجني أي شك في أني لا بد عائدة الى الاسلاك."

درج الزوجان على وضع "حظيرة" ابنهما ستيفن والندا الثاني الى جوار التجهيزات التي كانا يمارسان تمارينهما عليها. وكان الطفل، حتى قبل أن يقوى على المشي، يقلد حركات والديه ويصرخ جذلاً كلما ناداه أبوه من فوق السلك أو رفعته أمه لتضمه الى صدرها.

وعندما بلغ ستيفن شهره الحادي عشر بات قادراً على النهوض مستندا الى جوانب حظيرته النقالة، ثم يفلتها ليقف وحده في وسط الحظيرة. وسرعان ما بدأ المشي متجاوزاً مرحلة الدبيب كليا، وصار يلعب على الارجوحة أمام الجمهور ليصبح "أصغر بهلوان في العالم."

كان ارتفاع سلك التدريب الاسفل لا يتجاوز متراً، فلم يمضِ وقت طويل حتى تمكن والندا الصغير من السير عليه ماداً احدى يديه جانباً وممسكاً بالاخرى يد والدته. تقول انجل: "ربما بدا ذلك ضرباً من الجنون، لكن ستيفن كان يسير على السلك براحة كادت تضاهي سيره على الارض."

★ في خضم المخاوف ★

في يوليو (تموز) ١٩٨٨ عادت العائلة الى نيويورك بعدما أنهكتها الصعوبات المادية، ومكثت مع أقارب. وسرعان ما عاد الزوجان الى التمارين المكثفة.

يتطلب السير على الاسلاك قدرات جسدية هائلة. فقضيب التوازن وحده – ٣٠ كيلوغراماً لستيف و١٥ كيلوغراماً لانجل – هو في ذاته عبء يسبب للعضلات ألما وتشنجا. أما التوازن فيتطلب تركيزاً فائقاً يتناول احتساب الريح وترجُّح السلك ومدى استقرار عمود المنصة. واذا ما سار على السلك شخصان أو أكثر، فعلى كل منهم أن يتآلف كلياً وأي حركة فردية يأتيها كل عارض آخر.

أما السؤال الصعب فهو الآتي: هل تستطيع انجل الاضطلاع بهذا الدور على رغم ضمور سعة رئتيها الى النصف؟

كان عليها، في الواقع، أن تحتسب مقدار ما تستهلكه من هواء ومدى قدرة جسدها على حملها قبل أن ينهار. وهذا أمر يماثل الاضطرار الى التمهل لالتقاط النفس في منتصف المسافة التي اعتاد المرء أن يجتازها راكضا بيسر. وكانت تلك مفاجأة خطرة بالنسبة الى انجل وهي تسير على الاسلاك العالية.

والى ذلك، كانت انجل كلما أرهقت نفسها بالتمارين تشعر كأن عضلات صدرها تتمزق. وشرح لها الاطباء أن هذا الاحساس ناجم عن ابتناء عضلات ظهرها وصدرها التي جُرِّحت واجتُزت خلال الجراحة. وكانت انجل ما زالت عاجزة عن رفع يديها فوق رأسها. وهي لم تعد تشعر بألم، ولكن أقلقها كثيراً احساسها كأن قفصها الصدري

فارغ. وهو شعور كان يرهبها ويذكرها على الدوام بانها فقدت جزءاً كبيراً من رئتيها.

كل ذلك، اضافة الى أنها تمشي على ساق اصطناعية، جعل هدفها معوقاً بتحديات فاقت التصور. إلا أن انجل وجدت أن الوقت حان لتسير منفردة بعد تمارين دامت مئات الساعات. وذات يوم وقفت على المنصة استعداداً للسير على سلك علا أربعة أمتار وامتد مسافة عشرة أمتار. ثم أخذت نفساً عميقاً فيما وقف ستيف تحتها ليرشدها الى المواقع الصحيحة التي ينبغي أن تطأها بقدمها اليمنى.

في تلك اللحظة أحست انجل للمرة الاولى في حياتها بخوف جمَّد أوصالها وشلَّها عن الحركة. وجالت بفكرها أفكار عن مدى ما لا تعرفه عن ضعفات جسدها وعن أناس يموتون أو يُشلّون لدى سقوطهم من ارتفاع أربعة أمتار.

وقفت انجل على المنصة ساعتين محاولة استجماع شجاعتها. ومرت برهة ظنت خلالها أن نوبة قلبية أصابتها. وزعمت لزوجها تكراراً أن الريح تهب بعنف وأنها تعاني تعباً بالغاً. وبلغ منها الخوف حداً جعلها تتذمر حتى من نباح كلب بعيد.

وعندما خطت على السلك أخيراً خالفت قاعدة رئيسية بتحركها على نحو متقطع وتوقفها تكراراً مما جعلها تنوء بثقل قضيب التوازن. وبعد لأي دام ٢٥ دقيقة نجحت في اجتياز السلك. ثم نزلت عن المنصة مجهدة يهدها الارهاق، وارتمت بين ذراعي ستيف تبكي وتضحك في آن.

★ نعمة الامل ★

عندما استعادت انجل قواها مع الوقت أحست بالثقة تتوهج مجدداً في كيانها. وهي تقول: "جنيت طوال حياتي ثمار تفاؤلي وتصميمي. وكنت في أعماقي مؤمنة بأني سأجتاز هذه المحنة بنجاح. ولكم كان رائعاً أن أرى ذلك يتحقق مجدداً."

بحلول أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٨، بعد ستة أشهر على الجراحة الاخيرة، بلغت مهارة انجل في السير على السلك حداً جعل احدى محطات التلفزة في كاليفورنيا تقدمها في برنامج خاص أدهش الحضور في الاستديو والمشاهدين قاطبة. وبدأت انجل عرضها بالسير على سلك في اتجاه ستيف الذي وقف ينتظرها على المنصة المقابلة. وما ان وصلت الى هناك حتى انكفأت عائدة وسارت على السلك متتبعة خطى ستيف. ثم تسلقت الى كتفيه. وقبل بلوغ الثنائي المنصة المقابلة نزلت انجل عن كتفي زوجها وعبرت المسافة الفاصلة ويداها على كتفيه، تماما كما فعلت في عرضهما الاول.

تجاوز نشاط ستيف وانجل عالم الاستعراض ليشمل مساعدة الآخرين عبر مؤسسات مثل "الجمعية الامريكية للسرطان" و"مركز مدينة الامل الطبي." وعادت

السعادة الى حياتهما، خصوصا بعدما وجدت انجل نفسها منهمكة في مهمة كبيرة جعلت من حياتها قدوة يحتذيها الآخرون.

تمكنت انجل بفضل التغطية التلفزيونية والصحافية من بلوغ ملايين المشاهدين وزرع الامل في قلوب الالوف ممن قهرتهم الحياة. فكتب اليها كثيرون رسائل وبطاقات شكر تحدثوا فيها عن تجاربهم متمنين لها الصحة والتوفيق في مساعيها. وهكذا باتت تلك الفتاة المشردة مرشدة للآخرين تقود خطاهم خارج وهدة اليأس والضياع.

ومن هؤلاء رينه رومل (١٧ عاما) التي كانت تعاني كآبة طاغية بعد بتر ساقها في حادث دراجة نارية. كانت رينه غارقة في حزنها وقنوطها، وذات يوم وضع أحد الاصدقاء في يدها مقالا نشرته احدى الصحف عن انجل والندا. فقرأته رينه وهي تكاد لا تصدق ما ورد فيه، حتى انها أعادت قراءته ست مرات. وهي تقول: "كانت حال انجل تفوق حالي سوءا، لكنها صممت بعزم ثابت على مواصلة حياتها غير عابئة بالصعوبات. ويوم قرأت عنها علمت أني سأكون بخير."

وفي يونيو (حزيران) ١٩٨٩، بعد سبعة أشهر على عودة انجل الى السير على الاسلاك، عاد الألم يحز في صدرها وعادت تبصق دما. وللحال قصدت أحد الاطباء في نيويورك وأخبرته خشيتها من أن تكون علة رئتيها عاودتها. ولكن صعقها قول الطبيب أن لا أهمية للاعراض التي أحستها.

انتقلت العائلة الى جبال بنسلفانيا الوسطى حيث التقت انجل، وقد نفرت من أطباء المدينة، طبيبا محليا أصغى باهتمام بالغ الى كل ما قالته وأجرى لها فحوصا جديدة، ثم أكب على دراسة ما توافر لديه من معلومات. وسرعان ما اتضح له أن الورم السرطاني عاد الى رئتيها.

ونتيجة مشاورات أجراها جراحون من بنسلفانيا مع الفريق الطبي الذي عالج انجل في مدينة الامل، قر الرأي على ضرورة اجراء جراحة جديدة يستحسن أن تتم في كاليفورنيا وعلى أيدي الاطباء الذين عالجوها سابقا. وقضت الخطة الاولية باقتطاع جزء كبير من رئتيها بحيث يتحتَّم وصل انجل الى جهاز أوكسيجين على نحو دائم كيما تستطيع العيش.

تقول انجل: "كان الخبر الجيد في كل ذلك امكان انقاذ حياتي. وكنت واثقة، على رغم اقتطاع جزء من جسدي، من قدرتي على القيام بأعمال نافعة ما دمت حية."

ملأت هذه الروح الرائعة قاعة العرض في جامعة مانسفيلد في شهر مارس (آذار) ١٩٩٠. وكان الزوجان والندا عادا الى العمل من أجل جمع المال اللازم لرحلتهما الكئيبة الى كاليفورنيا.

وكانت انجل كعادتها تختلط بالجمهور بعد كل عرض وتتحدث الى كل من تلتقيه بمحبة وحنان. فكيف استطاعت هذه الشابة استمالة الناس بمثل هذا الدفء وهي تنوء تحت وطأة المرض العضال؟

حين سئلت انجل عن ذلك أطرقت للحظة في تفكير حالم، وهدأت عيناها الزرقاوان الكبيرتان واستكانت حركاتها ثم قالت: "عندما أقف عاليا وأسير على السلك بساقي الاصطناعية ينظر إليّ الناس باهتمام حقيقي ويرون أني أبذل قصارى جهدي لأعيش حياتي بأفضل ما أوتيت. وعندما يفكر الناس في ذلك يعمدون الى التفكير في أنفسهم، ويكتشف بعض منهم كيف يستطيعون العيش على نحو أفضل."

وما ان فرغت انجل من كلامها حتى دبت الحياة مجدداً في عينيها وعاد المرح والحماسة الى صوتها. ثم أضافت بصدق طفولي: "لهذا أفعل ما أفعل. ولربما كان ذلك الهدف الرئيسي من وجودي هنا."

★ "لن ابقى هنا" ★

انطلقت انجل في رحلتها الى كاليفورنيا مقودة بوعد خالج نفسها بأن الأطباء سيتمكنون أخيراً من القضاء على المرض القاتل الذي ألمَّ بها طويلا. وكان أطباء مركز مدينة الامل ينتظرون قدومها. وفي يوم الجمعة الموافق ١٦ مارس (آذار) التقت انجل أحد جراحيها، وأسعدها ما أبداه من تفاؤل فاق توقعاتها. ومع أن الجراح حدد لها برنامج فحوص شاملا، إلا أنه أضاف أن النتائج قد تكون أفضل مما تظن.

كان لهذه التوقعات المشجعة وقع رائع في نفس انجل وستيف وابنهما عندما خلدوا الى الراحة مساء في غرفتهما في الفندق. فلقد بات محتملا أن يُستأصل الورم السرطاني من دون اقتطاع جزء كبير من رئتي انجل بحيث لا تضطر الى الاعتماد على جهاز الاوكسيجين.

أمضت انجل ساعات خاضعة للفحوص. ثم رُفعت النتائج الى لجنة أطباء السرطان في المستشفى لاقرار ما يجب أخذه من اجراءات.

وفي اليوم التالي توجه أفراد العائلة الثلاثة الى عيادة الطبيب لتبلُّغ النتائج. فجلس الطبيب مرتدياً بزة الجراحة، ثم نظر بكآبة الى انجل وقال: "لا سبيل الى اجراء جراحة. فالسرطان انتشر في رئتيك، وليس هناك ما نستطيعه."

فران على الغرفة صمت ثقيل.

ثم سألته انجل: "ماذا ينبغي عليّ أن أفعل؟"

فشرح لها الطبيب ماهية العلاج الكيميائي قائلا إن في وسعه تحديد موعد لها لاستشارة مجموعة اختصاصيين. وأضاف أن احتمال ابطاء امتداد السرطان قد

يراوح بين ٣٠ و٤٠ في المئة. ثم حدثها عن حالات نجح فيها العلاج على رغم أنه قد يسبب أعراضا جانبية و...

وكانت انجل ألفت مثل هذا الكلام.

فقالت: "لن أخضع لأي من هذه العلاجات." كان واضحا لها أن الوقت حان لتتكل على نفسها مجدداً، مقودة بالروح القوية اياها التي أرشدتها في طفولتها. فشكرت الطبيب قائلة: "سأغادر المستشفى وأعود الى بيتي وأحيا حياتي."

عادت انجل وعائلتها الى الفندق حيث قبعت مصعوقة بالنبأ. لا أمل طبيا لها!

وسرعان ما عادت تستجمع قواها النفسية والعاطفية، فوقع نظرها على دزينة من الورود الحمراء متروكة على طاولة الزينة في الغرفة. فابتسمت وهي تراجع في فكرها أحداث الصباح. فقبيل مغادرتها الغرفة لملاقاة الطبيب في المستشفى، رن جرس الهاتف وتحدث اليها مدير الفندق يونغ كانك داعيا العائلة الى موافاته في البهو حيث قدم الى انجل وردا أحمر وقالب حلوى مزدانا بشموع لمناسبة عيد ميلادها الثاني والعشرين.

ذات يوم من أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ وقفت انجل أمام منزل العائلة على احدى قمم جبال أليغني في بنسلفانيا تساعد ابنها على ارتقاء منصة سلك المشي. واذ جالت بنظرها في الغابات المجاورة تلألأت لها الاشجار بألوان الخريف الذهبية، وأطلت الشمس بنورها الدافىء مضيفة الى شعر الام والابن شقرة ذهبية. كان ستيفن والندا الثاني في عامه الرابع، وقد بدأ السير على السلك قبل سنة وأدى عروضا مع والديه أمام ألوف المشاهدين مربوطا بحبل نجاة. لكنه في ذلك اليوم الخريفي شاء أن يسير على السلك منفردا من دون حبل يقيه السقوط أو شبكة تتلقفه. ولما كان علو السلك لا يزيد على ١٢٠ سنتيمترا فقد وافق والداه على ذلك.

وقف ستيف الى الجانب الآخر من السلك الممتد مسافة تسعة أمتار يراقب ابنه ويرشده بلطف صارم الى أصول امساك قضيب التوازن البالغ وزنه سبعة كيلوغرامات. وكان ستيفن صبيا ذكيا مفعما بالنشاط والحيوية. وفجأة شد عضلات وجهه وصرم شفتيه بغرابة يندر أن تنم عن وجه طفل ناعم. ثم سار منقِّلا قدميه الصغيرتين على السلك بخطوات صحيحة فيما قضيب التوازن يتمايل بين يديه متناغما مع حركاته.

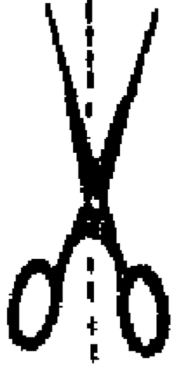
لم يعتر تركيز ستيفن أي شائبة، غير أنه كان ممتعضا من والدته التي كانت تسير وراءه احتياطا على نحو مسَّ كرامته. كانت حركات الصبي متناغمة تماما وقوى الطبيعة، كمثل النسر الذي عبر قبة السماء الزرقاء فوقه وجناحاه يتمايلان بانسجام طبيعي مع هبوب الريح. كانت الميزات الوراثية الكائنة في حنايا هذا الصبي هي اياها التي قادت حركة أسلافه من أبناء الوالندا طوال قرون.

الرجاء ارسال القسيمة والشيك بالبريد المسجل (المضمون)
الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

وعندما بلغ ستيفن نهاية السلك صفق له والداه استحساناً. فارتسمت على محياه ابتسامة كبيرة، وهرعت انجل تضمه وتقبله بسعادة قبل أن ينفلت منطلقاً لملاعبة كلب العائلة.

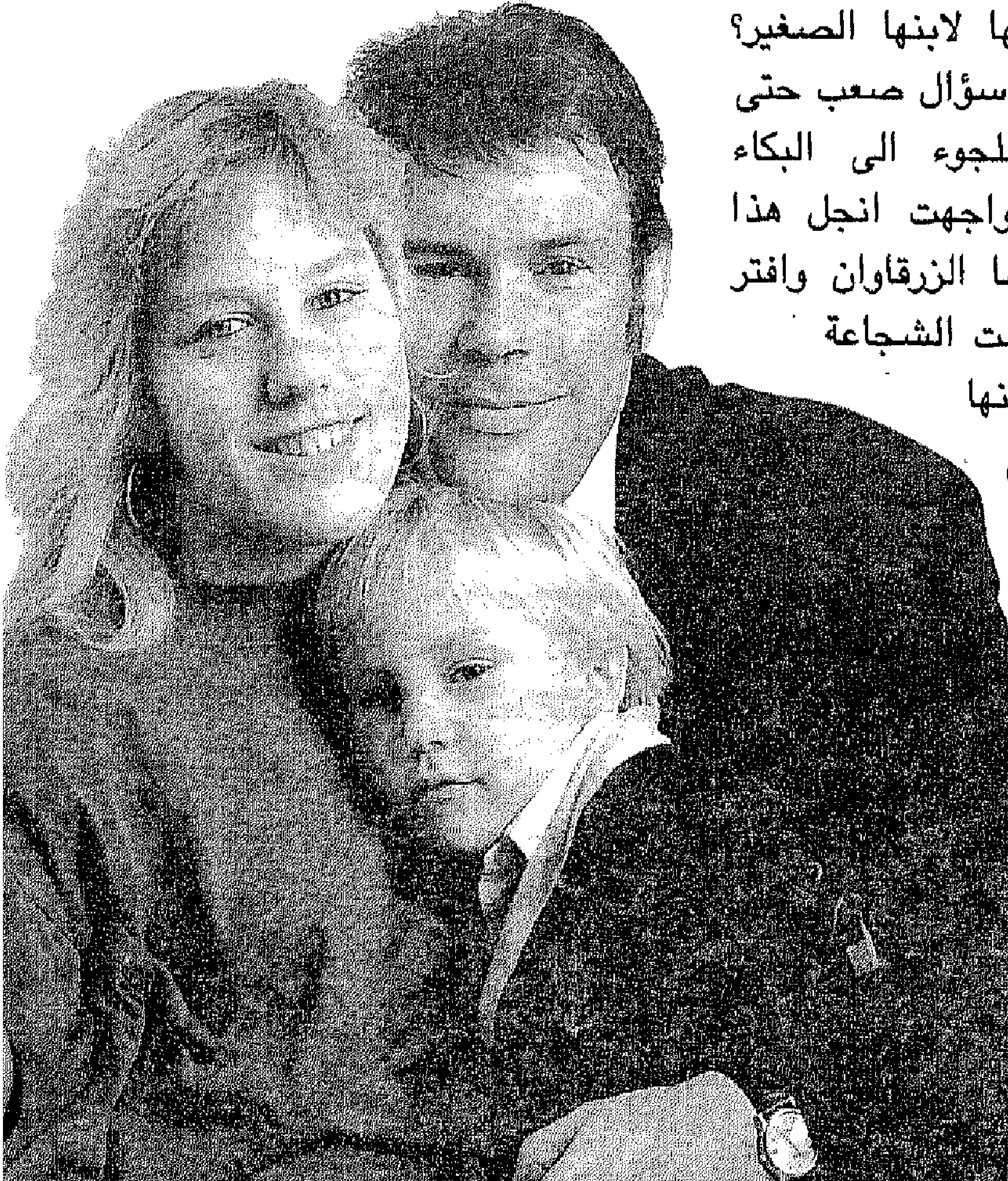
شرحت انجل لابنها انها مقبلة على الموت. وهي تقول: "كنت كلما تحدثت إليه في هذا الامر أراه يزداد فهماً للواقع. كنت أخبره عن كل شيء ببساطة، ثم أتيح له طرح الاسئلة. تحدثت إليه عن الله، عز وجل، وعن السماء، الى أن فهم الوضع تدريجاً."

يدرك ستيفن أن والدته، وإن تكن لا تشكو من شيء، مصابة بعلة بالغة في جسدها. وهو يشرح أن السرطان يمتد من صدرها الى قدمها. ودفعته هذه الاعتبارات الى سؤالها مرة: "حين تموتين يا أمي، هل تحصلين على جسد جديد؟"

فأجابته انجل: "نوعاً ما. لكني لن أبقى هنا."

وكان ستيفن يشعر بحزن بالغ كلما فكر في هذه الامور.

لا شك في أن ليزي بنتيا الصغيرة التي اعتمدت في حياتها على ما حباها الله من قوة فطرية هي عميقة المعرفة بمسالك الطفولة. ولكن ماذا عن انجل والندا ابنة الرابعة والعشرين التي كتب لها أن تترك ابنها يتيماً؟ ما هي وصيتها لابنها الصغير؟



لا شك في أن هذا سؤال صعب حتى على فتاة رفضت اللجوء الى البكاء صغيرة. ولكن حين واجهت انجل هذا السؤال التمعت عيناها الزرقاوان وافتر ثغرها عن كلمات عكست الشجاعة اياها التي أبداها ابنها عندما سار على السلك: "هناك أشياء كثيرة، ولكن خلاصة القول اني أريد أن يتطلع ابني الى ما يملكه في ذاته، لا الى ما يفتقر إليه. فاذا فعل ذلك وفقه الله وغدا في أحسن حال."

وكم تبقى لها من العمر؟

لم تطرح انجل هذا السؤال قط. ولطالما منعت الاطباء من إخبارها بذلك. تقول: "لا يعلم الاطباء ما كتب لي من عمر. الله وحده هو العالم. وفي أي حال، لا أريد أن أعرف أبداً متى تأذن ساعتي. هل فكرتم يوماً في الفوضى التي ستعم العالم اذا علم كل انسان ما يخبئه له القدر؟ سأعيش حياتي كاملة ما دمت قادرة على ذلك."

وتضيف انجل: "لقد زادتني طفولتي المعذبة قوة. فلو عشت حياة هانئة في كنف أناس أحسنوا رعايتي، لما استطعت جبه ما جدَّ عليّ من مصاعب."

منذ القِدم والفلاسفة والعلماء حائرون في منابع الايمان والقوة الروحية المتمثلة في أشخاص مثل انجل والندا، تلك المرأة التي ذاقت من الحياة قساوة بالغة. فأين وجدت هذا الايمان الذي لا ينفك الناس العاديون يحاولون بلوغه في حياتهم اليومية؟

تجيب انجل ببساطة: "وهبني الله كل ما احتجت إليه. فأنا وُلدت هكذا. والله، عز جلاله، يمنح الجميع هذه النعمة، وما علينا سوى الافادة منها."

لم تنسَ انجل يوماً تلك التجربة التي عاشتها وهي في الخامسة من عمرها، فما زالت تذكر "زيارة" الطيف الذي مدها بالراحة والسلام وبشعور لذيذ بالتخصيص. تقول: "ما زلت أعجب لأني رأيت شيئاً لا يراه الا قليلون... شيئاً أبعد من مادة هذا العالم. وهذا ما زادني ايماناً بالله القادر على كل شيء، وبثقة بالنفس لازمتني الى اليوم.

"أنا أدرك أني لا أفهم كل شيء، لكني لم أشك يوماً في أن الامور تحدث وفق ما أراد الله عز وجل. واني آمل – وأصلي – أن يداخل قلب زوجي وقلب ابني مثل شعوري هذا."

فما رأي ستيف والندا في نظرة زوجته الى الحياة؟

يقول: "مذ التقيتها وأنا أفكر في هذه الامور. لقد امتلكت نفسها حقاً ذلك السلام المعطى الذي يفوق كل ادراك."

وكيف سيواجه فقدان انجل؟

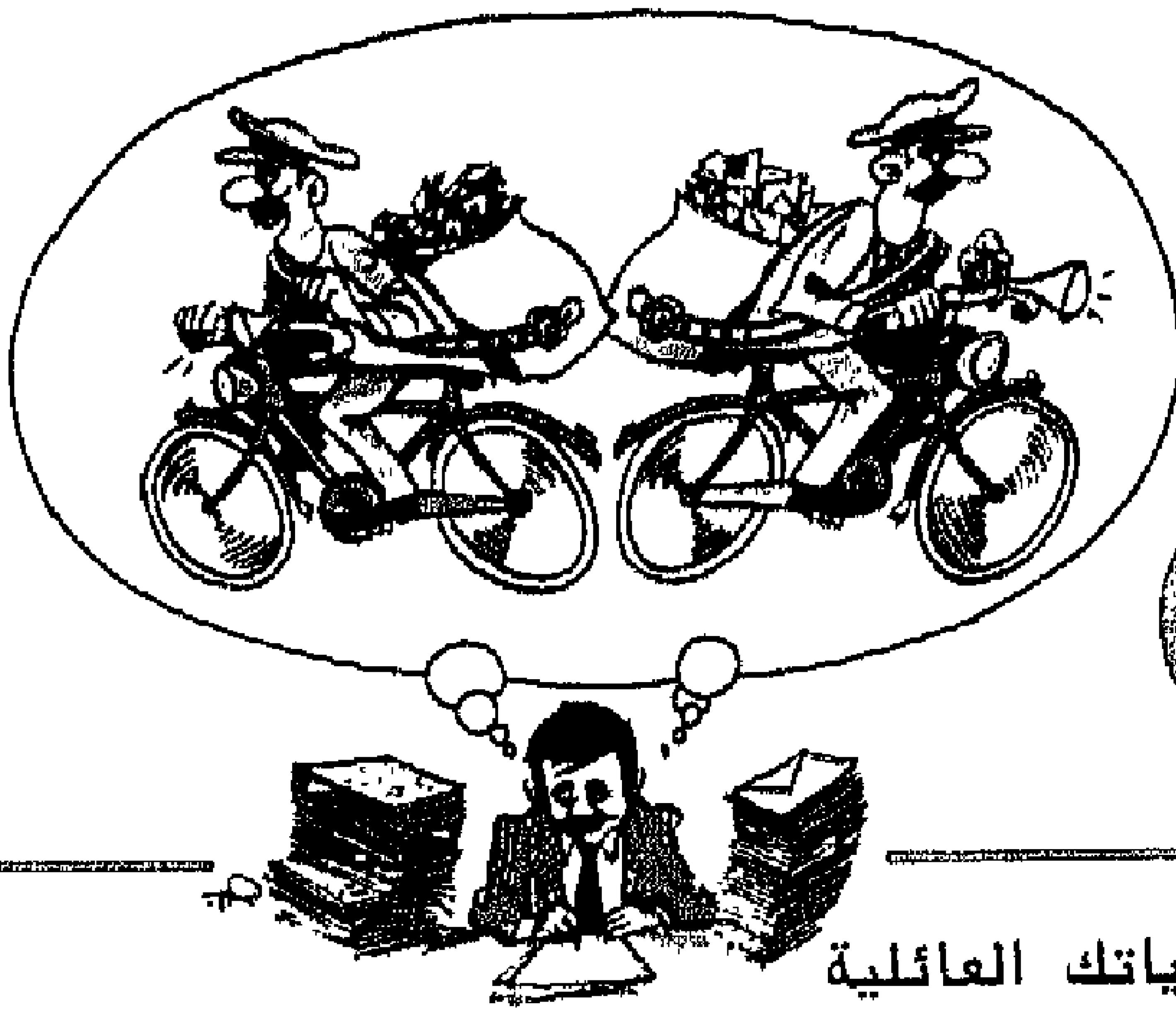
أجاب وقد طغت الرقة على صوته الأجش الخفيض الممزوج بلكنة أجداده الالمان: "انجل دائمة العطاء، تمنح من ذاتها بلا حساب. تلك هي طبيعتها وسر جمالها. يقولون انها ستموت. ونحن على استعداد لتقبل هذا الواقع الذي هيأتنا انجل لتقبله بنفس رضية."

وصمت ستيف والندا برهة يفكر في ما قاله، ثم أضاف: "نعم، نحن على استعداد."

هنري هورت ■

ترجمة فريد شديد

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

* كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
* كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
* ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
* ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
* تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
* لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
* لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"الازرق" - مائية للفنانة الامريكية نانسي هاغن، ١٩٨٣

ابريل (نيسان) ١٩٩٢ – شوال ١٤١٢

Reader's Digest
المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest April '92 N° 161

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً

بوش في خطر؟
(ص ٢٠)

(ص ٤٤)

ماذا تفعل عندما يضيق سروالك؟
(ص ٩٨)

أم الحرية
(ص ٥٤)



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية - باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية - بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح - باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت - لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١)
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ - ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ - ص.ب ٦٨٨ - ١١ بيروت - لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية - لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.



AL MUKHTAR min Reader's Digest

Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
FAX (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

لبنان	١٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الأردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالا.
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالا
مسقط	١ ريال.
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢،٥ دولار.

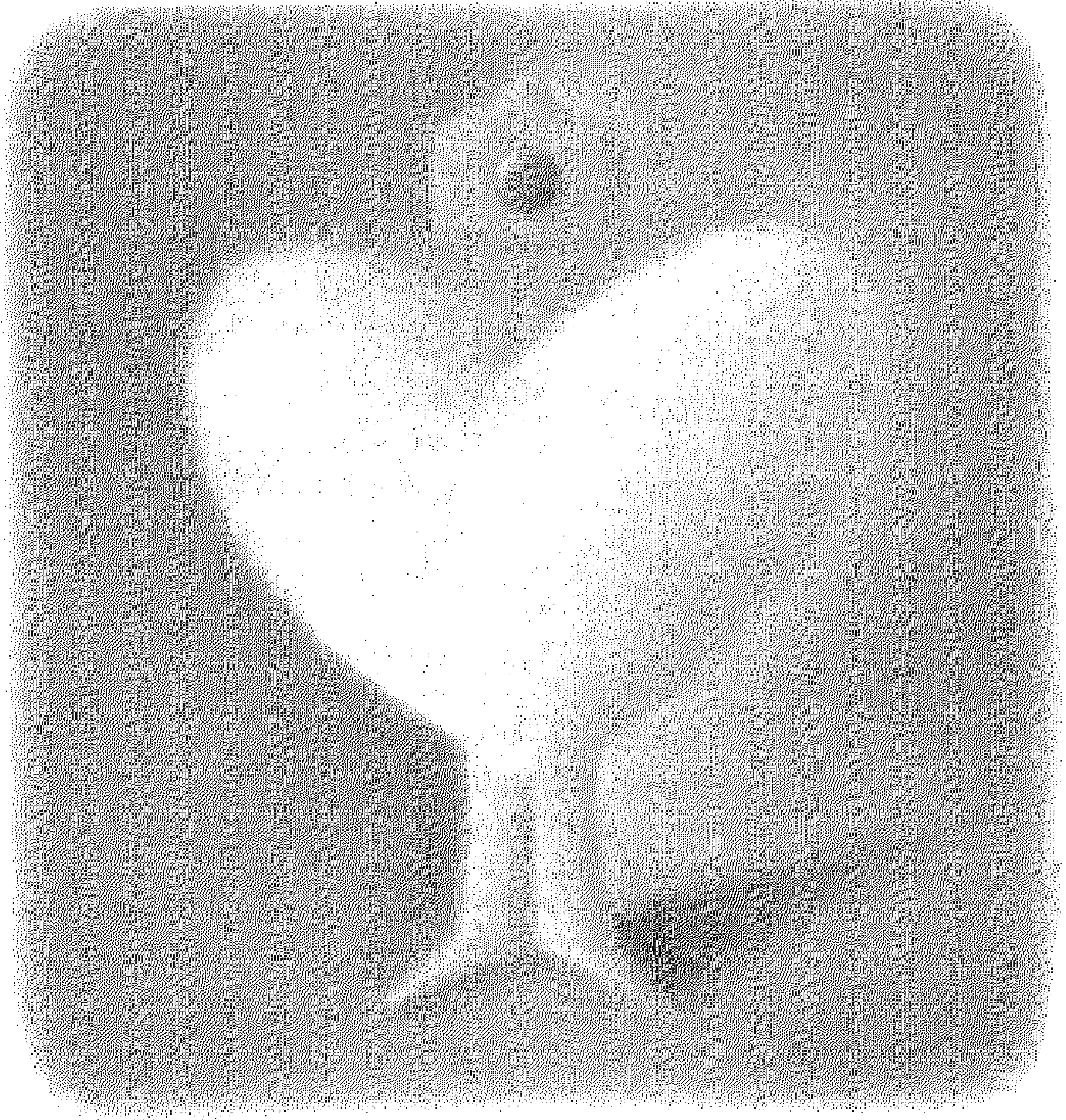
ريدرز دايجست
المؤسسان: دي ويت والاس وليلي اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية
رئيس التحرير: كنيث تomلنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

April '92 N° 161 (New Series) Vol. 14

مسابقة «مازدا»

اظهر وجهة نظرك ونحن نعرضها على العالم



هذه فرصة سانحة للتعبير عن نفسك ولاشراك العالم في مشاعرك واذا كانت صورتك بين الصور الـ١٥ الفائزة بالجائزة الاولى، فأنك لن تحصل على ٣٠٠٠ دولار اميركي فحسب، بل ان صورتك الفائزة ستزين بها "مازدا" روزنامتها الانيقة للسنة ١٩٩٣. كذلك سينال كل من الفائزين الـ٤٥ بالجائزة الثانية ٥٠٠ دولار اميركي.

اذا صوب كاميراتك نحو "مازدا" وابد لنا وجهة نظرك الخاصة.

اننا نحب ان نعرضها على العالم

للتصوير الفوتوغرافي ١٩٩٣

Mazda Photo Contest '93

الشروط

١. هذه المسابقة التي ترعاها شركة "مازدا"

Mazda Motor Corporation, 3-1 Sinchi, Fuchu-Cho, Aki-gun, Hiroshima, Japan.

مفتوحة امام اي مصور، سواء اكان هاويا ام محترفا. موضوع المسابقة هو: "لنمرح مع سيارات مازدا وشاحناتها" ان شراء سيارة "مازدا" او اقتناؤها ليس ضروريا للاشتراك في المسابقة.

٢. الاشتراك يكون بشريحة (Slide) ملونة، قياس ٣٥ ملم مركبة افقيا، تضم اسم المشترك وبلده. يستطيع المشترك التقدم بعدد السلايدات الذي يريد. وكل واحدة يجب ان ترافقها قسيمة موقعة منه (القسائم متوافرة لدى اقرب وكيل لسيارات "مازدا") او ورقة شخصية موقعة من المشترك تتضمن التفاصيل الآتية مطبوعة او مكتوبة باحرف كبيرة واضحة:

١) الاسم ٢) العمر ٣) الجنس ٤) العنوان ٥) البلد ٦) الوظيفة ٧) رقم الهاتف ٨) عنوان (موضوع) الصورة ٩) تاريخ التقاط الصورة ١٠) مكان التقاط الصورة ١١) اسماء الاشخاص الظاهرين في الصورة ١٢) الدافع الى التقاط الصورة: أ - مجلة ب - وكيل ج - عائلة / أصدقاء / أصحاب د - آخرون. (حدد)

اسمك
السلايد
اسم البلد

٣. الفيلم يجب ان يركب افقيا كما في النموذج.

٤. يجب ان تصل الشرائح بين اول فبراير (شباط) ١٩٩٢ و٣٠ يوليو (حزيران) ١٩٩٢ ضمنا الى العنوان الآتي:

Mazda Photo Contest
P.O.Box 93, Kyobashi Post Office
Tokyo — JAPAN

و"مازدا" ليست مسؤولة عن اي ضياع او تلف للسلايدات، ولا عن السلايدات التي تصل متأخرة او تذهب الى غير هذا العنوان.

٥. سيتم اختيار ١٥ فائزاً بالجائزة الاولى ينال كل واحد منهم ٣٠٠٠ دولار امريكي. وخصصت ٤٥ جائزة للفائزين بالمرتبة الثانية، قيمة كل منها ٥٠٠ دولار. تدفع قيمة الجائزة اما بعملة بلد الفائز، استنادا الى اسعار الصرف عند الدفع، واما بالدولار الامريكي. تعطى جائزة واحدة في العائلة الواحدة. والجائزة اسمية غير قابلة للمبادلة.

٦. ستنظر في السلايدات المشتركة في المسابقة لجنة خاصة بمسابقة التصوير للسنة ١٩٩٣، وهي هيئة مستقلة من الخبراء، وتعتمد في حكمها: الابداع، التأليف والتقنية التصويرية. وحكم اللجنة سيكون نهائيا.

٧. ويبلغ الفائزون بواسطة البريد، وتنشر اسماؤهم في الـ"ريدرز دايجست" لشهر ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٢. وهذا التاريخ ممكن تعديله.

٨. ان الصور تقبل والجوائز تقدم على اساس ان الصور اصلية وانها ملك حصري للمشترك ولم تعرض على النشر في آي مكان ولم تقبل فيه كذلك.

٩. تحتفظ "مازدا" بكل الصور ولا تعيدها الى اصحابها.

١٠. تحتفظ "مازدا" لنفسها بحق استعمال الصور ونسخها ونشرها وعرضها في نطاق هذه المسابقة او في اي نشاطات ترويجية، كما تحتفظ بكل الحقوق العائدة الى الصور الفائزة بما فيها حق نسخ او نشر او عرض الصورة في اعلانات "مازدا" الموجهة الى المستهلكين او لاي شان آخر.

وعلى اي مشترك في هذه المسابقة ان يحصل على اي موافقات ضرورية، تحقيقا لهذه الاغراض، من الاشخاص الذين يظهرون في الصورة، فضلا عن الاغراض او الاشياء التي تظهر في الصورة.

ويبرىء المشترك ذمة "مازدا" من اي ضرر او تعويض ينشأ من اي مطالبة او مسؤولية تنتج من نشر الصورة المقدمة الى المسابقة او عرضها.

ومن اجل هذا الغرض، يطلب من جميع الفائزين التوقيع على وثيقة موافقة سترسلها اليهم "مازدا"، لتوقيعها واعادتها اليها خلال ٣٠ يوما، كشرط لدفع قيمة الجائزة.

١١. هذا العرض يعتبر لاغيا حيث يمنعه القانون..

١٢. تقع على عاتق الفائز اي ضرائب تترتب في بلده على قيمة الجائزة.

١٣. ان اي خرق لهذه القواعد يمنح "مازدا" الحق في حرمان المخالف من الاشتراك في المسابقة.

mazda

حديقة أفكار

- قد تكون الكلمة المناسبة فاعلة، ولكن لا كلمة أفعل من الصمت في محله.

مارك توين، كاتب امريكي (١٨٣٥ - ١٩١٠)

- الوقائع أمور عنيدة.

ا.ل.

- الحافز يدفعك الى الانطلاق، والعادة تبقي حركتك مستمرّة.

ج.ر.

- هناك وجهان لكل قصة... على الاقل.

آن لاندرز

- جوهر الزعامة أن تكون لديك رؤيا، اذ لا يمكنك أن تنفخ في مزمار لا تثق بادائه.

ت.هـ.

- التغيير عمل شاق.

بيلي كريستال، ممثل امريكي

- الجسور التي نعبرها قبل بلوغها مبنيّة فوق أنهار وهمية.

ج.ب.

- علم المال هو فنّ تمرير النقود من يد الى أخرى حتى تتلاشى.

ر.س.

- تعلمنا الخبرة أن الانسان لا يتعلم شيئاً بالخبرة.

برنارد شو، كاتب ايرلندي (١٨٥٦ - ١٩٥٠)

- اذا ظنّ أحدهم أن لا مسؤوليات عليه، فذلك لأنه لم يبحث عنها.

م.ل.

- سيأتي وقت تعتقد فيه أن كل شيء انتهى. عندئذ تكون البداية.

لوي لامور



من الماضي

أشياء من الامس ترافقنا في ترحالنا وتعيد الينا ذكريات ماضٍ سعيد

دخلت قبل سنوات متجرا للسلع المستعملة ورحت أنبش محتوياته، فعثرت على مجلة قديمة فيها مقالة للأديبة الفرنسية كوليت. كتبت كوليت أنها عندما قدمت الى باريس وراحت تتنقل من مسكن الى آخر (نحو ١٤ مرة بحسب تقديرها) كانت تجرّ أمتعتها كل مرة، بما فيها أغراض منزلية "كبيرة ورخيصة وغير صالحة" جاءت بها من منزل ذويها في الريف. وأضافت أن هذه الأغراض كانت أكبر منها سنا وتحمل ذكريات كثيرة.

رحت بدوري أتذكر الأشياء التي احتفظنا بها، أنا وزوجتي، طوال فترة زواجنا وتنقّلنا المستمر من منزل الى آخر ومن مدينة الى بلدة ومن فلوريدا الى كاليفورنيا، حتى عودتنا الى كندا نهائيا. وغالبا ما كان يصعب علينا توضيب هذه الأشياء البالية التي ترك عليها الدهر بصماته. لكنها كانت تعني لنا الكثير

وأضفت على حياتنا إحساساً بالدوام والاستمرارية.

كنت عندما أضعها في صندوق السيارة يخامرني شعور غريب بالارتياح، كأنها تبسّط الحياة بطريقة ما فتقصُرها على تذكارات صداقة وثيقة وروابط عائلية متينة وحقبات مميّزة من حياتنا. كانت السماء ملبّدة بالغيوم وثلج الصباح يتسلّل بين أغصان أشجار الدردار ليستقرّ في صندوق السيارة المفتوح، ربما فوق العلبة الخشبية التي تخبّيء فيها زوجتي قصائد شعرية ووصفات طعام مفضّلة لديها، كوصفة مكعبات العجين التي أخذتها عن والدة صديقتها.

تلك كانت لحظات فريدة وممتعة من حياتنا العائلية، نبحث فيها عن المكان المناسب لعلبة الأحذية حيث خبّأت زوجتي قشّارة الخضر التي اشترتها قبل ٤٥ سنة من المعرض الوطني الكندي.

ويقع نظري على قاموس "وبستر" الذي أهدته الي زوجتي يوم عرسنا فأصبح رفيق عملي الدائم حتى بدا اعتمادي عليه واضحاً على صفحاته البالية. ففي آخره فصل يتضمن شرحاً لعبارات يونانية ولاتينية لا نفقه معناها، فضلاً عن مسرد بكلمات وعبارات اسكوتلندية. فأقف قرب السيارة أتصفّحه والثلج يكسو شعري.

ساعة العرس. كان جارنا في تورنتو طبيباً متقاعداً طويل القامة محدودب الظهر معسول اللسان، وهو دأب على الحضور متكئاً على عصاه لوداعنا كلما نوينا القيام برحلة، فنعيش معاً لحظات لطيفة وشعوراً اجتماعياً جميلا. كان، مثلاً، يقارن عصاه المصنوعة من غصن برقوق بالعصا التي كنت سأضعها خلف دولاب الاحتياط والتي صنعها لي صديق من غصن شجرة سنديان في بلدة لاكفيلد بأونتاريو عندما ألزمني المرض الفراش. وكنا نتناقش في مواضيع تحظى باهتمامنا المشترك، فأريته ذات يوم مسحاجاً خشبياً قصيراً كان يخصّ جدّي الذي قدم من نوتينغهام في بريطانيا.

ولدينا غطاء صوفي مربّع النقوش أهداه الينا قبل سنوات جيران طيّبون. كان هذا الغطاء آخر غرض نضعه في السيارة فنمدّه، كمسة ترتيب أخيرة، فوق حمولة المقعد الخلفي. وكان مفيداً جداً يؤمّن لنا الدفء عند الحاجة. فبات صديقاً قديماً لنا. وغُزل بخيوط من الصوف الاسكوتلندي والذكريات الحميمة، فألفنا رفقته ومنحنا دفئه.

بعض الأشياء التي تولّعنا بها صعبة النقل ولا يتوافر لها مكان في بيت جديد. ومنها عربة شاي رافقتنا منذ أيام زواجنا الأولى وشحنّاها معنا الى منزل زهري اللون يقع في بستان صغير من النخل قرب شاطيء فلوريدا. لكنها قبعت وحيدة في رواق مظلم تعيد الينا ذكريات الأمسيات الأنيقة المريحة عندما كانت والدتي ترتشف كؤوس الشاي بصحبة زائراتها.

نلجأ أحياناً الى خزن هذه الأشياء،

لنعود فنتمتّع بلقائها مجدداً لدى نقلها الى بيت جديد.

فأجدني واقفاً قرب شاحنة في بقعة مشمسة اقرأ مقطعاً من كتاب وجدته في خزانة والدي.

كما نسترجع ذكريات الماضي مع ساعة الجدار التي أهدتها الينا عائلة زوجتي لمناسبة زفافنا.

فقد سكنّا في الفترة الاولى من زواجنا في منزل عالٍ من غرفتين في تورنتو، وكانت الساعة تعلو المنضدة وتتوسط شمعدانين من النحاس الرقيق وترسل دقّاتها الرقيقة خارجاً الى أعالي الاشجار المحيطة بالمنزل. ولسنوات عدة، بقيت هذه الساعة تودّع بدقّاتها ضيوفنا المغادرين في الامسيات السبت عبر الريف الهادىء حيث استأجرنا مزرعة، وعبر مساكب الأزهار على شرفة شقّتنا حين سكنّا في الطبقة الحادية عشرة من مبنى في وسط مدينة تورنتو هرباً من الضجيج. كما استمرّت تدقّ في فترات خصامنا الصامتة، وشهدت مصالحاتنا فشاركتنا فيها بدقّات ارتياحٍ وابتهاج.

إن رؤية الاشياء العزيزة تسرّ القلب، وخصوصاً لدى عودة المرء من غربة الى بلاده فيخالها ترحّب به في أحضان موطنه.

رموز عتيقة. حين أتصفّح كتيّبي عن الكشافة الذي احتفظت به طويلا حتى لوّن العتق أطراف صفحاته، تعود بي الذكرى الى منحدر قرب الشارع الذي ترعرعت فيه في تورنتو. فأشتمّ رائحة الثلج وشجر الأرز ودخان نار المخيم، وأستطعم كِسَر لحاء الأرز في فنجان الشاي. ففي صغري لم أكن أوفّر مناسبة للذهاب الى ذلك المنحدر لاستمع الى مياه نهر الدون وهي تقرقر على ضفافه الموحلة، وأنظر الى الوادي الذي غطاه حجاب من الورق الأخضر وعرائش الخيار البرّي، وأقف مشدوهاً مصغياً الى معزوفة طيور.

نحن نعيش في عالم دائم الحركة لم يعد للحياة فيه ذلك الاستقرار الذي عرفه أسلافنا في ما مضى، عندما كانت المقتنيات العائلية تُحفظ لأجيال في خزائن صينيةٍ أو تعلَّق على قضبان معدنية أو توضَب داخل صناديق من خشب الأرز. لكنني ألاحظ أن بعض الناس ما زالوا متمسّكين بأغراض عتيقة رموزاً للدوام والاستمرارية.

كنت كلما ذهبت مع زوجتي لزيارة صديقة لنا تسكن في محلة صغيرة أو في الطبقة الرابعة والعشرين من بناء شاهق في إحدى المدن (لانها دائمة التنقّل مثلنا) أشعر بسعادة حين أرى لوحة مألوفة (على غرار ساعة بيتنا) معروضة في مكان ظاهر، وفيها تلة انتثرت عليها أوراق الخريف. كان والد صديقتنا رسمها لها قبل نحو أربعين سنة.

وتعود بي الذكرى الى نزهات ممتعة ومخيمات دافئة تعمّها الفوضى ويختلط فيها الأولاد.

وقد لاحظت في زياراتي المتكررة

لابنتي أغراضاً كنت نسيتها تماما، كنسخة من رواية "نساء صغيرات" حصلت عليها عندما كانت في الثالثة عشرة من عمرها، وقطعة من جذر شجرة سرو تنبت في مستنقعات فلوريدا وتُباع في أكشاك على الطرق العامة، وجوائز كثيرة يصعب توضيبها، تماماً كساعتنا العزيزة.

نور غامر. كتبت كوليت في مقالتها أن النور المشعّ من القنديل في شقتها المطلة على الشانزيليزيه "كان يغمر" جميع مقتنياتها العزيزة التي شاركتها في مراحل حياتها. ولو قُدِّر للمصباح الى جانب سريري أن يشعّ من خلال باب الخزانة أو أدراجها أو من زاوية غرفة الجلوس، لأنار معطفاً قديماً من التويد عليه علامة فارس مدرَّع اقتنيته يوم كان الشبان يسعون الى الظهور بمظهر النبلاء، وقد علقت الأشواك بمعطفي مراراً عندما كنت أخرج للتنزه. ولكان نور المصباح كشف مظلة ذات ضلع مكسور لم أقوَ على التخلّص منها لأن لها صلة بمرحلة من حياتي يوم كنت أخرج في نزهات ليلية طويلة تحت المطر. ولكان المصباح أنار أيضا كتيّب "شريمر" لتعليم الموسيقى الذي احتفظت به وكلما نظرت اليه تذكرت يوم نويت أن أصبح عازف بيانو.

واقرأ في الكتيّب: "تارانتيلا، رقصة من جنوب ايطاليا." وتضجّ الموسيقى في أذني، وأسمع رقّاص الساعة يتّك وأوراق الخريف تسقط على نافذة غرفة الجلوس.

لم تعد هذه الأغراض مجرد أشياء بسيطة، بل هي اكتسبت بعداً عميقاً آتياً من الزمن الغابر. انها تذكّرنا بحالنا في ما مضى وبما آلت اليه حالنا اليوم.

روبرت توماس آلن ■

طبيب القرية

عمي طبيب القرية، وهو متزوج منذ خمسين عاماً. زارته احدى القرويات مرة ولم يكن في المنزل، فاستقبلتها زوجته. فراحت القروية تحدثها عن مشاكلها الصحية، ثم توقفت عن الكلام فجأة وقالت: "سيّدتي، لقد مضت سنوات كثيرة على زواجك من الدكتور، وأعتقد أن في مقدورك أن تصفي لي دواء ما."

م.ب.

قال ناقد أدبي جواباً عن رأيه في كتاب جديد: "تأبى حتى حمامة زاجلة حمل الرسالة المتضمنة في هذا الكتاب!"

ت.س.

Reader's Digest
المختار
ابريل (نيسان) ١٩٩٢
شوّال ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

مهما بلغت سطوة تجار المخدرات فانهم يعجزون عن قهر مجتمع متماسك في وجه الشر

خزوا غزراتهم وارحلوا!

وقع المهاجر اللبناني الحلو الحديث فارس وهبه أسير هوى الفاتنة الأمريكية الشقراء دبي بيز حين التقاها للمرّة الأولى عام ١٩٨٢. وسرعان ما تزوّجا واستقرّا في أحد أحياء هوليوود بولاية كاليفورنيا ورزقا أربعة أولاد، صبيين وبنتين.

حافظ هذا الحيّ على طابعه مقاوماً طغيان جارته الكبرى لوس انجلس. فسكانه من الطبقة العاملة، وهم ملّاكو منازلهم أو مستأجرون منذ أمد بعيد ويحيون متآلفين تجمعهم قيم أخلاقية، وينشأ أولادهم وهم يلعبون معاً.

لكن كوكايين الكراك[1] حوّل الحيّ في أواخر ١٩٨٨ سوقاً مفتوحة للمخدرات يقصدها الشارون من أنحاء لوس انجلس في سيّارات أجرة أو سيارات قديمة متكسرة أو ليموزينات[2] فخمة براقة. وبقدومهم شاع العنف والاجرام. فكان فارس ودبي يسمعان ليلاً طلقات ناريّة وهدير مروحيّات الشرطة فيما سكان الحي مختبئون في منازلهم.

وذات ليلة عاد فارس وعائلته من نزهة، واذ انعطفت سيارتهم في المعبر المؤدي الى منزلهم باغتت أضواؤها رجلاً أنيق

(١) الكراك (Crack) نوع صرف متبلر من الكوكايين المحضَّر مع عناصر اخرى ليصبح مخدرا ادمانيا قويا. وهو يدخَّن بدل ان يُنشق.
(٢) الليموزين سيارة كبيرة فخمة.

المظهر غريباً عن الحي كان يتسلّم رزمة ماليّة من أحد تجّار المخدّرات المعروفين. فأجفل الرجل الغريب وحدج فارس وعائلته بنظرة تتقد شراً. ويذكر فارس: "قرأت في عينيه اني اذا ما واجهته فسيقتلني لا محالة."

بعد أيّام على هذا الحادث لاحظ فارس أن مروّج مخدّرات من الجوار يمارس "عمله" على الطريق. وكان بعد كل بيعة يرسل فتاة دون العشرين لتجلب مزيداً من المخدّرات من رجل في سيّارة "فورد" حمراء. ولم يكن هذا الرجل سوى ذاك الذي شاهده فارس قبل أيّام على طريق بيته. ففهم ما يجري: "هذا الغريب هو الذي يزوّد المروّجين المحلّيين. وهم يبيعون المخدّرات أمام أعين أولادنا."

صاح فارس في راكب الفورد متحدياً: "كفى! هذا حيّنا. خذ مخدّراتك وارحل."

التفت الرجل بعصبيّة الى سيّارة شرطة متوقفة في آخر الشارع، ثم الى الغريب الذي تصدّى له، وفاجأ فارس بلكمة على وجهه ثم انطلق راكضاً.

جرى فارس خلف الرجل الذي توقف بعد لحظات واستدار نحوه. واذ خشي فارس أن يتناول الغريب مسدّساً من ثيابه، انقضّ عليه وأمسك بتلابيبه.

طار صواب دبي وهي تشاهد هذه المعركة، فصاحت بجيرانها الذين خرجوا الى الشرفات: "أهكذا تريدون أن تحيوا؟ علينا أن نفعل شيئاً."

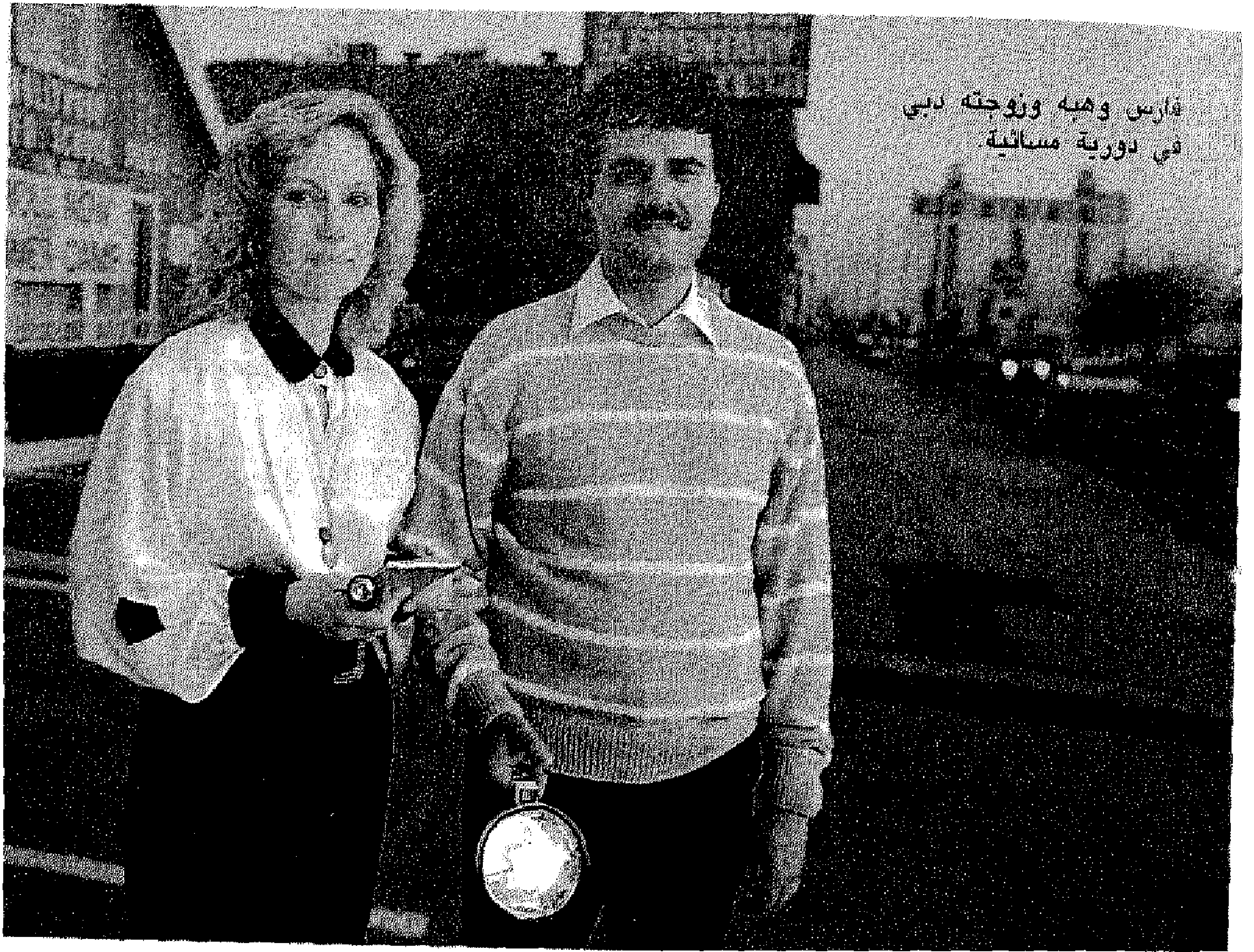
في هذا الوقت وصل رجال الشرطة وقبضوا على المعتدي. وفيما هم يقتادونه الى سيّارة الدوريّة نظر الى فارس وقال له بصوت كأنّه فحيح ثعبان: "سأنال منك."

عاد فارس ودبي الى منزلهما مرتعدين ومتلهفين لرؤية أولادهما الذين عقل الخوف ألسنتهم بعدما شاهدوا ما جرى من نافذة غرفتهم.

تلك الليلة لم يعرف فارس النوم الهانىء. كانت تقضّ مضجعه فكرة كونه وعائلته وجيرانه أسرى في بيوتهم. وتذكر كيف قدم الى الولايات المتحدة هربا من العنف الذي مزق وطنه الأم لبنان، وآلى على نفسه أن يستردَّ حيَّه من قبضة تجار المخدرات.

أثار فضوله ما كان سمعه عن أحياء أخرى تعرّضت لحوادث مشابهة فعمد ساكنوها الى تسيير دوريّات مراقبة. واتصل بمنظمة مختصّة بالدوريّات المدنية قدّمت اليه جملة اقتراحات منها التجوال ضمن مجموعات وتجنّب المواجهات العنيفة أو استخدام الأسلحة أو البطولات الفارغة. ويقول فارس: "قدّموا الينا نصائح ناجعة حول أسلوب التصرّف في الشوارع، كما منحونا كثيراً من الشجاعة."

جمع آل وهبه خمسين شخصاً من جيرانهم في دوريّة أطلقوا عليها اسم "حرّاس هوليوود." كانت خطّتهم بسيطة تقضي بأن يتعقّبوا المروجين في كل تنقلاتهم حتى يخنقوا عليهم مجال العمل، ويباغتوا مدمني المخدّرات القابعين في الممرات المعتمة باضاءتها فجأة


فارس وهبه وزوجته دبي في دورية مسائية.

بمصابيح كهربائية قوية، وحين يتوقف شار بسيارته سائلا عن المخدرات يقتنّصون له صورة فوتوغرافية ويصرخون به: "ابقَ بعيداً عن حيّنا!"

في كلّ ليلة، مهما كانت حال الطقس، استمرّ المتطوعون يجوبون الشوارع حتى الثانية بعد منتصف الليل، فيما تولى جيران آخرون اعداد الطعام وحضانة الأطفال، وعهد الى المسنين في مهمّة المراقبة عن الشرفات.

وعلى رغم هذه الجهود لم تحقق الدورية تقدماً ملموساً، فثبطت عزيمة بعض الأفراد فانسحبوا. لكن فارس ودبي وقلّة أخرى تابعوا مهمّتهم الليلية. وتأثرت شرطة لوس انجلس بتفانيهم فأفرزت لهم شرطيين سرّيين أمنوا لهم الحماية.

في النهاية أتى تصميم "حرّاس هوليوود" ثماره، فانقطع المدمنون عن المنطقة واختفى المروّجون تدريجاً مع انقطاع "موارد رزقهم." ولم تمضِ بضعة أشهر حتى خلا الحيّ منهم تماماً.

واليوم، اذا لمح جيران آل وهبه شخصاً مشبوهاً في حيّهم، فانّهم لا يغلقون أبوابهم ويتوارون خلفها، بل يخرجون اليه مستفسرين عن سبب وجوده. ولا يزال "حراس هوليوود" يسيِّرون دوريتهم بضع ليالٍ في الاسبوع. وهم صادفوا مروّجاً قبل فترة وجيزة فسألهم باشمئزاز: "ألا تزالون هنا؟" ثم مضى.

PHOTO: © BERNARD FALLON

يدرك آل وهبه أنهم وجيرانهم لم يحلّوا مشكلة الكراك، ولكن ما يهمّهم هو أن أولادهم باتوا قادرين على ركوب درّاجاتهم في الشوارع الخالية من المخدّرات. وتقول دبي فخورة بنجاحهم: "لقد انتصرنا في حربنا."

الورقة المنقذة

كان دانيال ماكتشن مروّج مخدّرات سيىء السمعة في كنساس بولاية ميسوري. وكان قصيراً سميناً يرتدي ثياباً باهظة الثمن ويتزيّن بسلاسل ذهبية وخواتم فيها حجار كريمة ضخمة. وقد اعتبره أولاد المحلّة أذكى من أن يُقبض عليه.

دخلت تجارة المخدِّر الخَطِر كنساس سيتي في أواسط الثمانينات. وفي غضون سنوات قلائل برز أكثر من ٣٥٠ "بيت كراك" تغلق الشرطة أحدها فيُفتح آخر في مكان قريب.

وكان يسكن في جوار ماكتشن رجل يدعى ألفين بروكس هو شرطي سابق في كنساس. وكثيراً ما كان ماكتشن يصيح فيه متهكما: "تعالَ وانظر ما لديّ."

عرف الحيّ أوقاتاً عصيبة، اذ كان معظم مالكي الابنية غائبين تاركين أملاكهم مهملة، فتداعت. كما انتهى بعض صفقات المخدّرات بجرائم قتل. لكنّ كل ذلك لم يحمل بروكس على مغادرة المنزل الذي عاش فيه ثلاثين عاماً وربّى فيه ابناً وخمس بنات. فهو شعر بأنّه مدين للمكان الذي منحه كثيراً من الذكريات السعيدة.

ما لم يعرفه ماكتشن والمروّجون الآخرون هو أن بروكس كان يحمل في يده "ورقة" مهمّة جاهزة للاستعمال. فهو ساهم عام ١٩٧٧ في تأسيس منظمة في الحي تدعى "مجموعة مكافحة الجريمة،" بعد سلسلة جرائم وحشية راحت ضحيّتها عشر نساء من كنساس، تسع منهنّ سوداوات. فاتُّهمت دائرة الشرطة بالعنصريّة لعدم حلها أيا من تلك القضايا، وأبدى مجتمع السود عدم ثقة بالشرطة ورفض التعاون واياها.

وفي محاولة لرأب الصدع بين الفريقين دعا بروكس الى اجتماع عام حضره أكثر من ثلاثمئة مواطن هزّتهم مشاعر الغيظ. وقال في كلمته محاولاً رفع صوته فوق صيحات الغضب: "لا يسع الشرطة وحدها أن تضمن حمايتنا. اذا لم تتحملوا حصتكم من المسؤولية فاللوم يقع عليكم أنتم أيضاً."

وسرعان ما هدأت العاصفة فتابع: "أنتم على الأرض تسمعون أموراً وترون أشياء لا تسمعها الشرطة ولا تراها. علينا المساعدة."

فاز بروكس بدعم أبناء محلته وشرطة المدينة، فأنشأ "صندوق مكافآت" وحصل على خط هاتفي خاص بالشهود السريين يصل مجتمع السود بدائرة الشرطة ويتناوب العمل عليه متطوعون مهمتهم تلقّي الاتصالات وتحويلها الى الشرطة.

ونجحت الفكرة وتوصلت الشرطة الى اماطة اللثام عن معظم تلك الجرائم.

بدأ أعضاء "مجموعة مكافحة الجريمة" يحتشدون أمام بيوت المخدّرات المعروفة، وقاد بروكس هجوما صاعقا على بيوت الكراك. كان المتظاهرون يهتفون لشعارات معادية للمخدّرات ويوزعون منشورات تدعو السكان الى الابلاغ عن أسماء المروّجين والشارين وأرقام لوحات سيّارتهم. وبهذه الطريقة أمسكت الشرطة أطراف الخيوط التي قادتها الى تنفيذ اعتقالات عدّة.


الفين بروكس.

كان رواج أخبار عمليات الدهم كافيا لدفع مديري بيوت المخدّرات الى حزم أمتعتهم والرحيل. فاذا لم يفعلوا لجأ بروكس وزميله كليفورد سارغون من المجموعة الى استراتيجيّة أخرى: بعد الاشتباه في وجود بيت كراك في احدى البنايات، يقوم سارغون بزيارة "رسمية" لمالك البناية يرافقه خلالها تحرٍّ ومدّعٍ عام. ويحذّر هذان المالك، بصفتهما القانونيّة، من أنّ من حق الدولة أن تضع يدها على ملكية أي بيت للمخدّرات. وهنا يبادر سارغون الى تقديم اقتراح آخر أكثر قبولاً لدى المالك: طرد المستأجر. وبهذه الطريقة أغلقت المجموعة بهدوء أكثر من مئة بيت للكراك.

لكن هذا الاسلوب لم يجدِ مع دانيال ماكتشن الذي كان يملك بيوتا عدة للكراك.

جنّد بروكس جيران ماكتشن للتجسس عليه. وتطوّع من "مجموعة مكافحة المخدرات" أفراد متمرسون في فنّ المراقبة لرصد كل من بيوت المخدّرات الثلاثة التي يملكها ماكتشن واحصاء حركاته: متى يغادر منزله، من يقابل ومتى، أين يتناول طعامه. وكان بروكس يبعث بشذرات المعلومات الى الشرطة. وهكذا بدأت تتشكل قضيّة في حق ماكتشن.

وجاءت الضربة الكبيرة حين اتصل شاهد سرّي ببروكس ذات ليلة ناقلاً اليه معلومات عن مكان اخفاء ماكتشن كمية من الكوكايين. فاقترح عليه بروكس أن يتصل بالشرطة، لكنه رفض. فتولّى بروكس ابلاغ الشرطة بنفسه. وفي ٢٩ سبتمبر (أيلول) ١٩٨٩ شنّت الشرطة غارات خاطفة عثرت خلالها على كل الأدلة التجريمية من كوكايين وأموال نقديّة وأسلحة.

حرص بروكس على احضار فتيان الحيّ الى قاعة المحكمة لكي يستمعوا الى مروّج المخدّرات المغرور وهو يعترف بالتهمة المنسوبة اليه: بيع المخدّرات. ثم أصدر القاضي حكمه: السجن عشرين عاماً مع التنفيذ الكامل للعقوبة.

لم تنتهِ المعركة بالنسبة الى بروكس، فهو يقول: "العيش وسط الجريمة والمخدّرات والعنف يعرّض عدداً لا يحصى من الاولاد للخطر." ثمّ ينظر الى جمجمة من الخزف أهداها اليه فتى

يمضي عقوبة في اصلاحية، ويضيف بأسى: "توسّلت اليه لكي يبتعد عن المروّجين، لكنّه وقع. لقد صنع لي هذه الجمجمة في صفّ مهني في أحد السجون، وأرفقها بكلمة جاء فيها: ليتني أصغيت اليك. حين أخرج أريد أن أؤازرك في مكافحة المخدّرات... من أجل الأولاد."


إرما سكايلز.

حرب على المخدرات

تحب إرما سكايلز الاولاد، فهي مارست التعليم سنوات طوالاً في مدرسة ابتدائية في هيوستن بولاية تكساس حيث نشأت ربيبة حيّ "إيكرز هومز." وكان والدها اشترى قطعة أرض هناك بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية. ومع السنوات شاهدت إرما حيّها ينمو ليصبح منطقة تضجّ بالحياة. وتتذكر بشغف: "كنا كعائلة كبيرة نهتم بعضنا لبعض."

وتعود الى السيدة ابنة السبعة والخمسين عاماً ذكريات عروض سالفة في المدرسة الثانوية شاركت فيها جياد مطهمة وثلل سيارة وعربات مبهرجة. وقد جمع مدنيون في هيوستن أموالاً لتشييد حديقة "أندرو وينزر" وفيها ملعب كرة شهدت مبارياته أرقاماً قياسية من المتفرّجين.

لكن مشاكل عصفت بالحي في منتصف السبعينات، اذ ساءت الأحوال الاقتصادية وجاء تطبيق نظام ارسال الأولاد الى مدارس بعيدة[3] ليقلص حسّ الانتماء الى ذلك المجتمع الصغير. وبحلول الثمانينات اجتاح الرعب الحيّ اذ راح تجّار الكوكايين يبيعون بضاعتهم في وضح النهار ويهددون كل من يعترضهم. ونشأ الجيل الجديد مشبعاً بذكريات مختلفة تماماً عن ذكريات إرما سكايلز. وقد قال أحد الشبان: "نادراً ما أكترث لسماع طلقات ناريّة، فهذا أمر اعتدته كل حياتي."

أتى العون مع تولّي لي باتريك براون مهماته عام ١٩٨٢، وهو أول قائد أسود لشرطة هيوستن. فطلب من رجاله تطويع مدنيين شجعان لمؤازرة الشرطة في حربها على مروّجي المخدرات. واقترح الضباط المكلفون حماية "إيكرز هومز" انشاء لجنة عمل تضم شرطيين ومدنيين لمكافحة المخدّرات، اختيرت إرما سكايلز مع اثني عشر متطوّعاً آخرين لعضويتها. ولكن خلال الاجتماع الاول لم يكن أحد راغباً في ترؤس اللجنة. وأخيراً رفعت إرما يدها. لقد قبلت هذه الجدة الفاضلة منصباً ينطوي على مسؤولية وخطر جسيمين.

عمدت "لجنة الحرب على المخدرات" بقيادة إرما الى حض أهل الحيّ على الابلاغ عن نشاط تجار المخدّرات وعلى هدم الأبنية المهجورة المستخدمة

(٣) كانت الغاية من هذا البرنامج تخفيف اختلال التوازن العنصري بين المدارس.

PHOTO: © MICHAEL BODDY / HOUSTON POST

مستودعات للكوكايين. ثم ضغطت على الشرطة للحصول على دعم أكبر، فجاءها هذا الدعم حين عُيّن ديفيد ماسي رئيساً لشرطة المنطقة في فبراير (شباط) ١٩٨٠.

كان ماسي شرطياً محنكاً أمضى في الخدمة ثلاثة وعشرين عاماً. وهو زار "إيكرز هومز" في يومه الأوّل وانتهت جولته عند الاعشاب البريّة العالية المحيطة بالحديقة العامة، فشاهد هناك زجاجات خمر فارغة وعبوات كراك بلاستيكية مرمية على الأرض. وأخذته الدهشة حين أبصر تجارة المخدّرات ناشطة على مقربة منه ولا من يبالي بتوقف سيارة شرطة على مسافة قريبة.

حدد ماسي، بمساعدة إرما سكايلز ولجنتها، المراكز الرئيسية لبيع المخدّرات، فدهمها رجال شرطة سرّيون واعتقلوا المروّجين. ثم حض اللجنة على تجنيد الجيران للتخلّص من "دغل" الاعشاب البرية الذي يسوِّر الحديقة ويستخدم معبراً للافلات من قبضة الشرطة. ومع انقشاع هذه الساحة شن ماسي هجوماً قبض خلاله على عدد كبير من المروّجين والمدمنين.

بعد هذا النجاح لم يعد في إمكان أي شخص يُشتبه فيه أن يسير داخل الحديقة من دون أن يتعرّض للاستجواب.

وما لبث أن توقف نشاط المخدّرات كلياً في الحديقة. ولمنع عودته تابعت سيارات الشرطة تسيير دوريات في المنطقة، واستمرّت إرما ولجنتها في حض الجيران على الابلاغ عن أيّ أمر مريب.

ولا تزال مشكلة المخدّرات ترهق مناطق من هيوستن، لكن المروّجين يدركون جيداً أن أهالي "إيكرز هومز" ينوون الاحتفاظ بحديقتهم خالية من المخدّرات.

وتنويها بسموّ هذا المجتمع الصغير، قرّرت اللجنة تنظيم احتفال. فحمل فتيان الكشافة المحلّيون راية "لجنة إيكرز هومز للحرب على المخدّرات" وساروا بها في طليعة عرض ضمّ ٣٥٠ مواطناً مخترقين ١٧٠٠ متفرج، وخلفهم النقيب ماسي ممتطياً جواداً وملوحاً للحشد. ثم عبرت جياد تجر عربات مدافع قديمة. وانتهى العرض في باحة الحديقة المستصلحة.

وبلغ التأثّر من إرما سكايلز ذروته فقالت: "هكذا كنّا في الماضي."

بول باني ■

وقفة عجيبة

ما إن بدأت افراغ مشترياتي على منضدة الصندوق في السوبرماركت حتى اعتذرت الموظفة قائلة انها ستغيب لحظات وتعود سريعاً. فتابعت افراغ العربة. وما لبثت أن سمعت صوتاً نسائياً خلفي يقول: "عفواً يا سيدتي، هل هذا الخط مفتوح أم إنك متفائلة بطبيعتك؟"

ب.ك.

خاض جورج بوش حرب "عاصفة الصحراء" ونال ما أراد، لكنه اليوم يواجه في داره التي اهمل شأنها سنوات، عاصفة هوجاء من نوع آخر، تهدد عودته الى البيت الابيض

عاصفة في البيت الأبيض

١. أين الضعف عند بوش؟



خاض الرئيس الامريكي جورج بوش حربا طاحنة لاحتواء الرئيس العراقي صدام حسين، وأطاح الديكتاتور البنامي مانويل نورييغا، وهيمن بأعصاب هادئة على مرحلة الانتصار الاخيرة في الحرب الباردة. فبرزت الولايات المتحدة الامريكية في عهده القوة العظمى الوحيدة في العالم.

لكن بوش يواجه داخليا منافسة لاعادة ترشيحه في الانتخابات الاولية للحزب الجمهوري. ويشعر خصومه الديموقراطيون بأنه هدف سهل. ويعترف بوش بأن القضايا المحلية هي أقل اثارة من السياسة الخارجية والاتصالات مع قادة العالم. وقد يكون ذلك نقصا لديه.

يقول الخبير كارلين كين من معهد "أميريكان انتربرايز" ان "الامريكيين كانوا دائما يريدون رئيسا حازما في

الخارج وواعيا مشاكلهم في الداخل." وهم الى الآن لم يحصلوا الا على نصف ما أرادوا.

ويتطلع الناخبون عادة الى قائد يمتلك رؤيا مستقبلية ويطرح قضايا توضح تلك الرؤيا. ولقد بدأ كثير من الناخبين يخطئون بوش لفشله في تحديد ملامح مستقبل واضح يؤمن به الشعب.

في خطابه الى الامة قبل سنة اقترح بوش خطة جريئة لتحريك المشاريع الحكومية "القريبة الى الشعب والبعيدة عن الحكم المركزي في واشنطن" عبر تحويل مبلغ ١٥ مليار دولار الى الولايات حيث تدار المشاريع بمرونة وفاعلية.

كانت هذه سياسة حكيمة، وكادت أن تكون ضربة معلم اذا اخذنا في الاعتبار النقمة الشعبية العارمة على مركزية القرار في واشنطن. لكن السنة انقضت ولم يرسل الرئيس بوش اقتراحه هذا الى الكونغرس لاقراره. ولن تنجح الاقتراحات الواردة في خطابه الى الامة في سنة الانتخابات الرئاسية هذه في تعويض ثلاث سنوات من التردد.

ويمكن ايجاز رئاسة بوش في أربع كلمات: فرص أهدرت في الداخل.

كانت مهمة بوش عندما دخل البيت الابيض تعزيز مكاسب عهد الرئيس السابق رونالد ريغان ووضع برنامج اصلاحي لحقبة ما بعد ريغان ينمّي الحوافز التي أطلقها اقتصاد السوق الحرة في الثمانينات. وهو لم يحقق أيا من الامرين.

فقد خفض الرئيس السابق رونالد ريغان معدلات الضرائب الفردية لحث الاقتصاد وتحريكه، فيما ترك بوش الضرائب تتصاعد مما تسبب في تباطؤ الحركة الاقتصادية.

خفف ريغان القيود الاتحادية على الولايات، أما في ظل ادارة بوش فقد اشتدت قبضة واشنطن التنظيمية عليها.

خلال مأدبة غداء في البيت الابيض، روى رجل أعمال جلس الى طاولة بوش قصصا سمعها عن المغالاة في فرض الانظمة الاتحادية. وفي اليوم التالي هاجم بوش مركزية واشنطن بقسوة في اجتماع مع مستشاريه الاقتصاديين.

والمفارقة هي أن الرئيس بوش هو الذي اقترح مشروع "قانون الهواء النظيف" عام ١٩٩٠ ومشروع "قانون الامريكيين المعاقين" وفيهما بنود أدخلت اجراءات جديدة جذرية.

سترة مجانين. منح بوش مدير الموازنة ريتشارد دارمان ووزير الخزانة نيكولاس برادي ورئيس أركان البيت الابيض (حتى اجباره على الاستقالة) جون سنونو، سلطات واسعة في ما يتعلق بالسياسات الاقتصادية والداخلية. وأقنع هذا الثلاثي بوش بالتخلي عن موقفه المعارض لزيادة الضرائب. ثم توصل الثلاثي نفسه الى "صفقة" في شأن موازنة مع الكونغرس كان مفترضاً أن تقلص العجز.

لكن زيادة الضرائب تطاولت وعمّقت

الركود الاقتصادي وهو ما أدى الى انخفاض في المداخيل الضريبية الاتحادية. وقضت الصفقة بـ"شد حزام" على الانفاق، لكن ذلك التدبير كان غير مجدٍ. وأظهرت دراسة أجرتها مؤسسة "هيريتدج" للابحاث أن زيادة النفقات المحلية خلال فترة رئاسة بوش كانت خمسة أضعاف الزيادة في عهد ريغان. وقد ارتفع العجز في الموازنة بسرعة هائلة.

ويقضي الاتفاق حول الموازنة بخفض الضرائب في مجال ورفعها في مجال آخر. وقد جاءت النتيجة تقييداً للسياسة المالية الحكومية.

وفيما الاقتصاد يتخبط، كذلك كان بوش. فقد رفض أن يكافح من أجل خفض الضريبة على أرباح رؤوس الاموال[1] مما كان سيعزز النمو الاقتصادي، واعتمد بدلاً من ذلك صفقة الموازنة التي دبرها مساعدوه. فكانت النتيجة أن غدت عجلة النمو الاقتصادي في عهده أبطأ مما كانت في عهد أي رئيس أمريكي منذ هربرت هوفر (في أوائل الثلاثينات).

تسويات مكلفة. تركزت نقمة الناخب الامريكي على الكونغرس. فقد أثارت مجموعة من القضايا اشمئزازاً عارماً من طريقة أدائه، ومنها فضيحة شيكات من دون رصيد في مصرف مجلس النواب وفواتير غير مدفوعة في مطعم المجلس وزيادة كبيرة في رواتب أعضاء الكونغرس وتفشي المحسوبية والحيثيات المربكة والمخجلة في جلسات تثبيت كلارنس توماس المرشح لعضوية المحكمة العليا.

ويفترض بالجمهوريين أن يكونوا جاهزين لاستغلال هذه القضايا ضد الديموقراطيين الذين يسيطرون على كلا المجلسين، لكنهم ليسوا جاهزين.

صحيح أن بوش أيد مشروع القانون الرامي الى تحديد عدد الدورات التي يسمح فيها باعادة انتخاب عضو في الكونغرس، وهو مشروع تؤيده غالبية الامريكيين بنسبة ثلاثة الى واحد، كما انتقد الكونغرس في خطاب له بعد جلسات الاستماع الى توماس، لكنه لم يتابع هذا الخط. والسبب أن الرئيس بوش على علاقة صداقة مع كثير من أعضاء الكونغرس، وتحرجه مهاجمتهم. لذا يفضل التسويات على المواجهة.

كان بوش، بعد تثبيت توماس في المحكمة العليا، مثلاً، في مركز قوة لجبه الكونغرس في شأن تشريعات الحقوق المدنية، فتوماس عدو صريح لنظام الكوتا[2] التوظيفية، والشعب الامريكي بغالبيته العظمى يعارض مبدأ الكوتا. وكان بوش نقض أحد مشاريع قوانين الحقوق المدنية لانه ينذر بأن يصبح "تشريع كوتا."

ومع ذلك قبل بوش تسوية للحقوق المدنية تضمنت كثيراً مما كان رفضه

(١) Capital gains. وهي الزيادة في قيمة الموجودات، من اسهم وعقارات وغيرها، الحاصلة بين تاريخ الشراء وتاريخ البيع.

(٢) الكوتا (quota) هو نظام الحصص النسبية بين البيض والسود.

سابقاً، مهدراً فرصة رَسْم فارق مميز بين الجمهوريين والديموقراطيين.

في أوائل عهد بوش شكل فريق عمل مختص بشؤون الرعاية الصحية. فدرس الفريق الخيارات الممكنة لسد الثغرات في نظام الرعاية الصحية في القطاع الخاص ولحماية الاشخاص غير المضمونين وأولئك الذين يخسرون ضمانهم في فترات الانتقال من وظيفة الى أخرى أو عندما يتقاعدون.

كانت واحدة من الافكار اقامة نظام سندات أو سلفات ضريبية[٣] لمساعدة كل أمريكي على دفع بدل ضمانه الصحي. وتضمنت أفكار أخرى منح شركات التأمين والاطباء والمستشفيات حق اعتماد نظام موحد لدفع المستحقات يمكن أن يخفض التكاليف.

لكن مساعدي الرئيس بوش في البيت الابيض أشاروا عليه بألا يأخذ المبادرة، وحجتهم أن الديموقراطيين سينتهزون الفرصة للتقدم باقتراحات متطرفة وأنه قد يخسر في حرب مزايدات. فجمّد بوش تحركه في حين مضى الديموقراطيون قدماً ملتقطين الكرة التي أفلتت من بوش.

برنامج لم يكتمل. دعا بوش في احدى خطبه الى قيام "نموذج جديد"[٤] يهدف الى توجيه السياسة الحكومية نحو اللامركزية وتشجيع القطاع الخاص والخيارات الفردية. إلا أنه لا يزال يحتاج الى برنامج مبني على أساس هذه النظرية الاصلاحية المحافظة.

دعم بوش فكرة السندات التعليمية لمساعدة الفقراء، لكنه لم يسعَ الى تنفيذ هذه الفكرة. وهو من مؤيدي اقامة ما عرف بـ"مناطق مشاريع"[٥] لتنشيط الاعمال التجارية في مناطق مدينية متخلفة أو ضربها الكساد، وذلك عبر اعفاءات ضريبية. لكنه ترك أمر اقرار التشريعات الضرورية من دون حسم.

ولم يدعم الرئيس بوش وزير الاسكان في حكومته عندما شلَّ الكونغرس البرنامج المهم الذي تقدم به جاك كمب لتأمين مساكن للفقراء. فاقتُطع ٦٠ في المئة من المخصصات التي طلبها كمب لمساعدة العائلات ذوات الدخل المتدني على امتلاك منازلها، كما اقتطع ثلث السندات الاسكانية التي تتيح للفقراء تحديد المكان الذي يرغبون في العيش فيه. وعمد الكونغرس بدلا من ذلك الى ضخ الاموال في مشروع بناء وحدات سكنية شعبية يستغرق انجازه سنوات.

طالب كمب الرئيس بنقض المشروع مشيراً الى أن الكونغرس يحاول العودة الى "برامج الاسكان العتيقة الفاشلة المعرضة لاثارة فضائح." فأظهر بوش خيبته من الطريقة التي قابل بها الكونغرس مبادرات كمب، لكنه مع ذلك وقع القانون.

قد لا تكون اعادة انتخاب جورج بوش رهناً بقضايا محلية جريئة، فهو حقق في

(٣) Vouchers or tax credits
(٤) A new paradigm
(٥) Enterprise zones

خريف ١٩٩١ ما فات خمسة رؤساء سابقين: رعى مؤتمر سلام للشرق الاوسط بين اسرائيل وجيرانها العرب، ونمّى المصالح الامريكية حول العالم، وضمن الامن القومي على نحو مذهل.

ومع ذلك يمكن أن يواجه بوش معركة صعبة غير مضمونة تماما اذا لم تكن له رؤيا يؤلب الناخبين حولها. لقد كان ونستون تشرشل في ذروة عليائه عام ١٩٤٥ وبطل حرب يتمتع بسمعة رائعة في أنحاء العالم، لكن الناخبين البريطانيين كانوا مهتمين بقضايا "اللحم والبطاطا" المحلية، فخذلوه!

فريد بارنز ■

٢. المأزق الديموقراطي



لماذا يبدو الديموقراطيون، الذين فازوا في واحد فقط من الانتخابات الرئاسية الستة الاخيرة، كأنهم محرومون من دخول البيت الابيض وفي موقف دفاعي أمام الناخبين؟

ليس الامر مجرد نتيجة حوادث مثل محاولة جيمي كارتر الكارثية انقاذ الرهائن الامريكيين في ايران، وبراعة رونالد ريغان في استغلال المناسبات المتلفزة، وعدم عودة محكوم في مساتشوستس الى السجن بعد حصوله على اذن خروج موقت. فالمأزق هو أكثر عمقاً. انه تقصير الديموقراطيين في استخلاص العبر من تاريخ حزبهم. لقد خرج معظم المسؤولين والمرشحين والدعاة الديموقراطيين عن خط بلادهم.

ولا شك في أن بعض الديموقراطيين يعون هذا الامر ويحاولون احداث تغييرات، لكن المسؤولين والمرشحين والدعاة يبدون عاقدي العزم على تكرار أخطاء الماضي. انهم في حاجة الى مراجعة سياساتهم عبر القرون وتحديد ما نجح منها وما فشل.

لم ينشأ مأزق الديموقراطيين من فشل برنامج "الصفقة الجديدة"[٦] الذي وضعه الرئيس فرنكلين روزفلت في الثلاثينات للانعاش الاقتصادي والاصلاح الاجتماعي، بل نشأ من نجاحه. قال تيب أونيل الرئيس الديموقراطي السابق لمجلس النواب إن الديموقراطيين رفعوا مستوى معيشة الشعب الى حد أنه لم

(٦) New Deal

يعد يخشى أن يصبح جمهوريا. لكن أنجح مواد هذا البرنامج الاشتراعي والاداري كانت تلك التي كافأت النمط المتحرك صعوداً، ومنها "ميثاق الحقوق" لافراد القوات المسلحة الذي ساعد على دفع تكاليف الدراسة الجامعية لقدامى المحاربين، و"كفالة رهون المنازل" التي شجعت على تحويل بلد من المستأجرين الى بلد من الملاّكين، وبرنامج ضريبي قدَّم حسوماً سخية على المعالين مما عزز استقلالية العائلة ونمو طبقة وسطى.

في المقابل، تبين أن بنود "الصفقة الجديدة" المتعلقة باعادة توزيع الدخل هي غالبا غير قابلة للتنفيذ. فضريبة الدخل التصاعدية التي نالت شعبية نظرياً، تفقد شعبيتها حالما تغوص معدلات الضريبة العالية عميقا في جيب الناخب كما يفترض أن يحصل عندما يُقصد تحصيل دخل حكومي محترم. لقد أيد الامريكيون دائما ضرائب متصاعدة باعتدال، لكنهم ينزعون الى الاعتقاد أن للناس حقاً في الاحتفاظ بالقسم الاكبر مما يحصِّلون.

ولسوء الحظ، نسي معظم الزعماء الديموقراطيين أياً من بنود "الصفقة الجديدة" هي التي لاقت نجاحاً، وهم يبدون عاقدي العزم على اعادة توزيع الثروة. وعندما يطرحون خططا تقدمية واضحة يتعرضون لهجوم من الطبقة الوسطى الخائفة من أذى اقتصادي يلحق بها، ولا يلقون كبير دعم من الفئات التي يعملون لمساعدتها.

المجتمع الكبير. يستذكر الديموقراطيون الآن نجاح الرئيس السابق ليندون جونسون الساحق في العام ١٩٦٤، لكنهم ينسون أن اثنتين من القضايا الاهلية الرئيسية التي طرحها في برنامجه كانتا خفضا ضريبيا وميثاق حقوق مدنية يعد بالغاء الكوتا العنصرية.

لقد نجح بعض برامج الحقوق المدنية، مثل الدمج العنصري في المرافق الشعبية وأماكن العمل عام ١٩٦٤ ومنح المواطنين السود في الولايات الجنوبية حق الاقتراع عام ١٩٦٥. لكن ما لم ينجح بهذا المقدار، بل غرس بذور العداء في غالب الاحيان، هو تطبيق الدمج العنصري في المدارس الحكومية عبر اجراءات نقل الطلاب الى مدارس بعيدة عن أحيائهم وتدابير تشجع الكوتا في التوظيف ودخول الجامعات. وهذه قرارات قضائية استهدفت إحداث توازن حسابي في معاملة الاعراق.

وينسى الديموقراطيون أنهم، على أثر اقرار برامج "المجتمع الكبير"[٧] التي طرحها جونسون في العامين ١٩٦٥ و١٩٦٦، خسروا ٥٢ مقعداً في الكونغرس، وهي خسارتهم الكبرى منذ ١٩٤٦.

وفي الستينات، كانت النظرة الى الولايات المتحدة كمجتمع ذي عرقين — حيث امتيازات مبالغ فيها من جهة وتراث من الاتكالية الاقتصادية من جهة أخرى — تبدو منطقية لكثير من الديموقراطيين

(٧) Great Society

الذين كانوا ينظرون الى أمريكا على أنها مجتمع متصدع وحاقد. لكن نموذج "المجتمع الكبير" المتمحور حول الفروق بين السود والبيض لم يقدم نظرة دقيقة الى التنوع الاجتماعي الغني في أمريكا، بل هو أصبح أقل دقة مع مرور الزمن وتنامي طبقة سوداء وسطى واسعة.

ولقد زادت نسب جرائم العنف وتعاطي المخدرات والولادات غير الشرعية في بعض أوساط السود، لكن ذلك لا يمكن أن يعزى الى البطالة الا في ما ندر. فقد زاد عدد الوظائف التي يشغلها السود بنسبة ٥٠ في المئة منذ أواخر الستينات. كما ازدادت الهجرة الى الولايات المتحدة خصوصاً من أمريكا اللاتينية وآسيا، وشغل المهاجرون وظائف ابتدائية لكنهم عملوا بجهد وارتقوا. ولم تعد الولايات المتحدة مجتمعاً من عرقين ذا نظام طبقي منغلق، بل هي اليوم مجتمع متعدد الاصول الاثنية فتحت فيه أبواب الفرص على مصاريعها.

جيل جديد. حدث في الثمانينات أن رفض والتر بولوفتشاك، وكان في الثانية عشرة من عمره آنذاك، مغادرة حي فقير في شيكاغو والعودة مع والديه الى أوكرانيا، فهو قرر أن أمريكا أفضل كثيراً من الاتحاد السوفييتي. وهو اليوم مواطن أمريكي.

ان معظم الامريكيين الذين ولدوا بعد ١٩٦١ هم مثل بولوفتشاك، قد أدركوا مرحلة البلوغ في الولايات المتحدة، فوجدوا فيها بلداً تعمه الطمأنينة والوفرة، وقرروا أنها، في كل الاعتبارات، مكان تحسن الاقامة فيه.

لا يبدو أبناء هذا الجيل راغبين في اعادة توزيع اقتصادية أو تحرير ثقافي. انهم أولاد آباء وأمهات متحررين كانوا يتركونهم وحدهم في المنازل، وتلاميذ مدرسين متسامحين كانوا يَدَعونهم يتعلمون بأنفسهم. هؤلاء الامريكيون يتطلعون ببساطة الى نظام منطقي ثابت يستطيعون في ظله تحقيق أهدافهم الشخصية.

وهم، سياسياً، وجدوا لدى الجمهوريين النظام الذي يسعون اليه. والناخبون دون السن الثلاثين اليوم هم الفئة الجمهورية الكبرى في البلاد. فمن وجهة نظر هؤلاء الناخبين الشباب، أحدث جيمي كارتر اقتصاداً بلغ التضخم فيه حد تهجيرهم، فيما منحهم رونالد ريغان نحو عشر سنين من النمو الاقتصادي والكبرياء المتجددة.

برز فشل الديموقراطيين في تفهم هذا الجيل الجديد في موقف "اللجنة الديموقراطية الوطنية" من عملية "عاصفة الصحراء." فهي أجازت قراراً لا يشير حتى الى انتصار الولايات المتحدة وحلفائها، لكنه خص الجنود الامريكيين السود واللاتينيين بالاطراء، واعتبر الجنود ضحايا في حاجة الى برامج مساعدات حكومية خاصة بدلاً من اعتبارهم أبطالا.

لقد انقطعت صلات الحزب

الديموقراطي بالعصر. مات نموذج "الصفقة الجديدة" الذي قدمه في الماضي، فيما يعاني نموذج "المجتمع الكبير" سكرات الموت.

ويحاول بعض الديموقراطيين المرشحين للرئاسة معالجة مشاكل حزبهم، لكن الدعاة الحزبيين على المنابر لا يزالون يهللون لمبادىء اقتصاد شعبي يعيد توزيع الثروة، وهي مبادىء رفضها الناخبون بقوة. ويحاول هؤلاء الدعاة إسكات أي ديموقراطي يشيد بقيادة الرئيس جورج بوش في حرب الخليج، فيما يوفرون أعلى اطراءاتهم لمعارضي القيود المفروضة على الاجهاض والتي تلقى دعما شعبيا واسعا.

كان على الحزب الديموقراطي، باعتبار تاريخ الدوائر الانتخابية المحسوبة عليه وتنوعها، أن يطرح نفسه مجسّداً للمجتمع الامريكي. لكنه يبدو غالبا كأنه يعتبر هذا المجتمع خصماً، ربما لتجمد فكر دعاته عند أزمتي ووترغيت وفيتنام.

يبقى أن البرنامج الديموقراطي يفتقر على نحو ملحوظ الى الاعتراف بحاجة البلاد الى النظام وتشجيع النمط المتحرك صعوداً والاحتفاء بالتنوع الاثني مع تأكيد اطار ثقافي موحد، الى سياسة خارجية يدعمها الحزبان وتعمل لتعزيز الحرية والديموقراطية في أنحاء العالم.

تبدو التشكيلة الديموقراطية الحالية، على رغم مثاليتها والتزامها، عالقة باستخلاص عِبَر خاطئة من الماضي. وأنا، وقد حددت هويتي السياسية كديموقراطي قبل ٣٢ عاماً، أتساءل عما اذا كان في امكان ديموقراطيي اليوم أن يصلحوا مسيرتهم أبداً.

مايكل بارون ■



مظلوم!

دوّن موظف في كتاب استقالته: "سيّدي المدير، قلت لي مراراً إنني لن احظى بزيادة على راتبي قبل أن استحقها. انت مجنون اذا اعتقدت انني سانتظر طوال هذه الفترة."

ر.د.

سرّ النجاح

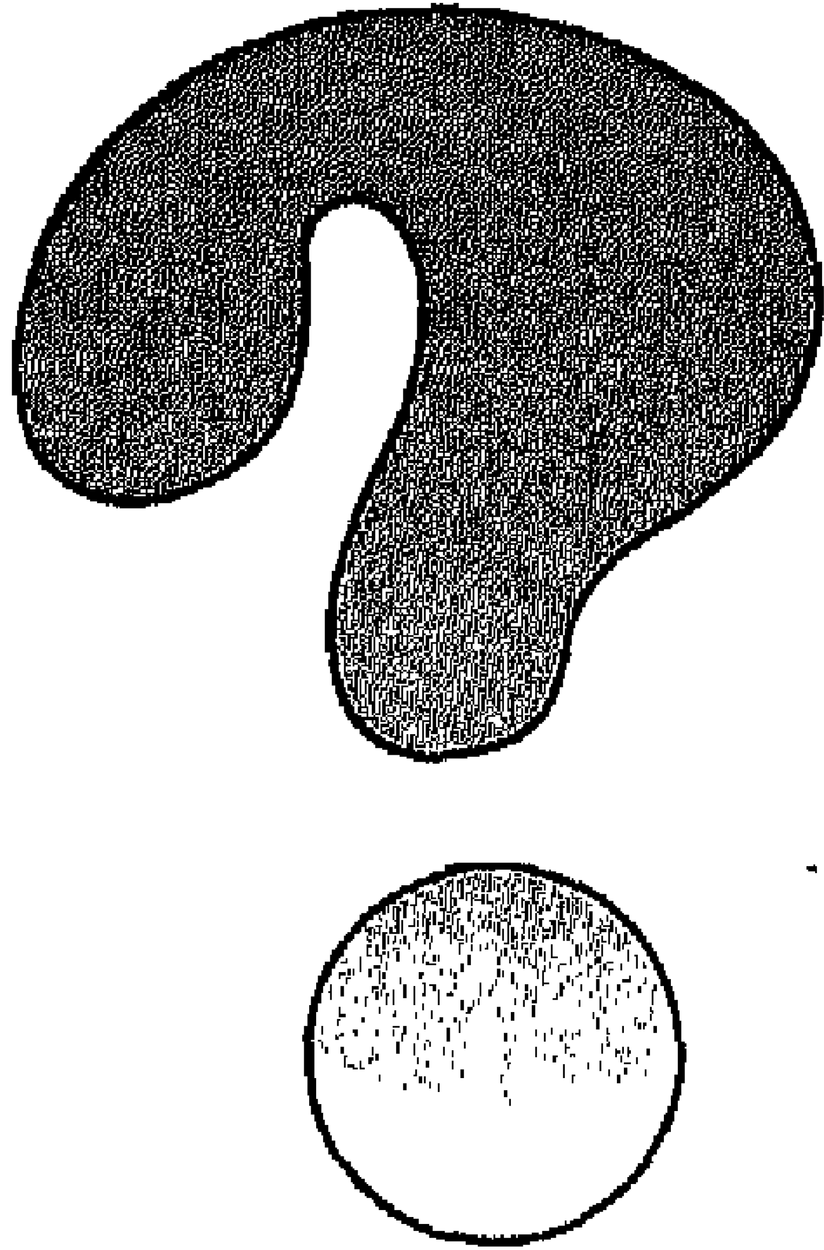
سُئل مندوب مبيعات عن سرّ نجاحه في مهنته، فأجاب: "لقد اتبعتُ المبادىء الاساسية الثلاثة التي يتقنها معظم البائعين: اعرف ما تبيع، واجرِ اتصالات كثيرة، ولا تقبل بكلمة لا جوابا. لكن نجاحي، بصراحة، يعود الى خسارتي المتعمدة امام زبائني في لعبة الطاولة (النرد)."

ا.ا.

هل انتم مؤهلون للانضمام الى "منسا" الجمعية العالمية لذوي معدلات الذكاء العالية؟ المؤهّل الوحيد هو حصولكم على مجموع علامات في امتحان ذكاء قياسي يضعكم في مصاف الاثنين في المئة الاول بين المتبارين. واعلموا ان من أعضاء الجمعية أشخاصا لم ينهوا دراستهم الثانوية وآخرين حصلوا على شهادات عالية.

وكنا نشرنا في السابق اسئلة من ضمن امتحانات "منسا." وقد وردت على الـ"ريدرز دايجست" بعد نشرها قرابة ٢٠٠ الف رسالة أصبح ٤٥٠٠ من أصحابها، لاحقا، اعضاء في جمعية "منسا."

اختبروا ذكاءكم. لا تترددوا في استعمال قلم وورقة، فنادراً ما ينجز العبقري كل أعماله في رأسه. وهناك علامات اضافية مكافاة لمن ينهي هذا الاختبار في اقل من ٢٥ دقيقة.



هَل تعرفُ أنك عبقري

١. فيما كان أحمد يسير في الطريق، التقى ابن زوج الابنة الوحيدة لحماته. فما هي صلة قرابة هذا الشخص بأحمد؟

٢. ما هو الرقم الناقص في السلسلة الآتية؟

١ ٣ ٩ - ٨١ ٢٤٣

٣. أي من الاقوال الآتية يتطابق في معناه مع المثل: "ليس كل ما يلمع ذهبا"؟

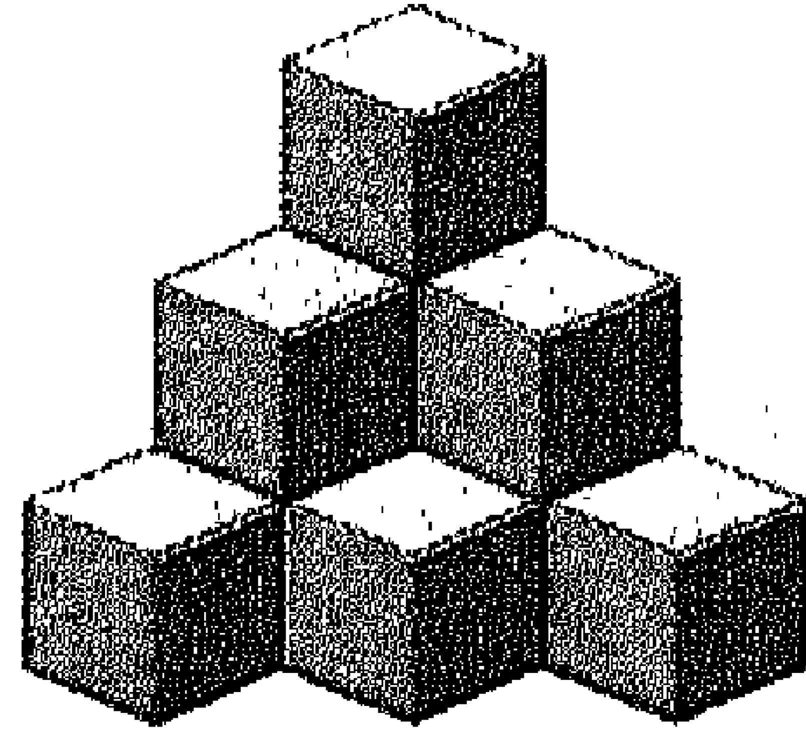
(أ) العصفور الجيد بريشه.
(ب) سرعان ما يفترق الاحمق وثروته.
(ج) لا يُقرأ الكتاب من عنوانه.
(د) الفلس المدخر ربح.
(هـ) هناك دائماً ضوء في آخر النفق.

٤. هذه أحرف كلمة شائعة الاستعمال. أعيدوا تركيب الكلمة.

ا ا ر ز ل م ن ة و

SOME OF THESE PUZZLES FIRST APPEARED IN «THE MENSA GENIUS QUIZ-A-DAY BOOK,» © 1989 BY DR. ABBIE F. SALNY AND «THE MENSA GENIUS QUIZ BOOK 2» © 1983 BY MARVIN GROSSWIRTH AND ABBIE SALNY. PUBLISHED BY ADDISON — WESLEY, ONE JACOB WAY, READING, MASS 01867. OTHER QUESTIONS COMPOSED BY DR. ABBIE F. SALNY
ILLUSTRATIONS: GEOFFREY MCCORMACK

٥. كم مكعبا في هذا الشكل؟



٦. اذا نال سليمانُ ٢٠ نقطة وسامي ١٠ نقاط ومي ٥ نقاط، فكم ينال مصطفى؟

٧. عدتم من إجازة وفي جيبكم ٩،٦٠ ليرات. واكتشفتم أن لديكم عدداً متساوياً من القطع النقدية من فئة ربع ليرة وعشرة قروش وخمسة قروش، ولا قطع من فئات أخرى. فكم قطعة لديكم من كل فئة؟ (الليرة = ١٠٠ قرش).

٨. أي من المواضع الآتية هو الاكثر اختلافا عن البقية؟

(أ) بيت (ب) قصر (ج) كهف (د) عزبة (هـ) اسطبل (و) خم.

٩. بكم رقم ٩ تمرون وأنتم تعدون من ١ الى ١٠٠؟

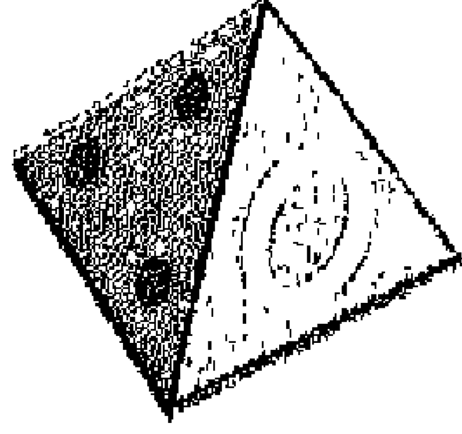
١٠. لفاطمة عدد متساو من الاشقاء والشقيقات. لكن لشقيقها أحمد من الشقيقات ضعفيْ ما له من الاشقاء. فكم صبياً وكم بنتاً تضم العائلة؟

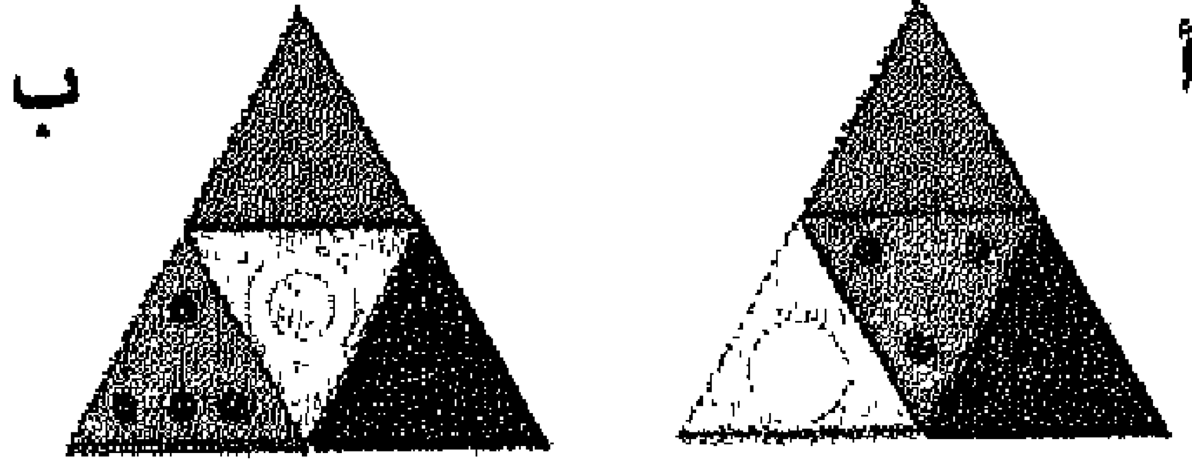
١١. أكملوا المقارنة الآتية: "الفجل بالنسبة الى البطاطا هو كما الدراقن بالنسبة الى:

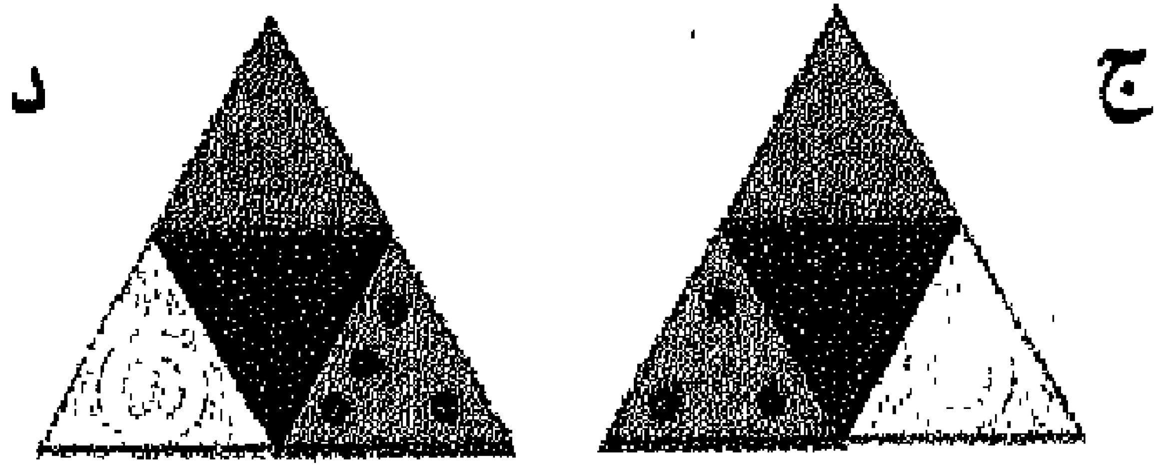
(أ) الفريز (ب) التفاح (ج) الفستق (د) البندورة (الطماطم) (هـ) العنب.

١٢. هذا مثل متنكر: "يُنصح الذين يقطنون أبنية هشة بعدم اطلاق قذائف ثقيلة." فما هو المثل الحقيقي؟

١٣. هذا مثلث طويت أطرافه. بأي شكل يظهر اذا ما أعيد نشر هذه الاطراف؟







١٤. قُبض على جاسوس، واكتشف الملازم بسرعة رموز الرسالة المهمة التي يحملها، ومضمونها: "هلا. ان جميع مناصري وليد اقوياء. فريد جمع رؤساء الاندية. لكم سلامي. باسمة تحييكم."

١٥. اذا كان اليوم الاثنين، فما هو اليوم الذي يلي اليوم الذي يسبق اليوم الذي يسبق الغد؟

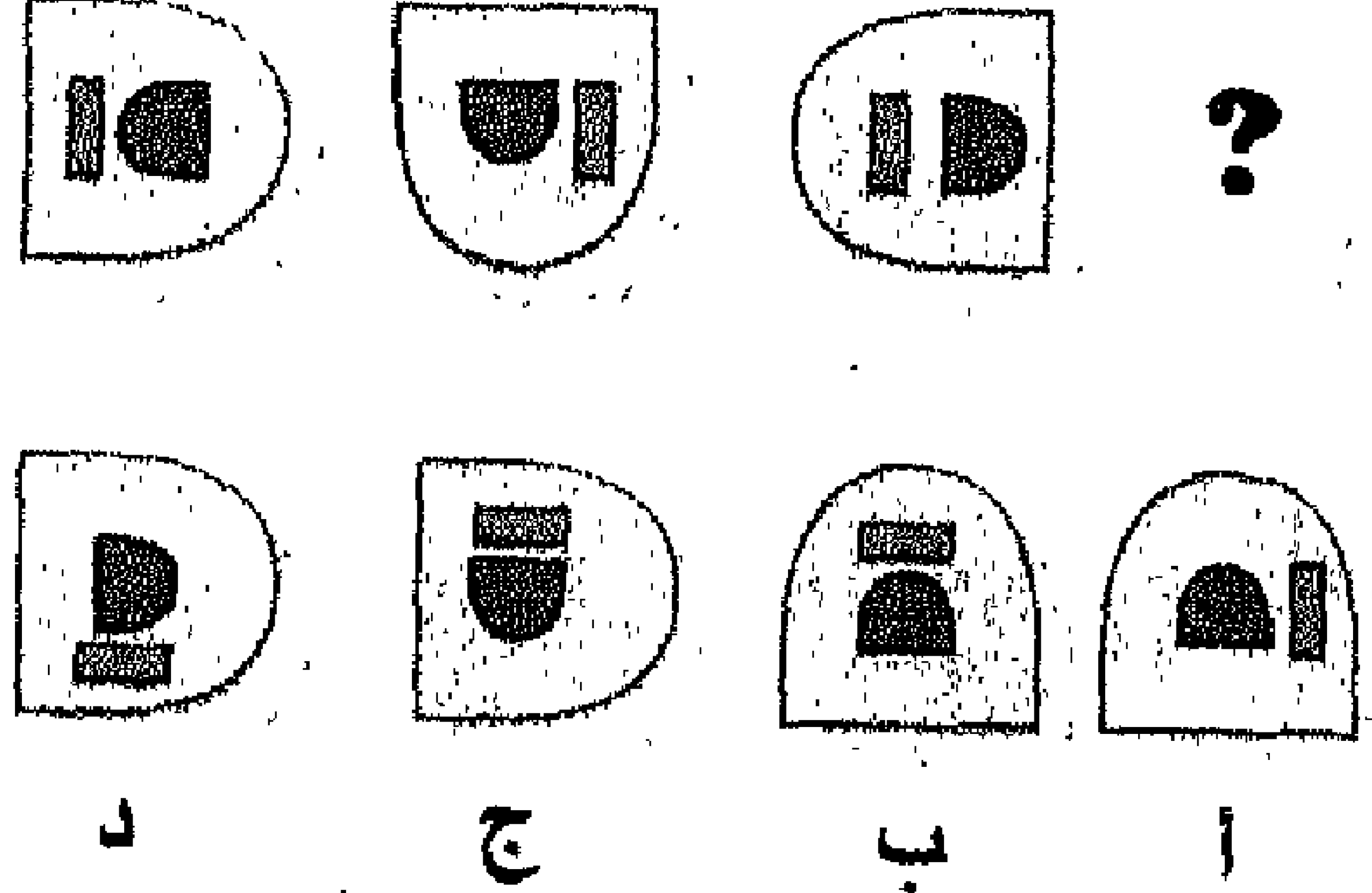
١٦. اتبعت قاعدة معينة لترتيب الارقام في هذين المربعين. اكتشفوا القاعدة وحددوا الرقم الناقص مكان علامة الاستفهام. (تعمل القاعدة أفقيا وعموديا.)

٦	٤	٢٤
؟	١	٦
١	٤	٤

٥	٣	١٥
٥	١	٥
١	٣	٣

هل تعرف انك عبقري؟

١٧. أي من الاشكال المرمَّزة يكمل الترتيب المرفق؟



١٨. أنت أنثى. ما هي صلة القرابة بينك وبين الابنة الوحيدة لحماة الصهر (زوج الابنة) الوحيد لابيك؟

١٩. ما هي الارقام الثلاثة المفردة التي يساوي مجموعها حاصل ضربها؟

٢٠. ما هو الحرف الذي يتبع هذه الحروف منطقياً؟

ك، ش، أ، ن، أ، ح،؟

(أ) أ (ب) ت (ج) س (د) ف

(الاجوبة في الصفحة ١٠٢)



سر المرق

كانت استاذتنا في فن الطبخ تشرح لنا طريقة اعداد نوع من المرق. ثم طلبت منا ان نحضِّر ما تعلمناه، واضافت: "لا تنسَيْن استعمال الملاعق الخشبية."

رحت افكّر وانا احرّك مرقي بالسرّ الكامن في استعمال ملاعق خشبية، واستنتجت ان لا بد من وجود علاقة بين الخشب الساخن والمرق تضيف لذة الى الطعام. وقررت التأكّد من فكرتي، فسألت الاستاذة عن الامر.

اجابت: "ماذا؟ هل تريدينني ان اجلس هنا واستمع الى قرقعة الملاعق المعدنية على الطناجر؟ ساجنّ حتماً."

س. هـ.

يرى أم لا يرى؟

وقف الرجل العجوز يمسح نظاراته امام موظف البنك. فساله هذا: "ايمكنني مساعدتك؟"

اجابه: "طبعاً، فمذ اتيتُ الى هنا واشتريت هذه النظارات وانا لا ارى شيئاً."

فقال الموظف: "أعتقد يا سيدي انك تريد دخول محل جارنا الاختصاصي بالنظارات."

فوضع العجوز نظاراته على عينيه واجال بصره في المكان ثم قال: "ألم اقل لك إن هذه النظارات لا تنفع؟"

س.و.

أضواء من عالم الطب

قطرات جديدة لتضييق البؤبؤ

■ يتجنب بعض الناس فحص عيونهم خشية تشوُّش نظرهم بفعل القطرات التي توسع بؤبؤ العين. لكن قطرات جديدة الآن تعيد بؤبؤ العين الى حجمه الطبيعي في وقت أسرع كثيراً.

اختبر الدكتور ريتشارد الينسون رئيس قسم الشبكية في عيادة العين بجامعة أريزونا، قطرات تحوي العقار دابيبرازول* على خمسين شخصاً اتسع بؤبؤ عيونهم، فعاد البؤبؤ لدى اكثر من نصفهم الى حجمه الطبيعي في اقل من ساعتين، ولم يستغرق لدى بعضهم الا ثلاثين دقيقة. وهذه نتيجة ممتازة بالمقارنة مع مدة أربع ساعات أو خمس إن لم تستعمل هذه القطرات.

تتولى عضلات قزحيّة العين، وهي "مغلاق" العين الملوَّن، توسيع البؤبؤ أو تضييقه تبعاً لشدة الضوء. ويستحث الأطباء توسُّع البؤبؤ بواسطة القطرات لكي يتمكنوا من رؤية الشبكية بكاملها وتحديد أعطال وأمراض خطيرة كالانفصال الشبكي أو السد (الماء الازرق) أو النزف الناتج من داء السكّري. لكن توسّع البؤبؤ يُعجز المرضى عن القراءة وقيادة السيّارات ريثما يزول مفعول القطرات.

أما قطرات تضييق البؤبؤ الجديدة فمأمونة وسريعة وغير مؤلمة، ولا أعراض جانبية لها باستثناء احمرار طفيف في العين.

(*) Dapiprazole

مجلة "اميريكان هيلث"

انسداد الشرايين

■ يخضع ملايين الناس كل عام لعمليات "بالون"[1] من أجل فتح شرايينهم المسدودة. لكن هذه الطريقة التي تقضي بنفخ بالون داخل الوعاء المسدود لتوسيعه والسماح بجريان الدم عبره من دون قيد، قد تؤذي جدران الوعاء. واذ يلتئم الجرح تتكاثر الخلايا في الموقع مسببة انسداداً جديداً.

وذكرت دراسات سابقة أن ثمة مادة طبيعية تدعى "عامل النمو الصفيحي" (PDGF)[2] تؤدي دوراً في الانسداد الجديد للشرايين المعالجة. ولاختبار هذه المقولة، احتاج راسل روس وزملاؤه في كلية الطب بجامعة واشنطن الى جسم مضاد لـPDGF وحصلوا عليه من طريق حقن ماعز بـ «PDGF» مأخوذ من البشر، فاستجاب جهاز المناعة لدى الماعز بتطوير أجسام مضادة.

عندئذ عمد العلماء الى اجراء عمليات "بالون" لـ ٣٨ جرذاً، ينفخون البالون في شريان مسببين تلفاً في جدرانه، تماماً كما يحدث في الحالات البشرية. ثم حُقن نصف الجرذان بالجسم المضاد لـ «PDGF» الذي انتجته الماعز، فيما حقن النصف الآخر بجسم مضاد آخر. واظهرت النتائج أن الجرذان التي حقنت بالجسم المضاد لـ «PDGF» قد خفّ لديها التكثف الشرياني في موضع العملية بنسبة ٤١ في المئة فيما لم تظهر الجرذان الأخرى أي تحسن.

(١) Balloon Angioplasty

(٢) Platelet — derived growth factor

وكالة أسوشييتد برس



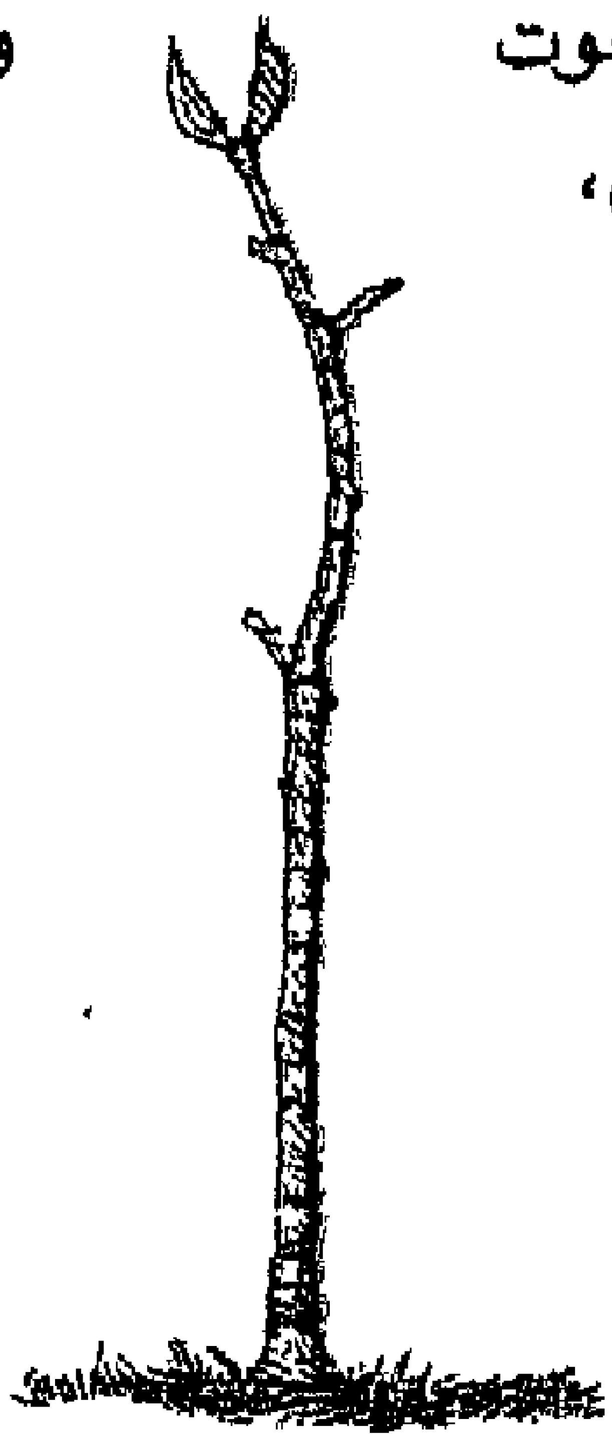
كل حياة مهما قصرت غنية بالآمال والوعود

قبل نحو عقدين، في عز الشتاء في نبراسكا، غمرني شعور بأن عائلتنا بلغت قمة السعادة بفضل نشاط زوجي كين وكده في عمله. لذا لزمت البيت لأرعى شؤون المنزل وأنعم بالعيش قرب بناتي الثلاث الشقر الزرق العيون – لزلي (١٤ عاماً) ولين (١٠ أعوام) وليزا (٦ أعوام) – فأزهو برؤيتهن زهرات يملأن البيت صخباً ومرحاً ومحبة. كان أكثر ما يسرني تباين طباعهن. وهل يفوت الوالدين التكلم في هدأة الليل، وأولادهما نيام، عن عظمة الله الذي خلق ذريتهما؟

كانت ليزا ماري صغرى بناتنا ومعروفة في الجوار بأنها ذكيــة مــرحــة مضحكــة ذلقــة اللسان صريحة الى حد مثير. وكانت في حركة دائمة كأنها ترقص على أنغام منبعثة من داخلها.

كانت في الصباح تقفز من فراشها وتركض الى غرفة شقيقتيها وهي تضحك صاخبة، فتعاكسهما الى أن تستيقظا. وكانت تبتهج بحشو أغراضهما في الغسالة: دببة وفراشي أسنان وأحذية. حتى هرنا سبوك لم ينج من دخول الغسالة مراراً مستنجداً بمواء مكبوت.

كان من واجبات ليزا المنزلية تفريغ المهملات من السلال في الطبقة العليا ورميها في صندوق النفايات في المطبخ. وذات يوم تنبهت الى أنني لم أر ليزا تقوم بهذا الواجب مع أن السلال كانت فارغة. وبعد البحث وجدت النفايات مطروحة في خزانة المكيف. وشرحت لي ابنتي أن ذلك أسرع من نقلها الى الطبقة السفلى.



ولارباك شقيقتيها الجديتين الأكبر منها سناً، كانت تجر صندوقاً الى حديقة منزلنا

ILLUSTRATION: GREG DEARTH

المواجهة للشارع فترتقيه بشقاوة وفي يدها خرطوم كبير للري تنفخ فيه مردِّدة أشعاراً غنائية تتضمّن كلمات غير لائقة. وفي بيتنا يُفرض على مَن يتلفّظ بكلمات نابية أن يدفع غرامة مقدارها خمسة سنتات الى "صندوق اللغة" حيث يُجمع المال ويُدفع الى صندوق التبرعات في جمعية خيرية قريبة. غير أن ذلك لم يثنِ ليزا بل أتاح لها فرصة للتمتّع بحريتها الكاملة في قول ما تشاء في مقابل خمسة سنتات فقط!

أفتتن الجيران بهذه الفتاة الشقراء الفائقة الحيوية، وقال أحدهم: "إنها كفراشة صغيرة جميلة ترفرف من مكان الى مكان."

كانت تحلو لها الزيارات حين تزعجها أمور في المنزل. وقد روى لي زوجان عجوزان أنها زارتهما مرة فجلست ثم تنهّدت عميقاً وراحت تشتكي: "تلك المرأة تهلكني بالعمل." وهي كانت تعنيني أنا طبعاً، وأظنني كنت في ذلك الحين أنظف خزانة المكيف من النفايات.

صباح يوم ربيعيّ بارد عام ١٩٧٣ رجعت ليزا من روضة الأطفال وهي تجرّ عوداً وأعلنت: "لا أظنكم تعلمون أن اليوم عيد الشجرة، وقد أعطوا كلاًّ منا غرسة. وهذه الغرسة ستنمو وتصبح شجرة جميلة."

كانت "الشجرة" عوداً يابساً لا أثر فيه للحياة. وقد انتُزعت اللفافة عن الجذور الصغيرة بعد جرها طوال الطريق، فبانت جافّة لا أمل في إحيائها. لكنّ ليزا أقنعت أباها بمعاونتها في غرسها وسط الفناء الخلفي للمنزل. ثم وقفت وأعلنت: "سمَّيتها أنجيلا[1] لأنها تحتاج الى بركات جميع الملائكة لكي تنمو."

دأبت ليزا على سقي أنجيلا يومياً، فكانت تربِّتها وتكلّمها ثم تحني رأسها لتتلو دعاء وتطلب لها البركة. كان في صدر ليزا ايمان بريء راسخ بأنها ستتعهّد هذا العود وسينمو ويغدو شجرة شامخة.

صباح أحد أيام الصيف اندفعت ليزا الى المطبخ هاتفة: "ورقتان يا أماه! ورقتان!" كان العود المسمّى أنجيلا أنبت زوجين من الأوراق الخضر الصغيرة احتفلت بهما ليزا ودعت ذلك اليوم "يوم التهليل."

وما لبثت أنجيلا أن غدت فرداً من أفراد العائلة. وتعودنا أن نكلمها لارضاء ليزا. وحين مسَّتها لزلي بجزازة العشب يوماً طلبت منها ليزا تقديم اعتذار. فانحنت لزلي فوق أنجيلا وقالت بأدب واحترام: "آسفة لصدمك، وأعدك بألاّ أكرّر ذلك."

في نهاية ذلك الصيف أحسستُ أن أنجيلا فرضت عليَّ اعترافاً باطنياً بحضورها حتى في غياب ليزا.

في شتاء ١٩٧٣ – ١٩٧٤ كانت ليزا تخرج الى الفناء غير آبهة للثلج والصقيع، وتشجّع أنجيلا على الهجوع خلال فصل الشتاء والاستعداد للنهوض في الربيع. وفي الصيف نبتت لها أوراق

(١) اي الملاك.

جديدة، فكان ذلك بالنسبة الى ليزا مدعاة الى الاحتفال والابتهاج. وشاركنا ليزا في فرحتها حين وقفت ويدها على أنجيلا وهي تبتسم لنا جميعاً باعتزاز وشقاوة.

تلك هي صورة صغرى بناتي التي اختزنتها في مخيلتي.

نبضة أخيرة

في شهر أغسطس (آب) بعد يومين من عيد مولد ليزا السابع، أطلّ علينا الجرّاح الذي كان يجري لها جراحة في صدرها في مستشفى أوماها في نبراسكا. وكنت وزوجي كين في الانتظار، فقال لنا متجهّم الوجه: "لست في حاجة الى الفحص بمجهر، فالورم هو أخبث الأورام التي شاهدتها في حياتي." ثم غادرَنا مذهولَيْن ولم نره ثانية.

وكانت ليزا استيقظت ليلا قبل أسبوعين وقالت لي: "ماما أشعر بسخونة داخلي." وعلى الأثر انتابتها نوبة سعال حاد. وبعد أسبوع لاحظتُ انتفاخا في صدرها، وأظهرت فحوص الأشعة السينية (اكس) وجود ورم، فنقلناها فوراً الى أوماها التي وصلنا اليها بعد خمس ساعات في السيارة.

وفي المستشفى، أخذت الأيام تتوالى في متاهة مضنية من الانتظار والفحوص الطبية والمخبرية والآراء المتضاربة والقرارات المعذِّبة. ثم أُجريت جراحة وأُعلن التشخيص الرهيب: ورم لمفاوي من غير نوع هودجكنز.[٢] ولمحاربة هذا الوحش الذي نهش صدر ابنتنا اعتمدنا معالجتين: واحدة بالأشعة وأخرى بالمواد الكيميائية. وكان أكثر ما يروّعنا سماع ابنتنا الغالية وهي تصرخ ألماً. وتقلّص حجم الورم، لكنه ما لبث أن عاد أشدّ فتكا من ذي قبل.

ولكم صلّيت من أجلها. وذات ليلة حلمت أنها ماتت، فلم أخبر كين بالحلم لكنني كنت على يقين من أن تلك ستكون الخاتمة.

في عيد الميلاد الذي سبق إصابة ليزا بالداء أهدى اليها "بابا نويل" كلباً محشوا ضخما ذا أذنين عريضتين متدلّيتين، فدعته نورمان. وهي أخذته معها الى مستشفى الاطفال في دنفر في كولورادو حيث تقرر أن تقيم خمسة أسابيع تخضع فيها للمعالجة بالإشعاع. وكانت كل يوم تُدخَل غرفة جرداء لتتلقى العلاج بينما أقف أنا وراء النافذة حاملةً نورمان.

وعادت ليزا الى المنزل وظلت خاضعة لعلاج كيميائي. كانت تمضي معظم الوقت منزوية في غرفتها. وحين كانت تخضع لمعالجة كيميائية عنيفة كانت تحضن نورمان علّها تجد في ذلك راحة. ولازمتها كلبتنا الصغيرة بوتن. وكان الدكتور لويس هاردن، طبيب الأطفال الشاب العطوف، يعودها ليلاً أو نهاراً كلما احتاجت اليه.

كنت أتحادث مع ليزا ساعات طويلة من الليل، وأحيانا يخالجني شعور بأنها تريد طرح بعض الاسئلة عن مرضها، عما إذا كانت مشرفة على الموت. لكنها لم

(٢) Non-Hodgkin's lymboblastic lymphoma

تسألني مرة. لذا وقعت في حيرة وأنا لا أعرف كيف أحملها على طرح السؤال. وما كنت أدري بماذا أجيب لو سألتني. فالتزمت الصمت حيال هذا الموضوع.

وذات صباح كنت أمشّط شعرها الأشقر الأملس فأخذ يتساقط خصلاً في يديّ. وعلى رغم ألمي العميق جهدت في أن أبقى هادئة رابطة الجأش. في تلك اللحظة دخلت علينا لزلي بوجهها الجميل المحبّ وقالت لي بهدوء: "ماما، دعيني أنا أمشط شعر ليزا."

مرت سنوات كثيرة قبل أن نتكلّم على هذه اللحظة التي تبين لنا في ما بعد أنها كانت نقطة تحوّل مثير لكلتينا. فللمرة الأولى أثناء محنة ليزا تسنح فرصة للزلي كي تعطي شيئاً من ذاتها. وكانت مصمّمة، مثلنا، على التزام مؤامرة الصمت والزعم أن الحياة ما زالت تسير في مجراها الطبيعي.

حلّ شهر يونيو (حزيران) فشعرت ليزا بتحسن طفيف مكّنها من ركوب درّاجتها الهوائية. لكنها ما لبثت أن أصيبت بنكسة اضطرتها الى العودة الى المستشفى في دنفر، حيث أعلن الطبيب أنه لم يبقَ سبيل ناجع لمعالجة السرطان وأن لا جدوى من متابعة العلاج الكيميائي وتحميل الفتاة مزيداً من الآلام. فعدنا الى البيت .



ليزا ماري لانغفورد.

كنت على يقين من أن ليزا عرفت بدنو أجلها وإن لم نتلفّظ نحن أمامها بما يحملها على هذا الاعتقاد. وعلى رغم ذلك لم يفارقها الابتهاج في تلك الساعات الحالكة ولم تُظهر أنها خائفة. فقطعت على نفسي عهداً أن أساعد ليزا على أن تعيش بقية حياتها مشبعة الرغبات لا ينغّصها توق الى أي شيء حتى يحين موعد مفارقتها. كانت مصرَّة على تعلم السباحة، ففعلت. وظلت تقوم بزيارات مصطحبة نورمان. وكلّفها أحد الجيران مرة مساعدته في إقامة حفلة لزوجته، فحضر الجيران جميعهم وكانت تلك مناسبة مثيرة أبهجت ليزا.

بعد أسبوعين، في أصيل ١٧ أغسطس (آب) والحرّ على أشده، غرقت ابنتنا الصغيرة في غيبوبة هانئة ونورمان الى جانبها. وأخذ تنفّسها يخفّ الى أن توقّف. وللحظات طويلة ظلّ الدكتور هاردن يرتقب تجدّد النبض الذي غاب كلياً. فقطعتُ السكون أخيراً وسألته: "هل انتهى كل شيء؟"

أجاب بهدوء: "نعم، لقد انتهى كل شيء."

في مأتم ليزا غصت الدار بالمشيّعين الذين وفدوا لوداعها. ورُفعت الى جانب النعش الصغير راية رسمت عليها فراشة

جميلة ترفرف باسطةً جناحيها كأنها سابحة في الأثير. والتزمنا، نحن أفراد عائلتها، الظهور بمظهر الأقوياء والترفع عن البكاء.

بعد الدفن عدنا صامتين الى المنزل حيث اقتعد نورمان فراش ليزا الخالي في الطبقة العليا وانتصبت أنجيلا في الخارج وحيدة تحت أشعة الشمس الحارقة. وغارت قلوبنا في سكون ووحشة وفراغ.

داخل مكعَّب زجاجي

كنت أخال أن عائلتنا ستجد راحة بعد وفاة ليزا التي انتقلت الى جوار ربّها بعد طول معاناة، وأننا سنعود الى متابعة مسيرة حياتنا المثمرة.

إلّا أن ذلك لم يحصل.

وبغية الظهور بمظهر "الاقوياء" الذين لم تُثنهم نكبتهم عن "السير في ركب الحياة،" عمدنا الى بيع أثاث غرفة ليزا وأهدينا لعبها وملابسها الى جمعيات خيرية. غير أن نزعة غريزية حملتنا على ايداع نورمان إحدى الخزائن. وبعد أيام لم يبق في المنزل أثر ظاهر يذكّرنا بليزا سوى الكلبة بوتن التي كانت تقبع ساعات طويلة على الأرض في غرفة ليزا ساهية حزينة واليأس والكآبة يشعّان من عينيها. كانت بوتن الكائن الوحيد في البيت الذي انفتح قلبه على جروح المأساة المكبوتة.

كنا نتجنّب التحدّث في الموضوع، وسهّل علينا غياب ليزا الامتناع عن ذكرها. كنا كأنما كل منا يعيش داخل مكعّب زجاجي، يرى الآخرين ويسمعهم، لكنه لا يمسّهم بفكره.

ألفيت نفسي وحيدة وخائفة من أن أكون، بمحاولتي إخفاء الداء عن ليزا، عزلتها وزججتها في دوّامة من المخاوف الغامضة. ورحت أبحث عما أجد فيه شفائي، بيد أني كنت متيقّنة من أن المهم في الأمر هو أن أبقى قوية ولا أستسلم للبكاء.

في تلك الأوقات الحالكة كانت أنجيلا الرابط الوحيد الذي يشدّنا الى ليزا. ونمت الى أن بلغ علوّها مترين. لكن ذكريات وفاة ليزا كانت تملأ بيتنا، فقرّرنا الانتقال الى مسكن آخر وتعهّدنا أن ننقل أنجيلا في الربيع الى مسكننا الجديد.

ولكن اتضح لنا بعد فوات الأوان أن هربنا من أنفسنا أمر يرثى له. إذ ما إن أقمنا في منزلنا الجديد حتى أدركنا أننا حملنا اليه كل أسانا ولوعتنا.

وصباح يوم قارس من أيام ابريل (نيسان) عدنا الى منزلنا القديم لننقل أنجيلا. ومثل ليزا، غمرنا شعور ملحاح غير معلن بوجوب العناية بأنجيلا وتعهّد نموها كما كانت ليزا لتفعل لو بقيت حية. فغرسنا الشجرة في فناء المنزل حيث نراها من غرفة الجلوس.

لم تتوقف مسيرة الحياة. فتابع كين عمله المصرفي، وأمضيت أوقاتي في تنشئة لين ولزلي. واستمرّ كبت عواطفنا. وكان الاعتناء بأنجيلا، التي ازدادت رونقاً وعافية، سبيلنا الوحيد الصامت الى تذكّر ليزا.

بعد سبع سنوات على وفاة ليزا رافقتُ كين الى لقاء للآباء المفجوعين عقدته جمعية "الاصدقاء العطوفين."

استهل رئيس الجلسة اللقاء بالقول إن كلًا من المجتمعين فقد ولداً عزيزاً، لذلك كلنا مؤهلون لمساعدة الآخرين على تحمّل هذا المصاب. فأغضبني كلامه وهتفت: "ولماذا أساعد الآخرين وأنا لم يساعدني أحد في نكبتي؟"

وجلست متوترة والجميع ينظرون الي بصمت.

ثم حدث أمر مثير آخر، اذ تلقيت اتصالاً من لزلي التي تخرّجت في الجامعة وكانت تسكن في أوماها. كانت مضطربة كأنما ثمة خطب جلل. وسألتني فجأة: "ماما، أين نورمان؟ ألم تحتفظي به؟ أرجو أن تقبّليه عني قبلة حميمة."

ثم أضافت هامسة: "اشتقت الى ليزا."

انفتحت السدود العاطفية داخلنا وأفضنا في الحديث عن ليزا. رحنا نتذكّر كم كانت رائعة وذكية ومسلّية. أما الفضل في كشف مشاعرنا العميقة والاعراب عما يختلج في قلبينا فيعود الى نورمان، ذلك الكلب الطويل الأذنين.

في ذلك اليوم خرج نورمان من الخزانة ليصبح جزءاً بارزاً من منزلنا. وإذ أفصحتُ عن مكنونات قلبي وشرعت أحدّث الآخرين عن البهجة والفرح والدروس التي حفلت بها حياة ليزا القصيرة، أحسست أن تغيرا جذريا طرأ على حياتي.

بتُّ أرتاح الى مشاركة أفراد جمعية "الاصدقاء العطوفين" في آلامهم وأتراحهم. وتوصلت الى ادراك حقيقة مهمة: أنني، طوال فترة تعاستي، كنت أترقّب من يمدّ لي يد المعونة. وتيقّنت أن شفائي سيأتي من طريق مساعدة الآخرين. لذلك وضعت هذه الغاية نصب عينيّ، فدرست وحزت شهادة ماجستير في علم الارشاد، وشاركت في تأسيس مصح عقلي، واختصاصي مساعدة أولئك الذين فقدوا أحبّاء.

عملاقة خضراء

في كل عيد ميلاد أجتمع بعائلات مفجوعة بفقد أحد أولادها، والى جانبي يجلس نورمان الذي شاخ لكنه ما زال يعكس الحب الذي غمرته به ليزا. فأروي لمحدثيَّ قصة لفّ نورمان بالنايلون وايداعه الخزانة طوال سنوات لكبت ذكريات ليزا في صدورنا، وقصة كفاحنا الطويل القاسي لمواجهة مأساتنا وحزننا لوفاة ليزا. وأخلص من ذلك الى تشجيعهم على مقاومة الرغبة في أن "يظهروا بمظهر الأقوياء" وحضّهم على أن يُجِلّوا ذكرى الأولاد الذين ماتوا ويُشركوا فيها بعضهم بعضاً. بذلك فقط يبقى الولد الفقيد حياً في قلوبهم، كما بقيت ليزا في قلبي.

حين توفيت ليزا كانت لين في الثانية عشرة من عمرها، وهي لم تأت على ذكر أختها اطلاقاً لسنوات. واعتبرت أن جمعية "الاصدقاء العطوفين" ليست

سوى "سخافة." وذات ليلة، وكانت تدرس في الجامعة، تلقيت منها اتصالاً عاطفيا كالذي تلقّيته من لزلي قبل سنوات. وباتت لين تفرح بالمشاركة في ذكريات ليزا.

بعد زواج ابنتينا انتقلتُ أنا وكين عام ١٩٨٨ الى منزل أصغر. وكانت أنجيلا العزيزة كبرت بحيث تعذّر نقلها. فالتقطتُ لها صورة وهي في روعة تفتّحها وعلقتها في غرفة نومنا.

وفي أواخر ١٩٩٠، في الذكرى الثالثة والعشرين لمولد ليزا، خصّص كين المال الذي كان سيصرفه على تعليمها لتقديم منح جامعية الى طلاب معوزين.

وأنا الآن سعيدة وأشعر بالرضى لأن معاناتي الطويلة في ظل الموت انتهت ولأن الصلاح والرحمة أعادا الى نفسي السكينة التي افتقدتها. وصرت أعرف أن المأساة غالبا ما تكون مغلّفة بالرجاء، وأن كل حياة مهما قصرت غنيّة بالآمال والوعود. كما أعرف أن سرّ شفائي كان في فتح قلبي ليتلقّى النور وتتفتّح فيه ذكريات ليزا، وفي ملء الفراغ الذي خلّفه موتها بخدمة الآخرين.

تركت لنا ليزا إرثا ثمينا رائعا هو أنجيلا. فشجرة الميس هذه أصبحت عملاقة خضراء شامخة ترتفع ١٩ متراً، راسخة وضاربة في الفضاء شهادة حيّة على ايمان طفلة طاهرة. فليزا لم يخامرها أي شك في أن ذلك العود الجافّ الهزيل الذي غرسته قادر على التجذّر في الأرض والنمو ليصير شجرة مهيبة وارفة. وفيما كان مفترضاً أن نكون نحن معلّمي ليزا، كانت هي التي علّمتنا فغرست في قلوبنا محبة وايمانا.

بات لانغفورد ■



بلاغة ريفية

وصلنا الى منزلنا الريفي في طقس ماطر، فوجدنا التيار الكهربائي مقطوعاً في منزلنا. فاتصلنا بالمالك الذي قال انه سيرسل الينا عامل تصليحات. وصل العامل بعد قليل، وكانت العاصفة اشتدت، فسألتُه: "أتعتقد ان هذه العاصفة ستنتهي؟"

فاجاب بثلاث كلمات: "كانت تنتهي دائماً."

د.و.

أنا موجود!

تعلّم صديقتي مادة الفلسفة في احدى الجامعات. ذات يوم سألت طلابها ان يكتبوا عبارة قصيرة رداً على السؤال: "كيف تثبت انك موجود؟"

وقد جاء في احدى الاجابات: "أنا ادفع القسط الدراسي، اذا أنا موجود!"

س.م.

حكايات من العالم

سكان العالم

□■ اذا جُمع سكان العالم البالغ عددهم نحو ٥،٤ مليارات في بقعة واحدة، وحظي كلّ منهم بحوالى نصف متر مربع ليقف فوقه، لغطوا جميعاً مساحة أقلّ من ألفي كيلومتر مربع.

صحيفة "باراد"

الالقاب في روسيا

□■ لا يدري المواطنون الروس اليوم بماذا يتنادون. فمنذ ثورة ١٩١٧ غابت القاب التشريف عن اللغة الروسيّة المحكيّة. وعبارتا "غوسبودين" و"غوسبوجا" تعنيان "سيّد" و"سيّدة"، لكنهما قد توحيان طبقية خفيّة، ويجد فيهما بعض الرفقاء القدامى مهانة.

وقد لا يرغب البعض في أن يُنادى "غراجدانين" اي "مواطن" لأن هذه العبارة تستخدم في مخاطبة السجناء. وعبارة "ديفوشكا" اي "آنسة" تعني حرفياً "فتاة" ولذلك توحي استعلاء. أما العبارة القديمة "سودار" وتعني "السيّد" فتبدو من مخلّفات العهد القيصري.

لذلك لا يزال الروس يتخبطون في ما يستعملونه للتنادي، خلافاً لشعب جمهورية اوكرانيا الذي عاد الى استعمال القاب التشريف القديمة مثل "بان" و"باني" المقتبسة عن البولونية والتي تحمل مضامين مخاطبة طبقة الاشراف الاقطاعيين. هذه التسميات لم يمحُها نظام ولا زمن.

صحيفة "نيويورك تايمز"

خشب البرازيل

□■ أدّى طوفان غمر ألوف الكيلومترات المربعة من غابات المطر البرازيليّة الى نشوء صناعة جديدة غير تقليديّة هي استخراج الخشب من تحت الماء.

وكانت ملايين من جذوع الاشجار مغمورة تحت مياه البحيرة التي كوّنها بناء سد توكوروي الكهرمائي عام ١٩٨٠ في منطقة بارا. وأثارت هذه الثروة المائية "شهيّة" المستثمر الصناعي خواريز كريستيانو غومز، فاخترع منشاراً كهربائياً يعمل تحت الماء، وأسس شركة لاستخراج هذه الأخشاب.

ويحمل الحطابون قوارير أوكسيجين على ظهورهم ويغطسون الى عمق ٥٠ متراً تحت سطح الماء. وهم بمنأى عن خطر سقوط الاشجار عليهم، فهذه، ما ان تقطع بالمنشار حتى "تقع" صعوداً الى السطح حيث تقطر الى المناشر. لكن ثمة خطراً آخر. فقد عضت سمكة بيرانا حطاباً تحت الماء. (البيرانا سمك مفترس يعيش أسراباً ويلتهم حيواناً ضخماً في دقائق.)

صحيفة "دسبرتاي" البرازيلية

التأجيل يتعب أكثر مما يريح

إلامَ تؤجلون عمل اليوم؟ اقرأوا هذه الارشادات وابدأوا اليوم عملاً تجنبتموه طويلاً

قرر موظف اداري في شركة كبرى أن يتقاعد من وظيفته وهو في السن الثانية والخمسين. واشترى بما ادخره معملاً متواضعاً للشوكولاتة. كان المعمل يكاد لا يغطي تكاليفه، لكن صاحبه الجديد أمل أن يزدهر بسرعة بحكم خبرته هو ومهارته في حقل التسويق.

وعلى رغم هذه الآمال العراض بدأ الموظف السابق يهمل عمله، فيضيع وقته في البيت بدل التبكير في الذهاب الى المصنع، ويقوم بأعمال هامشية وبأي شيء يعيقه عن الذهاب الى عمله. وفي هذه الاثناء كان معمله يتداعى نتيجة سوء الادارة.

كثيرون منا يعتمدون المماطلة والتأجيل من وقت الى آخر. ففي دراسة أجرتها استر روثبلوم وزملاؤها وشملت ٣٤٢ طالبا في جامعة فرمونت، اعترف نصفهم بأنهم يتلكأون في كتابة مواضيع وفروض تطلب منهم في الجامعة. وتنوعت الاسباب، ولكن أقرّ الجميع بأن الخوف من الفشل هو الدافع الاول للتأجيل.

ويبدو أن صاحبنا لم يتولَّ كليا إدارة شركة من قبل، فهالته المسؤولية وتولاه الذعر. وأوصلته مخاوفه المفرطة الى تصور افلاسه وفقدانه احترام زوجته وابنه ومحبتهما.

وعندما تحدثنا عن مخاوفه تبين له

مدى سخفها وأدرك أنه وإن خسر معمله فلن يخسر حب عائلته. والواقع أن الازمات يمكن أن تقوي الرابطة العائلية وتشد أواصرها.

عاد الرجل الى عمله بعدما اطمأن نفسيا. وبعد أسبوع طلع ببدعة جديدة في التسويق فزادت طلبات منتجاته وباتت تباع في عشرات المتاجر.

قد يتهرب واحدنا من دفع الفواتير أو من دعوة صديق الى مقهى أو مطعم. لكن تأجيل عمل ما، مهما يكن شاقاً، لهو أصعب كثيراً من تأديته. هنا خمسة ارشادات تخلصكم من هذه السيئة، سواء أكانت وقتية أم نمط حياة:

١ . توقعوا صعوبات. يفترض المماطلون أن الناجحين في الحياة انما يحققون أهدافهم بعيداً عن كل إحباط أو إخفاق أو تشكيك في الذات. لكن هذا الافتراض لا يستند الى واقع. فالاشخاص المتميزون بانتاجية عالية يدركون أن الحياة ملأى بالاحباطات، لذا يتوقعون كثيراً من العوائق في الطريق لكنهم يعملون على تخطيها.

اشتكت ابنتي مرة من صعوبة في استيعاب مادة الكيمياء خلال سنتها الثانية في الثانوية. فأخذت تؤجل درسها الى ليلة ما قبل الامتحان بعدما يئست من استيعاب المادة. وكانت تحصل بصعوبة على المعدل في الامتحانات.

شرحت لها أثناء مناقشتنا المشكلة مدى معاناتي خلال تعلمي أموراً كثيرة. ولاثبات حقيقة كلامي أطلعتها على فصل من كتاب في مادة الاحصاء درسته طوال سنة من دون أن أتمكن منه. وكان الكتاب باليا من كثرة التسطير والتقليب. أخبرتها أن تقدمي البطيء لم يدفعني الى اليأس، لانني توقعت أن تكون دراسة الموضوع صعبة وعرفت أني سأفهم أكثر وأستوعب أكثر كلما أعدت قراءة ذلك الفصل.

عندما اقتنعت ابنتي بما قلته تغيرت طريقة دراستها وأصبحت تدرس المادة على أساس تحدّ لا خصومة.

٢ . حللوا الحسنات والسيئات. قارنوا الايجابيات التي تعتقدون أنكم تكسبونها من تأجيل عمل ما، بالسلبيات المترتبة على هذا التأجيل.

أخبرني طالب في المرحلة الاعدادية لدراسة الطب أنه يماطل في كل شيء حتى في النهوض من النوم صباحاً. وبدل حضور صفوفه يتسكع مع أصحابه نهاراً ويتسلى بالكمبيوتر ليلاً. وأوصله إهماله الى شفير الرسوب على رغم ذكائه ومواهبه الكثيرة وشعبيته الواسعة.

طلبت منه أنْ يعد لائحة بالحسنات التي تدرها عليه المماطلة. فكتب: "أولاً، انني أجد متعة في السهر والنهوض متأخراً. ثانيا، يمكنني التحدث الى أصحابي بدل الدراسة. ثالثا، انني أتجنب القلق الذي سيستبد بي إن حضرت الصف وأدركت مدى تأخري عن

زملائي. رابعاً، أنني أتمرد على أهلي الذين يضغطون علي لأدرس الطب مثلما فعل أبي."

أما السلبيات فلم يذكر منها سوى ثلاث: "أولاً، سأرسب وأفصل من الجامعة. ثانياً، أنني أشعر بالقلق والذنب. ثالثاً، لا هدف أبلغه في الحياة."

بعد مراجعة صاحبنا لائحة الحسنات والسيئات أخذ إجازة من الجامعة وعمل مدة سنة الى أن استقر على حقيقة هدفه في الحياة. وأدرك أنه كان في مرحلة "إضراب" احتجاجاً على تسلط أهله وتحكمهم بحياته. وتوضحت لديه الاولويات فأصبح طالباً متفوقاً في دائرة الكمبيوتر.

وأنتم أيضاً، إذا ما أعددتم لائحة بايجابيات المماطلة وسلبياتها، قد تتعرفون الى الاسباب "الوجيهة" التي تدفعكم الى تجنب أمر ما، وعندئذ تعيدون تقويم أهدافكم وطموحاتكم.

٣ . خطوات صغيرة لاعمال كبيرة. يعتقد معظم المماطلين أن للمزاج دوراً في انجاز أمر ما، فيقول الواحد منهم: "سأنتظر حتى يتحسن مزاجي." لنكن صريحين، لن نشعر أبداً برغبة في تنظيف مرأب أو ترتيب مكتب أو مراجعة حساب مصرفي، فهذه أعمال مملة وغير مغرية. ولكن علينا أن نخطو الخطوة الاولى لنتمكن من الاقلاع. ويمكننا أن نفعل ذلك بتجزئة العمل خطوات تنجز على دفعات، فنعمل ضمن الحاضر ولا نقلق على كل ما يترتب علينا في المستقبل. فالحياة لحظة فلحظة، وما علينا في أي وقت الا أن نعمل دقيقة ملأى، وهذا ليس بالامر العسير.

وجدت مكتبي ذات يوم في حال فوضى بعدما تركت سكرتيرتي العمل من دون انذار فتكدست السجلات المالية وملفات المرضى واختلطت أوراق بأوراق. استبد بي القلق لمجرد تصور الفوضى التي تعيَّن علي ترتيبها. وحاولت شغل نفسي عن التفكير في الامر، لكني قلت أخيراً: "سيستغرق الترتيب أشهراً، وبدل أن أنجزه دفعة واحدة يمكنني انجازه على دفعات تستمر كل منها دقائق. فإذا أنجزت الدفعة الاولى اطمأننت وذهبت مرتاح البال." وأدركت عندئذ أن الامر لم يكن مستحيلاً كما توقعت.

٤ . تخلصوا من الافكار السلبية. بعدما أنهيت تأليف كتابي الاول "الشعور بالرضى" في المعالجة الذاتية للكآبة والانهيار العصبي، كان علي أن أجد ناشراً. وهذه مهمة شاقة، فأنا كاتب مغمور، والمسودة الاولية للكتاب بدت طويلة الى حد الاملال. وبعد بحث طويل اهتديت الى دار نشر وتعرفت الى محررة لطيفة تدعى ماريا غارناشيلي أرشدتني الى طريقة أعيد بها صياغة الكتاب بحيث يبدو أكثر إثارة وحيوية. كما أسرَّت اليّ أنه سيكون من أكثر الكتب رواجاً.

عدت الى البيت محملاً بالآمال، لكنني غرقت في إحباط عجيب لسبب لم أعرفه. جلست الى طاولة مكتبي طوال عشرة أيام محاولاً تعديل جملة واحدة في النص من دون جدوى. وأسوأ من ذلك أنني لم أعرف ما الذي كان يعيقني. أخيراً تناولت ورقة ودونت أفكاري: "يجب أن يكون هذا الكتاب واحداً من أكثر الكتب رواجاً. لكني طبيب نفساني ولست كاتباً، ولا أعرف كيف تؤلف الكتب الرائجة. سيخيب أمل ماريا بي."

شعرت بارتياح عظيم عندما انتهيت من كتابة الافكار التي كانت تراودني. وأدركت عندئذ أن مخاوفي لا تستند الى الواقع. وتأكد لي أيضاً أنني لست مؤهلاً لكتابة ما يسمى "أروع القصص"، إلا أن في وسعي كتابة مؤلَّف بأسلوبي الخاص الذي أستخدمه في التعامل مع مرضاي. أما حجم المبيعات والدعاية فجزء من مهمة الناشر.

استجمعت طاقتي وأكببت في الاشهر التالية على مراجعة كتابي بحماسة بالغة.

قد يغذي المرء خياله بأفكار سلبية وغير واقعية فيلجأ الى التأجيل كمخرج من الواقع. لكنه قد يبدد هذه الافكار عندما يدونها على الورق.

٥ . أثنوا على أنفسكم. عندما تبدأون عملاً تجنبتموه فترة، من المهم أن تعطوا أنفسكم زخماً معنوياً بين حين وآخر. فالمكافأة المعنوية تقوي العزيمة وتعزز الاندفاع، لكن الناس غالبا ما يقللون من أهمية انجازاتهم ويركزون على النواحي السلبية والمعوقات التي تعترضهم.

أخبرتني امرأة أنها تعمل كنحلة. فهي تربي ولدين وتحضر صفوفاً مسائية في الجامعة. وقد أعجزها برنامجها المزدحم عن انجاز كل الاعمال وتلبية كل المسؤوليات المترتبة عليها.

اقترحت عليها مرة أن تدون كل ما فعلته خلال النهار، فأذهلتني اللائحة التي استغرقت كتابتها ١٥ دقيقة. لقد درست بضع ساعات، ودفعت فواتير الماء والكهرباء والهاتف، ونظفت المنزل، وأوصلت ولديها الى المدرسة، ثم الى صف السباحة، وتسوقت، وحضرت العشاء. لكنها لم تدرك حجم انجازاتها الا بعد مراجعتها اللائحة.

كثيراً ما نعتبر الثناء شيئاً يأتي من الخارج. فاطراء عمل ما يرفع المعنويات، وكلمة "جيد" أو "ممتاز" على ورقة امتحان تعتبر دافعاً مشجعاً، ومثلها صفقة ناجحة مع زبون صعب المراس. لكن المكافأة يجب أن تأتي من الداخل في النهاية. وعلى المرء أن يثني على نفسه من وقت الى آخر مهما صغر حجم المهمة التي يؤديها أو يقبل عليها. وعليه أن يرضى بنتيجة جهوده والا فلن تنفعه كل محاولاته مهما كبرت. وعندئذ فقط يمكنه أن يواجه أصعب المهمات.

ابدأوا الآن.

ديفيد بورنز ■

النساء أطول عمراً من الرجال!

يولد ١٠٥ صبيان في مقابل كل ١٠٠ بنت لكن المسنّات أكثر عدداً من المسنّين

تختلف الحضارات والثقافات باختلاف المناطق في عالمنا الحديث، وتتباين الانظمة الغذائية وأنماط الحياة وأسباب الموت، الا أن أمراً واحداً يبقى اياه: النساء يعمّرن أكثر من الرجال.

يبدأ التباين قبل الولادة. ففي لحظة الحمل ذاتها يفوق عدد الاجنة الذكور عدد الاناث بنسبة ١١٠ الى ١٠٠. وتهبط هذه النسبة وقت الولادة الى ١٠٥ صبيان لكل ١٠٠ بنت. وفي السن الثلاثين يبقى عدد الرجال مساوياً عدد النساء. ومن ثم تزداد نسبة النساء باطراد. وبعد الثمانين يصبح عدد النساء ضعفي عدد الرجال.

تقول ديبرا ونغارد الاختصاصية بعلم الاوبئة في جامعة كاليفورنيا بسان دييغو: "اذا نظرنا الى الاسباب العشرة أو الاثني عشر الرئيسية للوفاة، لوجدنا أن كلاً منها يقتل عدداً أكبر من الرجال." وتعدد ونغارد خمسة من هذه الاسباب القاتلة: أمراض القلب، سرطان الرئة،

جرائم القتل، تليّف الكبد، ذات الرئة. وكل منها يقتل عدداً من الرجال يقارب ضعفي ما يقتل من النساء.

قبل قرن كان الرجال يفوقون النساء عدداً ويعمرون أكثر منهنّ. وفي القرن العشرين بدأت النساء يعمرن أكثر لسبب رئيسي هو تقلّص أخطار الحمل والولادة. وأخذت الهوة تتسع باطراد.

وبعض الاسباب مُنزلة بالنفس ذاتياً: فالرجال يدخنون ويتعاطون المسكرات ويخاطرون بحياتهم أكثر من النساء. ويُقتل الرجال (على أيدي رجال آخرين عادة) بنسبة تفوق ثلاثة أضعاف مقتل النساء، وحوادث انتحارهم تتعدى حوادث انتحارهنّ. ويتعرض الرجال لحوادث اصطدام قاتلة ولوفيات ناجمة عن تناول الكحول أكثر كثيراً من النساء.

لكن السلوك وحده لا يفسر الفارق في الاعمار، ولا الضغط أو الاجهاد هو السبب الاوحد. ففي الخمسينات كثر ضحايا أمراض القلب الذكور، وعزي السبب الى ضغوط العمل. فقال الاطباء: لتخرج النساء من المنزل الى غمار العمل، وستعادل وفياتهن وفيات الرجال. ولكن طرأ أمر مثير في مسيرة الموت هذه، اذ بينت دراسات عدة أن النساء العاملات هن في صحة وعافية مثل ربات المنازل. ويعتقد بعض العلماء أن الطبيعة قد تكون محابية للنساء.

أبطال وأشرار. كل كائن حي "مجموع" بحسب التعليمات التي تحملها الكروموزومات،[1] وفي البشر ٢٣ زوجاً من هذه. ولكن في الذكور زوج غير متكافىء وسريع العطب يعرف بـ «XY». والزوج المقابل له في الاناث يعرف بـ"«XX» وقد تعتبر "طاقته" الوراثية الداعمة سر القدرة الاحتمالية المتفوقة لدى النساء. فاذا كان الكروموزوم «X» المفرد لدى الذكر يحمل صفة مَرَضية، فيحتمل ظهور اضطراب وراثي خطير في صاحبه. فالنزف المزمن[2] وبعض أنواع من سوء التغذية العضلي،[3] على سبيل المثال، سببها علة في جينة[4] واحدة في الكروموزوم «X». وهذه الامراض هي أكثر شيوعاً لدى الذكور منها لدى الاناث.

لكن نظرية الكروموزوم «X» المفرد تفتقر الى برهان قاطع. فليست هناك اصابات كافية بالامراض الوراثية المخيفة ليصحّ اعتبارها من أسباب فارق طول العمر بين الرجال والنساء. كما أن بعض الباحثين يلقون اللوم على الكروموزوم الذكري «Y».

وقد يتعلق السبب بالهرمونات. فقبل السن الاربعين، حين تكون جميع النساء تقريباً في مرحلة انتاج الاستروجين، تقتل أمراض القلب ثلاثة رجال في مقابل كل امرأة. لكن هذا الامتياز يتضاءل بعد الاربعين. ان أمراض القلب هي السبب

---

(١) الكروموزوم او الصبغي خيط في نواة الخلية يحوي الجينات التي تحمل الخصائص الوراثية.

(٢) Hemophilia

(٣) Muscular dystrophy

(٤) الجينة او المورِّثة هي حاملة خصائص وراثية في نواة الخلية.

الرئيسي للوفاة لدى الجنسين، لكن النساء يحظين بعقد اضافي من السلامة قبل أن تقارب نسبة وفياتهن بأمراض القلب نسبة وفيات الرجال.

واذا كان الاستروجين هو "بطل" الرواية، فان التستوستيرون، الهرمون الذكري، هو "الشخصية الشريرة" فيها. فقبل سن البلوغ تتعادل مستويات الكولسترول في الصبيان والبنات. ولكن متى دخل الصبيان مرحلة المراهقة وفعل التستوستيرون فعله فيهم، هبط مستوى البروتيين الدهني العالي الكثافة[٥] وهو ما يُعرف بـ"الكولسترول الصالح." أما لدى البنات فلا تتغير مستويات هذا الكولسترول. وفي أواخر سني المراهقة ترتفع لدى الجنسين مستويات البروتيين الدهني المتدني الكثافة[٦] وهو ما يعرف بـ"الكولسترول الشرير"، لكن الزيادة تكون أكثر حدة لدى الرجال.

ويبدو أن التستوستيرون عنيد في بقائه على رغم زوال "أيام عزّه." ويبدو أن هذا الهرمون هو الذي يسبب نزعة عدوانية، ومؤكّد أنه ينمي عضلات كبيرة، وربما كان دوره رائعاً حين كان رجال القبائل يتقاتلون ويتقاذفون الصخور. لكنه لم يعد "صفقة" رابحة في عصرنا.

الصحة والعقل. ليس كل فارق بين الجنسين هو في مصلحة النساء. فالرجال، في المتوسط، أطول قامة من النساء، وعظامهم أضخم، وعضلاتهم أكبر وأقوى. ونموت، نحن معشر الرجال، أبكر من النساء، ولكن حين يغيّبنا الموت يكون حققنا انجازات رائعة اكثر منهن.

قد تبدو النساء أقل تأثراً من الرجال بالامراض القاتلة، الا أنهن أكثر تأثراً بالعلل والآلام العادية. في العام ١٦٧٦ كتب أحدهم في يومياته: "سمعت الاطباء يقولون إن لديهم مريضتين في مقابل كل مريض." وتزور النساء الاطباء ويتناولن أدوية موصوفة وغير موصوفة ويلازمن الفراش بسبب المرض أكثر مما يفعل الرجال. وهن يُبتلين بالتهاب المفاصل والتهاب المثانة وتورم ابهام القدم ومسامير القدم والبواسير وآلام الطمث (الحيض) وصداع الشقيقة (ميغرين) وداء الدوالي (ڤاريس).

في مقابل ذلك يصاب الرجال بنوبات قلبية وسكتات دماغية (فالج).

النساء يمرضن، لكن الرجال يموتون!

وماذا عن الصحة العقلية؟ إن الكآبة والانهيار العصبي شائعان لدى النساء أكثر منهما لدى الرجال. لكن الفصام (الشيزوفرينيا) هو أكثر تأثيراً .ووقعاً في الرجال منه في النساء، وربما كان الفصام أقسى أنواع الامراض العقلية.

بعد وفاة الزوج يبدو الرجل في حال اسوأ من حال المرأة. فالرجال الارامل يغرقون في الكآبة أكثر من النساء الارامل، وهم أكثر تعرضاً للمرض والموت. وقد تبين أن نحو ٨٠ في المئة من الاشخاص الذين تجاوزوا الخامسة

---

(٥) High-density lipoprotein «HDL»

(٦) Low-density lipoprotein «LDL»

والستين ويعيشون وحدهم هم من النساء. وتتعثر حياة كثير من الرجال الارامل لأن زوجاتهم كن موضع ثقتهم والمؤتمنات الوحيدات على أسرارهم. فالارمل حديثاً تنهار حياته ويغرق في اليأس. أما النساء المترملات فغالباً ما تكون لهن حلقة من الصديقات يثقن بهن ويجدن لديهن سلوى.

لكن نمط السلوك في تغير، والفارق الصحي بين الرجال والنساء ليس معلماً ثابتاً. ففي العقود الاخيرة تقلّص الفارق بين أعمار الرجال وأعمار النساء. وتفسير ذلك ليس تدهور صحة النساء، فهي في تحسن، بل ان صحة الرجال في تحسن أسرع.

فقد بات الرجال يدخنون أقل ويشربون أقل ويأكلون أفضل. وتقول ديبرا ونغارد: "الفـارق يتقلص، ليس لان النساء يتصرفن كالرجال، بل لان الرجال باتوا يتصرفون على نحو أقرب الى تصرف النساء."

ادوارد دولنيك ■



محاسبة شاطرة

وضعت مشترياتي على منضدة صندوق المتجر وناولت الموظفة قسيمة عرض خاص جاء فيها: "اشتروا ثلاثة قوالب زبدة وخذوا واحداً مجاناً."

راحت الموظفة تتفحص القسيمة حائرة، فسألتها: "هل هناك أي خطأ؟"

قالت: "أرى هنا اربعة قوالب زبدة."

قلت: "هذا صحيح."

قالت: "ولكن يجب أن أدخل أسعارها في الحاسبة."

قلت: "حسناً، افعلي ذلك."

قالت: "ولكن أيها القالب المجاني؟"

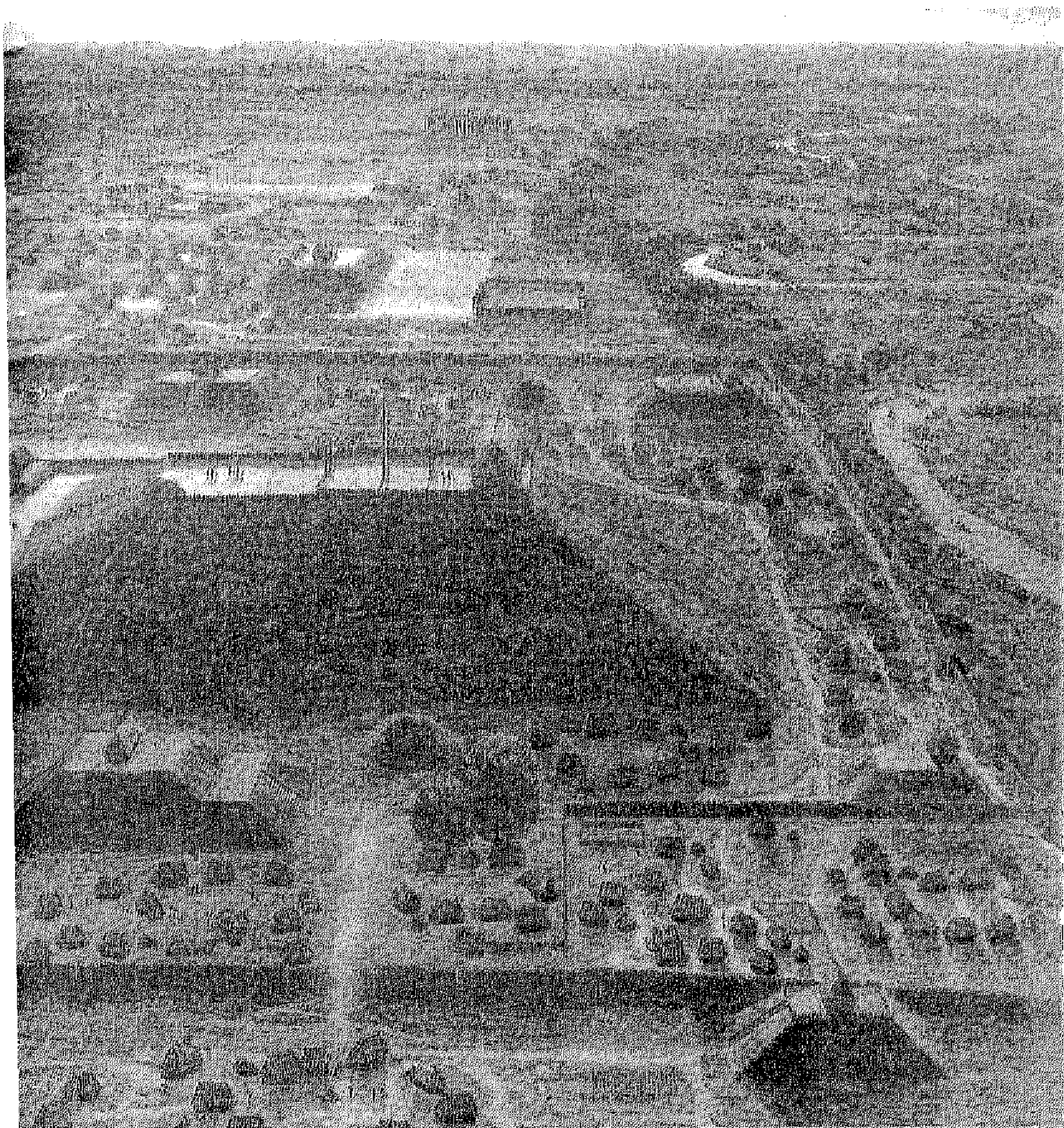
ج.هـ.

زوج مطيع

أثبتت سلسلة من الفحوص المضنية أن سمع شقيقي يفوق المعدل كثيراً. لكن الطبيب ابدى رغبته في معرفة السبب الذي يدفع شخصاً يتمتع بسمع ممتاز الى الخضوع لكل هذه الفحوص.

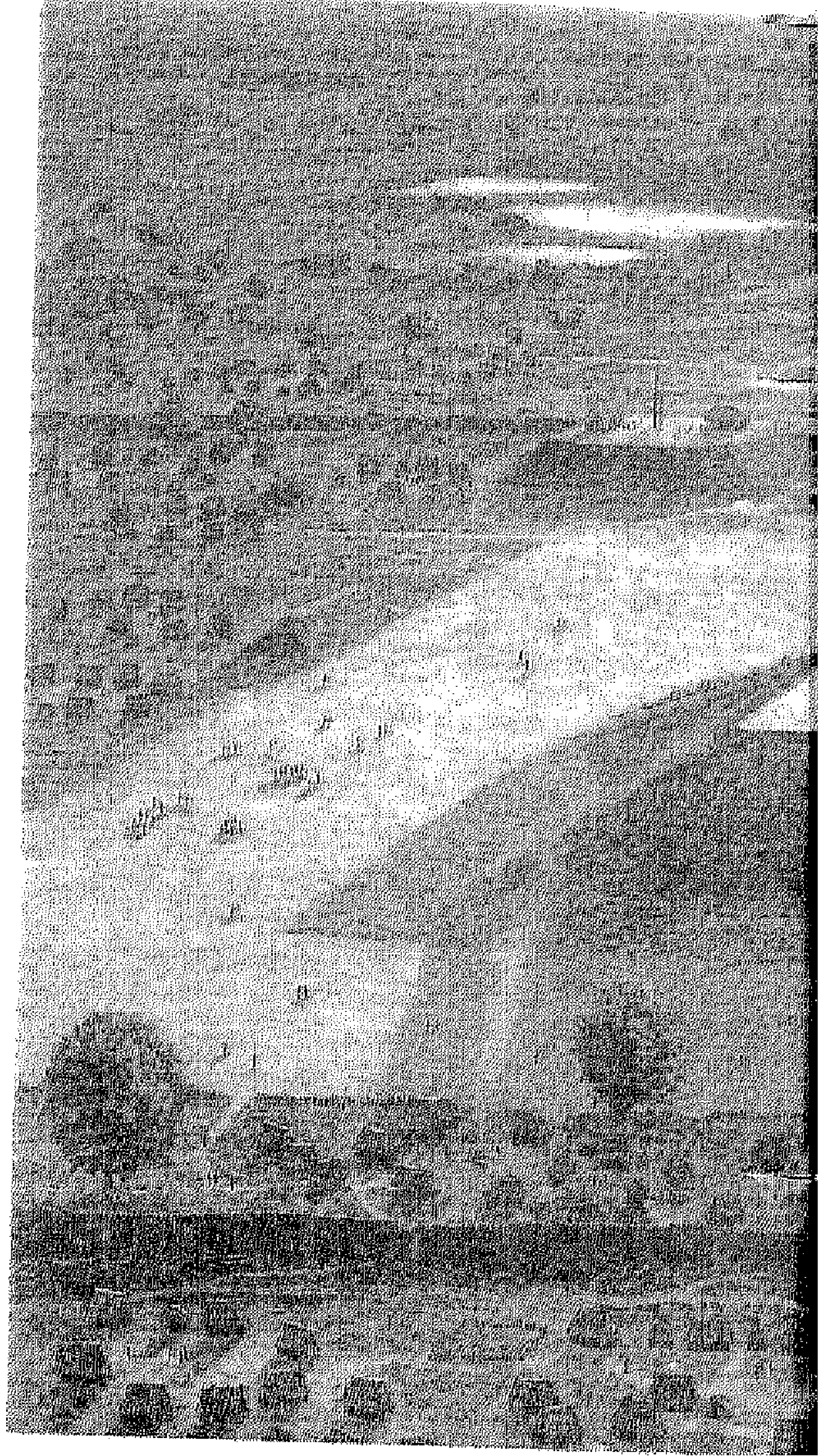
فأخبره شقيقي: "زوجتي هي التي ارسلتني الى هنا بحجّة انني لا أسمع كلمة مما تقول."

ك.ك.



الأمريكيون الأوائل
فينيقيون أم ڤايكنغ؟





يعبر معظم المسافرين في الطريق "٥٥ – ٧٠" في ولاية ايلينوي بسرعة عادية، من دون أن يلتفتوا الى كاهوكيا القديمة ورَبْوتها الاحتفالية الرابضة فوق ستة هكتارات. وحدهم الفضوليون يوقفون سياراتهم ليتبيّنوا كيف كان حاكم المنطقة في القرن الثاني عشر، الملقّب "الشمس العظيمة"، يجثم كل صباح فوق ذلك الهيكل الترابي، والريش يتوّج رأسه، ويصرخ لحظة بزوغ الشمس الحقيقية.

فهذه المدينة الواقعة على نهر الميسيسيبي قبالة سانت لويس عرفت عصراً ذهبياً في الزمن الغابر، وكان عدد سكانها يقارب عدد سكان لندن في تلك الحقبة. وازدهرت فيها التجارة بحيث

عاش الامريكيون الأوائل في خيم وهياكل واقتاتوا بالكركند العملاق وكانوا يستحمّون يومياً مما أثار اشمئزاز المستوطنين الاوروبيين

ILLUSTRATION OF CAHOKIA MOUNDS: LLOYD K. TOWNSEND PHOTO OF STONE CEREMONIAL PIPE: UNIVERSITY OF ARKANSAS MUSEUM

غطّت الأصقاع الممتدة من خليج مكسيكو الى البحيرات الكبرى. الا أن كتب التاريخ المدرسية في الولايات المتحدة لا تذكرها.

ويكاد النسيان يطوي صفحة كاهوكيا لأن التاريخ الامريكي، في أذهان كثيرين، بدأ قبل ٥٠٠ سنة فقط بوصول كولومبوس الى العالم الجديد عام ١٤٩٢. وفي ذلك التاريخ كانت كاهوكيا عاشت عصرها الذهبي واندثرت.

واجهت كاهوكيا مشكلة نمو، مثل كثير من المدن الحديثة، ومثلها لم تقوَ على معالجتها. فشحّ محصول حقول القمح التي كانت في ما مضى تؤمّن القوت لنحو ٣٠ ألف نسمة. وتحوّلت الغابات تدريجاً أراضي جرداء. كما ساهمت الحروب والأمراض والصراعات الاجتماعية في زيادة الانحطاط الحاصل في المنطقة، فلما وطأ المستوطنون الفرنسيون أرضها في أواسط القرن الثامن عشر لم يجدوا غير تلال مترامية الأطراف.

لكنّ العالم الجديد لم يكن مقفراً عندما وطأه كولومبوس. فالامريكيون الأوائل كانوا من الآسيويين الذين وصلوا الى المنطقة قبل ١٢ ألف سنة، ربما بعدما اجتازوا ممرّاً برياً جليدياً بين سيبيريا وألاسكا. ويقدَّر أن عدد سكان النصف الغربي من الكرة الأرضية كان يبلغ، عام ١٤٩٢، نحو ٩٠ مليون نسمة عاش معظمهم جنوب الريو غراندي[1] فيما استقرّ ١٠ ملايين فقط في ما يسمّى اليوم كندا والولايات المتحدة. وطوال قرون ظهر كثير من المجتمعات القديمة واضمحلّ في هذه البقعة من العالم.

الاستحمام اليومي. على رغم أن الاوروبيين القادمين حديثاً الى المنطقة ألفوا أساليب قتل كانت معتمدة، كربط الاشخاص واضرام النار فيهم أو قطع رؤوسهم، فقد صُدموا بالواقع الامريكي. وادّعى كولومبوس أنه مضطر الى اصطحاب مئات من الهنود الكاريبيّين المتوحّشين الى اسبانيا حفاظاً على سلامتهم وسلامة جيرانهم الأراواك الذين كانوا يأكلونهم. (وقد وجد صعوبة في تبرير استعباده الهنود الاراواك المسالمين.)

لم يكن أكل لحوم البشر وتقديم الذبائح البشرية شائعين بين الهنود شمال المكسيك، لكن بعض القبائل درج على التخلّص من الاطفال غير المرغوب فيهم وأباح تعدّد الزوجات. كما أثار الاستحمام اليومي، الذي كان عادة مكرّسة لدى معظم الهنود، اشمئزاز المستوطنين الاوروبيين، فاتّضح لهم أن أمريكا ليست أرضاً جديدة فحسب وانما مختلفة أيضاً.

وصادف البيض في تجوالهم في أنحاء البلاد رجال قبائل أخذوا يسألونهم بإلحاح: "لماذا تسموننا هنوداً؟" والجواب طبعاً هو أن كولومبوس كان مخطئاً، اذ أطلق على جميع السكان

(١) الريو غراندي او النهر الكبير فاصل بين الولايات المتحدة والمكسيك.

المحليين اسم "لوس إنديوس"[٢] اعتقاداً منه أنه يمّم شطآن جزر الهند النائية الواقعة في مكان ما بين الهند واليابان. ولم يكن السكان المحلّيون يعتمدون تسمية معيّنة لعرقهم مكتفين بعبارات مختلفة مثل "الشعب" أو "الشعب الأصلي"، بينما سمّوا القبائل الأخرى "صديقة" أو "عدوّة" أو "أفعى".

ان التنوع الذي يشكّل اليوم ميزة المجتمع الامريكي كان موجوداً منذ القدم وقبل مجيء كولومبوس بفترة طويلة. وكانت الشعوب تتكلّم مئات اللغات المتباينة.

أُولع بعض الهنود بالحروب والقتال بينما كرهها البعض الآخر أمثال قبائل البيما في أريزونا التي درج أبناؤها بعد كل معركة على إخضاع محاربيهم لعلاج ضد الجنون يستمرّ ١٦ يوماً.

كذلك عرفت تلك المجتمعات النظام الطبقي. فقد كان "الشمس العظيمة" يرفس بقايا الطعام لأتباعه الناتشيز. ولكن قبل إقرار دستور الولايات المتحدة بثلاثة قرون كان لـ"عصبة ايروكوا" مجلس شبيه بالكونغرس يمارس فيه حق النقض وتُصان فيه حرية الكلام، وقد أرسى أسس التكافؤ بين طبقات المجتمع.

حرّم بعض القبائل على النساء دخول المجالس، فيما حكمت نساءُ قبائل أخرى ومنهن "سيدة كوفيتاتشيكي" التي أهدت الى المستكشف الاسباني هرنندو دي سوتو عام ١٥٤٠ لآلىء من نهر ساڤانا (فبادلها بالاختطاف).

لم يحبّذ الهنود الأباش علاقات ما قبل الزواج، خلافاً لقبيلة ناتشيز في الميسيسيبي. وكانت كل علاقة أخرى يقيمها هندي متزوج من أفراد قبيلة كريك في الاباما تكلّفه أنفه أو أذنه. كما أجازت قبائل لنسائها انهاء زواجهن بوضع حاجات أزواجهن خارج باب البيت، مما يعني إرسال الزوج الى أمه.

ستونهنج أمريكا. رفض المستوطنون الاوائل التسليم بأن الهنود "الكسالى بطبعهم" هم بناة ألوف الاستحكامات المهجورة التي عثروا عليها في أودية أوهايو والميسيسيبي. ورجّحوا أن يكون بُناتها الحقيقيّون من الفينيقيين أو الفايكنغ[٣] الضالين. ولم يقتنع المثقفون بأنها من انجازات أسلاف الهنود إلّا في التسعينات من القرن التاسع عشر.

وفي السنوات الاخيرة تجلّت عبقرية بُناة هذه الاستحكامات أكثر فأكثر. ففي شمال شرق لويزيانا، مثلاً، تقوم مجموعة من أنصاف دوائر متراكزة[٤] من التراب في مكان يدعى "پوڤرتي پوينت" أي بقعة الفقر ويرقى عهدها الى نحو ثلاثة آلاف سنة ويمتدّ القسم الأكبر منها على مسافة ١٢٠٠ متر.

وذكر روجر ج. كينيدي في كتابه "إعادة اكتشاف أمريكا" أن في وسع المرء أن يقف على قمة أحد

(٢) Los indios عبارة اسبانية تعني "الهنود."
(٣) الفايكنغ محاربون اسكندينافيون غزوا شواطىء اوروبا بين القرنين الثامن والعاشر.
(٤) اي ذات مركز واحد.

الاستحكامات الى الغرب من پوڤرتي پوينت "خلال فترة الاعتدالين الخريفي والربيعي، فيحظى برؤية واضحة للشمس وهي تشرق فوق الساحة المركزية المنبسطة على مساحة ١٥ هكتاراً. وهو مشهد مماثل لما يراه المرء في ملتقى الشمس والأرض في ستونهنج."⁽⁵⁾

وفي نيوارك بولاية أوهايو تضمّ أعمال الحفر الهندسية التي قام بها هنود هوبويل دوائر ومربّعات ومثمّنات غطّت في الماضي أكثر من ١٠ كيلومترات مربعة. ويوضح كينيدي، وهو مدير متحف سميسونيان الوطني للتاريخ الامريكي، أنه "لا يُعقل أن يكون هذا التساوي الرائع في الشكل والحجم من صنع أناس بدائيين. وأشك في أن يتمكّن طلاب السنة الاولى في جامعة هارفرد من تحقيق إنجاز ذهني مماثل."

وبدا واضحا أن كل مستكشف أو مستوطن في الزمن الغابر لاحظ عطور أمريكا التي تنعّم بها الهنود فترة طويلة. فقد فُتن روبرت بيفرلي بمغنولية فيرجينيا "صاحبة أجمل أريج." وتوقّف هنري هدسون في مرفأ نيويورك ليتمتّع بـ"الاطياب العطرة جداً" المنبعثة من أعشاب شاطىء نيوجرزي وأزهاره. وكانت لرائحة الدخان حصتها أيضا. ففي كل خريف كان الهنود يحرقون مساحات كبيرة من الغابات لتوسيع حقول القمح وإخصابها بالرماد وتوفير مراتع للأيائل والمواشي. فتكاثرت الحيوانات ونمت الأشجار التي نجت من الحرائق حتى بلغ قطر شجرة الجمّيز (الدلب الغربي) في أوهايو أكثر من مترين. وشمخ الصنوبر الابيض في نيو انغلند فراوح طوله بين ٦٠ و٧٥ متراً.

كانت الحيوانات أكبر حجما في ما مضى، إذ بلغ طول سمك السلمون في نيو انغلند ٦٠ سنتيمتراً فكان هدفا سهلا لرماح هنود الألغونكيان. كما راوح طول حَفْش فيرجينيا بين مترين ونصف متر. ووصل وزن سلّور الميسيسيبي الى ٤٥ كيلوغراما. واصطاد الهنود في مياه كيب كود حيوانات كركند يزن الواحد منها تسعة كيلوغرامات، ومحارات كبيرة كانوا يقطّعون لحمها ثلاثا ليسهل أكله.

ضريبة باهظة. جاء في الكتب أن العطاء خير من الاخذ. وتلك كانت عقيدة الهنود الراسخة، فحيّروا الوافدين الاوروبيين لشدّة كرمهم. إذ أغدق هنود الاراواك على كولومبوس عصافير وثيابا "وأشياء تافهة جداً." وبعد فترة طويلة منح السكان المحلّيون زوارهم الأوروبيين كل ما لديهم من سمك وديوك حبش وخبز وغيرها.

غير أن المستعمرين رأوا في كرم الهنود برهانا على سذاجتهم، وعيّروهم بالكسل لعدم ابدائهم رغبة في تكديس الثروات. إلّا أن قبائل هندية عدة تعاطت التجارة في تلك الحقبة. فتاجرت قبيلة بويبلو في كولورادو بطيور الببغاء الآتية

(٥) ستونهنج آثار غريبة التركيب من حجار عملاقة في ولتشاير جنوب بريطانيا شيدها رجال ما قبل التاريخ.

من مكسيكو. واجتاز أفراد قبيلة أوتاوا (ويعني اسمها الاتجار) البحيرات الكبرى في شمال غرب البلاد لتبادل السلع.

بعد عشرين سنة على استعمار كولومبوس جزيرة اسبانيولا (التي تتقاسمها اليوم تاهيتي وجمهورية الدومينيكان) قضت الأمراض وشظف العيش على الهنود الاراواك فأصبحوا يعدّون أقل من ٢٠ ألفا بعدما كانوا نحو ربع مليون نسمة. وحصدت أمراض "العالم القديم" ملايين من سكان "العالم الجديد" في فترة وجيزة، فارتفعت نسبة الوفيات في بعض القبائل الى ٩٠ في المئة.

وقبل سنتين من زيارة دي سوتو زعيمة كوفيتاتشيكي، غزا الطاعون أرضها فأهلك معظم سكان مدينتها وأفرغ مدناً أخرى مجاورة. كذلك قضى مرض آخر، قد يكون الجدري أو الحُماق، على ألوف الهنود القاطنين ساحل نيو انغلند.

بعد مرور ١٥ سنة على تقديم هنود البوهاتان العون وهِبات الذرة الى المستوطنة الانكليزية الصغيرة في جيمستاون، أباد المستوطنون القبيلة وأضرموا النار في محاصيلها وقراها كي يوسّعوا زراعة التبغ. وكان الهنود يرتجفون هلعاً كلما عثروا على نحل في جوف إحدى الأشجار، لأن "هذا الذباب الانكليزي" يقطع ١٥٠ كيلومتراً خارج "الحدود" وهو دلالة واضحة على أن الرجل الأبيض هو في الطريق اليهم. فكانت قبائل تلوذ بالفرار وتهلك أخرى.

لم يخلص من هذه المجتمعات الامريكية القديمة إلّا واحد بقي ثابتاً في أرضه على رغم صروف الدهر. فعلى هضبة في أكوما (صحراء نيومكسيكو) صمد هنود البويبلو في مساكنهم لأكثر من ألف عام على رغم الجفاف وهجمات الأباش والاحتلال الاسباني المتعسّف. وأكوما هي أقدم مرّتين من مستوطنة سانت أوغستين الاسبانية في فلوريدا التي تأسست عام ١٥٦٥ والتي تعتبر عموماً أقدم مدينة في الولايات المتحدة.

لويس لورد وساره بورك ■



ثقيل الدم

جلس شاب في قطار يقرأ قصة وقد تمدد بحيث لم يبق متسع للمراة الجالسة بجانبه. وهو رفض أن يتحرك عندما طلبت منه المراة أن يفسح لها قليلا. فصرخ به الرجل الجالس قبالته: "لماذا لا تجلس كالبشر؟"

فرد الشاب: "وماذا ستفعل اذا رفضت؟"

قال الرجل: "حسناً، سأخبرك بنهاية القصة التي تقرأها!"

ك.ر.

أم الحرية

صرخة أم شجاعة خاضت صراعاً مريراً لاستعادة ابنتيها المحتجزتين في المانيا الشرقية



يوتا في برلين في اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ تحتجّ على احتجاز ابنتيها.

انقبض قلب يوتا غالوس وأحسّت نذير شؤم مروّعا يخيّم على الحجرة التي دخلتها في المطار الكئيب خارج بوخارست عاصمة رومانيا. فألقت نظرة خاطفة على غونتر شميدت رفيق الرحلة وابنتيها كلوديا (١١ عاماً) وبيات (١٠ أعوام) تستشف من محيّاهم ما ينمّ عن توتر وانقباض. فلم تلحظ شيئاً من ذلك، فهونت الامر على نفسها آملة في أن تنتهي الرحلة بسلام. وبذلت قصارى جهدها لتبدو كما تدّعي، سائحة منزعجة قادمة من ألمانيا الغربية.

لكن هذه الرحلة لم تكن إطلاقا لتمضية عطلة. وصحيح أن يوتا الفاتنة الشقراء ابنة الخامسة والثلاثين وصحبها هم مواطنون ألمان، لكنهم ألمان شرقيون وليسوا من ألمانيا الغربية. وكانت يوتا عقدت العزم في أواخر أغسطس (آب) ١٩٨٢ على المجازفة وتحمّل المخاطر في سبيل إعتاق عائلتها.

PHOTO: COURTESY OF JUTTA GALLUS

وقف شرطيان رومانيان في انتظارهم، وكان أحدهما بالغ السمنة، ومن دون انذار نطح معدة غونتر برأسه فأوقعه والالم يعتصره، ثم رفسه.

عندئذ صاحت يوتا: "نريد التكلّم مع سفير ألمانيا الغربية."

فهزىء بها الشرطيان وقال السمين: "لا أظن ذلك، ستتكلّمون معنا."

ثم سـألاهم كيف وصلـوا الى بوخارست، فأجابت يوتا أنهم ركبوا القطار.

– من أين؟

"من باد أوينهاوسن في ألمانيا الغربية."

كانت الافكار تتضارب في ذهنها: تُرى هل عرفا بأمر الشاحنة الصغيرة؟ فقد قادها غونتر من منزلهم في دريسدن بألمانيا الشرقية عبر تشيكوسلوفاكيا والمجر (هنغاريا) الى بوخارست. وهل عثرا على الشاحنة المهجورة فتعقّبا آثارهم حتى دريسدن؟

طلب منهم الشرطي السمين أوراقاً تثبت أنهم ألمان غربيون. فردّت يوتا بأن جوازات السفر تثبت مواطنيتهم تلك. فضحك الرجلان ثانية.

ذلك لأن الخطة التي رسمها غونتر في الأساس قضت بتمضية "إجازة" في بلغاريا والفرار عبر يوغوسلافيا.

لكن الامور لم تسر على النحو المرجو. فاقترح غونتر ملء طَلبات للحصول على جوازات سفر "بدلا من ضائع" لدى سفارة ألمانيا الغربية في بوخارست.

وأقنعت يوتا أقرباءها الألمان الغربيين الذين يسكنون في باد أوينهاوسن بأن يكونوا شهوداً لهم. وأوشكت جوازات السفر الموقتة على الصدور، لكنهم كانوا يحتاجون الى تأشيرة خروج لمغادرة رومانيا، فراحوا يترددون الى وزارة الداخلية لاستكمال المعاملات. وارتاب فيهم موظفو الوزارة لدى رؤيتهم جوازات السفر الصادرة حديثاً. فألحوا عليهم بالسؤال: "ألستم ألمانا شرقيين تحاولون الهرب من بلادكم؟" فلم يتراجعوا عن روايتهم الاولى على رغم الخوف المتعاظم في نفوسهم.

وبعد يومين بادرهم موظف روماني بلهجة مطمئنة: "لا تزال ثمة إشكالات صغيرة عالقة، إنما يمكن حلها في المطار." ونُقلوا على هذا الأساس الى المطار في سيارة جيب.

وهناك وُصل التحقيق معهم الى ساعة متقدمة من الليل، وأعيد استجوابهم في الصباح الباكر الى ما قبيل الظهر حين أعرب رجال الشرطة عن رغبتهم في التحدث الى الفتاتين على انفراد.

حينئذ دبّت القشعريرة في أوصال يوتا فهمست في أذن كلوديا: "تمالكا انفسكما والتزما روايتنا.".

انقضت ساعات والفتاتان تكرران أقوال والدتهما. أخيراً سألهما أحد الرومانيين ملاطفاً: "بالمناسبة، كيف هي لغتكما الروسية؟"

فأجابت كلوديا: "لا بأس."

فانكشفت اللعبة للحال. أليس أولاد

الألمان الشرقيين هم وحدهم يتعلمون الروسية في المدارس؟ فارتبكت الفتاتان واعترفتا بالحقيقة.

وفي ٢ سبتمبر (أيلول) أرسل الجميع في طائرة الى برلين الشرقية.

لم تخف يوتا من السجن، بل كان أكثر ما تخشاه أن تفقد ابنتيها، اذ سبق لها أن سمعت إشاعات مفادها أن مسؤولين في المانيا الشرقية يعرضون أولاد السجناء السياسيين للتبنّي أحياناً. فغمرها اليأس وتساءلت في سرّها: "هل أرى ابنتي بعد الآن؟"

عدوة الشعب. عندما حطّت الطائرة انتُزعت الفتاتان من بين ذراعي والدتهما التي سيقت الى دريسدن حيث مقرّ الشرطة السرية التي كانت تزرع الرعب والهلع في النفوس، وحيث أمضت أربعة أشهر طويلة داخل زنزانة مظلمة.

ولم يكن مصير غونتر أفضل، إذ زُجَّ في السجن هو أيضاً.

مثلت يوتا أمام هيئة المحكمة في يناير (كانون الثاني) ١٩٨٣، وحُكم عليها بالسجن ثلاث سنوات بتهمة "محاولة الفرار من جمهورية ألمانيا الديموقراطية"، وأُرسلت الى قلعة هوهنيك الرهيبة التي شيدت في القرن الخامس عشر والواقعة خارج مدينة كارل ماركس ستادت (شيمنيتز حاليا). هناك أعطيت ملابس قطنية سوداء سميكة وجُرّدت من مقتنياتها الشخصية باستثناء صورة عائلية قُص منها وجهها. فهي "عدوة الشعب"، وهذا يعني في عرف المانيا الشرقية ان لا وجود لها.

شاركت يوتا ٢٧ سجينة أخرى في زنزانة كبيرة تبلغ مساحتها ١٥ متراً مربعاً. وكن يغتسلن في أحواض شبيهة بتلك التي تُعلف فيها الابقار. وخُصّص مرحاضان لكل زنزانتين.

ومن حين الى آخر كان يُطلب من السجينات حضور "حلقات سياسية." وعندما تخلّفت يوتا مرة عن الحضور قدمت إحدى السجّانات لاصطحابها، فقالت لها يوتا: "لن أحضر، فأنا لا تهمّني الدولة. لا يهمني سوى أولادي."

فكان عقابها الوقوف ساعتين تحت الماء البارد. ولما حان موعد عقد حلقة ثانية قالت لها السجانة: "أظنك ستحضرين هذه المرة، أليس كذلك؟"

فكان جواب يوتا: "أفضّل الاغتسال على غسل الدماغ." وباتت مذذاك تمضي أوقات الحلقات السياسية في الحمام حيث كانت "تُنسى" لساعات.

في تلك الفترة أودعت كلوديا وبيات ميتماً في مونتزيغ مخصصاً لـ"الاولاد الذين تصعب تربيتهم" ومعظمهم مشردون أو منبوذون أو أولاد سجناء لا يملكون شيئاً في هذه الدنيا، وتوزَّع عليهم أسبوعياً حصص من الثياب الداخلية والملابس والملاءات. وتخضع رسائلهم لمراقبة القيمين على الميتم.

في هوهنيك احتفظت يوتا بجميع الرسائل التي خلصت اليها بعد مرورها على الرقابة. وكانت تتأثر بعبارات

التشجيع التي حملتها هذه الرسائل: "نحن نثق بك يا أمي، تذكّري أننا معك."

وأخذت عهداً على نفسها أنها عندما تغادر السجن لن تدع شيئاً يفرّق شمل عائلتها ثانية. وعقدت العزم على العبور الى الغرب.

في ١٨ أبريل (نيسان) ١٩٨٤ نُقلت يوتا مع ٢١ سجينة أخرى في حافلة الى هرلسهاوسن الواقعة في الناحية الالمانية الغربية من الحدود. وقال لهن سائق الحافلة: "ارتحن الآن، فأنتنّ أحرار." واستقبلهن مسؤولون ألمان غربيون بالخبز والجبن والنقانق، فبكى الجميع وشربوا الانخاب رافعين كؤوساً ملأى بعصير الليمون، فيما راح الناس في الطرق يحيّونهنّ رافعين اشارات النصر.

علمت يوتا أن حكومة ألمانيا الغربية "اشترتها." هكذا. فالألمان الشرقيون يعانون ضائقة اقتصادية خانقة، ويمارسون هذه التجارة للحصول على سلع وعملة صعبة هي المارك. فتدبّر المحامي الالماني الشرقي فلفغانغ فوغل إطلاقها في مقابل فدية من السلع بلغت قيمتها ٩٥ ألف مارك (نحو ٦٠ ألف دولار اليوم).

امرأة عنيدة. استقرّت يوتا في شتوتغارت حيث افتتنت بالتغيرات الجديدة التي طرأت على حياتها وبأنواع السلع الكثيرة المتوافرة كما أدهشها انفتاح الناس ودعمهم اياها. لكنّ أفكارها ما برحت تحملها الى ابنتيها. وكان مسؤولون ألمان غربيون أخبروها أن استرجاعهما يستغرق ثلاثة أشهر.

وفي سبتمبر (أيلول) علمت يوتا أن السلطات الألمانية الشرقية منحت مطلّقها في دريسدن حق الوصاية على ابنتيه. فصممت على إنقاذهما من النظام الذي سبق أن دمّر طفولتها.

بعدما وضعت الحرب العالمية الثانية أوزارها هربت عائلة يوتا من منزلها في كونيغسبرغ في بروسيا الشرقية قبل ساعات من دخول الجيش السوفييتي، وانتهى بها المطاف في دريسدن. وبعد فترة قرر أبوها متابعة الطريق غربا خوفاً مما ستؤول اليه الأوضاع في البلاد. لكنّ أمها لم تقوَ على مواجهة قرار آخر. فتابع الاب طريقه وحيداً وطلّق والدتها لاحقا وتزّوج ثانية. وعلى رغم أنه لم ينقطع عن المراسلة فان تفكك العائلة ولّد في نفس يوتا استياء مريراً ونقمة على وضع المانيا المجزأة الذي شرذم عائلتها.

كانت يوتا طالبة في الرابعة عشرة من عمرها حين أبلغ المدرِّس اليها والى رفقائها أنه آن الاوان لكي ينضموا الى "الشباب الألماني الحر" أي جناح "الأشبال" في الحزب الشيوعي. وحدها يوتا رفضت الانتساب الى هذا التنظيم. ولما نهرها مدير المدرسة سائلا: "كيف تجرؤين على الرفض؟" أجابت بهدوء وحزم: "لن أنتسب اليه."

فحال قرارها هذا، إضافة الى وجود والدها في الغرب، دون متابعة تحصيلها العلمي.

وها هي اليوم امام تحد جديد يحضّها مرة أخرى على أن تظهر للسلطات أنها لا تهاب الصراع.

في ٣ اكتوبر (تشرين الاول) ١٩٨٤ شاهد المارة في شوارع بون امرأة تقف باعتزاز أمام مكتب ممثل المانيا الشرقية حاملة لافتة كُتب عليها: "أطلقوا الفتاتين كلوديا وبيات غالوس!"

وبعد أربعة أيام ظهرت المرأة أمام حاجز التفتيش "تشارلي" وهو نقطة العبور الرئيسية في جدار برلين. وتعاقبت الأيام والاسابيع والاشهر ويوتا تقف بثبات حاملة اللافتة التي باتت راية معركتها وجاء فيها: "الشرطة السرية أخذت ابنتيّ!"

في أوائل يناير (كانون الثاني) ١٩٨٥ بعثت يوتا برسالة الى ريتشارد فون فيتزاكر رئيس المانيا الغربية تلتمس منه المساعدة. ولجأت في ابريل (نيسان) الى الفاتيكان تطلب العون فتحدث اليها البابا وجاء حديثهما قبل ساعتين من لقائه الزعيم الألماني الشرقي إريك هونيكر.

حملت يوتا الى البابا رسائل من عشرة ألمان آخرين يستميتون لاستعادة أولادهم المحتجزين في المانيا الديموقراطية. وناشدته: "ساعدني على استرجاع ابنتيّ."

بعد لقاء البابا هونيكر سُمح لكلوديا وبيات بتسلم رزم ورسائل من والدتهما. وغالباً ما تحدّت الفتاتان قرار منعهما من زيارة خالهما كلاوس الساكن في دريسدن، فكانتا تذهبان خلسة الى منزله.

وذات يوم ناشدته بيات: "أرجوك يا خالي، أخبرنا عن ماما."

فقال كلاوس: "تذكّرا فقط أنها تحبّكما كثيراً ولا تألو جهداً في سبيل استرجاعكما. وستلتقين عما قريب."

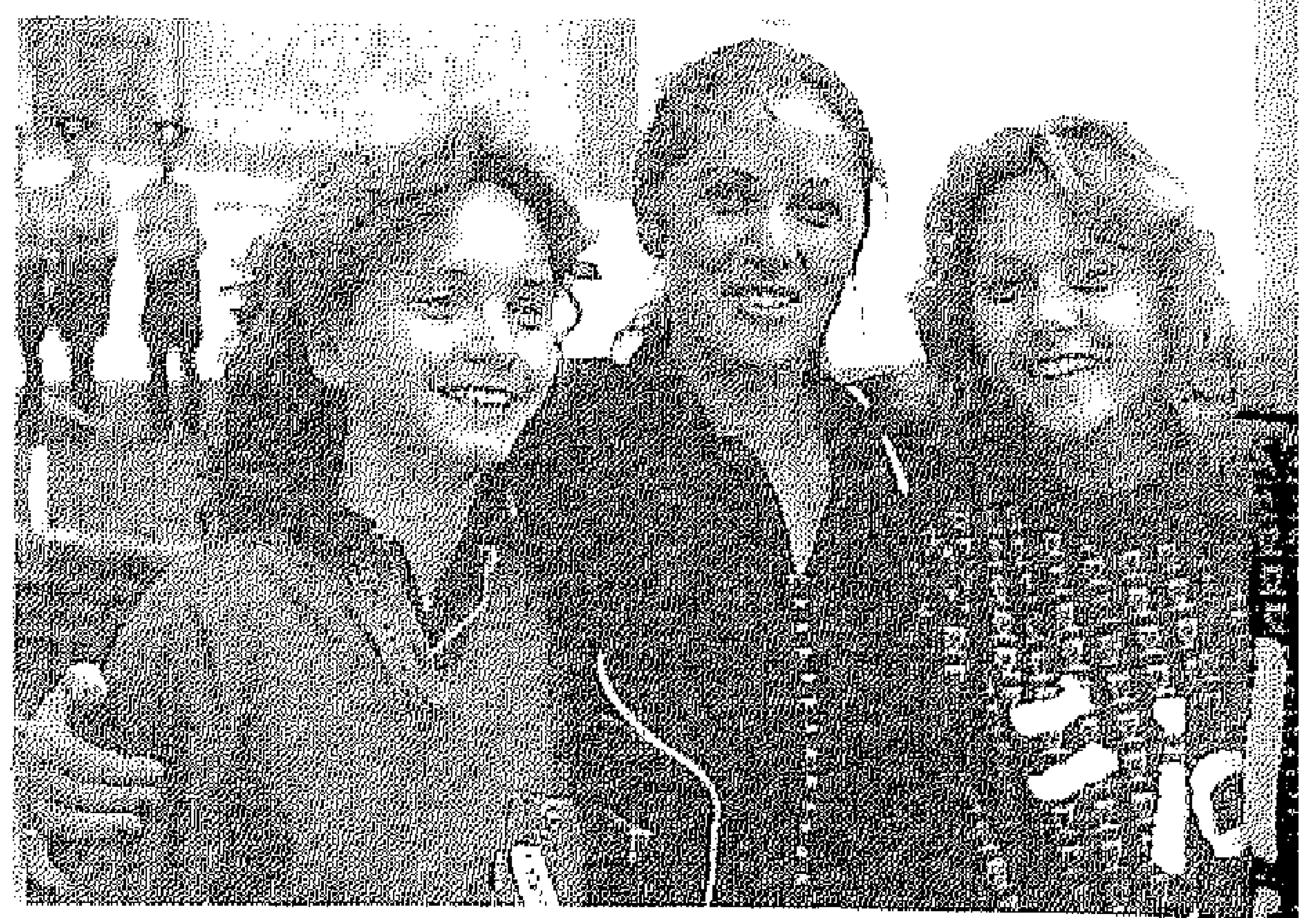
كتبت بيات الى أمها في إحدى رسائلها: "أنا مصممة على المجيء اليك. أريد أن أبقى معك الى الأبد. ولكن، أرجوك، لا تأتي على ذكر هذه الرسالة عندما تكتبين إلينا، لأنني أرسلتها سراً."

وشرعت الفتاتان بدورهما في الكتابة الى الرئيس هونيكر وغيره من المسؤولين الالمان الشرقيين تتوسلان السماح لهما بالانضمام الى والدتهما في الغرب. لكنهما لم تتلقيا جواباً، بل استدعتهما الشرطة السرية وسألتهما: "لمَ تفعلان هذا؟"

فأجابتا: "نريد الانضمام الى أمنا."

وعود كاذبة. في مايو (أيار) سافرت يوتا الى أوتاوا في كندا حيث أجبرت أعضاء الوفود المشاركة في "مؤتمر الامن والتعاون في أوروبا" على الاستماع اليها. وانتقلت في أغسطس (آب) الى هلسنكي عاصمة فنلندا حيث عقد المؤتمر جلسة أخرى، فقيّدت نفسها الى سياج أمام "فنلنديا هاوس" وقد علّقت على ظهرها صوراً لابنتيها.

تمكنت يوتا من تمويل هذه الجهود بعملها في حقل الانتاج التلفزيوني وبمساعدات من "منظمة حقوق الانسان".


يوتا وابنتاها اليوم.

وأثمرت جهودها فبدأت تلقى أصداء ايجابية في أوساط السياسيين الالمان الغربيين ولدى وسائل الاعلام. وبعدما ظهرت ذات يوم على شاشة التلفزيون اتصل بها مجهول قال لها متوعداً: "لن تري ابنتيك ثانية إن استمررت على هذا النحو." وتكرّر الاتصال بعد فترة وجيزة: "سوف نحطمك." لكن يوتا تابعت تحركها غير آبهة بالتهديد والوعيد.

في ١٣ أغسطس (آب) ١٩٨٦ اجتمع البرلمان الالماني الغربي في برلين في الذكرى الخامسة والعشرين لاقامة جدار المدينة. فكانت يوتا هناك، وانتظرت ريثما فرغ الزعيم الديموقراطي الاشتراكي فيلي برانت من إلقاء خطابه، فأسرعت الى المنصة ووقفت أمام عدسات التلفزيون حيث فضّت شرشفا كتبت عليه: "تكفي أربع سنوات من الفراق!"

حاول الحراس إبعادها، لكنها تقدمت من المذياع وصاحت: "لقد تحدّث المستشار السابق برانت بألفاظ منمقة عن العائلات التي التأم شملها، وها قد انقضت أربع سنوات وأنا أكافح في سبيل رؤية ابنتيّ. أتوسل اليكم، أعيدوهما الي."

هز المشهد مشاعر المواطنين، لكن الجانب الالماني الشرقي لم يحرك ساكنا.

في تلك الاثناء كانت يوتا التقت أكثر من ٥٠ شخصاً يعانون الأمرين من احتجاز أولادهم في المانيا الشرقية. منهم من نجح في استقدامهم الى الغرب ومنهم من يئس فعدل عن الكفاح. وها هي يوتا تنهار بدورها وتستسلم. وباتت تمشي في الطرق باكية، وجفاها النوم ولم تعد تجد رغبة في الاكل. لكنها ما لبثت أن استجمعت قواها وعاودت حملتها الشاقة.

في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٧ علمت يوتا أن الرئيس هونيكر سيزور المانيا الغربية رسمياً للمرة الاولى. فعزمت على مواجهته في مطار بون. غير أن احد المسؤولين في الحكومة الالمانية الغربية اتصل بها قبيل الزيارة وقال لها مطمئنا: "ستتولّى شخصية سياسية بارزة عرض قضيتك على السيد هونيكر، وستطلق حكومة ألمانيا الشرقية ابنتيك. ولكن نرجو ألا تقدمي على أي عمل يسبب احراجا لنا أو للسيد هونيكر."

فعدلت يوتا عن الذهاب الى المطار.

توقعت يوتا أن يكون ألفرد دريغر عضو البرلمان الألماني الغربي (بندستاغ) هو الذي سيعرض قضيتها. فكتبت اليه لاحقا: "ماذا قلت لهونيكر في شأن ابنتي؟"

وتلقّت منه ردّاً جافاً: "لا يمكنني أن

PHOTO: PETER RONDHOLZ

أؤكد لك أنني أثرت قضية ابنتيك تحديداً." فأدركت أن الخطة كانت ترمي الى إبعادها ليس إلاّ.

ومع حلول ربيع ١٩٨٨ كانت يوتا كتبت نحو ٣٠٠ رسالة الى الوزارات والدوائر في كلتا الدولتين، والى معظم السياسيين الالمان البارزين بمن فيهم المستشار الألماني الغربي هلموت كول ورئيس وزراء بافاريا فرانز شتراوس وإريك هونيكر. واقتصرت غالبية الردود التي تلقتها على عبارات فارغة من نوع: "تحلّي بالصبر يا سيدة غالوس"، فيما تجاهل آخرون التماسها كلياً.

اللقاء. في الحادية عشرة والثلث قبل ظهر ٥ يوليو (تموز) ١٩٨٨ تلقت يوتا في مكتبها اتصالا هاتفياً من مساعدة ولتر بريسنيتز وزير الدولة للعلاقات الالمانية الداخلية. فشعرت بالخوف يدبّ في عروقها إذ تذكرت الرسالة القاسية اللهجة التي أرسلتها الى الوزارة قبل أيام. وألحّت عليها المساعدة: "أرجوكِ، تحلّي بالصبر." ثم شرحت لها أن الوزير يتوقع تطورات ايجابية. فقاطعتها يوتا قائلة: "لقد انقضت سنوات وأنا أسمع بتطورات ايجابية متوقعة. لم أعد أصدّق ما يقال، أريد نتائج ملموسة."

وبعد ثلاثة أسابيع تلقت رسالة من المحامي الالماني الشرقي فلفغانغ فوغل تضمنت سؤالا مصوغاً بأسلوب رسمي جاف: "هل أنت راغبة في الوصاية على ابنتيك؟"

كان حرياً بهذا السؤال أن يضحكها، لكنها انفجرت باكية ثم كتبت ويداها ترتجفان: "نعم، أنا راغبة في الوصاية على ابنتيّ."

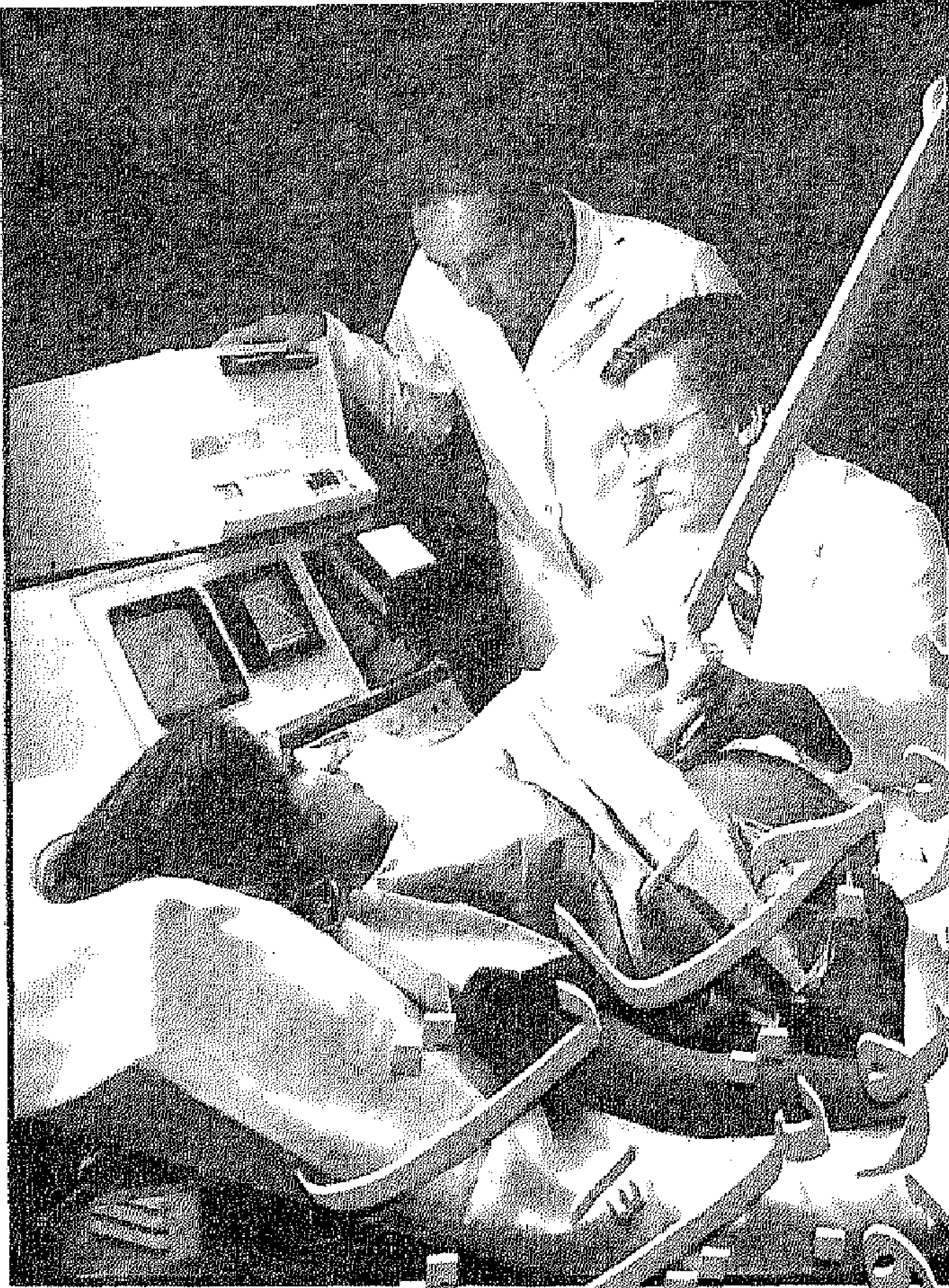
وبعد شهر في ٢٥ أغسطس (آب) جلست يوتا ومعها بريسنيتز في مكتب ببرلين الغربية والقلق يتأكلها. وفجأة سُمع وقع أقدام على السلّم وفُتح الباب. وظهرتا! كلوديا شقراء ممشوقة القوام جميلة المحيا غير تلك الفتاة الخرقاء التي لم ترها أمها منذ ست سنوات، والى جانبها بيات طويلة ناحلة ذات شعر كستنائي ووجه طافح بالارتباك والأمل.

شعرت يوتا بوطأة الوحدة والمرارة تسقط عن كاهلها اذ اندفعت ابنتاها بين ذراعيها فعانقتهما ضاحكة باكية.

تعمل يوتا اليوم في حقل الاعلان، وتعيش مع ابنتيها في شقّة مريحة من طبقتين في احدى ضواحي ميونيخ. وقد شهدت ألمانيا منذ ذلك اللقاء تحقيق انجازات كثيرة، فسقط جدار برلين وتوحدت الألمانيتان. وبدأ الانتعاش يعود الى القسم الشرقي المنهار اقتصادياً. لكنّ يوتا وكثيرين غيرها ما زالوا مقتنعين بوجوب تحقيق العدالة.

وتقول يوتا: "إن الذين زجّوا بي في السجن وحرموني ابنتيّ وهددوني عندما قاومت قرارهم يريدون دفن الماضي ومساوئه. ولكن، علينا ألاّ ندعهم يحققون غايتهم، فالماضي سيظلّ حياً كي لا ينجوا بأفعالهم."

فرغوس م. بوردفيتش ■



تكنولوجيا ثورية
تمنح الاطباء نظرة "اختراقية"
تتيح لهم رؤية الاجنّة وتفجير
حصى الكلى ومعالجة علل داخلية من دون جراحة

"لن تشعر بشيء." بذلك وعدتني الاختصاصية بالتصوير الصوتي ايلي موريس فيما كانت تحضّر لتخطيط قلبي في مستشفى مساتشوستس العمومي ببوسطن. لم أتلقَّ حقنة أو محذراً، وانما مادة هلامية زلقة مسحت بها صدري. وأدنت الـ"سكانر"[1] من سريري، وهو جهاز على عجلات لا يزيد حجمه على حجم غسالة ملابس وقد أثبت في أعلاه جهاز فيديو. ثم أزلقت ما بين ضلعيَّ الخامس والسادس ترجاما[2] (محوِّلاً) يشبه مذياعاً صغيراً (ميكروفون).

أدارت موريس الجهاز، فقفزت الى شاشة الفيديو فجأة صورة "مخلوق" غريب شرع يفغر فاه ويطبقه كأنما هو خارج من أحد أفلام الرعب. كان ذلك

(١) Scanner
(٢) Transducer

PHOTO: © TOM TRACY / MEDICHROME

المشهد لا يصدق، اذ بفضل الصوت الفوق - السمعي،[٣] أي الموجات الصوتية العالية التردد التي يتعذر على البشر سماعها، وجدتني أحدق مذهولا الى قلبي النابض وأشاهد الصمام الابهر (الأورطي) ينفتح وينغلق.

لقد أحدثت هذه الرؤية الاختراقية[٤] ثورة في عالم الطب، اذ بات في وسع الاطباء أن يحدِّقوا في العمق داخل كل عضو في الجسم تقريباً من دون شقّه. ويقول الدكتور دنيس سارتي من مركز سيدرز - سينا الطبي في لوس انجلس: "تصوروا الروعة في فحص مريض ومشاهدة ما يجري داخل جسمه!"

وهذا المشهد هو في الواقع مسألة حياة أو موت بالنسبة الى ملايين الاشخاص الذين تنار قلوبهم بواسطة الموجات الصوتية. ففي امكان أطباء القلب تبين أي من الشرايين هو متضخم أو مسدود وأي من العضلات تفتقر الى الدم. وهذا ينطبق أيضاً على كل جزء من الجسم، اذ يستطيع الاطباء تبيّن الكييسات والآفات والانسدادات والاورام.

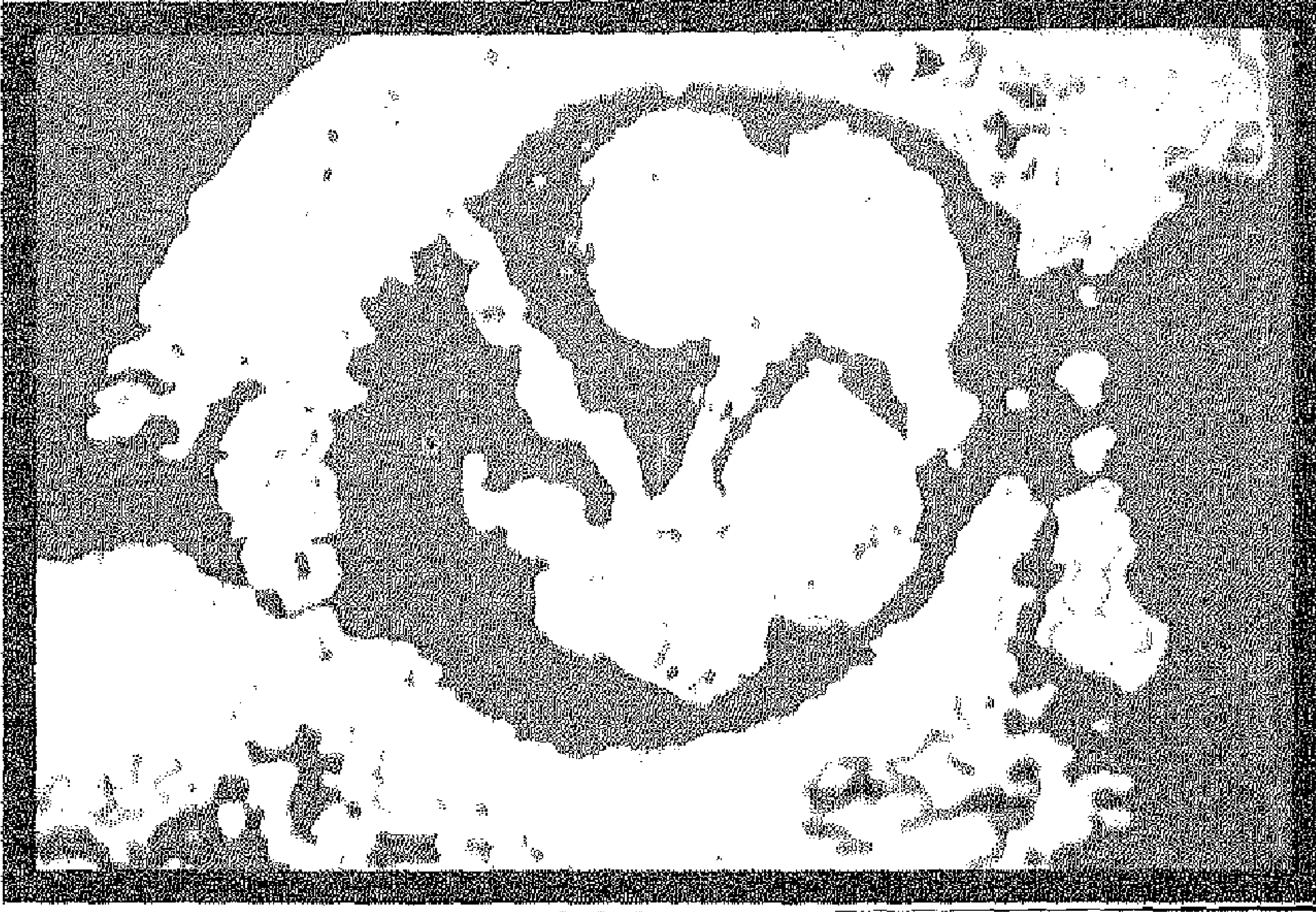
وفضلا عن التصوير، يمكن تركيز الموجات الصوتية - مثلما تركز إشعاعات الضوء عبر عدسة مكبرة - لاصابة بقعة صغيرة داخل الجسم. ويستخدم أطباء العيون الموجات الصوتية لمعالجة أورام في العين ولتخفيف الضغط الذي يسبب علّة الزرَق.[٥] فطلقة واحدة من الموجات الفوق - السمعية الفائقة الحدة تسحق حصى الكلى فتنتفي الحاجة الى الجراحة المؤلمة وأسابيع النقاهة. وتقول الدكتورة لين إفريت من مستشفى لويس فايس التذكاري في شيكاغو: "اننا نكتشف كل يوم طرقاً جديدة لاستخدام هذه الموجات."

وخلافاً للاشعة السينية (اكس) ليست للموجات الفوق - السمعية أي أعراض ضارة معروفة. لذا في امكان الطبيب استخدامها في أي وقت تدعو الحاجة الى مشاهدة ما في الداخل. وبالمقارنة مع أجهزة التصوير الطبية الاخرى، فهي سريعة وقليلة الكلفة، كما يسهل نقل الجهاز. أما السكانر الذي استخدم في تصويري والذي يصنع منه أربعة آلاف سنوياً فثمنه ٢٠٠ ألف دولار، بالمقارنة مع ما يراوح بين مليون ومليوني دولار ثمن آلة تصوير مغنطيسي ترجيعي رنان[٦] يزيد وزنها على ١٥ طناً.

والموجات الصوتية الفوق - السمعية تفتح آفاقا تكنولوجية جديدة خارج نطاق الطب أيضاً. فهي تلغي البراغي والغراء في منتجات بلاستيكية كأقراص الكمبيوتر (ديسك) وحفاضات الاطفال، وتطلق الحبر في بعض طابعات الكمبيوتر، وتلحم جيوب السراويل وتخيط اللحف.

مثل جناح فراشة. كان مسبار الصدى[٧] الذي اخترع في الحرب

(٣) Ultrasound
(٤) See-through vision
(٥) Glaucoma. وهي ما يعرف بالماء الاسود.
(٦) Magnetic-resonance-imaging machine
(٧) Echo-sounder



صورة فوق – سمعية لتوامين داخل الرحم.

العالمية الثانية لكشف الغواصات في أعماق المحيط تطبيقا للتكنولوجيا الفوق – السمعية: تتشعب الموجات الصوتية بنعومة عبر مادة ناقلة الى أن تصطدم بجسم يختلف عن تلك المادة، قد يكون غواصة في بحر أو طبلة أذن أو شقا في قطعة فولاذ. فتتفرق الموجات الصوتية ويرتجع بعضها الى المصدر الذي انبعثت منه. فتُجمع الاصداء وتُحوَّل الكترونيا من أصوات الى صور.

وبعيد الحرب انبثقت فكرة تصوير الجسم البشري بترجيع الاصداء.[٨] لكن الصور الناتجة كانت ضبابية غير واضحة وغير موثوق بها ولا تصلح أساسا للتشخيص. وفي أواسط السبعينات، مع تطور علم الالكترونيات الصلابيّة[٩] بات في الإمكان تحليل معلومات واسعة بسرعة شبه فورية. تقول الدكتورة سارتي: "بعد سنوات من ترجمة الخطوط الضبابية اذا بنا فجأة نرى الاشياء بدقة ووضوح كأننا شغّلنا مسّاحات زجاج السيارة."

يحوي الترجام الذي سدد الى قلبي وأنا ممدد على طاولة الفحص ٦٤ مكبراً للصوت بحجم رأس دبّوس، وكل منها يطلق مليونين ونصف مليون نبضة صوتية في الثانية تخترق جلدي، ثم يتوقف ليصغي الى الاصداء المرتجعة الخافتة. فيحتسب الكمبيوتر السنتيمترات التي قطعتها النبضات ويحول المعلومات خريطة مرئية.

وبتحريك الترجام بمهارة استطاعت موريس التقاط صور مقرَّبة لصمامات قلبي وحجيراته. وقد شاهدتُ صمامي التاجي يرف كجناح فراشة.

عين في أنملة. يوفر الفحص الفوق – السمعي أكثر من الوقت والمال. فقد دُعيت إيلي موريس أخيراً لفحص امرأة أدخلت المستشفى وهي تكاد تختنق، وكان تنفّسها يزداد صعوبة في

(٨) Echo pictures
(٩) Solid-state electronics

كل لحظة. جرَّت موريس جهاز السكانر الى جانب المرأة، وما هي الا لحظات حتى بانت العلة واضحة كلياً. فقد تجمع سائل حول القلب وراح يعصره بحيث تعذرت تعبئة الحجيرات، وكان محتملاً أن يتوقف القلب في أي لحظة.

فلو لم يكن الجهاز الفوق – السمعي جاهزاً وفي المتناول لاعتمد الاطباء الاشعة السينية ومهارات عيادية تقليدية أخرى لتقصي العلة، أو لجأوا الى عملية اختراقية تستهلك الوقت حيث تولج أسلاك داخل الاوردة وصولاً الى داخل القلب. ولكن هنا أتاهم الجواب للحال فبزلوا السائل بسرعة.

والجهاز الفوق – السمعي خير عون للحوامل يجيب عن تساؤلاتهن بدقة وأمانة: هل أحمل توأمين؟ هل الجنين في الوضع الصحيح؟ هل ينمو طبيعيا؟ هل قلبه نابض؟ وفي إمكان الاطباء إجراء جراحة للجنين بتوجيه من الجهاز الفوق – السمعي.

في الماضي القريب لم يكن من المتيسر تحديد أسباب بعض أمراض الكبد الا بإجراء فحوص معقدة للدم على مدى أسابيع، أو باجراء جراحة خطرة. أما الآن فيتيح الجهاز الفوق – السمعي للطبيب رؤية سريعة لانسداد أو آفة ما، فيوجه ابرة بدقة الى البقعة المريضة وينتزع خلايا تُفحص مخبرياً. وما هي الا ساعات حتى يعرف الطبيب سبب العلة ومدى خطورتها وامتدادها.

يقول الدكتور لزلي بلومغارت أستاذ الجراحة في جامعة برن في سويسرا: "لقد أحدث الفحص الفوق – السمعي تحولاً جذرياً في عملنا. فالتشخيص الذي يسبق الجراحة هو الآن أفضل كثيراً مما كان، والتصوير الفوق – السمعي المستخدم خلال الجراحة هو بمثابة عين رائية في طرف البنان."

غسالة صحون! خارج النطاق الطبي تحافظ الموجات الصوتية العالية الحدة على تماسك عالم البلاستيك والبوليمر حولنا. ففي كل منزل أوعية ورزم وأكياس وعلب كرتون وأشرطة تسجيل مختومة ختماً محكماً بالموجات الفوق – السمعية. واذا لقينا صعوبة بالغة في فتح كيس جوارب أو علبة فستق فذلك لأن المفاصل حُمِّيت بموجات فوق – سمعية مركزة حتى ذاب السطح وتماسك الجزءان في قطعة واحدة.

ويمكن غسل الاواني بواسطة الموجات الصوتية. فاذا قُذف سائل ما بطاقة فوق – سمعية فانه يتحلل ويتحوَّل فوّارة من الفقاقيع الصغيرة التي تنسف الاوساخ في أدقّ الشقوق. وتستخدم هذه التكنولوجيا على نطاق واسع في المختبرات والسفن الحربية والمعامل ومتاجر المجوهرات، الا أن كلفتها الباهظة لا تشجع على استخدامها في المطبخ حالياً. ولكن، كما يقول جيم منغاسون الخبير بالموجات الصوتية الفوق – السمعية في شركة "برانسن ألتراسونيكس" في دانبري بولاية

كونيتيكت، "انها آتية حتما، غسّالة للصحون تنظف الاواني في بضع دقائق ولا تستهلك الا قليلاً من الماء."

ان المعالجة بالموجات الصوتية الفوق – السمعية هي حل للمشاكل على أنواعها. فصيادو السمك يستطيعون، باستخدام مسبار صوتي فوق – سمعي للاعماق، تحديد أماكن أسراب الاسماك في المحيطات. وتصرف شركات الطيران ملايين الدولارات لتفكيك الطائـرات وتفحص أجزائها بحثاً عن شقوق دقيقة قد تتّسع لتصبح شقوقاً قاتلة. ويستغرق فحص دوّار محرك نفّاث ٤٠ ساعة عملاً. لكن الجهاز الفوق – السمعي الجديد الذي طوره علماء الفيزياء في المختبر الوطني للابحاث في لوس ألاموس بنيو مكسيكو، يستطيع تقصير هذه الساعات الى دقائق.

عندما تضرب الموجات الصوتية جزءاً معدنياً فانه "يرن" بنمط ترددي مميَّز، وهذا النمط من الرنين الفريد كبصمة اصبع يتغيّر لدى ظهور شق في المعدن. يقول ألبرت ميليوري العالم الفيزيائي المسؤول عن المشـروع الاختباري: "تهدف الفكرة الى اختزان بصمة صوت لكل جزء لدى صنعه. فاذا اختلفت البصمة لدى اختباره لاحقاً اقتضى طرحه. ونحن نأمل وضع صندوق أسود في كل قمرة قيادة بحيث تتمكّن الطائرة من إجراء فحص ذاتي."

آفاق جديدة. أما التقدم الاكثر إثارة فتحقق في حقل الطب. فالاجهزة الجديدة التي تعتمد التكنولوجيا الرقمية تستطيع "رؤية" أوردة لا يزيد قطرها على مليمتر، وبعضها يكشف جريان الدم. لكن الاطباء لا يكتفون بالرؤية.

ان الجيل الطالع من الاجهزة الفوق – السمعية سيزود الطبيب الناظر الى قلبك تسجيلاً مطبوعاً يبين بالضبط مقدار الدم الجاري عبر الصمامات، فتتسنى له مقارنة معالجات مختلفة. وتَعِد الموجات الصوتية الفوق – السمعية بخفض عدد الجراحات المجازية[١٠] الخطرة والمكلفة.

يعمل فريق من الباحثين في معهد القلب بمركز سيتون الطبي في سان فرنسيسكو لايجاد سبل تتيح ادخال الترجام الى القلب واستخدام موجات فـوق – سمعيـة لتنظيف الشـرايين المسدودة أو الضيقة. ويقول الدكتور البريطاني ديفيد كمبرلند الاختصاصي بالتصوير الاشعاعي للقلب والاوردة: "عنـدمـا تضـرب المـوجـات الفوق – السمعية الصفائح المتراكمة على جدران الشرايين تتبـدد هذه كالدخان. ولا خطر من اتلاف الشريان ذاته."

كل يوم تُعبر حدود آفاق جديدة. وبات الاطباء ينظرون الى كل عضو في الجسم تقريباً. لقد أتاحت لهم الموجات الصوتية الفوق – السمعية مشاهدة ما لم يشاهدوه قبلاً وحصد نتائج لم يحلموا بها.

جون دايسون ■

(١٠) Bypass surgery. وهي ما يعرف بجراحة القلب المفتوح.

DONE ART AND DESIGN

"شاطىء تشاينمان في الصيف" (١٩٨٧) زيتية، ١٨٢ سم × ١٠٤ سم.

هل يرسم فنان رصين لوحاته على قمصان وأكواب؟ طبعاً، وهي تلاقي استحسان الملايين





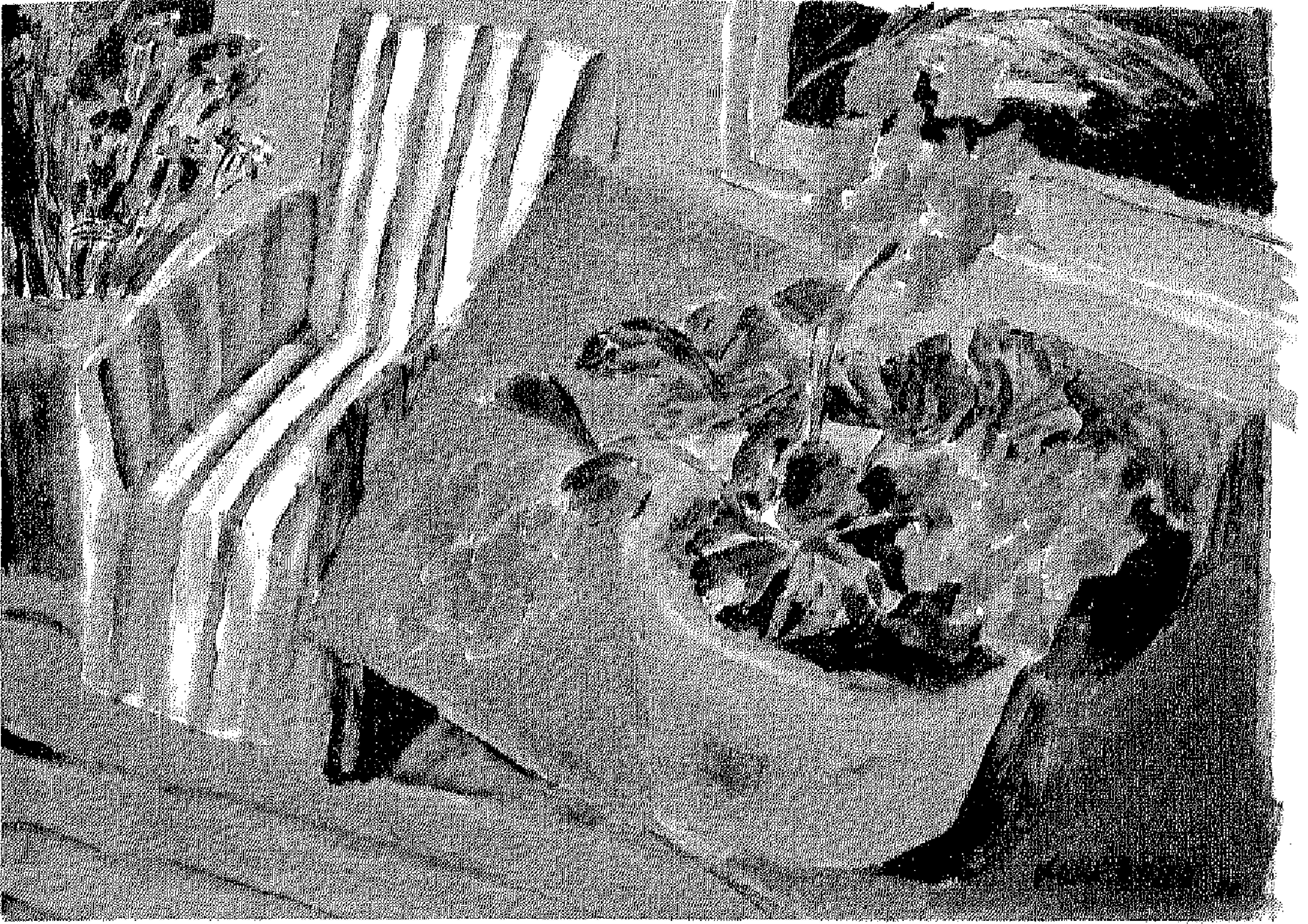
رائد "الفن الملبوس"

خضعت بات لويس قبل ثلاث سنوات لجراحة في وركها في مستشفى رويال نيو كاسل بمقاطعة ويلز الجنوبية الجديدة في أوستراليا، وعانت من جرائها آلاماً مبرحة وإحباطاً، فلم تكن ترغب في القراءة أو مشاهدة التلفزيون، لكن نظرها ظل أسير زخرفة الغرفة. فقد تألّق الجناح الذي ضم ١٨ سريراً بلوحات وستائر وأغطية ذات ألوان ناعمة ومناظرة بحرية خلابة. وتقول بات: "حملت إليّ ألوان اللوحات ونقوش القماش وعداً بغد أفضل، وساهمت كثيراً في شفائي."

وقعت بات لويس أسيرة كين دون، الفنان الاوسترالي الذي تسللت رسومه المرحة الطافحة بالحيوية والاشراق الى قلوب الملايين في أنحاء العالم.

نشأت ظاهرة كين دون عام ١٩٨٠ يوم تخلّى هذا الفنان عن صناعة الاعلانات وافتتح معرضه الخاص في سيدني حيث قام بحملة دعائية وزّع خلالها على رجال الاعلام قمصاناً بيضاء طُبعت عليها صور زرقاء لدار الاوبرا في سيدني، فنالت نجاحاً باهراً وجذبت اعلاميين آخرين. عندئذٍ قرر دون انتاج المزيد وبيعه.

لاقت هذه القمصان رواجاً كبيراً وانهالت الاتصالات على الفنان تطالبه بكميات أخرى. فاعتمد في خطوة ثانية



"خبّازى" (١٩٨٩). اكريليك على بطاقة، ٧٦ × ٥١ سم.

تصاميم من لوحاته طبعها على سراويل قصيرة وأكواب وقبّعات وبطاقات معايدة، فكان النجاح العظيم نصيبها جميعا، ونفدت بسرعة من الأسواق. وأصبح فن دون بعد أحد عشر عاما محور أعمال تجارية ناشطة تدرّ نحو ٥٠ مليون دولار سنوياً.

إن تفاؤل دون الجامح الطافح من شموسه الصفراء وشطآنه المتوهجة وحيوانات الكوالا المبتسمة انعكس على ملايين اللوازم اليومية وحوّلها تحفاً فنية.

يقول صديقه ريك هدلي (٣٠ عاماً) وهو مدرّس فنون في سيدني: "كين مؤمن بأن الفن لا يعلّق على الجدران فحسب بل يصلح لأن يكون في متناول المرء في جميع الاوقات. وقد تحوّل فنه وفق هذا المفهوم الجديد ظاهرةً فريدة."

وفي ما بعد أصبحت ألوان دون وتصاميمه المرحة علامة تجارية أبصرت النور في ماكلين، وهي مدينة صغيرة على الساحل الشمالي لمقاطعة ويلز الجنوبية الجديدة. ويقول دون: "عشتُ كصبي متشرد. كنت أذهب الى المدرسة حافي القدمين وسط أشجار الجكرندة، وأستيقظ قبل بزوغ الفجر، فأنزل الى نهر كلارنس لأنعم بسكونه قبل أن يفيق ويتدفّق خلال فترة الجزر."

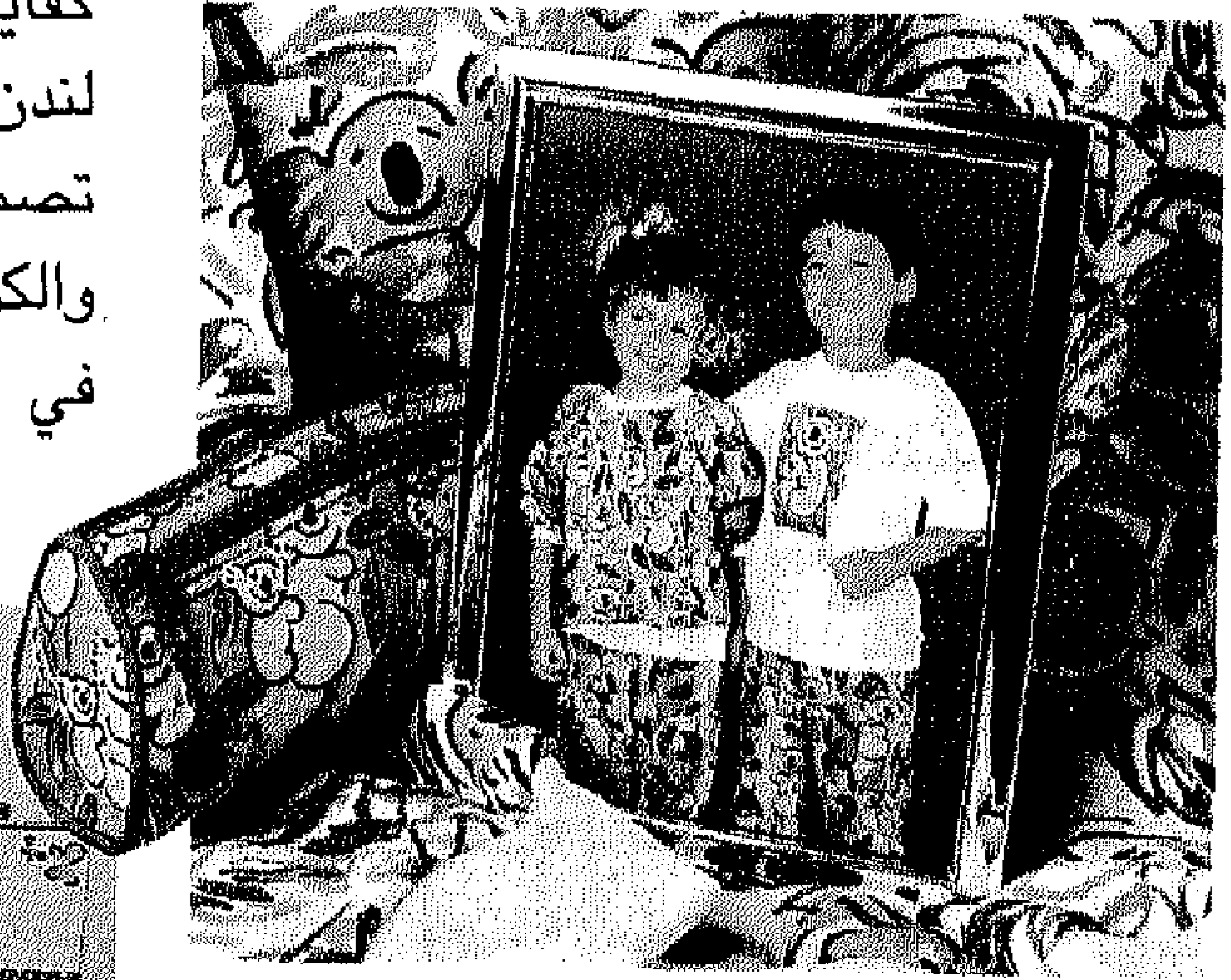
استوحى دون نتاجه الفني الأول من

نهر كلارنس، وحصد ثماره، فنالت لوحة "مراكب صيد طافية على صفحة النهر" جائزة برنامج إذاعي تبثّه محطة «ABC». وتضافر تأثير النهر وتشجيع والديه اياه على المضي في هذا الدرب، فشغل الفتى أوقات فراغه برسم المناظر المحيطة به.

عندما أصبح كين دون تلميذاً ثانوياً، انتقلت عائلته الى سبرينغوود في "الجبال الزرقاء" في ويلز الجنوبية الجديدة. فانقطع عن دروس الفن باستثناء المقرَّر الوحيد الذي تؤمّنه مدرسة كاتومبا، وكان يسمى "صف الفرصة المتاحة" دلالة على استقطابه الأولاد غير الناجحين أكاديمياً. فانحدر مستوى تحصيل دون المتفوق، بملء ارادته، ليتسنّى له الانصراف الى الرسم. ولمّا بلغ السن الرابعة عشرة أتاحت له مواهبه دخول المدرسة الوطنية للفنون في كلية العلوم التقنية في سيدني. وعمل طوال أربع سنوات في محترف فني في المدينة. وسرعان ما اجتذبه المصمّم جون هولي، واستمر التعاون بينهما ثلاث سنوات عمل دون بعدها لحسابه الخاص.

عام ١٩٦٤ سافر دون الى نيويورك لزيارة أحد أصدقائه. وعنَّ له هناك أن يتصل بوكالة "ج. والتر طومسون" للاعلانات، فتلقّى عرض عمل مغرياً وأثبت كفايته خلال ستة أشهر. ثم سافر الى لندن وعاد منها ليلتحق بالوكالة مدير تصميم. وبعد فترة قصيرة تزوج جودي والكر، وهي منسّقة أزياء كان تعرّف اليها في سيدني قبل خمس سنوات.

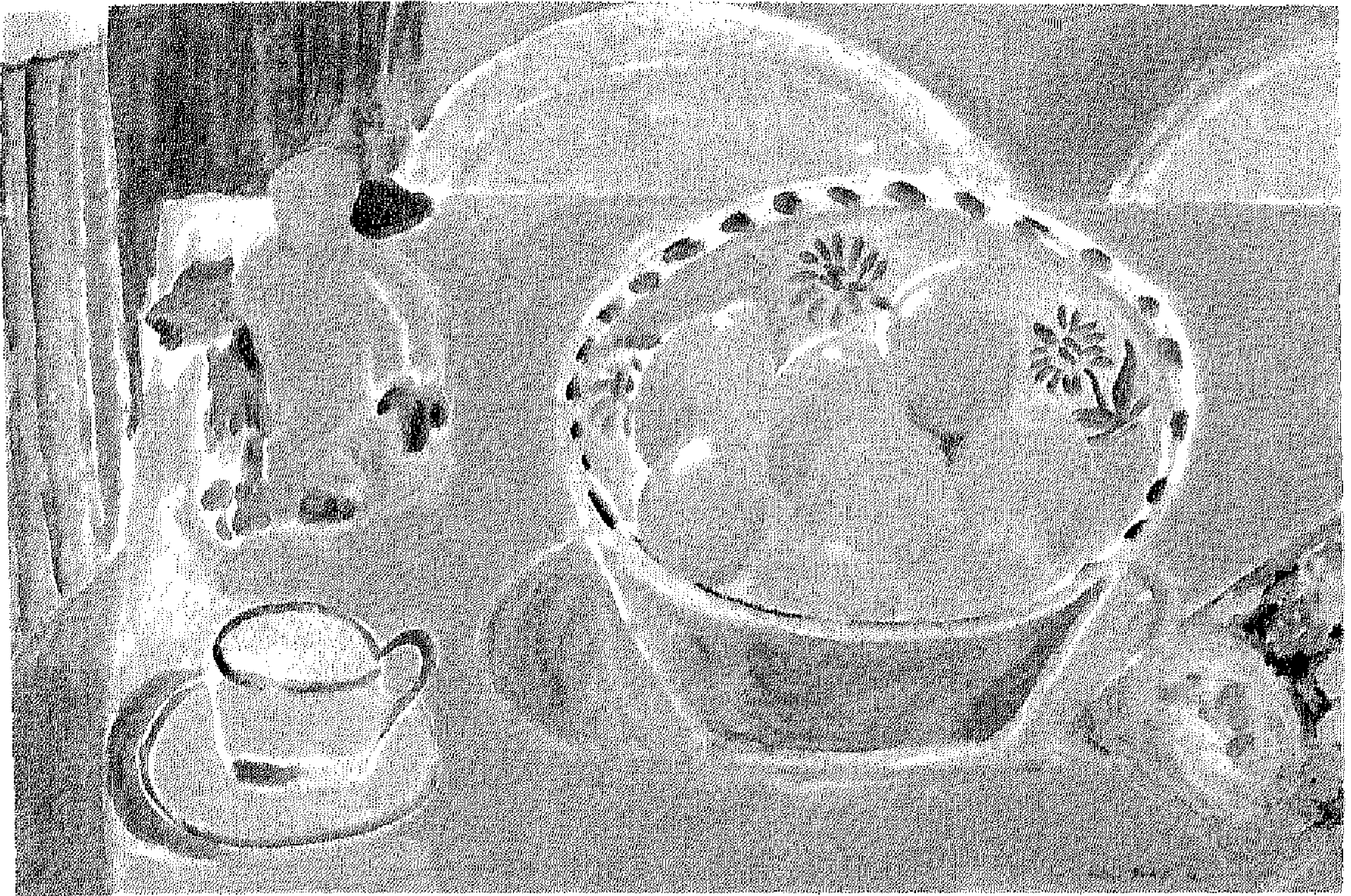
قمصان واقمشة وأكواب وقرطاسية من تصميم دون الذي اطلق على تصاميم القماش اسم "كوالا فوق شجرة."





THE INK GROUP





"قرد وفنجان وليمون" (١٩٩٠). اكريليك على بطاقة، ٥١ سم × ٧٦ سم.

بذل دون في لندن جهوداً مثمرة وعُرف بابداعه وأفكاره الخلّاقة. ففي محاولة لترويج صنف من المشروب اقترح تصوير شريط دعائي تحت الماء، وهي فكرة مبتكرة، إلّا أن الوكالة خشيت المجازفة فتحفظت ازاءها. عندئذ، طلب دون من مديريه: "أمّنوا لي أجرة السفر الى جزر الكاريبي، وسأصطحب زوجتي موديلاً وأتحمّل بنفسي كل المصاريف الأخرى اذا لم ينجح المشروع."

ولقيت فكرته المستحدثة نجاحاً باهراً انعكس زيادة في المبيع والأرباح.

حصد دون خلال السنوات الخمس التالية عدة جوائز بما فيها جائزة "الأسَد الذهبي" في مهرجان كان.

وذات يوم، زار في لندن معرضاً للوحات الرسام الانطباعي الفرنسي هنري ماتيس، فافتتن بألوانها البرّاقة التي بدت "كالتطلّع الى الشمس والتنزه في حديقة." فترك المعرض في نفسه أثراً عميقاً، حتى انه غادره متوجّهاً مباشرةً الى مكتبه مقرّراً أن يرفع في وسطه جداراً فاصلاً يبقي نصفه مكتباً ويجعل نصفه محترفاً.

عاد دون الى سيدني عام ١٩٦٩. وكان، وهو في التاسعة والعشرين من عمره، يتربّع على عرش حياة مهنية ناجحة في مجال الاعلان ويملي شروطه. وكان استمرّ في العمل لحساب الوكالة وخصص يوم الاثنين للرسم.

بعد بضع سنوات أسرّ دون الى زوجته برغبته الحقيقية فيما كانا مستلقيين على شاطىء نوميا: "الرسم هو جلّ مبتغاي."

فردت جودي: "إذاً، انصرف الى الرسم."

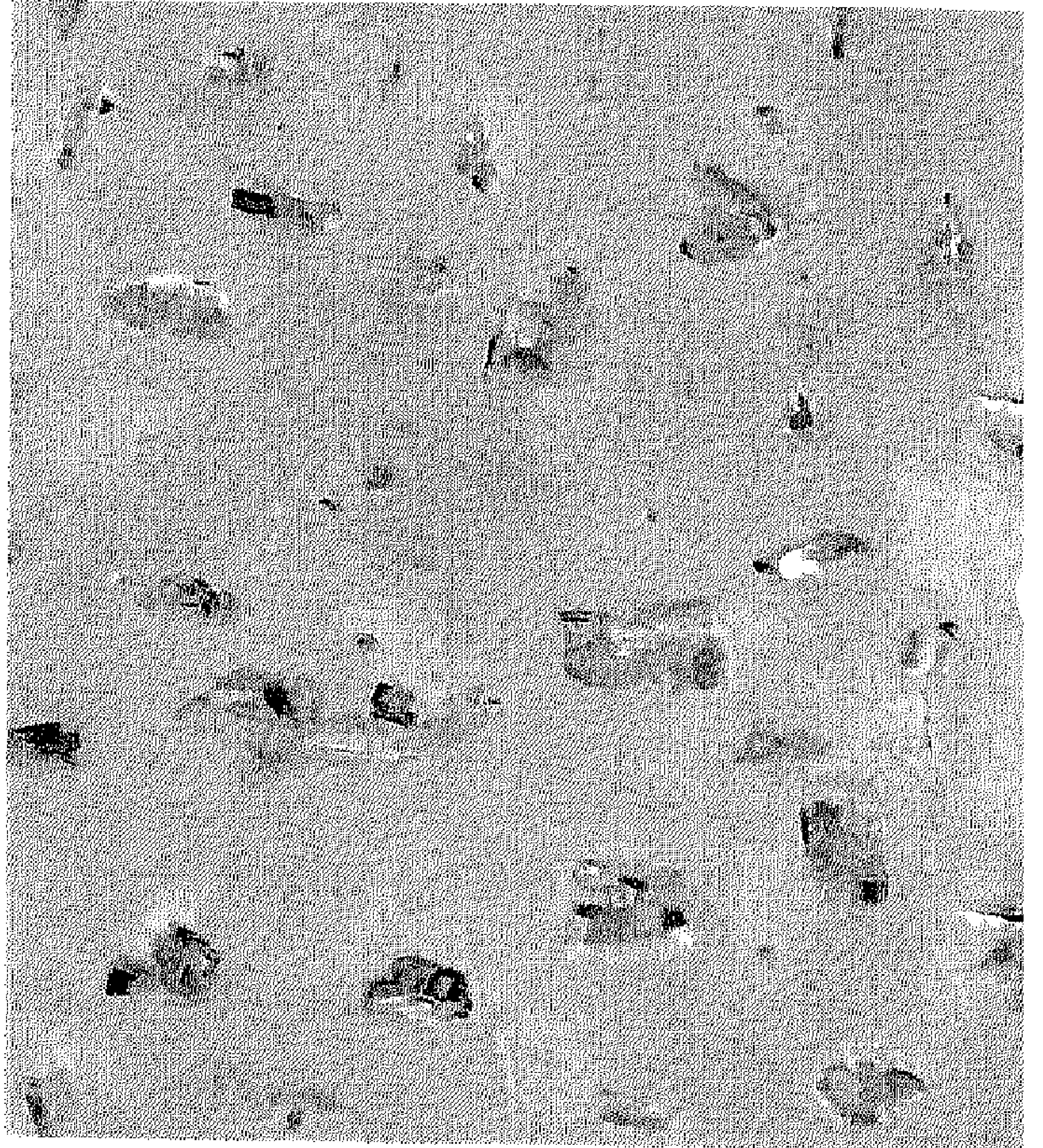
فقفل عائداً الى سيدني وترك وظيفته لينصرف الى الرسم والعمل الحر. وعام ١٩٧٩ قرّر المجازفة، فتفرّغ لفنه كلياً وحجز مواعيد في معارض هولدسوورث ليعرض لوحاته التي سيرسمها خلال ١٢ شهراً. واستأجر على شاطىء شاينمان كوخاً خشبياً يطلّ على مرفأ سيدني. فكانت الشرارة الاولى لعلاقة عاطفية مع المناظر الخلابة المحيطة به، فأسرها تكراراً على قماشات رسم: أزهار شاعرية زرقاء أو صفراء، ومراكب متهادية فوق زرقة فيروزية، وأجسام برونزية ممددة على الشاطىء. وقد تبدو في الصور أنابيب أصباغ أو زهرية أو قنينة أو آلة تسجيل تصدح بألوان زاهية.

أقام دون معرضه الأول عام ١٩٨٠، فتجاهله النقاد. ولمّا كان يأبى طرق الأبواب لترويج رسومه، فقد افتتح معرضه الخاص "غاليري المخرجين الفنيين" محضّراً لهذه المناسبة أول دزينة من القمصان. عندئذٍ أبصرت امبراطوريته النور.

لكن النجاح التجاري الذي حقّقه حمل زملاءه في عالم الفن الاوسترالي على نبذه. ويقول جيريمي بولمور زميله السابق العامل في حقل الاعلانات: "يفترض في الفنانين أن يكونوا إما فقراء معدمين واما ثملين، ومن المستحسن أن يكونوا الاثنين معاً. ولكن بما أن دون لا يعاني أيا من الحالين، فمن الواضح أنه لا يمكن أن يكون رساماً كبيراً."

تباع ثلاثة أرباع لوحات دون "ما وراء البحار"، وتُباع الأصلية منها بخمسة آلاف دولار أو أكثر، ويتسابق عليها الهواة.

من جهة أخرى، عمد رؤساء تحرير مجلة "هاناكو" اليابانية



"الشاطىء المربّع" (١٩٩٠).
أكريليك على كنفا.
١٥٠ سم × ١٥٠ سم.

الى تكليف دون تصميم غلافات أعدادها الـ١٢٥ الاخيرة. وتُباع تصاميم دون في طوكيو وحدها في ١٦ متجراً. يقول دون: "يسألني اليابانيون عن إحساسي وأنا أمزج درجتين من اللون الازرق، بدلا من أن يسألوني عن المواد التي أستعملها."

حاليا، يقع مقرّ كين دون في مستودع كبير في ريدفرن، وهي مدينة قريبة من سيدني. وقد حُوّل هذا المستودع ليتلاءم ونشاطات الانتاج. إذ يعمل فيه ٥٠ موظفاً يحضّرون القمصان والملبوسات لأربعة عشر متجراً في أنحاء أوستراليا.

ويمضي دون ٩٠ في المئة من وقته في الرسم، فيما يوكل الى جودي أعمال التصميم. لكنّ النجاح لم يغيّره، بحسب إفادات أصدقائه. ويعتقد بول أتروشنكو وهو محاضر في كلية الفنون الجميلة في سيدني أن "دون يعي قيمته تماماً لكنه لم يفقد تواضعه."

إن اختراعه "الفن الملبوس" عرّضه لتعليقات ساخرة من الصحافة الاوسترالية، لكن ذلك لم ينل من إعجاب الملايين بفنّه. وقد كتب اليه أحدهم: "أنا فنان جدّي، تلقيت إعداداً أكاديمياً في الرسم الزيتي، وتلقى أعمالي استحسان البعض، لكن أعمالك أنت تمنح الملايين فرحاً وأملاً ونظرة منعشة الى العالم."

فيونا ماكمولن ■



شرطي متفائل

حين تخرّج ابننا في معهد الشرطة اهدينا اليه تمثالا صغيراً من معدن يمثل رجل شرطة. وما هي الا أيام حتى أهدى اليه صديقنا نعيم تمثالا مماثلا.

خيل الي للحظة أن ابني سينزعج لتلقيه هديتين متشابهتين. اما هو فهتف مبتهجاً: "انظروا! هذا نعيم يرسل الي شرطياً للدعم."

إ. هـ.

غلطة شاطر

بعد يوم عمل مضنٍ رأى المدير ان يوصل مساعِدته الى منزلها في سيارته تعبيراً عن تقديره. وهو لم يخبر زوجته الغيورة ببادرته لئلا يثير شكوكها.

وفي الليلة ذاتها توجه مع زوجته في السيارة الى سهرة في بيت اصدقاء، فلمح فردة حذاء نسائي تحت المقعد الأيمن. فتحين فرصة تطلع زوجته خارجاً وخطف فردة الحذاء ورماها من نافذته.

وعندما وصلا الى مقصدهما راى زوجته تتلفّت حول مقعدها، ثم سألته: "هل رأيتَ فردة حذائي يا عزيزي؟"

ج.ف.

اللمس أغلى الحواس

هل اغتسلتم بماء ساخن من دون أن تتحسسوه؟ وهل نزلتم سلّماً معتمة من دون لمس؟

□ عندما يضع العالم النفساني مايكل ميني طفله في الفراش وقت النوم يلفّ اللحاف حوله ويطبع على جبينه قبلة. فقد دلّت أبحاثه على الحيوانات أن الملاطفة باللمس في مرحلة الطفولة قد تؤدّي في مرحلة البلوغ الى جعل خلايا الدماغ أكثر عافية والذاكرة أكثر صفاء كما قد تخفض مشاكل الشيخوخة.

□ في أحد المستشفيات صفوف من المحاضن[١] داخلها أطفال خدّج (مولودون قبل أوانهم). وجميعهم يُعطون الطعام ذاته، إلّا أن الذين يجرى تدليكهم يومياً يزداد وزنهم ويتحسن نموهم العقلي أكثر من أولئك الذين لا يلقون هذه المعاملة.

□ يُطلب من المتسوّقين في أحد المتاجر الكبرى تذوّق نوع جديد من البيتزا. والمتسوقون الذين يُلمسون أثناء تبادل حديث الترويج، وإن لجزء من الثانية، يستجيبون غالباً فيشترون البيتزا الجديدة.

اللمس هو أول حاسّة ننميها، ونحن نكتسبها قبل أن نولد ولا حياة لنا من دونها. فهلّا تصورتم أنفسكم عاجزين عن تحسّس خطر الماء الغالي أو مضطرين الى نزول سلّم معتمة من دون لمس؟ ثمة اعتقاد غالب أن النظر هو الحاسة الأهم

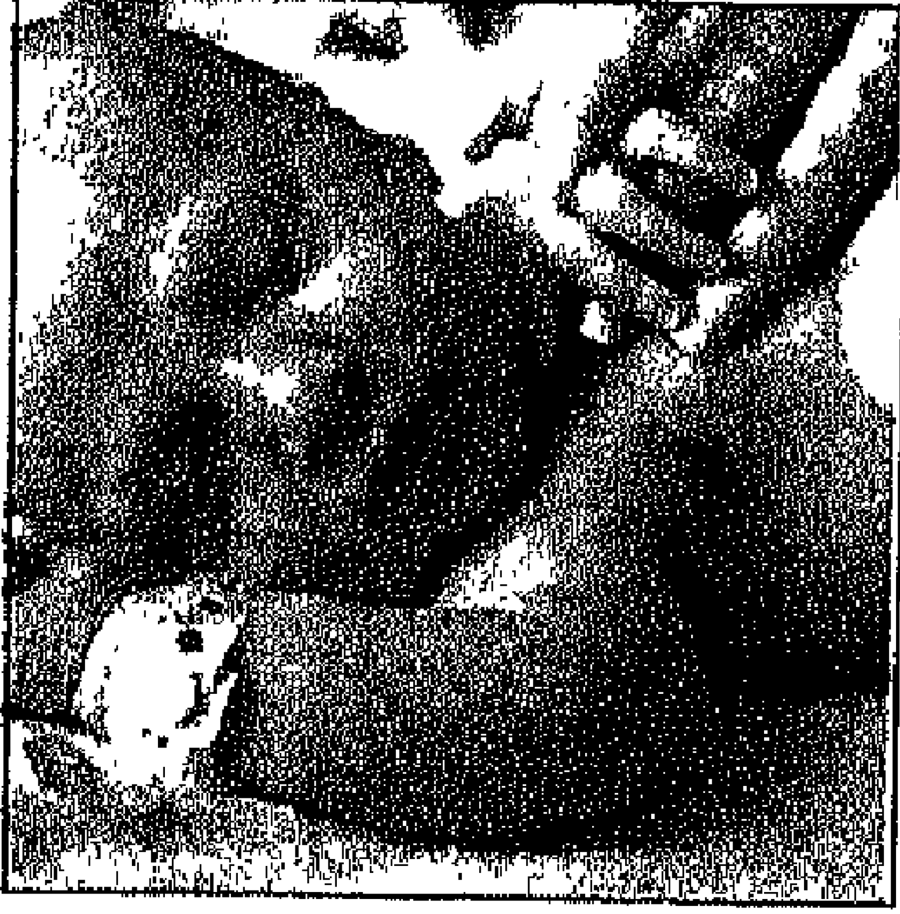
PHOTO: © ROBERTT WOLF

(١) Incubators

لدينا. لكننا نغمض أعيننا للنوم فترة تعادل ثلث يومنا. أما احساسنا فلا يغيب عنا اطلاقاً، فنظل واعين ما يحيط بنا في العالم.

لقد اكتشف العلماء أن اللمس يكيّف عقولنا وصحتنا. وأجرى الدكتور سول شانبرغ أستاذ علم العقاقير والطب النفساني البيولوجي في جامعة ديوك في دورهام بكارولينا الشمالية، دراسة على الجرذان الصغيرة. فوجد أنها حين تُفصل عن أُمّاتها ٤٥ دقيقة تنتابها تغيرات داخلية تؤدي الى انخفاض شديد في مستوى هرمون النمو ومستوى أحد الأنـزيمات الـرئيسيـة، لكن هـذين المستويين يعودان الى طبيعتهما بعد إرجاع الأم الى جحرها. فافتقار الجراء الى لمس أمها أحدث لديها تلك التغيّرات الكيميائية البيولوجية. ولكن حين مُسّدت هذه الجرذان الصغيرة بفرشاة طلاء مبلّلة، عادت أيضاً الى حالتها الطبيعية.

حاسة الام. يولد ملايين الاطفال الخدج سنوياً، إلّا أن كثيرين منهم يعجزون عن النمو أو عن البقاء. لذا، بالتعاون مع شانبرغ وبتوجيه من العالمة النفسانية تيفاني فيلد، بدأ الباحثون في معهد أبحاث اللمس في كلية الطب بجامعة ميامي اخضاع الأطفال الخدّج لتدليك يومي مدته ٤٥ دقيقة. وكانت القاعدة الطبية تقضي سابقاً بابقاء هؤلاء الاطفال معزولين في محيط مماثل للرحم حيث لا يُلمسون باعتبار أن اللمس يشكّل إجهاداً لهم ويفقدهم فرص البقاء على قيد الحياة. لكن فيلد ومساعديها قاموا بتجربة على ٢٠ من الأطفال الخدج الذين استقرت حالهم، فأجروا لهم تدليكاً بطيئاً مع تحريك أطرافهم ثلاث مرات يوميا لفترة ١٥ دقيقة كل مرّة.



وبعد عشرة أيام تبيّن أن الذين دُلّكت أجسادهم زاد وزنهم أكثر من رفاقهم بنسبة ٤٧ في المئة. كما ظهر تحسن في نومهم وتيقّظهم ونشاطهم. وأظهـروا لاحقاً، طوال ثمانية أشهر من المتابعة، مهارات عقلية وجسدية أكبر. والأمر الاكثر إثارة هو أن الاطفال الذين مُسّدت أجسادهم غادروا غرفة العناية المركزة قبل ستة أيام، في المتوسط، من أولئك الذين فاتهم التمسيد. وتعلّل فيلد ذلك بكون اللمس ينشّط بعض الهرمونات التي تظهر طبيعياً لدى الاطفال الذين يولدون بعد فترة حمل كاملة، ومنها تلك التي تسهّل امتصاص الطعام.

وبحسب الدكتور رونالد بار من مستشفى الاولاد في مونريال، فإن الأطفال الامريكيين تحملهم أمهاتهم من ساعتين الى ثلاث ساعات في اليوم. وفي

بعض المجتمعات القبلية الافريقية تحمل الأمهات مواليدهنّ نحو ٩٠ في المئة من الوقت. الى ذلك تضيف كاثرين برنار أستاذة التمريض في جامعة واشنطن أن "ثمة ٨٠ في المئة من اتصالات الطفل تتمّ من خلال حركات جسمه، والتصاق الجلد بالجلد يسهّل قدرة الأم على قراءة تلك الاتصالات." وكلما زاد حمل الأم طفلها ازداد إدراكها لحاجاته.

فاللمس يلبّي حاجات تتعدّى تأمين الطمأنينة والسلامة. فقد اكتشف العلماء أن الاطفال حين يضعون لعبة أو خشخاشة في أفواههم لا يفعلون ذلك في محاولة لتذوّقها فحسب، فهم يستخدمون شفاههم وألسنتهم، التي هي أكثر مناطق اللمس حساسية، لاستجلاء ما يشاهدونه بأعينهم. فاثبات بُعد محيطهم وشكله وقساوته باللمس يساعدهم على تنمية حواس أخر، كالنظر.



وحتى إن بلغنا سن الرشد، فنادراً ما نقبل الفكرة القائلة ان "في النظر التصديق." فنتكلم بدلاً من ذلك على تفضيلنا الأشياء التي يمكننا "إمساكها"، أشياء "ملموسة، حقيقية."

ويختلف العالم الذي ندركه باللمس عن ذلك الذي نبصره بأعيننا. ضع عصابة على عينيك ودع أحد أصدقائك يجسّ جلدك بقطع مختلفة الأشكال من الكعك. الشخص العادي يمكنه أن يتعرف الى أقل من نصف الأشكال التي مسّت جلده. ولكن اذا أتيح لك لمس كل قطعة من الكعك باصبعك ارتفعت نسبة تعرفك الى هذه الاشكال الى ٩٥ في المئة.



لمسة ورسالة. ان نسبة اللمس هي الاعلى في الفترة التي تسبق دخول المدرسة. وينخفض اللمس الى أدنى مستوياته في أوائل سني المراهقة أو في منتصفها.

ويقول فرانك ويليس أستاذ علم النفس في جامعة ميسوري: "عندما أجرينا دراسة على الأزواج في الأماكن العامة، لاحظنا أن الرجل هو الذي يبادر الى لمس المرأة قبل الزواج. أما بعد الزواج فالمرأة هي التي تلمس الرجل أولاً في معظم الاحيان."

وعموما، يشعر الناجحون والواثقون بأنفسهم بحرية في اللمس أكثر من الخجولين المتردّدين. وفي الحياة اليومية



تعتمد النساء اللمس ويتقبلنه أكثر كثيراً من الرجال، وهنّ أكثر حساسية حياله في أنحاء أجسامهن، من رؤوس أصابعهن الى أخامص أقدامهنّ. أما الرجال فيردّون على اللمس المفاجيء بشيء من التوتر، إذ غالباً ما يرون فيه هيمنة عليهم او إثارة لحساسيتهم.

وقد يُساء فهم بَعض رسائل اللمس. فلمسة خفيفة للكتف أو المرفق أو اليد تعني عادة الصداقة. ولكن حين يلمسك شخص من الجنس الآخر، فهل تعني هذه اللمسة صداقة؟ أم تكون مبطّنة بالاغراء؟ أم تكون بقصد المضايقة؟

غير أن اللمسة المتريّثة على اليد أو الوجه أو العنق تعني، على الأرجح، أكثر من ذلك. فتربيت الرأس قد يدلّ على رغبة في فرض الرعاية، كأنك بذلك تقول: "أنا هو الرجل الراشد، وأنت الولد القاصر."

حتى إن لغياب الاحساس باللمس تأثيراً نفسانياً قوياً. فقد تبيّن لويليس أن ثمة عدداً أكبرُ من المتسوّقين الذين يُطلب منهم تذوّق نوع جديد من البيتزا، أو من المارة الذين يُطلب منهم التوقيع على عريضة، استجاب لدى لمسه بخفّة وإن لجزء من الثانية. واكتشف باحثون آخرون أن اللمسة العابرة الخاطفة تدرّ زيادة في الاكراميات المعطاة لندل المطاعم. يقول ويليس: "ان الابحاث الحديثة التي تتناول تصرّفنا غير المشفوع بالكلام، تعبر عما عرفه الباعة الناجحون منذ وقت طويل: أن لمسة خفيفة منك تقنع الزبائن غالباً بأنك ودود وصديق حقاً."



قوة شافية. يشير بعض الباحثين الى أن اللمس قد ينطوي على قوة شافية للبالغين كما للأطفال والأولاد. فلمس الأحبّاء والممرضات لنزلاء المستشفيات قد يفرّج عنهم القلق والتوتر وآلام الصداع. كما قد يخفض اللمس سرعة نبض القلب وعدم انتظامه. وتقول الممرضة ريتا كنغ من كاليفورنيا: "إن الاتصال البشري يجعل الناس يشعرون بحال أفضل وبمزيد من الطمأنينة والامان. فهو ذو تأثير مهدّيء. كما أن الشفاء يتمّ على نحو أسرع حين يشعر المريض بأن ثمة من يوليه العناية الصحيحة."

فهل يساعد اللمس على شفاء بعض العلل أيضاً؟

اكتشف مايكل ميني من مركز الابحاث في مستشفى دوغلاس في جامعة ماكغيل بمونريال، أن الجرذان الصغيرة حين تحظى برعاية خلال الاسابيع الثلاثة الأولى من حياتها، تشهد نمو خلايا حسية إضافية متقبِّلة[٢] تضبط انتاج الغلوكوكورتيكويد[٣] وهذه مواد إجهاد كيميائية قوية وفاعلة قد تسبِّب تقلّص العضل وفقدان الحساسية تجاه الانسولين وارتفاع ضغط الدم ومعدل الكولسترول. وتعطيل نمو خلايا الدماغ وتلفها.

فالمتقبلات التي أُنتجت من طريق اللمس في مرحلة الطفولة بقيت طوال حياة الجرذان. وعندما اعترضتها مشاكل وضغوط أصبحت أقدر على خفض انتاجها من الغلوكوكورتيكويد الى المستويات الطبيعية. وفي الاوضاع الخالية من الضغوط أنتجت الجرذان المحظية مقادير من الغلوكوكورتيكويد أقل من تلك التي أنتجتها تلك التي لم تلق رعاية.

واكتشف ميني أن الجرذان التي لم تُلمس في صغرها أصيبت بفقدان الذاكرة وبتلف في الدماغ من جراء التعرض للغلوكوكورتيكويد. أما تلك التي حظيت برعاية وهي صغيرة فأصيبت بتلف أخف كثيراً في الدماغ بفعل الضغط، ولم تفقد ذاكرتها في مرحلة الشيخوخة. وكانت خلاصة أبحاث ميني وزملائه التي نُشرت في مجلة "ساينس" حصول "تأخير فعلي لمعالم الشيخوخة."

ولأدمغة البشر، في ما يتعلق بالغلوكوكورتيكويد، الكيمياء والخلايا الحسية المتقبلة الموجودة لدى الجرذان، ويبدو محتملاً أن تكون استجابتنا للرعاية التي نلقاها في طفولتنا مماثلة.



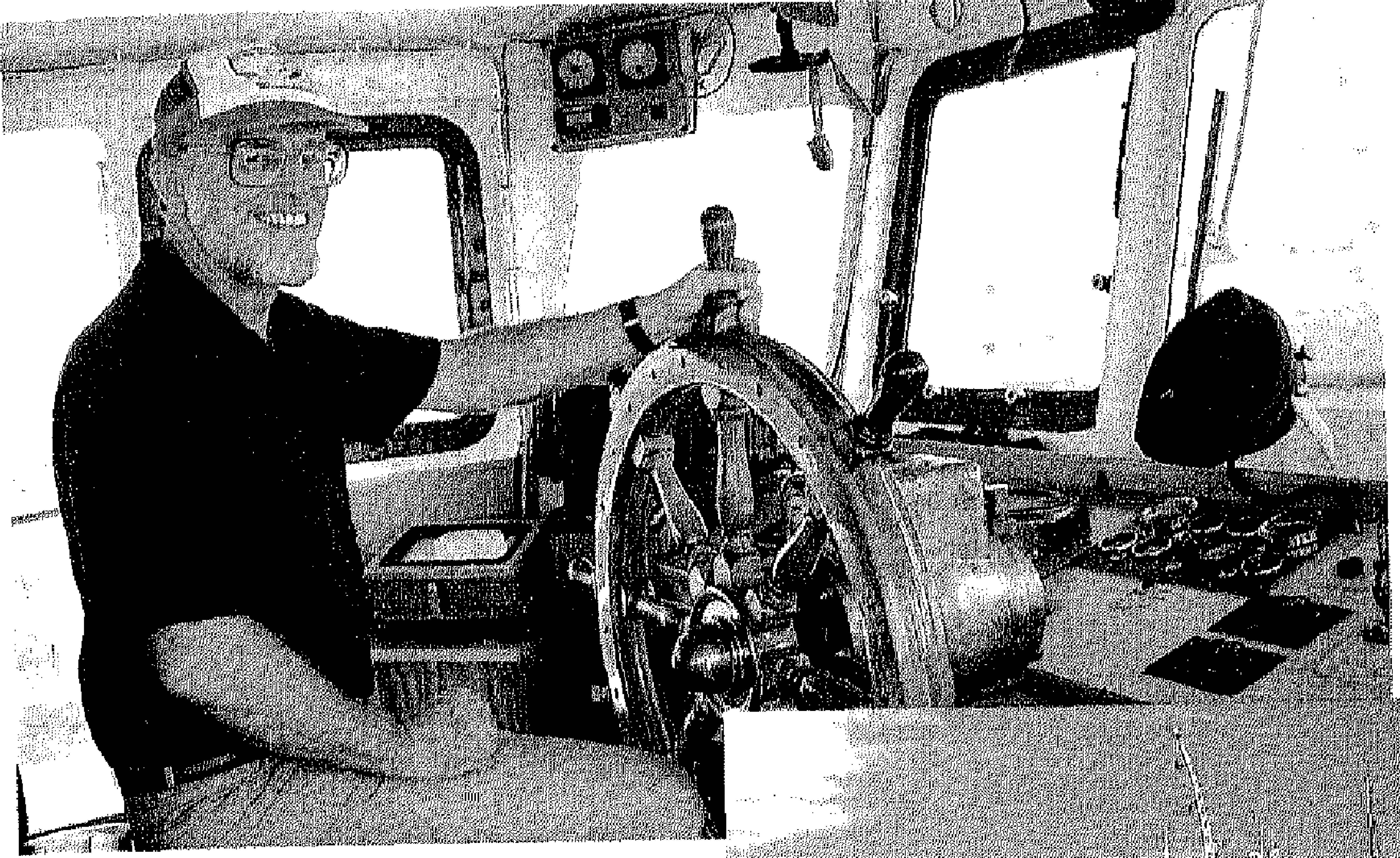
وُلد أول طفل لميني فيما هو مكبٌّ على أبحاثه. وهو يقول: "إنني أُشبع ابني ضماً وتقبيلاً أكثر مما لو وُلد قبل هذه الاكتشافات. ودلائلنا تشير الى أن ضمه وتقبيله حالياً سيساعده على تذكّر ملامح وجهي وعلى عيش حياة أكثر سعادة وعافية. إن لمسي اياه اليوم قد يطبع مستقبله."

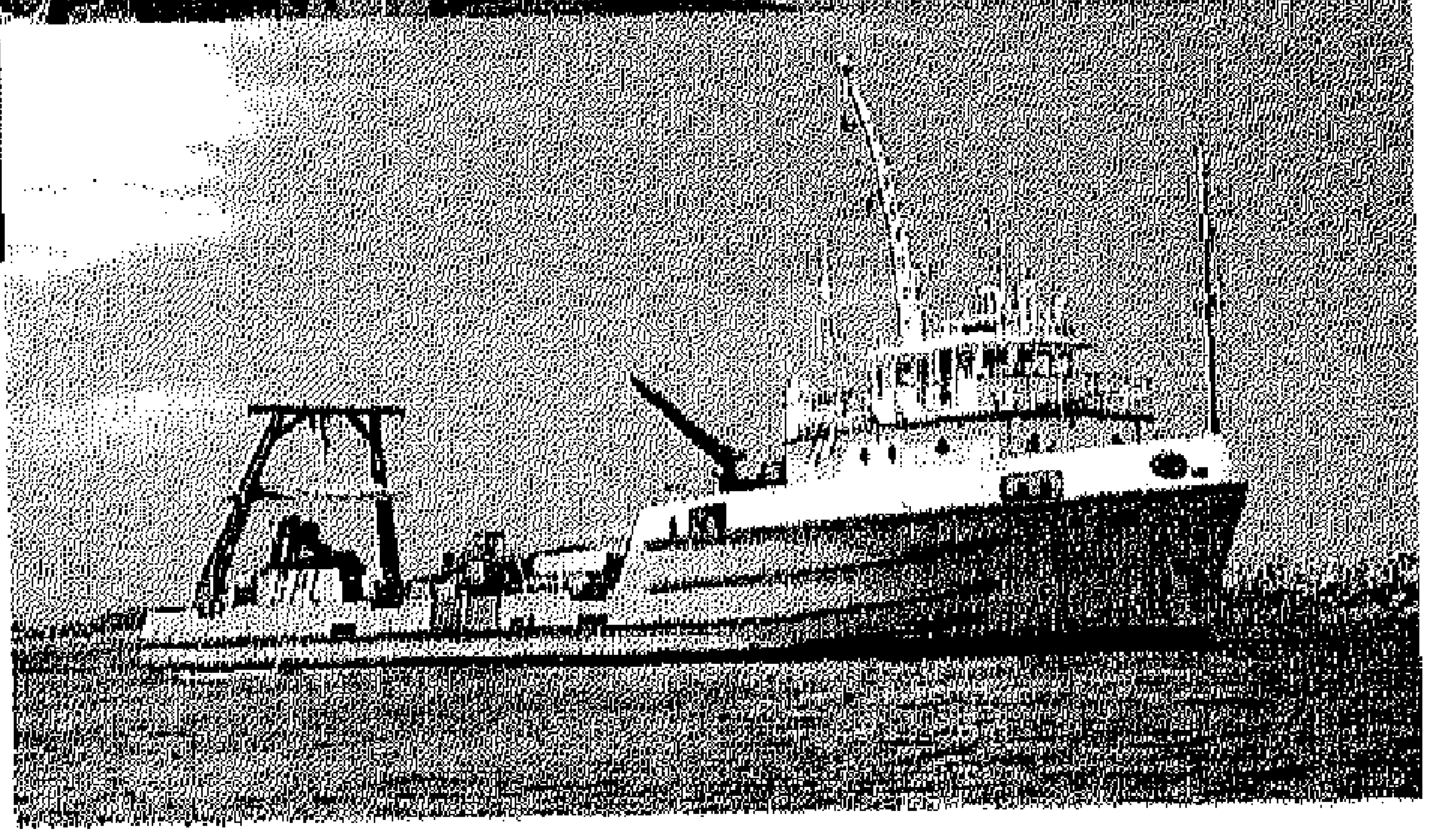
لويل بونتي ■

(٢) Receptors
(٣) Glucocorticoid

همس احدهم للعروسين: "اذا شئتما ألا ينساكما الناس، فلا تكتبا بطاقات شكر على هدايا الزواج."

ا.ر.





"أوشين روفر" احدث سفن ايان لوكلي راسية في غلادستون.

منقذ السفن الجانحة

يتنقل هذا المغامر بين جزر المحيط الهادىء لانقاذ السفن الجانحة

جنحت الناقلة العملاقة "أنرو آسيا" على شاطىء صنشاين بالقرب من بريزبين في أوستراليا، وراحت تتحطّم تحت وطأة الأمواج المتكسّرة والرياح العاتية والامطار الغزيرة. كان طولها ١٨٢ متراً، وهي ضربت الشاطىء بعنف فانهارت حجيراتها وتداعت الجدران ودعامات الهيكل.

انها أغلى حطام بحري عرفته أوستراليا. وها هو منقذ السفن الغريقة ايان لوكلي يسير على متنها مخوضاً في الماء بجزمته متحسساً قوة الامواج.

كان عقد العمل معه ينصّ على أن "لا أجر بلا إنقاذ." لكن لوكلي راهن على نجاحه بتعويم السفينة الغارقة مجازفاً بكل ما يملكه: منزله وزورقه وسيارته. وفي

PHOTOS: AVRILLE WILLIAMS

غضون أربعة أيام عصيبة صرف نحو مليون دولار على طوافات ومراسٍ وزوارق قطر ومجموعة اختصاصيين شملت مهندسين بحريين ومهندسي كمبيوتر. كانت الخطة تقضي بانتشال السفينة بعد بضعة أيام حين يبلغ المدّ أعلى ارتفاعه، أما الآن فالعاصفة ما زالت على أشدها تهدد السفينة بكارثة مدمرة.

اتصل لوكلي بغرفة المحرّكات طالبا: "أعطوني أقصى الطاقة التي يولّدها المحرّك، ولنسحبها الى الشاطىء."

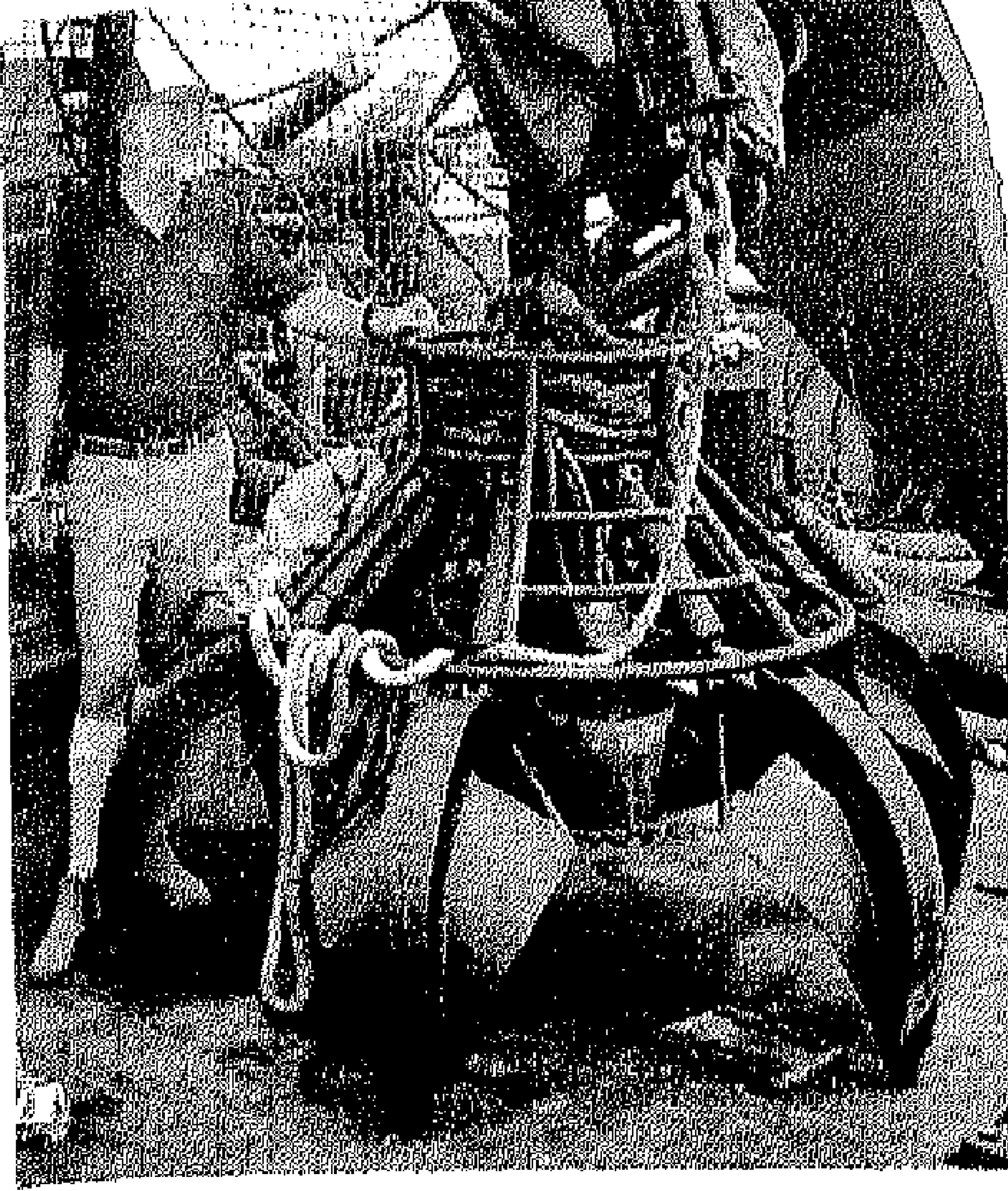
هدر المحرّك الذي تبلغ قوته ١٨ ألف حصان ونفث الداسر (المسيِّر) نافورة ماء مهّدت الأمواج ودفعت السفينة صعوداً بضعة سنتيمترات، مرة بعد مرة، في اتجاه الشاطىء. سحق ثقلها البالغ ٣٣٥٠٠ طن حَيْد الصخور الرملية قرب سطح الماء، وجثم قعرها في حفرة مغمورة بالماء، فثبتت بسلام وأصبحت الأنواء عاجزة عن التلاعب بها. ثم انقضى يومان آخران وارتفع المدّ فجرَّتها خمسة زوارق قطر وعوَّمتها وسحبتها الى مرسى أمان.

إن انتشال سفينة جانحة وسط عواصف هوجاء ليس أمراً خارجا على المألوف في مهنة مهندس مغامر يعيش حياة محفوفة بالأخطار. فقد أشرف لوكلي على انقاذ نحو مئة سفينة من حيود صخرية وشواطىء. وحين يسلِّم مالكو السفن بعجزهم عن القيام بأي شيء، ينبري في البحار الجنوبية سيِّد انقاذ يحقق ما يعجز عنه الآخرون.

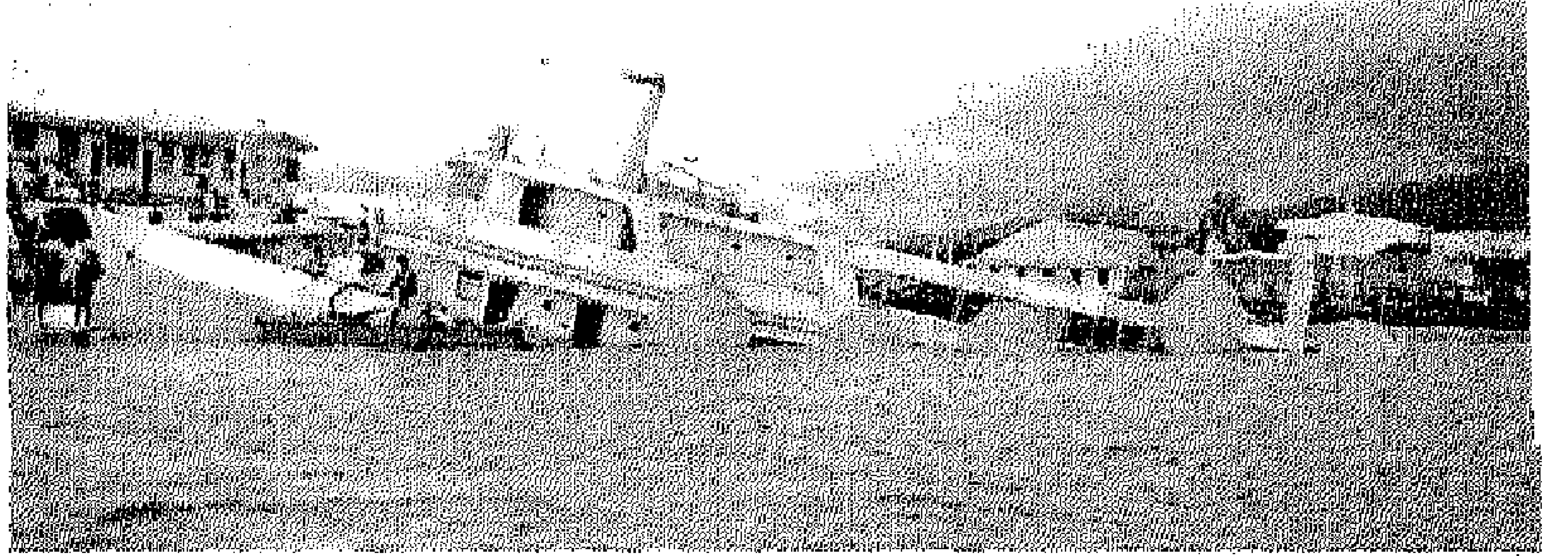
أفكار مبتكرة. وُلد لوكلي، الذي يبلغ الخمسين من العمر، في كوينزلاند. وهو رجل فارع الطول له لحية وخطها الشيب، تنبىء طلعته بمغامر جريء متباه. ووسط الأمواج الهادرة المتكسِّرة يشرف على إدارة الآلات والمحرّكات الضخمة التي تولد طاقات من ألوف الأحصنة بمهارة وثقة كأنه سائق شاحنة قاطرة تنتشل سيارة من حفرة. ومهما تكن المهمة شاقة ومثبطة للعزائم، فان الابتسامة العذبة المشرقة تكاد لا تفارق ثغره تحت نظارتيه اللامعتين وقبعته الحمراء الباهتة اللون بفعل أشعة الشمس.

ولوكلي ربّ عائلة عطوف ومهندس حذر. فهو لا يلعب الورق (الكوتشينة) ولا يراهن على حصان أو ورقة يانصيب. لكنه يحسب بدقة أخطاراً هائلة ويخوض غمار تحدّيات مهنية عظيمة مستخدماً كل ما يؤول الى إنجاح مشروعه من أقمار اصطناعية تساعده في استكشاف الحطام الى أجهزة هاتف مكبِّرة للصوت تحت سطح الماء.

في طفولته، كانت أمه تجده منبطحاً على وجهه في حوض الحمام فلا تدري أهو ميت أم انه يمارس تمرينا في الغطس. وفي الخامسة عشرة من عمره ابتكر مع رفيقه نيفيل غاريك جهاز غطس سار به في قعر نهر بريزبين قرب منزله، وكان مصنوعاً من تنكة كاز فارغة ومنفاخ إطارات وخرطوم مياه. ولاحقا، اشتغل خرّاطاً متمرّناً في اصلاح الجرّافات. لكنه كان يعمل في نهاية الاسبوع مع أحد



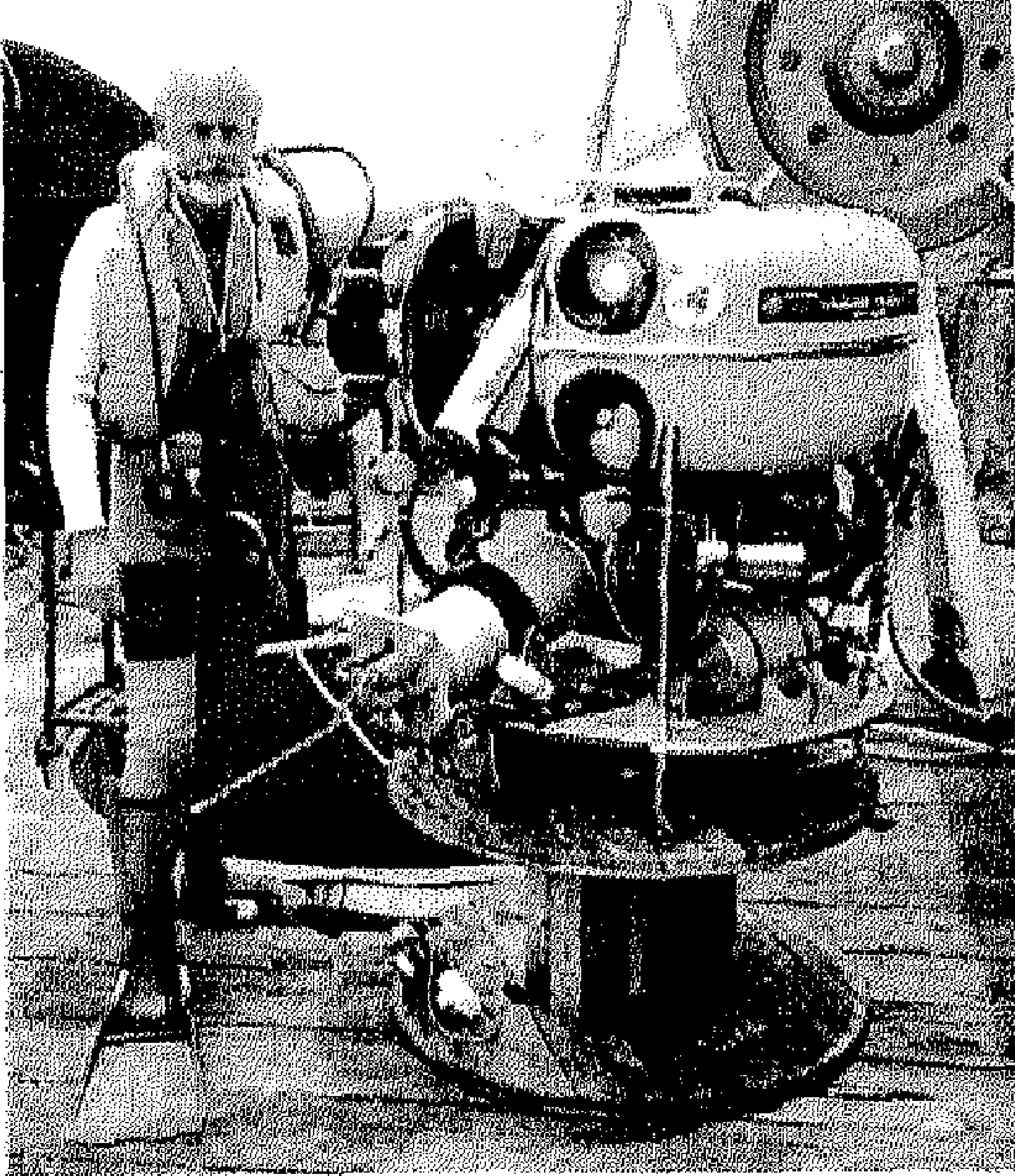
(الى اليسار) لوكلي يعرض اللاقط الهيدروليكي على رافعة الاعماق. (الى اليمين) استخدم لوكلي رافعات جبّارة لتعويم هذه السفينة التي أغرقها إعصار في لوتوكا (فيجي). (تحت) أحد الغطاسين يقف الى جانبِ "روبوت" بحري يمسك بهياكل السفن الجانحة ويثبتها للتمكين من القيام بأعمال الثقب والولوج.



الغطّاسين المحليّين. وحدث ذات مرة أن انقلبت رافعة رمل ضخمة في مياه الشاطىء وحُبس داخلها بضعة أشخاص. يومذاك كان لوكلي في الحادية والعشرين من عمره، فغطس في أروقتها المعتمة المغمورة بالماء لانقاذ الاحياء، ونال تقديراً لعمله البطولي "وسام الامبراطورية البريطانية."

عام ١٩٦٧ عمل ايان مهندسا في سفينة استطلاع، فجال في جنوب المحيط الهادىء وكان يمارس الغطس في أوقات فراغه. فعثر على حطام سفينة شحن بالقربَ من جزيرة فاتوا في فيجي. ورأى سبائك من الألومنيوم خارجة من السفينة. كان معظم الغطاسين اعتبروا هذه السبائك خردة لا قيمة لها، أما ايان فقدّر أن كلاً منها تساوي ٢٠ دولاراً.

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٦٩ أجرى غطساً استكشافياً الى السفينة ووقّع عقداً مع مالكيها لانقاذها. ثم جمع مع نيفيل غاريك ما لديهما من مال لشراء زورق قطر، واستدان بقية المبلغ المطلوب



من مصرف. وكان ايان أطلع مدير المصرف في بريزبين على صورة سبيكة ألومنيوم قائلاً له: "يمكنني الحصول على ألوف من هذه السبائك. فهلاّ أقرضتني المال اللازم؟" وهكذا تيسّر لايان ونيفيل في يوليو (تموز) ١٩٧٠ شراء الزورق "سلمار" الذي يبلغ طوله ١٣،٧ متراً.

ثم أمضى ايان ونيفيل أربعة أشهر يمارسان الغطس في أماكن مختلفة. وفي

PHOTOS: IAN LOCKLEY

نوفمبر (تشرين الثاني) انطلقا في الزورق قاصدَيْن السفينة الجانحة وسبائك الالومنيوم، فيما سافرت زوجتاهما مع كيرستين ابنة ايان، الى جزيرة فيجي.

كان "سلمار" يحتاج الى مراسٍ وسلاسل اضافية لانتشال السبائك. فتوقف الملاحان عند حَيْد بحري قبالة ناغو، إحدى جزر فيجي، حيث عثرا على حطام انتزعا منه ما ينقصهما من معدات. وصادفا بالقرب منهما فريق انقاذ كان يحاول انتشال زورق صيد كوري. فاقترح ايان على الفريق ادارة مقدّم الزورق الغارق في مواجهة الأمواج المتقدّمة الى الشاطىء، فبذلك تساعد الأمواج على رفع المركب بدلاً من أن تتكسّر فوقه وتحطمه. ونجحت الفكرة، فعام الزورق وقبض ايان ونيفيل حصتهما التي بلغت ٢٤ ألف دولار جاءتهما هبة سعيدة غير متوقعة.

تمكّن ايان ونيفيل من انتشال ١١٠ أطنان من سبائك الألومنيوم وقيمتها ٥٢ ألف دولار مع داسرين احتياطيين تبلغ قيمتهما ٢٣ ألف دولار.

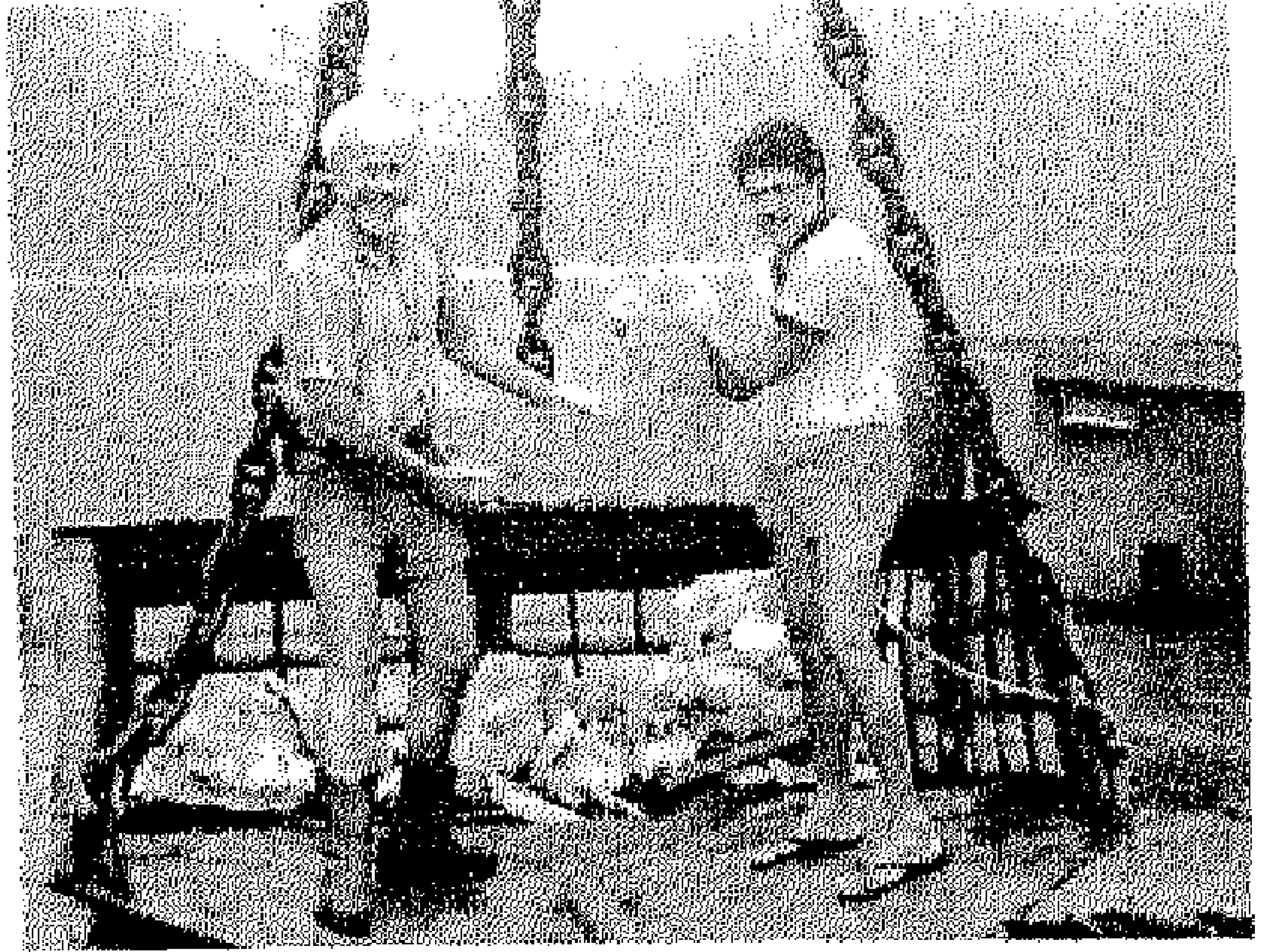
وعلم ايان من السكان المحليين أن ثمة حطاماً في بحيرة ضحلة قريبة. فتفحص الحطام واكتشف داسراً برونزياً ملقى في المياه الضحلة يصعب انتشاله. فمزج بعض المتفجرات وصنع منها قنبلة وضعها تحت الداسر وفجّرها. فطار الداسر في الهواء وسقط في المياه العميقة. عندئذ تمّ انتشاله وبيع خردة بمبلغ ٦٠٠٠ دولار.

ولحقت بيتي بزوجها ايان ومعها طفلتهما كيرستين. وسكنا في منزل في سوفا عاصمة فيجي أصبح قاعدة لعمليات الانقاذ. وبعد سنة، اشترى ايان حصة غاريك في الشركة.

"انتظِروا النهر!" في مياه المحيط الهادىء حيث تنتثر الجزر المرجانية المزدانة بشجر النخيل كلآلىء على سجادة خضراء، عمل ايان في إنقاذ السفن الجانحة المهدَّدة بالغرق. فكان يلبّي نداءات الاستغاثة في أي وقت تأتيه من الأماكن البعيدة. وكان ينام والخرائط البحرية ملصقة على الستائر الى جانب فراشه. وما إن يبلغه النداء حتى ينهض، وفي أقل من ساعتين يكون هيّأ معدّاته وانطلق في مغامرة بين الجزر الجميلة الخطرة. ذات مرة صرّحت زوجته بيتي: "الأمر بالنسبة إليّ أصعب من الزواج باطفائي. فما ان يرنّ الهاتف حتى ينهض ايان ويرحل، وقد يمرّ شهران قبل أن أراه ثانية."

في بابوا نيو غينيا اشترى ايان في إحدى رحلاته مركباً جانحاً على الشاطىء. وحين صعد الى متنه تصدّى له تاجر محلي شاهراً عليه مسدساً ومعلناً حقّه في ملكية المركب. فأذعن له ايان، لكنه أبلغ الحادث الى الشرطة في بورت موريسبي، فاعتُقل القرصان في الميناء واستعاد ايان الزورق.

وفي حادث آخر، بعدما عاين ايان مركباً جانحاً في جزيرة تاراوا المرجانية، ركب طائرة صغيرة عائداً الى سوفا. وبعد


أعضاء فريق الانقاذ يعرضون سبائك زنك انتشلت من حطام إحدى سفن الشحن.

دقائق اكتشف ربان الطائرة أن سكانا محليين سحبوا الوقود من خزّان الطائرة لتزويد دراجاتهم النارية. فاضطر الى هبوط طارىء على قطعة أرض ضيّقة وقد فرغ الخزان من الوقود تماماً.

وفي غمار إعصار بحري هبَّ على جزيرة فيجي جُرف مركب كبير الى طريق مطار نوسوري. ولرفع المركب، اقترح الخبراء تقطيعه ونقل القطع الى الشاطىء حيث يعاد جمعها. لكنّ ايان استأجر جرّافتين وانتظر في المطار مترقباً فيضان النهر المجاور. وحين فاض النهر عام المركب فقطره ايان الى مرساه على غير علم من المسؤولين. وفي صباح اليوم التالي بلغه أن مالكي المركب عرضوا ٥٠٧٥ دولاراً لمن يتولّى تقطيع المركب ونقله الى الشاطىء. فعقد معهم اتفاقاً بهذا المعنى، ثم أضاف: "المركب يرسو الآن في الميناء."

عام ١٩٧٤ واجه ايان أول تحدٍّ كبير حين جنحت سفينة الشحن البريطانية "ميلبانك" واستقرت على حَيْد مرجاني في فيجي. فارتفع مقدمها وعام مؤخرها في المياه التي يبلغ عمقها ٢٥٠ متراً.

يومذاك عمد ايان الى صنع جهاز بكرات رافعة مستخدماً أسلاكاً ثخينة وبكرات بحجم عجلات سيّارة. ثم اشترى هيكل مركب صيد محترق بـ٦١٩٥ دولاراً وشدّه بأسلاك الى الرافعات، ونسف قعره وأنزله في العمق بطول أسلاكه مثبّتاً إياه كمرساة تحت جانب عمودي من الحيد. وأخيراً بدأ مهمة الانتشال، فأدار محرّكات السفينة لاحداث اهتزاز وشدّها الى الخلف، وفي الوقت ذاته شدّت ثلاثة زوارق قطر بأقصى طاقاتها فانقطع سلكان منها وثبت واحد. واذا بالسفينة تتحرّر من مجثمها وتعوم في المياه. فأوقفت محرّكاتها، ولم يلحق بها سوى أضرار طفيفة مما أتاح لها شحن حمولة سكّر. كما سافر ايان وبيتي على متنها لتمضية عيد الميلاد في ماليزيا.

كانت باخرة الركاب الامريكية "بريزيدنت كولدج" إحدى السفن الكبيرة الغارقة في البحار الجنوبية منذ الحرب العالمية الثانية. وكانت اصطدمت بألغام عام ١٩٤٢ ولمّا تزل مستقرّة في المياه على عمق ٦٥ متراً. كست بدنها الضخم قشرة من المرجان، وكان الوقود يرشح منها في ميناء سانتو في فانواتو (أرخبيل كان يُدعى سابقاً هبريد الجديدة.) وفي العام ١٩٧٥ وقع ايان عقداً لضخ الوقود منها. فنجح في ضخ ٧٥٠ طناً الى زورق قَطْر قديم، ومنه الى

PHOTO: AVRILLE WILLIAMS

سفينة عابرة تؤمّن رحلات سياحية ونزهات ترفيهية. في أثناء العملية ضرب المنطقة زلزال سُمع دويه كقصف رعد، وغطّت الرواسب صفحة الماء، إلاّ أنها لم تؤثّر في أعمال الغطس والضخ.

لا مناجم ذهب. المنافسة حادة في حقل الانقاذ، غير ان ايان يتمتّع بمزية تؤمن له الأفضلية، فهو خبير أيضاً. ويبدأ عمل الانقاذ نموذجياً بالهرع في طائرة أو زورق سريع إلى مكان الحادث. يلي ذلك غطس لتفحص الأضرار غالباً ما يتمّ في بحر هائج فيما الأمواج ترجّح السفينة فتكاد تلامس رؤوس الغطاسين. ثم تُلقى نظرة على خرائط السفينة ويُجرى تقدير سريع لما يقتضيه تعويمها. لكنّ ذلك كله رهن بتوافر التمويل.

وغالباً ما يقوم نزاع بين المهندسين وربان المركب وبين الربان والمالكين. والمالكون يضغطون على المؤمِّنين، والمؤمِّنون يتنازعون مع المخمِّنين على قيمة الأضرار. أما متعهد عملية الانقاذ فيكون في وسط المعمعة. وقد تمرّ ثلاث سنوات قبل أن يدلي محكّمو شركة "لويدز" اللندنية بافاداتهم، كما قد لا يتقرّر مبلغ الكلفة الفعلية لعملية الانقاذ قبل سنتين. وعندئذ يقبض متعهد الانقاذ ما يستحقّ ويدفع ما عليه. ويقول ايان: "إن هذه المهنة سبيل للعيش، لكنها ليست منجم ذهب."

"أوشين روڤر" أحدث سفينة يملكها ايان لوكلي وقد اشتراها عام ١٩٨٥. يبلغ طولها خمسين متراً، وكانت تؤمّن المؤن لحقول النفط. وهي ترسو حالياً في أحد حيود بحر المرجان على بعد حوالى ٥٥٠ كيلومتراً من الشاطىء. وفي قاعة "الورشة" على متنها تظهر على شاشات التلفاز صور سفينة شحن يابانية أخفقت زوارق القطر التي يديرها ايان في الوصول اليها قبل أن يغور مقدّمها في مياه الحيد مما بعثر حمولتها من سبائك الزنك والفولاذ وأجهزة الكمبيوتر وجزازات العشب، الى أن استقرّت على عمق ٦٥٠ متراً تحت سطح الماء. استخدم ايان غواصة مصغّرة تعمل بالتحكم عن بعد، مزوّدة آلة تصوير دقيقة وذراعاً آلية. وفي مخلب الذراع مجزّات مسنّنة كانت تلتف حول سبيكة الزنك فتلتقطها وتنتشلها كما انتشلت ألوف القطع المكدسة في عنبر السفينة.

واحتفالاً بنجاح العملية شوى ايان سمكة التُقطت على الحيد. أما مشروعه المقبل فينصبّ على تحسين صنع رافعة للأعماق مجهزة بلاقط هيدروليكي مركّب على شاحنة ويوجَّه من السفينة. فذلك يتيح القيام بعمل إنقاذي منظّم في أعماق لم يسبق التوصل اليها. ويأمل إيان الوصول يوماً الى عمق ألف متر.

ولكن، قبل كل شيء، يقصد لوكلي مدير مصرفه وعلى وجهه ابتسامة تحدٍ، ويلقي على مكتبه سبيكة من الزنك قائلاً: "هل لك أن تمدّني ببعض المال؟ ففي وسعي الحصول على ألوف من هذه."

جون دايسون ■

رافقه الموت ٤ أيام!

ارتمى المهاجر الشاب على طريق مزدحمة بعدما صدمته سيارة عابرة وبقي هناك نازفاً أربعة أيام



قصة من واقع الحياة

كاد خوان فرنسيسكو كاماتشو ينهار وهو يمشي متعباً جائعاً محبطاً على طريق "انترستايت – ٥" في أوشنسايد بولاية كاليفورنيا، عشية السبت ٥ مايو (أيار) ١٩٩٠. فهو أمضى نهاره متنقلاً من مزرعة الى أخرى بحثاً عن عمل.

عَبَر خوان المسارات الاربعة المتجهة جنوباً، ثم شق طريقه عبر شجيرات الدفلى على الفاصل (الجزيرة) بين الاتجاهين، وتابع سيره شمالاً في محاذاة الفاصل منتظراً تباطؤ السير الكثيف لكي يعبر الطريق الى الرصيف المقابل.

فجأة سمع دوي موسيقى صاخبة خلفه.

ضربته دعامة السيارة في وركه الايمن ففتلته وقذفته عالياً. طار في الهواء وحطّ على الشجيرات صادماً الاسلاك الفاصلة خلفها ومرتدّاً ليقع على الطريق المعبدة.

سقط خوان على ظهره، وسمع صوت الموسيقى يتلاشى فيما السيارة الجانية تسرع في الفرار. وقف مستعيناً بأسلاك الفاصل وحاول المشي، لكن قدميه خانتاه في الخطوة الثانية.

رأى خوان الاضواء الامامية لمئات السيارات تمر به، ففكر: "لا بد من أن يساعدني أحدهم." لكن أحداً لم ينتبه له على رغم مرور السيارات في محاذاته بحيث خشي أن يُصدم ثانية. وبدأت موجات من الالم تسري عبر جسده المحطم. ففكر ثانية: "خير لي أن أبتعد قبل أن أقتل."

كانت رجلاه شبه مشلولتين، لكنه استطاع أن يدفع نفسه رافساً بقدمه اليسرى ومنشباً أصابع يده اليمنى السليمة في الارض. وهو استطاع بحركات بطيئة مؤلمة أن يجر نفسه تحت شجيرات الدفلى حيث انهار.

قاطف الثمار. كان خوان عاملا زراعيا في العشرين من عمره من ولاية اواساكا المكسيكية. وهو أخذ عهداً على نفسه قبل أربع سنوات أن يسافر الى الولايات



ILLUSTRATION: STEVEN STROUD

المتحدة ليعمل هناك ويرسل بعد أشهر مالا الى قريته سان سيباستيان لاقامة مهرجانها السنوي.

قال لأمه: "انني ذاهب الى كاليفورنيا للعمل. فعمي روساريو يقيم في سان دييغو، وسيساعدني في الحصول على ترخيص بالعمل."

عندما كان خوان في السابعة من عمره سقط والده ضحية بريئة في حادث اطلاق نار. فاضطر الصبي الى ترك المدرسة والعمل لاعالة نفسه وأشقائه وشقيقاته الاربعة الصغار.

وها هو يحيط والدته بذراعيه واعدا: "سوف أرسل اليك مالا، وفي يوم من الايام سآتي بك الى الولايات المتحدة."

فهمست الوالدة: "فايا كون ديوس" أي اذهب في أمان الله.

وصل خوان الى سان دييغو بعد ستة أيام. ولم يلبث، على رغم معارضة عمه روساريو، أن ركب حافلة متجهة الى الشمال حيث تتوافر الاعمال. فعمل في بايكرسفيلد في قطف ثمار الفريز (الفراولة) والحمضيات. كان الاجر قليلا، لكنه حرم نفسه كل مظاهر الترف لكي يدخر ما أمكن من مال.

وبعد أشهر أرسل ٥٠٠ دولار الى عمدة قريته "وفاء بالعهد الذي أخذته على نفسي لتمويل المهرجان."

عمل خوان خلال السنوات الثلاث التالية في قطاف معظم المحاصيل التي تزرع في كاليفورنيا، ولم يكف عن ارسال المال الى والدته. ثم تقلصت فرص العمل، وعندما سمع عن بدء قطاف الليمون في أوشنسايد عاد الى الجنوب. كان الاجر بخسا بحيث اضطر الى المبيت في العراء. ولم يشأ ان يعلم عمه أنه يمر بأوقات صعبة.

هذيان. كان خوان لا يزال ملقى على الطريق باصابات خطرة. وسيطرت على عقله فكرة وحيدة: "يجب أن أوقف أحدهم لمساعدتي."

زحف الى طرف الشجيرات وبدأ يلوح بوهن فلم يره أحد.

انقضى الليل ظلمة متطاولة قاطعتها أضواء السيارات العابرة ونوبات الالم. كان خوان يشعر بالدم ينساب بطيئا مستمرا مرطبا قدميه فيما هو يتلاشى الى حدود اللاوعي.

بدأ في الصباح بالهذيان. خيل اليه أنه رأى عمه روساريو يمر به قائلا: "سأعود لآخذك في ما بعد." وفي لحظة أخرى خيل اليه أنه رأى والدته، لكنه لم ينادها لئلا يثير قلقها.

وحميت الشمس في سماء كاليفورنيا آتية بعطش يثير الجنون. وراح خوان يصلي.

أحس في لحظة وعي شيئا ينخسه في ظهره، فعدّل وضعه متألما ليرى ما هو. لم يصدق عينيه! كان الشيء فوهة مرشّة لا تزال تقطر نقطا من الماء الثمين! وفكر خوان: "الله يرعاني فعلا!" وجر نفسه ووضع لسانه على الفوهة، فالقطر البطيء سينقذ حياته.

مرت ليلة أخرى. ونهار الاثنين حاول خوان مراراً أن يلوّح بيده مستنجداً، لكن السيارات تابعت مرورها السريع أمامه. وراح يغيب في محادثات وهمية مع أفراد عائلته الذين طمأنوه الى أنهم سيكونون معه دائماً وما عليه الا الصمود.

لم يعد لليل والنهار من معنى الا كفترات من القيظ الحارق والبرد القارس لا تحميه منهما سترته القطنية. وهو اكتشف صباح الثلثاء أنه فقد كل احساس بذراعه اليسرى وكلتا رجليه. انتابه الذعر للحظة اعتقد خلالها أنه فقد هذه الاطراف. ولم يلبث أن تمالك نفسه، فهو لم يشعر بقلق عميق لان أحداً لم يأتِ لمساعدته، اذ كانت لديه قناعة مطلقة بأن الله يرعاه، وكان ايمانه بالله شديداً الى درجة منعت عنه الحزن واليأس والغضب. وهو فكر "ألم يعطني ماء؟ عندما يحين الوقت سيأتي أحدهم لمساعدتي."

٩٢ ساعة. بعد ساعات لاحظ كينيث جونز رجلا تحت شجيرات الدفلى على بعد مئات الامتار من المرأب القريب من الطريق حيث يعمل سائق شاحنة قطر. فقال لزميل له مشيراً الى الشكل الخفي المعالم: "انظر، لقد كان ذلك الرجل هناك خلال عطلة نهاية الاسبوع أيضاً."

فرد الآخر: "ربما كان مختبئا من دوريات الحدود. هل تريد ترحيله الى بلده؟"

أجاب كينيث مفكراً: "لا، أبداً." ثم قاد قاطرته في مهمته التالية.

انقضت ليلة الثلثاء. وأدرك خوان بعد ظهر الاربعاء أن عليه اظهار نفسه أكثر اذا أراد أن يُرى. تلا صلاة وهو في حال هذيان، ثم استجمع طاقته وجر نفسه نحو الطريق حيث رفع جذعه عن الارض باذلا جهداً مضنياً. وجلس هناك لحظات عذاب على مرأى من المارة مراقباً السيارات وهي تمر به من دون التفات. ففكر هذه المرة: "ربما حانت ساعتي." وانهار من جديد.

في هذه الاثناء عبرت سيارة متجهة شمالا، ورأى سائقها شاباً ينهض ثم يسقط، فتوقف على بعد كيلومترات واتصل بمكتب دوريات الطرق في أوشنسايد. لم يعرِّف عن نفسه واكتفى بالقول إنه شاهد أحد المشاة مصاباً عند الحاجز الفاصل في طريق "انتر ستايت - ٥" على بعد حوالى ٨٠٠ متر جنوباً من كامب بندلتون. وفي الثالثة بعد ظهر ٩ مايو (أيار) أُرسل مساعدان طبيان الى المكان.

كانت النجدة في طريقها الى خوان فرنسيسكو كاماتشو بعد ٩٢ ساعة على اصابته.

"أنا جائع." فتحت الابواب الفولاذية في غرفة العناية المركزة في مستشفى سكريبس التذكاري أحد أفضل مستشفيات كاليفورنيا تجهيزاً لمعالجة الصدمات. وأدخل جسد خوان المحطم على محفة. كان خسر معظم دمه، وقد هبط ضغط دمه الى درجة خطرة وارتفعت

حرارته وأصيب بالتهابات شكلت خطراً على حياته. غرزت الممرضات حقناً وريدية في ذراعه لمدّه بالدم والسوائل المغذية، ونزعت عنه سترته وسرواله الجينز.

كان في أعلى فخذه جرح بالغ طوله ٢٠ سنتيمتراً كشف عظام حوضه المهشمة. وكان الدم لا يزال ينز من الجرح المغطى بالتراب. فحصٌ جراح الصدمات الدكتور ادغار غامبوا فريق الطوارىء العامل بامرته: "يجب أن نعمل بسرعة." وأدهشه أن الشاب المصاب لم يكن حياً فقط، وانما يقظاً ومتعاوناً وودوداً أيضاً.

سأله باسبانية ركيكة: "كيف تشعر؟ هل تتألم كثيرا؟"

"أبداً،" رد الشاب برصانة منكراً عذابه البادي للعيان، "أنا جائع فقط."

قال غامبوا لاختصاصي التجبير الدكتور كريغ سونسون: "ان ضغط دمه في انخفاض، يجب أن نتحرك بسرعة والا فقدناه." وانتظر الطبيبان بضع دقائق متوترة ريثما يعود الضغط الى طبيعته فيما الدم المنقول يدخل عبر الاوردة. وأخيراً قال غامبوا بارتياح: "ان وضعه يتجه الى الاستقرار." ونقل خوان بسرعة الى غرفة العمليات.

بعد لحظات بدأ الفريق الجراحي استكشاف اصابات خوان. وتبين أنه عانى، اضافة الى وركه المهشم، كسوراً في ساعده الايسر وكتفه اليسرى ورقبته. وكانت صدمة السيارة أحدثت شقاً واسعاً في حوضه، فغزت أنواع من الجراثيم مجرى دمه.

أمر الدكتور غامبوا باعطاء خوان ثلاثة أنواع قوية من المضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) معلقاً: "هذا ليس حادثاً عادياً. سنفعل ما في وسعنا، ونصلي."

قوَّم الجراحون حوض خوان في جراحة استمرت أربع ساعات، لكنهم تركوا الاصابات الاخرى الى وقت لاحق لاضطرارهم الى التركيز على الالتهابات. فاذا صمد خوان أربعاً وعشرين ساعة، أنبأت نتائج الزرع الاطباء بأنواع الجراثيم التي يواجهون. وفي غرفة العناية المركزة كانت الوظائف الحيوية في جسم خوان تفحص كل ربع ساعة.

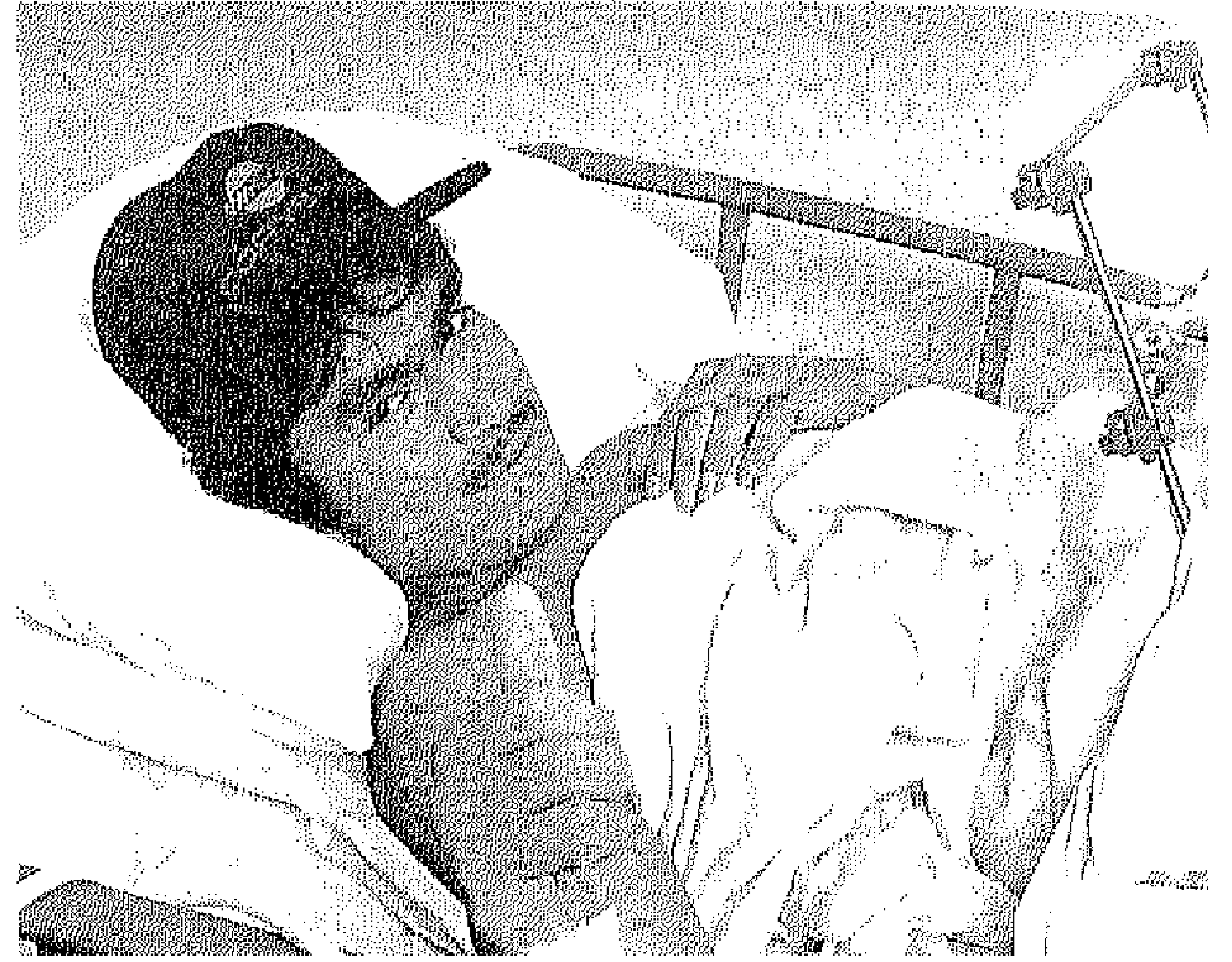
طعام للطفيليات. صمد خوان طوال الليل، فقال له غامبوا صباح اليوم التالي مبدياً ارتياحه: "انك شاب صلب العود. هل تذكر ما حدث؟"

أجاب بضعف: "قليلا، كنت أسير على الطريق، وكانت الساعة تقارب الثامنة عندما صدمتني سيارة..."

فقاطعه غامبوا: "هذا فظيع!" مفترضاً أن خوان عنى الثامنة من صباح الاربعاء.

فتابع خوان: "الليلة الاولى كانت رهيبة."

سأله الطبيب مذهولا: "الليلة الاولى؟" ثم تذكر استفحال التهاباته فسأله: "في أي يوم بالضبط صدمتك السيارة؟"



خوان كاماتشو المتفائل في سريره في مستشفى سكريبس التذكاري.

فرد خوان: "السبت."

صعق غامبوا اذ أدرك أن الشاب أمضى أربعة أيام كاملة ملقى في مكان الحادث.

مساء الخميس درس الطبيبان غامبوا وسونسون تقرير نتائج الزرع. كان خوان مصاباً بأربع جراثيم مختلفة، فلفت غامبوا زميله الى ضرورة الحذر خلال اليومين التاليين تلافيا لحصول مضاعفات رئوية قد تؤدي، مصحوبة بصدمة، الى وفاة الشاب.

أدهش خوان الجميع في يومه الثاني في غرفة العناية. فقد كان لطيفاً مرحاً على رغم وضعه الحرج. وقالت رئيسة الممرضات للطبيب مندهشة: "لا يصدق المرء أنه مريض، انه لا يشتكي أبداً."

فوافقها غامبوا: "انه يبدو في حال حسنة، كأنه يتحدى احتمالات الخطر. لكن هذا يقلقني."

بعد قليل دخل اختصاصي بالامراض الجرثومية حاملا تقريراً عن حال خوان في الساعات الثماني والاربعين الماضية، فقال غامبوا باهتمام: "انه معرَّض للاصابة بانهيار عضوي مضاعف. وهو في الواقع طعام للطفيليات المجهرية."

ولكن بدا أن المضادات الحيوية أهمدت الجراثيم. وفي نهاية اليوم الثالث باتت الالتهابات تحت سيطرة الاطباء. وبعد أربعة أيام نقل خوان من غرفة العناية المركزة وعالج الاطباء اصاباته الاخرى في جراحات متتالية. وقد أخفى خوان ألمه عاجزاً عن الحركة لاسابيع، لكن عذاباً داخلياً كان يتأكله: "من سيخبر أمي؟ لا أريدها أن تقلق. كيف يمكنني الاتصال بعمي؟ لا أذكر عنوانه الجديد."

السنيورة كاماتشو. بلغت أخبار معاناة خوان وسائل الاعلام المحلية. وفي ١٤ مايو (أيار) شاهد روساريو كاماتشو في نشرة الاخبار التلفزيونية شاباً يشبه ابن أخيه راقداً في سرير في مستشفى. ففكر: "الحمد لله، خوان بأمان في سان لويس ري." وفي اليوم التالي عرض عليه أخوه صورة للشاب نفسه في احدى الصحف قائلا: "انه خوان يا روساريو!"

فهرع روساريو الى المستشفى.

أدى الاهتمام الاعلامي بانتصار خوان على خطر الموت الى ذيوع قصته في أنحاء الولايات المتحدة. فأرسل صانعو خير مبالغ مالية لتغطية نفقات المستشفى، ولمساعدته في مستقبله

المهتز كمهاجر لا يحمل أوراقا ثبوتية، ولاحضار والدته الى كاليفورنيا.

بكت السنيورة كاماتشو عندما دخلت غرفة ولدها في المستشفى، حزنا لمعاناته وفخراً بشجاعته. وشاهدت عشرات البطاقات والرسائل معلقة على الحائط فوق رأسه، وبينها واحدة من الرئيس الامريكي السابق رونالد ريغان.

خرج خوان من المستشفى في ٣٠ يوليو (تموز) الى بيت عمه روساريو جالسا في كرسي متحرك. وأمل الاطباء أن يستطيع السير ثانية يوما ما. قال له غامبوا: "لقد كان شفاؤك عجائبيا. انك تتحلى بجَلَد وقدرة على التحمل نادراً ما شهدتهما خلال السنوات التي أمضيتها جرّاح صدمات."

عاد خوان الى المستشفى في منتصف أغسطس (آب) لاجراء كشف. وهو دخل ماشياً، لا عكازات، ولا ألم، وبعرجة تكاد لا تلاحظ. فهتف غامبوا: "لا بد أن الله راض عنك!"

فردّ خوان: "أريد ان أشكرك على كل ما فعلته لي." وهو يشكر الله طوال الوقت، كما يحتفظ في قلبه بمكان خاص لذلك العابر الطيب الذي طلب له المساعدة بعدما مر به ألوف آخرون لم يتوقفوا.

ت. هـ. كالهين ■



القاضي والمحامي

كنتُ لا أزال مبتدئاً في سلك المحاماة حين جلستُ ذات مرة في قاعة المحكمة اراقب محامياً شهيراً يستجوب شاهداً. وقد اخفق المحامي بعد عدة محاولات في الحصول على معلومة معيَّنة من الشاهد.

اخيراً التفت القاضي الى الشاهد وطرح عليه سؤالا واحداً، فجاءه الرد المطلوب تماماً.

قال المحامي: "شكراً يا سيدي القاضي. ولكن كيف تمكنت من بلوغ صلب الموضوع في سؤال واحد في حين أخفقت انا في ثلاثة أسئلة؟"

فأجابه القاضي: "هذا أمر سهل، فانا لا اقبض اجري في الساعة."

ك.ر.

قليل الكلام

دخل رجل محلاً للزهور عُلقت عليه لافتة جاء فيها: "قلْ بالزهور ما تريد." وطلب من الموظفة أن تلفّ له وردة.

فسالته: "وردة واحدة فقط؟"

فأجاب: "نعم، فانا رجل قليل الكلام."

د.ك.

دائرة المعارف

ابدع العرب في تسمية الاشياء باسمائها. هنا بعض ما عرّفوه في السماء والنجوم والازمان والرياح.

"السماء": كلُّ ما علاك فأظلّك، ومنه قيل لسقف البيت: "سماء" وللسحاب: "سماء".

و"الفَلَك": مَدَارُ النجوم الذي يضمها، قال الله عز وجل (وَكُلٌّ في فَلَك يَسْبَحُون) سَمَّاه فَلَكاً لاستدارته، ومنه قيل "فَلْكَةُ الْمِغْزَل" وقيل "فَلَكَ ثَدْيُ المرأة."

وللفَلَكِ قُطْبَانِ: قطبٌ في الشمال، وقطبٌ في الجنوب، متقابلان.

و"مجرة النجوم" منطقة في السماء قوامها نجوم كثيرة لا يميزها البصر فيراها كبقعة بيضاء.

و"بُرُوج السماء" واحدهما بُرْج، وأصل البروج الحصون والقصور، وأسماؤها: الْحمَل، والثَّوْر، والجَوْزاء، والسَّرَطان، والأسد، والسُّنْبُلة، والميزان، والعَقْرب، والقَوْس، والْجَدْي، والدَّلْو، والحُوت.

و"منازل القمر" ثمانية وعشرون منزلا، ينزل القمر كلَّ ليلة بمنزل منها، قال تعالى (وَالْقَمَرَ قَدَّرْنَاهُ مَنَازِلَ).

و"الأزمنة" أربعةٌ أزْمِنَة: الرَّبيعُ، وهو عند الناس الخَريف، سمته العرب ربيعا لأن أول المطر يكون فيه، وسَمَّاه الناس خريفا، لأن الثمار تُخْتَرَف فيه، ودخوله عند حلول الشمس برأس الميزان، ونجومه من هذه المنازل: الغَفْر، والزُّباني، والإكليل، والقَلْب، والشَّوْلة، والنَّعَائم، والبَلْدة. ثم "الشتاء" ودخوله عند حلول الشمس برأس الْجَدْي، ونجومه: سَعْد الذَّابح، وسَعْدُ بُلَع، وسَعْدُ السعود، وسَعْد الأخْبِيَة، وفَرْغ الدّلو المقدَّم، وفَرْغ الدّلو المؤخّر، والرشاء. ثم "الصيف" ودخوله عند حلول الشمس برأس الْحَمَل – وهو عند الناس الربيع – ونجومه: السرَطان، والبُطَين، والثُّرَيَّا، والدَّبَرَان، والهَقْعة، والهَنْعة، والذِّراع. ثم "القَيظ" وهو عند الناس الصيف، ودخوله عند حلول الشمس برأس السَّرَطان، ونجومه: النَّثْرة، والطَّرْف، والْجَبْهة، والزُّبْرَة، والصَّرْفة، والعَوَّاء، والسِّماك الأعزل.

و"سِرَارُ الشهر" و"سَرَرُه" آخر ليلة منه، لاستسرار القمر فيه، وربما استسرّ ليلة، وربما استسر ليلتين.

و"الهلال" أول ليلةٍ والثانية والثالثة، ثم هو قمر بعد ذلك إلى آخر الشهر.

و"ليلة السَّوَاء" ليلة ثلاثَ عشَرَة، ثم "ليلة البدر" لأرْبَعَ عشَرَةَ، وسمي بدراً لمبادرته الشمسَ بالطلوع كأنه يُعْجلها المغيب ويقال: سمي بَدراً لتمامه وامتلائه، وكل شيء تَمّ فهو بَدْر، ومنه قيل لعشرة آلاف درهم "بَدْرة" لأنها تمام العدد ومنتهاه، ومنه قيل "عَيْنٌ بَدْرَةٌ" أي: عظيمة.

وسمي النَّجْم "نجما" بالطلوع، يقال: "نَجَم السِّنُّ" إذا طلع، ونجمَ النجمُ. وسمي "طَارِقا" لأنه يطلع ليلا، وكلُّ مَنْ أتاك ليلاً فقد طَرَقَك.

وسمي القَمَر "قمَراً" لبياضه، والأقْمَرُ: الأبيض، و"ليلة قَمْرَاء" أي: مُضيئة.

ويقال للشمس "ذُكَاء" لأنها تَذْكو كما تَذْكو النار، والصبح "ابْنُ ذُكَاء" لأنه من ضوئها. و"قَرْنُ الشمس" أعْلاَها، أو أول ما يَبْدُو منها في الطلوع. و"حَوَاجبها" نواحيها. و"إيَاة الشمس" ضوءُها.

و"الدارة" حول القمر يقال لها "الهالة".

والرياح أربع: "الشَّمَال" وهي تأتي من ناحية الشام، وذلك عن يمينك إذا استقبلت قبلة العراق، وهي إذا كانت في الصيف حارّةً "بارحٌ" وجمعها بَوَارح، و"الْجَنُوب" تقابلها، و"الصَّبَا" تأتي من مطلع الشمس، وهي "القَبُول" و"الدَّبُور" تقابلها. وكل ريح جاءت بين مَهَبَّيْ ريحين فهي "نَكْبَاء" سميت بذلك لأنها نَكَبَتْ، أي: عدلت، عن مَهابِّ هذه الأربع.

و"الْجَدْي" الذي تعرف به القبلة هو جَدْي بنات نَعْش الصغرى، و"بنات نعش الصغرى" بقرب "الكبرى" مثل تأليفها: أربع منها نعش، وثلاث بنات، فمن الأربع "الفَرْقَدَان" وهما المتقدِّمان، ومن البنات "الْجَدْيُ" وهو آخرها، و"السُّهى" كوكب خَفِيٌّ في بنات نعش الكبرى، والناس يمتحنون به أبصارهم، وفيه جَرَى المثل "أُرِيهَا السُّهَى وَتُرِيني القَمَرَ."

وَ"سُهَيل" كوكبٌ أحمر منفرد عن الكواكب، ولقربه من الأفق تراه أبداً كأنه يضطرب.

و"السّعُود" عشرة: أربعة منها ينزل بها القمر، والستة البواقي: سَعْد نَاشِرَة، وسعد الملِك، وسعد البِهَام، وسعد الْهُمَام، وسعد البَارِع، وسعد مَطَر، وكل سعد منها كوكبان، بين كل كوكبين في رأي العين قَدْرُ ذراع، وهي متناسقة.

فهذه الكواكب، ومنازل القمر: مَشَاهِير الكواكب التي تذكرها العرب في أشعارها.

وأما "الخُنَّس" التي ذكرها اللّه تعالى فيقال: هي "زُحَلُ، وَالْمُشْتَرِي، وَالمَرِّيخ، وَالزُّهَرَة، وَعُطَارِد، وإنما سماها خُنَّسا لأنها تسير في البُرُوج والمنازل كسير الشمس والقمر ثم تَخْنِسُ، أي: ترجع، بَيْنَا يُرى أحدها في آخر البُروج كَرَّ راجعا إلى أوله، وسماها "كُنَّسا" لأنها تَكْنِسُ، أي: تستتر، كما تكنس الظباء.

الأوْقات: يقال: هَزِيعٌ من الليل، وهُدْءٌ من الليل، وذلك من أوله إلى ثلثه. وجَوْزُ الليل: وسَطه، وجَهمَةُ الليل: أول مآخيره، والبُلْجَة: آخرهُ، وهي مع السَّحَر، والسُّدْفَة مع الفجر، والسُّحْرَة: السَحَر الأعلى، والتَّنْوير: عند الصلاة، والخيط الأبيض: بياض النهار، والخيط الأسود: سَوَاد الليل، والضحى: من حين تطلع الشمس إلى ارتفاع النهار، وبعد ذلك الضَحَاءُ إلى وقت الزوال، والهَاجِرَة: من الزوال إلى قرب العصر، وما بعد ذلك فهو الأصيل، والقَصْرُ والعَصْرُ: إلى تطفيل الشمس، ثم الطَّفَلُ والجُنُوح: إذا جَنَحَتِ الشمس للمغيب، وهما شَفَقَان: الأحمر، والأبيض، فالأحمر: من لدن غروب الشمس إلى وقت صلاة العشاء، ثم يغيب ويبقى الأبيض إلى نصف الليل.

و"الحِقْب" السِّنُون، واحدها حِقْبَةٌ، و"الْحُقْبُ" الدهر، وجمعه أحْقَاب و"الْقَرْن" يقال: هو ثمانون سنة، ويقال: ثلاثون.

ويوم الجمعة: يوم العَرُوبَة.

و"أيَّام العَجُوز" عند العرب خمسة: صِنٌّ، وَصِنَّبْرٌ، وَأُخَيُّهُمَا وَبْرٌ، وَمُطْفِىءُ الجَمْر، وَمُكْفِىءُ الظُّعْن، هذه الرواية الصحيحة عندهم. قال ابن كناسة: وهي في نَوْءِ الصَّرْفَة، وسميت الصَّرْفَة لانصراف البرد وإقبال الحر.

ويوم "النَّحْر" يوم الأضحى، ويوم "القَرِّ" بعدهُ، لأن الناس يَسْتَقِرُّونَ فيه بمنًى، ويوم "النَّفْر" اليوم الذي بعده، لأن الناس يَنْفِرُونَ فيه مُتَعَجِّلِينَ، والأيام "المَعْلُومَات" عَشْرُ ذي الحجة، والأيام "المَعْدُودَات" أيَّامُ التَّشْرِيق، سميت بذلك لأن لحوم الأضاحي تُشَرَّق فيها أي تقدَّد.

المَطَر: "الْوَسْمِيُّ" مطر الربيع الأول عند إقبال الشتاء، ثم يليه "الرَّبِيعُ" ثم يليه "الصيف" ثم "الْحَمِيمُ" الذي يأتي في شِدَّةِ الحَرِّ.

وأضْعَفُ المطر: "الطَّلُّ" وَأَشَدُّهُ: "الوَابِلُ" ومنهُ السَّيْلُ، قال الشاعر:

هُوَ الجَوَادُ ابْنُ الجَوَادِ ابْنِ سَبَلْ
إنْ دَيَّمُوا جَادَ، وَإنْ جَادُوا وَبَلْ

يريد أنه يزيد عليهم في كل حال.

عجل في الدار

تجلت في هذا العجل العجيب
أروع آيات الودّ والدفء والحنان

هتف زوجي بيل: "يا إلهي! لماذا تختار هذه الأبقار طقس الصقيع لتضع عجولها؟" وبان القلق جلياً في صوته. ثم ارتدى معطفه، وهرعتُ وابننا سكوت معه الى الحظيرة. كان الليل انتصف والحرارة هبطت في مزرعتنا القائمة وسط صحراء أريزونا الى ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر.

كانت بقرتنا الحلوب فالنتين من نوع "هولشتين" الضخم، وكان مرّ شهر على ميعاد وضعها فبلغ وزنها ١٣٠٠ كيلوغرام. لذا ساورنا القلق. ففالنتين، خلافاً لماشية "هيرفورد" التي تضع مواليدها في البرية، تحتاج الى حظيرة دافئة تضع فيها، لأنها مميّزة، تربّى كي تدرّ حليباً يكفي لارضاع عجلها وأربعة عجول أخرى من تلك التي نفقت أمّاتها عند الولادة او التي لا تدرّ من الحليب ما فيه الكفاية.

وقفنا لثلاث ساعات نرقب البقرة وهي تعاني آلام المخاض وتنبش القشّ بحوافرها. أخيراً، ارتمت أرضاً وما لبثت، بمساعدة بسيطة منا، أن وضعت عجلة تزن ٦٥ كيلوغراماً أي ما يعادل ضعفي الوزن الطبيعي، ذات لون سكّري ضارب الى السمرة. وما إن انتهت معاناة فالنتين حتى أسرعنا عائدين الى فرشنا الدافئة ننشد النوم ما تبقّى لنا من الليل.

قبل بزوغ الفجر قصدتُ الحظيرة للتأكّد من قدرة العجلة على النهوض والرضاعة، فتناهى إليّ صوت رضعها عالياً من المربط في الزاوية. ثم أطلقت فالنتين خواراً ترحيباً بقدومي، فتمتمتُ: "يا لك من أنثى طيبة!" واقتربت لأحكّ أذنيها، فاصطدمت قدمي بشيء مطمور تحت القش. ثم شقّ حجاب الليل خوار حادّ.

حبست أنفاسي وتراجعت كي يدخل الحظيرة بعض نور، لكنني لم أتوقع رؤية ما شاهدته أمامي: عجلاً قبيحاً أسود توأماً للعجلة الجميلة، لكنه مشوّه.

راح يضرب بقوائمه محاولاً النهوض، فراعني منه رأسه الضخم والحدبة الكبيرة الناتئة من ظهره وقوائمه القصيرة الملتوية. وكانت حوافره معوجَّةً الى الداخل.

غمرتني الشفقة فركعت ولمسته. فأطلق العجل الصغير صيحة مؤثّرة وشرع يمصّ أصابعي بحثاً عن حليب. أحطته بذراعي وقلبته كي أتمكّن من مشاهدة وجهه. أحسست كأن قلبي توقّف عن النبض، فالعجل البائس مولود بعين واحدة في جبينه!

لست أدري لماذا لم نقضِ عليه. فتوأمه تخشاه، وحين يحاول الرضاعة ترفسه أمه وتُعمل قرنيها في جنبيه وتدميه حتى يسقط أرضاً. لكنه كان ينهض كل مرة مهشّماً نازفاً ويعيد محاولة الرضاعة. كان يكافح مستميتاً للبقاء.

حفزه الجوع على اعتماد الحيلة والدهاء. فصمّم على الرضاعة مهما كلفه الأمر. كان يراقب أمه من بعيد فينتظر حتى تضطجع وتغفو، وعندئذ يتقدّم نهماً فيرضع من ضرعها متشبثاً به كأنه بحّار مشرف على الغرق.

العجل والصوص. في بادىء الامر رأى أولادي الكبار في العجل المشوَّه ظاهرة منفّرة مخيفة. لكنّ مشاعرهم تغيّرت على أثر مشاهدته وهو يكافح للبقاء حياً. وقال سكوت لوالده: "كم هو ودود وأليف يا أبي! إنه يعدو الى البوابة متمايلاً حين نأتيه بالطعام، ولا يفارقنا، بل يمضي في معاكستنا ولا ينفكّ يفعل حتى نحكّ له رأسه."

ذات يوم، عادت جنيفر من المدرسة لاهثة والإثارة بادية على محيّاها: "أمي! كنا نقرأ في صف اللغة الانكليزية أوذيسة هوميروس وفيها قصّة جبار بعين واحدة يدعى سيكلوبس. ألا ترين أن هذا الاسم يناسب عجلنا تماما؟"

وهكذا تمّت تسميته سيكلـوبس، وأصبح العجل العجيب مدلّلاً آخر في المزرعة. كان شغوفاً بحض الاولاد الصغار على اللعب معه. فكانوا يلفّون عينه بغطاء ثم يركضون ويختبئون. فيشرع سيكلوبس في البحث عنهم، فيقع على الارض وينهض متعثراً مراراً وتكراراً الى أن يجدهم.

أكانت تلك قساوة من الأولاد؟ لا أظن ذلك، فقد كان سيكلوبس يكافأ دائما باحتضانه وبقطعة من السكّر أو ببعض الطعام الشهيّ. وعرفانا بالجميل كان يلحس أيـديهم الصغيرة وخـدودهم المورّدة، فيهتف أحدهم: "انظري يا أمي، سيكلوبس يحبني!"

مع مرور الوقت لفت انتباهنا أنه أصبح محبوباً من بعض الحيوانات. ففي الشتاء كنا نجد هرّة متكوّرة حول حدبته. وفي الصيف كانت الكلاب والصيصان تستظلّ فيئه.

أما أفضل أصدقائه فكان الصوص أومليت ابن الأسبوع الواحد الذي فقس في محضن عندنا. وجد الصوص الصغير سيكلوبس نائماً، فاقترب منه وشرع ينقد

قطرات العرق المنسابة على أنفه الأسود الملتمع.

أحسّ سيكلوبس وخزاً خفيفاً فشخر عالياً ونفخ فأطار الصوص بعيداً. لكنّ ذلك لم يُثنِ أومليت الذي عاد الى التحرّش بالعجل. وأخيراً قفز الى وجه سيكلوبس وتسلّق حتى استقرّ بين قرنيه العجيبين.

ذلك أن قرنَيْ سيكلوبس، بدلاً من أن ينموا صعوداً منفتحين الى الخارج، كانا معوجّين الى الداخل وقد تشابكا مشكّلين ربوة وجد فيها الذباب مرتعاً خصباً وآمناً.

وما لبث أومليت أن اكتشف الوليمة الفاخرة بين ذينك القرنين. وفي نهاية الصيف أصبح ديكاً كامل النمو، ومع ذلك ظل يشاهد جاثماً طوال ساعات على رأس سيكلوبس ينقد الحشرات المعششة فيه. ووجد العجل في أومليت الرفيق الذي جلب له الراحة والصديق الذي كان في حاجة يائسة اليه.

وبقيت مأساة سيكلوبس مع بني جنسه. فخلال السنتين الأوليين من حياته لم يحتمل وجوده ثور ولا بقرة ولا عجل في المزرعة.

ثم حلّت ليلة الميلاد، وكان الاولاد انتهوا من تزيين شجرة العيد. فسمعتُ إحدى البنات تقول: "لكم وددتُ لو لم تكن الأبقار خسيسة مجافية لسيكلوبس."

وساد الصمت برهة ثم خطرت لسكوت فكرة ظريفة فهتف: "دعونا نزيّنه!" وما هي إلا دقائق حتى انطلق سكوت وفي يده غصن شجرة ومعه أضواء فائضة، وتبعته شقيقاته. وبعد لحظات تناهى الى مسمعي صراخ وضحك ابتهاج رنّان آتٍ من المرعى الخلفي. فأزحت الستائر، ويا لعجب ما رأيت!

كان رأس سيكلوبس مكللاً بأضواء العيد متلألئاً كتاج مرصّع بالجواهر. وكانت تغذّي الاضواء بطارية ثبّتها سكوت بين قرني العجل. وبدافع الفضول الذي تتّصف به البقر تقدمت كل منها لالقاء نظرة على العجل المرذول من بني جنسه. وصاحت بيكي: "إنها تحاوطه! صار لديه أصدقاء!"

وقال جيمس الصغير ابن السنوات الخمس: "إنه يبتسم لأنها تحبّه."

كشاف البقر. بلغ سيكلوبس السن الثالثة. وكنا نتحاشى الحديث عن عدم جدواه في المزرعة. ذلك لأن زوجي بيل كان يربّي عجول "هيرفورد" المؤصّلة، فلماذا يهدر وقته وماله على هذا المسخ الذي يفتقر حتى الى القدرة على الاستيلاد؟ لقد أصبح سيكلوبس حيواناً مدلّلاً باهظ التكاليف، إذ بلغ استهلاكه من العلف طناً من التبن شهرياً وزاد وزنه الى ٧٧٠ كيلوغراماً. فأي نفع يُرتجى منه؟

أقبل الربيع وحلّ موسم الاستيلاد، فأطلقنا العجول في مراع خاصة مع بقرات مؤصّلة من سلالات محددة، فيما أبقى بيل عشرين عجلة قرب المنزل لاخصابها اصطناعيا.

ان معرفة موعد النزاء (ذروة الحرارة

الجنسية في الحيوان) لتسهيل الاستيلاد الاضطناعي هي أكثر المراحل إحباطا واهداراً للوقت. كانت تمرّ ساعات ونحن نراقب علامات في البقرة تنبىء باستعدادها لتقبّل التلقيح.

حُبس سيكلوبس في الزريبة خشية أن تعتبره الثيران خطراً يتهددها أو أن تهاجمه البقرات اذا تجرّأ على الاقتراب من عجولها. فكاد يجنّ في عزلته، وأخذ يخور باستمرار حتى انخفض صوته الى شبه همس. وفجأة انقطع عن الطعام.

عندئذٍ قلت لبيل: "إنه سيموت."

فرد: "دعينا نترك الطبيعة تأخذ مجراها."

إلّا أن غريزة البقاء لدى سيكلوبس تغلّبت، فعاد الى تناول علفه.

مرّت أشهر من دون أن نلحظ دلائل النزاء الا في اثنتين من العجال العشرين. وذات يوم لاحظنا أن سيكلوبس توقف عن الخطو في الزريبة وراح يحدق بشوق الى عجلة صغيرة. ثم شرعا يتناديان ويتجاوبان لساعات طوال. فعلّق بيل: "يأخذني العجب، فهل يعرف ذلك اليائس ما خفي عنا؟"

قال سكوت: "دعونا نفكّ قيده، فيسرح ويمرح ونعرف حقيقة الأمر. وما المانع، فهو عقيم، فأي ضرر في إطلاقه؟"

فتحنا بوّابة الزريبة، فشخر سيكلوبس عالياً واندفع في المرج يعدو متمايلاً كالمسعور، ولم يكفّ عن البحث حتى وجد ضالته. جأر سيكلوبس فتجمّدت العجلة. فاقترب منها بحذر وأحنى رأسه ليداعب عنقها بفمه المخملي. وبعد تجاذب قليل سمحت له بأن يلقي رأسه على كتفها. فعرفنا حينئذٍ أنها جاهزة للاخصاب. ولطالما تساءلتُ لماذا لم ندرك قبلاً أن في قلب هذا المخلوق الوديع مشاعر ونزعات تفوق إدراكنا البشري.

خلال السنتين التاليتين كان سيكلوبس كشّافنا، يبين لنا وقت النزاء لدى كل عجلة. في السنة الأولى بلغ معدل نجاحنا ٩٨ في المئة. وفي السنة الثانية ١٠٠ في المئة. ولم يعد ثورنا المدلل وحيداً حزيناً.

كان سيكلوبس في منتصف سنته الخامسة عندما نفق. فقد توقف قلبه، ووجدناه ممّدداً تحت شجرته المفضّلة التي كان يستظلّها. وشعرت بغصّة حين ركعت وأجلْتُ أصابعي على رقبته.

تطلّعت الى الاولاد، فرأيتهم يبكون هم أيضاً. فأدركت فجأة أن عجلنا، ذلك العجيب الرائع الذي كان ينشد الحنان والمودّة، أيقظ داخلنا جميعاً عطفاً فائقاً وتفهّماً أعمق للتعساء من البشر الذين لم يحظوا بالنعم التي أُسبغت علينا.

كان سيكلوبس مختلفاً في مظهره الخارجي فحسب، أما داخله فقد اعتلجت فيه المشاعر ذاتها وحب الحياة ذاته الذي هو في صميم جميع الكائنات.

بني بورتر ■

الرؤيا هي فن رؤية الاشياء خَفِيَّة. جوناثان سويفت، كاتب ايرلندي

ماذا تفعل عندما يضيق سروالك؟

العُطَل والاعياد أيام راحة وبهجة وأكل شهي. لكن شبحاً كريهاً يخيم على نهاياتها: السمنة. فماذا نفعل لنطرح عنا زيادات الوزن الموسمية؟

مايكل كرازنوف (٣٩ عاما) موظف في احدى شركات التأمين يزداد وزنه نحو ثلاثة كيلوغرامات أيام العطلة السنوية خلال فترة لا تزيد على شهر. وهو يقول إن سمنته لا تشكّل خطراً، ولكن "أشعر بأن سراويلي ضاقت وأن الوقت حان لمعالجة ذلك الوزن الزائد."

ولأسابيع عدة يعتمد كرازنوف نظام حمية ذاتياً، فيتحاشى المواد الدهنية في طعامه ويكثّف تمارينه. في البيت يتناول أنواعاً من الحساء قليلة الدهن، كحساء الخضر والبازيلاء والفطر، ويقطع حطباً للوقود، ويستعيض عن الجيلاتي باللبن المحلى. وما إن ينتصف الشهر الثاني حتى يكون وزنه قد هبط فيقول: "عادت ملابسي منطبقة على قياسي."

• إن ابداعكم في التخلص من السمنة التي تكسبونها خلال أيام العطلة والاعياد يجلو عنكم همّاً يجهد الناس للانعتاق منه. وهنا بعض الاقتراحات المدهشة التي تساعدكم على استعادة رشاقتكم:

١. كونوا خُفراء في مطبخكم. تخلصوا مما تحويه خزائن مطبخكم من بقايا أطعمة غنية بالدهن، كاللحوم المعلبة والأجبان المصنوعة من الحليب الكامل الدسم. ولابأس اذا تناولتم لحم البقر الخالي من الدهن. تقول ميلودي توكر الخبيرة في إنقاص الوزن: "ثمة قلّة من متذوّقي لحم البقر المفروم تعرف أن غسل اللحم بالماء الساخن يزيل منه مزيداً من الدهن."

لا يمكنكم إنقاص وزنكم بتناول أطعمة معلّبة هي في الغالب غنية بالدهن. فاقرأوا الملصقات على العلب. وللتأكد من مقدار ما تحتويه العلب من دهن، توصي ندرا ولسن المتخصصة بعلم تنظيم التغذية باتّباع الطريقة الآتية لقياس مقدار الدهن في كل مادة: "اضربوا في عشرة عدد غرامات الدهن المعلنة للوجبة الواحدة في الملصق، وقارنوا ذلك "المجموع الدهني" بعدد السعرات الحرارية (الكالوري) المعلنة لكل وجبة (على الملصق أيضا). فاذا زاد المجموع الدهني على ثلث عدد السعرات، تكون المادة محتوية على نسبة مرتفعة جداً من الدهن."

ومتى تخلّصتم من الأطعمة الغنية بالدهن، تزوّدوا في منزلكم أطعمة تفتقر الى الدهن. فثمة كثيرون ممن يتبعون نظام حمية قائما على أطعمة قليلة الدهن وعلى حرمان النفس من فطائر اللحم والجبن والمقالي والحلوى، يشكون من أنه "لم يبق لهم شيء لذيذ يأكلونه." لكن الواقع هو أن المتاجر زاخرة بمئات المواد الغذائية اللذيذة القليلة الدهن التي يجدر بهم أن يختبروها. فإلى مؤونتكم من الخضر والفواكه الطازجة وصدور الدجاج الرومي المسلوخة الجلد، اختبروا أطعمة لم تتذوقوها قبلاً.

وأحياناً، يشكو الذين يعتمدون نظاماً غذائياً فقيراً بالدهن من شعور دائم بالجوع. ويقول بريانت ستامفورد عالم الفيزيولوجيا الرياضية: "لا داعي الى ذلك. فالدهن يحتوي على تسع سعرات حرارية في كل غرام، والكربوهيدرات على أربع سعرات فقط، لذا في الامكان تناول ضعفي كمية الكربوهيدرات واستهلاك مقدار أقل من السعرات الحرارية." ويضيف ستامفورد: "لنفترض أنكم تأكلون عادة حبة بطاطا مشوية مع الزبدة والقشدة. فاذا أبدلتم الزبدة والقشدة باللبن الخالي من الدسم، ففي وسعكم أن تتناولوا حبّتين من البطاطا بحيث تستهلكون عدداً أقل من السعرات الحرارية وتشعرون في الوقت ذاته بالاكتفاء."

٢. ضاعفوا نشاطكم. أتبعوا العُطل والاعياد بحملات تنظيف، كغسل النوافذ ومسح الأرضية وترتيب القبو والمرأب وصقل أواني النحاس والفضة. تقول بولا ألن المستشارة في شؤون التغذية: "يدهش زبائني حين يسمعون أن الاعمال المنزلية الخفيفة لها تأثيرها. فالواقع أن العمل نصف ساعة يومياً في

غسل الصحون يدويا وترتيب غرف النوم وتحضير العشاء من أصناف غير جاهزة قد يحرق ٥٠٠ سعرة حرارية في الأسبوع.

واذا كنتم عازفين عن التمرين، فتذكروا النشاطات التي أحببتموها يوماً، مثل البستنة والسباحة وكرة الطاولة، وعودوا الى ممارستها. فأي نشاط جسدي يساعد في ازالة الوزن الزائد."

٣. اطردوا الكحول من حياتكم. في كل غرام من الكحول سبع سعرات حرارية، وهي مسمِّنة مثل الدهن. وأسوأ من ذلك أنه على أثر جرعة أو جرعتين من المشروب تتعثّر قدرتكم على ضبط شهيتكم. وحين تقدّم المقبّلات تتخاذلون أمام اغرائها. ويقول الصحافيان جو وتيري غريدن مؤلّفا مجموعة "صيدلية الشعب": "إذا تناولتم بضع جرعات من المشروب وطبقا كاملاً من المقبلات فانكم تستهلكون عدداً من السعرات يعادل ما تحويه وجبة إضافية كاملة." وتوصي خبيرة التغذية سيسيلا فيليتي بالاستعاضة عن الكحول بكأس من الماء الفوّار مع أنواع من عصير الفاكهة المفضّلة.

٤. تناولوا الوجبات الخفيفة. خلافا لما يعتقده كثيرون من متّبعي الحمية، لا تعتبر الوجبات الخفيفة السريعة أمراً شائنا. وتقول تريش راتو المديرة المساعدة لمركز تحسين الصحة من جامعة كاليفورنيا في بيركلي: "اذا طال امتناعكم عن الأكل اشتدّ نهمكم وسهل اغراؤكم بالتهام أطباق غنية بالدهن."

إذاً احتفظوا في متناولكم بوجبات خفيفة قليلة الدهن مثل الكعك والفاكهة، فهي تشعر المرء بالاكتفاء. وتوصي ميلودي توكر بأن يُكسى الكعك بالمربى، فهو خال من الدهن وحلو المذاق، ويُشعر بالاكتفاء.

أما الفشار (البوب - كورن) فهو أيضا من الوجبات الخفيفة الشائعة القليلة الدهن. غير أن ثمة أنواعاً كثيرة منه تحضّر في الميكروويف (فرن الموجة الصغرى) وتحوي نسبة مرتفعة من الدهن. فالأفضل اذاً تحضير الفشار في وعاء تحميص خال من الزيت. وانثروا عليه فلفلاً حلواً (بابريكا) وقليلاً من جبن البارميسان، أو استخدموا صلصة الصويا أو الفلفل أو مسحوق الزنجبيل.

٥. تمتعوا بالحلوى، ولكن اذا عزفتم عن الحمية، فكلوا الحلوى القليلة الدهن. وقد ذهب الخبراء الى القول إن السكّر مسمِّن، لكنهم يدركون الآن أن الدهن المتلازم معه هو المسبِّب الفعلي للسمنة. ويشرح ولسن ذلك: "إن مشكلة الحلوى ليست في السكّر، وإنما في الدهن الذي تحويه."

فبدلاً من تورتة الفاكهة، تناولوا سلطة الفاكهة. وبدلاً من الجيلاتي، تناولوا اللبن المثلّج الخالي من الدهن.

٦. اخدعوا شهيتكم. ثمة طريقة لخفض استهلاك السعرات الحرارية تقوم على تناول حصص صغيرة. ولكن بذلك تبدو الصحون فارغة فيشعر ممارسو الحمية بعدم الاكتفاء. تقول راتو: "استعملوا صحوناً صغيرة واملأوها، فهذا يشبع العين والنهم ويخفض في الوقت ذاته عدد السعرات الحرارية المستهلكة." واشربوا الماء قبل تناول الوجبات وأثناءه، فذلك يساعد على الشعور بالشبع.

تقول راتو: "ان الحساء المحضّر في البيت قد يبعث على الاكتفاء ويحتوي على سعرات قليلة نسبياً." ولكن احذروا مرق اللحم، فهو في الغالب غني بالدهن. فما الحل اذاً؟ تقترح توكر: "اخزنوا المرق في الثلاجة فيصعد الدهن الى السطح ويتجمّد. وما عليكم عندما تفتحون الوعاء سوى أن تقشدوا الدهن عن وجه المرق المتجمد."

اذا اعتمدتم السلطة طبقاً رئيسياً، فقد تكون عنصراً مهماً في إنقاص الوزن. كوّموا كل ما تشتهونه من الخضر الطازجة، ولكن احذروا الاضافات التي تحتوي على نسبة عالية من الدهن. المايونيز، مثلاً، غني بالدهن وإن احتوى على نسبة متدنية من الكولسترول.

قد تمرّ فترة بعد خفض الدهن في طعامكم وتكثيف تمارينكم، قبل أن يبدأ وزنكم بالهبوط. وتقول توكر: "لا ترتقوا الميزان يومياً لئلا تشعروا بالاحباط اذا اكتشفتم أن وزنكم لم ينقص فتتخلّوا عن برنامجكم."

لذلك تفقّدوا وزنكم مرة في الاسبوع، أو لا تتفقدوه أبداً. وليكن انطباق ملابسكم على أجسامكم مقياس نجاحكم.

أخيراً، لا تخرجوا جائعين من البيت، بل تناولوا قبل خروجكم حبة فاكهة أو فطيرة بالمربى أو كوباً من الحساء. فذلك يحصّنكم من الطعام الجاهز الرديء الذي تقدّمه السوبرماركت أو من المقبّلات المغرية الغنية بالدهن التي تُقدّم في الحفلات أو من الخبز والزبدة في المطاعم.

وتذكروا ان الحمية التي تعتمد التقليل من الدهن والتمرين المنتظم تساعد في ضبط الوزن، وقد تخفّف خطر الاصابة بمرض القلب والسكتة الدماغية (الفالج) والسرطان والسكري. وهذه أربع علل في رأس قائمة الأمراض التي تسبّب الوفاة. فاذا اعتمدتم بعضاً من هذه التوجيهات، مباشرة بعد عطلة الاعياد، فستتخلّصون من السمنة التي اكتسبتموها وتطمئنون بالاً طوال السنة وتسيرون في الطريق القويم الى صحة أفضل.

مايكل كاسلمان ■

يمكنني القيام بعمل واحد في آن، لكنني أستطيع تفادي القيام بأعمال كثيرة في وقت واحد.

ا.ب.

أجوبة "هل تعرف أنك عبقري؟"

١. هو ابنه.

٢. ٢٧. كل رقم هو ثلاثة أضعاف سابقه.

٣. لا يقرأ الكتاب من عنوانه.

٤. ١٠ مكعبات. ارتفاع الكدسة في الزاوية الخلفية ثلاثة مكعبات نرى واحداً منها، والصف الثاني يرتفع مكعبين واحد منهما مختف في كل جهة.

٥. الروزنامة.

٦. ينال مصطفى ١٥ نقطة وفق نظام يعطي ٥ نقاط لكل مقطع لفظي من الاسم: س/ ليـ/ ما/ نُ، /سا/ مي،/ مي، مصـ/ طـ/ فى.

٧. ٢٤.

٨. كهف. البقية من صنع الانسان.

٩. ٢٠.

١٠. ثلاثة صبيان وأربع بنات.

١١. التفاح. كلاهما فاكهة تنمو على شجر، فيما الفجل والبطاطا جذور خُضَر.

١٢. من يسكن بيتاً من زجاج لا يرشق الناس بالحجار.

١٣. (ج). ابحثوا عن الشكل الذي يحوي حلقة بيضاء في جانب ومثلثاً يحوي ثلاث نقط في الجانب الآخر.

١٤. "هاجموا فجر السبت." خذوا الحرف الاول من كل كلمة.

١٥. الاثنين.

١٦. (٦). اقسموا الرقم الاول في كل صف على الرقم الثاني، تحصلوا على الرقم الثالث.

١٧. (أ). يدور الشكل الخارجي كل مرة ربع دورة في اتجاه عقارب الساعة، فيما يتنقل الخط بين يمين ويسار، ويدور الشكل الصغير ربع دورة بعكس اتجاه عقارب الساعة.

١٨. هي أنت.

١٩. ١و٢و٣.

٢٠. (ت). الحروف هي الاولى من اسم كل شهر ميلادي بدءاً بكانون الثاني.

المستوى

تنالون نقطة عن كل اجابة صحيحة. أضيفوا ٥ نقاط اذا أنهيتم الاختبار في أقل من ١٥ دقيقة، و٣ نقاط اذا أنهيتموه في أقل من ٢٠ دقيقة، ونقطتين اذا أنهيتموه في أقل من ٢٥ دقيقة.

٢٠ - ٢٥ نقطة: أنتم شديدو الذكاء ومرشحون مثاليون لعضوية "منسا."

١٥ - ١٩ نقطة: أنتم من بين أذكى الناس حواليكم ومرشحون لعضوية "منسا."

١٠ - ١٤ نقطة: نتيجة محترمة جداً. قد ترغبون في تجربة اختبار "منسا" القياسي بكامله.

دون الـ١٠: لا بد أنكم تمرون في وقت صعب. واعلموا أن كثيرين من الاذكياء والمبدعين أخفقوا في اختبارات كهذه.

كتاب الشهر

هنري الثامن



السفّاح

هنري الثامن السفّاح

ملخّص من كتاب «هنري الثامن»
بقلم جون ادوارد باول



غالباً ما يُصوَّر الملك الذي حكم بريطانيا ثمانية وثلاثين عاماً مثل طاغية أو، في فضلى الحالات، مثل صاحب "اللحية الزرقاء" في الرواية الكلاسيكية. ولا شك في أن هنري الثامن الذي ولد قبل ٥٠٠ سنة ونيف عاش حياة صاخبة وأصدر حكمه الرهيب باعدام اثنتين من زوجاته علناً، الا أن هذا الحاكم الذي أرعب رجال البلاط بنوبات غضبه وعواصف انتقامه كان عاشقاً سهل الانخداع، كما كان حاكماً داهية أقام دولة حديثة وأسس الاسطول الملكي.

تعمق البروفسور جون باول في سيرة هذا الرجل الاسطورة وفي الاحاديث المتناقلة عنه ليجمع هذه الصورة الساحرة والموثّقة للملك هنري الثامن على حقيقته: رجل مغرور عنيد مخادع، لكنه أيضاً راعٍ للعلوم وممثل رئيسي في مسرح السياسة الاوروبية. ملك عظيم كان عهده من أكثر العهود ثورية في تاريخ بريطانيا.

CONDENSED FROM «HENRY VIII,» © JOHN BOWLE 1964, 1973, PUBLISHED BY DAVID & CHARLES.
WITH ADDITIONAL MATERIAL FROM «THE MAKING OF HENRY VIII» BY MARIE LOUISE BRUCE, PUBLISHED BY COLLINS
ILLUSTRATIONS: THYSSEN — BORNEMISZA COLLECTION; REPRODUCED BY GRACIOUS PERMISSION OF HER MAJESTY THE QUEEN; BRITISH TOURIST AUTHORITY LONDON PUBLIC RECORDS OFFICE; BRIDGEMAN ART LIBRARY / KUNSTHISTORISCHES MUSEUMS, VIENNA

عشية يوم التتويج غصت شوارع لندن بأهاليها وبالقادمين من الارياف الذين تجمعوا متشوقين لرؤية ملكهم الجديد ومليكته متوجهين الى وستمنستر.

بدا هنري الثامن شاباً وسيما متألقا في وشاح من المخمل القرمزي مبطّن بفرو القاقم فوق سترة ذهبية تشع بحجار الياقوت والزمرد والالماس واللآلىء. كان يمتطي جواداً قويا زُركش سرجه بالدمقس الذهبي تحت مظلة حملها بارونات "المرافىء الخمسة."[١]

أما الملكة كاثرين فحُملت في محفة على جوادين صغيرين أبيضين وقد ارتدت ثوبا من الحرير الابيض وشعرها الطويل الجميل منسدل على ظهرها من تحت تاجها.

نام الملكان تلك الليلة في قصر وستمنستر، وفي اليوم التالي، ٢٤ يونيو (حزيران) ١٥٠٩، أجريت مراسم التتويج المهيبة في كاتدرائية وستمنستر. ومشى هنري أخيراً تحت ظلة أرجوانية خارجاً من البوابة المقنطرة الى واحد من أكثر العهود ثورية في تاريخ بريطانيا.

كان الملك الجديد الابن الثالث للملك هنري السابع أول ملك من أسرة تيودور وقرينته اللايدي اليزابيت من يورك. ولد في ٢٨ يونيو (حزيران) ١٤٩١ في العزبة الملكية في غرينيتش حيث تعبر السفن نهر التيمز الى البحر ويهب الهواء منعشاً مع رائحة الغار ونداءات طيور النورس.

شب هنري مع شقيقه الاكبر آرثر وشقيقته الكبرى مارغريت والصغرى ماري في جو من الترف والامتيازات والطقوس المعقدة. حُمل وهو لم يتجاوز الثالثة من عمره ليمثل أمام رجال البلاط المجتمعين في قصر وستمنستر حيث يقوم البرلمان اليوم. فوقف الطفل يحدق مذهولا بمظاهر الابهة فيما أعلنه المنادون "دوق يورك." كان اللقب ذا دلالة اذ أكد نسبه اليوركي من جهة والدته. وجرت العادة منذ ذلك الوقت على أن يحمل الابن الثاني لملك بريطانيا هذا اللقب.

كان أولاد هنري السابع يأتون الى وستمنستر في المناسبات الرسمية فقط. فالقصر، وهو المنزل الملكي ومقر البرلمان في آن، كان فوضى من المباني يمر التيمز تحت نوافذها، غير صحي ومهدداً بفيضان النهر. أما القصور الريفية فكانت أسلم للصحة.

أمضى هنري معظم طفولته في بلدة إلثام قرب غرينيتش وتعلّم على فريق متمكن من المدرسين. وهو اهتم بالرياضيات وكان طليقا في الفرنسية واللاتينية وملماً بالاسبانية والايطالية.

زار إراسموس المفكرُ وعالمُ الانسانيات الهولندي بلدة إلثام، وكتب لاحقاً أن الامير

(١) المرافىء الخمسة (Cinque Ports) مجموعة مدن ساحلية في جنوب شرق انكلترا ضمت دوفر وساندويتش وورومني وهاستنغز وهايث، كانت تتمتع بامتيازات خاصة (الغيت في القرن التاسع عشر) في مقابل خدمات دفاعية على الساحل.

هنري كان وهو في الثامنة من عمره بدأ يبرز "بعضا من الملوكية في سلوكه." وتُظهر أقدم صورة رُسمت لهنري طفلا مبكر النضج يقظاً وشديد الملاحظة.

في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٥٠١ ضمن والد هنري تحالفاً مع اسبانيا بزواج ابنه آرثر، الصبي الوسيم الرقيق ابن الخمسة عشر ربيعاً، الاميرة كاثرين الاراغونية ابنة الملك فرديناند والملكة ايزابيلا. كانت كاثرين عالية الثقافة أنيقة رائعة الجمال في الخامسة عشرة من عمرها، ذات عينين رماديتين وشعر بني ضارب الى الذهبي. وقرعت أجراس لندن فيما هنري الصغير يقود عروس شقيقه الى كاتدرائية القديس بولس لاتمام مراسم الزواج.

دخل آرثر وكاثرين تلك الليلة فراش الزوجية علناً وسط احتفالات صاخبة كما كانت عادة ذلك الزمن. وكان لما حدث – أو ما لم يحدث – تلك الليلة في لندن، ولاحقاً في قلعة لودلو حيث أمضى الزوجان شتاءهما، نتائج خطيرة على مستقبل انكلترا.

توفي آرثر بداء السلّ بعد أقل من خمسة أشهر على زواجه. وبدا الحلف بين البلدين الى دمار. لكن فرديناند وايزابيلا، اللذين مارسا لعبة سياسة القوى، لم يرفّ لهما جفن حزناً، بل ركزا على تدبير أمر زواج الامير هنري، ولي العهد البيِّن الجديد، بابنتهما كاثرين.

عقدت خطبة هنري وكاثرين رسمياً، وهو في الحادية عشرة من عمره، بتدبير أقره مرسوم جِلٍ بابوي. وفي ١١ يونيو (حزيران) ١٥٠٩، بعد وقت قصير على وفاة والده بداء السل هو أيضاً، عقد قران هنري ابن السابعة عشرة – وقد أصبح الملك هنري الثامن – على كاثرين في غرينيتش.

بدأ الزوجان على أثر تتويجهما بعد أسبوعين سلسلة صاخبة من الحفلات الصيفية والمباريات والصيد والرقص. وفي الامسيات كان هنري يقتحم مخدع الملكة متنكراً فتظهر هي مقداراً وافياً من الذعر والدهشة ثم... الارتياح.

أمضت كاثرين معظم أوائل حياتها الزوجية وهي تبدي اعجابها بهنري وتكرر على مسامعه كم هو رائع. وكتب أحد المراقبين أن "جلالة الملك لا يهتم الا بالصيد والنساء."

بلغ هنري في السن الثامنة عشرة أوج فتوته فتجاوز طوله ١٨٠ سنتيمتراً وبدا وجهه الابيض المورّد طفولياً فوق عنقه الثخينة. كان مرحاً جداً يهوى الالعاب وينهك الجميع بحيويته. فقد تحدّر من سلالة مغامرين ويلزيين أشداء متعطشين الى القوة. وغنم والده هنري تيودور العرش بالغلبة اذ هزم الملك ريتشارد (ريكاردوس) الثالث في معركة بوزورث فيلد في ليسترشاير ووضع على رأسه تاج الملك المقتول الذي وجده تحت شجيرة زعرور.

وكان هنري الثامن المراهق نهّاز فرص ماكراً يتفهم أحاسيس شعبه. وكان الشعب يحمِّل اثنين من المسؤولين الحكوميين – السر ريتشارد امبسون وادموند ددلي – ملامة الضرائب الباهظة التي فرضها هنري السابع. فأمر الملك الجديد بسجنهما في برج لندن بتهمة "الخيانة المفترضة." وفي أغسطس (آب) ١٥١٠ بينما كان البلاط محتفلا في قلعة وندسور نفذ فيهما حكم الاعدام.

وأصبح نمط الاعتقال المفاجيء والتهم الملفقة والاعدام وسيلة هنري للتضحية ببعض الاغنياء كأكباش محرقة لسياساته ولتصفية من لم يعد وجودهم ملائماً.

قوة أوروبية جديدة

كانت انكلترا التي ورثها هنري الثامن غنية باقتصاد مكتف ذاتيا الى حد بعيد. ولم يكن الانكليز يعتمدون على الاستيراد وقتذاك، في ما عدا الحرير والافاويه ونحوها. وكانت كبرى صناعاتهم صناعة الملابس الصوفية، وحملت قطعان الاغنام الكبيرة وفرة من المواد الخام. كما كانت مجموعات الاجراس في الابراج المهيبة في كوتسوالدس وايست أنغليا رموزاً للثروة التي أتت بها الاثواب الصوفية.

بلغ تعداد قطعان الغنم نحو ثمانية ملايين رأس في مقابل تعداد سكاني دون الثلاثة الملايين. كانت لندن وبريستول ويورك ونورويتش هي المدن الرئيسية الوحيدة، حتى ان زائراً من البندقية أشار مستغربا الى قلة الاشخاص الذين رآهم أثناء انتقاله من دوفر الى أكسفورد عبر لندن.

وملكَ هنري، وأكسبته فتوته وحيويته المتوثبة شعبية في أنحاء المملكة لم تبددها أبداً قسوته في زمن لاحق. وهو أهمل شؤون الحكم منصرفا الى الملذات، فكان البرلمان لا يجتمع الا عندما يدعوه هو، لاقرار ضريبة جديدة عادة. وكان مجلس بلاطه فريقاً من الرجال القادرين يتولى جميع الشؤون العادية. كان هنري، بمعايير الحاضر، مديراً عاماً يحب أن يرى الاوراق الواردة ملخصة والصادرة وقد أعدت نصوصها. وهذه خدمات أداها له عضو في مجلسه هو توماس ولسي ابن السابعة والثلاثين.

كان ولسي ابن جزار من ايبسويتش رأى في الكنيسة الكاثوليكية طريقاً الى السلطة، فكد وثابر ليصبح عميد لنكولن والقس الملحق بالملك. اتقن الصيد وتمتع بالحياة الى أقصى الحدود. كان متملقا حاذقا ففتن الملك الشاب الذي كان يعجب بالذكاء والحيوية والظرف.

عهد هنري الى ولسي في تجهيز جيش له عندما قرر دخول حلبة صراع القوى الاوروبية بمهاجمة فرنسا. وكانت انكلترا في ذلك الوقت قوة من الدرجة الثانية، وكانت سلالة تيودور تعتبر حديثة النعمة مقارنة بجلال سلالتي فالوا وهابسبرغ. لكن فرنسا

كانت في حلف مع الاسكوتلنديين المستعدين دائماً لاستغلال أي نقطة ضعف لدى انكلترا، كما كانت السفن الفرنسية تهدد طرق التجارة البريطانية. فقرر هنري وولسي الهجوم عبر مضائق دوفر في صيف ١٥١٣ وملاقاة الامبراطور الروماني مكسيميليان الذي كان في نزاع مع فرنسا.

قبل الابحار ارتكب هنري أولى جرائمه. فهو كان الى هذا الوقت من دون وارث، اذ ولدت كاثرين طفلتها الاولى ميتة، ثم ولدت صبياً سمّي هنري في احتفالات صاخبة لكنه توفي لاحقاً. فماذا يحدث اذا قتل الملك في المعركة؟ كان هناك مُطالب بالعرش يدعى دوق سافوك، وكان أسيراً في برج لندن، لكن أصوله اليوركية من جهة والدته شقيقة الملكين ادوارد الرابع وريتشارد الثالث قد تمثل تحديا لسلطة كاثرين وترفع علم "الوردة البيضاء" من جديد. فأصدر هنري أمراً باعدام سافوك.

بحلول مايو (أيار) ١٥١٣ وصل ١٤ ألفا من جنود هنري الى كاليه حيث كانت تقيم حامية بريطانية منذ أكثر من ١٥٠ عاماً. ووصل هنري في يونيو (حزيران) مع ١١ ألف رجل بمن فيهم حاشية ضخمة من نافخي الابواق والسيّاس والخدم.

تحرك مكسيميليان وجيشه لملاقاة هنري قرب مخيمه. وكان هذا، وقد نمت لحيته حمراء، يمتطي جواده الكميت الضخم المزين بأجراس ذهبية ويعلو الجميع بقامته المديدة. "كان ملك انكلترا،" كما ذكر أحد المرتزقة الالمان، "رجلاً لائقاً يتحدث الى الناس بود ومعرفة."

استولى هنري بمساعدة مكسيميليان على تيروان التي تبعد حوالى ٤٨ كيلومتراً عن كاليه داخل فرنسا. ثم فرض حصاراً على تورنيه قرب مدينة ليل. وفي ٢٥ سبتمبر (أيلول) دخل الملك والامبراطور البلدة في موكب مشاعل وتسلّما مفاتيحها.

وتتويجاً لذلك أرسلت الملكة كاثرين، التي كانت تُركت في انكلترا وصيةً على العرش مكلّفة الدفاع عن المملكة، أخباراً رائعة: كان جايمس الرابع ملك اسكوتلندا (وزوج مارغريت شقيقة هنري الكبرى) عبر نهر التويد غازياً على رأس ٣٠ ألف رجل. فواجهت كاثرين الازمة بشجاعة ومني الاسكوتلنديون بهزيمة منكرة في فلودين قرب بيرويك على أيدي ٢٠ ألف مقاتل انكليزي بقيادة ايرل اوف صاري.

كتبت كاثرين الى زوجها: "سوف يرى جلالتكم كيف أحفظ وعودي. لذا أرسل اليكم هذا المعطف." وكان المعطف غنيمة خاصة اذ كان للملك الاسكوتلندي المقتول. فعرضه هنري على مكسيميليان مزهواً.

ترك الانكليز حامية في تورنيه وانسحبوا ذلك الخريف عبر بلدتين أصبح اسماهما مألوفين لدى شعبهم في الزمن الآتي: ايبر ودنكرك.

أثبتت انكلترا أنها عدو خطر، فسعى الفرنسيون الى حلف معها، ووافق ملكهم لويس

الثاني عشر، وكان أرمل في الثانية والخمسين من عمره، على الزواج بماري شقيقة هنري ابنة الثامنة عشرة. وبحلول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٥١٤ أصبحت الاميرة الصغيرة، مرغمةً، ملكة على فرنسا. وهكذا خرج هنري منتصراً اذ حققت انكلترا مكانة متقدمة بعدما شدت قبضتها على القارة وأخضعت اسكوتلندا.

ولسي الطاووس

ساعد في تحقيق الانتصارات على الارض الفرنسية هجومٌ بحري انكليزي على شواطىء بريتاني عمل على إلهاء الفرنسيين وتحويل سفنهم عن مضائق دوفر. وأدرك هنري الثامن أن استمرار نجاحه في لعبة سياسة القوى الاوروبية هو رهن مشروع عزيز على قلبه: بناء أسطول بحري قوي.

كانت السفن تثير افتتانه. وهو أبدى اهتماما شخصيا وخبيراً بالاسطول طوال عهده، فشكل هيئة أركان بحرية فاعلة، وأنشأ مجلسا دائما للاسطول، وشجع تطوير المهارات الملاحية وتحسين دقة أجهزة الملاحة وتصاميم السفن. وبنى أحواضا جديدة لاصلاح السفن في وولوتيش وديتفورد (باعتبار بورتماوث أكثر تعرضا لهجمات الفرنسيين). وأقر انشاء نقابة لملاحي مصب نهر التيمز تحولت في العام ١٥١٤ "هيئة ترينيتي هاوس" التي ما زالت الى اليوم مسؤولة عن المنارات في كل بريطانيا.

ورث هنري عن والده سبع سفن حربية رئيسية. وفي العام ١٥١٥ ملك سفينة شراعية ضخمة دعاها "فيرجين ماري" يحركها ١٢٠ مجذافا وتحمل ١٠٠٠ رجل وقد سُلِّحت بـ٢٠٧ مدافع صغيرة. وكان هنري نفسه يقود هذه السفينة مرتديا معطف قبطان وسراويل من القماش الموشى بخيوط ذهبية وسلسلة ثخينة من الذهب تدلّت منها صفارة ضخمة كان ينفخ فيها مصدراً، كما يروى، "صوتاً كأنه نفير بوق."

أما في البر فقد تابع هنري احتفالاته الصاخبة، وانغمس في رياضة المبارزة متجاهلا توسلات كاثرين اليه ليأخذ جانب الحذر. وكان يسقط منافسيه وخيولهم معهم. وخلال احدى المباريات في يناير (كانون الثاني) ١٥١٦ وضع على رأسه اكليلا من الحرير الاخضر موشى بأكواز رمان رمزاً للخصب. وفي الشهر التالي ولدت له كاثرين في غرينيتش ابنة سميت ماري، فعرضها هنري فرحا على السفراء ورجال البلاط قائلاً: "سيليها صبي بنعمة الله."

كانت الطفلة ورقة مهمة في لعبة سياسة القوى الاوروبية. اذ لم يدم زواج شقيقة هنري المراهقة ماري ولويس الثاني عشر الا أشهراً قليلة. فقد توفي الملك الفرنسي – منهكا بأعبائه الملكية كما قيل – وتزوجت ماري سريعاً من جديد، كما فعلت شقيقتها مارغريت التي ترملت بعد مقتل جايمس الرابع ملك اسكوتلندا.





(فوق) كاثرين الاراغونية.
(الى اليمين) الاميرة ماري اولى اولاد هنري الثامن، خلفت اخاها ادوارد على العرش.

أعاد ولسي رباط التحالف الانكلو - فرنسي في أكتوبر (تشرين الاول) ١٥١٨ بعقد خطبة ابنة هنري الرضيعة الاميرة ماري، بخاتم متناه في الصغر، الى طفل الملك الفرنسي الجديد فرنسوا الاول. وبموجب المعاهدة المعقودة تخلت انكلترا عن تورنيه لفرنسا في مقابل ٦٠٠ ألف كراون (ما يعادل ٤٨ مليون جنيه استرليني اليوم) وحصل ولسي على مكافأة ضخمة من فرنسا، كما اتفق فرنسوا وهنري على الاجتماع قرب كاليه في موعد لاحق لاقرار مصالحة نهائية.

أدى انتصار ولسي الديبلوماسي، اضافة الى حلف آخر ترددت أصداؤه في أوروبا وجمع انكلترا وفرنسا والامبراطورية الرومانية والكرسي البابوي والدول الاسكندينافية والبرتغال، الى إبراز الرجل كأنه مهندس السلام الاوروبي. وكان هو عاقداً العزم على أن يتبوأ السدة البابوية، وقد أصبح في ذلك الوقت كبير أساقفة يورك وكاردينالاً ورئيساً لمجلس اللوردات ولمجلس القضاء الاعلى في انكلترا جامعاً، بعد الملك، السلطة العليا في الكنيسة والدولة. كان "هذا الرجل الوقح الشرير" - كما وصفه شكسبير - حاكم انكلترا الفعلي.

كانت عجرفته ممجوجة. واعتاد الناس سماع صرخة "أفسحوا الطريق للسيد" فيما

ولسي يعبر أروقة القصر يسبقه أربعة من المشاة بألبستهم السوداء والقرمزية وهم يحملون فؤوس القتال. وكان "ختم انكلترا الاعظم" وقبعة الكاردينالية يحملان أمامه.

استاء الناس من سيطرة ولسي الظاهرة على الملك. أما هو فأتقن طريقة التعامل مع سيده. فكان يهدي الى هنري جوهرة ثم يلمّح الى فكرة جديدة فيما الملك يتلهى بها.

فلماذا تحمَّل هنري الاشاعة المتسائلة: "أليس من ملك في انكلترا؟"

لقد نبع رضاه من قناعة قديمة تتعلق بتمايز السلالة الملكية.

كان حكام القرن السادس عشر يؤمنون بأن رعاياهم ليسوا بشراً تماماً وانما كائنات تُحكم وتُستغل وتُرمى. وكان هنري يرى في ولسي مجرد أداة، فاسترخى وتركه يعمل، عارفاً أن شدة حبل كانت كافية لانهاء الرجل، اذ لا أحد يمسك هنري الثامن في قبضته.

رمال متحركة

كان هنري يهوى الموسيقى، فركَّب أراغن فخمة في قصوره و"اقتنى" فرقة موسيقية ملكية كان ستة من منشديها يسافرون مع الحاشية دائماً. كما كان يحب رؤية وجوه مستبشرة تحيط به، وحرص على أن يتقاضى أفراد حاشيته القريبون رواتب عالية. كان الوصيف يتقاضى نحو ١٠٠ جنيه في السنة (٣٠ ألف جنيه بمقاييس اليوم).

كان هناك رضى، ظاهرياً على الاقل، في "حقل قماش الذهب"[٢] حيث عقد الاجتماع الموعود بين فرنسوا الاول وهنري الثامن قرب كاليه. وكان الهدف المعلن للاجتماع تشريع قوانين لكنه تحول تظاهرة مثيرة مفرطة في التباهي.

تجاوز عدد أفراد الحاشية الملكية الانكليزية الخمسة الالاف، ومعهم أكثر من ٣٠٠٠ حصان وكميات ضخمة من التجهيزات. وانهمك ٨٠٠٠ عامل في اعداد الموقع، وشيد قصر موقت من الخشب وقماش القنب والزجاج على أسس من الآجر (القرميد). وارتدى فرنسوا الاول ثوباً من قماش الذهب تحت وشاح مزدان بالجواهر، فيما تضمنت بزة هنري وشاحاً مزدوجاً من قماش الذهب يشع بالحجار الكريمة.

أُعد كل شيء بتنظيم متناه في الدقة. وفي ٧ يونيو (حزيران) ١٥٢٠، بعد أيام من الاتصالات الديبلوماسية على مستوى مسؤولين أدنى رتبة في البلدين، وصل الموكبان الملكيان الى الساحة في تمام الساعة المتفق عليها. فعزفت الابواق وحث الملكان جواديهما قُدُماً للقاء. فتعانقا ثلاثاً وهما ممتطيان، ثم ترجلا وتعانقا مرة أخرى ودخلا السرادق الذهبي حيث عقد اجتماع القمة.

---

(٢) Field of Cloth of Gold

تلا الاجتماع أسبوعان من المبارزات والمآدب حطم خلالهما الملكان عشرات الحراب وبارزا خصوماً مختارين بسيوف ذات مقبضين (تستخدم باليدين) وبقسوة جعلت الشرر يتطاير من درعيهما. كانا بذلك يفتحان شهيتهما جيداً لمآدب عامرة من لحم الغزلان وسمك الكراكي والحفش والاوز العراقي (التم) وطيور التدرج والبلشون الابيض وثمار البرتقال وحلوى الكسترد وفطائر الخوخ، تساعد على ابتلاعها براميل من الشراب.

مرت لحظة واحدة من التوتر الحقيقي عندما ألقى هنري بيده الثقيلة على عنق الملك الفرنسي قائلا: "تعال نتصارع!"

قبل فرنسوا التحدي، واشتبك العاهلان الفارعا الطول في صراع جسدي على طريقة ذلك الزمن. فأدّى الفرنسي، باحتراف، حركة دائرية سريعة وألقى بالانكليزي على الارض. وكرر هنري التحدي غاضبا، لكن مداخلات سريعة لرجال الحاشية أنهت هذا الشكل الغريب من الديبلوماسية.

كان مفترضاً أن تضع القمة حداً للعداء بين انكلترا وفرنسا، لكن عيني هنري كانتا على العرش الفرنسي. كما أن ولسي الطامح الى البابوية رغب في علاقة أوثق مع الامبراطور الروماني تشارلز الخامس القوة الثالثة في أوروبا وابن أخت الملكة كاثرين. كان تشارلز أبحر الى دوفر وعقد محادثات مع هنري قبيل مغادرة هذا الى قمة فرنسا. وهما اجتمعا ثانية خارج كاليه ووضعا خطة لحلف دفاعي ضد فرنسا.

عادت الافكار السود تراود هنري حول خلافته لدى عودته من فرنسا. كانت الاميرة ماري وارثته الشرعية الوحيدة، وهو "أثبت" أن عدم انجاب أمير ذكر ليس غلطته هو، ففي العام ١٥١٩ ولدت له عشيقته الجميلة اليزابيت بلاونت، ابنة أحد اقطاعيي شروبشاير، صبياً سمي هنري فيتزروي (أصبح في ما بعد دوقا على ريتشموند وسومرست). كما أن كاثرين كانت ستبلغ الاربعين من عمرها بعد سنوات قليلة فينعدم امكان حملها ثانية.

أما بالنسبة الى خطبة ماري الى الابن البكر لملك فرنسا، فقد أدرك هنري صعوبة مشاركة أي أمير فرنسي في العرش الانكليزي وإن كزوج للملكة. فالشعب يكره الفرنسيين، وقد تنشب حرب أهلية لدى اعتلاء ماري العرش اذا كانت متزوجة بفرنسي.

قرر هنري ضرورة أزاحة المرشح الاقرب لخلافته، وهو صديقه الثري دوق بكنغهام المتحدر من صلب ادوارد الثالث.

دبّر ولسي "الطبخة"، فقد كان يكره ذلك الوارث المتعجرف. ووجدت محكمة في لندن أن الدوق مذنب بجريمة "تخيُّل وفاة الملك" في العام ١٥١٩. وكان التكهن بموت

الملك يعتبر آنذاك خيانة عظمى. فمثل بكنغهام في قاعة وستمنستر أمام هيئة من الاشراف كان كل أعضائها يرهبون الملك، فقرروا أنه مذنب. واقتيد الى برج لندن ونفذ فيه حكم الاعدام بالفأس.

العشيقة

احتاج هنري الى تمويل الحرب الجديدة التي قرر خوضها ضد فرنسا. وكان بدد ثروة والده على الحرب السابقة وعلى حياة البذخ التي اعتادها. فذهب ولسي الى مجلس العموم المنعقد في ابريل (نيسان) ١٥٢٣، وطلب ما كان وقتئذ مبلغاً هائلاً هو ٨٠٠ ألف جنيه تجمع بفرض ضريبة من ٤ شلنات على كل جنيه من قيمة كل الاراضي والبضائع.

استقبل أعضاء المجلس الكاردينال بصمت عنيد، فالحملات الخارجية لم تكن مقبولة شعبياً. وفي النهاية وافقوا على شلنين لكل جنيه. لكن المبلغ لم يكن كافياً، فتخطى ولسي البرلمان وطالب بـ"منحة حُبِّية" من العلمانيين والاكليريكيين استمد مبرراتها من نظام "مساعدات" اقطاعية قديمة كانت تدفع عندما يقوم الملك نفسه بحملة خارج انكلترا. فارتفعت أصوات معارضة عنيفة في كنت وإسكس.

تدخل هنري مدركاً اتجاهات الرأي الشعبي، فأعلن العودة عن الضريبة وعن الحرب، ونال كل الرصيد الشعبي الناتج من قراره فيما تحمل ولسي كل اللوم. وحاول الكاردينال اصلاح الامر وقد أدرك أن نجمه الى أفول وأن سيده المتطلب لم يجد لذة في هبوط شعبيته للمرة الاولى منذ اعتلائه العرش، فأهدى الى هنري قصر هامبتون كورت الفخم الذي أصبح واحداً من مساكن هنري الاثيرة.

نجح ولسي في تدبير خطبة الاميرة ماري الى تشارلز الخامس، لكن هذه العلاقة لم تعمر طويلا، اذ وجد الامبراطور في العام ١٥٢٥ أن الحكمة السياسية تقضي بالتخلي عن ماري لمصلحة أميرة برتغالية. فتحول هنري وولسي، وقد اعتبرا الامر مهيناً، الى اقامة حلف مع فرنسا. وأقر السلام بين البلدين في أغسطس (آب) من العام نفسه.

حاولت الملكة كاثرين من دون جدوى اعادة العلاقات الطيبة مع ابن شقيقتها تشارلز. فقد كان ولسي يسعى الى الثأر من الامبراطور الذي لم يساعده ليصبح بابا، فيما كان هنري يفكر بالطلاق من كاثرين، وقضت خطة ولسي بأن يتزوج هنري أخت زوجة الملك الفرنسي الاميرة رينيه. لكن هنري كان يتوق الى الطلاق لسبب آخر، فقد كانت لعشيقته السابقة ماري بولين شقيقة اسمها آن في العشرين من عمرها ذات عينين سوداوين وثغر رائع وشعر أسود أملس.

وكان هنري في سكرة من الهوى.

بين صيف ١٥٢٧ وخريف ١٥٢٨ كتب هنري الى آن بولين ١٧ رسالة (هي محفوظة الآن في الفاتيكان) ملأى برغبة مشبوبة. وهو كشف لها مكنونات قلبه واعداً: "سوف أبرّك حباً ووفاء." ودعاها "المرأة التي هي عندي أغلى ما في العالم." وأرسل اليها مرة غزالا اصطاده بنفسه "آملا في أن تفكري في الصياد عندما تتذوقين الصيد."

في هذه الاثناء كان ولسي يحاول اقناع روما بالموافقة على اعتبار زواج هنري وكاثرين لاغيا. كانت النقطة الحرجة هي ما اذا كان زواجها بالامير آرثر ثم بدخوله عليها أم لا. فاذا ثبت تمامه يكون هنري يعيش "حياة خطيئة" مع أرملة شقيقه ويمكن اعتبار الزواج غير شرعي.

أرسل البابا كليمنت السابع الكاردينال لورنزو كامبيغيو الى انكلترا للتحقيق مع ولسي في دعوى الملك. وبدأت المحاكمة في ١٨ يونيو (حزيران) ١٥٢٩ في بلاكفرايارز. ركعت الملكة التي استثيرت مشاعرها أمام هنري لتعلن: "انني أشهد العالم كله على أنني كنت لك الزوجة الوفية المتواضعة المطيعة... وأنني كنت عندما دخلتَ عليّ فتاة عذراء لم يمسسني رجل." وأضافت مستهدفة النقطة الاكثر حساسية لدى هنري: "وانني أترك لضميرك أن يقرر ما اذا كان قولي صحيحا أم لا."

فحدق اليها هنري متملكا عواطفه.

عُرضت الشهادات طويلا من دون حسم للموضوع. فقرر البابا في يوليو (تموز) تحت ضغط من تشارلز الخامس سحب القضية واعادتها الى روما.

لقد خيب ولسي أمل سيده ثانية. وأسوأ من ذلك أن القضية جعلت الملك يبدو أحمق، فهو اعتمد على كاردينالة لانضاج الطبخة في انكلترا، لكنها الآن أفلتت من سيطرته.

صب الملك غضبه على ولسي فحطّ من مكانته وأمره باعادة الختم الاعظم. بكى ولسي واستعطف لكن هنري انتهره ورذله. فعاد مهانا الى يورك في الشمال آملا في تقاعد مشرّف. الا أنه لم يستطع التخلي عن لعبة سياسة القوة، وسرعان ما بدأ يراسل ملك فرنسا والامبراطور والبابا.

في أكتوبر (تشرين الاول) ١٥٣٠ نمي الى هنري أن البابا، بتأثير من ولسي، منع زواجه بأن ما دامت دعوى إبطال زواجه بكاثرين قائمة. فأمر الملك الغاضب باعتقال ولسي بتهمة الخيانة العظمى.

لم يصل الكاردينال الكهل الى لندن، اذ أصيب بالزحار (الديزنطاريا) في دونكاستر. وعندما وصل اليه آمر برج لندن مع ٢٤ من أفراد الحرس الملكي، أدرك ولسي ما يخبئه له هنري. وتفاقم مرضه ونقل الى لستر وقد بات عاجزا عن ركوب جواده. وعاش بعد ذلك يومين فقط. وهو قال: "لو خدمت الله كما خدمت الملك لما تخلى عني في آخر

أيام حياتي." وهكذا مات توماس ولسي آخر أسقف من القرون الوسطى ملكَ سلطة توجيه القرار في انكلترا.

شارف هنري الثامن السن الاربعين وبات في ذروة سلطته قادراً عندما يستثار على اخذ قرارات مستبدة. لقد اكتملت الشخصية التي صوَّرها رسام بلاطه هانس هولباين. كان، كما وصفه أحدهم، "جباراً مخيفا له جسم كجذع ثور قائم على ساقين مثل عمودين. رأسه شامخ مرتد الى أعلى في وقفة تحد ودعوة الى القتال. الذقن ثقيل ملتحٍ ، الفم شهواني، الانف صغير ضار، والعينان مستويتان كعيني صقر."

لمْ يخطر في بال هنري أن قوة خارجً انكلترا يمكن أن تردعه عن عمل ما. وهو قال مرة: "لم يكن لملوك انكلترا أسياد في الارض."

الفضيحة

ماطل هنري في قضيته غير عابىء بسحب الدعوى الى روما. وظل يبحث عن طريق للالتفاف حول المأزق.

كان هنري متعمقا في علوم الدين. وأكسبه كتاب ألّفه في العام ١٥٢١ لقب "حامي الايمان" من البابا، وهو لقب لا يزال ملوك بريطانيا يحملونه منذ ذلك الوقت. لكن كنيسة القرون الوسطى كانت في هذه الاثناء تفقد وهجها، وانتشرت الدعوة الى الاصلاح في أوروبا الغربية وتسربت الى انكلترا.

قرر هنري أن الحل الوحيد لمشكلته يكون بالانفصال عن روما والسير على هواه. فتزوج آن بولين في أواخر يناير (كانون الثاني) ١٥٣٣ وكانت حاملاً. وأقر البرلمان اشتراعا خطيراً أعلن فيه الملك رأسا للكنيسة والدولة. وفي ١٣ مايو (أيار) أعلن توماس كرانمر، رئيس أساقفة كانتربري الجديد، إبطال زواج هنري وكاثرين. ونفيت الملكة "الارملة" الى قصر كئيب يحوطه خندق مائي في عزبة كيمبولتون.

لكن هنري تزوج في آن امرأة تتارية. كانت مصابة بالعصاب وتظهر مشاعرها بوضوح مبالغ فيه. وسرعان ما صار هنري يخافها قليلا ويخشى فورات غضبها التي كانت تربكه. وفي أكتوبر (تشرين الاول) ١٥٣٣ ثارت ثائرتها غيرة لان هنري غازل امرأة أخرى، فأخبرها أن عليها أن تغمض عينيها وتتحمل الامر كما فعلت من هي أفضل منها.

كان الملك مقتنعا بأن آن ستحمل له صبيا. لكنها ولدت طفلة في ٧ سبتمبر (أيلول) في غرينيتش. كظم هنري خيبته وأمر باقامة حفلة صاخبة. وقد أصبحت الطفلة في ما بعد اليزابيت الاولى عظمى ملكات انكلترا، لكن الحدث في وقته كان طرف الغيمة التي حجبت آن بولين في النهاية.

بحلول نوفمبر (تشرين الثاني) ١٥٣٤ كان هنري قد مضى بعيداً في طريقه الانعزالي الجديد. وأقر البرلمان "قانون السيادة" الذي كرس الملك رأساً لكنيسة انكلترا مع كل السلطة الزمنية التي للبابا، واعتبر رفض الاعتراف بهذا القانون خيانة، الامر الذي أنهى حياة عدد من الرجال الفاضلين. فشنق جون هيوتون أسقف كنيسة لندن وجُرّ وقُطِّع في تايبرن، كما أرسل عشرات آخرون الى برج لندن.

وفي الصيف التالي قضت شخصية أخرى ذات شهرة خاصة: السر توماس مور أحد الذين تولوا رئاسة مجلس اللوردات في بلاط هنري وصديقه منذ الطفولة. وقد عُرض عفو على مور، لكنه رفض قبول مبدأ أن يكون زعيم زمني رأساً للاكليروس. فأبدل هنري حكم الاعدام المذل في تايبرن الى حكم بقطع الرأس في البرج.

بعد أشهر في السجن انهار مور جسديا لكنه بقي صامداً على رأيه. وهو أعطى الجلاد قطعة نقد ذهبية وأخبره أن له عنقاً قصيرة، ثم أزاح لحيته جانباً وهو يقول: "لم تسيء هذه الى الملك."

وكان الملك خرج بحاشية كبيرة الى الجنوب قبل تنفيذ حكم الاعدام بيوم واحد.

آن بولين (الى اليسار) وابنتها اليزابيت في عامها الثالث وهي خاتمة سلالة تيودور.





وكان يحلو له الظهور أمام الناس وبت أمورهم المحلية وتحسس اتجاه الرأي العام. كان مرهوب الجانب، مكروها ربما، لكن هيبته كانت هائلة ومنزلته رفيعة، وكان أعداؤه مدجّنين.

حل في مكان ولسي "يدأ يمنى" لهنري سكرتير ولسي السابق توماس كروموبل، وهو ابن حداد من بوتني. فبات كروموبل أعظم نابغة اداري في عصره، أصلح الماكينة الحكومية جذريا بحيث دام تأثيره حتى حكم الملكة فكتوريا. وهو صمم على أن يجعل من هنري "أغنى ملك عرفته انكلترا."

سعى الرجلان الى مصادر جديدة للدخل. وكان تقويم أجري في وقت سابق من السنة أظهر أن دخل الكنيسة بلغ ٣٠٠ ألف جنيه سنوياً. فقرر هنري، وهو سيد بيته، أن يصادر ثروات الاديرة. كانت هناك ٥٦٣ مؤسسة دينية، بعض أغناها وأقدمها مهابة قدّمها الى الكنيسة ملوك مشهورون، وكانت تشبه قصور النبلاء وتحوي سبائك من الذهب والفضة ومزارات فخمة تشع فيها المجوهرات.

خطط هنري وكروموبل بدهاء لكسب موافقة البرلمان على عملية المصادرة باثارة النقمة على لاأخلاقية رجال الاكليروس. فانطلق عملاء كروموبل في يوليو (تموز) ١٥٣٥ يبحثون عن أدلة على الفساد.

جمع هنري في أشهر قليلة كل الادلة التي احتاج اليها لاستصدار وثيقة برلمانية تقضي بحلّ كل المؤسسات الدينية.

وتوفيت الملكة "الارملة" كاثرين في كيمبولتون في ٧ يناير (كانون الثاني) ١٥٣٦ بعدما خطت رسالة تدل على سموّ تفكيرها: "من جهتي، أغفر لك كل شيء وأتمنى مخلصة أن يغفر لك الله كذلك. أخيراً، أقسم أن عينيَّ تطلبانك أكثر من كل شيء." لقد أحبت كاثرين هنري لذاته، خلافا لكل زوجاته اللاحقات، فهما عاشا شبابهما معا.

حملت الملكة آن ثانية، لكنها لم تجد في حملها مبعثاً للسرور، فقد علق زوجها بحب فتاة جديدة. كان هنري التقى في سبتمبر (أيلول) السابق في ويلتشير فتاة تدعى جين هي الابنة الكبرى للسر جون سيمور الحارس التقليدي لغابة سافرنيك. كانت جين في السادسة والعشرين من عمرها، صغيرة الحجم جميلة تتميز بضبط النفس خلافاً للعصبية المستبدة آن بولين. فافتتن هنري بجاذبيتها. ولتهدئة أفكاره وعواطفه انغمس في مباريات مبارزة في منتصف يناير (كانون الثاني). وعلى عادته، ركب مخاطر رهيبة وعاني سقطة قوية بقي بعدها غائبا عن الوعي ساعتين. وفي وقت لاحق قال اللورد مونتغيو أحد رجال بلاطه: "ان ساقه ستقتله." ولما كان التكهن بموت الملك خيانة عظمى (كما اكتشف دوق بكنغهام السيىء الطالع في العام ١٥٢١) فقد أعدم مونتغيو لتهوره.

عيَّن هنري جين وصيفة شرف للملكة. وفي أواخر يناير (كانون الثاني) ١٥٣٦ قبلت جين من هنري قلادة تحمل نموذجا مصغراً للشعار الملكي. واكتشفت آن الامر فثارت ثائرتها. فقال لها هنري: "اهدأي يا حبيبتي." ولم تكن هذه المرة الاولى يحاول تهدئتها، وكان يفكر في جنينها بلا شك، لكنها انتزعت القلادة من عنق جين بشبه جنون، فجرحت يدها. وفي ٢٧ يناير (كانون الثاني) وضعت صبياً ميتاً.

دخل هنري غرفتها مهتاجا واتهمها بأنها سبب الكارثة. فردت غاضبة أنها غلطته هو لانه اقام علاقة مع تلك الساقطة. فأجابها بقسوة: "لن تحملي مني أطفالا بعد اليوم."

انسحبت جين سيمور الى ويلتشير. وسرعان ما بدأ هنري يكتب اليها: "صديقتي العزيزة وعشيقتي، ان حامل هذه الاسطر القليلة من خادمك المخلص كليا سيضع في يدك عربون حبي الصادق." وهو أمل أن يستقبلها قريباً. ووقع الرسالة بـ"خادمك المحب ومليكك، هـ.ر."

الموت بالسيف

كانت جماعة آن بولين داخل القصر مؤيدة لفرنسا وتضع العراقيل في طريق تفاهم جديد مع تشارلز الخامس يخطط له كرومويل. ولم يكن هنري يسهل الامر على مساعده، فقد أصبح حاد الطباع على نحو متزايد كأنما ليحقق "نبوءة" أنه سيبدأ عهده بوداعة حمل وينهيه أشرس من أسد. وكان يوجه اهانات الى سفير الامبراطور في ثورات غضب متمادية. ولم يكن كرومويل عرف الملك متناقضاً الى هذا الحد من قبل، فصمم على ازاحة الملكة آن.

كان كرومويل يتجسس على الملكة منذ زمن طويل. وفي ٢ مايو (أيار) ١٥٣٦ اقتيدت الى البرج بتهمتي الخيانة والزنى، كما اتهمت لاحقاً بأنها سخرت من هنري ومن الشعر الذي كان يكتبه.

مثلت آن في ١٥ مايو (أيار) أمام محكمة من الاشراف، وراحت تفنِّد الاتهامات بنداً بنداً بقدرة وعناد. وقيل إن هنري علق على ذلك قائلا: "ان لها قلبا شجاعا، لكنها ستدفع الثمن."

أُعدم عاشقو آن المزعومون. وفي ١٩ مايو (أيار) ارتقت هي منصة الاعدام في تاور غرين. فأعطتها احدى وصيفاتها الاربع قبعة من القطن ورفعت شعرها، فيما عصبت أخرى عينيها. وكان الملك منحها التماساً أخيراً، فأحضر سيّاف سانت اومير، أبرع جلادي العصر وأنقهم، بسيفه الكبير الدقيق التوازن.

أثار الاعدام ضجة في الخارج، لكنه لقي ترحيبا في انكلترا حيث كان الشعب ناقما على آن لعجرفتها وبذخها.

تزوج هنري جين سيمور في ٣٠ مايو (أيار). وفي نهاية يونيو (حزيران) أُعلنت جين ملكة، وأقرت وثيقة خلافة اعتبرت اليزابيت "غير شرعية" وأبقت ماري محرومة من اعتلاء العرش.

بدت الملكة الجديدة حيية تحب العزلة. لكن هنري كان شغوفا بها. وهو كان في هذا الوقت بلغ قمة جديدة من السلطة، وبدأ يبني القصور ببذخ، فتحول بلاط هامبتون الى ما هو الآن، وأضيفت أجنحة ومداخل جديدة الى مبنى البرج والى قصر وندسور. وبنى هنري كذلك دارة فخمة من الآجر الاسود في حي سانت جايمس في لندن ما زالت بوابتها العظيمة جزءاً من قصر سانت جايمس ولا يزال ينادى بملوك بريطانيا عن شرفتها.

مر صيف ١٥٣٦ على البلاط سلسلة من حفلات التنكر والمبارزات والاحتفالات الصاخبة تمحورت كلها على ملك صار ألين عريكة وأرق حاشية. وفي يوليو (تموز) من ذلك العام توفي ابنه غير الشرعي هنري فيتزروي بداء السل وهو في السابعة عشرة من عمره. ولكن بحلول ربيع ١٥٣٧ أصبحت جين حاملا. وفي ١٢ أكتوبر (تشرين الاول) وضعت صبياً سمي ادوارد. كان الابتهاج يفوق الوصف. فجنت لندن وتدفقت النوافير شراباً. وغمرت النشوة هنري وقد تقلص خطر النزاع على خلافته وبدا أن اللعنة انزاحت أخيراً، فحمل الامير الطفل وبكى فرحاً.

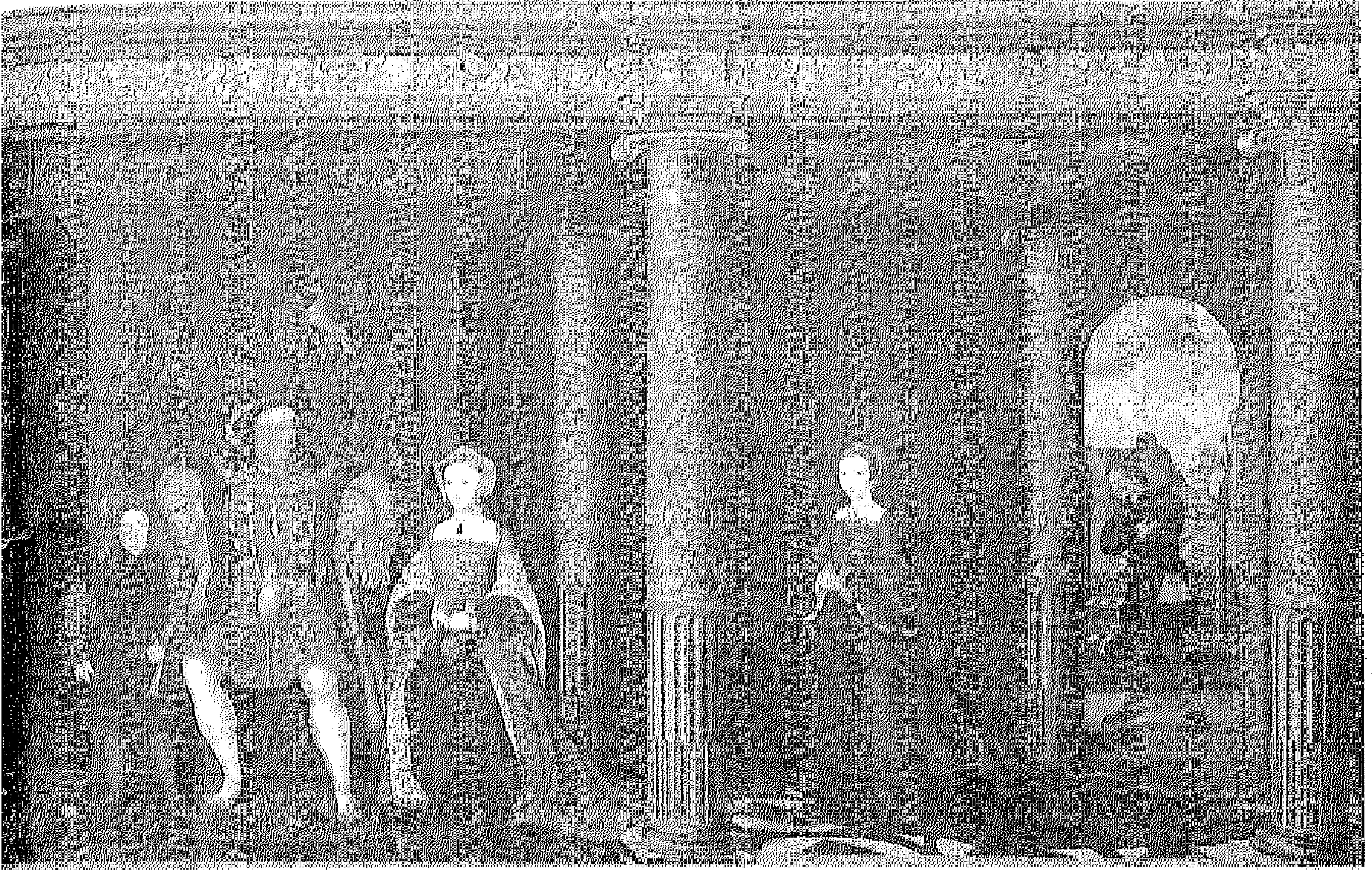
لكن الملكة أصيبت بحمى النفاس وراحت تهذي، فهي لم تستطع أن تتحمل مشاق استقبال الجماهير ووفود التهنئة، وكانت حضرت حفلة استقبال كاملة استمرت ست ساعات. وتوفيت في ٢٤ أكتوبر (تشرين الاول)، فغادر هنري قصره وحيداً الى وندسور ليخلو الى أحزانه. كانت جين سيمور الزوجة التي أحبها أكثر من الجميع، وهو أوصى بأن يدفن معها عند موته في المقبرة الملكية في وندسور.

استمر حل الاديرة وبيعت أملاكها الواسعة مما أدى الى بروز طبقة جديدة من أسياد الارض واتساع عقارات النبلاء. كما استمر تحطيم المزارات مما أكد نهائية الانفصال عن روما بطريقة تفهمها الشعب.

لكن هنري، عندما هاجم الكنيسة، كان يعتزم اعادة تنظيمها بطريقة مهيبة تنشّط سلطتها وتعيد نشر هذه السلطة. وهكذا تم تحويل المؤسسات القديمة في ونشستر ونورويتش وديرهام وإلاي ووستر بترقية رجال الدين المدعنين ليصبحوا أساقفة وعمداء. كما أنشأ هنري ست أبرشيات جديدة في تشستر وأكسفورد وبيتربورو وبريستول ووستمنستر. وفي ما عدا الاخيرة، لا تزال هذه الابرشيات قائمة الى اليوم.

أعمل هنري مكنسته في مجالات أخرى. فأحدث تغييرات جذرية في جامعتي أكسفورد وكامبريدج مهاجماً الاساتذة والطلاب، حتى انه ألغى احتفالاتهم التقليدية

لوحة رمزية تصوِّر عائلة هنري الثامن لو عاشت جين سيمور بعد وليدها الاول. ويظهر هنري وجين في الوسط مع وارثهما الامير ادوارد، وعلى الجانبين الاميرتان ماري واليزابيت.



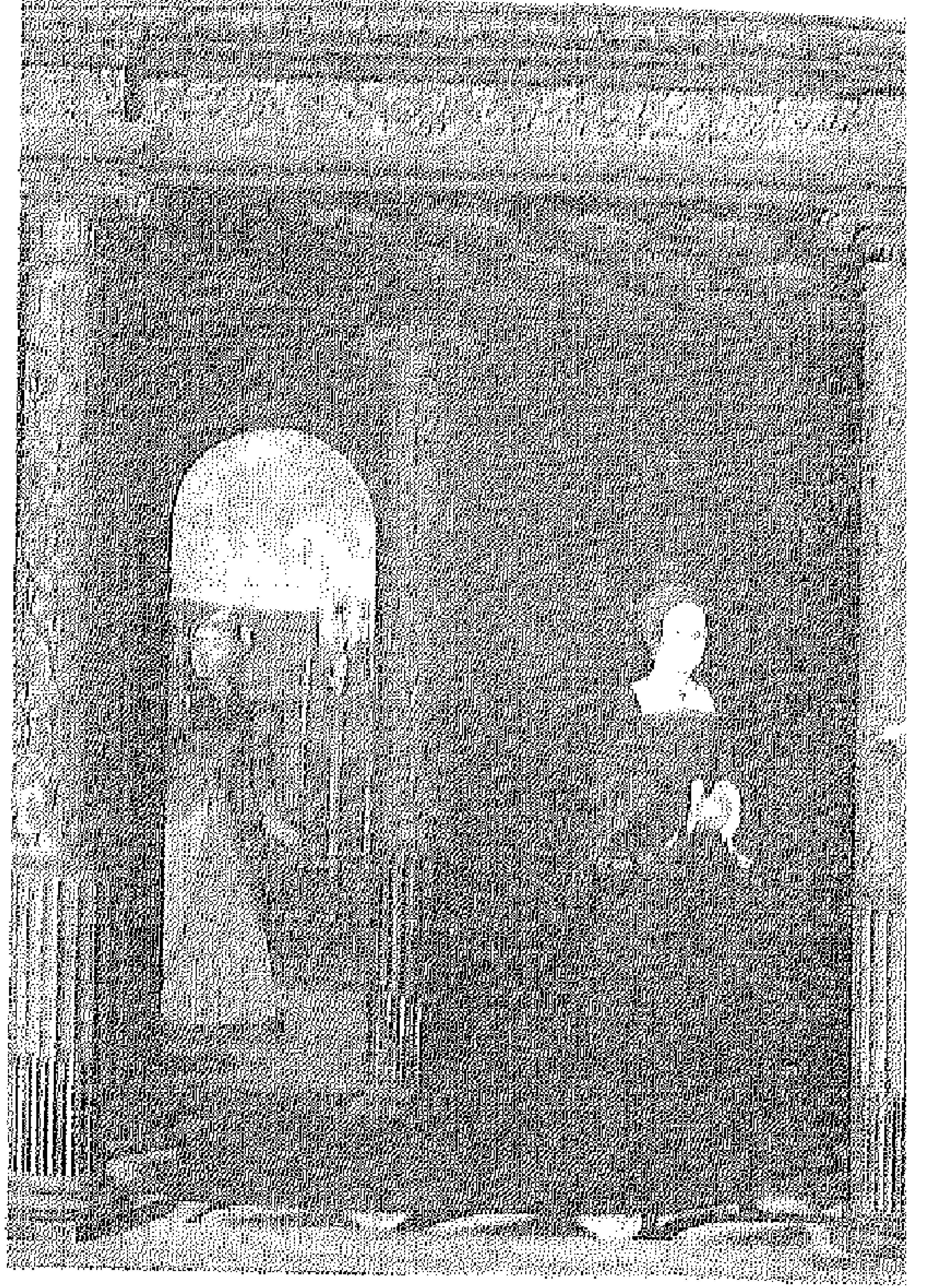
العزيزة وأنشأ منحة "أستاذ شرف" في اللاهوت والعبرية واللاتينية والطب والقانون المدني. وكان على كل طالب جامعة أن يحضر محاضرة في اليوم والا فقد حقه في الطعام. ولم يفتر تشجيعه للعلم أبداً، وهو أعاد في السنة الاخيرة من حكمه تأسيس كلية الكاردينال ولسي في جامعة أكسفورد كما أنشأ كلية ترينيتي في كامبريدج وهي أفخم الكليات في كلتا الجامعتين.

زوجتان أخريان

كان توماس كرومويل محتقراً من زملائه في المجلس اذ كان دخيلاً على طبقة النبلاء ومكروها من الشعب لتصميمه على إثراء الملك والدولة بأي طريقة. وها هو يرتكب الغلطة القاتلة ذاتها التي ارتكبها سلفه الكاردينال ولسي. لقد جعل سيده يبدو مغفلا.

بدأ هنري، بعد وفاة جين سيمور، البحث عن زوجة جديدة تكسبه حليفا من الخارج وتهبه صبيانا يضمنون خلافته. فمشط كرومويل البلاطات الاوروبية بحثا عن مرشحة. فاختار كريستينا دوقة ميلانو وابنة شقيق تشارلز الخامس، لكنها لم تقبل ذلك الشرف، وأشيع أنها قالت إنها كانت لترضى بالزواج من هنري لو كان لها رأسان.

وجاء رد الفعل في البلاط الفرنسي ساخطا، وأشار السفير الفرنسي الى أن سيدات بلاده لسن للعرض.



اختار كرومويل في النهاية فتاة تدعى آن من عائلة كليفز التي كانت تحكم دوقية على ضفتي الراين الادنى. كانت آن في الرابعة والعشرين من عمرها وفيها آثار جدري، ولم تكن تتكلم سوى الالمانية. لكن خلفيتها كانت مقبولة وملبية لطموح كرومويل الهادف الى اقامة توازن قوى في أوروبا. فقد كان شقيقها يسيطر على مناطق استراتيجية بين أراضي الامبراطور في ألمانيا والبلاد الواطئة (هولندا وبلجيكا واللوكسمبور).

أحس هنري أنه مدفوع الى عمل لا يريده، لكن كرومويل أكد له أن الجميع يمتدح جمال آن. وأرسل رسام البلاط لرسمها فعاد هذا بصورة نالت موافقة هنري.

لكن وصول آن الى انكلترا أكد أسوأ شكوك هنري. وذكر ايرل سوثامبتون أن "جلالة الملك لم يكن راضياً عندما رآها شخصياً."

عقد الزواج في ٦ يناير (كانون الثاني) عام ١٥٤٠ وسط مظاهر فخامة عظيمة، لكن هنري نفر من عروسه واشتكى من أنه لا يستطيع "التغلب على الاشمئزاز من رفقتها." وبعد ثمانية أيام قال كرومويل حزيناً: "لا تزال الملكة وصيفة عذراء لجلالة الملك."

انقض هنري على كرومويل بعد ظهر العاشر من يونيو (حزيران) ١٥٤٠ لهذه الاساءة الشخصية. كان المجلس منعقداً والنوافذ مفتوحة لهواء الصيف والبحث في جدول الاعمال جارياً الى الطاولة المستديرة المغطاة بالمخمل. فجأة دخل قائد حرس الملك واعتقل كرومويل بتهمة الخيانة والهرطقة.

وأقر البرلمان بسرعة مرسوما بفسخ زواج هنري (ذكرت في المبررات علاقة سابقة بين آن وماركيز لورين وشهادة بأن الزواج لم يتم) ومنحت آن معاش تقاعد سنوياً كبيراً. وهي قابلت الفراق بفرح واشترت كميات كبيرة من الثياب.

التمس المجلس من الملك "أن يدير قلبه الانبل بين قلوب الرجال ناحية الحب." وكانت بين وصيفات آن اوف كليفز واحدة تدعى كاثرين هوارد هي ابنة شقيقة دوق نورفوك. كانت جذابة المظهر في التاسعة عشرة من عمرها، قصيرة، ممتلئة، حيوية، ذات شعر كستنائي وعينين عسليتين. وكانت فارغة الرأس. فاستهوت هنري مذ رآها للمرة الاولى، وامتدحت عائلتها "طهارتها وصدقها."


آن كليفز في اللوحة التي لم تظهر آثار الجدري في وجهها.

تزوج هنري كاثرين في ٢٨ يوليو (تموز) ١٥٤٠، يوم قطع رأس كرومويل في تايبرن. وأحيا الزواج نشاط هنري وأصبح نمطه اليومي محموماً. كان ينهض مع الفجر فيحضر الصلاة ثم يركب باكراً للصيد ويعود الى وليمة هائلة. ولوحظ أن "افراطه في الاكل والشرب رائع."

كان هنري، وقد اقترب من الخمسين، سميناً أصلع منتفخ الخدين وعانى قروحا كبيرة مؤلمة على ساقيه أعاقت دورته الدموية وظلت تؤرقه الى نهاية حياته. لكنه بحلول الخريف وبعد رحلة ملكية الى الشمال زار خلالها لينكولن ويورك وهال، عاد الى بلاط هامبتون بصحة جيدة وصلى شاكراً الله "على الحياة الجيدة التي أمضاها والتي يأمل أن يمضيها" مع الملكة الجديدة.

لكن أعداء آل هوارد كانوا يعملون في هذه الاثناء. وكان أحدهم رئيس الاساقفة كرانمر، وهو لم يتجرأ على اخبار هنري مباشرة، فدس في يده رسالة تضمنت اتهامات بسوء مسلك كاثرين قبل الزواج.

وسرعان ما انكشف ماضي كاثرين وسيقت اليها اتهامات أخلاقية. وفي ٥ نوفمبر (تشرين الثاني) ركب هنري سفينة الى لندن لحضور اجتماع المجلس، ولم ير كاثرين ثانية.

جلس الملك في الاجتماع صامتاً مستغرقا في تفكيره وقد تهاوى آخر أوهام شبابه الرومانسية،

ثم شرع يبكي مربكاً أعضاء المجلس الصارمي الوجوه.

نقلت كاثرين الى برج لندن في أوائل فبراير (شباط) على متن بارجة مغلقة مرت تحت رؤوس عشاقها المعلقة على جسر لندن. وهي ربما كانت سخيفة وحمقاء ولا أهمية لحياتها، لكنها عرفت كيف تواجه الموت. ففي ١٢ فبراير (شباط)، ليلة ما قبل اعدامها، أرسلت في طلب خشبة الاعدام وتدربت على وضع رأسها كما يجب. وفي صباح اليوم التالي أنجز الفأس عمله سريعاً.

يروى أن اللايدي لاتيمر (المولودة كاثرين بار) عندما لاحظت أن هنري الثامن يتودد اليها قالت إنها تفضل أن تكون خليلة الملك على أن تكون زوجته. لكنها بحلول ابريل (نيسان) ١٥٤٣ جهزت بائنة[٣] من الاثواب الفرنسية والهولندية والفينيسية.

كانت اللايدي لاتيمر، خلافاً لكاثرين هوارد، مثقفة وذات مزاج ودود، وهي ابنة السر توماس بار اوف كندال من وستمورلند رئيس الحاشية الملكية في ما مضى. وكانت في الحادية والثلاثين من عمرها وقد خبرت الزواج مرتين.

في ١٢ يوليو (تموز) عقد قران هنري في بلاط هامبتون على زوجته السادسة والاخيرة. وعندما سأله أسقف وندسور هل يقبل بكاثرين زوجة له، أجاب فرحاً: "بالتأكيد!"

غزو فرنسا

أحس أهل البلاط بارتياح لتحسن مزاج مليكهم. وأثبتت اللايدي لاتيمر أنها عامل مهدىء و"خالة" متفهمة لاولاد هنري. كانت تشجع ماري ابنة السابعة والعشرين على ترجماتها اللاتينية. وكانت اليزابيت التي بلغت السن العاشرة تريها كتاباتها. وكان الامير ادوارد ابن السنوات الست يدعوها "ريجينا نوبيليسيما" (الملكة النبيلة) و"ماتر كاريسيما" (الام الحنون). وتمكنت كاثرين من "ترويض" هنري الذي لم يصبح أقل فجائية لكنه كان يخطو، في أوائل الخمسينات من عمره، الى ما سماه هو نفسه "شيخوختي."

لم يحل أحد مكان كرومويل، فقد بات هناك نظام بيروقراطي متماسك مع مجالس منفصلة لمقاطعات ويلز والشمال وايرلندا، واحتفظ هنري بزمامها في قبضته.

قرر هنري أن يذهب الى الحرب، اذ كان الملوك في ذلك الزمن يخوضون الحروب لان ذلك ما يتوجب على الملوك أن يفعلوه. كان عازماً على مهاجمة بولونيا، لان كاليه كانت موطىء القدم الوحيد الباقي



رسم لسيدة مجهولة يُعتقد انها كاثرين هوارد بريشة الفنان الالماني هانس هولباين.

(٣) البائنة جهاز العروس.



كاثرين بار، الزوجة التي عاشت بعد موت هنري الثامن.

لانكلترا على أرض القارة الاوروبية، واحتلال بولونيا عند رأس غري نيه سيقوي سيطرته على مضائق دوفر.

احتاج هنري أولا الى أموال كثيرة بعدما أهدر معظم الثروة التي جمعها له كرومويل. وكان البرلمان صوَّت في السنة السابقة على منح هنري تمويلا اضافيا، فاضطر الآن الى اعفائه من "الديون" الباهظة التي تراكمت عليه.

هذا الاذعان المتآمر لمطالب هنري أكسب البرلمان حظوة لديه.

وأحس أعضـاء مجلس العمـوم خصوصا بازدياد أهميتهم، اذ منحوا عام ١٥٤٢ حرية الكلام وحرية الوصول الى الملك عبر وفود، كما حصلوا في العام ١٥٤٣ على حصانة من الاعتقال. ومع تعاظم حاجات الملك تعاظمت سلطة مجلس العموم.

أبحر هنري الثامن في ١٤ يوليو (تموز) ١٥٤٤ توّاقا الى قيادة الهجوم على بولونيا بنفسه. كانت معنوياته عالية. وكثيراً ما كان يغط في النوم وتصعب عليه الحركة لثقل وزنه، لكنه ظل ذلك الجندي الذي يتمنى أن يحيا حملات شبابه من جديد. وكان الهدف الثاني للحملة احتلال مونتراي كقاعدة مفيدة في الدفاع عن بولونيا.

في منتصف أغسطس (آب) كان أهل مونتراي المحاصرة يأكلون لحم الخيول، لكن البلدة لم تسقط أبداً. وفي ١١ سبتمبر (أيلول) شهد هنري سقوط قلعة بولونيا. وكتب شاهد عيان: "لم أرَ الملك في حياتي بهذا الابتهاج وهذه المعنويات المرتفعة."

استسلم الفرنسيون حكماً في ١٣ سبتمبر (أيلول). وكان أفراد الحامية وأهالي المدينة منحوا الامان، لكن كثيرين منهم غادروا المدينة، رجالا ونساء وأطفالا وعربات وخيولا، ومرّوا مجهدين أمام الملك الضخم المهيب الذي جلس يراقب رحيلهم راضياً.

انسحب هنري تاركاً حامية للدفاع عن بولونيا وقفل الى انكلترا للمرة الاخيرة.

واجه هنري وقد بلغ الرابعة والخمسين أخطر تهديد بالغزو في عهده. فقد جمع الفرنسيون في يوليو (تموز) ١٥٤٥ أسطولا ضم أكثر من مئتي سفينة في مرفأ الهافر.

كان هدفهم مهاجمة بورتسموث وجزيرة وايت لاستعادة السيطرة على القناة الانكليزية.

وكان الانكليز مستعدين لهم بفضل حكمة هنري الثامن في تطوير البحرية الانكليزية. كانت سفنه الحديثة مجهزة بمدافع قوية، وعلقت آمال كبيرة على السفينة "ماري روز" الثقيلة التسليح.

"أصلحوا وإلا..."

كان يوم ١٨ يوليو (تموز) قائظاً في بورتسموث ولا نسمة هواء تحرك مياه الميناء الساكنة. وكان هنري يتناول عشاءه على متن سفينة القيادة عندما أبلغ اليه اقتراب السفن الفرنسية الغاصّة بالرّماحة وحملة البنادق. فهرع الملك الى الشاطىء. وجهد ربابنة الاسطول في توجيه سفنهم لملاقاة العدو، لكن الريح لم تساعدهم.

أخيرا، بعد ظهر اليوم التالي، هب نسيم مفاجىء حرك الهواء الرطب الحار فتحركت السفن الضخمة. ولم يرتح الاميرال الفرنسي دانبو الى منظر تلك السفن ولا الى التيارات المائية في الميناء واحتمال مواجهة عاصفة تهب من الجنوب الغربي. فجأة ضربت كارثة الاسطول الانكليزي، اذ مالت السفينة العظيمة "ماري روز" على جنبها وغرقت.

بكى هنري ألماً. وقضى في الحادث أكثر من ٤٠٠ رجل وأنقذ عشرون أو ثلاثون. وكتب تاجر فلمنكي: "أخبرني أحد الناجين أن سبب الكارثة هو عدم اغلاق فتحات المدافع في الصف الاسفل. وكانت السفينة تحاول الاستدارة عندما ضربت الرياح أشرعتها وأمالتها، فغطست فتحات المدافع تحت سطح الماء الذي تدفق داخل السفينة وأغرقها."

انسحب الاسطول الفرنسي. وفي الايام التالية نفذ عمليات انزال في بمبريدج وشانكلين على جزيرة وايت، وهدد سيفورد وغزا برايتون وأحرقها. لكن مواجهة "حامية" مع الانكليز خارج مياه شورهام حسمت المعركة. وفي الصباح كان الفرنسيون قد رحلوا، اذ تفشت الامراض بين بحارتهم ونقص الماء والطعام لديهم ولم يبق أمامهم الا الانسحاب الى مرفأ الهافر. وهكذا أرغمت أضخم قوة غزت انكلترا منذ العام ١٠٦٦ على الفرار مذعورة.

تحول هنري المنتصر الى معالجة الشؤون الداخلية ومواجهة النقمة المستمرة التي نشأت عن مهاجمته الكنيسة. لقد حان الوقت ليدين الملك النزاعات المذهبية ويدعو الى الوحدة في خطاب يلقيه في البرلمان.

عشية ميلاد ١٥٤٥ خاطب هنري الاساقفة والنبلاء فيما أعضاء مجلس العموم واقفون في الخلف احتراماً. بدأ هنري، وهو السياسي المعتق، متملقا شاكرا اقرار

المساعدات في سبيل احتلال بولونيا. ثم تحول ليندد بالجميع بقسوة: "لقد انتفت المحبة والتفاهم بينكم." وحمّل الاكليريكيين معظم المسؤولية عن النزاع الذي مزق المملكة لانهم "يبشرون يومياً بعضهم ضد بعض."

قال: "أنصح لكم بأن تصلحوا هذه الاخطاء وتنشروا الكلمة والا،" – وهنا رشقت عيناه الجمع بغضب – "عملت بنفسي لاهماد هذه النزاعات."

ران على القاعة صمت. ربما كان معظم المستمعين يوافقون الملك رأيه بعقلهم الواعي، لكنهم في عقلهم اللاواعي كانوا يتساءلون عن قيمة النظام والحكومة عندما تصبح مسألة الخلاص في الآخرة على المحك.

استمرت الحرب بطيئة طوال ربيع ١٥٤٦ فيما الفرنسيون يحاولون استرجاع بولونيا. وفي ٧ يونيو (حزيران) وقعت معاهدة سلام تعاد بولونيا بموجبها الى فرنسا عام ١٥٥٤ في مقابل مليوني كراون. لكن هنري لم يكن ليعود الى فرنسا في حملة أخرى، ففي فبراير (شباط) أصيب بنوبة حمّى حادة.

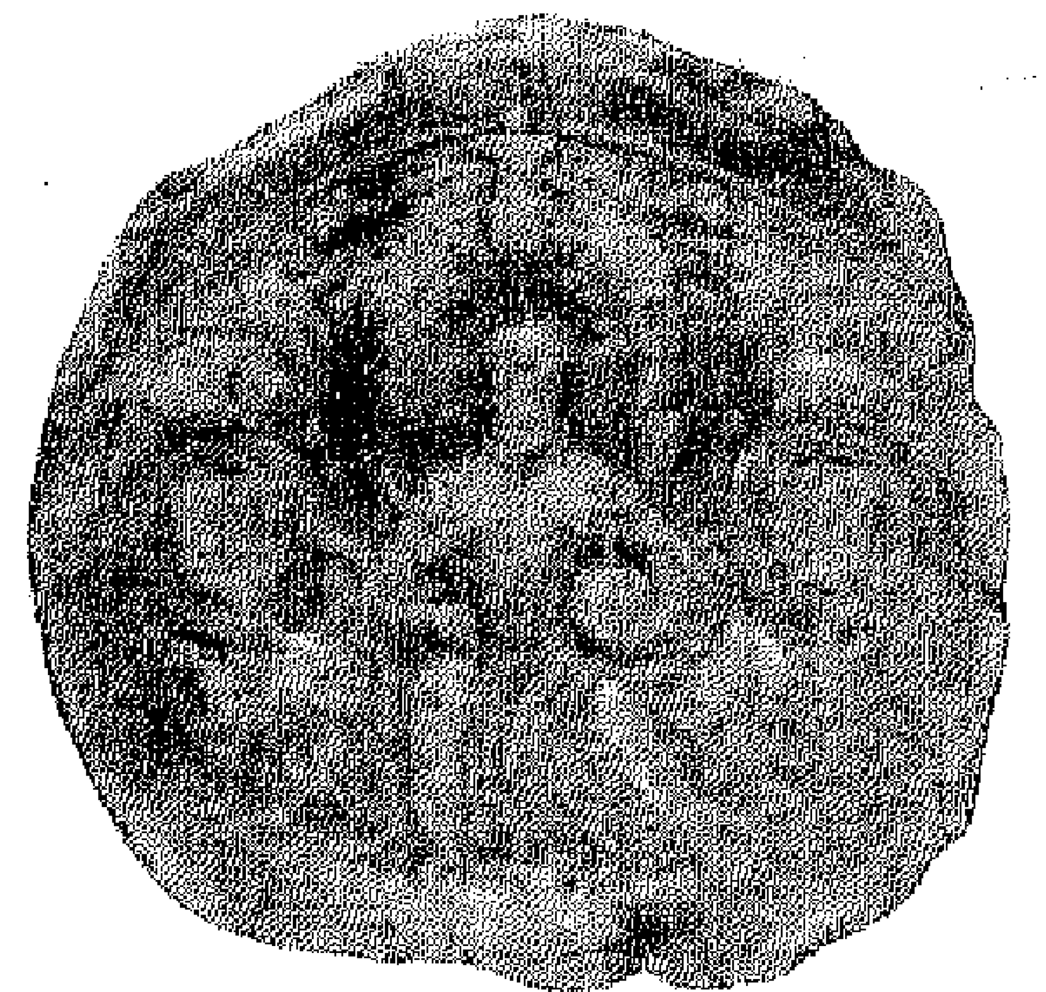
تفاقمت القروح في ساقيه وارتفع ضغط دمه (كان يشكو دائماً من الصداع) وعانى مشاكل في الكليتين. وسرعان ما ستتحقق "نبوءة" اللورد مونتغيو المتهور الذي أعلن عام ١٥٣٧ أن ساق هنري ستقتله.

لقد بدأ مرض هنري الاخير.

غياب شمس

واجه الملك الكهل قدره بوعي كامل وقد بلغ الخامسة والخمسين. ومع أنه لم يكن مغرماً بأعباء الحكم حتى في شبابه ("لا، سأقرأ البقية في الليل") فقد استمر في توقيع المذكرات وقراءة البريد وابداء ملاحظاته.

واستمرت الحياة هانئة في القصور الملكية خلال أواخر صيف ١٥٤٦. كان البستانيون يقلمون الشجيرات في ممرات حدائق غرينيتش ويقتلعون الاعشاب الضارة من مساكب الفريز (الفراولة) ويزرعون شتول الورد. وتابع موسيقيو البلاط ومنشدوه تمارينهم وعروضهم. وفي نوفمبر (تشرين الثاني) قدم هنري الى قصره في وايتهول للمرة الاخيرة.



الخاتم الثالث الاعظم للملك هنري الثامن.

كان مرضه تفاقم كثيراً، لكنه اضطر الى معالجة شأن جديد مثير وخطر: كان دوق نورفوك وابنه ايرل اوف صاري

غارقين في الخيانة، أو هكذا بدوا. كان صاري شاعراً وفارساً ونبيلا مدافعا عن بولونيا، لكنه كسر بيديه شعار نبالة يخص الامير ادوارد ولي العهد. وأورد الادعاء أن اللورد نورفوك تواطأ مع ابنه لتنفيذ الجريمة.

لم يكن هناك دليل قاطع ضد الدوق، لكن هنري قرر أن يتخلص من الاثنين، فواجبه حماية ابنه وسلالة تيودور. وهكذا اعتقل نورفوك وصاري في ١٢ ديسمبر (كانون الاول) وأرسلا الى البرج.

خلال شتاء لندن الضبابي بذل الاطباء ما استطاعوا لاراحة الملك، مستخدمين ماء الورد وماء العشبة الخنزيرية وغسل الفم والكمادات ومراهم البواسير ولزقات المعدة والذرور (البودرة) الملطفة والقرفة المجففة المحلاة والزنجبيل الاخضر. كان الجراحون يفركون جسم الملك الضخم بالاسفنج المبلل على الدوام، وكان هواء الغرف الرطبة عابقا بروائح نار الحطب والمسك والعطور الغالية الثمن.

وهكذا مر الميلاد. وفي ٧ يناير (كانون الثاني) وجهت تهمة الخيانة العظمى رسميا الى نورفوك وابنه. وحوكم صاري في ١٣ يناير (كانون الثاني) في غيلدهول، فتكشفت أمام المحكمة كل آثامه السابقة. كان أدخل السجن قبل أربع سنوات لتحطيمه نوافذ في لندن بمقلاع. وهو "أحب محادثة الاغراب وتقليد تصرفاتهم."

وبتّت مذكرة من هنري رأي هيئة المحلفين على رغم الدفاع الرائع الذي قدمه صاري. فحُكم بقطع رأسه في تاور هيل خلال أسبوع، ونفذ الحكم في ١٩ يناير (كانون الثاني). أما نورفوك فقد استجوبه المجلس بقسوة حول تهمة التآمر للخيانة العظمى وجُرِّد من حقوقه المدنية. ومن حسن حظه أن الاجراءات طالت كثيرا.

في هذه الاثناء ساءت حال الملك فأرسل في طلب الملكة. قال لها: "مشيئة الله أن نفترق." فانهارت كاثرين، فأمرها هنري بالخروج. أما الامير ادوارد (٩ أعوام) الذي كان في أشريدج وسط غابات شجر الزان، والاميرة اليزابيت (١٣،٥ عاما) التي كانت في قصر انفيلد، فلم يريا والدهما في ساعاته الاخيرة.

في ٢٧ يناير (كانون الثاني)، يوم دين نورفوك بتهمة الخيانة العظمى بقرار من البرلمان، بدا أن هنري يحتضر. ولما سئل عما اذا كان يرغب في رؤية رجل دين أجاب: "كرانمر فقط، ولكن لم يحن الوقت بعد." ثم أضاف بعناده المعروف وقدرته على أخذ قراراته حتى النهاية: "سأنام قليلا ثم أرى حالي وأشير عليكم بما يجب فعله."

لكنه أخطأ الحساب هذه المرة. كان شبه عاجز عن النطق عندما أفاق. ولما وصل رئيس الاساقفة في منتصف الليل كان تخطى مرحلة الكلام، وكل ما استطاع عمله ضغط يد كرانمر دلالة الايمان والتوبة. وفي الثانية صباحا توفي هنري الثامن بعدما هيمن على انكلترا قرابة ثمان وثلاثين سنة.

هنري الثامن

انطلق موكب الجنازة من قلعة وندسور في طقس معتدل مع هبوب ريح غربية حملت بشائر الربيع. وجرَّت العربة التي حملت جثمان هنري سبعةُ أحصنة امتطاها أولاد نبلاء في ثياب سود. وكان الجثمان حُنِّط وأقفل عليه في صندوق من الرصاص داخل النعش.

في ١٦ فبراير (شباط) ١٥٤٧ فُتح المدفن الملكي تحت منصة المرتلين في كنيسة القديس جورج، وأنزل ١٦ عنصراً من الحرس الملكي النعش الكبير الى جانب نعش الملكة جين.

وهكذا انتهت حياة هنري الثامن أقسى ملوك انكلترا وأكثرهم مزاجية وإرعاباً.

انقذ موت هنري الدوق نورفوك من الاعدام. وتزوجت كاثرين بار السر توماس سيمور الذي كانت مخطوبة له قبل أن يطلبها الملك.

وخلف الامير ادوارد (ادوارد السادس) أباه، لكنه لم يعمّر طويلا اذ أصيب بداء السل وتوفي ولمّا يتجاوز الخامسة عشرة من عمره. وهو وافق عند احتضاره (ربما لضمان خلافة بروتستانتية للعرش) على أن تصبح اللايدي جين غراي ابنة حفيد هنري السابع ملكة على انكلترا. لكن الشعب التف حول الاميرة ماري (ماري الاولى) ابنة هنري الوحيدة المتبقية من كاثرين الاراغونية وكانت كاثوليكية مخلصة. وقطع رأس اللايدي جين التي لم يدم حكمها سوى تسعة أيام. وأحرق كرانمر بتهمة الهرطقة. وتوفيت "ماري الدموية" (لقب الملكة ماري الاولى) في العام ١٥٥٨ فخلفتها على العرش ابنة هنري من أن بولين الاميرة اليزابيت (اليزابيت الاولى) آخر سلالة تيودور.

البروفسور جون باول ■

ترجمة فواز خوري



الذكاء يزعج!

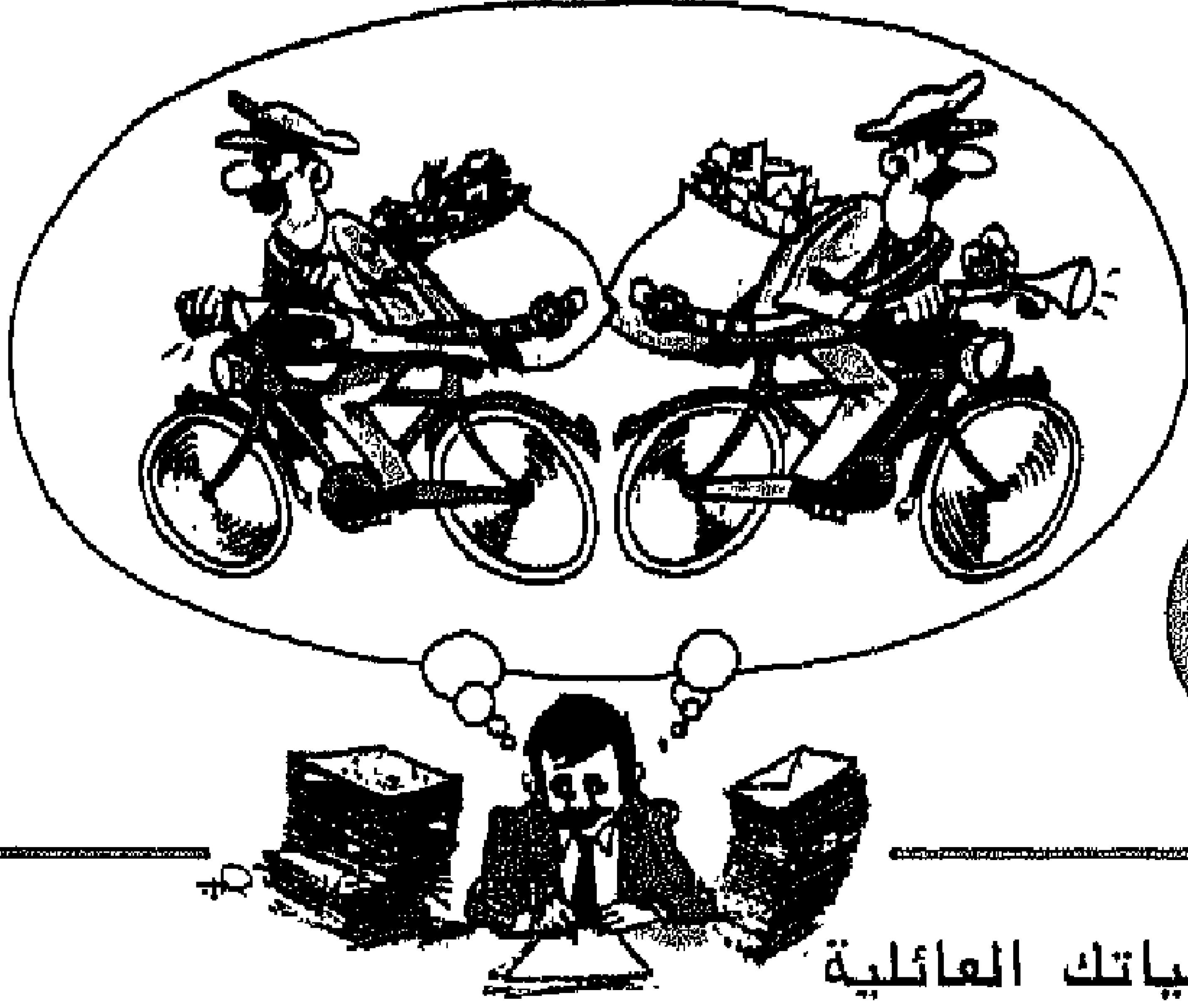
بعدما انتهى مهندس الكمبيوتر من برمجة جهازنا الجديد في الشركة، طلب مني أن أساعده في تدريب الموظفين على استعماله. وقد قالت لي احدى الموظفات: "يسرني كثيراً أنكِ أنتِ تدربينني وليس المهندس."

فدهشتُ وأخبرتها أن للمهندس من المعلومات ما يفوق خبرتي أشواطاً.

فردت الموظفة: "أدركُ ذلك تماماً. لكنني أشعر بالراحة معك أكثر، فالاشخاص البالغو الذكاء يثيرون أعصابي."

ر.ب.

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت، شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ لبنان.



"إزهار الربيع" - زيتية للفنانة الامريكية جانيت فيش، ١٩٨٨.

مايو (أيار) ١٩٩٢ - ذو القعدة ١٤١٢

Reader's Digest

AL MUKHTAR min Reader's Digest May '92 N° 162

ديزني الاوروبية

(ص ٧٦)

الولد من يفضّل الأب أم الأم؟

(ص ١٤)

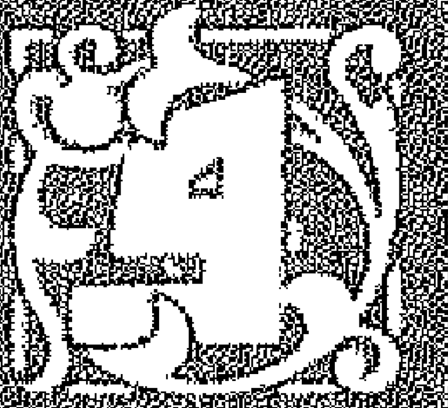
٦ أيام في جحيم الكويت

(ص ٣)

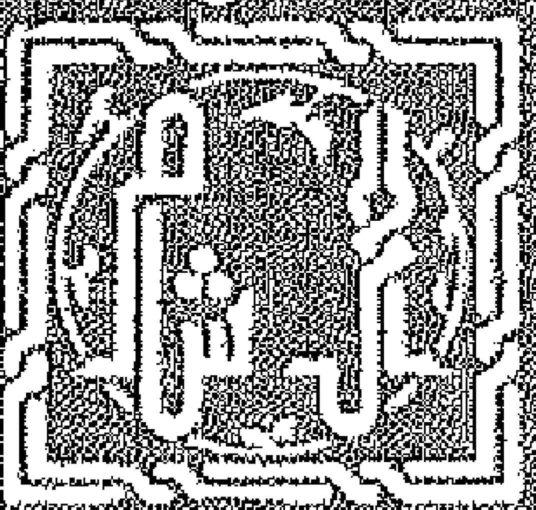
(ص ٣٣)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة



فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها .. صمم على أحدث طراز في ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك .. فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالإضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية .. ولاننس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لازلنا نفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام - ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الرسائل : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

لبنان	١٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الأردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالاً.
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالا.
مسقط	١ ريال.
قبرص	١،٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١،٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢،٥ دولار.

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
أمانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.

May '92 N° 162 (New Series) Vol. 14

Reader's Digest
المختار
مايو (أيار) ١٩٩٢ — السنة الرابعة عشرة
ذو القعدة ١٤١٢ — سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

٦ أيام في الجحيم

تفاصيل إخماد بئر نفط مشتعلة في الكويت

لم يشهد التاريخ سوى القليل من مثل هذه الأعمال التدميرية. فمع فجر ٢٣ فبراير (شباط) ١٩٩١، بعد أقل من أسبوع على وصول القوات البرية الامريكية والحليفة الى الخليج العربي، بدأ مهندسون عراقيون إشعال حقول النفط الكويتية المترامية. فانفجرت الصحراء وتحوّل نحو ٩٠ في المئة من آبار النفط الكويتية المنتجة مشاعلَ متّقدة تستهلك ستة ملايين برميل من النفط الخام يومياً وتلوث الاجواء امتداداً حتى جزر هاواي.

وفي أوائل مارس (آذار) بدأ اختصاصيون باخماد حرائق النفط، من ثماني دول، سباقهم مع الزمن لاطفاء هذه الحرائق الجحيمية، فأنهوا إخماد آخر بئر في ٦ نوفمبر (تشرين الثاني).

في الصفحات التالية قصة فريق من هؤلاء الخبراء.

PHOTOS: C.S. COMPOINT / SYGMA

حقل برقان لانتاج النفط.
٤ أغسطس (آب) ١٩٩١.

تمَّ الى الآن إخماد ٢٨٢ بئراً، أي أكثر من ثلث الآبار التي أُشعلت. الّا أن أحداً لا يحتفل بذلك. فالأخطر منها لا يزال يستدعي المواجهة..

غاري سيغو اطفائي في الاربعين من عمره، ملتحٍ، قوي البنية، يرئس فريقاً من ثلاثة رجال تابعين لمؤسسة "بوتس أند كوتس"[١] في هيوستن بولاية تكساس، وقد بدأ العمل في مكافحة حرائق الآبار الكويتية منذ أوائل ابريل (نيسان). وكان سيغو في الماضي انتشل بقايا جثتي رجلين التهمتهما النار بعدما انحرفت سيارتهما عن الطريق، وكل ما وجده آنذاك مجموعة عظام ساق على الدواسات وعمود فقري متفحم وجمجمة التحمت بنوابض المقعد الخلفي.

كانت ذكرى هذا المشهد المريع تلاحقه على الدوام، مع أنه عايش أخطارا كهذه مثلما يعايش آخرون حيوانات أليفة. فقد كان، وهو مراهق، يركب ثيران البراهما في مباريات الروديو.[٢] ثم تطوع مظليا في الجيش. وخبر في حياته عدة مواقف خطرة لم تكن كلها على علاقة بعمله. وهو لا يزال يحمل ندبا مزرقّا يحوط عنقه ولا ينفكّ يذكّره بعراك كاد يكلفه حياته. ويقول: "تلك كانت المعركة الوحيدة التي خسرتها."

لم تفقد مؤسسة "بوتس أند كوتس" أيا من رجالها طوال ربع قرن من العمل

(١) Boots & Coots



في إخماد حرائق حقول النفط في العالم، لكنها لم تواجه أوضاعاً كهذه من قبل. إذ كانت رياح بسرعة ٨٠ كيلومتراً في الساعة تنشر النيران العنيفة مثل مروحة لا تتوقف فيما وصلت الحرارة الى ٦٠ درجة مئوية. وقد قُتل الى ذلك الحين خمسة رجال رمّدتهم كُرات نارية ضخمة انطلقت على نحو غير متوقع من بحيرات نفط مشتعلة. ولم تكن الحرارة العدو الوحيد لهؤلاء الرجال، فقد عطلت فرق كنس الألغام البريطانية نحو ٧٠٠٠ طن من الألغام العراقية المزروعة في محيط الآبار، غير أن ألغاماً كثيرة أخرى لم تكن مكتشفة بعد.

مايك موريسون هو العضو الثاني في فريق سيغو. إنه اطفائي ابن ستة وعشرين عاما، طويل القامة، قوي البنية، عمل قبلا مع سيغو في مكافحة تسربات عنيفة في بحر الشمال. وهو، ككثيرين غيره ممن أتوا الى الصحراء، أغوته الأخطار والأجور العالية. فقد قال لزوجته قبل أن يغادر الى الكويت: "إنها فرصة العمر."

ثالث أعضاء الفريق كان غلين هاربر ابن الثانية والستين الذي قضى سنوات من عمره تحت شمس حقول النفط القاسية في شرق تكساس فتخشب وجهه وتشققت يداه.

قاربت الحرارة ٤٠ درجة مئوية عند الفجر حين انطلق الرجال للتعرف الى البئر "ب ج ٣٦٠" التي سيباشرون اخمادها. وكان لهب الآبار المشتعلة يتطاول الى الافق. وأدرك سيغو أن الموت هناك هو أشبه بسكنى الجحيم.

لم يكن أي منهم يحتاج الى اشارة توجيه ليعرف موقع البئر "ب ج ٣٦٠"، فقد استطاعوا ان يروا من مسافة كيلومترات سحب الدخان الهائلة المنبعثة من بحر اللهب. وكان شريط مخطّط يحدد المنطقة النظيفة من الألغام حول البئر، وخلفه البقعة الخطرة.

توزع أفراد الفريق لاستطلاع محيط المنطقة، وكان سيغو يدور حولها على أمل أن يلمح رأس البئر في بؤرة النار لكي يتمكن من وضع خطة الهجوم. فحرائق آبار النفط لا يشبه أحدها الآخر أبداً. أبسطها تلك التي تندفع عالياً كنافورة وأسوأها تلك التي تندلع من دون وجهة.

أخذ سيغو يتلمّس طريقه بحثا عن مصدر اللهب. وكان يختفي مراراً عن الأنظار ليعود ويظهر بعد لحظات، شكلاً بالغ الصغر في مواجهة غيوم سوداء كثيفة. كان سيغو يسمع البئر "ب ج ٣٦٠" تهدر كقطار شحن، ويحسّ من خلال نعل جزمته حرارة حقل النار الملتهب والحرائق الأرضية المحيطة به.

لقد فجرت العبوات العراقية الموضوعة بعناية خبير مجمَّعة غطاء البئر والصمّامات التي تضبط الدفق والضغط في البئر، فغدا ما يراه سيغو أشبه ببركان. فثمة هضبة صغيرة من الكوك (رماد النفط الخام الجامد) ترتفع حوالى ستة أمتار فوق رأس البئر، وقد تكونت بفعل حرارة تجاوزت ٢٢٠٠ درجة مئوية،



أي ما يعادل نصف حرارة الشمس تقريباً. كانت القشرة تنبض كأنها حيّة فيما انطلقت من محيطها نوافير من اللهب الابيض (بفعل الحرارة) كما اللهب المنبثق من ثقوب رأس موقد غاز.

لاخماد حريق البئر "ب ج ٣٦٠" واغلاقها، سيضطر أفراد فريق سيغو الى إزالة الغلاف الفحمي المتكون حول رأس البئر، فيواجهون عندئذ احتمال تحول قوة النار كلها في اتجاههم مثل قاذفة لهب عملاقة، ولن يكون أمامهم عندئذ سبيل للنجاة.

حدق سيغو طويلا الى النار، وكانت أطراف أذنيه بدأت تتقرح.

٥ أغسطس (آب). في السابعة صباحاً جمع سيغو فرقته في موقع البئر، وكانت تضم الى موريسون وهاربر مشغّلي معدات ثقيلة وخبراء في حقول نفط الشرق الاوسط وفريق اسعاف لمعالجة الانهاك الحراري والصدمات والحروق. كان على كل رجل في الفرقة أن يشرب ١١ ليتراً من الماء المجلد خلال النوبة الواحدة والا قتله نقص الماء في جسمه بسبب الحرارة الشديدة.

وعلى بعد ١٨٠ متراً عن البئر، في عكس اتجاه الريح، كانت حفرة كبيرة ملئت خلال الليل الفائت بحوالى ١٩٠ ألف ليتر من مياه البحر المنقولة من الخليج العربي على بعد ١٥ كيلومتراً، وأقيمت عليها مضختان ضخمتان تستطيعان مدّ الفريق بثلاثين ألف ليتر من الماء في الدقيقة.

في الحادية عشرة صباحاً بات سيغو جاهزاً لمهاجمة الحريق. وهو أقام ثلاثة "مراقيب" (خراطيم مياه متحركة ذوات فوهات يمكن تعديل اتجاهاتها) في موقع معاكس لوجهة الريح على طرف حقول

القطران المشتعلة التي تسد الطريق الى هضبة الكوك. وتولى أعضاء الفرقة تشغيل الخراطيم، تحميهم من وهج النار أكواخ من التنك المغلفن (المطلي بالزنك).

صوّب سيغو خرطومه نحو أكثف النيران فيما رفع موريسون وهاربر خرطوميهما الى مسار أعلى لاغراق مساحة أكبر. فكانوا كمن يحاول اطفاء نار هشيم بدلو ماء.

تصاعد الدخان بفعل المياه المتدفقة من الخراطيم على نحو أكثف وأشد سواداً مما حجب الرؤية عن الرجال في غالب الاحيان، مع أن أكواخ الحماية كانت على مسافة أمتار قليلة بعضها من بعض. كان التنفس صعباً، وبدت عيون الرجال، حين كانوا ينزعون نظارات السلامة، بيضاء في وجوه مسودّة.

كان هذا الحريق هو الأشد حرارة بين الحرائق التي كافحها هاربر في حياته. وهو لاحظ على الأرض قطعة خشب تنفجر مشتعلة في لحظة كأنها عود ثقاب.

في أولى ساعات بعد الظهر تمّ فتح ممر ضيق الى رأس البئر عبر النيران الأرضية. ومع ذلك بقيت واجهة اللهب قريبة على نحو خطر، مما اضطرّ الفرقة الى العمل ساعتين اضافيتين لتوسيع الممر بواسطة رمل خشن يتحمل الشاحنات الثقيلة والجرارات.

قال سيغو لرجاله: "أعتقد أننا نستطيع الاقتراب بحيث نتمكن من ازالة بعض ذلك الكوك."

وضع سيغو نظارتي سلامة على عينيه وقناعاً من القماش المقاوم للنار على وجهه، وتسلق عربة رُبطت الى جرار قوي من طراز "د ٨." كانت العربة زُودت سلاسل أعرض من المعتاد وذراعاً طولها ٢٠ متراً مجهزة بأداة تشبه المدمّة.[٣] تكوَّم سيغو تحت مقعد السائق خلف الدرع الواقية من الحرارة واستخدم اشارات اليدين ليوجه سائق الجرار الى مقربة من البئر. وعندما وصلا الى الموقع المناسب خفض ذراعه، فأنزل السائق المدمّة حتى لامست أسنانها هضبة الكوك. فبدأت المخالب تنقبض محاولة الامساك بقطع من الكوك، ثم ترتد، لكنها لم تستطع إزالة نثرة واحدة. وبعد حين ارتخت المدمّة وراحت تترجح من دون ضابط. لقد قُلعت ذراع الربط.

ويستغرق إبدال المدمّة ساعات، لذا أعلن سيغو نهاية العمل لذاك النهار. فقد أمضى رجاله عشر ساعات في الاتون ولم يحققوا إلّا القليل.

٦ **أغسطس (آب)**. أبدل سيغو المدمّة المعطوبة بخطاف من الفولاذ المطرّق. أزيلت في البداية شرائح ضخمة من الكوك المتوهج، لكن الذراع تهاون وهضبة الكوك لم تنقص سوى بضعة أمتار، اذ لم يتحمل المعدن الضغط المتواصل في درجات الحرارة تلك.

٧ **أغسطس (آب)**. بدأت النيران الارضية تنحسر أخيراً. فتمكنت الفرقة

في أربع ساعات من ازالة قطع كبيرة من الخَبَث[٤] عن الهضبة. ومع ذلك بقي رأس البئر مطموراً على عمق خمسة أمتار تحت القشرة. لقد مضت ثلاثة أيام، وما زال الرجال عاجزين عن تحقيق أي انجاز.

وصل جايمس تابين المشرف لدى مؤسسة "بوتس أند كوتس" ليشهد حدوث عطل جديد في المعدات. فثار سيغو وشتم اذ واجه تأخيراً إضافياً.

إلا أن جايمس حمل أخباراً لاقت ترحيباً. فهو أعلن أن فرقة من مهندسي الجيش الامريكي ستأتي بدبابة من طراز إم ٦٠ معدّلة لنسف الهضبة. وسيوفر ذلك أياماً من العمل ويخفف المخاطر عن الجميع.

٨ أغسطس (آب). وصلت الدبابة في السابعة صباحاً وأوقفها طاقمها في موقع يبعد ٧٠٠ متر عن "ب ج ٣٦٠." ثم شغّل جهاز الليزر لتحديد المدى قبل أن تُحشى قذيفة شديدة الانفجار في مؤخر مدفع الدبابة. لكن أحدهم انتبه في اللحظة الأخيرة الى أن القذيفة قد تنبو عن سطح الهضبة وتصيب محطة لضخ النفط والغاز على بعد ٨٠٠ متر، فألغيت المهمة.

عندئذ قرر سيغو استخدام جرار من نوع آخر مجهز بذراع ذات مفاصل مما يؤمن تحكماً ودقة أفضل. غير أن السائق سيضطر الى العمل على مسافة أربعة أمتار من النار، أي على حدود السلامة الدنيا.

تطوع مايك موريسون للمهمة، فقال له سيغو: "سأوجه أحد الخراطيم ليرش الماء بينك وبين النار، فيما يرش خرطوم آخر مقصورة القيادة. وسأعطيك اشارة اذا رأيت أن سوءاً ما قد يحصل. لذا عليك أن تبقى متيقظاً."

أومأ موريسون موافقاً وتسلق الى مقعد السائق، ثم مدّ ذراع الآلة زاحفاً في اتجاه الكومة. وبدأت المدمّة تجرف كميات من الكوك. عمل موريسون لمدة ساعة تخللتها فترات راحة كل عشر دقائق. ثم لاحظ كتلة كبيرة من الكوك على وشك أن تفلت من الكومة، فمد الذراع وأمسك بها وراح يهزها. فانفجرت الكتلة بقوة مدمّرة مطلقة نافورة من اللهب في اتجاه الجرار. وفي ثوان معدودة اختفى موريسون داخل الاتون.

عدّل سيغو اتجاه خرطومه عن هضبة الكوك باهتياج شديد، وأطلق سيل الماء على المكان الذي رأى فيه موريسون للمرة الاخيرة، فيما انطلق المساعد الطبي كن سبرين في اتجاه البئر. فجأة، ظهر موريسون مرجعاً الجرار الى خلف. وكان جانب كامل من الجرار اسودّ بفعل النار، لكنّ موريسون نجا بأعجوبة من دون أن يصاب بخدش.

أعلن موريسون بهدوء الواثق من نفسه: "أعتقد أننا نعرف الآن مصدر اللهب." ورأى سيغو على وجهه ابتسامة يعرفها جيداً. انها النشوة التي تأتي من التحايل على الموت.

أعاد سيغو وضع نظارتي السلامة

والقناع الواقي ثم انزلق تحت اللهب وراح يمشي محدودباً نحو البئر. لقد كشف موريسون رأس البئر، وصار في امكان سيغو أن ينظر الى فوهتها ويرسم خطة لاخمادها.

تلك الليلة استغرق في نوم هانىء للمرة الاولى منذ خمسة أيام.

٩ أغسطس (آب). يمكن اغراق معظم التسربات المتفجرة في آبار النفط بسيل من الماء. لكن سيغو قرر، بسبب الضغط الهائل والاتون الجحيمي الثائر في البئر "ب ج ٣٦٠"، أن ينسف رأس البئر بالديناميت، مفترضاً أن الانفجار سيمتص الاوكسيجين من الهواء ويخنق النار.

غير أن ثمة إشكالاً يحمل في طياته خطراً مميتاً يجب أن يؤخذ في الاعتبار. فهناك شبكة من خطوط أنابيب الغاز المسال (تحت ضغط عال) مدفونة في مكان ما في المنطقة ولا يستطيع أحد تحديد موقعها بالضبط، لأن العراقيين كانوا أتلفوا، أو نقلوا، معظم خرائط حقول النفط. وسيتحول المكان محرقة في حال تمزق خط واحد.

كان ادوارد "كوتس" ماثيوز (٦٨ عاماً) وصل الى الموقع للاشراف على عملية التفجير. وهو وشريكه أسغر "بوتس" هانسن من أصحاب الملايين، لكنهما يصران على العمل مع رجالهما ومشاركتهم في المخاطر.

ويعتبر ماثيوز فناناً في استخدام الديناميت. وهو بدأ يتفحص كل إصبع بحثاً عن قطرات "عَرَق" ناجمة عن تكثف الرطوبة، وهي دليل على أن المتفجر عتيق وغير مستقر. ثم قال وفي صوته نبرة تشاؤم: "سيكون هذا انفجاراً جهنمياً."

فردّ سيغو: "ستكون نار جهنمية."

رتّب سيغو أصابع الديناميت صفوفاً داخل برميل فولاذي سعة ٢٠٠ ليتر، ووسّدها بالرمل. بعد ذلك لُفّت الحاوية بقماش الاسبستوس° وعُلقت في ذراع العربة ليتسنى وضعها فوق رأس البئر.

انتقى سيغو السائق بنفسه، وهو رجل سبق أن عمل في تفجير حرائق كهذه، مؤكداً لماثيوز: "إنه يستطيع إطعام طفل بواسطة هذه الآلة."

وفيما ماثيوز يعمل على وصل صاعق التفجير، أحس سيغو وخز الرمل على وجهه، اذ عنفت الريح الصحراوية الحارة فجأة الى حدود العاصفة. فالتفت سيغو الى ماثيوز قلقاً، فالديناميت متى وصل بالصاعق يصبح شديد الحساسية، وقد تفجره شحنة كهربائية ساكنة ناتجة من احتكاك الرمل بالهواء.

قال ماثيوز: "فلننته من الامر!"

أشار سيغو الى مشغّل الذراع، وجثم خلف الدرع الواقية من الحرارة داخل العربة. فتحركت الآلة العملاقة ببطء الى الأمام ثم توقفت وأنزلت الذراع برفق وبدقة متناهية حتى صار برميل الديناميت معلقاً فوق رأس البئر مباشرة.

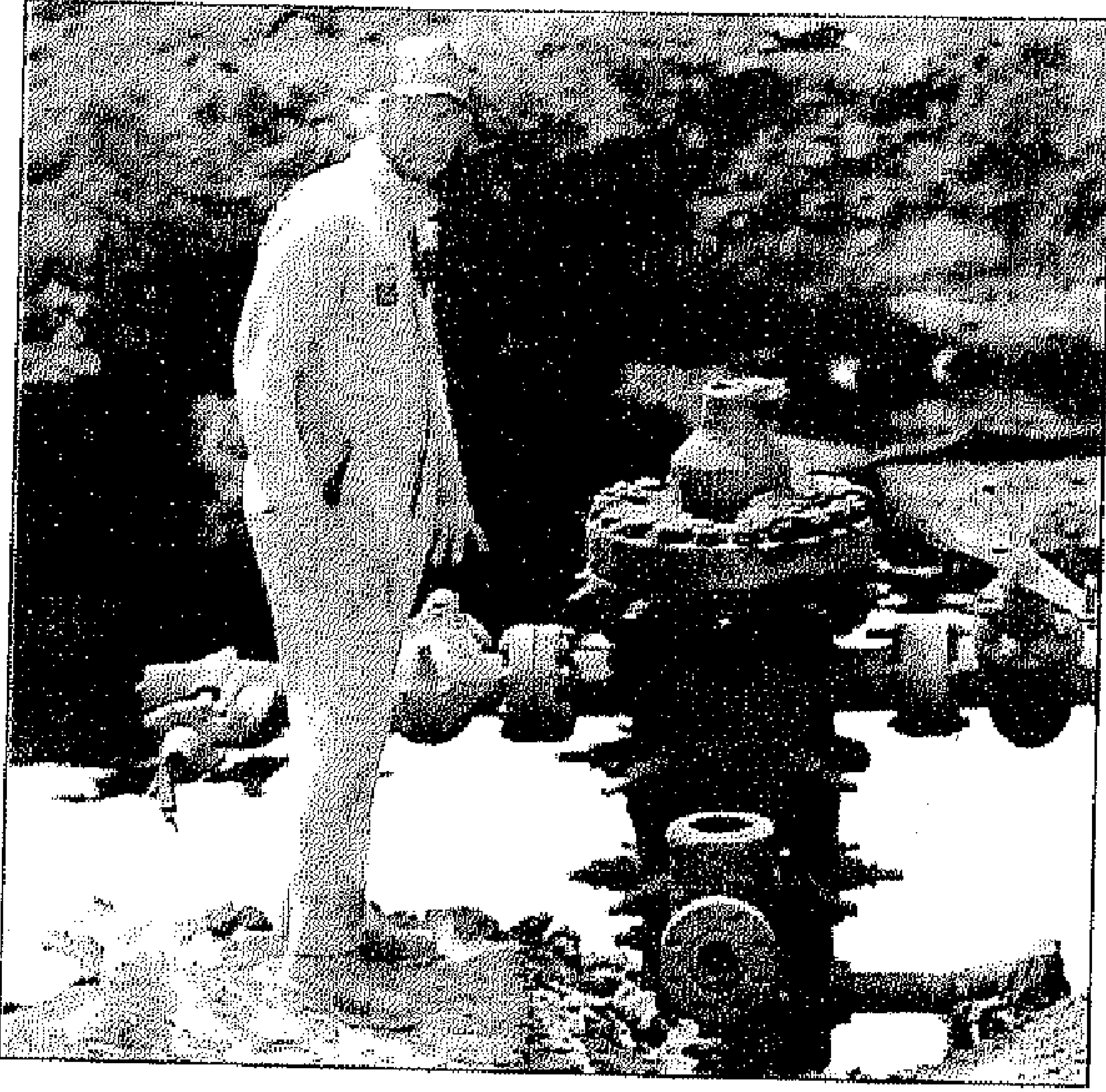
حينئذ هتف سيغو: "هيا! لنخرج من هنا!"

قفز الرجلان وركضا ليحتميا خلف جرافة متوقفة على مسافة ٥٠ متراً. كان ماثيوز هناك يمسك بسلكين قرب طرفي بطارية سيارة. ولما تأكد له أن الجميع بمأمن لامس الاسلاك بمخارج البطارية، فتلا ذلك ارتجاج مدو واهتزت الجرافة تحت وطأة الموجة الصدمية.

حوّل الانفجار البئر "ب ج ٣٦٠" بؤرة فراغ هائلة امتصت حتى ألواح التنك المغلفن التي كانت تغطي أكواخ الخراطيم. ولفّ الموقع صمت قطعه هدير دفق النفط الخام.

أُخمدت النار! لكن العملية بلغت الآن أخطر مراحلها. فإن شرارة صغيرة أو جمرة تحملها الريح قد تشعل الأبخرة المتصاعدة وتحاصر الرجال.

١٠ **أغسطس (آب).** كان الفريق عمل منذ ساعات الفجر الأولى في تركيب مضخة ماصّة لسحب النفط المتجمع في برك على أرض الموقع لكي يتمكن الرجال من الوصول الى رأس البئر. وبدأ سيغو وموريسون اعداد الأطر المعطوبة لتركيب مجمّعة الغطاء الجديدة. كانت نافورة النفط الهادرة من رأس البئر، في ضغط يفوق ٧٠ كيلوغراماً في السنتيمتر المربع، قادرة على قطع ذراع بشرية كمنشار كهربائي، فيما الخطو على الارض الزلقة ينطوي على خطر غادر. وكان رذاذ النفط المتساقط يكاد يعمي سيغو وموريسون اللذين تحركا بحذر مقتربين ببطء من اطار رأس البئر.



عمل سيغو وموريسون بالتناوب وبدقة جراحية. وبعد أربع ساعات كانت رؤوس الاطر المثلمة استوت فأصبح في الإمكان إنزال المجمّعة الجديدة الى مكانها.

في هذه الاثناء وصل عضو رابع من "كوتس أند بوتس" الى الموقع لمدّ يد المساعدة. انه تشارلز مورغان. وهو رجل في السابعة والثلاثين ضخم الجثة يزن ١١٨ كيلوغراماً. وكان يتباهى بأنه يرفع ٢٣٠ كيلوغراماً مستلقياً على ظهره، وستسنح له الآن فرصة لاثبات ذلك.

كان غطاء الرأس يتدلّى من رافعة هيدروليكية تزن ٥٠ طناً. فطلب سيغو من مورغان تشغيل مفاتيح التحكم، ذلك لأن المجموعة التي تزن ٣٠٠ كيلوغرام قد تصطدم برأس البئر اذا لم توجَّه بدقة وتأن، فتطلق شرارة تقضي عليهم جميعاً.

أنزل مورغان الغطاء ببطء فيما سيغو ينتظر انطباق البراغي على الثقوب لكي يُدخل العزقات ويحكم شدها.

انتحى سيغو وموريسون جانباً في انتظار مضخة التنفيس. ثم أخذ سيغو يوجّه مورغان باشارات من يديه. وفجأة ضرب النفط المتدفق طرف المضخة بكامل قوة اندفاعه، فارتدت الى الوراء وبدأت تترجح في حركة دائرية هددت بسحقهما على جوانب الحفرة.

أعاد مورغان السيطرة على المضخة وقام بمحاولة أخرى. فلدى تلقّيه اشارة من سيغو، ثبّت الذراع وقفز الى الحفرة للمساعدة ضاغطاً بثقله على مضخة التنفيس لوقف تحركها. عندئذ راح سيغو، الذي أعماه رذاذ النفط، يبحث عن فتحة صغيرة متلمساً بيديه، ثم أدخل البرغي وشدّه. وفيما هما يديران مضخة التنفيس لضبط مواقع الثقوب، مرت المضخة عبر السيل المتدفق فانتثر النفط في كل مكان. فاذا انكسر البرغي قبل تركيب بقية البراغي، فسوف يقصف الضغط ذراع الصمامات كما لو كانت غضاً يابساً.

وجد سيغو ثقباً آخر، فأدخل برغياً وشدّه بالصوملة. ثم أعاد الكرة حتى انتهى من البراغي كلها.

وفيما البراغي تُشد باحكام خفت الهدير الى هسيس. وأخيراً لم يعد الرجال يسمعون سوى صوت تقطّر منتظم.

دانت الساعة السادسة مساء. وكانت عضلات سيغو ترتجف من الجهد الهائل الذي بذله. كان هو ومورغان تبللا بالنفط فبدت ضحكاتهما العريضة أكثر اشراقاً. لقد أُخمدت البئر "ب ج ٣٦٠" وسوف يتولى فريق آخر إحكام إغلاقها بالوحل والاسمنت.

توقف سيغو للحظات في الطريق ونظر الى الخلف. لم يستطع رؤية البئر تحت مستوى الأرض. وكل ما رآه فسحة واسعة من الصحراء المحروقة.

ناثان أدامس ■

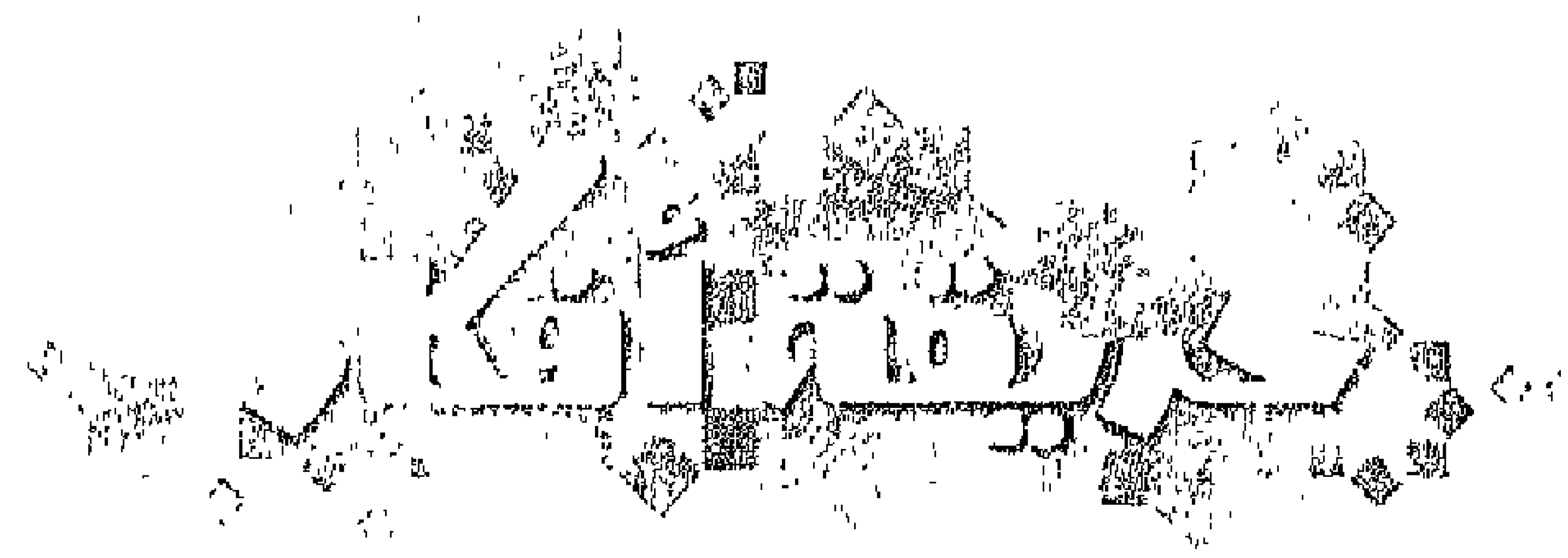


معلّمة في الفضاء

بعد كارثة تحطم المكوك الفضائي الأمريكي "تشالنجر" عام ١٩٨٦ التي أودت بحياة الرائدة المدرِّسة كريستا ماكوليفي ورفقائها، عينت وكالة الفضاء الامريكية "ناسا" رائدة بديلة هي مدرِّسة الصف الابتدائي الثالث بربارة مورغان. وتزور مورغان مدارس الولايات المتحدة لتتحدث عن التزامها برنامج الفضاء.

تقول: "بتنا نخشى المخاطرة. فأولادنا لم يعودوا يرون رجال أمّتهم يجوبون أنحاء القارة في عربات خيل أو يبحرون عبر المحيط الأطلسي في قوارب تتسرب اليها المياه. ومعظم المجازفات التي يختبرونها هي الترهات الضاجّة العنيفة التي يشاهدونها في التلفزيون. وقد تطوّعتُ في برنامج الفضاء لانني لمست حاجتنا الى أن نظهر لصغارنا سبل التصرّف في المواقف العصيبة. لا استسلام، ولا تراجع، بل مضيّ قدماً. فالفضاء ملك للجميع على رغم مخاطر استكشافه وسبر امتداده الرحب. وعلى أي مدرِّس في الفضاء أن يكون، كما كانت كريستا ماكوليفي، قائداً رائداً يستطلع لنا الدرب وصولاً الى النجوم."

ك.ف.



- يا لروعة مايو (ايار). لو يبقى اشهراً ثلاثة!

أ.ل.

- الأمل موجود دائماً حين يُرغم الناس على الاستماع الى الطرفين.

جون ستيوارت ميل، فيلسوف واقتصادي بريطاني

- ارتكاب الظلم مُخزٍ أكثر من مقاساته.

افلاطون، فيلسوف أغريقي

- مهما يكن صبرنا طويلا، فاننا نفضل عدم استخدام شيء منه.

ج.أ.

- اعرف نفسك. ولا تعتبر إعجاب كلبك بك دليلا قاطعاً على أنك رائع.

آن لاندرن، مرشدة صحافية

- بعض الناس لا يبالغون، بل يرون ذكرياتهم بعدسة مكبرة.

أ.س.

- أعطِ مئة في المئة دائماً، فلا تضطر الى التساؤل كيف كان أداؤك.

طومي جون، رياضي أمريكي

- ثمة أشخاص يتفوهون بكلام معقول في مسالة مثيرة للجدل. هؤلاء هم الظرفاء.

ك.هـ.

- لا يمكنك أن تبني سمعتك على ما سوف تفعل.

هنري فورد، مؤسس شركة "فورد" للسيارات

ماذا يطلب الأولاد

لا غريزة أقوى من الامومة. لكن الاولاد يطلبون آباءهم في الاوقات الصعبة

راحت الفتاة تجوب أرجاء البيت تفضي اليها بتنهداتها وعلى قسماتها مسحة حزن وألم. وكانت تبكي أحياناً ظانة أن أحداً لا يراها. فساور القلق والديها وسألاها عما بها، فكان جوابها: "لا شيء." فكيف تخبرهما أنها متيّمة للمرة الاولى في حياتها، وأن من تحب لا يدري بوجودها؟

جلس والدها بالقرب منها فأمسك بيدها وأخذ يستوضحها الأمر بحنو ورقة الى أن أفضت اليه بسر تعاستها. فأطلعها بلطف وبساطة على حال الدنيا والحب مخفّفاً عنها.

كانت آنذاك طفلة في السادسة من عمرها.

تقول كاثلين كيلباتريك وهي مساعدة خاصة في مكتب وزير الداخلية الامريكي: "انني لا أنسى تلك اللحظة. ولكم تذكرت ما حصل وذهلت لأن أبي لم يسخر مني بل احترم مشاعري وقدرها."

كان روبرت كيلباتريك آنذاك رئيس مجلس ادارة شركة كبرى، ولم يكن تلقى دروساً في الأبوة، لكنّه اكتفى باظهار حبه لابنته، فمنحها بعضاً من وقته وحاول أن يرى العالم من منظارها. وهل من صيغة للأبوة أفضل من هذه؟

يقول راي غارندي الاختصاصي بعلم النفس السريري ومؤلّف كتاب "العودة الى الأسرة"[1]: "إن للآباء حضوراً مميزاً، وهم عنصر قوة في تربية أولادهم." وقد أكبّ غارندي على دراسة تجارب طويلة خاضتها مئة عائلة أمريكية ناجحة، فتبين له أن القيم التقليدية المتجذرة في الثقة المتبادلة والصدق والحب غير المشروط، لا تزال تشكل قاعدة التربية الناجحة. ويؤدي الآباء في هذا الاطار دوراً بارزاً.

تتفتح غرائز الأبوة بسهولة لدى بعض الرجال فيما يضطر آخرون الى صقلها وتنميتها. أما جزاؤها فعظيم، ويكمن في تأثيراتها الايجابية المستديمة في الأطفال.

اليكم ما يريده الأولاد من آبائهم، وهي جملة مطالب مستمدة من تجارب حقيقية:

(١) Back to the family

PHOTO: © PAUL BARTON / THE STOCK MARKET

"أريد شخصاً يظهر لي انه يحبني."

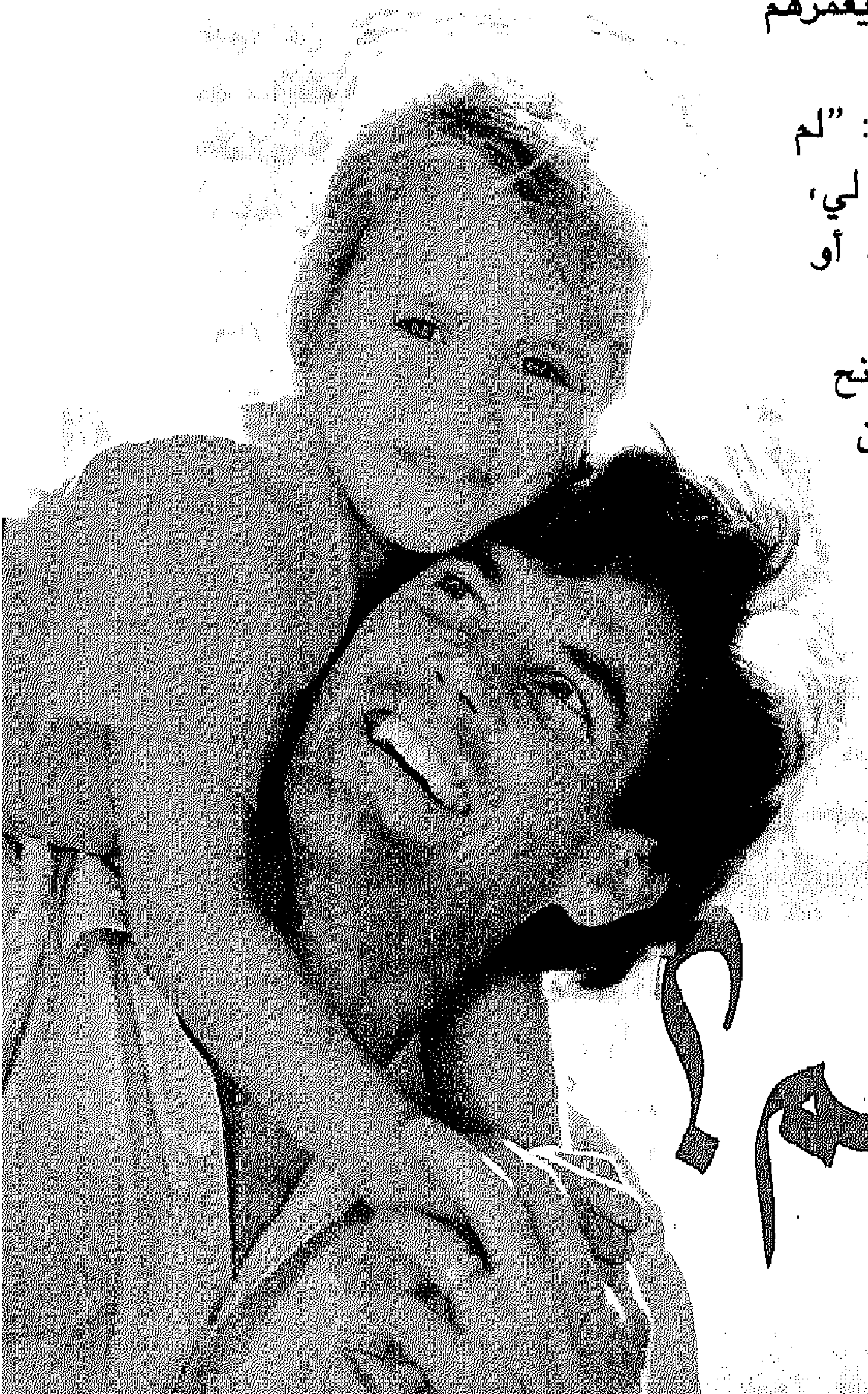
يقول المرشد كينيث ميد إن أكثر ما يتكرر على مسامعه خلال إرشاداته العائلية أمنية يتلفظ بها الأطفال: "ليت أبي يقول لي إنه يحبني أو يظهر لي أنه يحبني حقاً." وغالباً ما يصادف رجال الدين والمرشدون والأطباء النفسانيون أشكالا مختلفة لهذه الأمنية صادرة عن أولاد، قد يكونون رجالا بالغين، تواقين الى مزيد من العاطفة الصريحة يغمرهم بها آباؤهم.

ويقول الكاتب والت هارينغتون: "لم أشك يوماً في مقدار حب والدي لي، لكنني لا أذكر أنه حضنني مرة أو قبلني أو قال لي إنه يحبني."

هذه العبارات الصريحة تمنح الأولاد ثقة وتشجيعاً يحتاجون اليهما، وقد ثبتت أهميتها في نظر الخبير زيغ زيغلار يوم كان يحاول تركيب دراجة ثلاثية العجلات اشتراها لابنه طوم الذي كان في الرابعة. كان المسمار "أ" لا يناسب العزقة "ب"، فاستولى الضيق والغضب على زيغلار وأوشك أن يعدل عن تركيب الدراجة لو لم يباغته طوم هامساً: "أنا أحبك يا أبي."

وغني عن القول ان زيغلار أنهى تركيب الدراجة يومذاك.

لقد تبين لغارندي أن "الآباء الذين يعانون صعوبات في التعبير عن



مِن آبائهم؟

عواطفهم، في العائلات المتماسكة، يبذلون جهوداً استثنائية لاظهارها." ومَن تصعب عليه لغة الكلام تراه يستعين برسالة أو بطاقة أو ببضع كلمات يخطّها على رسوم أولاده.

كان أحد الآباء ماهراً في تأليف مقطوعات موسيقية، فكتب لأولاده أغنيات عبر فيها عن حبه لهم.

وفي إمكان الآباء أيضاً الاستعانة بتقنية اعتمدتها إحدى الأمهات. فقد كانت تحرج أولادها بتصرفاتها العلنية التي تنم عن عاطفتها العميقة. لذا استعانت بـ"شيفرة" سرية اتفقوا عليها جميعاً. فباتت كلما شارك أحد أولادها في مباراة رياضية أو نشاط مدرسي تشدّ على كتفه في حركة تعني "أحبك."

والعاطفة التي يظهرها الأب للأم هي طريقة بديلة مهمة للتعبير عن عاطفته تجاه أولاده. وقد برهنت دراسة غارندي أن العاطفة العلنية التي تجمع الوالدين هي من أهم العناصر التي تحمل الطمأنينة والاستقرار الى قلوب الأولاد.

"أريد شخصاً يمضي معي بعض الوقت."

غالباً ما يكون عطاء الأب شحيحاً في الحب والوقت، وهما أهم عنصرين يستطيع منحهما. فالأولاد يحتاجون في بعض الأحيان الى آبائهم تحديداً، وليس الى من يحل محلهم. وفي هذا الصدد يقول غارندي: "أكثر ما يتذكره الأولاد حضور آبائهم، وتتمحور أهم ذكرياتهم حول اللحظات العائلية العادية التي أمضوها برفقتهم."

وتروي الكاتبة سوزان جاكوبي: "كنت في فصل الصيف ألحق بوالدي قبيل الغروب الى حديقة المنزل الخلفية، فأتحادث معه الى أن تنادينا أمي لتناول العشاء. ولم أسمعه يوماً يقول لي: اذهبي عني."

كان برنامج المدرب الرياضي ريك إردمان حافلا بالمواعيد، ينقله من مكان الى آخر بعيداً عن زوجته وابنه كوري. وهو يقول: "لا تفارقني ذكريات رحلات الصيد مع والدي. فهو لم يكن ميالا الى الصيد، لكنه كان يتيح لنا نحن الاثنين أن نمضي معاً أوقاتاً طيبة في الغابة من دون حاجة الى كلام." ويكرسُ إردمان أوقات فراغه لابنه، فيلعب معه بكرة السلة ويركبان دراجتيهما في جولات طويلة.

"أريد شخصاً يرى العالم كما أراه."

غالبا ما يهمل الآباء هذه القاعدة. فعودوا الى طفولتكم وستفهمون عندئذ لماذا تبدو أمور كثيرة غامضة أو مخيفة أو مضحكة بالنسبة الى الأطفال.

إن الآباء الذين يتغاضون عن نظرة الطفل الى الأمور يقفون حيارى أمام تصرفاته. وهكذا، فالآباء الذين يشترون لعبة ثمينة لابنتهم يتعجبون عندما يرونها تلعب بالعلبة عوضاً عن اللعبة، ناسين أن العلبة هي قصر بالنسبة اليها. فليتذكّر هؤلاء الآباء يوم تحولت الحافلة في

نظرهم عربة تجرّها جياد، ويوم أصبح السرير مركبة فضائية.

يجب ألا ينسى الآباء أن الأطفال يتمسكون بأمور الحياة كما يرونها هم.

في كتاب "طفولة أمريكية"[٢] تروي المؤلفة آني ديلارد كيف عثرت على دايم[٣] يرقى الى العام ١٩١٩ عندما كانت في الخامسة من عمرها تلعب في ممشى الحديقة خلف منزلها وتحفر الأرض بعود جيلاتي (آيس كريم). يومذاك شرح لها والدها كيف طُمر هذا الدايم مع مرور الزمن، وكيف يتراكم التراب على الأشياء. فماذا كان رد فعل طفلة الأمس؟ "قررتُ أن أكرس حياتي لنبش الكنوز. وبعدما نبشت جميع طبقات الثروة التي أوصلتني اليها عيدان الجيلاتي، تحولت الى التنقيب عن البضاعة الجيدة، عن طبقات الذهب الاسباني القديم."

ويتذكر المدرّس أندرو مرتون يوم دخل مدرَّجاً رياضياً في بوسطن برفقة ابنه الذي كان آنذاك في الرابعة من عمره، ليحضرا معاً مباراة حاسمة في كرة القدم. فما ان انتهت التمارين التمهيدية حتى قال له الصبي: "ضجرت من كرة القدم يا أبي. أريد العودة الى البيت الآن." فقد فات مرتون أن نظرة صبي في السن الرابعة الى هذه اللعبة الشهيرة هي أبعد ما تكون عن الحماسة. فغضب وحمل ابنه خارج الملعب. وفي الطريق مرّا بمتحف بوسطن للعلوم، فتذكر كم استمتع هناك هو وابنه خلال زيارتهما السابقة وكم كان الصبي يتوق الى زيارة ثانية. دخلا المتحف، فراح الصبي يتنقل في أرجائه. يقول مرتون: "كان يناديني كلما اكتشف شيئاً جديداً لأشاطره إعجابه." وقد سُرّ الاب كثيراً ذلك اليوم لأنه قرر، عبر رؤية العالم من منظار ابنه، أن ينسى أحلامه المثالية وإن موقتاً.

"أريد شخصاً يرسم لي حدوداً."

يغيب عن أذهان الأهل الذين يمتنعون عن تأديب أولادهم أن هؤلاء يملكون حدساً في التربية والحرية. ويقول الممثل البريطاني جون كليز إنه علم من ابنته أن "الاولاد يحتقرون الاساتذة الذين لا يستطيعون إحلال النظام في الصف." ولما تأمل نظرة الأولاد الى الحدود المفروضة على تصرفاتهم تخيّل طفلا جالساً على كرسي وسط غرفة مظلمة وغريبة. "فحين يعرف الطفل مواقع الجدران، أي حدود المكان، يستطيع عندئذ فقط أن يستكشف الغرفة بفضول وبلا خوف."

إن التأديب شكل من أشكال الحب، لكنه صارم ومحفوف بالمخاطر، لأن الطفل غالباً ما ينبذ مؤدِّبه. غير أن دراسة غارندي أظهرت أنه عندما يكون التأديب ضرورياً مدعوماً بالحب، يصبح مفيداً للأولاد. وهم يعترفون بذلك.

ويقول الخبير التربوي جايمس دوبسون إن الآباء "الذين لا يجرؤون" على تأديب أولادهم سينتهون الى

(٢) An American childhood

(٣) الدايم «dime» قطعة نقد من فئة ١٠ سنتات.

معاقبتهم فحسب، مضيفاً أن العقاب أمر يُنْزَل بالطفل في حين أن التأديب أمر لمصلحته. وقد يضطر الأب أحياناً الى المعاقبة بهدف واضح ومحب هو تصحيح تصرف الولد. يقول غارندي: "على الآباء أن يتذكروا أن التأديب هدية محبة دائمة."

وسواء أكان التأديب المحب منعاً من الخروج أو صفعة على المؤخرة، فالهدف منه تلقين الطفل درساً.

ويروي الكوميدي بيل كوسبي كيف لقن ابنه البالغ من العمر ١٢ سنة درساً لن ينساه "بعدما تبنى هواية جديدة هي الكذب وبرع فيها حتى تحولت عنده فناً." فذات يوم قال كوسبي لابنه على الهاتف: "سوف أركلك عندما أعود الى البيت." ولما عاد تكلم مع ابنه وأنهى الحديث بتنفيذ العقاب على نحو مدروس. فكان سيلٌ من الدموع.

وسأل كوسبي ابنه: "هل فهمت الآن ماذا أعني عندما أقول إنني لا اريد أن أسمع كذباً بعد اليوم؟"

فهز الفتى رأسه والدموع تنهمر على وجهه. فقال له أبوه: "حسناً، اذهب الآن."

فاستدار الفتى، لكن كوسبي ركله ثانية. فنظر اليه نظرة مخدوع، فقال كوسبي: "عذراً، لقد كذبت. هل تريدني أن أكذب عليك بعد اليوم؟"

فأجابه الفتى: "لا يا أبي."

يقول كوسبي إن ابنه أقلع عن الكذب منذ ذلك الحين. وكتب معلقاً على هذه الحادثة: "أعرف أن مشاهير علماء النفس يرون في الركل عودة الى العصر الحجري، ولكن ربما كان الأولاد في ذلك العصر يولون كلام آبائهم اهتماماً أكبر."

إن الأولاد الذين أُدّبوا ولم يعاقَبوا اعتباطاً وتعسفاً، نادراً ما يتذكرون بغضب الاوقات التي تلقوا فيها عقاباً جسدياً. وقد كشف غارندي أن نحو ٧٠ في المئة من العائلات الناجحة التي تناولتها دراسته استعانت ببعض أشكال العقاب الجسدي في تربية أولادها. ولطالما بدا هؤلاء الأولاد في نظر أساتذتهم "ناضجين ومرهفي الاحساس."

تُرى ما هو سر الآباء؟

من الصعب تحديده. لكن الاولاد يعرفون حقيقته جيداً. وتقول نانسي وارد التي تعمل ممرضة قانونية في جناح للأطفال المصابين بأمراض مستعصية: "غالباً ما يطلب هؤلاء الأطفال رؤية آبائهم عندما يكونون متألمين." حتى أن أحدهم قال لأمه وهو يحتضر إنه يريد والده، لا لأنه لم يكن يحب أمه بل لأنه شعر بحاجة الى أبيه. وتضيف نانسي: "على رغم العطف والعناية اللذين تؤمنهما الأمهات لأولادهن، فان هؤلاء لا يشعرون بالأمان إلا مع آبائهم. في امكانكم استخلاص ما تريدون، ولكن تذكروا أن ما من شيء يلغي الحاجة الى الآباء."

رالف كيني بينيت ■

الأمير العائد

كان فتى طري العود يوم أرغمت عائلته الاريستوقراطية على الفرار وها قد عاد اليوم لمساعدة بلاده وبناء مجتمع ديموقراطي

أطبق الصمت على الحضور المميز فيما كان فاكلاف هافيل يدخل قاعة المؤتمرات في المقر العام لحلف شمال الاطلسي في بروكسل ببلجيكا.

وكان وزراء خارجية الدول الحليفة وسفراؤها اتفقوا على اللقاء في بروكسل في مارس (آذار) ١٩٩١ للاستماع الى رئيس تشيكوسلوفاكيا، أول رئيس دولة من الكتلة السوفييتية السابقة يزور مقر الحلف. وقد طلب منهم هافيل في خطابه المساعدة لضمان أمن بلاده. واستجاب الحضور لطلبه بتصفيق مطول.

جلس وراء هافيل رجل أنيق المظهر انفرجت أساريره عن ابتسامة رضى بعدما نجح بأسلوبه الهادىء والمتروي في الاعداد لهذه الزيارة وتحقيقها. ولطالما كان الديبلوماسيون الغربيون يتوقعون أن يكون ميخائيل غورباتشيف أول زعيم أوروبي شرقي يزور الحلف. ولكن عندما أخذ السوفييت يماطلون ويؤجلون

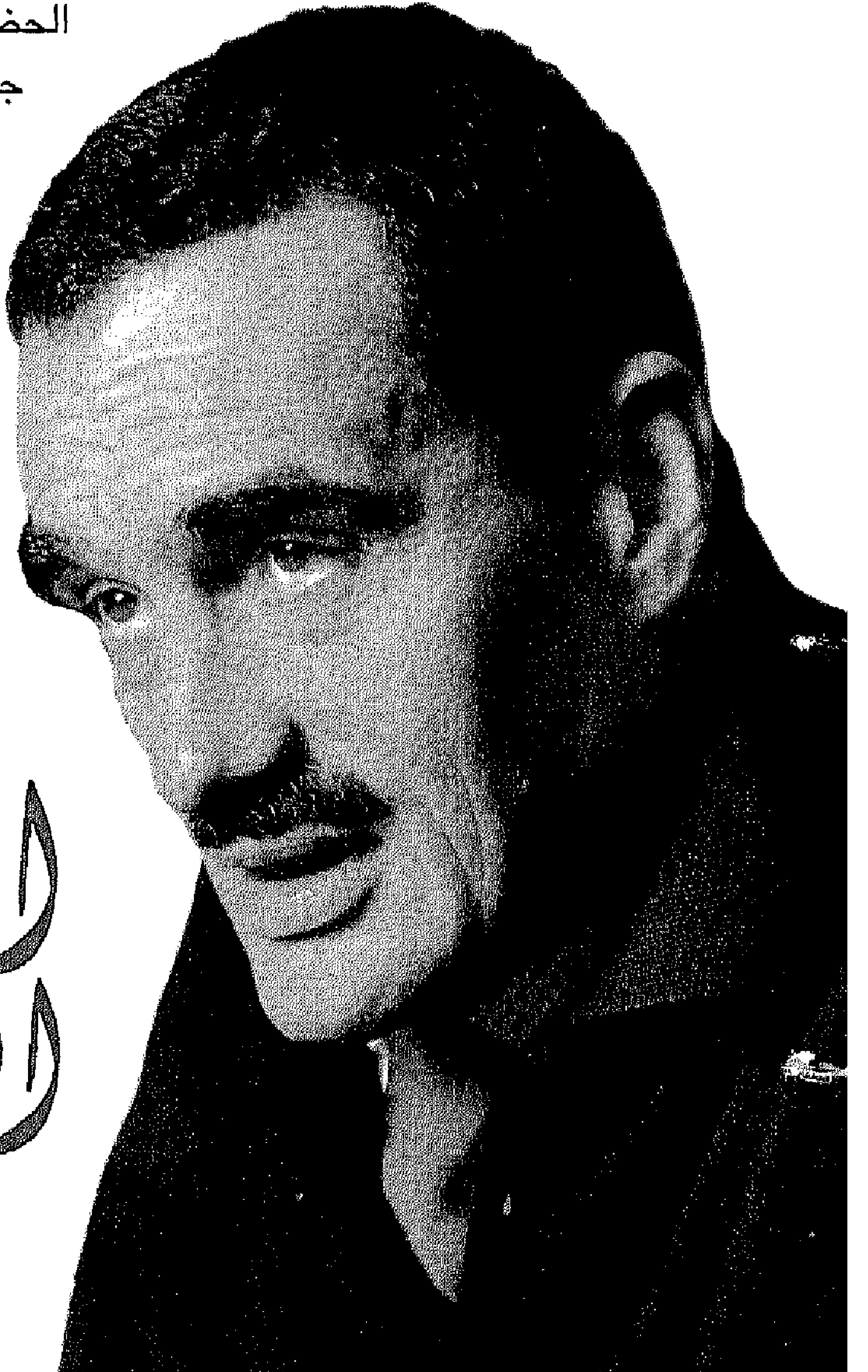


PHOTO: NOBERT NOE — CONTRAST / GAMMA

تــزاحم البــولــونيــون والمجــريــون والتشيكوسلوفاكيون على الأولوية. فما كان من هذا الرجل الأنيق، الامير كارل شفارزنبرغ كبير مساعدي هافيل، الا أن اتصل هاتفياً بصديقه القديم مانفرد فــورنــر الامــين العــام لحلف شمــال الأطلسي، فمنحت تشيكوسلوفاكيا هذا الاستقبــال ونــال هــافيـل شـرف هــذه المناسبة التاريخية.

بعد انقضاء عشرة أسابيع على هذه الزيارة، عُقد اجتماع وزاري للحلف ربط أمن تشيكوسلوفاكيا وغيرها من دول أوروبا الشرقية بأمن الحلف، وتعهد ضمنا حماية هذه البلدان من أي عدوان سوفييتي على أراضيها.

وفي نظر شفارزنبرغ، وضع هذا القرار نهاية مرضية لرحلة مضنية بدأت قبل أربعة عقود، يوم أرغمه الانقلاب الذي سانده السوفييت وهو لمّا يزل صبياً يانعاً في الحادية عشرة من عمره على الرحيل عن أرض أجداده.

في المنفى. شفارزنبرغ اليوم في الرابعة والخمسين من عمره. وهو رجل ذكي صلب، لكنه ليس موظفاً حكومياً عادياً. فقد ولد في كنف إحدى أعرق أسر أوروبا. وعاش أسلافه قروناً في بوهيميا التي كانت جزءاً من الامبراطورية النمسوية - المجرية قبل أن تُضم الى تشيكوسلوفاكيا بعيد الحرب العالمية الاولى. كان والده وطنياً متحمساً لا يتكلم سوى التشيكية مع أولاده. عارض ضم المانيا جزءاً من بلاده عام ١٩٣٨، فاقتصّ منه النازيون بالاستيلاء على قصر العائلة في أورليك وعلى دارتها الفخمة في براغ، وأجبروه وعائلته على قضاء سنوات الحرب العالمية الثانية لدى بعض الأقارب في منزل ريفي صغير.

بعدما وضعت الحرب أوزارها هبّت ريح جديدة هدّدت حرية تشيكوسلوفاكيا. وتوجّست انطوانيت والدة شفارزنبرغ، التي كانت تتمتع بحس عملي، خطر انقلاب شيوعي يحضّر خفية. فأسرّت بمخاوفها الى ابنها البكر كارل قبل سنة من وقوع الانقلاب: "من المحتمل أن يخسر والدك كل ما يملك وأن نضطر الى مغادرة البلاد."

فما كان من كارل، الذي أخذ عن أبيه شغفه بإرثه البوهيمي واقتبس من أمه مرونتها وسهولة تكيفها، الّا أن أمضى الأشهر التالية متنزهاً في أرجاء الريف يتشبّع بمناظره وينحتها في ذاكرته. ولما سيطر الشيوعيون على البلاد عام ١٩٤٨ ركبت عائلة شفارزنبرغ قطاراً الى النمسا ومعها بعض الحوائج.

يسترجع الامير ذكرى تلك الأيام العصيبة: "لقد خسر أبي أملاكه كلها، غير أن أكثر ما حزّ في نفسه هو خسارة موطنه."[١]

استقرت العائلة في فيينا، والتحق كارل بمدرسة رسمية. فلاحظ الاصدقاء لديه تفتح بذور جدية مبكرة. وذات يوم

(١) ستعـاد قلعة اورليك وممتلكات اخرى في تشيكوسلوفاكيا الى آل شفارزنبرغ بموجب قانون جديد.

أعطاه خاله الامير جورج فورستنبرغ نصف دولار أمريكي من الفضة، وأعطى أخاه الاصغر فريدريك نصفاً آخر. فتفحص كارل القطعة ثم قال: "انظر يا خالي، هذه صورة بنجامين فرنكلين منقوشة على هذا الوجه، وهذا شعار الحرية في الولايات المتحدة."

أما فريدريك، وهو اليوم صاحب مصرف، فقد أخذ قطعته وسأل خاله: "ماذا يمكنني أن أشتري بها؟"

فضحك فورستنبرغ معلقاً: "الأول سياسي بالفطرة، والثاني ولد ليكون مصرفياً."

تركة وتحديات. يقول الامير: "تمحورت تربيتي حول كلمة أساسية واحدة هي المسؤولية: مسؤوليتي تجاه نفسي وتجاه الآخرين." وتسنّى له أن يطبق هذا المبدأ للمرة الاولى عام ١٩٥٦، يوم سحق "الجيش الأحمر" الانتفاضة المجرية (الهنغارية) وتدفقت فلول اللاجئين الى النمسا. فتخلى كارل عن دراسته، وكان آنذاك في الثامنة عشرة من عمره، وأسرع الى الحدود ليمدّ يد العون. ثم قضى أسابيع باحثاً مع أصحابه، بمعدل ١٨ ساعة يومياً، عن اللاجئين الخائفين الذين اختبأوا في الغابات. وتحمله ذكرياته الى تلك الفترة فيستحضرها: "كنا نؤمّن لهم الطعام والشاي الساخن والثياب والادوية وننقلهم الى مخيمات الاستقبال التي أقيمت حول فيينا."

بعد انتهاء الأزمة تابع كارل تحصيله العلمي. ولدى وفاة عمه هينريك فون شفارزنبرغ عام ١٩٦٥، ورث ممتلكات العائلة التي توزعت بين النمسا وألمانيا. لكن التركة كانت كبيرة جداً، كذلك التحديات. فقد ألحقت القنابل اضراراً فادحة بقصر شفارزنبرغ في فيينا، المبني على الطراز الباروكي، ودمرت حديقته مما اضطر العائلة الى الكفاح طوال عقدين لترميمه. لكن الامير الداهية وجد حلاً لائقاً، فحوَّل القصر فندقاً فخماً وجعل ساحته الأمامية أكبر موقف للسيارات في وسط فيينا، "وهكذا استطاعت العائلة الحفاظ على ملكية القصر."

وعلى رغم المسؤوليات الجسام الملقاة على عاتقه لم يتبدل اهتمامه بمصير بلاده. وهو زارها للمرة الاولى بعد النفي عام ١٩٦٨، عندما هبّت ريح الحرية في تشيكوسلوفاكيا. لكنه فوجىء بواقع مرير لم يكن ينتظره. فقد حُوّل قصر شفارزنبرغ في أورليك متحفاً، وشوَّه السدّ الذي أقيم على النهر المجاور المناظر الخلابة التي كانت تداعب طفولته. فوقف مصعوقاً يحدق الى حطام ذكرياته مقاوماً دموعه، ثم رحل.

شريك فاليسا. لم يكن شفارزنبرغ يأمل الكثير من "ربيع براغ" معتبراً الزعيم الشيوعي ألكسندر دوبتشيك من السياسيين الهواة. ولما اجتاحت قوات حلف فرصوفيا (وارسو) تشيكوسلوفاكيا،

أقسم على مساعدة أبناء وطنه المضطهدين. فأمن طوال عقدين دعماً مادياً ومعنوياً للمنشقين في أنحاء البلاد، وهرّب امدادات الى الصحافة السرية، وتدبّر تهريب مؤلفات المنشقين لنشرها في الخارج. كما أسس مركزاً لتوثيق الأدب التشيكي في قصر تملكه العائلة في شينفيلد بالمانيا.

عام ١٩٨٤ أصبح شفارزنبرغ رئيس "اتحاد هلسنكي الدولي" لحقوق الانسان الذي تأسس بهدف السهر على تطبيق "قرار هلسنكي الأخير." فعمل بكدّ من دون مقابل، موزعاً عرائض ومدليا بشهادات أمام البرلمان الاوروبي ومسافراً الى أوروبا الشرقية في بعثات لتقصي الحقائق. ويتذكر ايفان فيالا وهو عضو في "مجلس مواطني هلسنكي" في براغ، يوم سافر شفارزنبرغ الى موسكو مطلع العام ١٩٨٨ ليناضل في سبيل اطلاق السجناء السياسيين المحتجزين في مستشفيات الأمراض العقلية: "كانت زيارته نفحة تشجيع لنا في خضم كفاحنا أشعرتنا بأننا سنبقى أحياء في ذاكرة العالم."

في مايو (ايار) ١٩٨٩ توجه شفارزنبرغ الى ستراسبور في فرنسا ليتسلم جائزة المجلس الاوروبي لحقوق الانسان ممثّلا اتحاد هلسنكي الدولي، وكانت الجائزة مناصفة بينه وبين الزعيم النقابي البولوني ليش فاليسا ممثلا حركة "التضامن." غير أن فاليسا استأثر بحصة الأسد من التغطية الاعلامية. ولم ينزعج شفارزنبرغ من ذلك، بل قال في خطاب ألقاه: "ليش فاليسا هو الرجل الذي أخرج نقابة العمال من أحواض بناء السفن وحوّلها حركة جماهيرية. أما أنا فمجرد ممثل لأعداد لا تحصى من الرجال والنساء المعروفين والمغمورين الذين ضحوا بالغالي والرخيص، وغالباً على حساب حياتهم وحريتهم، في سبيل الدفاع عن حقوق الانسان."

ثورة مخملية. في تلك الفترة كانت أواصر الصداقة توطدت بين شفارزنبرغ والمنشق التشيكوسلوفاكي فاكلاف هافيل، إذ كان الامير دعم هذا الكاتب الذي اعتُقل مراراً، ونشر مؤلفاته، لكنه كان يتجنب لقاءه "خشية أن أتسبب في ايذائه." وفي منتصف الثمانينات، كتب هافيل الى الامير يطلب مقابلته. فتواعدا على اللقاء سراً في أحد ملاهي براغ. وكان شفارزنبرغ يتوقع أن يمثل أمامه كاتب مسرحي حالم، لكنه فوجىء بجليس سياسي ذكي، فكان الانسجام رفيقهما الثالث.

بعدما قاد هافيل تشيكوسلوفاكيا في ثورة "مخملية" مسالمة، عاد شفارزنبرغ الى البلاد في أواخر ١٩٨٩ ليلقى استقبالا حاراً. وفيما كان يحجز غرفة في أحد فنادق براغ، دنا منه عجوز وقور قدّم اليه قطعة قماش بألوان العلم التشيكوسلوفاكي — الأزرق والأحمر والأبيض — لكي يعلّقها في طية سترته، قائلا: "هذه لك أيها الامير."

وعندما تسلم هافيل سدة الرئاسة، عهد الى شفارزنبرغ في ادارة فريق من المستشارين الرئاسيين. لكن الفوضى الادارية سادت الاشهر الاولى من عهده. وقد اعترف مايكل زانتوفسكي الناطق باسم الرئاسة: "كنا نعاني فوضى لا حدود لها. فقد اختلطت المواعيد، وقدم الطعام غير المناسب في حفلات الاستقبال، ولم تصل السيارات في مواعيدها."

وفي خطوة لاحلال النظام، عيّن هافيل شفارزنبرغ رئيساً لأركانه بلقب مستشار. فانتقل الامير في أول يوليو (تموز) ١٩٩٠ الى مكتب في قلعة براغ يطل من نافذة عريضة على سطوح المدينة المذهبة الحافات والمكسوة بالسخام. فنظّم أجهزة الرئاسة على نحو عصري، وأسس لجان عمل منتظمة، وأصبحت جميع المطالب تمر عبر مكتبه قبل أن تصل الى الرئيس. وزُوّدت مكاتب الموظفين آلات فاكس،[٢] وحُددت مسؤوليات كل مستشار، وأصبحت السيارات تصل في مواعيدها، وباتت الوجبات الخفيفة الطيبة تقدم خلال حفلات الاستقبال الرسمية.

ويقول بيري هايك الذي كان وزيراً للخارجية في أثناء "ربيع براغ" الجهيض، وهو يرئس اليوم لجنة حقوق الانسان في هلسنكي: "إن خبرة شفارزنبرغ وفاعليته وبصيرته ساعدت كثيراً على إحلال النظام في مكتب الرئيس. وهو يجسد كل القوى التي تعمل لاعادة بناء الوعي القومي التشيكوسلوفاكي ولدمج البلاد في أوروبا موحدة."

الامير والرئيس. يبقى دور الصديق المؤتمَن والصوت الناقل هو الدور الأهم الذي يضطلع به شفارزنبرغ بالنسبة الى الرئيس. فالرجلان في منتصف العقد السادس، وهما يلتقيان مراراً في اليوم، وكلما أتاحت لهما برامج العمل الحافلة فرصة سانحة، تراهما يتجاذبان أطراف الحديث الى طاولة في أحد المقاهي. وهما متكاملان أيضاً، فحيث يتصرف هافيل بفطرة متسرعة، يتريّث شفارزنبرغ ليمحّص حسنات الأمور وسيئاتها. يقول زانتوفسكي: "هافيل فنان يفجر أفكاراً لامعة، وشفارزنبرغ واقعي يؤمن الثبات والتبصر."

يشعر الرئيس بارتياح أكبر عندما يشرب فنجان قهوة مع أصدقاء مقربين حيث لا يكبله البروتوكول. وعلى رغم أنه كاتب لامع وخطيب بارع فهو لا يتكلم لغة أجنبية، خلافاً للامير الذي لا تزعجه الاجواء الديبلوماسية والذي يتكلم الالمانية والفرنسية والانكليزية بطلاقة فضلا عن لغتة التشيكية الأم، مما يجعله صاحب دور رئيسي خلال رحلات هافيل خارج البلاد.

ويتمتع شفارزنبرغ بحدس قوي في السياسة الواقعية وبحنكة عملية مما يعزز

(٢) الفاكس أو التلفاكس وسيلة اتصال حديثة تعتمد الهاتف الدولي. تُدخل الورقة التي يُنوى ارسال محتواها في جهاز الفاكس المرسِل، فتخرج نسخة طبق الاصل في جهاز الفاكس المرسَل اليه.

تأثيره في الأحداث. ففي يوليو (تموز) ١٩٩٠ كان هافيل يعدّ لالقاء خطاب في حفلة افتتاح مهرجان سالزبور، ولما أعلن الرئيس النمسوي كورت فالدهايم المتهم باخفاء ماضيه النازي عزمه على حضور الافتتاح، لقي احتمال التقاء الشخصيتين انتقادات شديدة. حتى أقرب المقربين الى هافيل طالبوه بالغاء الزيارة. لكن شفارزنبرغ لم يشاطرهم الرأي وحذّر من عواقب العدول عن الزيارة ومن الضرر الذي سيلحقه بعلاقات تشيكوسلوفاكيا مع النمسا والمانيا. بيد أنه اقترح، في المقابل، أن يتطرق خطاب هافيل الى موضوع "تزوير التاريخ" بدل تفاديه كليا.

وفي ٢٦ يوليو (تموز) ألقى هافيل خطاباً حاذقا في قاعة مهرجان سالزبور دان فيه محاولة تزوير الماضي. فاحتشد جمع غفير من المصورين لالتقاط صور لهافيل وفالدهايم وهما يتصافحان. ولما ظهر الرئيسان وقف شفارزنبرغ ومساعدوه أمامهما بلباقة لحجب الرؤية عن الصحافيين، وأبعدوا بعض الذين تمركزوا في مواقع كاشفة. فتصافح الرجلان وافترقا من دون أن تُلتقط لهما صورة واحدة تتصدر الصفحات الاولى.

حتمت المهمات الجديدة على شفارزنبرغ التخلي عن متعة العيش في فيينا في مقابل ١٦ ساعة من العمل المرهق في براغ. لكن عبء العمل يكلفه ضريبة واضحة. فقد احتقنت عيناه وعبث التعب بوجهه وترهل جسمه. ولم يعد يحظى بوقت لمواصلة أعماله التجارية في فيينا. ولكن عندما يُسأل عن الأمر يفترّ ثغره عن ابتسامة ساخرة ويقول: "قررت أن أطرد نفسي من العمل." واستعاض عن قصره في فيينا بشقة من غرفتين تبعد بضع خطوات عن مكتبه، وهو لا يزور عائلته سوى مرة في الشهر.

يقول هافيل في شفارزنبرغ: "إنه اضطر الى البقاء فترة طويلة خارج وطنه، لكنه ظل وطنيا أصيلا. وهو، وإن خصّ بلاده بالعون، فسيظل أبداً أحد عظماء الاوروبيين في عصرنا."

تبقى الأنوار مشعة في مكتب رئيس أركان هافيل الى ساعة متقدمة من الليل. لكن كارل شفارزنبرغ لا يتبرّم، لأنه عاد الى وطنه.

وليم إشيكسن ■
ترجمة مايا باسيل

حبيب القلب

كان زوجي غائباً في رحلة عمل، فأمضيت وابنتي الصغيرة ليلة لوحدنا. أعددنا قالب حلوى وقرأنا قصصاً ثم أدرنا التلفاز وجلسنا في الاريكة. وغمرني حنان مفاجىء فقلت لابنتي: "اقتربي اكثر يا حبيبتي."
فقامت للحال وجلست أمام التلفاز.

ج. ن.

في كل ناحية أمثلة عن الشجاعة
والتعاطف والاحساس بالواجب
هنا أربعة منها

أقوى من الخوف

ذات صباح صيفي، فيما كان راي بلانكنشيب يحضر طعام الفطور، التفت الى النافذة فرأى فتاة صغيرة تنجرف مع سيل مياه المطر الى قناة التصريف المجاورة لمنزله في بلدة أندوفر بولاية اوهايو. كان راي يعرف أن القناة تغور تحت الطريق بعد مسافة قصيرة لتفرغ مياهها في المجرور الرئيسي.

اندفع راي من باب منزله وأخذ يركض في محاذاة القناة محاولا استباق الطفلة الغارقة، ثم ألقى بنفسه في المياه المزبدة العميقة. وما هي الا لحظات حتى طفا ممسكاً ذراع الطفلة وراح يتخبط معها تجرهما المياه المتدافعة. وقبل أن يبلغا هوة المجرور الفاغرة لابتلاعهما، لمست يد راي الطليقة شيئاً - ربما صخراً - ناتئاً من احدى ضفتي القناة، فتشبث به يائساً. إلا أن قوة المياه الهائلة هددت بانتزاعه هو والطفلة وجرهما بعيداً. ففكر: "ليتني أستطيع الصمود حتى وصول النجدة." لكنه حقق ما هو أفضل من الصمود، اذ عندما وصل المنقذون من دائرة الاطفاء كان راي سحب الفتاة الى موقع أمين. فعولج الاثنان من آثار الصدمة.

في ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٨٩ مُنح راي بلانكنشيب ميدالية خفر السواحل للانقاذ، وهو تقدير استحقه بجدارة لأنه، بنكرانه ذاته، عرَّض نفسه لخطر فاق ما اختبره معظم الناس.

ذلك لأن راي بلانكنشيب كان لا يجيد السباحة!

بول هارفي

في "لوس انجلس تايمز"

فرصة ثانية

شيء ما في صوت ستيفن بيرمان حرّك روبرت فريدي ذات يوم بارد من العام ١٩٨٨. اقترب بيرمان من سيارة فريدي على أحد تقاطعات الطرق في نيويورك آملا الحصول على بعض المال في مقابل غسل زجاج السيارة. فشغّل فريدي المساحات مشيراً الى عدم رغبته في غسل الزجاج.

فانحنى بيرمان على النافذة وقال: "هيا يا سيدي، امنحني فرصة، انني في حاجة الى عمل."

وقبل لحظات من تحرك السير أعطى فريدي الرجل بطاقته الشخصية طالباً منه أن يتصل به اذا كان جاداً في البحث عن عمل. وكان فريدي أنذاك مديراً عاماً لفندق بيركلي – كارترت في نيوجرزي.

يقول بيرمان، وهو سائق تاكسي وليموزين وشاحنة كان عاطلا عن العمل: "أخبرني اصدقائي انه كان يحاول التملص مني، لكني قلت لهم: لا، انه رجل أعمال، ولن تضيرني المحاولة."

وبعد يومين دخل بيرمان (٢٩ عاماً) بهو الفندق الفخم في المنتجع البحري العريق. فما كان من فريدي الا أن منحه عملا وسكناً وثلاث وقعات يومياً، كما أقرضه بعض المال خلال فترة تدريبه.

واليوم، يعمل بيرمان بدوام كامل في اعداد قاعات الحفلات المخصصة للقاءات رجال الاعمال. وهو استأجر بيتاً وتزوج وسدد ما استدانه من فريدي.

يقول بيرمان: "لقد منحني السيد فريدي فرصة ثانية لم أتردد في الافادة منها. كان في امكاني أن أمكث فترة هنا ثم أغادر. ولكن لا مستقبل في غسل زجاج السيارات."

يلتزم فريدي الحذر في تعامله وأبناء الشارع النيويوركي. ويقول: "لكن بيرمان بدا أميناً وصريحاً، اذ سألني منحه فرصة بدلا من طلب المال. انني لا أعطي بطاقتي الشخصية امرأً لا أعرفه، لكنني سعيد لانني فعلت هذه المرة."

"اسوشييتد برس"

صديق النهر

خفف ريموند بروفيت من سرعة سيارته البرمائية واقترب من المكان المشتبه فيه حيث طالعته كومة مفتتة من الاسفلت والاسمنت على احدى ضفتي جدول نيشاميني، وهو رافد موحل لنهر ديلاوير. وكانت الكسارة تُستخدم لتحويل المستنقعات أراضي جافة.

فقال بروفيت في نفسه: "لم تكن هذه الكومة هنا قبل ستة أشهر، وأنا أكيد من أنها وضعت بطريقة غير مشروعة. سألاحق الفاعلين."

لم يكن كلام بروفيت تهديداً فارغاً. فهذا الرجل المشاكس، الذي عمل في الماضي وسيطاً تجارياً وطياراً اختبارياً، وضع في طليعة اهتماماته مقاضاة مسببي التلوث في هذه المنطقة من جنوب

شرق بنسلفانيا. وكان ربح عدة دعاوى قضائية وظل يتابع بضع عشرة قضية عالقة.

بدأت "دعاوى المواطن" هذه اوائل السبعينات عندما أقر الكونغرس قوانين بيئية تسمح للمواطنين بمقاضاة مسببي التلوث والمسؤولين الحكوميين. وكان بروفيت رفع دعاوى أمام القضاء على شركات مساهمة ومؤسسات لتطوير الاراضي وحتى على مدير الوكالة الاتحادية لحماية البيئة.

وبفضل ألاعيب بروفيت القانونية صرفت السلطات البلدية في مدينة موريسفيل مبلغ ٨،٥ ملايين دولار لتحسين نظام معالجة مياه المجاري وتوسيعه ليشمل مناطق أكبر. كما اضطرت شركة "يو اس ستيل" (المعروفة اليوم باسم USX) التي تملك مصنعاً للفولاذ على النهر، الى دفع غرامة مالية باهظة فضلا عن تحسين طرق معالجة نفايات المصنع ولَحْظ مساعدات مالية لمجموعات حماية البيئة في المنطقة.

يقول بروفيت: "لم أبدأ مقاضاة الناس الا بعدما اكتشفت أنني لم أنجز شيئا بالتوجه الى الهيئات المختصة. أحس أحياناً بالاحباط، ولكن حذار الوقوف في طريقي. فأنا أعمل من أجَل النهر."

تيموثي أبل

في "كريستشان ساينس مونيتور"

لاعب شجاع

يهوى تاكر تشيرش (١٧ عاما) لعبة البايسبول (كرة القاعدة) مع أنه يجد صعوبة في ممارستها. فهذا الفتى التكساسي الذي ولد مصابا بالشلل المخّي* لا يزن سوى ٢٥ كيلوغراماً ولا يتجاوز طوله ١٤٥ سنتيمتراً. تقول والدته: "قدماه وركبتاه متقوسة على نحو حاد، وكثيراً ما يقع على أرض الملعب."

أصر تاكر على الانضمام الى فريق الفتيان في هيوستون بتكساس، على رغم أن الاولاد في سنه كانوا أضخم وأسرع منه كثيراً. وتقول والدته: "لم يكن له سبيل الى المنافسة."

ويذكر سكوت ديفيس مدرب فريق "شاربستاون بايرتس" الذي صادف أن راقب تاكر في بعض محاولاته: "أخبرته أنني سأكون سعيداً بانضمامه الى فريقي الذي تراوح أعمار لاعبيه بين ٩ أعوام و١٣ عاماً. كنت أدرك أنني أخالف بذلك قانون العمر. لكن الصبي كان شديد التوق الى لعب البايسبول."

بذل تاكر قصارى جهده طوال الموسم. وكان ينجح أحياناً في رد الكرة برفق.

بيد أن المسؤولين عن الفريق تلقوا قبيل المباراة النهائية شكوى تفيد أن المدرب ديفيس يخالف قانون العمر. ويقول ديفيس: "كانوا يعرفون أن تاكر لن يستطيع تسجيل أي اصابة أو المساهمة

(*) Cerebral palsy

في كسب أي مباراة. لكنهم أرادوا ان ننسحب من الدورة. فأُبلغت أن عليَّ طرد تاكر والتنحي عن منصبي."

تقول جودي تشيرش: "بكيت وأنا أشرح الامر لتاكر. فانسحب الى غرفته وأغلق بابها. انه طفل، وما حدث آلمه. لكنه أخبرني لاحقاً أنه حزين بسبب ما لحق مدربه، اذ لا يجوز أن يخسر المدرب وظيفته لمجرد أنه حاول مساعدته."

ذهب تاكر لمشاهدة المباراة النهائية. فطلب زملاؤه في الفريق، وأعضاء الفريق المنافس، السماح له باللعب. فوافق ديفيس. وفي نهاية المباراة حمل اللاعبون تاكر وطافوا به في الملعب. وتقول أمه: "لقد أبكت هذه البادرة الجميع."

أما ديفيس فيقول: "كان عليّ ان أسمح لتاكر بالمشاركة في المباراة النهائية، لانني كنت مدركاً في قرارة نفسي أن ابعاده عن الفريق خطأ."

ويقول تاكر: "انني ممتن جداً للمدرب ديفيس. فأنا أعلم أني لست أفضل اللاعبين."

بوب غرين

في "شيكاغو تريبيون"



سائق نزيه

مددتُ يدي الى جيبي لأدفع ما عليّ في المتجر، لكنني لم أعثر على ورقة العشرين ديناراً التي كنت وضعتها في جيبي قبل قليل. فعدتُ أدراجي الى حيث ترجلتُ من سيارتي في الموقف علّني أجدها هناك. فسألني سائق سيارة أجرة متوقفة بقربي: "عمَّ تبحث؟"

أجبته: "عن عشرين ديناراً."

فقال لي وهو يناولني الورقة المالية: "هاكها."

فشكرته غير مصدق وسألته ماذا يمكنني أن أفعل له عرفاناً بالجميل.

صمت الرجل لحظة ثم قال لي قبل أن ينطلق بسيارته: "يمكنك أن تخبر كل من تشاهده أن من أعاد اليك مالك الضائع هو سائق سيارة أجرة."

ج.ف.

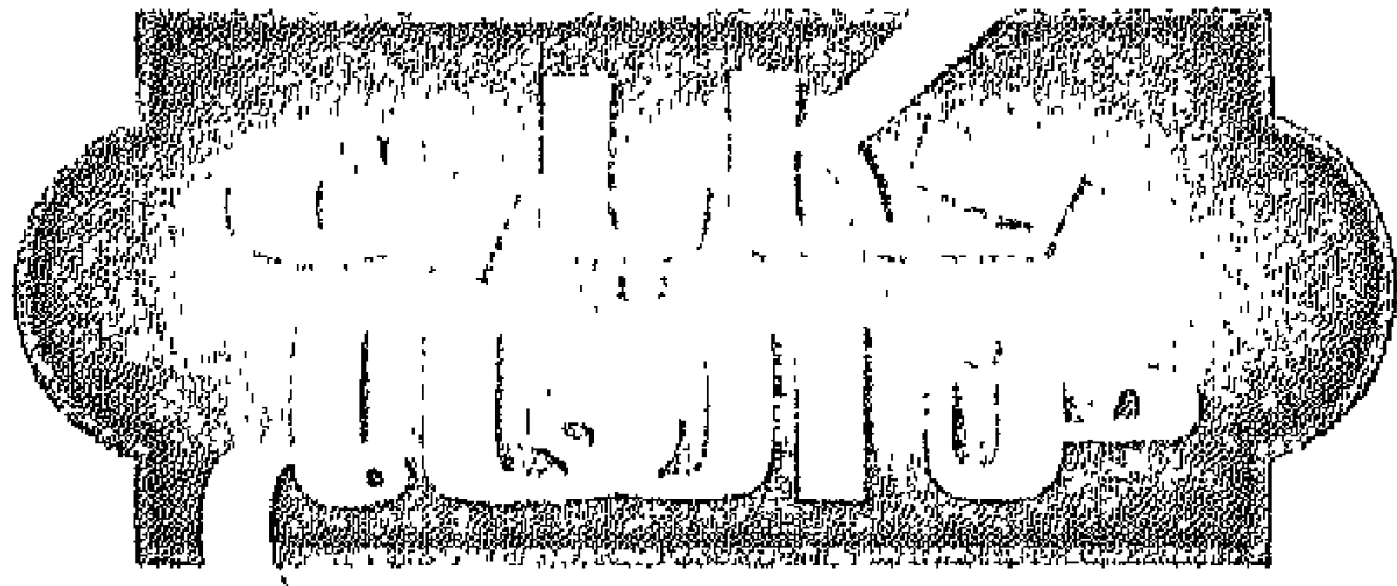
رئيس شاب

انتابني بعض القلق في بداية وظيفتي الجديدة مندوباً لشركة يرئسها شاب. لكن قلقي تبدد حين كنتُ مع الرئيس في سيارته ذات يوم، واذا به ينظر في مرآته ثم يصيح: "لا!" ويوقف السيارة ويقفز خارجاً ليعبر بين السيارات المسرعة فيلتقط سلحفاة تدب على الطريق ويحملها الى حيث الأمان.

وحين عاد الى السيارة قال ببساطة: "كانت لدي سلحفاة في صباي."

فأدركتُ حينذاك أن الشركة في يدين أمينتين.

م.غ.



بصمات الكوالا

□■ تقوم شرطة كوينزلاند وباحثون في جامعة كوينزلاند بأخذ بصمات حيوانات الكوالا للحؤول دون سرقتها من الغابات وحجزها في اقفاص في متنزّهات سياحيّة. ومع أن اكفّ الكوالا لا تحمل بصمات، فان رؤوس أصابعها تظهر نمطاً يعتقده الباحثون فردياً مثل بصمة الانسان. وبهذه الطريقة يستطيع حراس الغابات أن يتأكدوا من "بصمات" أيّ كوالا اذا ما شكوا في أنه مسروق.

صحيفة "وول ستريت"

شرقيون في باريس

□■ تشهد باريس دفقاً من السياح الآتين من بلدان أوروبا الشرقية لمشاهدة المدينة الجميلة. والحقيقة أن "مشاهدة باريس" هي أقصى ما يستطيعه نصف مليون من السياح البولونيين والتشيكيين والمجريين، فحتى تناول فنجان قهوة في مقهى على الرصيف هو ترف مكلف بالنسبة اليهم. وغالبية السياح الأوروبيين الشرقيين يسافرون الى فرنسا جماعات في حافلات (باصات) مدفوعة الأجرة. وينام كثيرون منهم على مقاعد الحافلات أو في مهاجع للطلبة أو ينصبون خيماً في غابة بولونيا على أطراف باريس حين يكون الطقس دافئاً.

وتقول فلاستا فالنتوفا وهي مراسلة اذاعيّة من براغ: "كان حلمي أن أسافر واتعرف الى أماكن جديدة. ومجرّد زيارة باريس ومعرفة أن في امكاني العودة اليها ساعة أشاء امر كافٍ بالنسبة اليّ."

صحيفة "نيويورك تايمز"

كولومبس في الفضاء

□■ هل صحيح أن عوالم في الفضاء الخارجي تحاول الاتصال بنا عبر اشارات تبثها الى الارض؟

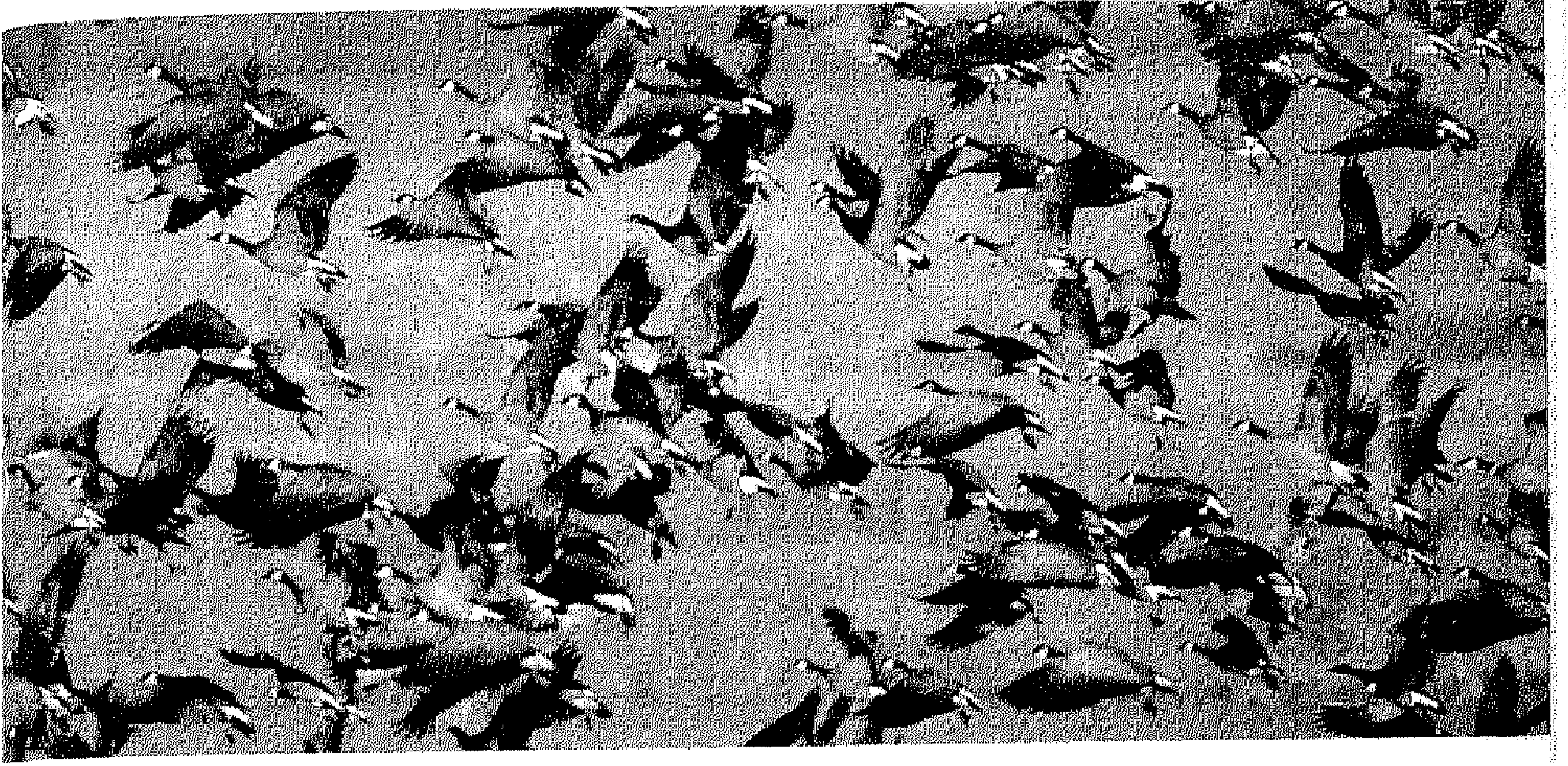
ترغب وكالة الفضاء الامريكية (ناسا) في معرفة الجواب، وهي تعد مشروعاً لعشر سنين يبدأ في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٢، لمناسبة مرور ٥٠٠ سنة على وصول كريستوفر كولومبس الى العالم الجديد، وغايته البحث عن "كائنات ذكية" في الفضاء الخارجي. وسيكون البرنامج أضخم تحقيق من نوعه أبداً، ويشارك فيه علماء من أنحاء العالم. وسيتركز قسم من البحث على نحو ٨٠٠ نجمة شبيهة بشمسنا، فيما يعنى قسم آخر باجراء مسح شامل للمجرات. وستعمل أجهزة كمبيوتر بتآلف مع نحو ٣٠ مليون قناة راديو في آن.

وسيحاول العلماء تلقّي اشارات فحسب، لا بثها، لان أي كائنات من الفضاء الخارجي تحاول الاتصال بنا حالياً تستخدم، على الارجح، وسائل أكثر تطوراً مما لدينا.

يقول مايكل كلاين العالم الفلكي في "ناسا": "سنكون أطفالا من الناحية التكنولوجية، لذا حري بنا أن نستمع."

مجلة "ناشونال جيوغرافيك وورلد"

نفحات أمل يجيء بها طيران غامض



على جناح طائر

الأصوات الاولى انساقت إليّ في نومي، خافتة كضوء النجوم يخترق الأشجار. ثم دنت. وعندما نهضت وأصبحت خارج الخيمة لم يعد مصدرها موضع شك، حتى في الظلمة. طيور! أجنحتها تنفض الهواء فوق رأسي. أصيخ السمع حتى ترحل وتتلاشى أصواتها، فأحس أن عضلات ذراعيَّ مشدودة وكأني كنت أحلم بالأجنحة.

يؤكد علماء النفس أن الطيران هو أحد المواضيع الاكثر شيوعاً في الأحلام. واذ كنا نُسأل، ونحن تلاميذ صغار، أي الحيوانات نرغب في التشبه بها، كان الجواب غالباً: الطيور. فتحليقها يوقظ في مكنوناتنا حافزاً دفيناً على أن نلمّ شعثنا ونرحل، مستكشفين ذاك القابع خلف الأفق.

والهجرة من أعظم ايقاعات الطبيعة. انها نبض كوكبنا. والطيور، بغالبية أنواعها الـ ٨٦٠٠، تمارس هجرة موسمية ما بين تحليق وجيز للعصافير على سفح جبل وارتحال الخرشنة القطبية[١] مسافة ٣٥ ألف كيلومتر. ومع الربيع تنساق مئات

(١) Arctic tern

ملايين الطيور الغرّيدة آيبة من الجنوب كأنها نغمات موسيقية متلونة، واخطةً السماء بأجنح كأنها الأنهر الداكنات.

حكاية قديمة. هجرة الطيور معروفة منذ الأزمان السحيقة. وقد اتخذ قدامى الفرس غدوّ الطيور ورواحها أساساً للتقاويم الاولى المكتوبة. وكثيرون منا يبرمجون أعمالهم استناداً إلى وصول أول طائر حناء[٢] أو تغريد أول دُخلة.[٣]

ان تواري الطيور وظهورها مجدداً كل عام أوحى الى الناس نظريات طريفة. فحتى القرن السادس عشر اعتقدوا أن السنونو تمضي الشتاء في قيعان البحيرات بلا حراك، محتشدة متراصّة كحصى مريّش. وبعد مئتي سنة أدى ارتسام ظلال الطيور في سماء الليل إلى اعتقاد مفاده أن طيور البط والاوز تمضي الشتاء مخوِّضة جذلة في بحار القمر.

أما اليوم فيقتفي البحاثة تحركات الطيور بوضع أطواق على أكثر من مليون طائر سنوياً. وبعضها مزوَّد أجهزة إرسال لتعقب الأسراب المهاجرة.

ما الحافز القاهر الذي يدفع الطيور إلى الرحيل؟

معظمها يهاجر سعياً الى الغذاء وليس فراراً من البرد. وعندما كثر مطعمو الطيور في المدن الشمالية اتسعت "المراعي" الشتوية للدوري والحسون وطيور الكاردينال[٤] مما يوحي أن الشتاء بقسوته لا يستطيع طرد بعض الطيور اذا كان لديها ما تقتات به.

وسبب آخر للهجرة هو الضوء. فالطيور قد تحتاج إلى مزيد من نور النهار لتربية صغارها أو حماية أنفسها من الكواسر التي تطوف ليلا بحثاً عن طرائد. ولكن كيف تقدر طيور صغيرة على قطع نصف المسافة حول العالم مرتين سنوياً؟ ان طريقة خط الطيور مساراتها فوق ألوف الكيلومترات من البلاد الغريبة تبقى لغزاً محيراً. لعل الغريزة ترفدها، ولكن معلوم أن الطيور تستعين بمعالم طبيعية تشابه اشارات السير في الشوارع: يساراً عند تلك الجبال... ثم انحداراً إلى النهر. وقد تهتدي في تحليقها بموضع الشمس.

وترتحل بعض أنواع الطيور ليلا، حين تكون الشمس والطبيعة محجوبة، فتهاجر مهتدية بالنجوم. وفي الليالي الغائمات تعرف بعض الطيور سبيلها باستشعار الحقل المغنطيسي للأرض بما يماثل بوصلة داخلها. ويعتقد بعض الباحثين أن حل اللغز كامن في مركّب يدعى "مغنتيت"[٥] اكتُشف داخل جماجم الحمام الزاجل.[٦] ويرى آخرون أن الطيور ترتحل مهتدية بآذانها، وتستبين الأصوات ذات الذبذبة الفائقة الانخفاض – مثل تقلّب موج المحيطات – من بُعد مئات الكيلومترات.

الرحلة الخطرة. ارتحال الطير ليس

---

(٢) Robin
(٣) Warbler
(٤) House finches and cardinals
(٥) Magnetite. وهو اوكسيد الحديد الاسود.
(٦) Homing pigeons

مأموناً على الدوام. ففي ديسمبر (كانون الأول) ١٩٨٧ عثر على نسر أصلع[٧] في ايرلندا، وموطنه الأصلي امريكا الشمالية. واتضح أن رياح الشتاء عصفت به فحرفته عن مساره وعبَرَ المحيط الاطلسي خطأ. وقد عاد النسر الاصلع إلى الولايات المتحدة مشعثاً، منهوكاً، مرتبكاً... في طائرة.

وحتى إن سلكت الطيور المسار الصحيح، فطيرانها عبر القارات محفوف بالمخاطر. فالطيور الغرّيدة قد تفقد قرابة نصف وزنها خلال عبور واحد فوق بحيرة كبيرة. وينفق نحو ٩٠ في المئة من فراخ الطيور الغريدة المهاجرة، في الطريق أو في البقاع الشتوية. وتقضي الضواري والعواصف الفجائية والامتدادات المائية على كثير منها. كذلك يفعل سوء التوقيت، فالرحيل المتأخر يحمل خطر هبوب العواصف، فيما الابكار قد يعني حرماناً من الغذاء الذي ما زال محتجزاً تحت الثلوج.

زد على ذلك العوائق التي اصطنعها الانسان، من مبانٍ شاهقة وهوائيات ومنائر وطائرات. فيٍ احدى ليالي مارس (آذار) ١٩٠٤ خُيّل إلى حارس محطة كهرباء في بلدة صغيرة جنوب غرب ولاية مينيسوتا أنه سمع كرات ثلج ترتطم بالسقف. وانجلى الفجر عن منظر مريع: جيَف ٧٥٠ ألف طائر من نوع أبو مهماز[٨] منتشرة في أرجاء البلدة.

أما الطيور المهاجرة التي تبقى قيد الحياة فتعود الى مواطنها مطلع الصيف. ويقدَّر عدد الطيور في ذروة الموسم بعشرين ملياراً في أمريكا الشمالية وحدها. ودورها لا يقتصر على الزقزقة ومَوْسقة الأيام، بل انها رسل الصحة البيئية في العالم، تصل ما بين بلدانه بضفائر من طيران.

ومصير هذه الطيور مرتبط، على نحو لا فكاك منه، بمصائر البيئة في أماكن شبه مجهولة على الخريطة، هي محطات تستقطب ملايين الكائنات المجنحة كل عام. وهذا التركيز الكثيف على بقاع قليلة يشجع منظمات مثل "جمعية أودوبون" على بذل جهود لضمان عدم تفكك هذه "الحلقة" في عالم تصل أطرافه خفقات أجنحة.

رحيل الطيور جزء من أحلامنا، وأوبتها توكيد على الأمل البازغ بين ظهرانينا.

جيف رينيك ■

(٧) Bald eagle
(٨) Lapland longspur

مستشار إعلامي

تقدّم رجل لوظيفة مستشار إعلامي لاحد السياسيين. وبعد أيام جاءه الجواب: "ان وثائقك الشخصية التي قدمتها الينا ملأى بالمبالغات والتحريفات وأنصاف الحقائق والاضاليل. لذلك يمكنك أن تبدأ العمل صباح الاثنين."

ج.د.

حقائق علمية تكشف تأثير اختيار الطعام في حياتنا



تبدأ الصحة الجيدة على مائدة الطعام. فالغذاء اليومي مليء بمقومات ذات فاعلية شافية تعزز النشاط وتساعد في الوقاية من المرض وتجعلنا نشعر بحال أفضل ونبدو بحال أفضل. لقد قرأتم جميعا عن أهمية الألياف ولحم السمك. الا أن هناك طرقا جديدة تمكنكم من بلوغ فوائد أعم اذا ما اتبعتموها في وجباتكم اليومية:

حاربوا الدهنيات

• **اختاروا الالوان الفاتحة**. يحوي لحم الطيور المسلوخة الجلد القاتمة اللون ٢٠ في المئة أكثر من الوحدات الحرارية، و١٠ في المئة أقل من البروتيينات، من اللحوم المسلوخة الجلد الفاتحة اللون، فضلا عن ضعفي كمية الدهن.

● **افحصوا البسكويت الذي تتناولونه.** يتأتى نصف عدد الوحدات الحرارية (كالوري) في معظم أنواع البسكويت من مكوّنات دهنية. ولكي تختبروا النوع الذي تتناولونه افركوا قطعة بفوطة ورقية. فاذا وجدتم أثر شحم على الفوطة جربوا نوعاً جديداً.

● **حاذروا الكثرة.** بينت دراسة أجراها خبراء في جامعة ولاية جورجيا أن ما يتناوله المرء من طعام يزداد تبعاً لعدد الاشخاص المشاركين في المائدة. وفي هذه الدراسة أن حجم الوجبات التي تناولها ٦٣ شخصاً من البالغين المعافين الذين راوحت أعمارهم بين ١٩ و٥٤ عاماً زاد بنسبة ٤٤ في المئة عندما شاركهم آخرون في الطعام مما دفعهم الى استهلاك مقادير أكبر من الدهنيات والوحدات الحرارية.

تحصّنوا من الأمراض

● **أعيدوا القنّبيط الى لائحة طعامكم.** أثبتت عشرات الدراسات أن الذين يكثرون من أكل الخضر هم أقل عرضة للاصابة ببعض أنواع السرطان من المقلّين. فالقنبيط مصدر غني بعاملين مضادين للسرطان هما الفيتامين "ج" والكاروتين البائي،[1] كذلك البطاطا (البطاطس) الحلوة والفلفل الاحمر الحلو واللفت. أما السبانخ فغنية بالحمض الورقي[2] الذي قد يقي من المتغيرات الخلوية المحتمل تحولها سرطانية في الرئتين والرحم.

● **استخدموا الميكروويف.** من الافضل طهو الخضر بسرعة، والميكروويف[3] يحفظ المواد المغذية مثل الفيتامين "ج" على نحو أفضل كثيراً من غليها على مهل في كميات كبيرة من الماء. أما الامثل فهو عدم طهو الفاكهة الطازجة والخضر النيئة لأنها، اذا ما احتفظت بكامل محتواها من الفيتامينات الضرورية، تشكل وقاية فاعلة للصحة.

● **انتقوا الالوان القوية.** اختاروا الفاكهة والخضر ذات الالوان القوية. فالجزرة ذات اللون البرتقالي الساطع، مثلاً، تحتوي على كمية من الكاروتين البائي أكبر مما تحويه جزرة بهت لونها. وأوراق الخس الداكنة الخضرة فيها من الفيتامينات أكثر من الاوراق الفاتحة.

● **حافظوا على بصركم.** يشير بعض الدراسات الى أن الفاكهة والخضر الغنية بالفيتامين "ج" والاصباغ الجزرانية[4] – الحمراء والصفراء والبرتقالية – قد تساعد في الوقاية من السُدّ[5] (اعتمام عدسة العين) إضافة الى دورها الواقي

---

(١) Vitamin C and beta carotene
(٢) Folic acid . ويدعى ايضا الحمض الفولي. وسمي الحمض الورقي لانه قد يستخرج من اوراق النباتات. وهو من مجموعة الفيتامين "ب" المركّب.
(٣) الميكروويف هو فرن الموجة الصغرى.
(٤) Carotenoids

من بعض أنواع السرطان. وأظهرت دراسة في الشيخوخة أجراها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية ان نسبة الاصابة بالسُدّ بين المتطوعين الذين أفادوا أنهم تناولوا أقل من ثلاث حصص ونصف حصة من الخضر والفاكهة يوميا هي خمسة أضعاف تلك السائدة بين الذين يكثرون من تناول هذه الاطعمة.

• **خففوا من تناول اللحم الاحمر.** تشير دراسة أُجريت في أحد المستشفيات النسائية الى أن النسوة اللواتي أفدن أنهن يتناولن لحم البقر أو الغنم يوميا كطبق رئيسي هن عرضة للاصابة بسرطان القولون أكثر مرتين ونصف مرة من اللواتي يتناولن هذا النوع من الطعام أقل من مرة في الشهر. أما النسوة اللواتي يتناولن السمك والدجاج بدلا من اللحم الاحمر فهن أقل تعرضاً للاصابة بسرطان القولون.

ابنوا عظامكم

• **اختاروا الحليب.** يؤمِّن كوب من الحليب المقشود أو القليل الدسم (سعة ٢٣٥ مليليتراً) أكثر من ثلث الحصة اليومية المقترحة من الكلسيوم للرجال وللنساء ممن تجاوزا الخامسة والعشرين من العمر والتي تقدر بـ ٨٠٠ مليغرام.

• **كثِّفوا عظامكم.** لا تكتفوا بالحليب ومشتقاته لاستكمال حاجتكم اليومية من الكلسيوم. تقول خبيرة التغذية هيلين سونترتون إن الدجاج، عندما يُطهى في حساء حمضي من الخل أو البندورة (الطماطم)، تُطلق عظامه بعضاً من الكلسيوم. أما العظام المتناهية في الصغر التي تنسحن تحت أسنانكم وأنتم تتناولون سمك السردين، فهي غنية أيضاً بالكلسيوم. وهناك بديل آخر هو عصير البرتقال المقوّى بالكلسيوم. كما أن السبانخ وأوراق اللفت الخضراء والقنبيط هي مصادر أخرى غنية بالكلسيوم.

• **قسِّموا المعدل اليومي.** أشارت دراسة أجريت في كلية الطب التابعة لجامعة كرايتون في أوماها الى أن امتصاص الجسم للكلسيوم يزداد بنسبة ٥٠ في المئة لدى تناول ٥٠٠ مليغرام تكميلية على ثلاث دفعات (مع الطعام) بدلا من دفعة واحدة. وسواء اشربتم عدة أكواب من الحليب يوميا أم تناولتم مكملات الكلسيوم مع الطعام، فوزعوها على امتداد النهار لتحظوا بفائدة قصوى.

عززوا نشاطكم

• **اشحنوا جسدكم بالكربوهيدرات.** تناولوا الرز والخبز والبطاطا قبل الشروع في التمارين الرياضية كيما تزودوا عضلاتكم وقوداً وتزيدوا من قدرتكم على الاحتمال.

(٥) Cataracts

• **تذكروا الحمض الورقي**. يؤدي النقص في هذا الفيتامين الى الاجهاد وفقر الدم. أرضوا حاجة جسمكم اليه بالتهام السبانخ والكبد (السوداء) واللوبياء المكحلة والفاصولياء والعدس ورقائق الحبوب المقوّاة بالفيتامينات والقمح غير المقشور.

• **لا تنسوا المعادن**. يؤدي نقص الحديد في الطعام الى تدني النشاط وازدياد خطر الاصابة بفقر الدم. ففي دراسة أجراها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية تبين أن النساء اللواتي يتناولن ثلث الحصص المقترحة من الحديد يحتجن الى ساعات نوم أطول ويستيقظن خلال الليل أكثر من النسوة اللواتي تتوافر في نظمهن الغذائية كميات كافية من المعادن. ولرفع مستوى الحديد في جسمكم، عليك بالفاصولياء والسبانخ والمشمش المجفف والحبوب والمحار ولحم البقر الخالي من الدهن.

• **لا تهملوا الثيامين**. يساعد هذا العنصر الغذائي (ويدعى أيضاً الفيتامين ب ١) على اطلاق الطاقة الكامنة في الكربوهيدرات أثناء الهضم. أما لائحة الاغذية الغنية بالفيتامين فتضم بزر دوار الشمس والمعجنات ومشتقات الحبوب المقوّاة بالفيتامينات والخبز والرز. ولا تغسلوا الرز والمعكرونة قبل الطهو أو بعده، لانكم إن فعلتم تزيلون مادة الثيامين منهما.

• **عززوا نشاطكم الفكري**. قد تساعد الاطعمة الغنية بمعدن البورون، ومنها التفاح والخوخ والعنب والجزر والقنبيط، في الحفاظ على مستوى النشاط الفكري الطبيعي. وتشير دراسة أعدها مركز أبحاث التغذية التابع لوزارة الزراعة الامريكية الى أن الانسان يشعر بنشاط اقل اذا كانت وجباته فقيرة بمعدن البورون.

أنقذوا قلوبكم

• **حاذروا الكولسترول**. الغلوكانات البائية[٦] ألياف صمغية قابلة للذوبان في الماء، ثبتت فاعليتها في خفض نسبة الكولسترول في الدم. ومن مصادرها الغنية الشعير والشوفان الذي يحتوي كذلك على مركب زيتي[٧] يبطىء معدل انتاج الجسم للكولسترول. كما دلت احدى الدراسات على أن الشعير والشوفان فاعلان أيضاً في خفض مستويات الكولسترول في الدم.

• **راقبوا المغنيسيوم**. هناك ترابط واضح بين انخفاض مستوى المغنيسيوم في الجسم وارتفاع ضغط الدم. ولكي تعززوا مخزون المغنيسيوم في أجسامكم عليكم بالحبوب الكاملة والخضر الخَضرة والفاصولياء المجففة والجوز والبقول واللبن والحليب المقشود مع الشوكولاته.

(٦) Beta - glucans
(٧) Tocotrienol

• **تناولوا المحار.** ثبت أن التحذيرات السابقة من توافر كميات عالية من الكولسترول في بعض الحيوانات الصدفية هي انذار كاذب. وفي الواقع، قد يساعد تناول البطلينوس وبلح البحر والمحار والسلطعون وغيرها من الحيوانات الصدفية المائية في خفض مستويات كولسترول الدم لانها تحتوي على كميات قليلة من المواد الدهنية المشبعة. ففي دراسة أجريت حديثا في جامعة واشنطن في سياتل وشملت ١٨ رجلا ذوي مستويات طبيعية للكولسترول، أبدل المشتركون اللحم والجبن والبيض بالمحار مراعين استبقاء مستويات الدهن المحتواة في المحار في نصف المعدل الذي تضمنته وقعاتهم السابقة. وبعد ثلاثة أسابيع عمدوا خلالها الى أكل الطعام المطهو بالزيوت النباتية غير المشبعة، تبين أن مستوى أضرِّ أنواع الكولسترول انخفض لديهم بنسبة بلغت ١٤ في المئة.

ديان هايلز ■



امتحان قيادة

كان التوتر باديا على وجه ابنتي حين اصطحبتها الى مركز امتحان قيادة السيارات. وخشيتُ أن يؤدي اضطرابها الى رسوبها، فتلوتُ في سرّي صلاة صغيرة. وحين عادت الى البيت مبتسمة تحمل اجازة السَوْق أخبرتُها بما فعلتُ، ثم سألتُها عما اذا كانت تعتقد أن نجاحها يعود الى صلاتي، فأجابت: "لا شك يا أبي في أن لصلاتك دورا مهما. ثم إن الفاحص أدرك أنني متوترة الاعصاب، فسألني عما يستطيعه لمساعدتي، فطلبت منه أن يصرخ كل بضع دقائق لكي أتخيَّل أنه أمي."

ب.ك.

الحذاء الابيض

طلبت الزبونة من صاحب المتجر قبول إعادتها الحذاء الأبيض الذي اشترته قبل أيام. وبعدما تأكد الرجل من عدم انتعال الحذاء، سألها: "لماذا ترغبين في اعادته؟ ألم يناسبك قياسه، أم تريدين حذاء آخر؟"

فأجابته: "لا، لا. لقد أُلغي الزواج."

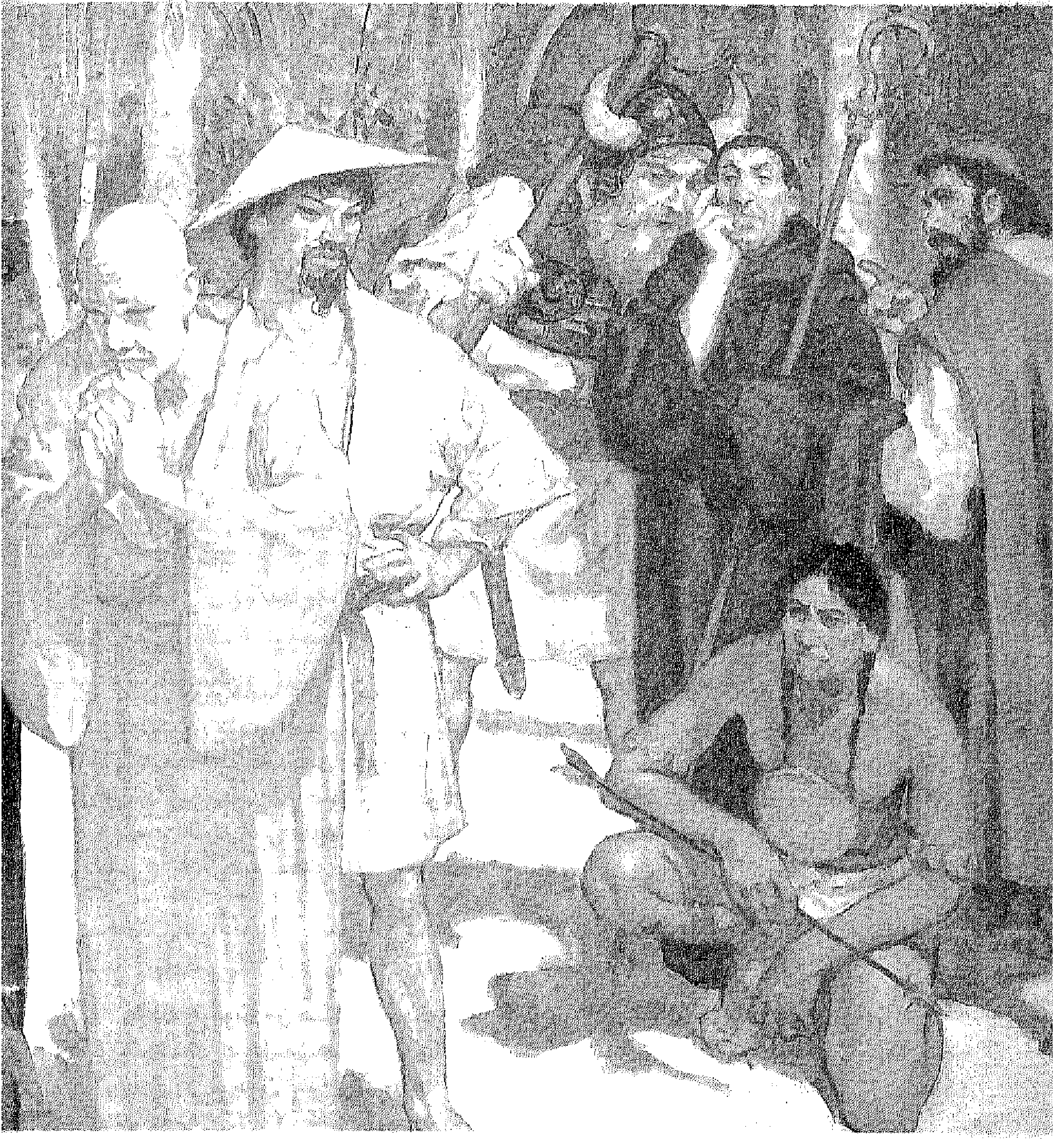
إ.د.

مرايا الحظ

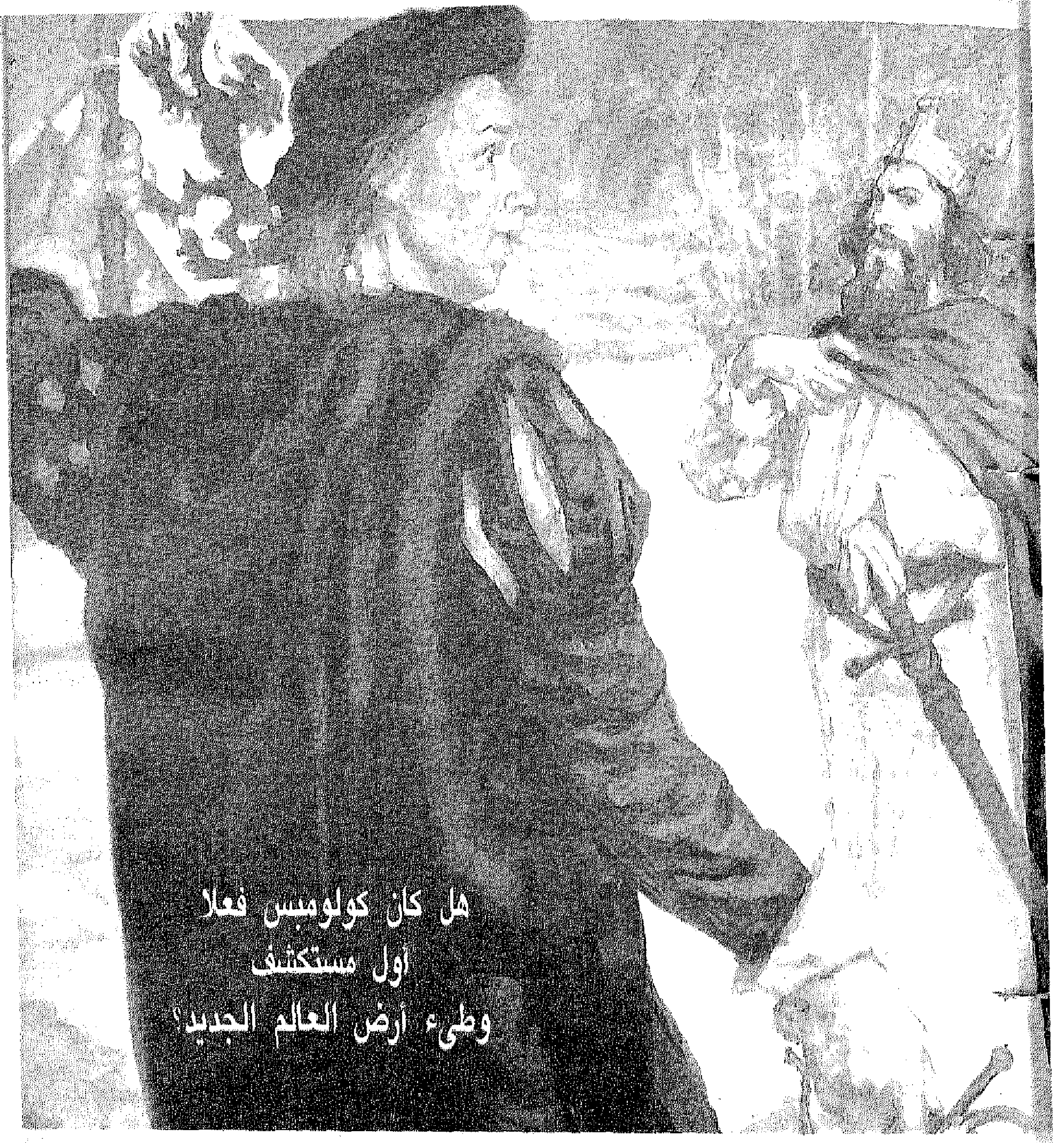
قال مروِّض في السيرك لقارئة الحظ: "أترين هذه الفتاة هناك؟ لقد أعجبتني. سأكلمها وأدعوها الى العشاء. فما رأيكِ؟"

فأجابته بسرعة: "اياك أن تفعل. لقد قلتُ لها قبل قليل إنها ستلتقي رجلا غير جدير بها، والأفضل لها أن تتجنبه."

غ.إ.



من اكتشف أمريكا؟



هل كان كولومبس فعلا أول مستكشف وطىء أرض العالم الجديد؟

تحتفل أمريكا هذه السنة بالذكرى المئوية الخامسة لرحلة كولومبس الاولى التي اكتشف فيها العالم الجديد. فمن يتجرأ على تشويه صورة ذلك المستكشف الشهير؟

الواقع أن بعض العلماء والمشككين يحاولون منذ عقود انزال كولومبس عن عرش مجده بطرح نظريات مختلفة مفادها أنه لم يكن أول مكتشف للعالم الجديد.

يقول عالم الآثار دين سنو: "هذه قضية لا حلّ لها. فلا سبيل الى معرفة بعض الامور." وتراوح النظريات

المتضاربة بين المقنعة المعقولة والمُحال المنافية للمنطق. وهنا خمس من النظريات المتطرفة حتى لكأنها من نسج الخيال:

يابانيون في الاكوادور. عام ١٩٥٦ عثر أحد المنقّبين الهواة في ساحل الاكوادور على كِسَر فخارية تعود الى خمسة آلاف سنة خلت. وحين فحصتها عالمة الآثار الامريكية بيتي ميغرز دهشت للتشابه الدقيق بين الكِسَر الاكوادورية والقدور المصنوعة في العصر ذاته في جزيرة كيوشو اليابانية. وهي تتذكر: "كانت متشابهة الى حد بدت الكسر كأنها من قدر يابانية."

خمّنت ميغرز أن عاصفة ضربت مركب صيد ياباني فانجرف في "تيار اليابان" شمالا شرقاً الى قبالة سلسلة جبال ألوشان في ألاسكا، فجنوباً في محاذاة ساحل أمريكا الشمالية حيث علق في تيارات مائية حملته الى شواطىء أمريكا الجنوبية.

ولماذا رسا المركب في الاكوادور؟ تجيب ميغرز: "ذلك بسبب نتوء الشاطىء هناك."

لكن المشككين يلمحون الى غياب أي دليل آخر على وجود ياباني في الاكوادور. ويذكرون باكتشافات حديثة تشير الى أن الصناعة الفخارية وجدت في العالم الجديد قبل وصول بعثة كيوشو المزعومة.

يهود في تنيسي. اكتشفت في العام ١٨٨٩ تسعة هياكل عظمية في مدفن في بات كريك بولاية تنيسي الامريكية. واعتقد العلماء أنها هياكل هنود حمر، وأن الكتابة المحفورة في حجر تحت إحدى الجماجم هي رسالة في لغة قبيلة "شيروكي." انما في العام ١٩٧٠ أعلن المؤرخ سيروس غوردن الخبير باللغات الشرق الاوسطية القديمة، أن الباحثين كانوا في الحقيقة يقرأون الحجر مقلوباً. واستنتج أن الكتابة تقرأ: "الى اليهوذيين" أو "الى يهوذا"، وتشبه تلك المنقوشة على قطع نقد عبرية تعود الى قرابة العام ١٣٠ الميلادي.

وعلى رغم التساؤلات المطروحة في أوساط علماء الآثار حول أصالة الحجر فذلك لم يزعج غوردن. وهو يقترح أن هياكل تنيسي التسعة قد تكون لأحفاد لاجئين يهود هربوا من اضطهاد روما ما بين العام ١٣٢ والعام ١٣٥. ويضيف: "تصوَّر نفسك هناك. أنت أحد الاقلية المضطهدة، وشعبك بحارة، فماذا تفعل لكي تنجو من الاضطهاد؟ تبتعد الى أقصى ما في امكانك، وتعمد حتى الى عبور المحيط الاطلسي." ومن ثم ربما دخلت خليج المكسيك وأبحرت في النهر بعكس اتجاه التيار ووصلت بطريقة ما الى بات كريك.

صينيون في المكسيك. افتتنت أجيال من العلماء بوجوه الشبه المدهشة بين الحضارة الصينية القديمة والحضارة المكسيكية ما قبل كولومبس، ومنها شعار التنين، واحتفالات استنزال المطر،

والفخاريات الثلاثية القوائم، واستخدام حجر اليشب[1] في تزيين المدافن، وتقنيات صنع الورق. فالمشهّرون بكولومبس يدّعون أن صينيا زار المكسيك. ويرجح كثيرون أن يكون ذلك الصيني هوي – شن الناسك من القرن الخامس.

وفي الرواية أن هوي – شن وأربعة نساك آخرين أبحروا عبر "البحر الشرقي العظيم" الى بلاد دعوها فو – سانغ حيث شاهد هوي – شن، وفق روايته هو، شجرة عجيبة تُنبت فروعاً تؤكل وثمراً أحمر ولحاء يستخدم في صنع الورق والقماش. وشجرة الباهرة (الاغاف)[2] المعروفة في المكسيك تنبت فروعاً طرية تؤكل، ويُستخدم لحاؤها في صنع الورق والقماش.

لكن رواية هوي – شن تحفل بالمغالطات. فشجرة الباهرة خالية من الثمر الاحمر. ثم ان ذلك الرحالة يصف ماشية وعربات مجهزة بعجلات لم تكن معروفة في المكسيك القديمة. واخيراً، ليس في "خزانة الآثار" شيء من مصنوعات هوي – شن.

انكليز في فلوريدا. جاء في كتاب بريطاني من القرن السادس عشر أن الامير مادوك كان محباً للسلام. وبعد وفاة والده ملك شمال ويلز دبّ الخلاف بين أشقائه، فارتحل مادوك في القرن الثاني عشر "الى ناحية من نوفا هسبانيا أو فلوريدا." وعاد الى ويلز فجمع حمولة عشرة مراكب من المستوطنين وتوارى ثانية في عباب البحر الغربي.

واستمر ترداد هذه القصة حتى القرن التاسع عشر تغذيها روايات عن هنود في أمريكا شقر البشرة زرق العيون. وتزعم النظرية الاكثر شيوعاً أن مواطني مادوك تزاوجوا والهنود وهاجروا الى داكوتا حيث عرفوا بـ"هنود ماندان."

ولكن، كما يلاحظ جيفري آش المؤرخ وعالم الميثولوجيا،[3] تذكر الروايات أن "الهنود الويلزيين كانوا غالباً متوغلين داخل البلاد الى أبعد من المكان الذي بلغه الرحالة." وربط مشككون آخرون توقيت إطلاق رواية مادوك بحاجة بريطانيا في تلك الحقبة الى دعم حقها في أمريكا الشمالية.

اسكندينافيون في بوسطن. في الستينات، أثبتت اكتشافات أثرية في نيوفاوندلاند أن اسكندينافيين قدماء سبقوا كولومبس الى نصف الكرة الغربي بنحو ٥٠٠ سنة.

فقد اكتشف عالم الآثار النروجي هيلغ إنغستاد مستوطنة اسكندينافية ومصنوعات يدوية تثبت صحة الاساطير الايسلندية القديمة الزاخرة بالمآثر البطولية.

ويُنسب الاكتشاف الاسكندينافي عادة الى ليف اريكسن. لكن الاساطير البطولية

---

(١) Jade
(٢) Century plant
(٣) الميثولوجيا علم الاساطير.

تذكر أن الاسكندينافي بيارني هيريولفسن كان أول من رأى أمريكا في العام ٩٨٦. ولو نزل الى الشاطىء لاستأثر بقسط أكبر من الاهمية في التاريخ. لكنه، كما يبدو، أبحر قبالة شواطىء كندا وعاد مسرعاً الى المستوطنة الاسكندينافية في غرينلاند. أما ليف، البطل المقدام، فتبعه بعد ١٤ سنة سالكاً الطريق من غرينلاند الى كندا، ونزل في مكان يدعى "فنلاند ذي غود." ويعتقد أينار هوغن الخبير بالكتابة الاسكندينافية القديمة أن ليف وصل الى ما يسمى حالياً بوسطن في ولاية مساتشوستس.

يأتي كريستوفر كولومبس على رأس قائمة طويلة من المدَّعين، لكنه يسمو فوقهم جميعاً، وصورته بقيت سليمة وإن اهتزت قليلاً.

يقول المؤرخ سيروس غوردن: "كان كولومبس رجلاً فريداً اذ ربط بين نصفي الكرة الارضية، شرقاً وغرباً، باخباره العالم كله عن رحلاته. فكان، اذا جاز القول، المكتشف الاول الذي عقد مؤتمراً صحافياً." وحتى إن سبقه آخرون الى العالم الجديد، فان إعلامه الواسع عن رحلاته هو الذي حمل الاوروبيين على استيطان العالم الجديد.

فماذا يفيدنا كل ذلك عن حقيقة اكتشاف العالم الجديد؟

لعل في قول طريف منسوب الى الكاتب الامريكي مارك توين ما ينطبق على الواقع: "إن أبحاث المعلِّقين ألقت كثيراً من الظلال والغموض والشكوك على هذا الموضوع. وأخشى، إن هم استمروا في أبحاثهم، ألا نعود نعرف شيئاً على الاطلاق."

دونالد ديل جاكسون ■



حصانان

ذهب الوكيل العقاري في جولة يعلّم خلالها الموظف الجديد اصول المهنة. ولاحظا على الطريق امام منزل ريفي لافتة قرأا فيها عبارة "للبيع." فدخلا المنزل ومضيا يجوبان غرفه ويستفسران عن السعر والشروط.

أخيراً قال لهما صاحب المنزل ملتقطاً انفاسه: "عذراً، يبدو انكما لم تقرأا اللافتة جيداً. لقد كتب عليها "حصان للبيع."

ب.و.

شهرة مخيفة

بعدما أنجز الرسام لوحة تمثل ثلاثة أولاد لعائلة ثرية، قال له صغيرهم: "هذه اللوحة تشبهنا حقاً. أراهن على أنك ستصبح شهيراً جداً بعد موتك."

أ.ج.

قوة الإرادة تصنع معجزات

مقاومة الاغراءات في نصف المعركة...

عملت باميلا جونسون خلال دراستها الجامعية مع عالم أنثروبولوجي* شهير. واذ سرتها التجربة، قررت التخصص بهذه المادة ومتابعة الدراسة بعد التخرج. لكنها سرعان ما تزوجت وأنجبت وتفرغت لعائلتها. وعلى رغم ذلك لم تفقد رغبتها في الدراسة ومساعدة الشعوب القبلية. وما ان بلغ ابنها عامه الثالث حتى عادت الى الجامعة لتنخرط في دراسة مضنية استغرقت أربع سنوات. وفي نهاية المطاف نالت شهادة دكتوراه وتسلمت مركزاً حكومياً مهما يعنى بمساعدة شعوب العالم الثالث.

نحن نحتاج أمام كل عقبة الى قوة ارادة فاعلة، كما نحتاج أمام كل قرار صعب الى قوة داخلية تدفعنا الى مواجهة التحدي وتتيح لنا الاستمرار. لكننا غالباً ما نقصر عن بلوغ غاياتنا، فنستكين قائلين: "إني لا أمتلك قوة ارادة كافية."

والحقيقة أن قوة الارادة ليست صفة مولودة ثابتة، انما هي مهارة تمكن تنميتها وتقويتها وتوجيهها.

كتب العالم النفساني الايطالي روبرتو اساغيولي قبل ٢٥ عاماً أن: "من أهم ما يعتمل في ذات الانسان من قوى دفينة هو ما يكمن في ارادته الذاتية من طاقة هائلة غير محققة." ويضيف العالم النفساني ألن مارلات الذي يدرس فعل الارادة في تغيير عادات الناس وحياتهم، أن "الارادة المدربة سلاح ماض. وقوة الارادة، كما تعرِّفها القواميس، هيَ سيطرة المرء على انفعالاته وأفعاله. والمفتاح هنا كلمتان: قوة وسيطرة. فالقوة موجودة، ولكن علينا السيطرة عليها."

أما السبيل الى تحقيق ذلك فهو، بحسب مارلات وغيره من الخبراء، الآتي:

كونوا ايجابيين. اياكم أن تخلطوا بين الارادة ونكران الذات. فقوة الارادة تكون أكثر ديناميكية عندما ترتبط بأهداف نبيلة وايجابية.

(*) الانثروبولوجيا او علم الانسان يبحث في اصل الجنس البشري وتطوره واعراقه وعاداته ومعتقداته.

أدرك رجل أعمال أنه يكثر من الشراب. لكن بضع كؤوس قبل العشاء كانت، كما بدا له، تخفف من وطأة توتره الناجم عن عمله المرهق. وسرعان ما كان النعاس يستبد به، فيستسلم لسنة الكرى. يقول: "أدركت ذات يوم أن الحياة تمر بي جزافاً." وبدلاً من المضي في عادته السيئة قرر أن يقضي مزيداً من الوقت في التحدث الى ابنه. وصعب عليه الامر في البداية، واشتاق الى ما يهدىء به أعصابه المشدودة. لكنه أيقن أخيراً أن ما حققه بانصرافه الى الحياة العائلية لم يكن خسارة، بل كسب أدى الى تعبئة طاقته للعمل على نحو لم يتصوره من قبل.

ان فعل الارادة الايجابي لأمر يساعدنا في التغلب على الخمول ويتيح لنا التركيز على المستقبل.

صمموا على أمر. حدّد جايمس بروشاسكا أستاذ علم النفس في جامعة رود أيلند أربع مراحل تدخل في صنع التغيير: مرحلة ما قبل التفكّر (مقاومة التغيير) ومرحلة التفكّر (مقارنة الايجابيات والسلبيات) ومرحلة الفعل (تطبيق الفعل الارادي لتحقيق التغيير) ومرحلة الدفاع (استخدام قوة الارادة لاستبقاء التغيير). ويصف بروشاسكا بعض الناس بالمتفكرين المزمنين الذين يدركون أن عليهم الاقلاع عن عاداتهم السيئة لكنهم ينزعون الى التروي فلا يقرنون القول بالفعل.

ولكي تتمكنوا من تركيز جهودكم وتعبئتها، اعتمدوا موعداً نهائياً لتحقيق أهدافكم.

بدأ القلق يساور معلمة المدرسة مارج كولينز بسبب ازدياد وزنها. ثم انتُخبت رئيسة لاحدى الجمعيات. فاشترت ثوبا أصغر من حجمها بقياسين، وعقدت العزم على انقاص وزنها سبعة كيلوغرامات لكي يتسنى لها ارتداؤه في الحفلة السنوية بعد ثلاثة أشهر. وفي الموعد المحدد كانت مارج بلغت هدفها المنشود.

ركزوا على أهداف محددة. أجرى العالم النفساني ألن مارلات دراسة على مجموعة من الناس الذين أخذوا قرارات بتغيير نمط عيشهم. فتبين له أن الأنجح بينهم كانوا أولئك الذين اعتمدوا أهدافا أكثر تحديداً. فلقد قرر أحدهم، مثلاً، أن يثني على زوجته كل يوم، فبقي محافظاً على قراره. أما الرجل الذي قطع على نفسه عهداً مبهماً أن يكون أكثر تعاطفاً مع عائلته، فعاد الى أسلوبه التشاجري السابق بعد أيام.

يقول مارلات في ذلك: "لا تقل سأُكثر من التمرينات أو سأزيد ساعات المطالعة، بل قل سأمشي حوالى ٤٥ دقيقة كل صباح أو سأُخصص ثلاث ساعات في الاسبوع للمطالعة."

آمنوا بقضاياكم. اذا كان ايمانكم بجدوى التمارين الرياضية ضعيفاً لأنكم لا ترون منافعها، فالرغبة وحدها لن تكفي.

ينصح مارلات زبائنه باعتماد شبكة

رباعية لادراج المنافع والاعباء في الآجال القصيرة والآجال الطويلة. فاذا قرر أحدهم، مثلا، الاقلاع عن عادة التدخين، فعليه مَلء أحد المربعين العلويين في الشبكة بالاعباء القصيرة الامد (مثل: سأعاني بادىء الامر) ومَلء المربع العلوي الآخر بالمنافع القصيرة الأمد (مثل: سأدخر مزيداً من المال). أما المربعان السفليان فمعدَّان لادراج المنافع الطويلة الامد (مثل: ستتحسن صحتي) في مقابل الاعباء الطويلة الامد (مثل: لن يبقى لدي مسكِّن آنيّ لتوتري). فالافصاح عن السلبيات والايجابيات وسيلة ناجعة تسهل على متَّبعيها تقوية اراداتهم وتفعيلها.

عزّزوا نظرتكم الى ذواتكم. يقول بروشاسكا إن معرفة المنافع وحدها لا تكفي. فالدافع الاقوى يتمثل في رغبة المرء في تحسين نظرته الى ذاته والتحكم في حياته. يقول: "الجدل العقلاني مقنع، لكن المرء لا يستجيب حقاً إلا متى أقحم عاطفته."

أصيب أحد المدخنين في كاليفورنيا بالتهاب في الشُعَب الهوائية، لكنه بقي يدخن ثلاث علب في اليوم على رغم تحذيرات الطبيب وما لحقه من سعال مؤلم. يقول: "أدركت فجأة كم أنا غبي، فأنا آذيت نفسي عمداً. ومراعاة لذاتي، أقلعت عن التدخين نهائياً." لقد منحته التفاتته الى ذاته الارادة الكافية للتغلب على عادته السيئة.

"تصرفوا كأنكم..." اشتهر الجنرال الفرنسي الفيكونت دو تورين في القرن السابع عشر بأنه كان يتقدم الجند في المعارك. ولما سئل عن السبب أجاب: "أتصرّف كأنني شجاع، على رغم أن الخوف لا يفارقني أبداً. لكنني لا أستسلم للخوف، بل أقول لجسدي: ارتجف أيها الجسد العجوز، ولكن سِرْ! فيسير جسدي طائعاً."

واذا تصرفتم كأنكم أصحاب ارادة صلبة، فان ذلك يساعدكم في أن تصبحوا كذلك فعلاً. ولا تكفوا عن التحدث الى أنفسكم قائلين: "اني لمصمم على ترك عادتي السيئة." ولسوف تنجحون.

اشحذوا ارادتكم. اقترح العالم النفساني بويد باريت عام ١٩١٥ لائحة نشاطات تكرارية من أجل تمرين الارادة، كأن يجلس المرء في كرسي ويقوم منه ثلاثين مرة متتالية، أو أن يفرغ علبة كبريت ويعيد ترتيب العيدان واحداً واحداً. وقد أكد باريت أن التمرينات هذه تقوي الارادة لمواجهة التحديات الصعبة.

وفي وسعكم اتباع هذا النمط وإنْ بدت مقترحات باريت قديمة العهد. ضعوا لائحة بالمهمات التي ينبغي عليكم تأديتها صباح العطلة، ولا تتناولوا الغداء قبل انجازها. حددوا يوماً في الشهر لدفع الفواتير المستحقة، والتزموا ذلك التاريخ.

استعدوا للمشاكل. ان مقولة "حيث توجد الارادة توجد طريق" هي

جزء من الحقيقة ليس إلا. فعليكم، اضافة الى قوة الارادة، أن تستبقوا العقبات وتخططوا لمواجهتها.

سول شيفمان أستاذ في علم النفس في جامعة بيتسبرغ عمل مع مجموعة أشخاص عادوا الى التدخين بعد فترة انقطاع. فتبين له أن معظمهم لم يحتطْ لمواجهة الدافع الملحّ الى التدخين. لقد تمكنوا بفعل ارادتهم من ترك هذه العادة، لكنهم لم يستطيعوا الصمود طويلاً. ولما عُرضت عليهم أول سيجارة وقعوا في حبائلها من جديد.

لذلك، اذا أقلعتم عن عادة سيئة، فتمرنوا على اجابة مناسبة تواجهون بها مَنْ قد يغريكم بالعودة اليها يوماً. وإذا قررتم ممارسة رياضة الهرولة صباحاً وأفقتم على عاصفة قوية، فكونوا مستعدين لممارسة بعض التمارين داخل المنزل.

كونوا واقعيين. قد تتداعى ارادة الانسان مهما عظمت عندما يسعى، مثلاً، الى انقاص وزنه ٢٠ كيلوغراماً خلال ثلاثة أشهر أو يرغب في ممارسة الرياضة ثلاث ساعات كل يوم. والاخفاق يطيح الرغبة في تكرار المحاولة.

قد يكون أفضل للمرء في بعض الاحيان أن يضع نصب عينيه مجموعة من الاهداف الصغيرة بدلاً من هدف واحد كبير.

قسموا هدفكم أجزاء يومية صغيرة كي يتجدد تصميمكم في اليوم التالي وتتجمع لديكم في نهاية الاسبوع انتصارات يمكنكم التطلع اليها برضى.

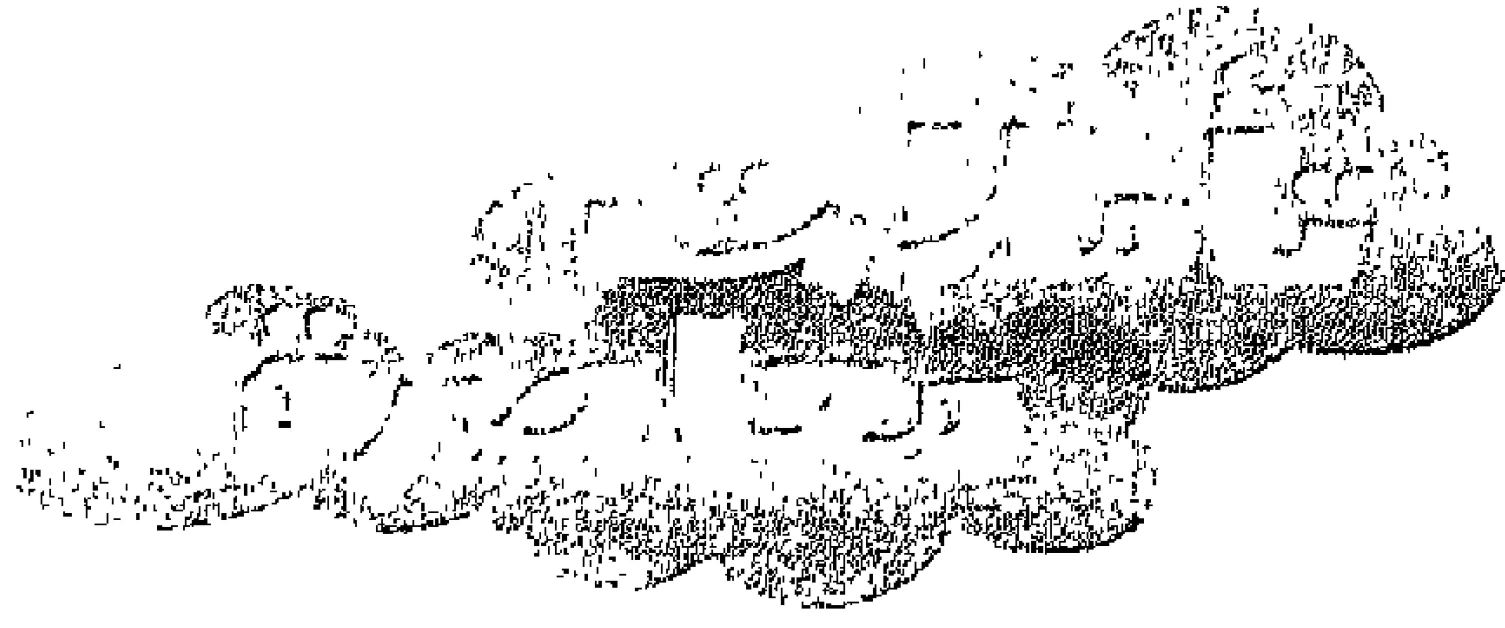
كونوا صبورين. الارادة القوية لا تُكتسب بين ليلة وضحاها. فهي تُبنى قليلا قليلا، وقد تتعرض لنكسات. حاولوا معرفة أسباب ارتدادكم، وضاعفوا جهودكم ثانية.

حاولت صديقة لي الاقلاع عن التدخين للمرة الاولى. لكنها فشلت. وبعد تفكير طويل أدركت أن جل ما كانت تبتغيه هو تشغيل يديها. فالتقطت صنارتين وراحت تحوك الصوف كلما أحست حاجة الى سيجارة. فتمكنت خلال شهر من انجاز كنزة لزوجها، وتخلصت من عادة التدخين نهائياً.

حافظوا على انجازاتكم. إنْ الارادة القوية تزداد قوة كلما حققتْ نجاحاً. فنجاحكم، مثلاً، في شحن ارادتكم للتخلص من عادة سيئة أو لترك وظيفة لا مستقبل فيها، يمنحكم ثقة لمواجهة تحديات أخرى.

كما يعزز سجل النجاحات الثقة بالنفس ويمنحكم كما يقول أساغيولي، "قدما راسخة على حافة الفعل الارادي." ومع أنكم قد تواجهون مزيداً من المهمات الصعبة، فأنتم قادرون على قهرها تبعا لما أنجزتموه من انتصارات سابقة.

أديون كيستر الابن
وسالي فالانتي كيستر ■



الحب أعمى

■ اذا كنتَ لا تحب شخصاً، فان طريقة التقاطه شوكة طعام قد تثيرك. أما اذا كنت تحبه، ففي امكانه أن يقذف صحنه على ثيابك من دون أن يرفّ لك جفن.

إ.ب.

الفكاهة عند الرؤساء

■ مهم جدّاً أن يتمتع الانسان بروح الفكاهة، وخصوصاً اذا كان هو نفسه موضوع فكاهاته. فالرئيس (الامريكي الأسبق) هوارد تافت كان يسخر من بدانته، وذلك لم يسىء أبداً الى كرامته الشخصية، فالشعب أحبه كثيراً. واعتاد الرئيس ابرهام لنكولن اطلاق النكات في اللحظات المتوترة الحرجة، وغالباً ما استهدف نفسه بدعاباته، والتاريخ يحفظ له هذه الميزة الانسانية بكثير من التقدير. فروح الفكاهة جزء من فن القيادة والتماشي مع البشر وانجاز الامور الكبيرة.

دوايت ايزنهاور، رئيس امريكي أسبق

الجريمة والثواب

■ المجرم المحترف متطوع. وكل ما يبتغيه المجتمع منه هو أن يكفَّ عما يفعل، وهذا لا يبدو أمراً صعب التحقيق. وليس من قبيل المبالغة القول إن كل الناس قادرون على الا يسرقوا سيارة أو الا يروّجوا مخدّرات أو ألا يستبيحوا الممتلكات الخاصة أو الا ينهبوا محلا تجاريا. لا احد يطلب من المخلّ بالقانون أن يركض كيلومترين في أربع دقائق أو يترجم مخطوطة قديمة أو يعزف مقطوعة على الارغن. فاطاعة القانون لا تتطلّب موهبة ولا تدريباً، وهي في مقدور الجميع.

د.س.

الارض بناسها

■ سيبدو لنا العالم فارغاً إن لم نفكر الا في الجبال والأنهار والمدائن. ولكن أن نعرف امرأ يفكّر ويشعر معنا ويكون قريباً منّا على رغم بعد المسافة بيننا، فذلك يجعل الأرض في عيوننا جنة مأهولة.

غوته، شاعر وفيلسوف الماني (١٧٤٩ - ١٨٣٢)

سرّ الجمال

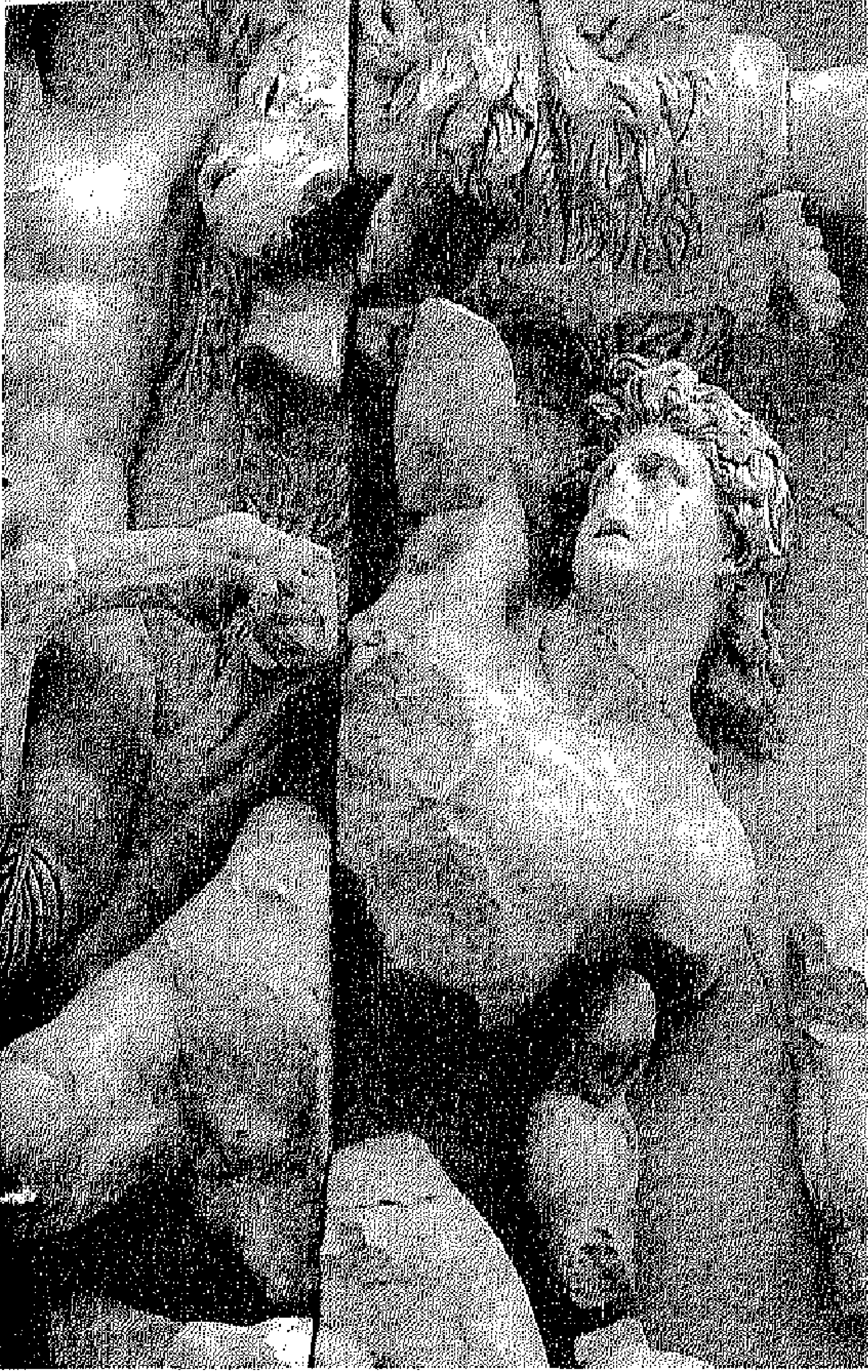
■ يعود سبب تألّق العرائس والنساء الحوامل الى السعادة لا الى مستحضرات التجميل. فالمراة المفترّة الثغر الضاحكة القسمات هي امرأة جميلة مهما ارتدت من ثياب. ونحن النساء، حين ندع آخرين يختارون اثوابنا ويبرجوننا، او حين نلجأ الى جراحات تجميل لمحو تجاعيد الألم والسنين، لا نغدو اكثر جمالا، بل نتقلص ونُنْتقص لكي نلبي مطلباً خارجياً.

ا.ر.

خلف

مجموعة نادرة من الآثار الاغريقية انكشفت للعالم بانهيار جدار برلين



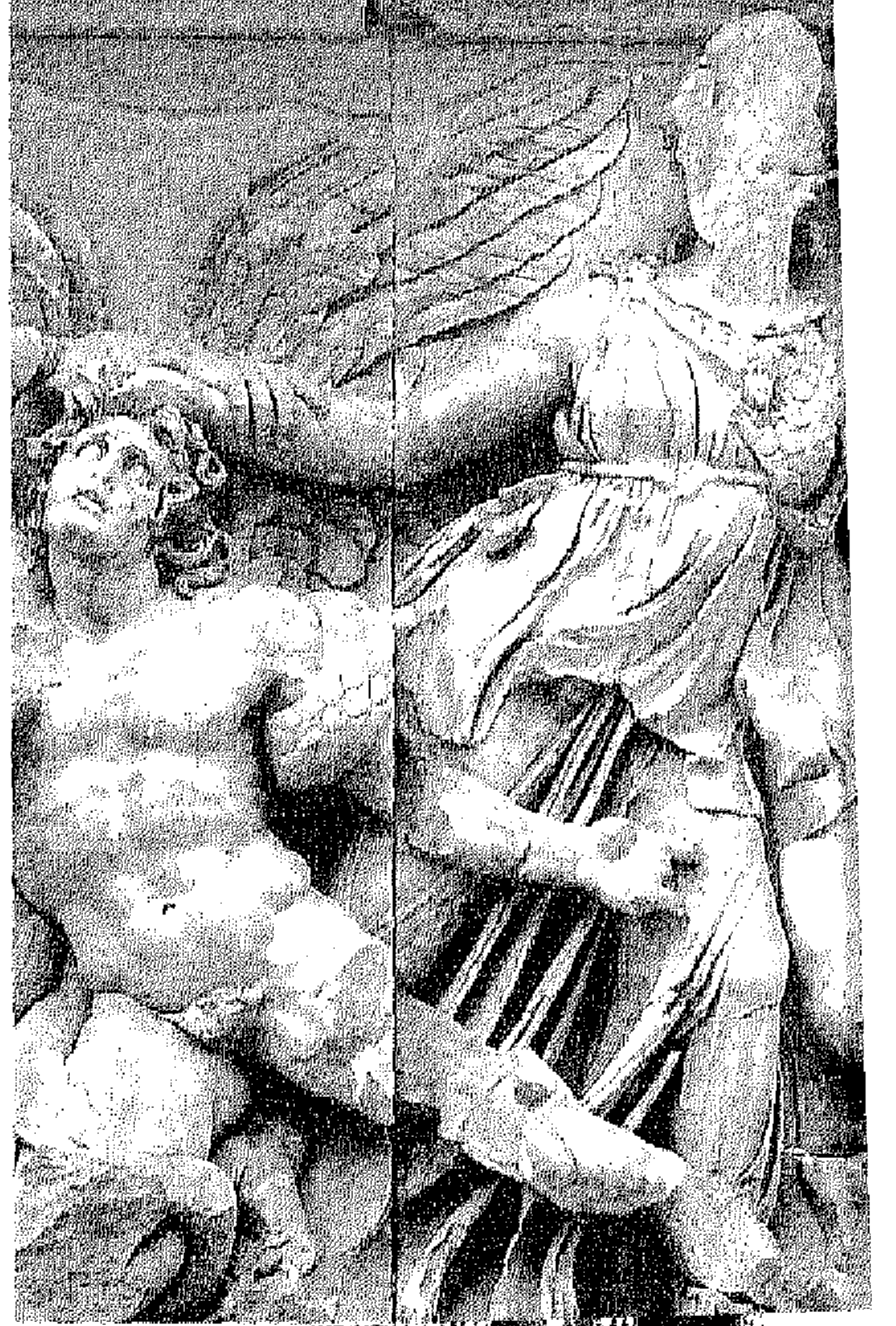


يواجه داخلُ القاعة الكبرى في متحف برغامون في برلين سلّماً فسيحة بيضاء تفضي درجاتها المتعالية الى مذبح تحوطه أعمدة اغريقية مهيبة. وتطغى الحيرة على المشاهد فيخال نفسه واقفاً أمام صرح تاريخي عظيم يرقى الى حضارة غابرة مجلل بالمجد والجمال.

سمي المتحف باسم مذبح برغامون الذي اكتشف في غرب تركيا. وكانت نشأت هناك مستوطنة هلّينية[1] قوية حكمت قطاعاً كبيراً من آسيا الصغرى في القرنين الثالث والثاني قبل الميلاد. وفي عملية تنقيب جريئة، عثر المهندس الألماني كارل هومن في النصف الثاني

(١) الثقافة الهلّينية هي الثقافة الاغريقية بعد الاسكندر الكبير.

جدار برلين

من القرن التاسع عشر على بلاطات رخامية من إفريز المذبح، وشحنها الى برلين. وهناك جمع علماء آثار وحرفيون ماهرون قطع الافريز وأعادوا بناء جزء كبير من المذبح الشهير لكي يوحي المشهد الى الزائرين أنهم واقفون في موقع برغامون الأثري الاصيل.

وعلى رغم غنى متحف برغامون وحجراته الكثيرة الزاخرة بنماذج الهياكل والبوابات الكلاسيكية، فقد ظل كنزاً منسياً بالنسبة الى معظم الناس خارج الكتلة الشرقية. فجدار برلين الشائن قسم المجموعات الاثرية الشهيرة التي ضمّتها المدينة مثلما قسم سكان برلين شرقاً وغرباً من العام ١٩٦١ الى نهاية ١٩٨٩. ولكي يتسنى للسياح الغربيين

زيارة متحف برغامون، الذي كان في الماضي أشهر متاحف برلين، كان يتعيّن عليهم الوقوف في طوابير طويلة لدفع رسم الدخول. ولما كان ذلك يسبب ازعاجاً كبيراً لهم، فقد أحجم معظمهم عن الزيارة. وتدنت مكانة متحف برغامون كمنافس للمتحف البريطاني ومتحف اللوفر في احتواء الآثار المعمارية القديمة.

جزيرة المتاحف. إن ما يُروى عن عزلة متحف برغامون يقارب اللامعقول. ففي العام ١٩٨٢ تسلّم ماكس كونسي، عالم الآثار الذي بنى شهرته بالتنقيب عن الخرائب الكلاسيكية في المجر (هنغاريا) وبلغاريا، وظيفة مدير للآثار القديمة الكلاسيكية. ويشرف متحف برغامون على ما يُعرف بـ"جزيرة المتاحف" التي تضم أيضاً المتحف القديم والمتحف الجديد ومتحف بود وصالة العرض الوطنية، وتقع قبالة جادة أونتر دن ليندن في برلين الشرقية. وعلى بعد بضعة كيلومترات، في قصر شارلوتنبرغ، يتسنى للزائر مشاهدة المتحف الكلاسيكي في برلين الغربية، وهو مؤسسة صغيرة تنم عن حسن ذوق، متخصصة بفن النحت الاغريقي والروماني. ولكن، حتى تاريخ هدم الجدار، كان كونسي زار المتحف الكلاسيكي مرة واحدة فقط. يقول: "حصلت عام ١٩٨٧ على اذن بالذهاب الى برلين الغربية لاجراء بعض الأبحاث خلال خمسة أيام في إحدى المكتبات هناك. فاغتنمت تلك السانحة للقيام بزيارة خاطفة الى المتحف الكلاسيكي."

إلّا أن هذه العزلة انتهت بتصدّع جدار برلين في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٩. وبعودة حرية التنقل بين الشرق والغرب، بات في الامكان عرض كل مجموعات برلين الأثرية والفنية على حشود الزوار الجدد المتشوقين الى رؤيتها. لهذا الغرض، تتدفق الى المدينة حافلات مكتظة بالسياح القادمين من جميع الأنحاء، لتصطف كل صباح أمام المبنى الكلاسيكي المحدَث الذي تغشاه طبقة سوداء من السخام والذي ما زال يوحي الجلال والمهابة. فالعالم مهيّأ لاستكشاف روائع فن العمارة القديم التي يحفل بها المتحف، بما فيها مذبح برغامون الذي يُعدّ أحد أهم الاكتشافات الأثرية في القرن التاسع عشر.

رجل ميت. بدأت القصة في العام ١٨٦٨ يوم عُيّن كارل هومن رئيساً لمهندسي الطرق في غرب الامبراطورية العثمانية. وكانت برغامون مقره الرئيسي. كان هومن من هواة جمع الآثار القديمة، واكتشف إحدى بلاطات إفريز المذبح مدفونة في جدار بيزنطي بني في القرن الثامن بعد الميلاد. فكتب آنذاك: "حين اقتربت من الجدار منقّباً، شرعت في استخراج الحجار بعناية، حجراً بعد حجر، فاكتشفت العنق ثم الذقن ثم الخدّ الأيسر. وحين شاهدت العين هتفت: "إنه رجل ميت!" لأنه وإن كان التمثال أصيلاً

رائعا، إلّا أن ملامح الموت بانت جلية في قسمات وجهه وجسمه الهزيل." وبعد استخراج كتلتين أخريين من الرخام المنحوت ذي اللون الابيض الضارب الى الزرقة، قرر هومن أن تلك القطع لا بدّ أن تكون "جزءاً من إفريز كامل يمثّل مشاهد معركة بين عدد من الرجال،" وأن هذا الافريز "لا بدّ أن يكون جزءاً من بناء مهم جداً."

أرسل هومن البلاطات القليلة الى متاحف برلين حيث لم تلقَ اهتماماً من القيمين على تلك المتاحف. الى أن عُيّن ألكسندر كونسي عام ١٨٧٧ مديراً لقسم المنحوتات، فأقنعه الباحثون بأن بلاطات هومن هي حتماً جزء من المذبح المفقود منذ زمن بعيد والذي وصفه المؤرخ الروماني لوسيوس أمبيليوس. فوعد كونسي هومن بالمال والدعم وحضه على معاودة التنقيب. وما عتم هومن أن كشف بمساعدة أربعة عشر عاملا مجموعة شرائح أخر من الافريز مدفونة في الجدار البيزنطي، كما اكتشفوا الأساس تحت الجدار الذي بُني عليه المذبح. وقال هومن معلّقاً: "لقد عثرنا على عصر كامل من الفن. فأعظم الآثار القديمة التي بقيت سليمة هي الآن بين أيدينا."

انضم كونسي بعد سنة الى أعمال التنقيب. وبعد ١٨ شهراً اكتشف هو وهومن ٩٧ بلاطة من الرخام و٢٠٠٠ كسرة من الافريز الرئيسي الأكبر و٣٦ بلاطة و١٠٠ كسرة من الافريز الأصغر وطائفة من التماثيل والقطع المعمارية. وتعيّن عليهما استخراج القطع ونقلها مسافة ٣٠ كيلومتراً من الاكروبوليس[٢] الى شاطىء البحر في عجلات تجرّها الثيران نزولا على طريق وعرة أفعوانية متعرّجة، ومن ثم تعبئة الكنز في ٤٦٢ صندوقاً تحمَّل في مراكب ألمانية. ولم يلاق هومن صعوبة في شحن الصناديق عبر الجمارك التركية لأن الحكومة العثمانية سمحت آنذاك بشحنها كلها في مقابل ٢٠ ألف مارك دفعها الألمان.

هرقل الجبار. لم تتوقف أعمال التنقيب باكتشاف الافريز، بل أرسل كونسي بعثة مهندسين معماريين وعلماء آثار لمساعدة هومن في كشف قسم من معالم المدينة كان لا يزال مطموراً. وكانت برغامون مستوطنة حديثة قياسا على تاريخ عالم الاغريق القديم، قَطَنها في القرن الثالث قبل الميلاد قوم من الاغريق معروفون باسم الأتالدة.[٣]

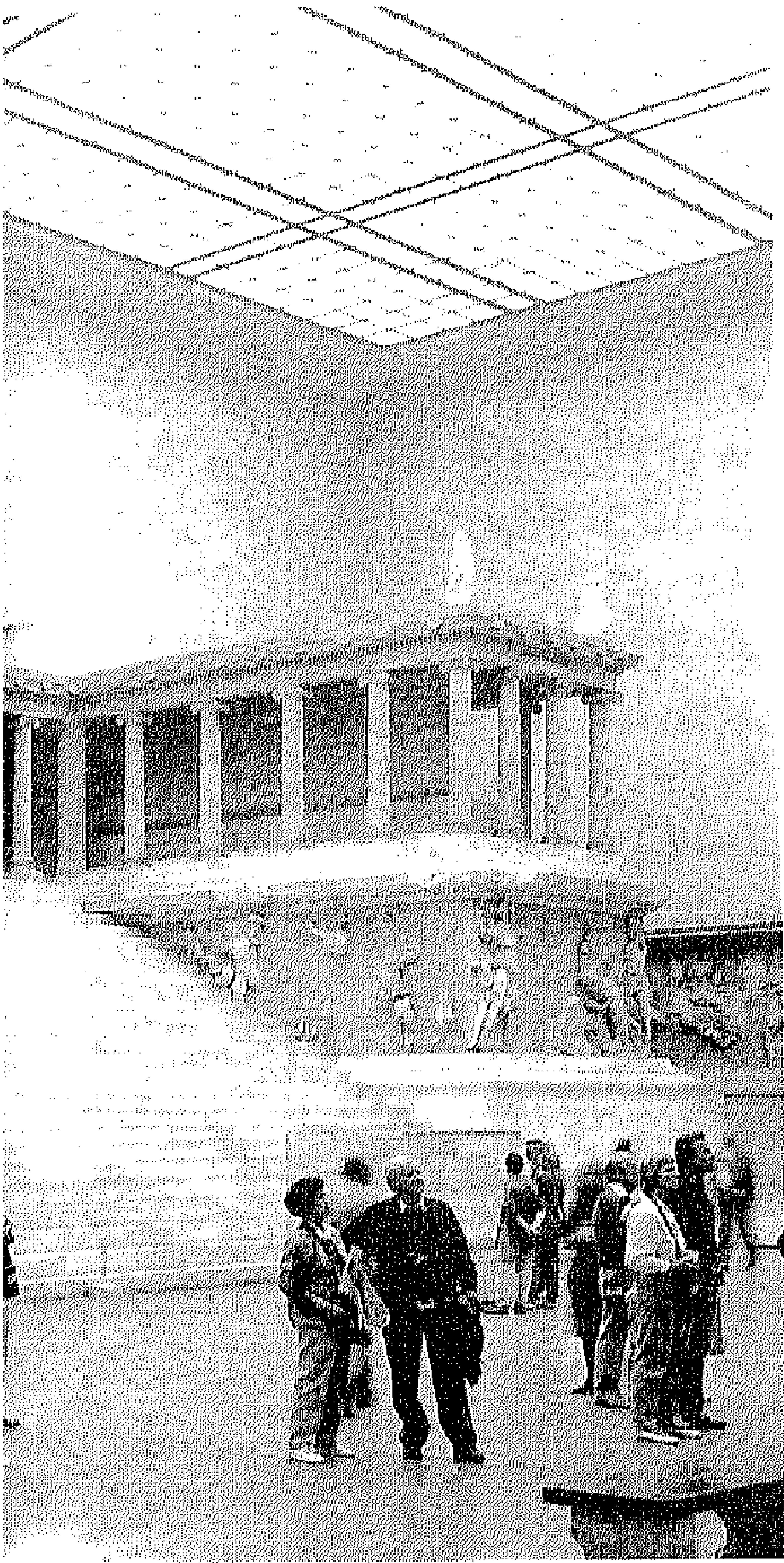
اعتبر الاتالدة أنفسهم الوارثين الشرعيين لأثينا الكلاسيكية التي خبا مجدها قبل أكثر من مئة سنة. واقتداء بالتقاليد الاثينية، بنوا فوق أكروبوليس برغامون قصراً ملكيا ومكتبة ضمت ٢٠٠ ألف مخطوطة من ورق البردي (الرَقّ) وهيكلا لديونيسوس وآخر لأثينا وحصناً وساحة عامة ومدرجا... وأخيراً، المذبح العظيم. وكان المذبح بُني في العام ١٨٤

---

(٢) الاكروبوليس هو الجزء الاعلى المحصّن من مدينة إغريقية. وهو أيضا اسم قلعة اثينا.
(٣) Attalids

قبل الميلاد تخليداً لانتصار الأتالدة على الغلاطيين (الذين يعرفون أيضاً بالغاليين) في القرن الذي سبق.

يزدان المذبح بنقوش يرمز فيها الاتالدة الى انتصارهم في المعركة بمشاهد من الملحمة الاسطورية بين عمالقة الأرض وأرباب جبل أولمبوس. وبحسب الاسطورة، فقد عجز الارباب عن الانتصار من دون أن يجندوا في صفوفهم إنساناً له جلد أسد. فانبرى هرقل لانقاذهم، وهو البطل الجبار وأقوى رجل على وجه الارض، ووقف الى جانب زفس، فظهرا معاً في الافريز وهما يقتلان العمالقة الذين بدوا بأشكال مخيفة. وهذا



الجانب الغربي من المذبح الذي يعادل ربما نحو ثلث المذبح الاصلي الكامل، اعيد بناؤه في القاعة الكبرى في متحف برغامون.

السيل من المعارك الطاحنة المنحوتة بتفاصيل دقيقةٍ يغطي حوالى ١٢٠ متراً من الافريز الرخامي الذي يلفّ المذبح. وقد كتب البريطاني روجر لينغ المتضلع من فن الاغريق والرومان: "يمثل الافريز قمة النحت الاغريقي."

لم يستخرج هومن كل قطع الافريز، ذلك لان بعضها كان متناثراً يصعب تجميعه. وعلى سبيل المثال، كان مخلب جلد الأسد الذي لفّ هرقل الأثر الوحيد المتبقي من ذلك الجبار البشري. لكن الشرائح كانت سليمة الى حد كافٍ لرؤية المشاهد الرائعة التي تصور زفس وهو يصرع العملاق بورفيريون بصاعقة، وأثينا تشد شعر العملاق ألسيونيوس فيما هو يتخبط يائساً لأن الميثولوجيا تروي أنه يموت اذا رُفع عن الارض، وهيكات تقتل أحد العمالقة الملتحين بمشعل ورمح وسيف، وأرتيميس تصرع عملاقاً بكلب صيد.

بعد عرض الشرائح في المتحف القديم ومن ثم في المتحف الجديد، قرر



المسؤولون الالمان بناء متحف ضخم يجمع آثار العمارة القديمة على أن يكون في صدارته مذبح برغامون.

جرت أعمال البناء ببطء، وتعثرت أيام الحرب العالمية الاولى، وعاقتها الانتقادات المتواصلة والافتقار المستمر الى المال. ولم يُفتح متحف برغامون للعموم الا في العام ١٩٣٠.

ولكن على أثر نشوب الحرب العالمية الثانية عام ١٩٣٩ أغلق الالمان المتحف. وبعد سنتين انتزعوا البلاطات ودفنوها في غرفة محصنة تحت مبنى الرايشبنك، ومن ثم في ملجأ محصَّن ضد الطائرات في حديقة تيرغارتن بالقرب من بوابة براندنبرغ. وقد أصيب مبنى المتحف، والمذبح، بأضرار فادحة نتيجة قصف

الحلفاء. وفي ما بعد، حين احتل الجيش السوفييتي برلين عام ١٩٤٥، اكتشف الشرائح في مخابئها فشحنها الى الاتحاد السوفييتي، ثم أعيدت الى متحف برغامون عام ١٩٥٨. وبحلول العام ١٩٥٩ كان الالمان الشرقيون أعادوا بناء المذبح وفتح المتحف للعموم.

بوابة عشتار. سرعان ما يلاحظ الزائر في الردهة الكبرى أنه تم تشييد الجانب الغربي من المذبح فحسب، أي ما يعادل ربما ثلثه، وأن قلة من الاعمدة والافاريز والدرجات هي من الرخام الأصيل. لم تكتمل إعادة تشييد المذبح كله، ومعظم الشرائح الرخامية معروض على جدران المتحف قرب المذبح.

ولكن، وإن أُطلق على المتحف اسم برغامون، إلّا أنه يضم آثاراً كثيرة غير المذبح والافريز. فبعد التملّي بمشاهدة روعة آثار برغامون، في إمكان الزائر أن يلج غرفاً فسيحة اخرى ليشاهد مزيداً من الآثار التي أعيد تشييدها. وأشهرها الطريق الموكبي وبوابة عشتار من بابل أيام حكم الملك نبوخذنصر الثاني في القرن السادس قبل الميلاد. وقد نُبش الآجر الأزرق والذهبي الذي بني به هذان الاثران المدهشان من موقع بالقرب من بغداد في فترات متقطعة بين العام ١٨٩٩ والحرب العالمية الاولى.

أما الذين يدخلون الغرفة الرومانية، فتُتاح لهم فرصة فريدة للتمتع بمشاهدة بوابة سوق رومانية. والبوابة من طبقتين، قائمة على أعمدة ومزخرفة بدقة. بنيت في القرن الثاني بعد الميلاد في مدينة ميليتوس القديمة، لكنها هدمت بزلزال في العام ١١٠٠. وقد جمعت أجزاؤها وأعيد بناؤها بارتفاع ١٤ متراً كما كانت أصلاً، وهي في نظر خبراء المتاحف، أمثال ديتريتش فيلدونغ من المتحف المصري، أحد الكنوز الأثرية المعمارية العظيمة في المانيا.

وعندما اتّحدت الألمانيتان، ومدينتا برلين، عرف القيّمون على المتاحف أن متاحفهم ستتحد أيضاً. ومنذ سنوات، كان القيمون في غرب برلين يعبرون الجدار الفاصل لالتقاء زملائهم في منازلهم في برلين الشرقية بسرّية تامة. يقول فيلدونغ وكونسي بلسان واحد: "إن إعادة دمج المتاحف شغلت مخيلتنا وقتاً طويلاً. ولكن حين تحققت لم نكن جاهزين."

فسارع القيمون الى الاتفاق على مبدأ عام واحد يقضي بتجميع كنوز برلين المعمارية الاثرية كلها في "جزيرة المتاحف" وتركيزها على متحف برغامون. غير أن توقيت العمل بهذا المبدأ يبقى رهناً بالمدة التي تستغرقها إعادة بناء المتحف الجديد في الجزيرة، ذلك المتحف الذي بني قبل ١٣٦ سنة وهدم بالقنابل خلال الحرب العالمية الثانية. والى ذلك الحين، في إمكان كل امرىء أن يتمتع بمشاهدة روائع بقيت لثلاثة عقود مخبأة وراء جدار برلين.

ستانلي ميسلر ■

ماذا تعرفون عن الأيدز؟

Reader's Digest



منظمة الصحة العالمية

في يونيو (حزيران) ١٩٨٧، كانت "المختار" رائدة في نشر تقرير خطير عن وباء الايدز[١] في العالم بعنوان "الطاعون الاسود." ومنذ ذلك التاريخ انتشر المرض بسرعة عبر مناطق جغرافية وفئات اجتماعية مختلفة. ويراوح عدد الذين التقطوا فيروس الايدز بين ٩ ملايين و١١ مليوناً في انحاء العالم. ويتوقع أن يتضاعف عددهم ثلاث مرات على الاقل في السنوات الثماني المقبلة.

يصاب نحو ٥٠٠٠ شخص بفيروس نقص المناعة يومياً، وتضعف احتمالات بقائهم أحياء لمدة طويلة. وقد ظهرت أعراض الايدز على أكثر من مليون شخص من المصابين بالعدوى، وتوفي معظمهم (نحو ١٣٠ ألفاً في الولايات المتحدة وحدها).

وجاءت الاخبار المذهلة في نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ معلنة اصابة نجم كرة السلة الامريكي إرفين "ماجيك" جونسون بفيروس الايدز ومثبتة، بما لا يرقى اليه الشك، أن المرض مستمر في الانتشار بمعدل مرعب. وتشير التقديرات في أنحاء العالم الى أن ثلاثة أرباع البالغين المصابين التقطوا الفيروس من طريق ممارسة الجنس مع شركاء من الجنس الآخر. وتصح هذه التقديرات خصوصاً في الدول النامية في افريقيا وآسيا وأمريكا اللاتينية.

وفي غياب لقاح أو دواء ناجع، تبقى توعية الناس الطريقة الوحيدة الممكنة لاحتواء وباء الايدز.

---

(١) Acquired Immunodeficiency syndrome «AIDS»
اي داء نقص المناعة المكتسب.

وفي ما يأتي دليل من أسئلة وأجوبة وضع بالتعاون مع منظمة الصحة العالمية ونشر للمرة الاولى في عدد يونيو (حزيران) ١٩٨٧ من "المختار." ومن شأنه أن ينقذ حياتك أو حياة شخص تحبه.

ما هو الايدز؟

الايدز هو المرحلة المتقدمة من اصابة يسببها فيروس نقص المناعة البشرية «HIV».[٢] يعمل الفيروس على تدمير نظام المناعة في الجسم ببطء مما يترك الانسان، على نحو تصاعدي، من دون حماية من اصابات أخرى وبعض أنواع السرطان.

ما هو الوقت الذي يستغرقه نشوء مرض الايدز؟

ينشأ الايدز في غضون عشر سنين كمعدل وسط، منذ لحظة التقاط الانسان فيروس نقص المناعة. وتشير المعلومات الحالية الى أن معظم الذين يلتقطون الفيروس، إن لم يكونوا كلهم، سوف يصابون بالايدز في النهاية.

هل في امكان الاشخاص الذين يحملون الفيروس أن ينشروا العدوى وإن لم يكونوا مصابين بالايدز؟

نعم. فحاملو فيروس نقص المناعة يعيشون عادة لسنوات قبل ظهور أي أعراض للمرض، ولذا فانهم غالباً يجهلون أنهم مصابون به وقد يمررونه الى آخرين من غير قصد.

كيف ينتقل فيروس نقص المناعة؟

□ بالمعاشرة الجنسية. الايدز هو أساساً مرض ينتقل بالجنس. وفيروس نقص المناعة موجود في المني والسوائل المهبلية، لذا قد ينتقل جنسياً من رجل الى امرأة، ومن رجل الى رجل، ومن امرأة الى رجل. والاشخاص الاكثر تعرضاً للخطر هم الذين يمارسون الجنس مع أكثر من شريك. كما أن المصابين بأمراض جنسية أخرى كالزهري (السفلس) هم أكثر عرضة لتلقي فيروس نقص المناعة أو تمريره.

□ بالدم ومشتقاته. قد يؤدي نقل دم ملوث بفيروس نقص المناعة الى اصابة المتلقي بالعدوى. لكن عدداً متنامياً من الدول يفرض فحص الدم الموهوب ونبذ ذلك الذي يحتوي على مضادات[٣] لفيروس نقص المناعة. كما تعالَج مخثِّرات الدم،[٤] التي تستخدم في علل دموية مثل النزف الوراثي المزمن[٥] للقضاء على فيروس نقص المناعة.

□ المشاركة في الحقن. ان متعاطي المخدرات المحقونة معرضون أكثر من غيرهم للاصابة، لان كثيرين منهم يتشاركون في استخدام الابر والحقن

(٢) Human Immunodeficiency virus
(٣) Antibodies
(٤) Blood-Clotting Products
(٥) Hemophilia

الملوثة. وغني عن الذكر أن أي أداة لثقب الجلد، بما في ذلك ابر الوشم وثقب الاذن، قد تنقل فيروس نقص المناعة من شخص الى آخر إن لم تعقّم.

□ من الام الى طفلها: قد تمرر أم مصابة فيروس نقص المناعة الى طفلها خلال فترة الحمل وساعة الولادة ولفترة وجيزة بعدها. واحتمال أن تلد أم مصابة طفلاً مصاباً يقارب ٢٥ في المئة. ويموت معظم المواليد المصابين قبل بلوغ عامهم الخامس. واذا أصيبت الام لاحقاً، فقد تنقل العدوى الى طفلها أثناء الرضاعة.

ما هي الوسائل التي لا ينتقل فيروس نقص المناعة عبرها؟

لا ينتقل فيروس نقص المناعة عبر اتصال عَرَضي ولا على مقاعد المراحيض ولا في برك السباحة ولا في المتاجر. ولا اثبات لانتقاله بالقبلة. وهو لا ينتقل بالمصافحة والعناق والاكل من طبق واحد والشرب من كأس واحدة، ولا عبر الذين يعدون الطعام في المطاعم. كما لا ينتقل بواسطة البعوض والحشرات الاخرى، لان هذا الفيروس لا يبقى حياً داخل أحشائها.

كيف يمكن المرء أن يحمي نفسه؟

هناك طريقتان مضمونتان للحماية من انتقال الفيروس جنسيا: الامتناع عن ممارسة الجنس، والتزام علاقة مع شريك واحد غير مصاب. ومن الحكمة تحاشي ممارسة الجنس مع أشخاص ارتبطوا بعلاقات وممارسات ذات نسبة خطورة عالية، مثل العلاقات الجنسية العابرة وتعاطي المخدرات بواسطة الحقن.

واذا لم تكن متأكداً من أنك وشريكك نظيفان من الفيروس، فعليك أن تبادر الى اجراءات وقائية. فاما أن تتفادى كل أنواع المعاشرة، واما أن تستخدم الغلاف الواقي (الكبوت) أو الكوندوم الذي يمنع اختلاط المني وافرازات المهبل. واذا استخدم الغلاف بطريقة صحيحة وخلال كل معاشرة جنسية، فهو يخفف كثيراً أخطار الاصابة بالفيروس.

لا تشارك أحداً في شفرات الحلاقة أو الابر أو أدوات وخز الجلد الاخرى التي يمكن أن تتلوث بالدم.

ماذا تفعل اذا كنت تحمل فيروس نقص المناعة أو تظن أنك تحمله؟

اذا كانت لديك شكوك في أنك مصاب، أو اذا شاركت في أي من الممارسات العالية الخطورة التي ورد ذكرها، اطلب مشورة طبيب. وقد يشير عليك الطبيب باجراء فحص دم لمعرفة ما اذا كان دمك يحتوي على مضادات لفيروس نقص المناعة.

أخبر شريكك بالامر. ولا تهب دماً أو سائلاً منوياً أو عضوياً من أعضاء جسمك.

أما النساء اللواتي يعرفن أنهن يحملن فيروس نقص المناعة، أو يعتقدن أنهن يحملنه، فعليهن أن يفكرن ملياً قبل انجاب طفل.

نال شهادة جامعية وجنى ثروة كبيرة لكن سراً كان يقض مضجعه



لم يستطع المليونير النوم، فنهض من سريره على مهل لئلا يحدث صريراً، ومشى الى مكتبته قائلا في سرّه: "فليكن الامر الليلة يا رب."

أضاء المصباح وتطلّع الى الاطارين المعلقين على الحائط اللذين يحملان شهادته الجامعية واجازته التعليمية. ثم وقع نظره على كتاب، فتناوله وعبث بصفحاته محدثا نفسه: "لا ترغم نفسك على شيء، احتفظ بهدوئك ودع الكلمات تتناهى اليك."

فالى متى يلعب هذه اللعبة؟ أطوال حياته؟

استلقى المليونير في فراشه من جديد ونظر الى زوجته كاتي التي لا يعرف أحد غيرها سره. فلا ولداه ولا أصدقاؤه ولا أساتذته في الجامعة ولا تلاميذه الثانويون الذين علّمهم طوال ثمانية عشر

عاماً ولا شركاؤه في المؤسسة العقارية التي تقدر موجوداتها بالملايين يعرفون السر. وحدها كاتي تعرف.

وهو، اذا ما افتضح أمره، سيخسر كل شيء: الشهادة واجازة التعليم والمباني السكنية والمراكز التجارية والعقارات المأجورة وسيارته الفخمة والمنزل الكبير المشرف على المحيط. كان في وسع المليونير أن يمثل دوره على اكمل وجه ويخدع الجميع. لكن لحظة الحقيقة في منتصف الليل كانت ترهقه على الدوام، فيقف وحيداً في ثياب النوم حاملا كتاباً بيديه والعرق البارد يتصبب منه.

فهو، الى اليوم، لم يفهم لماذا مكث في قاعات الصفوف طوال خمسة وثلاثين عاماً، ولماذا عاد الى الجامعة واستحصل على ثمانين وحدة اضافية بعد تخرّجه. فذلك جنون مطبق بالنسبة الى رجل لا يجيد القراءة ولا الكتابة.

بين عالْم إنْ ينسَ جون كوركوران لا ينسَ أن الكلمات سخرت منه منذ نعومة أظفاره. فلطالما التبست عليه الحروف وفقدت الألفاظ معانيها وهي تندفع متخبطة في مسمعه. كان يجلس في صفه صامتاً كحجر لا يفقه شيئاً مما يدور حوله مدركاً أنه سيكون على الدوام مختلفاً عن الآخرين. ولكم تمنى لو أن أحداً جلس وقتئذ بجانب ذلك الصبي وطوقه بذراعه وقال له: "لا تخف، سأساعدك."

الا أن أحداً في ذلك الزمن لم يكن سمع بالـ"ديسليكسيا"[١]، أو عسر القراءة، كما لم يكن في مقدور جون أن يخبر أحداً أن الجانب الايسر من دماغه، أي ذاك الذي يستخدمه الانسان لترتيب الرموز في سياق منطقي، لا يعمل على نحو صحيح.

بدلا من ذلك، وُضع جون على مقاعد الأغبياء في الصف الابتدائي الثاني. وعندما رُفِّع الى الصف الابتدائي الثالث كانت معلمته تناول التلاميذ مسطرة طولها متر لكي ينهالوا بها ضرباً على ساقيه كلما رفض الكتابة أو القراءة. أما في الصف الابتدائي الرابع فكان معلمه يطلب منه القراءة، ثم يصمت تاركاً الدقائق تمر ثقيلة حتى يحسّ الصبي أنه يكاد يختنق.

وسط هذا الجو الضاغط كان جون كوركوران يُرفَّع من صف الى آخر من دون أن يرسب مرة واحدة.

كان والد جون أستاذاً يستهلك الكلمات كما لو كانت طعاماً، فيقرأ جريدتين في اليوم ويأتي على كتاب مثل "ذهب مع الريح" في جلسة واحدة. فكيف يستطيع جون إخباره الحقيقة؟ كان الوالد يأتي الى البيت في السادسة مساء، فيخفق البيض لبناته الخمس وابنه، ثم يهرع الى عمله الثاني أستاذاً في مدرسة ليلة أو بائع سيارات. وكانت والدته تعمل مساء في الصيدلية القريبة.

اعتاد الوالدان استئجار بيوت تفوق قدرتهما على الدفع، حارمين أنفسهما الاثاث والثياب القشيبة كيما يتسنى

(١) Dyslexia . اضطراب في القدرة على القراءة.

لاولادهما العيش في جيرة لائقة وارتياد فضلى المدارس. فهما لم يقبلا ابدا حياة من الدرجة الثانية، بل سعيا دوما الى القمة. تلك كانت النعمة - واللعنة - التي أورثاها ابنهما الامي. وكان الزوجان، كلما خسرا وظيفتهما، يحزمان حقائبهما وينتقلان بأولادهما الستة في شاحنة مستأجرة الى منزل جديد وحلم جديد. وعندما تخرّج جون في مدرسته الثانوية كان قد عاش في ٣٥ منزلا وتعلم في ١٨ مدرسة.

وغالبا ما كانت شقيقاته يبكين كلما غادرت العائلة منزلا أو ودّعت بلدة. أما جون فكان يجد في كل بلدة مكانا جديدا للانطلاق، مكانا قد تختلف فيه الأمور وتجد الحروف طريقها اليه.

حين بلغ جون الصف المتوسط الاول صار لزاماً عليه أن يخفي سرّه عن ستة أساتذة بدلا من واحد. كان عليه أن يدرك كيف يتصرّف منذ اللحظة الأولى، وأي استراتيجية يتبع، وأين يجلس، وهل يتقرّب من أستاذه أم يتصرّف بخبل لكي لا يعود أحد يطيق التوجّه اليه بكلمة. كان يؤلمه أن يكون مهرّج الصف. لكن أي صفة كانت بالنسبة اليه أفضل من الصفة الأكثر اذلالا: أمّي.

رتب جون كل أموره. فتقرّب من الفتيات لكي يكتبن له فروض الانشاء، ومن الفتيان لكي يشرحوا له مسائل الرياضيات. كان يسألهم مثلا: "ماذا تعني هذه؟" و"ماذا يريدون هنا؟" وقبل أن يكتشف أحدهم بريق الخوف في عينيه، كان يجد نفسه في بلدة أخرى ومدرسة أخرى.

هذا ليس غشاً. وفي السنة الثانوية الثانية أخذ جون قراره: سيستمر في لعبة التخفي حتى النهاية. فيراقب رفقاءه في الصف ليقلّب معهم صفحات كتابه. ويخربش شيئاً على دفتره، أي شيء، ثم يخفي الورقة لكي لا يراها أحد. المهم أن يبقى متيقظاً فلا يشتبه فيه أحد.

في السنة الثانوية الأخيرة وطد جون صداقته مع طليعة الصف، ولمع في فريق كرة السلة. وحين تخرج بكت أمه التي ما انفكت تحدثه عن الجامعة.

الجامعة! كان مجرّد التفكير فيها ضربا من الجنون. لكنه في النهاية قرر الانتساب الى جامعة تكساس في الباسو حيث يمكنه اللعب مع فريق كرة السلة. فأخذ نفسا عميقا، وأغمض عينيه وانطلق من جديد.

طرح جون في حرم الجامعة وابلا من الاسئلة على أصدقائه الجدد لمعرفة الاساتذة الذين يعتمدون المسابقات الخطية وأولئك الذين يلجأون الى مسابقات الخيارات المتعددة[٢]. وكان حين يخرج من قاعة المحاضرات يعمد الى تمزيق الصفحات التي خربش عليها لكي لا يقرأها أحد. وفي المساء كان يجلس محدّقاً الى كتبه السميكة لئلا يرتاب فيه رفيقه في الغرفة، ثم يستلقي في فراشه منهكا عاجزاً عن النوم.

(٢) Multiple choice

أما الصعوبة القصوى فكانت مقرراً دراسياً عن النظام الامريكي استغرق سنة كاملة وتطلب اجتياز أربعة امتحانات خطية. وفي الامتحان اختار جون مقعداً خلفياً بالقرب من نافذة مفتوحة، وراح يسترق النظر حوله، ثم حرك يده على مهل ورمى لائحة الاسئلة من النافذة. فتلقفها الشاب الذكي الناحل الذي كان جون رتب له موعداً مع فتاة، وأخذ يجيب عن الاسئلة. وقبع جون في مقعده يحدق إلى الساعة والعرق يتصبب منه. وأخيراً، انزلقت اليه الاجابات عبر النافذة.

وهو أعاد الكرَّة أربع مرات من دون أن يضبطه أحد. وحدَّث نفسه: "اذا كان لا خيار لي، فليس ما أفعله غشاً."

أستاذ! بعدما تخرج جون في الجامعة راح يفكر: "ما العمل الآن؟" وفي العام ١٩٦١ قرر أن يصبح أستاذاً.

كانت تلك تغطية مثالية. اتصل بوالده من إلباسو قائلاً: "أبي، سيُرسل طلب التوظيف اليك. لن أكون في المنزل حين يصل، فهلا ملأته عني؟ شكراً."

بدأ جون التعليم في مدرسة كوركوران الثانوية في ولاية كاليفورنيا متبعاً أسلوباً خاصاً: كان يطلب من أحد التلاميذ قراءة الدرس كل صباح. وتضمنت امتحاناته أسئلة يُرفَق كل منها بعدة أجوبة يختار التلميذ واحداً منها، ويستطيع هو مقارنة الاجوبة بنموذج مصحح. لكنه، في صباحات عطلة نهاية الاسبوع، كان يستلقي في فراشه لساعات مكتئباً.

التقى جون ممرضة اسمها كاتي تخرجت في صفها بتفوق. كانت فتاة صلبة كالصخر. فقال لها ذات مساء من العام ١٩٦٥ قبل يوم واحد من زواجهما: "هناك أمر يجدر بي اطلاعك عليه. أنا... أنا لا أستطيع القراءة..."

ففكرت كاتي: "انه أستاذ. لا بد أن ما عناه هو أنه لا يقرأ جيداً." وهي لم تدرك حقيقة الامر الا بعد سنوات حين رأت جون عاجزاً عن قراءة كتاب أطفال لابنتهما البالغة من العمر ١٨ شهراً.

درّس جون مادة علم الاجتماع في مدرسة أوشنسايد الثانوية في كاليفورنيا مستخدماً أساليب تعليمية مبتكرة اعتمد فيها الاكثار من الامتحانات الشفهية والافلام وأشرطة الفيديو ودعوة أساتذة محاضرين. وتطوع لمساعدة تلاميذ يعانون صعوبة في التعلّم، فهو قادر على بلوغ مكامن ألمهم وغضبهم لأن تلك كانت مشكلته بالذات.

حافظ جون على احتراسه، فكان يطلب من تلاميذه قراءة بلاغات الادارة. أما مسائل الانضباط فكان يعالجها بنفسه لكي لا يضطر الى كتابة تقرير اذا ما وصل الأمر الى الادارة. ولم يكن يدع مرضاً يعوقه عن الذهاب الى المدرسة لئلا يضطر الى الكتابة شارحاً للاستاذ البديل ماذا عليه أن يُدرِّس.

وكانت كاتي تملأ له النماذج وتقرأ الرسائل وتكتبها. أما لماذا لم يطلب منها أن تعلّمه القراءة والكتابة، فلأنه لم يصدق أن أحداً قادر على تعليمه.

حين بلغ جون كوركوران الثامنة والعشرين من العمر اقترض ٢٥٠٠ دولار واشترى منزلا ثانيا رممه وعرضه للايجار. وما لبث أن اشترى منزلا آخر وأجَّره، ثم آخر. وتوسع عمله وصار في حاجة الى سكرتيرة ومحام وشريك.

وذات يوم أخبره محاسبه أنه صار مليونيراً. عظيم! من سيلاحظ بعد اليوم أن المليونير "يسحب" دائماً الابواب التي كُتبت عليها عبارة "ادفع" أو يتريث قبل دخول المراحيض العامة ليرى من أين يخرج الرجال؟

الاعتراف. ترك جون مهنة التعليم عام ١٩٧٩. ولم يلبث أن زاد عدد موظفيه. وسرعان ما حظي بدعم المستثمرين، فلم يمضِ وقت طويل حتى ضم الى مجموعته ٢٥ شريكاً. لقد انطلت خدعته.

بيد أن نجمه كرجل أعمال بدأ يأفل عام ١٩٨٢. ففرغ كثير من عقاراته المأجورة ورفع المستثمرون دعمهم عن أعماله. فتكاثرت عليه الدعاوى والانذارات بحجز الرهون وبات يقضي معظم وقته مسترحما المصارف لمد آجال ديونه ومتملقاً المقاولين لمواصلة أعمالهم ومحاولا أن يفقه مضمون ما تراكم لديه من أوراق.

في خريف ١٩٨٦ أقدم جون، وقد بلغ الثامنة والاربعين، على عملين كان أقسم ألا يفعلهما أبداً. فهو رهن منزله للحصول على قرض أخير. وبعد ذلك دخل مكتبة كارلسباد وقال للمسؤولة عن برنامج الارشاد: "أنا لا أعرف القراءة..."

ثم بكى.

وُضع جون في عهدة امرأة في الخامسة والستين اسمها إليانور كوندين راحت تشجعه وتعلمه الحروف. ولم يمض ١٤ شهراً حتى استعادت شركته العقارية مكانتها وظل هو منصرفاً الى تعلم القراءة.

أما الخطوة التالية فكانت الاعتراف.

ألقى جون كلمة أمام مئتين من رجال الاعمال المذهولين في سان دييغو اعترف لهم خلالها بماضيه. فالاعتراف، بالنسبة اليه، كان السبيل الى التعافي من أزمته. وعُيِّن بعد ذلك في مجلس سان دييغو لمحو الامية، وبدأ يجوب البلاد ملقياً محاضرات.

كان يقول: "الاميّة نوع من العبودية! لا يمكننا إهدار الوقت في لوم الآخرين، بل يجب أن يكون هاجسنا تعليم الناس القراءة."

بدأ جون قراءة كل ما يقع عليه نظره من كتب ومجلات ولافتات وبصوت عال ما دامت كاتي تتحمله. فهو اعتبر الامر رائعاً، كالغناء!

ووجد أخيراً سبيلا الى النوم.

وذات يوم حقق أمراً طالما تمناه. اذ تناول من درج مكتبه علبة تراكم عليها الغبار، ففتحها وأخذ رزمة أوراق ملفوفة بشريط وشرع يقرأها.

كانت تلك رسائل زوجته اليه منذ خمس وعشرين سنة.

غاري سميث ■

اربحوا ٣٣٪

يسر "المختار" ان تعرض
على المشتركين الجدد فيها
بين ١٩٩٢/١/١ و١٩٩٢/١٢/٣١
اربعة اعداد اضافية مجانا
مع كل ١٢ عددا.
فالمشترك لمدة سنة
(١٢ شهرا) يتلقى
١٦ عددا خلال ١٦ شهرا
اي انه يربح ٣٣٪
فكونوا من الرابحين.

اذا اردتم ان تصلكم "المختار"
الى عنوانكم،
بادروا الى ملء
هذه القسيمة وارسلوها
مرفقة بشيك مسحوب
على مصرف في نيويورك
باسم "المختار من ريدرز دايجست"
بقيمة ٣٠ دولارا امريكيا،
وارسلوا القسيمة والشيك
بالبريد المضمون (المسجل)
الى احد العناوين المذكورة
خلف هذه القسيمة.

الاسم ________________________

____

العنوان ________________________

____

التاريخ ________________________

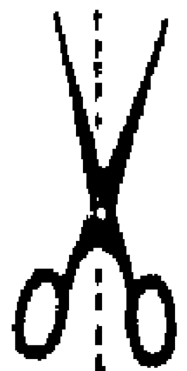
التوقيع ________________________

الـرجاء ارسـال القـيمـة والشيـك بـالبـريـد المسجـل (المضمـون)
الى احد العناوين الآتية:

البنك المتحد للاعمال ش.م.ل.
ص.ب. ٧١٦٥ - ١١٣
بيروت - لبنان
Allied Business Bank S.A.L.
P.O.Box 113-7165
Beirut-Lebanon
(Telex 43321 ALBANK)

AL MUKHTAR Magazine
C/O Aramex International Courier
P.O.Box 3841, Deira-United Arab Emirates.

Aramex International Courier
pour Al Mukhtar, B.P. 819
94549 Orly Aerogare-France



الرجاء وضع العبارة الآتية على غلاف الرسالة: "اشتراك في مجلة المختار".

ملحق خاص

عَقدُ الازدهار



الحياة والعمل في السعودية والخليج

"المختار" من ريدرز دايجست - ايار (مايو) ١٩٩٢ - العدد ١٦٢

عقد الازدهار

انقشعت الغمامات السود من سماء الخليج مع تحرير الكويت، ودخلت المنطقة عهداً من السلام والاستقرار يؤمل ان يعم المنطقة كلها. وقد استؤنف العمل في المشاريع التي كانت اجواء الحرب اخرتها، وعجّلت وتيرة النمو. ومع تزايد فرص العمل والانتاج فان عقداً من الازدهار يبدو واعداً لكل المنطقة.

القاعدة الذهبيّة: إحترام القانون

لم تضعف الحياة العصرية تمسّك السعوديين وابناء الخليج بدينهم وتراثهم. فالمسلمون يمارسون طقوس دينهم كجزء لا يتجزأ من حياتهم اليومية، وقد مكنتهم نظرتهم الواقعية هذه من استيعاب فوائد التكنولوجيا الغربية مع الاحتفاظ بهويتهم ومبادئهم الاسلامية.

هذه المبادىء دمجت ببراعة في جميع مظاهر الحياة العصرية وهيمحددة بوضوح بحيث يستطيع كل من يريد التمتع برفاه الحياة العصرية ان يفعل ذلك شرط ان يراعي القوانين والقواعد المعتمدة.

إن الرفاه الذي توفره الحياة العصرية مؤمن عبر بنية تحتية متطورة تسهّل التجول والتنقل واجراء الاتصالات السلكية واللاسلكية، فضلا عن خدمات بريدية متطورة وخدمات طبية من الدرجة الاولى وتسهيلات للسكن ومناطق تسوّق هي في غاية التطوّر، مؤلفة من متاجر كبرى ومجمعات ومراكز تسوّق تعرض بضائع استهلاكية و"لوكس" باسعار تنافسية مستفيدة بذلك من رسوم جمركية مخفوضة. وتعرض هذه المراكز مجموعة متنوّعة من المنتجات وأحدث الطرز. وهي أوسع من تلك المتوافرة حتى في المتاجر المعفاة من الضرائب في البلدان الاخرى، وهذه كلها جعلت من الخليج فردوسا للتسوّق.

وتقابل هذه الميزات حاجة ماسة الى معرفة عملية للتقاليد والقوانين التي تشمل كل نواحي الحياة.

وفي ما يأتي بعض النصائح العملية التي تعينك على العيش في سلام وطمأنينة.

☐ يجب مراعاة التقاليد في الحياة الاجتماعية:

- الحنث بالوعد يعتبر عملاً شائناً للغاية.
- من غير اللائق ان تصل متأخراً.
- لا تسأل الرجل عن زوجته وبناته بل عن عائلته.
- تناول الطعام يتم بصمت وباليد اليمنى.
- يجب ان تحتشم المرأة في لباسها وان تكون حذرة في تجوالها، لا تجلس المرأة قرب السائق في سيارة الاجرة كما انها لا تتجوّل برفقة رجل ليس من أقاربها الأدنين.

☐ استيراد الكحول والمخدرات وحيازتها وتعاطيها هي ممارسات ممنوعة عقوباتها صارمة، وهذا ينطبق كذلك على المنشورات الخلاعية.

اماكن التسوق الرئيسية

المملكة العربية السعودية

■ الرياض

بندة: طريق حريص، لجهة "بترومين" من مصنع البيبسي كولا.

ستاد: قبالة الملعب في الملز.

سيتي: العليا، الطابق الاول يبيع ساعات ومستحضرات تجميل وادوات رياضية واجهزة تلفزيون وفيديو.

سيتي: السليمانية.

مركز العقارية: العليا.

مركز السدحان للتسويق: طريق العليا – قرب فندق عطاالالله "شيراتون".

البيت الاخضر: طريق المطار.

جوهر: شارع جرير في العليا، وهو من المخازن التنويعية الضخمة.

مركز نجد: شارع جرير في العليا.

اسواق الدائرة: شارع الاربعين في السليمانية.

اسواق حسام: طريق خريص.

مركز العزيزية: منطقة ام الحمام.

■ الخبر والدمام والظهران

مركز الخليج: آخر طريق المطار، الخبر.

مركز الامير مشعل التجاري: طريق المطار، قرب النافورة، الخبر.

مجمّع الخبر التجاري: الجهة الجنوبية لطريق المطار.

مركز السويكت للتسوّق: على بعد ثلاثة مقاطع غرب شارع الملك خالد. و١٠٥ كلم. شمال طريق المطار، الخبر.

■ جدة

ردك بلازا: غرب طريق المدينة (جنوبا) وبالقرب من مركز القافلة التجاري.

مركز جدّة التجاري: طريق المدينة، شمال جسور شارع فلسطين مباشرة.

مركز القافلة التجار: يقع على طريق الكورنيش (شارع حائل)، غرب طريق المدينة وجنوب الرويس.

سوق جدة الدولي: طريق المدينة لجهة الغرب، قبالة معمل البيبسي كولا.

عمارة الملكة: شارع الملك عبد العزيز في مركز المدينة. خلف البناء طبقتان من المتاجر المتخصصة بالثياب والعطور والساعات والمجوهرات والالكترونيات وآلات التصوير.

السواني: قرب المطار القديم، وبجنب عمارة "عرب نيوز" عند اطراف الشرقية وفي مركز المساعدية – طريق المدينة.
مركز شاكر: مستديرة الدراجة.
مركز المحمل: شارع الملك عبد العزيز.
مركز الكورنيش للتسويق: شارع الملك عبد العزيز.
مركز المساعدية: طريق المدينة.
مركز جمجوم التجاري: الحمرا.
مركز الحمرا للتسويق: الحمرا.
مركز الغاليريه: شارع التحلية.
مركز باروم: الرويس.
المختار: منطقة الحمراء بقرب شارع حائل.
مركز ساند: ما بين شارع خالد بن الوليد وطريق المدينة في الشرقية.
مركز الشرق الاوسط للتسوّق: طريق فلسطين.
حسين القزاز وأولاده: طريق المدينة.
"برنتان" العمودي: طريق فلسطين.

الامارات العربية المتحدة

■ ابو ظبي

جاشنمال: شارع النصر.
مؤسسة عباس اسماعيل: شارع نجدة.
سبينس: تحوي شبكة المخازن المعروفة بهذا الاسم تشكيلة واسعة من البياضات والصيني والادوات المنزلية.

■ دبي

الايدز: شارع بن ياس.
محلات النصر: طريق دبي – الشارقة. له فروع في: طريق زبيل ومركز دبي التجاري ومركز الغرير.
السوق المركزي: مركز الغرير، ديرة.
جاشنمال واولاده: مخازن في مركز الغرير، وقبالة عمارة دناتا، ديرة.
محمد ناصر الساير واولاده: عمارة اللؤلؤة، شارع بن ياس.

مراكز تسوق

مركز الغرير
مركز الوافي
مركز مغرودي

■ الشارقة

تقتصر مناطق التسوّق بشكل خاص على شارع الوحدة وسوق الشارقة وشارع العروبة والسوق القديمة بمحاذاة الخليج، وطريق الميناء/منطقة جادة البرج وساحة الزهراء. وسوق الشارقة وحدها تحتوي على أكثر من ٢٠٠ متجر فيها كل شيء من الالعاب حتى الادوات المنزلية الالكترونية، والمجوهرات.

■ مدينة الكويت

مجمع الصالحية التجاري: شارع الهلالي، مباشرة بعد ملتقى الطرق مع شارع فهد السالم. وعلى بعد دقيقة واحدة فقط من موقف السيارات في السوق المتحدة.

■ حولي

مجمّع النقرة الشمالي: الى جانب مركز الشرطة في حولي. انطلاقاً من الطريق الدائري الرابع، انعطف نزولاً في شارع المغرب ثم الى اليمين عند أول اشارة مرور. يحتوي المجمع على مجموعة متنوعة من المتاجر.

■ السالمية

السالمية مركز تسوّق شعبي فيه اماكن متعدد لايقاف السيارات.
متاجر متخصصة بآلات التصوير
شركة اشرف: ولديها فروع عدة:
– شارع سالم المبارك.
– السالمية – الفحيحيل.
شركة بوشهري للافلام الملونة: ولديها روع في: – الدعية
– السالمية – الفحيحيل.
شركة آلات التصوير والسينما المحدودة: ولديها فروع في شارع فهد السالم والسالمية والفحيحيل.

البحرين

مركز فاتيم، طريق الخليفة
مركز الهادي، طريق القصر القديم
الزينة بلازا، طريق الخليفة
مجمع شيراتون، طريق الحكومة (قرب فندق "شيراتون")
مركز دلموت، طريق الشيخ عبدالله
بناية الكويتي، طريق الشيخ عيسى.

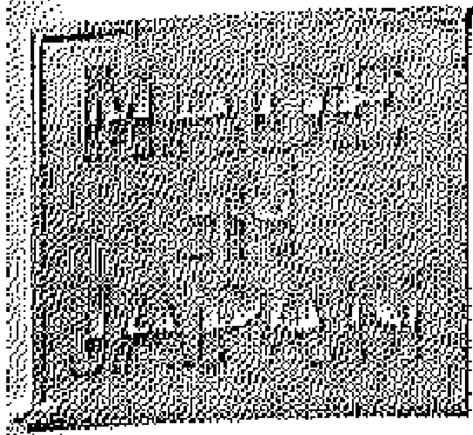
قطر

سنتر، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
غاليري، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
مرتش، طريق سلوى (قرب فندق "رامادا")
ستوديوهات السلام، شارع سعد.
Blue Saloon شارع سعد.
المفتاح، شارع سعد.
السلام بلازا، الخليج الغربي (قرب فندق "شيراتون")

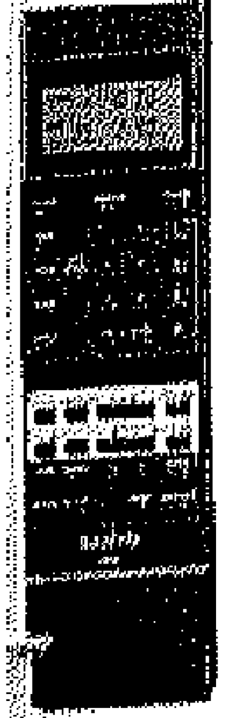
عمان

مركز الوادي التجاري، دوار الكوروم (قرب مركز "سابكو")
مجمع الحارثي، بعد دواري الكوروم والواطية.
مركز "سابكو" التجاري، بعد دوار الكوروم.
مركز عمان التجاري، دوار روي.
سوبر تورز الغير، بعد دوار الكوروم.
مركز العاصمة التجاري، بعد دوار الكوروم.
محلات الجديد، روي (قرب مسجد قابوس).

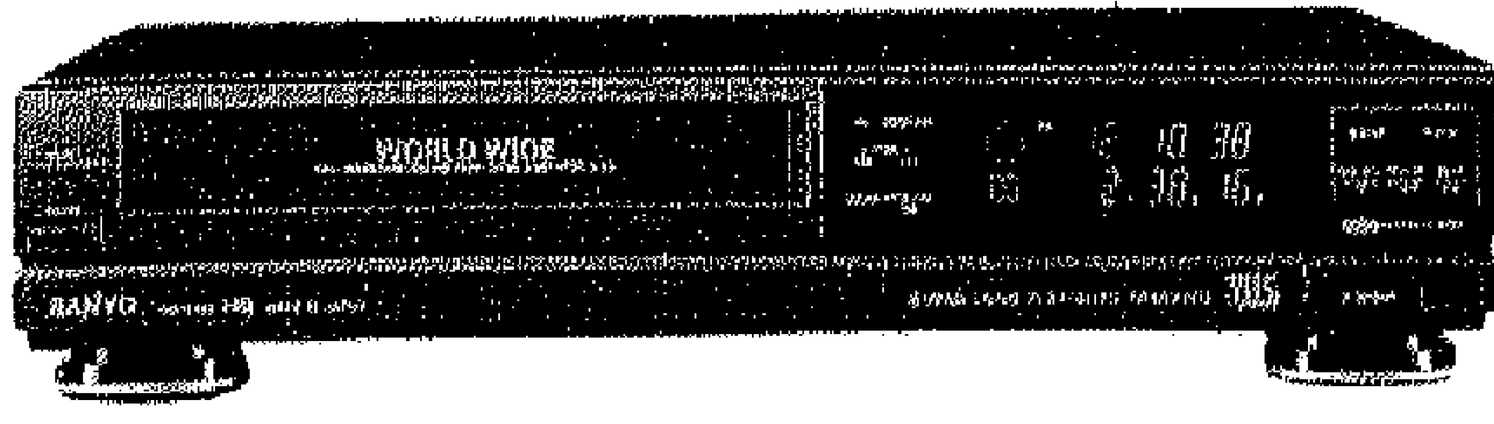
تكنولوجيا متألقة تقدم افضل ما في الالكترونيات



من الاجهزة السمعية - البصرية الى الادوات المنزلية، توفر لكم "سانيو" مجموعة واسعة ومتنوعة من الاجهزة تلبي حاجات كل منكم وحاجات اصدقائكم كذلك. "سانيو" اسم وتكنولوجيا من اليابان تعني دائما النوعية.



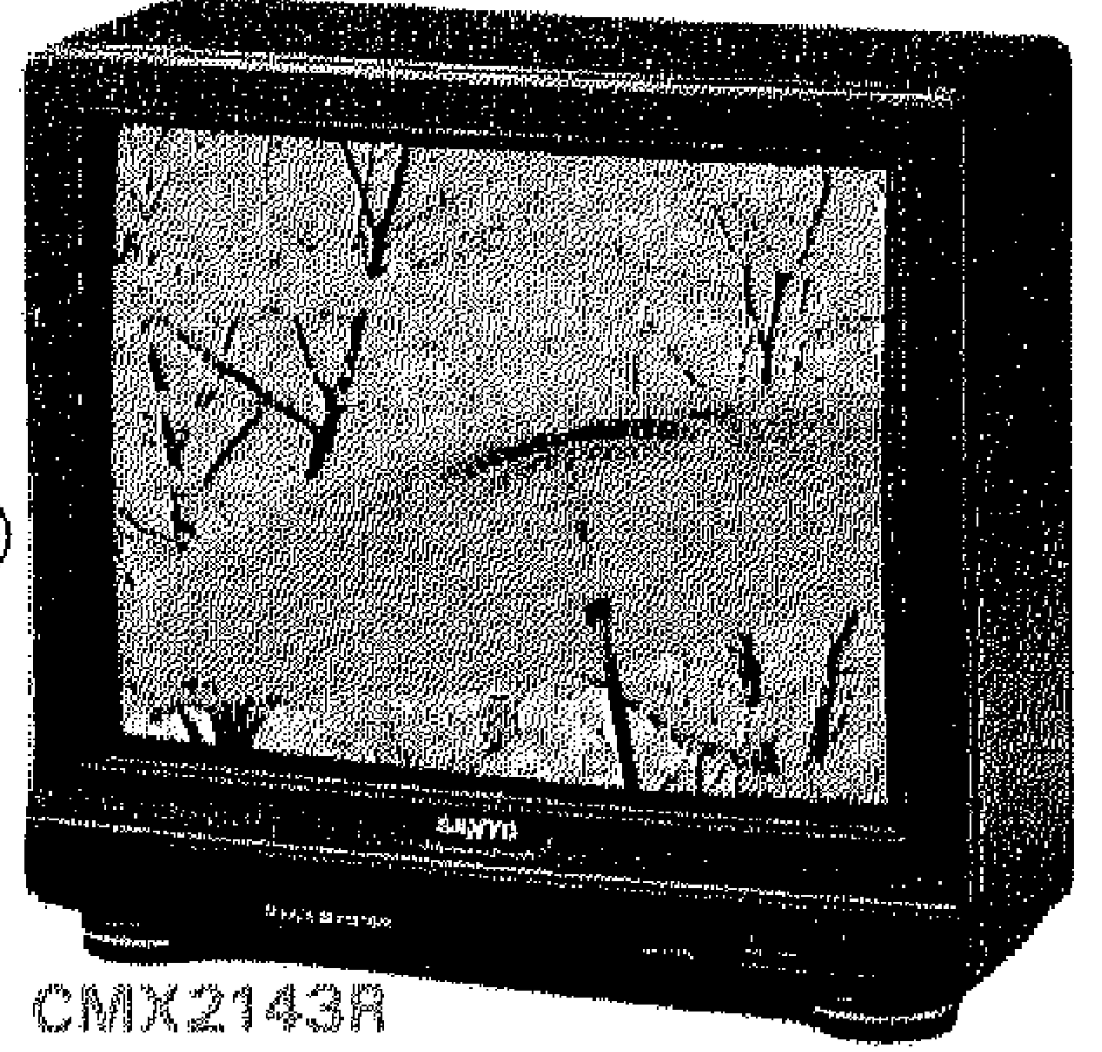




VHR-7770M

مسجل كاسيت فيديو VHS عالمي

- ٤ رؤوس فيديو وزاوية سمت مزدوجة
- تنظيف رأس تلقائيا.

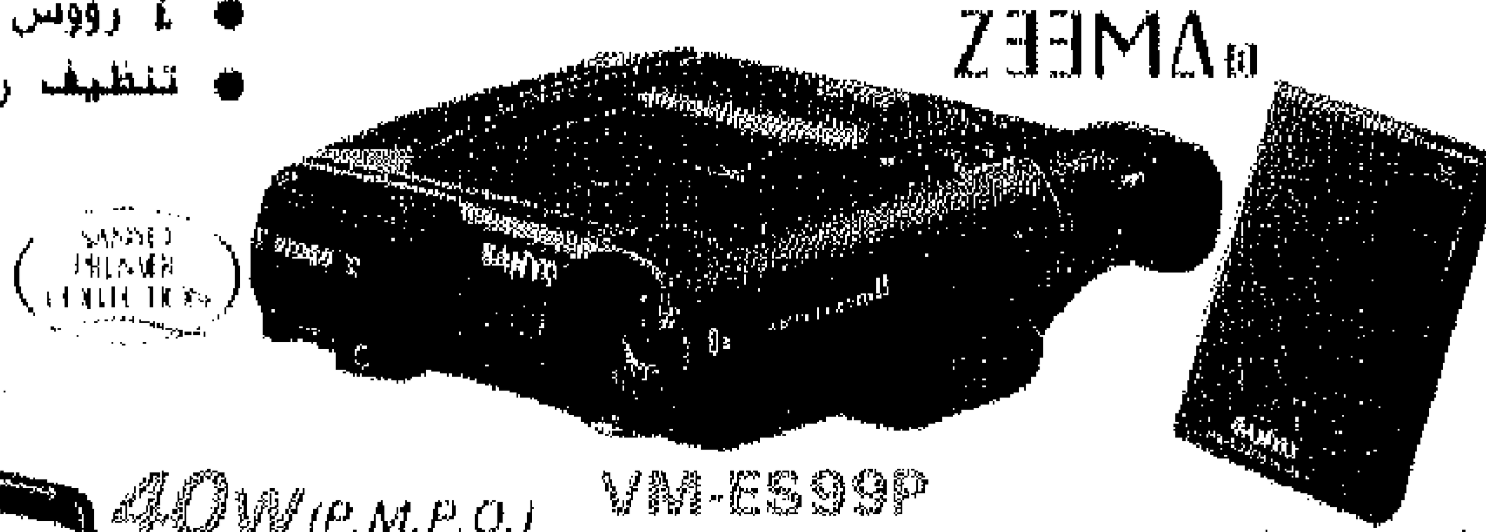


CMX2143R

تلفزيون ملون ٢١" ١٤ نظاما.

- تحكم عن بعد بالاشعة تحت الحمراء. وظائف شاملة.

ZEEMA



VM-ES99P

كاميرا كام كورد ٨ ملم مع نظام توضيح FUZZY LOGIC

- تعديل بؤري (حدقة) تلقائي مع تعريض للضوء وتوزين للون الابيض.

40W (P.M.P.O.)
BASSXPANDER



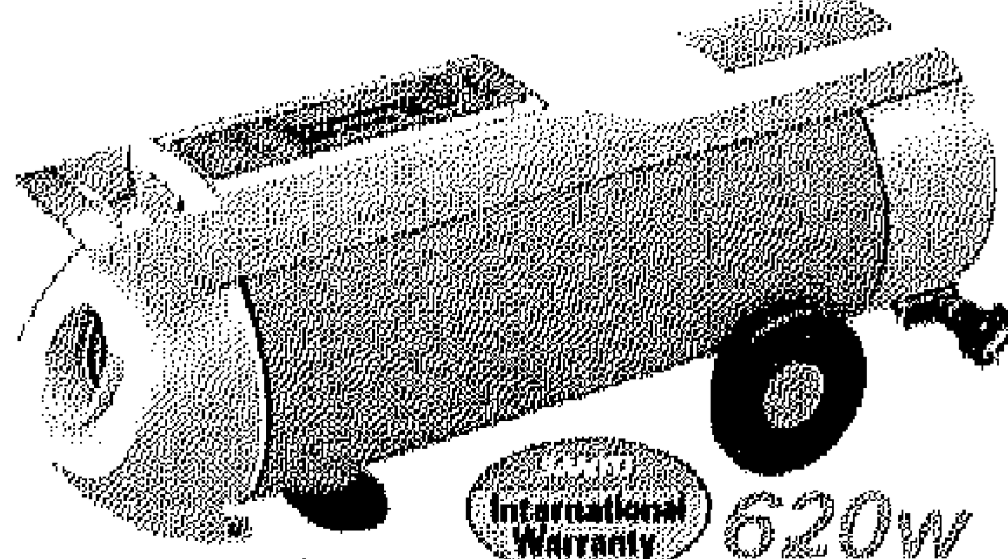
MCD-Z11K

مسجل كاسيت - راديو ستيريو قرص CD مدمج نقال.

- نظام صوت BASSXPANDER



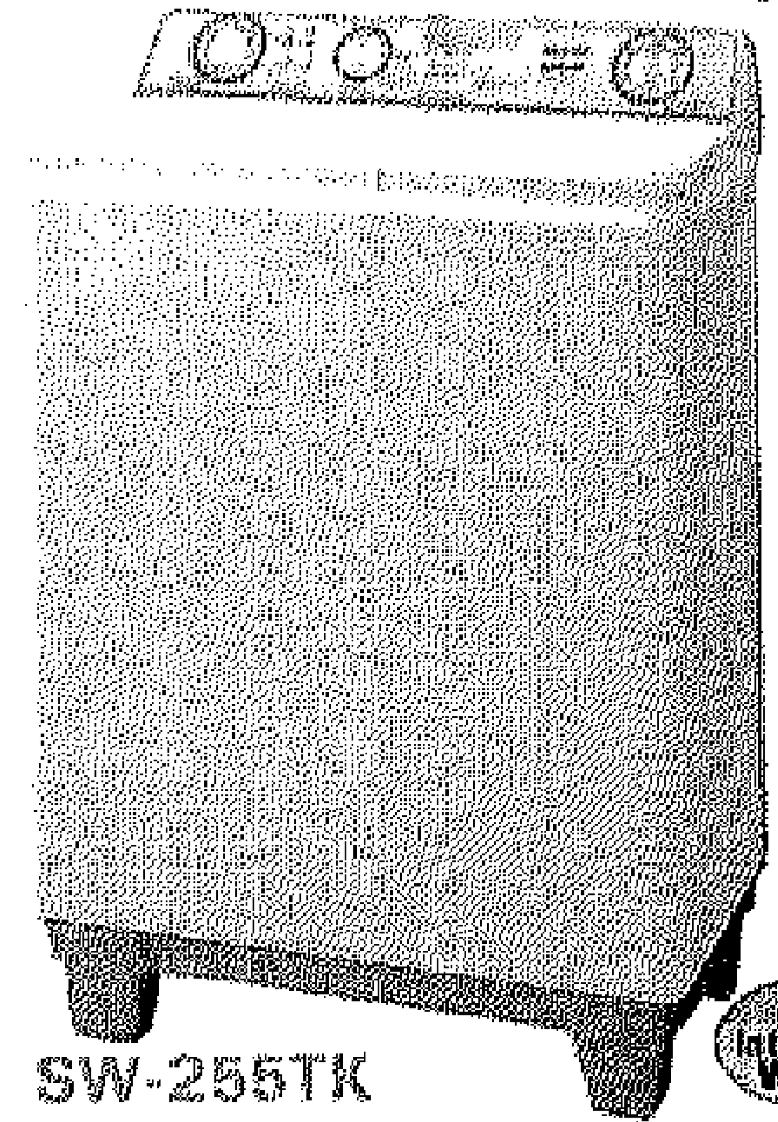
- كفالة مجانية لمدة سنة بعد الشراء وهذه الكفالة مقبولة لبعض الاصناف في بعض البلدان. ومن اجل مزيد من المعلومات يرجى الاتصال بموزعي "سانيو".



SC-1500E

مكنسة كهربائية خط رقيق

- يلف السلك بكبسة زر.





SW-255TK

غسالة ذات حوضين

- تغسل على مرحلتين
- سعتها ٢٫٥ كيلوغرام (٣٢ ليترا من الماء)

SANYO سانيو

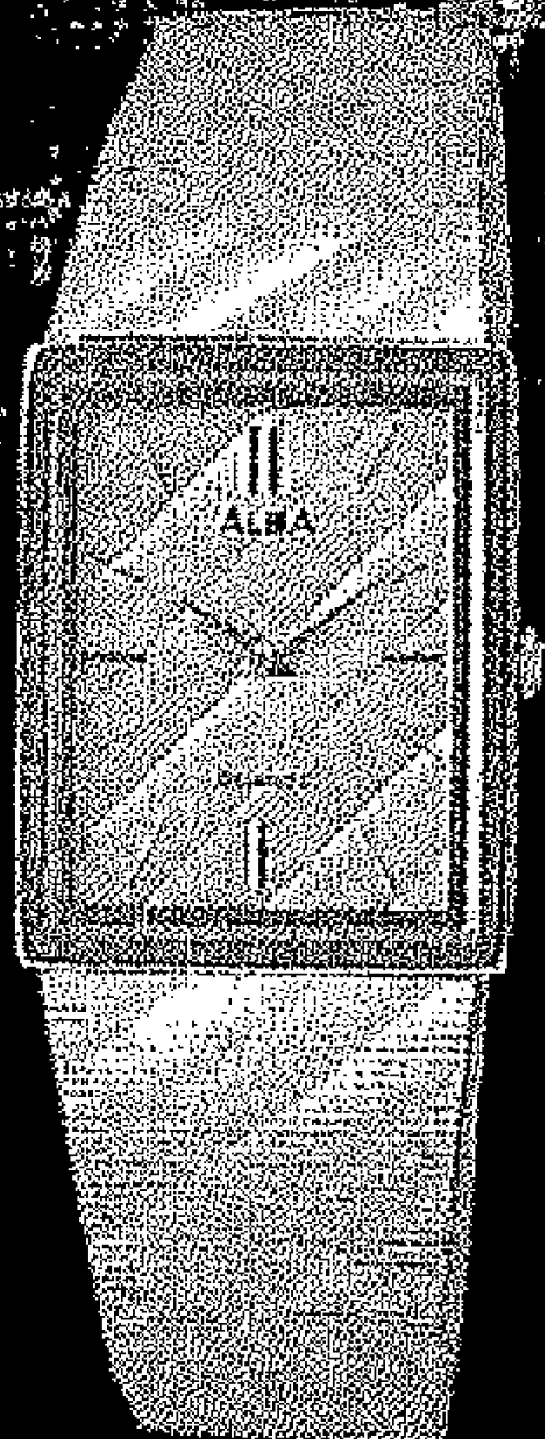
تعرض هذه الادوات في المحال الاتية:

■ **BAHRAIN** A.A. Zayani & Sons Manama 261060 ■ **KUWAIT** Supplying Store Co., W.L.L. Kuwait 2425367-8 ■ **OMAN** General Electric & Trading Co. LLC Muttrah-Muscat 704457, 704645 ■ **QATAR** Qatar Electronics Co., W.L.L. Doha 431511, 434004 ■ **SAUDI ARABIA** Basic Electronics Co., Ltd. Al-Khobar 8648325 / Dammam 8275000 / Riyadh 4111195 Abdullah Bin Sulaiman Basahel & Sons Co. Jeddah 6369581, 6431807, 64282710 / Makkah 5456215 ■ **UNITED ARAB EMIRATES** Al-Futtaim Electronics Dubai 225180, 225189 Jumeirah 493204 / Abu Dhabi 213577 / Al Ain 641473 / Sharjah 354880 / Ras Al Kaimah 331138 / Fujairah 223764

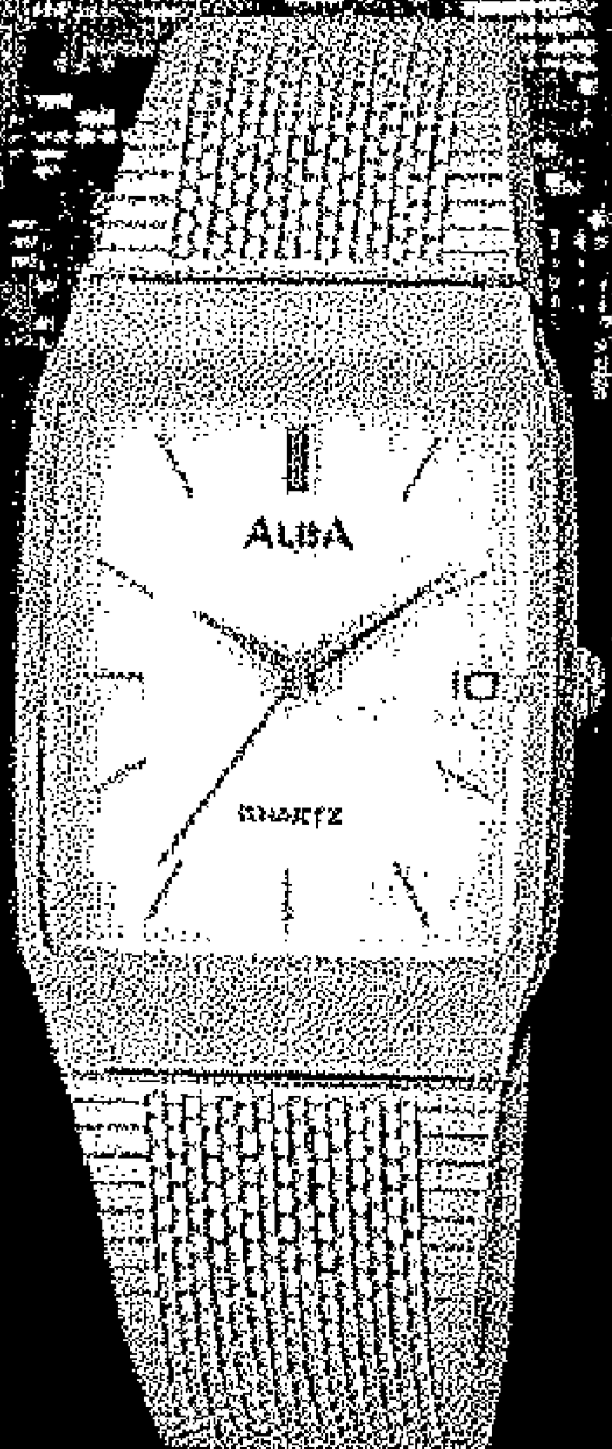
Sanyo service centers in your home country:

■ **INDIA** B.P.L. - India Bangalore 233515, 233518 / Bombay 6301337, 6360339 / New Delhi 6846573, 636000 / Madras 76022 / Cochin 5794 ■ **PAKISTAN** Nasir Siddiq Trading Co., Ltd. Karachi 4553602-5, 442147 / Lahore 220967 / Peshawar 72927 PP / Rwalpindi 556711 / Islamabad 817033 / Sukkur 85109 PP / Faisalabad 42991 / Multan 41832 ■ **SRI LANKA** St. Anthony's Consolidated Ltd. Colombo 24261 ■ **Egypt** Masr Trading Co., El-Rotob Naser City 605163 ■ **TURKEY** Emes Ego Makina Electronik San. ve Tic A.S. Izmir 214404, 214405 / Ankara 1409241, 1409242 / Adana 130775, 140797 / Samsun 111436 / Antalya 183379 Buro ve Muzik Sistemleri Ticaret A.S. Istanbul 1312752, 1465407 TESPA Elektrik Cihazlari Imalat Bakim Ve Ticaret A.S. Izmir 225516, 217807 ■ **THAILAND** Sanyo (Thailand) Co., Ltd. Bangkok 2483491 ■ **PHILIPPINES** Sanyo Service Center Corporation Manila 5211969 / Dagupan 4368 / Southern Luzon 3666 / San Fernando 61349 / Naga 212611 / Iloilo 71313 / Bacolod 21257 / Cebu 83696 / Zamboanga 5857 / Cagayan de Oro 2270 / Davao 72580

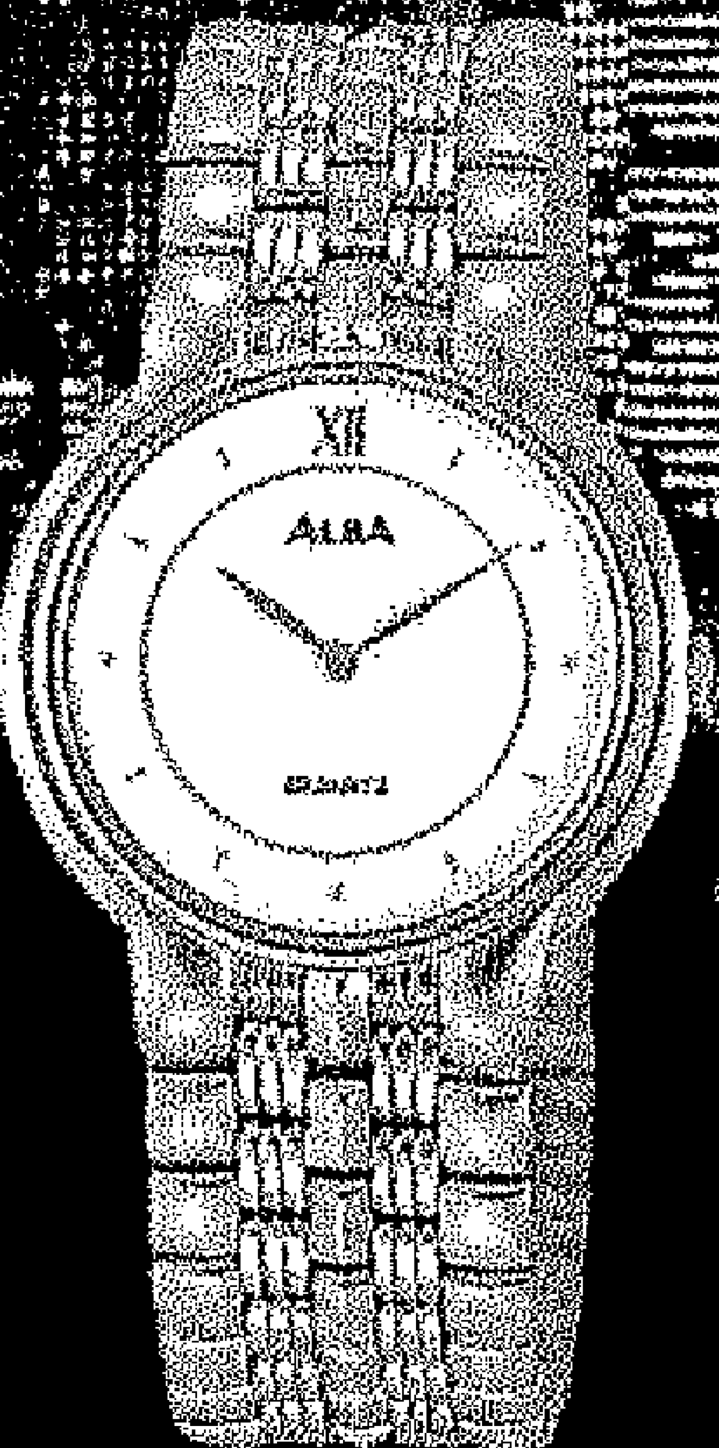
FROM JAPAN



APR051
مقاومة للماء



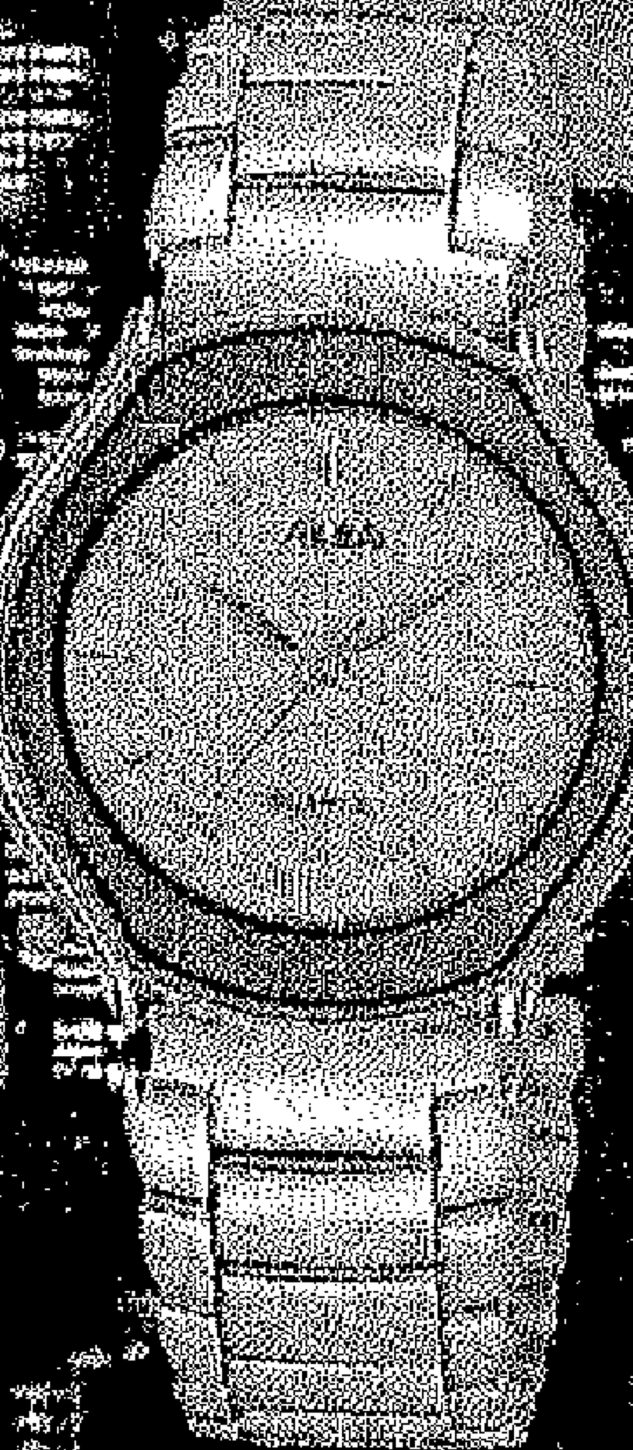
ATX006
مقاومة للماء



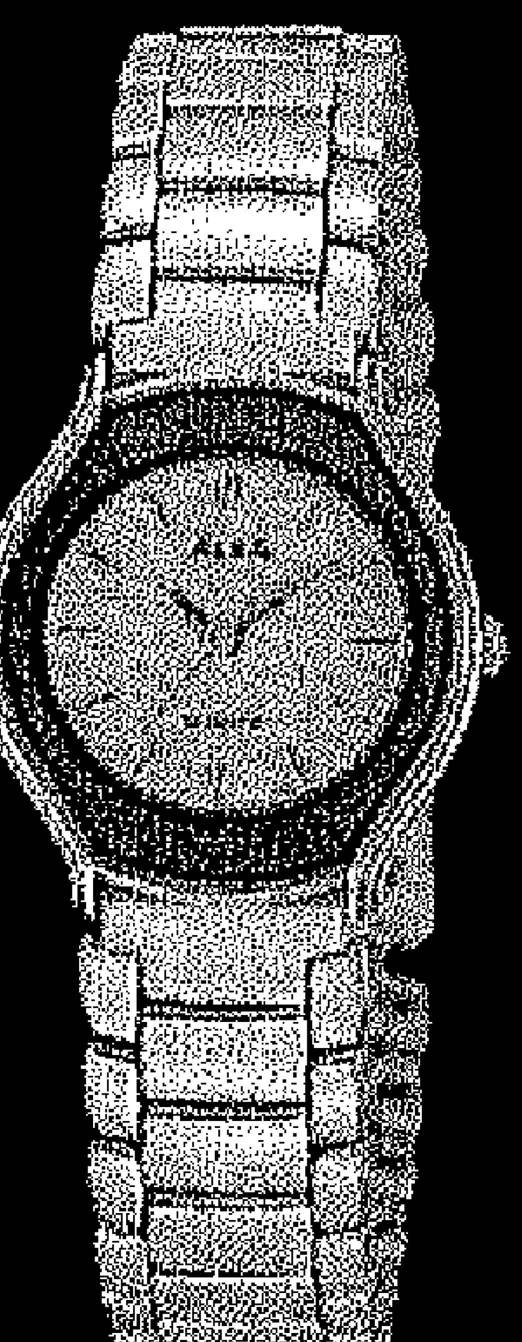
APG512
مقاومة للماء



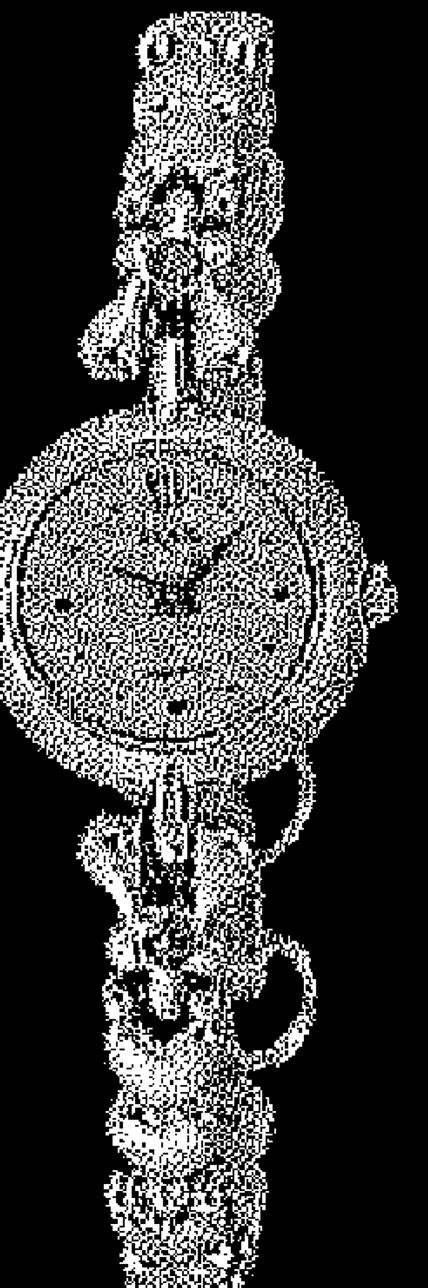
APH550
مقاومة للماء



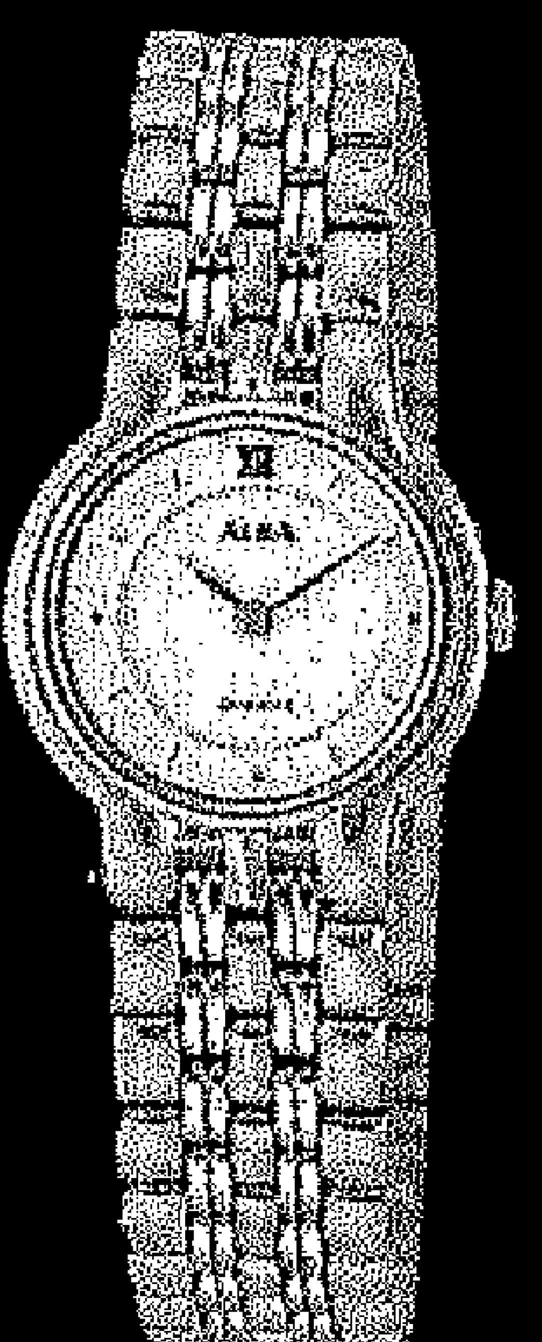
ATD022
مقاومة للماء



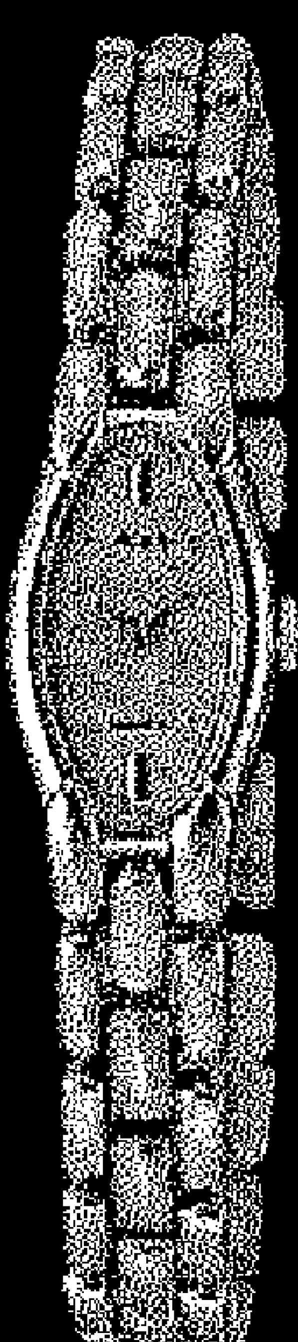
ATQ010
مقاومة للماء



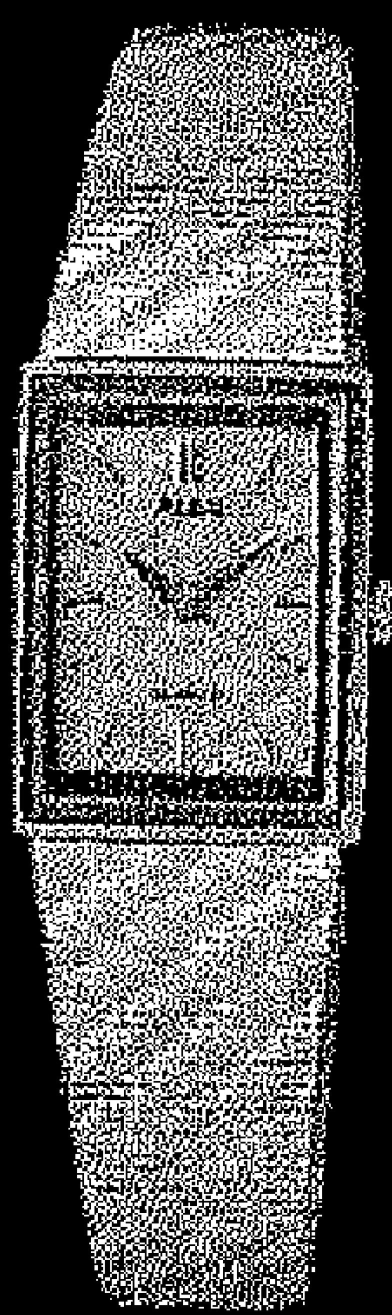
ARB054
مقاومة للماء



APG390
مقاومة للماء



AEX028



ARB061
مقاومة للماء

ALBA

الساعات الظاهرة في الإعلان هي بنسبة ٧٢٪ من حجمها العادي

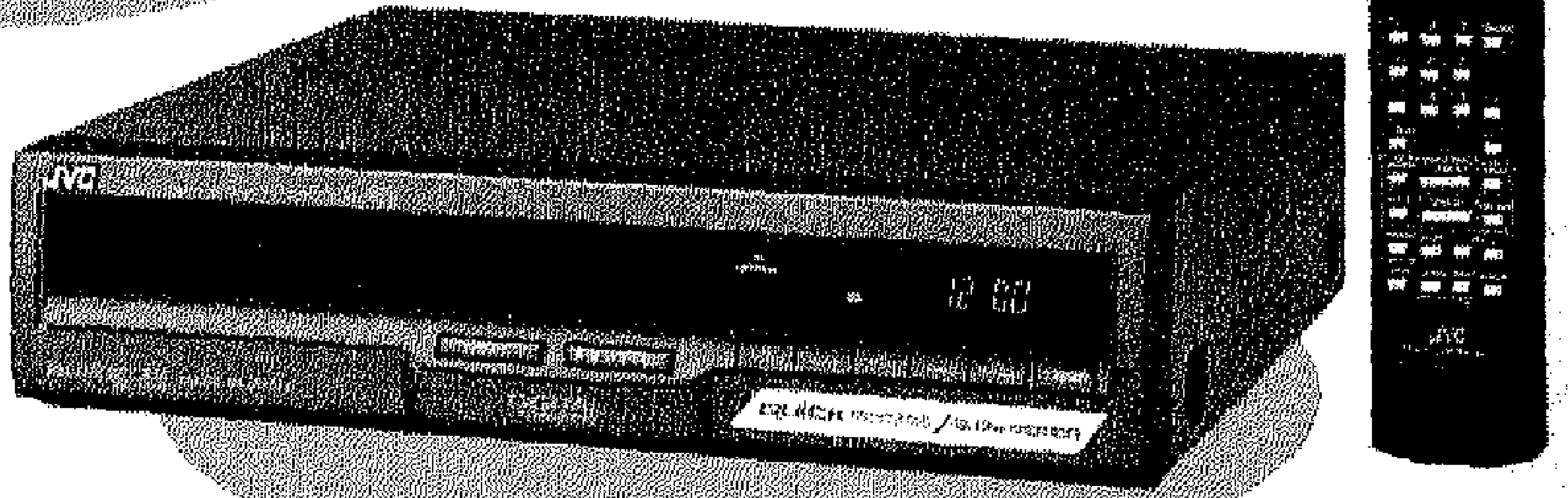
متعة كبرى مع فيديو صغير

3SYSTEM
PAL/MESECAM/NTSC 4.43

P7 HR-P7A



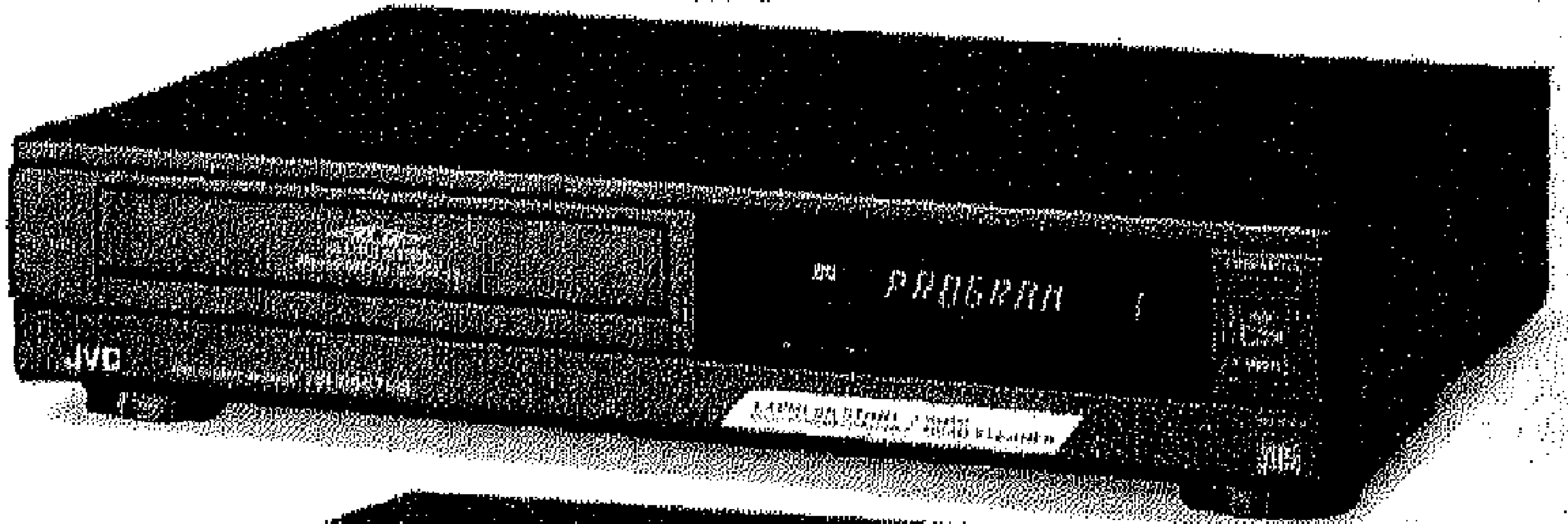
- ☐ عرض NTS بنظام PAL التلفزيوني
- ☐ امكان التسجيل
- ☐ عرض بطيء بسرعتين
- ☐ متناغم مع نظام SECAM D/K التلفزيوني
- ☐ منظف اوتوماتيكي للرأس



DUAL SYSTEM PAL/MESECAM

HR-DX20EM

HQ مسجل فيديو كاسيت
استجابة سريعة وتحميل كامل
مسار رقمي لضبط الصورة تلقائيا



3SYSTEM PAL/MESECAM/NTSC 4.43

HR-D567MS

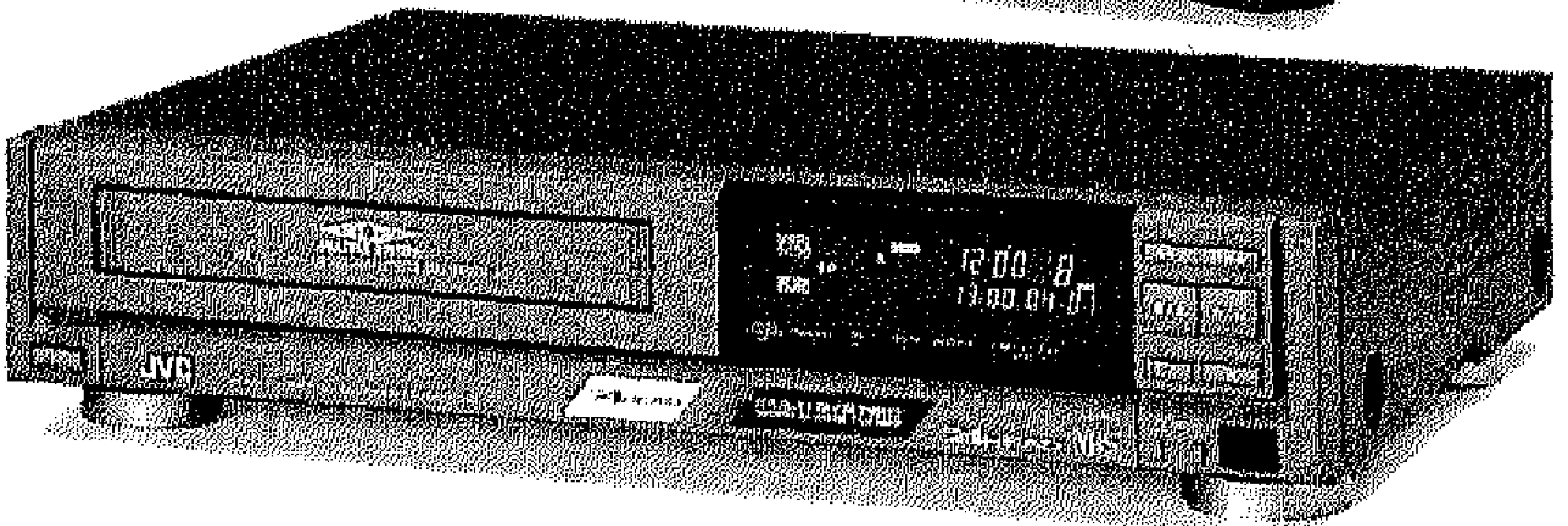
عرض ممتاز للتعليمات



5SYSTEM PAL/SECAM/MESECAM
NTSC 3.58/NTSC 4.43

HR-D527MS

مسار رقمي لضبط الصورة تلقائيا



5SYSTEM PAL/SECAM/MESECAM
NTSC 3.58/NTSC 4.43

موالف داخلي لنظام SECAM فرنسي

HR-D637MS

رأس LP/EP/SP DA-4

JVC VIDEO VHS

مخترع VHS

OLYMPUS

قرارات
قرارات
قرارات

ان شراءكم كاميرا يبدو مهمة سهلة عندما تقررون شراء "اولمبوس"، لاننا نضع كل الجهد والتعب في صنع الكاميرات قبل ان تصل الى ايديكم. انظروا فقط الى "اولمبوس" الجديدة OLYMPUS IS-1000 الاكثر اتقانا بين فئة SLR. انها ثورة في التصميم ومزودة عدسة مقربة ٣٥ ملم - ١٣٥ ملم غاية في الدقة والصفاء.

او جربوا OLYMPUS AZ-230 سوبرزوم. انها كاميرا ٣٥ ملم متعددة الاستعمالات مزودة عدسة ٣٨ ملم - ٩٠ ملم وتؤدي قوة العدسة المقربة فيها كل الوظائف.

ثم هناك OLYMPUS µ[MJU:]-1 المدمجة المحمولة والمتناهية الادماج. وهي اوتوماتيكية بالكامل. وتصميمها المتجدد يكمن في كونها كاميرا ٣٥ ملم قوية في التركيز والالتقاط.

بالطبع، اذا كنتم تبحثون عن كاميرا ٣٥ ملم سهلة الاستعمال، اسألوا عن OLYMPUS TRIP جونيور. انها صنع اليابان ولا اسهل من استعملها.

وتتمتع كاميرا "اولمبوس" بخصائص معروفة من حيث تعبئة الفيلم اوتوماتيكيا ولفه ايضا وتركيز بؤري ذاتي وضبط التعريض والفلاش الداخلي الذي تتحكمون به ولها سعر في متناولكم.

لذلك اطلبوا "اولمبوس". لان التصوير لم يكن يوما بالسهولة التي تجدونها فيها.


IS-1000



AZ-230 Superzoom



µ-1

TRIP Junior



OLYMPUS®

OLYMPUS OPTICAL CO., LTD. Tokyo, New York, Hamburg, London

U.A.E.: Al Sayegh Brothers Trading, P.O. Box 55106, Dubai U.A.E. Tel: (04) 285956/Fax: (04) 211055
Saudi Arabia: Shamsan Stores, P.O. Box 1810, Riyadh 11441 Tel: 4631485
Bahrain: Gajria Electronics W.L.L., P.O. Box 305, Manama Tel: 256892
Oman: Shah Nagardas Manji, P.O. Box No. 5908, Ruwi-Muscat Tel: 703803
Kuwait: Qirtas & Gajria Co. Ltd. W.L.L., P.O. Box 387 Safat 13004, Kuwait Tel: 2435068, 2408053 ~ 4
Service Workshop in India: Camera Centre Gr. Floor, 189-191, Dr. D.N. Road, Opp. Central Bank of India, Bombay 400 001 (INDIA) Tel: 2625560/Fax: (22) 2625781

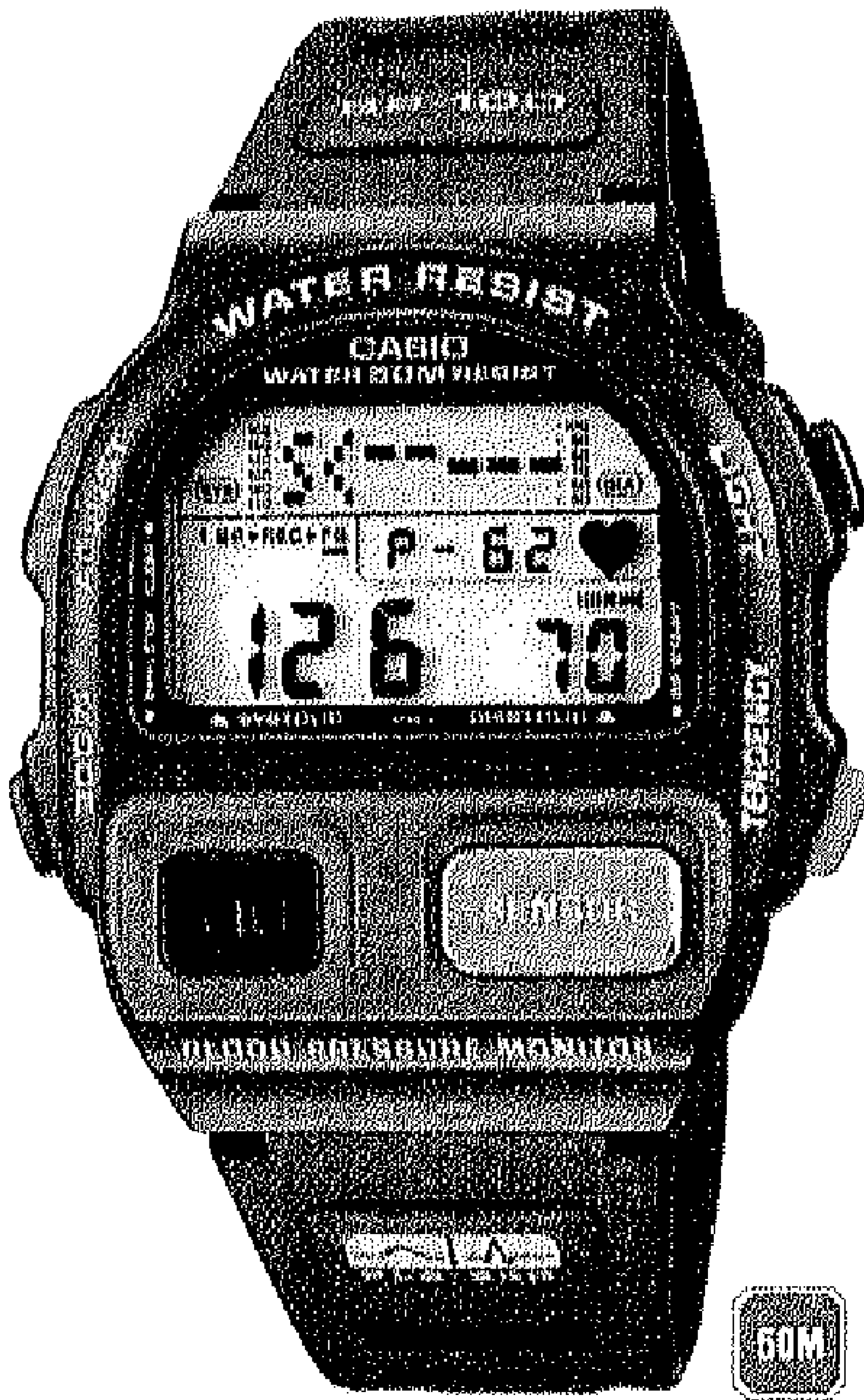
CASIO

الأولى في العـــالـــم - ساعـة كـاسـيـو لـقـيـاس ضـغـط الـــدم عـلـى مـعـصـمـك.

إن مـراقبتـك لضغط دمـك عـادة صحية - كـاسـيـو تجعـلها سـهـلـة مهما كان العمـل الذي تقـوم بـه.

لقياس ضغط دمك فقط
المس أزرار التحسس برفق!







تـصـمـيـم مـتـفـوق حـان وقـتـه.

وظيفة ٣٠ ذاكرة

تخزن ٣٠ مجموعة لمعلومات يومية - ضغط الدم المرتفع / المنخفض مع النبضات. يمكن استدعاء اية معلومة لتساعدك على مراقبة التغيرات.

عناية بالصحة على مدار الساعة

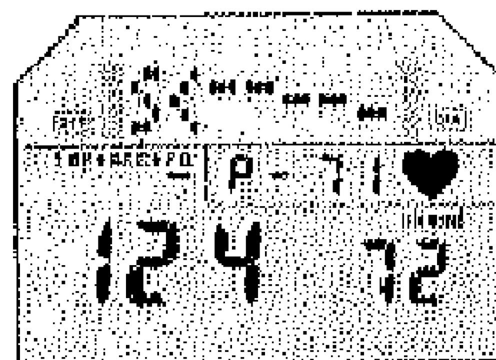
لان ساعتك تلازمك طوال اليوم - فبالامكان إلقاء نظرة سريعة عليه وضعك الصحي في اي وقت واي مكان.

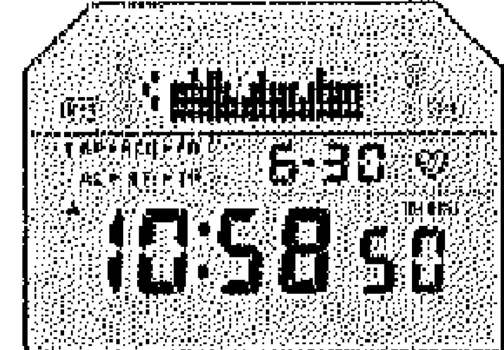
العرض البياني

يظهر العرض المعلومات المخزونة بالذاكرة بصورة خط بياني.

وظيفة قياس متتالية

أستعمل وظيفة القياس المتتالية لثلاث دقائق كدليل للإسترخاء.





جهاز لمراقبة ضغط الدم BP-100

- وظيفة لحفظ الوقت
- مـعـلومـات وعـرض بيـاني لنسب انقباض وانـبـسـاط الـقـلب والنبض
- ذاكرة لـ ٣٠ معلومة
- ذاكـرة لـ ٣٠ نتيجـة قياس متتالية

CASIO COMPUTER CO., LTD. Tokyo, Japan

دائرة المعارف

العامية هي لغة النطق اليومي والوجه العمليّ للعربية الفصحى. لها قواعد وأصول، ومنها أدب شعبي عريق. وهي تختلف من قطر عربي الى آخر، بل من إقليم الى آخر في بلد واحد، لكنها في معظمها متجذرة في العربية الفصحى.

هنا كلمات يظنها بعض العرب عامية، لكنها في الحقيقة عربية فصحى. وقد وضعت أمام كل كلمة أربعة معانٍ، واحد منها صحيح. والمطلوب من القارىء أن يختار المعنى الذي يعتبره صحيحاً، ثم يقلب الصفحة ليحصل على الاجوبة ويقيس مستواه.

١. **بَرْنيَّة**: قوقعة – قبعة – عباءة – إناء من خزف.

٢. **فدان**: ثوران للحراثة – بغل قوي – فدية – سكة الحراثة.

٣. **بَوْش**: فراغ – خليط من الناس – صراخ – تقبيل.

٤. **تأبّى**: قام من موضعه – تواقح – امتنع – تفاخر.

٥. **بصبص**: مصّ اصبعه – فتح عينيه – قرأ – نظر من طرف عينه.

٦. **كشّ**: طرد – ذبل – قشر – قطب حاجبيه وتجهّم.

٧. **أرض بور**: مزروعة – مروية – ممهّدة – لم تُزْرع.

٨. **غنم جَلَب**: جَرب – مسروق – تائه – مجلوب من بلد الى بلد.

٩. **خَطْرة**: ضربة – مشية سريعة – مَرّة – فكرة خطيرة.

١٠. **قرطل**: وعاء من زجاج – سلة – قرص عسل – من الحلي.

١١. **أَبِس**: قنط – قاس – سلّى وعزّى – داوى.

١٢. **استنظر**: حرس – نظر من ثقب – اقترح – ترقّب.

١٣. **جبّانة**: جبهة – مصنع جبن – مقبرة – زوجة غيور.

١٤. **حردان**: مختبىء – غدّار – غضبان – نوع من الزواحف.

١٥. **تنبل**: تبغ – قصير القامة – نبيه – كسلان.

١٦. **طخّ**: رمى – حَمَّض وفَسُد – كسر – قتل.

١٧. **خبص**: دهس – خلط – فاجأ – أكل حتى التخمة.

١٨. **دُوْن**: قريب – شريف – خسيس سافل – بحر عظيم.

١٩. **شقفة**: خشبة – فأس – كومة – كسرة خزف.

٢٠. **ترتر**: أكثر الكلام – ركض – تعثّر – تلعثم.

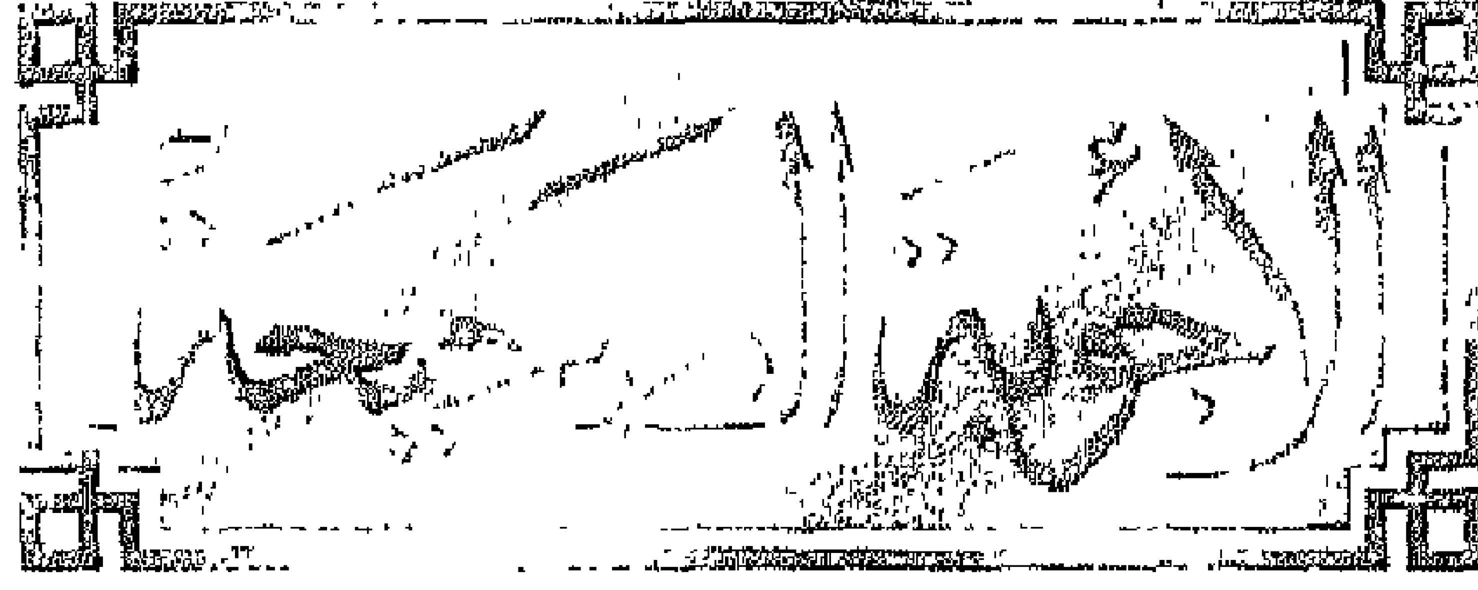
٢١. **شخّ**: بال – جلس القرفصاء – تأنّق – كبر وعجز.

٢٢. **جِلْف**: قضيب حديد – عجل – غليظ جافٍ – جلد.

٢٣. **تزنتر**: تزيّن – شدّ وسطه بحزام – برد – تبختر.

٢٤. **وشوش**: تملّق – همس – رشّ – زجر الابل.

٢٥. **شويّة**: طبع – شواء – بقيّة – نار موقد.



١. **البَرْنيَّة**: إناء من خزف. يقال "برنية سمن."

٢. **الفدان**: الثوران يُقرن بينهما للحرث. وفدان الارض عند الفلاحين ما يحرثه الفدان في يوم واحد.

٣. **البُوش والبَوْش**: الخليط من الناس. يقال "تركهم هَوْشا بَوْشا" أي مختلطين.

٤. **تأبّى**: امتنع ولم يرضَ. يقال "عُرض عليه كذا فتأبى."

٥. **بصبص الجرو**: فتّح عينيه. أيضا: حرك ذنبه. بصَّ: برق وتلألأ. البصّاصة: العين لأنها تبصّ أي تبرق.

٦. **كشّ**: طرد وزجر.

٧. **أرض بُورٍ**: لم تزرع. البَوار: الهلاك. دار البوار: جهنّم.

٨. **غنم جَلَب**: مجلوب من بلد الى بلد.

٩. **الخَطْرة**: المرة. يقال "ما لقيته الا خطرة."

١٠. **القرطل**: سلة من قضبان أو قصب. القِرْطلَّة: عِدْل الحمار.

١١. **أيس منه**: قنط بمعنى يئس. الآئسة: البالغة خمسين عاما فما فوق.

١٢. **انتظره واستنظره**: ترقّبه.

١٣. **الجبّانة**: المقبرة. وهي أصلا الصحراء،سميت بها المقابر لأنها كانت في الماضي تتخذ في الصحراء، وهذا من قبيل تسمية الشيء بموضعه.

١٤. **حَرِد**: غضب فهو حارد وحَرد وحَرْدان.

١٥. **التنبل والتِنبال**: القَصيرُ القامة. أما "التنبل" بمعنى البليد الكسلان فهي مصطلح تركي.

١٦. **طخَّ الشيء**: رماه وأبعده.

١٧. **خبص**: خلط.

١٨. **دُوْن**: نقيض فوق. الرجل الدُون: الخسيس الحقير السافل.

١٩. **الشَقْفة**: كسرة الخزف. والعامة تقول "شَقْفة" بمعنى قطعة.

٢٠. **ترتر**: أكثر الكلام وأسرع فيه.

٢١. **شخَّ الصبي**: بال. شخشخ: امتدّ بوله فهو شخشاخ.

٢٢. **الجِلْف**: الغليظ الجافي. وتستعملها العامة للرجل الجافي. جَلَف: قشر. يقال "جلفت قدمي."

٢٣. **تزنتر**: تبختر.

٢٤. **وشوشه**: همس اليه الكلام. توشوش القوم: تهامسوا.

٢٥. **الشَويَّة والشواية**: بقية قوم أو مال. والعرب في بلاد العرب كلها يقولون "شويَّة" بمعنى الشيء القليل.

المستوى

٢١ - ٢٥: ممتاز

١٤ - ٢٠: جيد جداً

٩ - ١٣: مقبول

ديزني الأوروبيّة
حُلم تحقّق



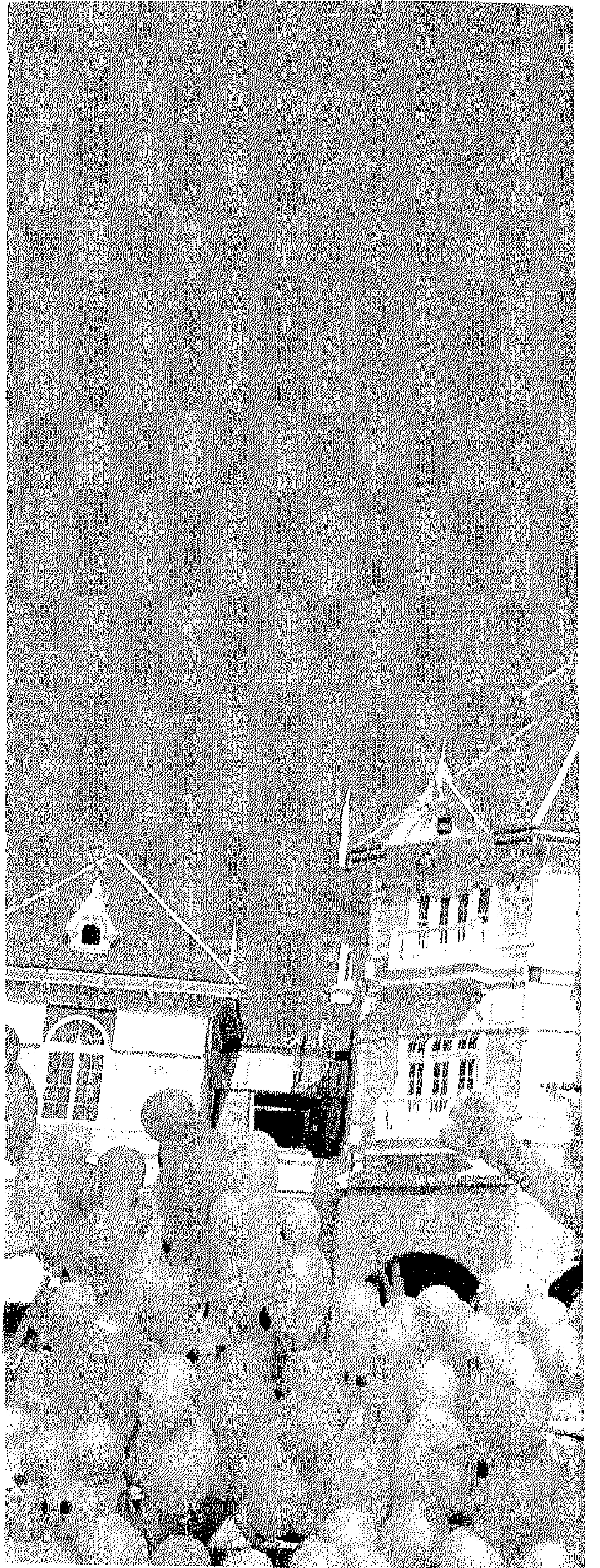
PHOTOS: © DISNEY

سندريلا هنا والأميرة النائمة وحبيب الاطفال ميكي ماوس وكل فكرة جامحة تأتينا في اليقظة وفي الاحلام

عبرتُ البوابات الامنية في الموقع الفسيح قرب باريس الى غيمة من غبار أثارتها شاحنة حملت ثلاثاً من أضخم الاشجار التي رأيتها تُنقل في حياتي، أشجار تنّوب من ألمانيا بطول ٢٠ متراً ذات جذور وأغصان كاملة سليمة. بدا الموقع كله في حركة: شاحنات وجرافات تسرع في كل اتجاه، ورافعات عملاقة تضع جدراناً وأشجاراً وأبراجاً في مواضعها المحدّدة.

أخبرني أحد السائقين مزهواً: "هذه أكبر ورشة بناء في فرنسا منذ خط ماجينو." فقلت له إنني آمل أن يلقى ما يبنيه حظاً أفضل من حظ سابقه. فاتسعت ابتسامته ورد قائلا: "لا تقلق، فسوف يمرح الناس هنا مئات من السنين."

ثم أعطاني توجيهات سريعة عبر الفوضى القائمة: "هذه هي البحيرة أمامك، وسوف تقوم على ضفافها أربعة من أكبر فنادق أوروبا يضم كل منها أكثر من ألف غرفة. ومن تلك البقعة هناك سيكون في امكانك الانطلاق الى الفضاء الخارجي. وهنالك الأدغال الاستوائية



ميكي وميني واصدقاؤهما أمام فندق ديزني لاند.

والغرب الامريكي والبيوت المسكونة والبازار الشرقي..." كانت يداه تشيران في كل اتجاه.

"وكل هذا،" أضاف السائق، "بدأ بفأرة!"

قصة حالم. ظهرت تلك الفأرة للمرة الاولى قبل ٦٤ سنة في لوحة رسام أمريكي في السادسة والعشرين من عمره كان يعمل في الرسوم المتحركة ويدعى والتر الياس ديزني، أو والت كما كان يحب أن يسمّى. كان والت خسر وظيفته فراح يحاول يائساً ابداع شخصية جديدة لفيلم من الرسوم المتحركة. وسرعان ما استحضر شخصية فأر جامح، مثل مبدعه، يتلقى ما يرميه به عالمه من غير أن يفقد القدرة على الابتسام.

أطلق والت على فأره اسم "فأر مورتيمر."[١] ثم أخبرته زوجته أنه اسم مرعب. فسألها: "ما رأيك في اسم ميكي؟ ميكي ماوس اسم جيد ومحبّب!"

وفي عشر سنين أصبح الفأر ذو الاذنين المستديرتين صديق الأطفال الحميم في أنحاء العالم. وأصاب والت ثروة وشهرة.

ثم خطرت له، وهو في حديقة ملاه في جنوب كاليفورنيا، فكرة أخرى من أفكاره الجنونية. كان آنذاك جالساً على مقعد يتسلى بأكل الفستق فيما طفلتاه تلهوان على الخيول الخشبية. فتساءل في سرّه "لماذا لا أنشيء حديقة ملاه أضع فيها الشخصيات التي أبتكرها، وحيث يمكن الاطفال والأهل أن يتشاركوا في المتعة؟"

ظل مديرو المصارف طوال عقدين يرفضون إقراض والت ديزني المال اللازم لتحقيق حلمه، على رغم أن استوديوات ديزني أنتجت سلسلة من الأفلام لاقت نجاحاً كبيراً. فاضطر في النهاية الى رهن كل ما يملك، من سندات ومنزل ومفروشات، ليشتري ١٠٠ هكتار من الأرض خارج لوس انجلس ويمهدها. فكانت "ديزني لاند"[٢] ضربة موفقة منذ لحظة افتتاحها. وبعد ١٦ سنة باتت لها شقيقة أكبر حجماً هي "ديزني وورلد"[٣] (١١ ألف هكتار) في أورلاندو بفلوريدا، تبعتها "ديزني لاند طوكيو" في العام ١٩٨٣.

بعد ذلك جاء دور أوروبا. فقد أطلق المسؤولون في شركة والت ديزني ١٥٠٠ شخص من "المتخيلين" لديهم، أولئك الحالمين الذين يبتكرون أفكاراً غريبة مذهلة ويضعون خططاً لتنفيذها. واستقر رأي الشركة، بعد دراسة شملت ٢٠٠ موقع عبر القارة الاوروبية، على مكان رائع يبعد ٣٠ كيلومتراً عن باريس وتبلغ مساحته ٢٠٠٠ هكتار، كانت الحكومة الفرنسية عرضته على الشركة. ووافق الفرنسيون على بناء شبكة طرق ومرافق خدمات وعلى وصل المركز بالمدينة بواسطة المترو[٤] واستحداث محطة لخط القطار السريع المنوي انشاؤه مما يجعل

(١) Mortimer Mouse
(٢) Disney Land
(٣) Disney World
(٤) المترو شبكة قطار نفقي تحت ارض مدينة ما.

لندن وأمستردام وفرنكفورت على بعد أقل من ثلاث ساعات من المركز. وفي المقابل، سيفيد الاقتصاد المحلي من وجود ١٢ ألف عامل في المركز ومن نحو ١١ مليون زائر سنوياً.

وُقِّعت العقود النهائية في مارس (آذار) ١٩٨٧. وسرعان ما شرع ١٠ آلاف عامل في الحفر وتشييد المباني ومد الاسلاك.

خطر على أوروبا! عندما زرت الموقع في أغسطس (آب) ١٩٩١ بدا أشبه بساحة معركة منه بمدينة ملاه. وتساءلت كيف يمكن أن تتحول أربعة ملايين متر مكعب من التراب المبعثر، خلال تسعة أشهر فقط، منتجعا ضخماً يضم قصر "الاميرة النائمة" و٢٩ مزاراً آخر و٣٦٠ ألف شجرة و٢٠ جسراً وستة فنادق وخمس برك سباحة و٥٠ مطعماً و١٠٠ متجر و١٠٥١ روبوتا[٥] وسفينة بخارية من النوع الذي يمخر نهر الميسيسيبي؟

قال صديق فرنسي ساخراً: "إنهم يحتاجون الى عصا سحرية لكي ينهوا العمل في الوقت المحدد،" ناسيا أن جماعة ديزني تستعمل العصي السحرية منذ أكثر من نصف قرن. وثمة واحد من أبرع "السحرة" انضم اليها حديثاً يدعى روبرت فيتزباتريك، وهو أمريكي في الثانية والخمسين من عمره كان اختصاصيا بالادب الفرنسي ثم أصبح رئيسا لمعهد فنون في لوس انجلس ترعاه شركة "ديزني." وذات صباح سبت في ديسمبر (كانون الاول) ١٩٨٦ كان يتناول فطوراً مبكرا مع فرانك ولز أحد كبار مديري الشركة، فطلب منه هذا أن يتولى ادارة المشروع الذي تبلغ كلفته أربعة مليارات دولار. لم يكن فيتزباتريك تولّى في حياته مشروعاً بهذا الحجم والتعقيد، لكنه أظهر على الدوام براعة مميزة في التعامل مع مجموعة كبيرة ومتنوعة من الأشخاص العاملين في مهن ابداعية، في التمثيل والرقص وادارة المسارح والرسوم المتحركة. فقبل العرض وانتقل الى باريس في الخريف التالي.

كان فيتزباتريك بصفته رئيساً لـ"أورو ديزني"[٦] هو سفير ديزني غير الرسمي الى "العالم القديم." وقد اكتشف هناك أن ثقافته الاكاديمية لا تقدر بثمن، إذ أثار المشروع استياء بعض الأوساط الاوروبية، وعبّر أحد الصحافيين البريطانيين عن هذا السخط بقوله: "ان مفهوم ديزني لاند هو تهديد للحضارة كما نعرفها نحن الاوروبيين."

قال فيتزباتريك: "لم أستطع أن أنظر الى الحضارة الاوروبية كسيدة عجوز هزيلة يرعبها فأر." ولاحظ أن معظم الشخصيات التي أعاد ديزني إحياءها متجذرة في التراث الاوروبي نفسه: سنو وايت وسندريلا وبينوكيو وبيتر بان. كما أن قصر الاميرة النائمة مستوحى جزئياً من مخطوطة من القرن الخامس عشر بعنوان "ساعات دوق بيري الفنية."[٧]

(٥) الروبوت هو ما يعرف بالانسان الآلي.
(٦) Euro Disney اي ديزني اوروبا.
(٧) Les très Riches Heures du Duc de Berry

أذنا ميكي ماوس، جاب خبراء شركة ديزني الارض بحثاً عن عناصر وأشخاص لهذا العالم الآتي من قصص الجنيّات. وذهب أحدهم الى ويلز بحثاً عن جرفيين يمكنهم صنع قطارات صغيرة عتيقة الطراز ذات محركات بخارية تنقل الزوار أثناء تطوافهم في المركز. وسعى آخر الى حفّاري خشب أمريكيين لنحت الخيول الخشبية العملاقة التي ستركَب على دوارة الخيول. وراح ثالث يستكشف الكهوف في جنوب فرنسا ليعود بأشكال جديدة من الرواسب الكلسية (الصواعد والهوابط) يمكن إعادة نسخها في مغاور "أورو ديزني."

عثر الخبراء على فينسنت لينار في بلجيكا، وكان يرئس مؤسسة لتجارة الثياب الجاهزة في بروكسل... الى أن جاء يوم رأت زوجته "أذني ميكي ماوس تنبتان على رأسه." ويشرف لينار الآن على أكثر من ٢٠ مشغلا في فرنسا وبلجيكا تعمل في إعداد نحو ٣٠٠ ألف قطعة ثياب متنوعة ضرورية لما تدعوه شركة "ديزني" شخصياتها.

يرتدي كل من يعمل في "ديزني" زياً ما، بمن فيهم "المضيفون" أو منظفو الشوارع الذين يجولون في كل مكان للتأكد من عدم وجود أعقاب سجائر أو لفافات علكة (لبان) تشوه نظافة الديكور. وهم يرتدون أزياء خاصة لأنهم كلهم يمثلون أدواراً في ما سماه أحد مديري الشركة "صندوق ديزني السحري."

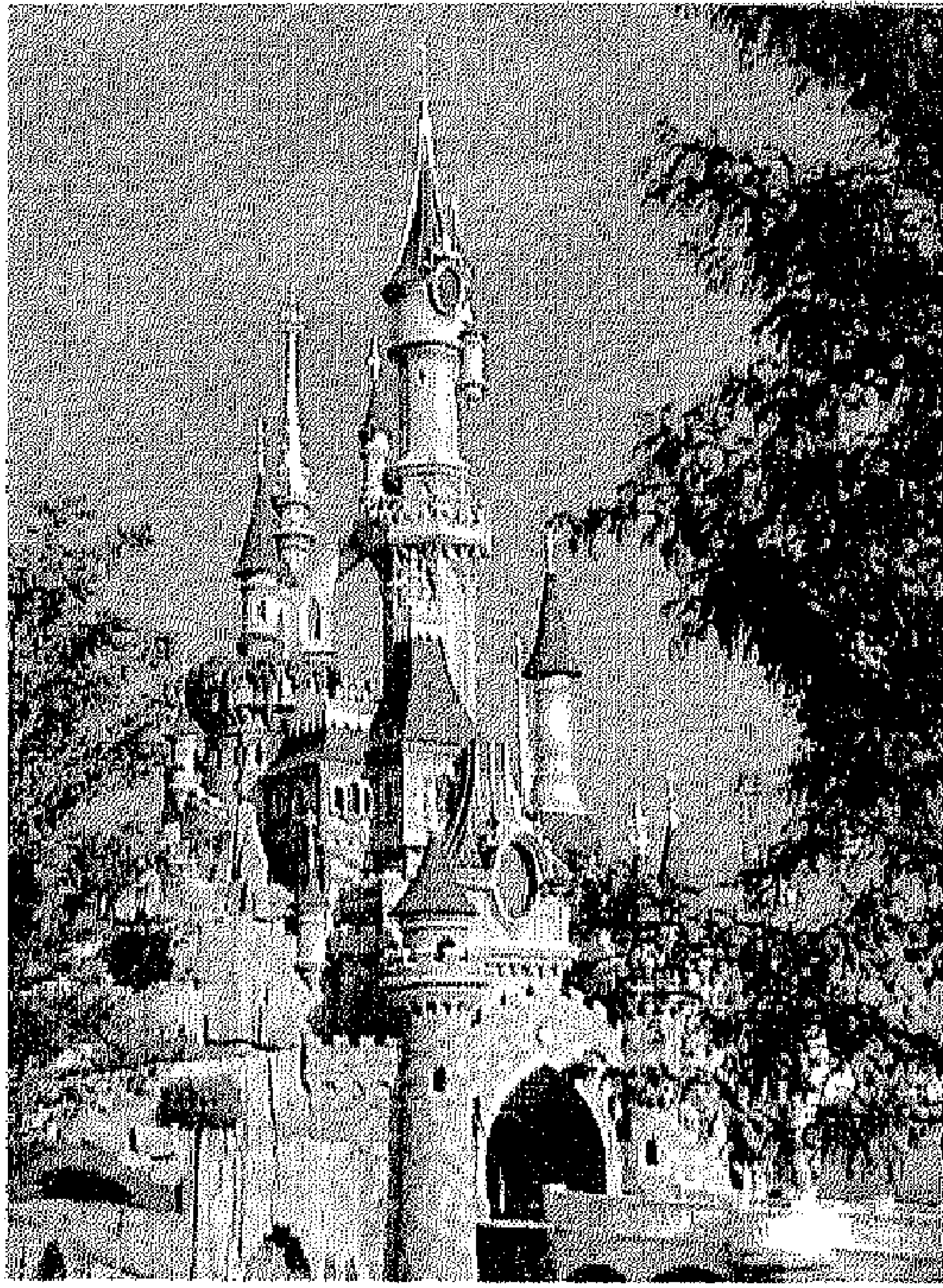
داخل هذا الصندوق السحري رجل يدعى جان – لوك شوبلان هو مدير برامج التسلية. وكان هذا الانسان المبدع أغرق نفسه في عالم الرقص والاحتفالات أكثر من عقدين، لكن التحديات التي واجهها هو وفريقه في "أورو ديزني" كانت جديدة تماماً. فقد تعين عليهم تدريب ثور من فصيلة براهما في أوكلاهوما على الانحناء للنظارة، والاشراف على تجارب فرسان الروديو[8] في دالاس، اضافة الى انتاج نسخة طبق الأصل من استعراض الغرب الامريكي الذي جاء به بافالو بيل الى باريس قبل قرن. كما كان في عداد مهماتهم الاشراف على أداء عازفين في ٣٢ فرقة موسيقية ستعزف يومياً طوال النهار في الشوارع والمطاعم، وانتاج شريط فيديو روك اند رول ورقصة الكانكان الفرنسية. وكل ذلك جزء من أسلوب ديزني في العمل: انضباط تام في جو من الألفة البعيدة عن الرسميات.

"لا تقل لا!" لغرس هذا المزيج الخاص في طباع العاملين في "أورو ديزني" المستقدمين من ١٢ بلداً من المجموعة الاوروبية، أرسل مئات منهم الى الولايات المتحدة للتدرب في جامعة ديزني وفي مدينتي ديزني للملاهي هناك. واحد من هؤلاء كان الهولندي ريكو دو بلانك المدير المساعد لمطعم "راينبو روم" الذي يتسع لمئتي مقعد، وهو يقول: "تعلمت أننا نحتاج هنا الى مزاج أكثر مما نحتاج الى أهلية. فاذا تقدم رجل

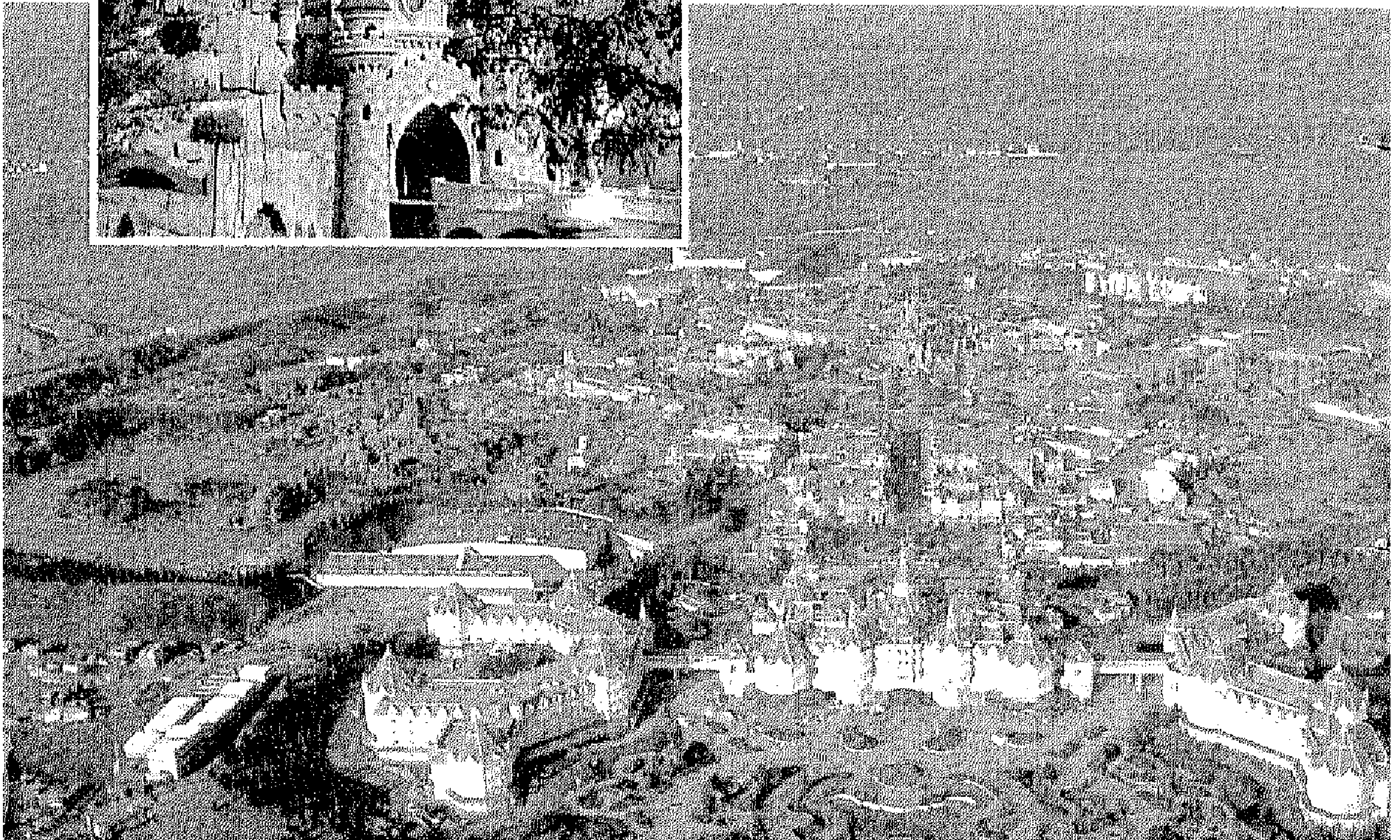
(٨) الروديو مباراة لعرض البراعة تجرى بين رعاة البقر.

لوظيفة نادل وكان لا يتقن حمل طبق طعام، فأنا لا أعبأ للأمر، إذ بإمكاني أن أعلمه ذلك. غير أن ما أبحث عنه هو شاب بمزاج ودود يمكنه إتباع قاعدتنا الذهبية: لا تقل لا لضيف أبداً."

ولاضفاء بعض التأثيرات السحرية على "أورو ديزني" تحوّل فيتزباتريك الى كبار الاختصاصيين في شركة "ديزني." ومن هؤلاء كاتي موس وارنر مديرة قسم المناظر الطبيعية في "ديزني وورلد" التي ترئس ما يمكن اعتباره أعظم فريق خبراء في العالم لنقل مئات الاشجار والشجيرات وزرعها في موقع جديد بحيث تبدو كأنها موجودة فيه منذ القدم. تقول وارنر: "يفتح المتنزه ٣٦٥ يوماً في السنة. ونحن نتلقى أجوراً لنفعل ما يبدو مستحيلا. أردنا تشكيل لوحات على الارض من مساكب زهور دائمة النضرة، فأُبلغ الينا تعذُّر تشكيل لوحة "قطة تشيشاير" مثلا في "أورو ديزني" لأن معظم الزهور لا تتفتح في الهواء الطلق في شتاء باريس. لكننا كنا في هذه الاثناء هجّنّا نوعاً من البنفسج ذا قدرة فائقة على الاحتمال يمكن تغطيته في الليالي الباردة ليبدو نضراً في اليوم التالي."



(الى اليسار) قصر الاميرة النائمة.
(تحت) فندق ديزني لاند مدخل رائع لمدينة "اورو ديزني."



قراصنة وتنين و...سندريلا. عملت جماعة ديزني بحماسة استعداداً لليوم الكبير: افتتاح "أورو ديزني." كان "الممثلون" العاملون في امرة شوبلان والبالغ عددهم ١٠٤٨ يتدربون من دون توقف على أداء أدوارهم. واكتمل زي خدم الفنادق، ونادلات "مطعم آنيت" للوجبات السريعة اللواتي يتنقّلن منتعلات مـزالج بعجـلات،[٩] والتنين العملاق، وحورية البحر الصغيرة. أما الخيول التي ستجر العربات فكانت تتدرب على السير في "الشارع الرئيسي"[١٠] لتعتاد رؤية الجماهير الغفيرة ومشاهد فئران يبلغ طولها ١،٨ متر.

وفي تمام التاسعة والدقيقة الاولى من صباح ١٢ ابريل (نيسان) ١٩٩٢ فتح هذا المنتجع أبوابه للناس، واكتشف الزوار أن هذه الناحية من الريف الفرنسي تغيرت معالمها: فالجسور طُليت بالبنفسجي الباهت والاصفر الفاتـح وزُيّنت بنقوش مرحة. وأعمدة المصابيح ملوية بغرابة. وبدلا من أشجار الدردار والزان التي تملأ الغابات المحلية، تشاهد هناك أشجار دائمة الخضرة من ألمانيا وأشجار نخيل من ايطاليا وأشجار سيكويا عملاقة من كولومبيا البريطانية.

لن يعرف الزائر، حين يصبح في الداخل، ما اذا كان ما يراه حقيقة أو زيفاً. فرعاة البقر في استعراض الغرب الامريكي أتوا من ولايتي وايـومنغ ومونتانا، والهنود الحمر هم فعلا من قبائل السيو والاباتشي، والثيران هي من فصيلة الجاموس الامريكي (بفالو). أما قراصنة البحر الكاريبي ذوو الاشكال المخيفة الذين يقتحمون، على مرأى من الزوار، حصنا من طراز زمن الاستعمار ويختطفون النساء، فهم جماعة من الناس الآليين (روبوتات).

قد يصطدم الزائر المتجول في شوارع "أورو ديزني" بدببة ترقص أو بتنين طوله سبعة أمتار، أو قد يسمع خلفه طقطقة حذاء من زجاج فيلتفت ليرى سندريلا ترقص مع أميرها. وينعطف الزائر في اتجاه ما واذا به في رحلة عبر الزمن يقودها جول فيرن."[١١] وينعطف في اتجاه آخر فتتقلّص أحشاؤه رعبا اذ يركب قطاراً مسرعاً عبر منحدرات جبل "بيغ ثندر" المخيفة. واذا رغب في رؤية كل المشاهد المثيرة، فعليه أن يعدّ نفسه ليوم كامل على الاقل ولقطع ٣ كيلومترات على الاقدام، من غير ان يجد وقتاً للسباحة أو ركوب القارب أو ممارسة لعبة الغولف أو الرقص في ملهى أو التنزه في الغابة.

ميكي في الداخل. باعت "أورو ديزني" مئات الألوف من بطاقات الدخول قبل أشهر من الافتتاح، بسعر ٢٠٠ فرنك (٣٦ دولارا) للراشدين و١٥٠ فرنكا (٢٨ دولارا) للاولاد. وما ان يصبح الزوار في الداخل حتى يجدوا ما يرضي كل الاذواق وكل الموازنات. يستطيع الزائر أن يتناول

(٩) Roller skates
(١٠) Main Street, U.S.A.
(١١) جول فيرن كاتب فرنسي عُني بتاليف روايات علمية - خرافية.

غداءه الى موائد أنيقة مغطاة بشراشف بيض ناعمة، أو على ألواح خشبية غير مصقولة. ويمكنه النوم في فندق فخم أو في مقصورة. لكنه يستطيع الاطمئنان الى أنه سيستقبل بابتسامة أينما كان.

اذا سار كل شيء بحسب المخطط المرسوم، فسوف يتضاعف حجم المنتجع مرتين بحلول السنة ١٩٩٥ وثلاث مرات مع أوائل القرن المقبل. وما زال الحالمون مجدّين في عملهم. ولن تكتمل "أورو ديزني" أبداً، تماماً كما شاء ميكي.

فعلى رغم كل التعقيدات التقنية، تبقى حدائق ملاهي ديزني تجسيداً لروح الكائن البسيط الذي بدأت به. اذ لا شيء خارقاً في ميكي. انه عادي، حسن الطوية، اجتماعي، مدع، يأخذ أمور الحياة كما يراها. وهو يشبه في كثير من النواحي مبدعه الذي كان عبقرياً بالتأكيد، لكنه مع ذلك قد يمر وسط جمهرة من الناس من دون أن يلفت انتباه أحد.

لقد أدرك والت ديزني السّر الذي جعل أعماله شعبية الى هذا الحد: فهي خاطبت "ميكي داخلنا، ذلك الشيء الثمين الذي لا يشيخ داخل كل انسان والذي يجذبنا الى اللعب بدمى الأطفال والضحك على أمور سخيفة والغناء في الحمام ونسج الاحلام."

فلا تستغربوا اذاً، عندما ترافقون أولادكم أو أحفادكم لزيارة "أورو ديزني"، اذا اكتشفتم أن الطفل داخلكم يحنّ الى زيارتها مرة أخرى.

روبرت فرنيك ■



اعتذار مقبول

كنت مسافراً على متن طائرة اشتهرت شركتها بالتأخر الدائم في الوصول. وكانت الرحلة شاقة منذ البداية، فخامرني بعض قلق. وفي النهاية سمعتُ صوت القبطان عبر المذياع: "سيداتي، سادتي. لدي نبأ مزعج. ستحط طائرتنا في الخامسة والنصف، أي في موعدها تماماً. وبما أن كثيرين منكم هم من ركابنا الدائمين، فانني أعتذر لهذه السابقة."

د.ش.

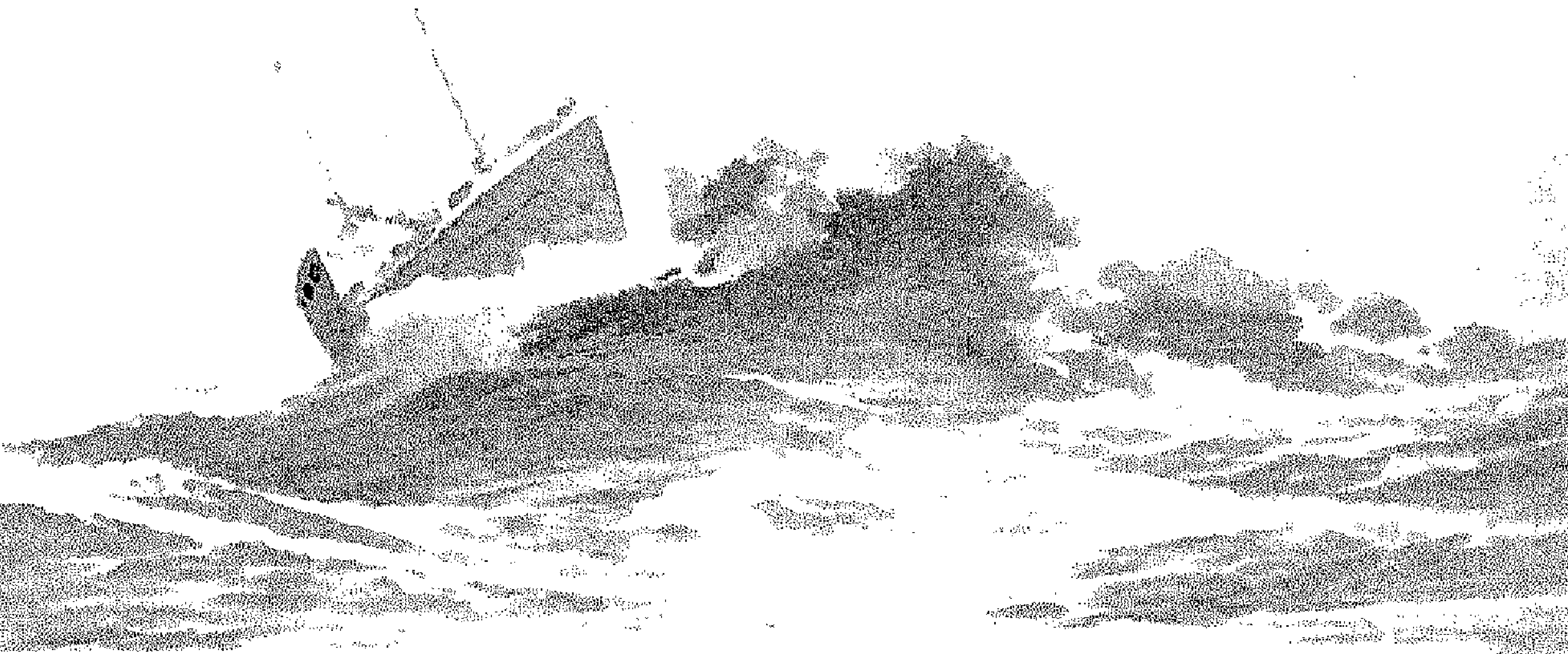
أمي

زوجي سائق حافلة. ذات يوم كان يهمّ بتجاوز محطة في شارع مقفر حين صاح أحد الركاب معلناً أن امرأة تريد الركوب. فأوقف الحافلة وفتح الباب في انتظار الراكبة القادمة. وبعد دقيقة رأى امرأة مسنة تجتاز الشارع بتؤدة متكئة على عصا. فمكث ينتظرها حتى وصلت واعتلت درجات الباب. وما إن صارت في الداخل حتى أغلق الباب، فصاحت به: "مهلاً، أمي آتية أيضاً."

ك.ل.

قصة من واقع الحياة

صاعقة من نار في عرض المحيط



انصب عليها الزيت الغالي
وواجهت خطر الصدمة والغنغرينا والموت
فمن ينقذها في تلك اللجة الزرقاء؟

ضربت الأمواج الهائلة اليخت "باتيشا" بلا شفقة طوال ثلاثة أيام. ولما هدأت قررت بات سكوت أن تغتنم الهدوء فتطهو وجبة طيبة لزوجها المنهك جيري.

كان ذلك في ٨ نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٨٨ وقد مضى على ابحار الزوجين الامريكيين نحو ستة أسابيع في يختهما الشراعي. وهما أبحرا من ميناء سلفادور في البرازيل في طريقهما الى كيب تاون في جنوب افريقيا عبر المحيط الجنوبي العاصف.

صبت بات قنينة زيت في المقلاة وشرعت تهيىء غداء من سمك مقلي مع البطاطا. وتناول الزوجان طعامهما في المقصورة الرئيسية المهوأة وهما يتأملان البحر والشمس الدافئة.

قال جيري: "اذا استمرت الحال هكذا فسندرك كيب تاون خلال أسبوع."

ILLUSTRATIONS: TONY BUTLER

فهتفت بات مبتهجة: "هذا رائع." وأضافت وهي تجمع الصحون: "والآن يا كابتن، عندي مفاجأة لك. كعك محلّى!"

في مطبخ اليخت في الاسفل، حمّت بات الزيت في المقلاة إلى أن غلى، ثم اسقطت العجينة الأولى. وما إن رفعت الكعكة الثالثة من المقلاة بعد دقائق حتى ضربت جانب اليخت ريح عاتية مفاجئة.

أطلقت بات شهقة اذ انقلب وعاء الزيت الغالي. ورفعت يدها اليمنى غريزياً لمنعه من الوقوع. غير أن الزيت تناثر على ذراعها، فتراجعت محاولة الابتعاد، ولكن بعد فوات الأوان. فقد انهمر الزيت كشلال على ساقها اليمنى. واذ حاولت امساك منضدة المطبخ فقدت توازنها على الأرض الزلقة فوقعت. وسفعها الزيت الغالي متغلغلا في ثيابها الى ردفيها وأسفل ظهرها.

ظلت بات ذاهلة للحظات. لكن صاعقة الألم الأولى ما لبثت أن ضربتها فصرخت.

سمع جيري الصرخة فيما كان يصلح شراعاً ممزقاً، فهبط مسرعاً الى المطبخ. وأدرك للحال خطورة الموقف، فغار فؤاده. كان عالج كثيرين من عمال المطابخ من حروق الزيوت والدهون الساخنة بحكم خبرته المطعمية الطويلة. ولكن لم يسبق له أن رأى شيئاً على هذا المثال.

تمددت بات على الأرض وهي تلهث ألماً. فهتف جيري بصوت أجش: "بات، يا حبيبتي. هل تسمعينني؟"

همست: "أجل. لكن الألم... الألم..."

جس جيري جبين زوجته، كان بارداً ورطباً. وكان نفسها خافتاً. أدرك أن عليه نقلها الى السرير المبيَّت في المقصورة الرئيسية قبل أن تدخل حال صدمة وتعجز عن الحركة. وهو لن يستطيع جرها فوق درجات السلم الست إن لم تتعاون معه.

لذلك شجعها بلطف قائلا: "هيا يا عزيزتي. يجب أن تحاولي الوصول الى المقصورة. هل تدركين أهمية ذلك؟"

أومأت بات برأسها وهي تصر بأسنانها. وعاونها جيري بتؤدة كيما تقف على قدميها. وخطوا ببطء الى الأمام. خطوة مؤلمة تليها أخرى. فهمهمت بات: "يا رب، خلصني من هذا الألم."

حين أدركا المقصورة الرئيسية ساعد جيري بات على التمدد فوق السرير. ثم شرع ينزع ثيابها بتأن، فراعته فظاعة جروحها. كانت ذراعها اليمنى حتى المرفق كتلة من اللحم المسلوق. وكان الجلد في ساقها، من أعلى الفخذ الى رسغ القدم، منسلخاً وعالقاً كثنيات الشمع الذائب، وقد بدأت قروح ضخمة تتشكل في كل ناحية.

فأدرك جيري يائساً أنه يتأمل حروقاً من الدرجة الثالثة.

غطى بات ببطانية وهبط مسرعاً إلى المطبخ ليملأ دلوين ثلجاً. ولف قطع الثلج بمناشف ووضعها مصرورة فوق القروح لاراحتها. وبدأت الصدمة تغلب بات واهتز جسدها بارتعاشات عنيفة. قالت: "جيري، أرجوك، أتوسل اليك. أخرجني من هذا اليخت."



امتلأت نفس جيري شفقة. فهو يفهم ذعر زوجته، لكنه يواجه محنة صعبة هي ابحار اليخت وحيداً. لا وقت للدلال. فالحب منذ الآن يجب أن يكون حازماً. قال بصوت أجش: "انسي ذلك يا بات. الوسيلة الوحيدة للخروج من هذا اليخت هي الغرق."

اصطدم اليخت بموجة عنيفة، فخنقت بات صرخة في حلقها اذ ضرب الألم كامل جسدها. وجلس جيري قربها ممسكاً يدها اليسرى في يده. فشدَّت بات عليها حتى ابيضّت مفاصل أصابعها. وهمست: "آه يا جيري. لا أدري ان كنت قادرة على تحمل هذا الألم. انه أسوأ من أي شيء يمكنك تصوره."

فأجابها بالحاح: "ستكونين على ما يرام. انما حافظي على سكونك ولا تتحركي."

فتأوهت بات: "يا إلهي! جيري، لماذا وقعنا في خضم هذا الكابوس؟"

"**يجب أن أقاوم.**" بدأ "كابوس" بات (٤٢ عاماً) وزوجها جيري (٥٣ عاماً) حلماً بالابحار حول العالم راودهما قبل أكثر من أربع سنوات في بلدتهما بوينتن بيتش في ولاية فلوريدا. بنى جيري اليخت في الفناء الخلفي لمنزلهما. وخططا وجهة سيرهما بحذافيرها، وهي الابحار عبر المحيط الأطلسي الى البحر الأبيض المتوسط، ومن هناك الى امريكا الجنوبية، ثم العودة الى افريقيا، ومنها الى المحيط الهندي وما وراءه.

جهز اليخت قبيل نهاية العام ١٩٨٥. فباع جيري وبات مطعم العائلة وودعا أولادهما الخمسة الراشدين وانطلقا. لقد تحقق حلمهما.

واجها خلال السنوات القليلة التالية أعطالاً في بعض الأجهزة وأضراراً من جراء العواصف، لكنهما لم يقعا في شرك مصيبة عظيمة.

حاول جيري، وهو جالس قرب زوجته المعذبة، أن يتأمل الوضع بهدوء. لقد بدأ الابحار منذ كان في الخامسة عشرة من عمره، واهتم بمفرده بعدة مراكب. وهو يشعر أن في مقدوره تدبر أمره خلال الأيام الأربعة التي تفصله عن كيب تاون إن استمر الطقس مستقراً.

لكن الابحـار ليس سوى نصف المشكلة. فقد تغزو الجراثيم حروق بات إن لم تتلقَّ عناية طبية. والمؤونة الطبية محدودة. وقد تموت بات قبل بلوغهما اليابسة إن ضربت الغنغرينا (الأكال) جسدها.

لجأ جيري الى راديو الهواة أملاً الحصول على توصية خبير: "النجدة! النجدة! اليخت باتيشا يتصل بجميع المواقع. حوِّل."

وكرر الرسالة عبر موجة الطوارىء الدولية مدة ساعة تقريباً من دون أن يتلقى جواباً.

فجأة طقطق عبر السماعة صوت ذو لكنة انكليزية لا ريب فيها: "اليخت باتيشا. هنا KB4 KEC. هل تسمعني؟ حوِّل."

قفز جيري من مقعده وصرخ عبر جهاز الارسال: "اليخت باتيشا! نعم، اني أسمعك!" ثم حدد مكانهما ووصف ما حدث. واتفق أن الرجل البريطاني، وهو هاوي اتصالات في جزيرة مايوركا قبالة شاطىء اسبانيا، يقطن في جوار صيدلي. فيا للمصادفات!

تكلم جيري بعد دقائق مع الصيدلي الخبير جاهداً لسماع الكلمات المترددة عبر مسافة تزيد على عشرة آلاف كيلومتر. أنبأه الصيدلي: "يجب إبقاء الجروح نظيفة. وأهم من ذلك ابقاء القروح طرية. اغسلها بالماء النقي وادهنها بمرهم مطهر. فان تركتها تقسى وتبرز غزتها الجراثيم."

اكتشف جيري في عدَّته الطبية علبة رذاذ مطهر. فنظف حروق بات بالماء ورش القروح بالمطهر. وهو استوعب جيداً أهمية العناية الدائمة. وقال في نفسه مطمئنا: "لقد مررت في أوقات عصيبة من قبل. ويمكنني تجاوزها الآن."

ثم قال لبات: "سيكون الوضع صعباً يا عزيزتي. ولكن عليك تحمل الألم خلال الأيام الأربعة أو الخمسة المقبلة. فهل أنت قادرة على ذلك؟"

كان الالم طاغياً على بات فأرادت أن تصرخ: "لا، لا. لا أستطيع الاحتمال أكثر." لكنها قالت في نفسها: "يجب أن أقاوم. يجب أن أكون قوية." فابتسمت بوهن وأومأت برأسها.

نومة أولى. مع حلول الظلام هيأ جيري يخنة سمك وأطعم بات قبل أن يشرع في تفحص حروقها. كان عليه أن يبقى متيقظاً على رغم أن اليخت كان يبحر آلياً. فكان يمتحن توازن الأشرعة ويتأكد من اتجاهها. وبعيد منتصف الليل تضاءل النسيم القوي تدريجاً. وتعاظم قلق جيري مع مرور كل ساعة.

كانت تلك أطول ليلة عاشتها بات، اذ انتقلت من ألم مبرِّح الى وجع تملك كامل جسدها. وكلما تمايل اليخت انبعثت فيها موجات الصدمة مخترقة جسدها الى العظام. فصلّت وهي تعضّ شفتيها كي لا تصرخ، وفكرت: "يا إلهي. اني خائفة كثيراً. أود أن أعود إلى بيتي."

خيم هدوء لذيذ فجر اليوم التالي وتمددت بات ناعمة بالسكينة. لكنها سرعان ما أدركت الثمن الغالي لنعمة السكون تلك. فاليخت "باتيشا" هادىء هو أيضاً. وكل تأخير في الوصول يدنيها من الموت أكثر.

نظر جيري الى الأفق مع الاشراقة الأولى، فأيقن أن الأمل ضئيل بهبوب ريح بعد يوم أو يومين، والخيارات قليلة. ولا يمكنه المجازفة بادارة المحرك لأن مخزونهما من الوقود لا يغطي الا مئة كيلومتر. وقد أصبحت أيام الابحار الأربعة أقرب الى ستة. ففكر محبطا: "ليت أحداً ينقذنا." واستمر يبعث رسائل استغاثة طوال ساعات.

حافظ البحر على سكونه تلك الليلة وفي النهار الذي تلاها. وكان جيري خلالهما يستجدي الريح. وفي المساء استجيبت صلواته، لكن ارتياحه لم يطل. فقبيل منتصف الليل علق اليخت بين فكي عاصفة. وكانت بات تصرخ في سريرها اذ تلظى جلدها المسلوخ والمكشوف مع كل اندفاع لليخت.

احتدمت العاصفة تلك الليلة. واستمرت كذلك نهاراً وليلة آخرين. كانت الرياح تهب بسرعة ٦٠ عقدة (١١١ كيلومتراً) مثيرة أمواجاً شاهقة كالجبال ومزبدة على امتداد النظر. وكان الرذاذ يتطاير في كل مكان حتى ان جيري عجز أحياناً عن التمييز بين البحر والهواء. وتساءل: "الى متى سيتحمل اليخت هذا العنف؟"

عمل جيري كرجل آلي اذ غلبه الارهاق. وتوقف عن التفكير وراح ينتقل من مهمة الى أخرى كنائم. كانت المولدات تتعطل من حين الى آخر، وأجهزة الملاحة الالكترونية تتوقف فجأة، والاشرعة تتمزق كل حين مما يعرض اليخت للانجراف أو الانقلاب بهجمة

موجة قوية. وزوجته بات! فمعجزة أنها لم تصب بالتهاب. كان كلما داوى الحروق يتفحصها بحثاً عن أضعف دليل لالتهاب. لقد رافقهما الحظ في هذه الناحية على الأقل.

همدت العاصفة فجأة مع الصباح، وتمدد جيري في سريره مستغرقاً في نوم عميق. حدقت اليه بات مصلية لكي يستمر الهدوء فترة كافية ينام فيها من دون ازعاج.

ليتها تستطيع مساعدته!

حاولت أن تنهض، لكن أدنى حركة كانت تسبب لها ألماً مبرحاً جديداً. لم يكن في مقدورها سوى أن تتمدد وتفكر في حياتها. هل سترى أولادها وأحفادها مرة أخرى؟ غمرها الحزن فتمنت لو تنشج بصوت عال. لكنها محت هذا الشعور بتلاوة صلاة مبتهلة الى الله لكي يحمي زوجها ويمنحها القوة. وغابت في هجوع قصير.

استيقظ جيري بعد ثلاث ساعات. كانت تلك أطول نومة له منذ ستة أيام. وعندما تفحص موقعهما هاله أن الريح ساقتهما جنوباً فقطعا نصف الطريق إلى بورت نولوث وأصبحا على بعد مئتي كيلومتر من جنوب غرب كيب تاون. وكانت الرياح الجنوبية الشرقية المهيمنة في ذلك الوقت من السنة تحتم ابحارهما الى الجنوب مباشرة مسافة لا تقل عن ٣٠٠ كيلومتر قبل التحول في اتجاه خليج تايبل.

خامر جيري ذعر للمرة الاولى. وفكر يائساً: "لا أظنني قادراً على مواجهة عاصفة أخرى. ربما من الأفضل أن تأتي عاصفة واحدة تنزلنا الى القعر." لكنه أجبر نفسه على الخروج من حال الكآبة مفكراً: "لم أكن يوماً رجلاً انهزامياً. وليس الوقت مناسباً الآن لكي أصبح كذلك، فأمامي أعمال علي انجازها."

أمل متجدد. قبع اليخت هادئاً على صفحة المياه خلال اليومين التاليين، وقد غدا هذا النمط أليفاً. وواصل جيري ارسال نداءات الاستغاثة في غياب أي معلم لسفينة أو مروحية. ولم يردّ أحد على نداءاته. ولف اليخت سكون الأطلسي الرمادي الكبير.

وفي الليلة الثالثة – أي التاسعة منذ وقوع الحادث – التقط جيري رسالة عبر الراديو فتضارب الأمل واليأس في نفسه. الأمل لأن الرسالة ناشدت جميع السفن البحث عن اليخت "باتيشا" المحتاج الى معونة طبية عاجلة، واليأس لأن الموقع المذاع كان موقع اليخت قبل العاصفة على بعد ١٥٠ كيلومتراً غرباً.

أخيراً تمكن جيري من الاتصال بناقلة النفط "أتلانتيك" التي تعهدت إبلاغ سلطات ميناء كيب تاون موقع "باتيشا" الجديد. كان اليخت لا يزال على بعد مئتي كيلومتر الى الشمال الغربي من كيب تاون. غير أن جيري كان يعلم أنه لا يستطيع انتظار وصول النجدة. فان تمكن من الابحار جنوباً استطاع استخدام المحرك في اتجاه جنوبي شرقي في

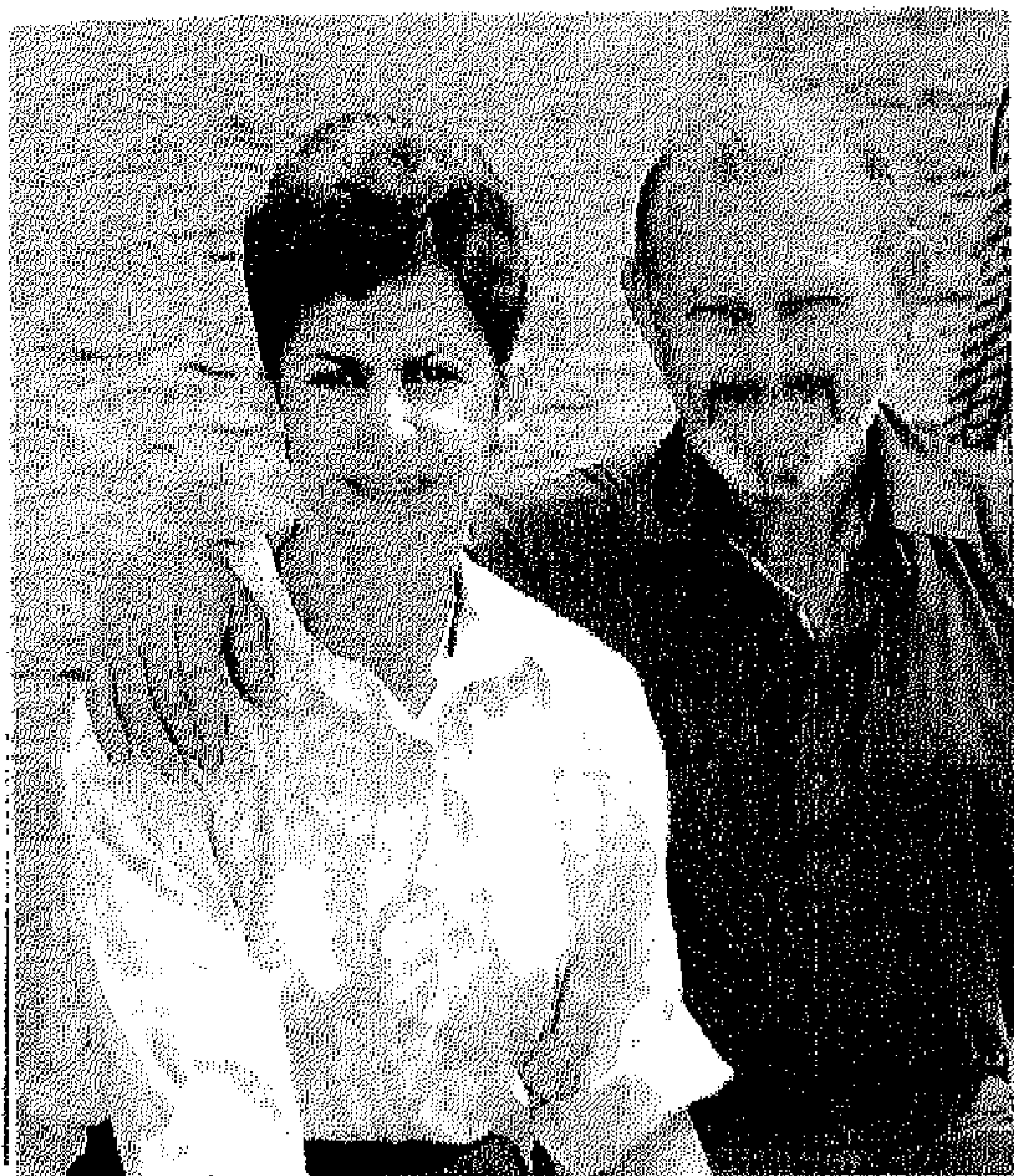
انطلاقة أخيرة الى خليج تايبل. وهو أخبر بات: "سننجز ذلك خلال نهار واحد اذا كانت الريح ملائمة."

طلع الفجر التالي حاملا نسائم طفيفة، فحجب الأملُ المتجددُ ارهاقَ جيري. وعندما قرأ موقع اليخت مرة أخرى ذلك المساء استغرب أنه على مسافة ثلاث ساعات فقط من كيب تاون. فصرخ مبتهجا: "بات! بات! انظري جيداً. سترين أنوار المرفأ في أي لحظة!"

بث جيري عبر الراديو موعد وصوله المتوقع إلى كيب تاون. وأوصى سلطات الميناء تجهيز طاقم طبي. ثم وقف وراء الدفة منتظراً بريق الأنوار. لكن الساعات مرت ولم يرَ سوى الظلام، فأعاد النظر الى موقعهما باشمئزاز. لقد ارتكب خطأ فادحا! اذ كان في حال إعياء. فموعد وصولهما المتوقع كان بعد نحو أربع وعشرين ساعة، ولا يسعه تعجيل ذلك.

انحبس النسيم. وعندما تفحص جيري الموقع بعيد شروق الشمس وجد أنهما يبعدان مئة كيلومتر جنوبا شرقا من كيب تاون. وأعاد النظر لكي يتأكد من ذلك. ثم حول دفة اليخت في اتجاه خليج تايبل وأدار المحرك. كان هذا سباقه الأخير في وجه الريح والعواصف ونقص الوقود.

وهج رحمة. سحب جيري جميع المعدات فأرعد اليخت في المياه. كان جيري يدرك المخاطر المترصدة. فقد يقعان تحت رحمة البحر مجدداً اذا تعطل المحرك أو نفد الوقود. واختلس نظرة الى



جيري وبات سكوت على متن يختهما باتيشا.

مؤشر الوقود. كانت الابرة ترتجف بين الربع والفراغ. أعاد جيري حساب وقوده غير واثق من نفسه، وفكر: "أنا على صواب. لا بد أن هناك مئة ليتر على الأقل، وهي كافية."

أنعم النظر في الأفق باحثاً عن غيوم تنذر بعاصفة، فلم يجد لها أثراً. لكنه رأى في مؤخر اليخت شيئاً جعل نبضه يتسارع. كانت سحب سوداء تنفث من أنابيب العادم. لا بد أنها المصافي. فأمسك الدفة وهمس برقة: "هيا أيتها الشجاعة. اننا نجتاز المرحلة الأخيرة. يجب أن تنجحي."

فرقع المحرك مرة أو مرتين مهدداً بالتوقف، فتجمد دم جيري. لكن "باتيشا" ظلت مبحرة وهي تئن وتفرقع وتقذف الدخان. لقد كانت تبذل كل طاقاتها.

راقب جيري هبوط مؤشر الوقود لأكثر من ساعة. ها هو الآن يهتز فوق نقطة الفراغ. ثم لاح له في سديم الأصيل جسم كبير داكن. أهي اليابسة أم أن عينيه المتعبتين تخدعانه؟ وما لبثت أن لاحت له معالم جبل تايبل المميزة، فهتف مبتهجاً، وابتهل هامساً: "الحمد لله. أشكرك يا رب على أجمل مشهد رأيته في حياتي." واستدار ليزف النبأ السار الى زوجته، فرآها واقفة قرب النافذة وقد أنستها الاثارة ألمها. وهي لوحت له باكية ضاحكة في آن.

اندفع اليخت الى رصيف "نادي رويال كيب لليخوت" في الثالثة من بعد ظهر ٢٠ نوفمبر (تشرين الثاني). وتسلق متنه طبيب من "مركز الانقاذ مترو" أعطى بات حقنة مسكنة للألم. فشعرت بوهج الرحمة يسري في جسدها فيما رفعها المسعفون على نقالة الى سيارة اسعاف كانت في الانتظار.

ذهل الأطباء في مستشفى سيتي بارك اذ تبين لهم أن بات لم تصب بأي التهاب جرثومي، كما أدهشهم أن عملية الشفاء بدأت. وخضعت بات لجراحة تجميلية بعد أربعة أيام من وصولها. ونجحت عمليات تطعيم جلدها. وبعد ستة أشهر لم يحمل سوى ٢٠ في المئة من حروقها آثاراً تشهد على محنتها.

تقول بات: "كلما نظرت الى هذه الندب أتذكر نعمة الله عز وجل. كانت محنتي كابوساً مروعاً، لكنها أغنت حياتنا الى أبعد الحدود ومنحتني ايماناً مستمراً في كل دقيقة من كل يوم."

بيتر شافر ■



مهووس بالرياضة

سألت امرأة أحد الكوميديين: "ماذا أفعل لكي الهي زوجي عن متابعة المباريات الرياضيّة على التلفزيون؟"
فأجابها: "ارتدي قميصاً شفافة."
فقالت: "وإن لم ينفع ذلك؟"
قال: "عندئذ اطبعي رقماً على ظهرك."

ج.ا.

رفاهية

خلال احدى الدورات التدريبية، كان على الجنود أن يجتازوا عوائق قاسية، كالسباحة في نهر هائج وتسلّق مُرتفع شاق والزحف عبر أسلاك شائكة. وفي نهاية الدورة سأل ضابط أحد الجنود، وكان ابن مزارع: "كيف وجدت التدريب العسكري؟"
فأجابه الشاب: "هذا لا شيء يا سيدي. ففي قريتنا أجتاز العوائق نفسها للوصول الى المخزن."

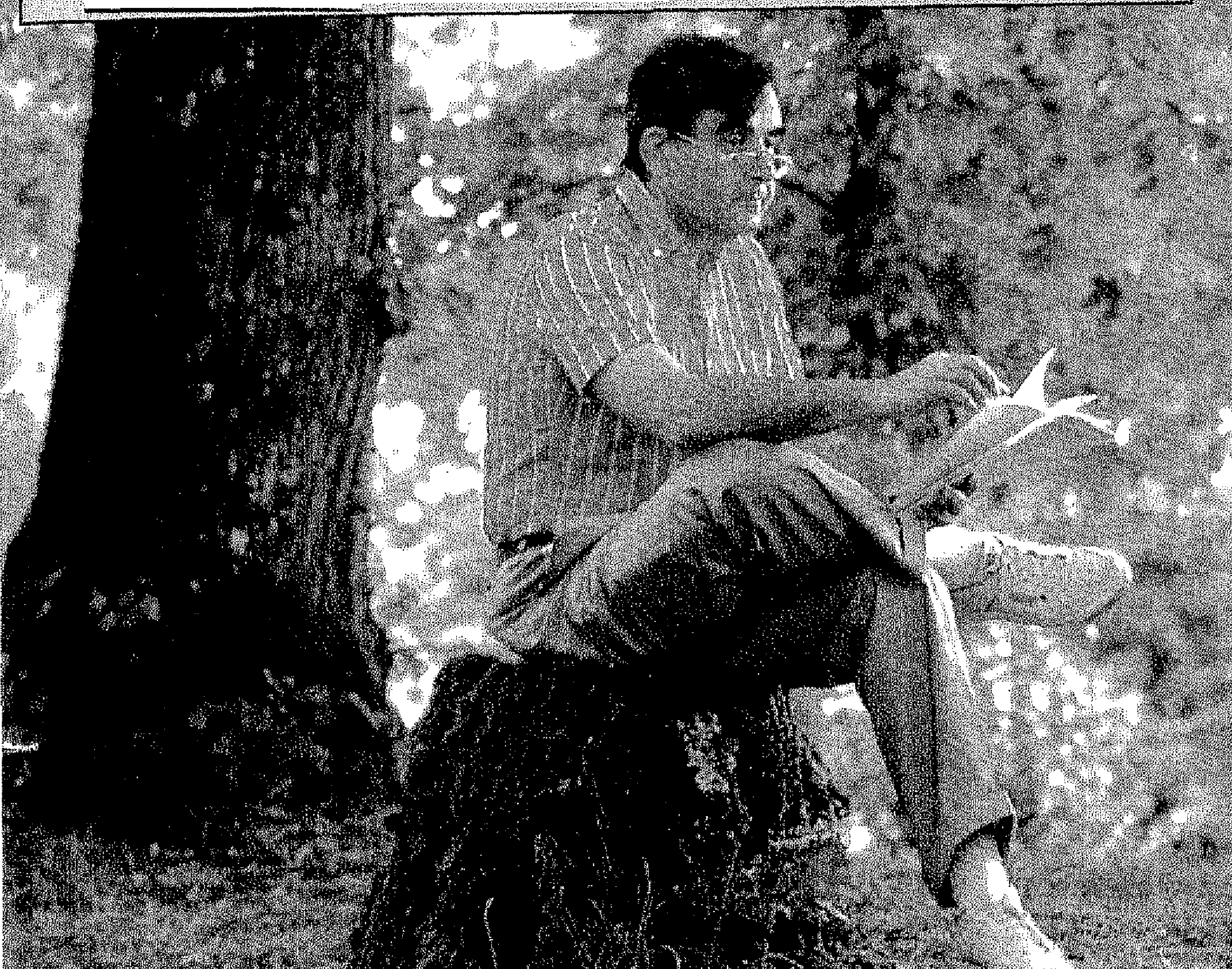
ب.ن.

رحلة في مكنونات مضيف تلفزيوني شهير

عاشِق الكُتب

ها أنذا حبيس غرفتي برفقة قراءاتي، أنعم بوحدة مطلقة مع كتابي. يا للروعة! هذا النص لي أنا، لا أحد غيري يقرأ هذه الصفحة، هنا، الآن. ولا أحد يعرف ماذا أقرأ. اني أنعم بمتعة انانية بحتة. وفي الصباح أكون أكثر سعادة وانتعاشاً. أحس كأنني ولدت من جديد. وأشعر، على غرار الرياضيين، أنني في بعض الاوقات أفضل حالاً مما في أخرى. هذا الصباح أنا الافضل في القراءة. الاول في الصف. وانتباهي جلي وقوي.

لطالما ربطتني علاقة حميمة بالصفحات المكتوبة. فهي تحادثني وتمدني بالحياة، فأتجاوب. ونلعب معاً لعبة الأخذ والعطاء، وأدوّن ملاحظاتي على الصفحات.



لقد أخذتُ هذه الطريقة عن أساتذتي في المدرسة، وما زلت أمارسها، اذ أصبحت مع الأيام أسلوبي في التحدث الى المؤلف. أقاطع سيل الكلمات المطبوعة فجأة وأتدخل بقلمي مصدراً حكماً أو واضعاً خطاً تحت عبارة.

لقد أمضيت ١٥ سنة مضيفاً لبرنامج "أبوستروف."* وصرفت ساعات قبل كل حلقة مسترجعاً الملاحظات التي دونتها على هوامش الصفحات. فكانت بضع دقائق كافية لاحياء ما قرأته قبل أيام.

أهم ما تنطوي عليه هذه الطريقة أنها تتيح لك، من خلال تدوين ملاحظاتك في كتاب، إقحام نفسك في النص وتحميله أثرك. وهذا عمل فكري مثير، إذ يتيح لي كقارىء أن أستعمل أدوات المؤلف ذاتها.

لم تشغل القراءة الحيز الاكبر من وقتي حتى بلغت الثامنة عشرة من عمري، واقتصرت قراءاتي قبل ذاك على ما يخولني نيل الشهادة الثانوية، فقد كنت منشغلاً بالحب وبلعب كرة القدم.

... الى أن أصبحت محرراً مبتدئاً في صحيفة "فيغارو" الادبية، وباتت القراءة جزءاً لا يتجزأ من مسؤولياتي. فاستسغتها، وشعرت برأسي يدور، وأطبق علي ولع مجهول. ماذا أصابني؟ لقد اقتحم هيام جديد حياتي، فرحت أقتني الكتب وأضمنها تعليقاتي معبراً لها عن حقيقة مشاعري تجاهها. واليوم، بعد انقضاء ٢٥ سنة، أقلّب صفحاتها فأجدني، كما السحر، واقفاً وجهاً لوجه أمام شاب الامس. فأتفهمه حيناً، وأرى أن لا رجاء منه أحياناً. وتبدو لي بعض ملاحظاته سخيفة، وتسعدني أخرى فأقول في نفسي: "لقد كنت محقاً هنا."

ها أنا اليوم، بعد انقضاء ٢٥ سنة، أتعقّب أفكاري وحساسيتي المرهفة في تلك الحقبة. لذا أنا لا أعير كتبي. قد أهب تلك التي أملك منها نسختين وتلك التي لم أقرأها، أما الكتب التي بحت لها بملاحظاتي فلا أسمح بتناقلها لأنها باتت مذكراتي واعترافاتي، وإن سمحت بقراءتها فمعنى ذلك أنني أكشف نفسي للآخرين وأتيح لهم اقتحام أعماقي كما يقتحم لص منزلاً.

خلال سنوات استضافتي لبرنامج "أبوستروف" اقتصر عملي على القراءة. أما اليوم فللكتب منافسات خطرات يعجبنني ويغوينني، كالمسارح والمعارض ودور السينما.

فعندما تقاعدتُ من البرنامج قبل سنة عاودت مشاهدة الأفلام السينمائية، وتمتعت بها اذ أثارت فضولي ومدتني بلذة كبرى. لكن الوضع لم يستمر على هذا المنوال، لأن روح النقد عادت الي. ولكنْ كيف أسجل عواطفي؟ فأنا لا أستطيع التعليق على مشهد سينمائي، وما من فيلم يطلعني على حقيقة صباي.

لو كنت كتاباً لكرهت المتعة التي تؤمنها الفنون الاخرى التي تحوّل الرجال والنساء والاولاد عن المتعة التي أمنحهم اياها. ولكن هل من داعٍ حقيقي الى القلق؟ فالذهاب الى المسرح ليس سهلاً،

(*) Apostrophes

والذهاب الى السينما يحسب له حساب، والتلفزيون يستلزم البقاء في البيت وتغيير القنوات باستمرار. أما أنا الكتاب فقادر على الذهاب الى أي مكان... في جيب قارئي، معه في الحافلة أو في القطار، معه في طابور انتظار، معه في كرسي الحلاق. والحقيقة أن منافستي الحقيقية هي آلة التسجيل "ووكمان" التي توضع سماعتاها على الاذنين، اذ يسهل اصطحابها الى أي مكان وهي تؤمّن علاقة مباشرة مع آخرين.

ولكن هل تشكل هذه الآلة خطراً حقيقياً علي؟ نعم ولا. فلكل شيء دورته، وسيمل الناس يوماً ما من الضجيج ويتحلّون بالشجاعة. وأنا واثق بأنهم عندئذ سيمسكون أقلامهم ويفضون بمكنوناتهم الى صفحات الكتب.

برنار بيفو ■



لا سمك تحت الجليد

ذهب رجلان في عطلتهما الشتوية لاصطياد السمك في بحيرة متجلدة. فنصبا خيمة وشرعا يحفران في الجليد. فجأة سمعا صوتاً فوقهما: "لا سمك تحت الجليد!"

فلم ييأسا واستمرا في الحفر الى أن سمعا الصوت ثانية: "لا سمك تحت الجليد!"

فسألا في هلع: "ومن أنت؟ أأنت شبح؟"

أتاهما الجواب: "لا. أنا أملك حلبة التزلج هذه، وأوكد لكما أن لا سمك تحت الجليد."

ن.د.

عنيد

كان مشعوذ يؤدي عرضاً على متن سفينة. لكنه كلما أتى حيلة كان يسمع رجلا بين الجمهور يقول له ناهراً: "هذا ليس سحراً. انت دجال."

فجأة ضربت السفينة عاصفة عاتية فراحت تغرق. وصادف أن التقى المشعوذ وغريمه على قارب نجاة واحد، فقال له هذا: "حسناً، حسناً، لقد ربحت، قل لي الآن ماذا فعلت بالسفينة."

ك.ت.

عذر لا يردّ

تأخر ابني عن موعد مرور حافلة المدرسة. فلما أوصلته الى الصف متأخراً طلب مني الناظر ملء نموذج لتحديد سبب التأخير. وفيما أنا أراجع نماذج ملئت سابقاً، لفت نظري واحد كتبه والد مستاء. فتحت "سبب التأخير" كتب: "والدان عاملان، أربعة أولاد، حمام واحد!"

ب.د.

أصداء من عالم الطب

أيها الطبيب حصّن نفسك!

■ كشفت دراسة أجرتها عيادة "مايو" بالتعاون مع "المركز الطبي لشؤون المعمّرين" في مينيابوليس بولاية مينيسوتا أن نحو ٢٠ في المئة من مجموع طلاب الطب تعوزهم الحصانة الكافية ضد الحصبة والحصبة الالمانية، وأن ٤٠ في المئة منهم على الاقل لم يحصنوا ضد التهاب الكبد والانفلونزا.

وكان تقرير سابق للباحثين انفسهم كشف أن ٧ من أصل ٥٥ دائرة للصحة العامة في الولايات المتحدة وكندا ردّت أسباب تفشي وباءي الحصبة والحصبة الالمانية، جزئياً، الى طلاب طب وأطباء متمرنين. والحصبة الالمانية، خصوصاً، تشكل خطراً على النساء الحوامل غير المحصنات بالتطعيم، لانها قد تسبب تشوهات خلقية في الاجنة. كما أن الحصبة العادية قد تكون قاتلة لمرضى يعانون اختلالا في نظام المناعة في أجسامهم.

يقول الدكتور غريغوري بولاند أستاذ الطب الداخلي في عيادة "مايو" الذي شارك في الدراسة: "يأتي المرضى الى الاطباء وهم لا يتوقعون أن ينقل هؤلاء اليهم أمراضاً تمكن الوقاية منها بواسطة التطعيم." ان كثيراً من طلاب الطب الحاليين أنهوا مرحلة الدراسة الابتدائية قبل أواخر السبعينات عندما أصبح التطعيم مفروضاً على أطفال المدارس على نطاق واسع. واليوم تفرض السلطات في بعض الولايات على المستشفيات الحكومية الحرص على توظيف أشخاص محصنين بواسطة التطعيم أو ممن حصلوا على مناعتهم عبر اصابتهم بالمرض.

"وول ستريت جورنال"

حين يكون الجنين مقلوباً

■ كان بعض أطباء التوليد يحاولون في ما مضى تعديل وضع الجنين المقلوب (الذي تكون عجيزته أو قدماه الى أسفل) قبل أن تبدأ الام مخاضها. أما الآن فيلجأ معظم الاطباء الى الجراحة القيصرية. ويعتقد الدكتور جوزف هانس أن هذه الطريقة خاطئة.

راجع هانس ٣٥٧ حالة حيث كان الجنين في وضع مقلوب، وقد حاول الاطباء في أقل من ثلثها تعديل وضع الجنين، ونجحوا في نصف محاولاتهم فولد الاطفال ولادة طبيعية، فيما تم توليد معظم الاجنة الذين كانوا في وضع مقلوب بواسطة جراحات قيصرية.

ان الجراحة القيصرية مكلفة، وتستغرق الامهات وقتاً أطول للتعافي مما في حالات الولادة الطبيعية. وهكذا، على الحامل أن تسأل طبيبها عن امكان إجراء عملية تعديل خارجي لوضع الجنين المقلوب.

نشرة "إديل" الصحية

الفطور الشافي

■ قد يكون المصابون بمرض تصلّب الشرايين الذين يتحاشون تناول طعام الفطور أكثر تعرضاً لمشاكل القلب صباحاً، بما فيها النوبة القلبية والجلطة.

فقد كشفت دراسة أولية أجرتها الدكتورة ريناتا سيفكوفا من جامعة "ميموريال" في نيوفوندلاند بكندا وتناولت ١٩ رجلا وعشر نساء، أن قابلية لويحات الدم (الصفائح) للتجلّط أو التكثف في أجسام الذين يصومون مساء ولا يتناولون فطوراً صباح اليوم التالي، تكون أعلى كثيراً مما لو تناولوا طعام الفطور.

وكان الاطباء لاحظوا أن احتمال الاصابة بنوبة قلبية يكون على أشده بين الرابعة صباحاً والظهر. ومع أن هذه الظاهرة ما زالت من دون تفسير، تشير هذه الدراسة الجديدة الى أن عدم تناول الفطور قد يضاعف نزوع لويحات الدم الى التجلط مما يخفض دفق الدم في الشرايين الرئيسية.

مجلة "ساينس نيوز"

الاشعة فوق البنفسجية لعلاج سرطان الجلد

■ يفيد ضحايا نوع بشع وفتاك من سرطان الجلد من علاج جديد، حيث يسحب بعض الدم من جسم المريض ويعرَّض للاشعة فوق البنفسجية قبل اعادته الى الجسم.

قد تخفف هذه الطريقة[1] من أعراض التورم اللمفوي الجلدي بخلايا «T»[2] الذي يُعرف أيضاً بالفُطار أو بأعراض سيزاري.[3] كما أنها تعزز احتمال بقاء المرضى على قيد الحياة. ويتميز هذا المرض بطفح جلدي حرشفي أحمر قد يتطور الى بثور تشبه الفطر. كما قد تنتقل هذه الاورام بسرعة الى مواقع أخرى مثل العقد اللمفوية والطحال والكبد والنقي (مخ العظم).

ويبدو أن اعادة حقن الدم المعالج بالاشعة فوق البنفسجية يطلق رد فعل مناعياً خاصاً مما يوقف انتشار الخلايا الخبيثة الى أعضاء حيوية تحت الجلد. كما يوفر على المرضى أعراض الغثيان الناجمة عن المعالجة الكيميائية المتبعة تقليدياً.

نشرة "هيلث ساينس"

(١) Photopheresis

(٢) Cutaneous T-cell lymphoma

(٣) Mycosis fungoides or Sezary syndrome

لحماية الاطفال والعجزة

■ اصبح جهاز التحسس الالكتروني، الذي كانت بداياته في المتاجر كسلاح ضد اللصوص، يُستخدم الآن في المستشفيات ودور العجزة لحماية المواليد والمرضى عقلياً والمسنين غير الواعين.

والجهاز هو سوار يد الكتروني يطلق صفارة إنذار اذا مُرر عبر مخارج زودت أسلاكاً خاصة. وهو يستخدم في أجنحة الاطفال للحماية من الاختطاف، وفي بيوت العجزة لردع المرضى المصابين بفقدان الذاكرة أو حس الاتجاه عن الخروج من المبنى.

لقد سُرق ٦١ مولوداً من المستشفيات في الولايات المتحدة بين ١٩٨٣ و١٩٩٠، كما يفيد "المركز الوطني للاطفال المفقودين" في أرلنغتون بولاية فيرجينيا، وعُثر على معظمهم، لكن أربعة لا يزالون مفقودين. ويساعد جهاز التحسس على تأمين جو من الامان والطمأنينة للاطفال ولعائلاتهم.

صحيفة "نيويورك تايمز"

وقفنا مربكين عاجزين عن البوح لجدتنا بما اعتمل في نفوسنا وحده أخي الاخرس عرف كيف يعبر لها عن أخلص عواطفه

يوم نطق الأخرس

صبيحة ذلك اليوم الحار من يوليو (تموز) كان موعد زواج أمي.

بدت الاشراقة على وجهها الستيني وهي تستعد لفتح صفحة جديدة في حياتها. وبعد عقد القران جمعتنا لتعطينا بعض التوجيهات: "اذهبوا الآن لزيارة جدتكم، ولا تحزنوا إن لم تتعرف اليكم." ذلك لأن السكتات الدماغية توالت على جدتي البالغة من العمر ٨٩ عاما، ولم توفرها الازمات القلبية، فغدت طريحة الفراش في دار للعجزة غير دارية بما يحصل حولها.

قدت السيارة في شوارع المدينة، ورحت أتأمل الركاب الذين أقلهم. الأحفاد جميعهم هنا: المصرفي والمقاول والموسيقي والمحامي والصحافي... وبايج الجالس صامتا قرب النافذة في المقعد الخلفي. هل ستؤثر فيه الزيارة؟ ربما لن يفهم شيئاً.

أخي بايج يصغرني بأربع سنوات. وهو أبكم، وأصم، ومتخلف عقليا منذ الولادة، ويرى قليلا بعين واحدة. توقف عن النمو مذ بلغ طول قامته ١٥٠ سنتيمتراً، وأصبحت البدانة مشكلة أخرى يعانيها. وهو عاش معزولا عن العالم الخارجي خلف جدار من التوحد، يمضي معظم أوقاته غارقاً في تأملاته وايماءاته وضحكاته ودموعه النابعة من مشاهد لا يراها أحد سواه.

كبرنا، نحن اخوته، ولعبنا بكرة القدم وقدنا سيارات وتعرفنا الى أصدقاء وخرجنا في نزهات مع فتيات جميلات، فيما لزم بايج المنزل لاهيا على أرجوحته أو مشاهداً التلفزيون أو لاعبا بمصباح كهربائي ظل مصدر عجبه.

ثم غادرنا المنزل، الواحد تلو الآخر، وارتدنا المدارس وشغلنا وظائف وتزوجنا وانتقلنا الى مساكن أخرى. أما بايج فتنقل من معهد موحش الى آخر، ومن مركز إعادة تأهيل الى آخر، متعلماً مبادىء القراءة واستعمال المعدات.

وهو اليوم في الرابعة والثلاثين، له

غرفة في منزل خاص، ووظيفة في مشغل صغير لأمثاله من المعاقين. لقد بات يعتمد على نفسه، وهو سعيد. لكن الأمور لم تكن هكذا على الدوام.

كان يخجلني. خلال مرحلة المراهقة عانى بايج أزمات انفعالية. كانت تنتابه نوبات من الغضب الشديد ينفجر بعدها ببكاء مرير ويخدِّش وجهه بأظفاره حتى يسيل منه الدم أو يخز عينيه بقلم متأوهاً محبَطاً بفعل اصابته بالسُدّ.*

لقد مرّ بايج في عدة مراحل مختلفة اتسمت جميعها بتصرفات خاصة.

درج أولاً على تقبيل الأرض. فكان من حين الى آخر، ولأسباب غامضة، يقف ثم يجثم على ركبتيه ليقبل الأرض أو رصيف الشارع طويلاً، ثم ينهض بهدوء فيمسح الأوساخ عن شفتيه وعلى وجهه علامات الرضى، ثم يتابع طريقه.

بعد ذلك حل الدوران. فكان يقف فجأة ويدور على نفسه كأنه يتخلص من رباط غير مرئي ملفوف على جسده، ثم يجلس في مكانه مرتاحاً. كان يدور ثلاث مرات، لا أكثر ولا أقل. وذات يوم، بينما كنا في زيارة، قرر بايج فجأة أن "يحل نفسه" في لحظة صمت. فسمع الحاضرون أولاً حفيف ملابس، والتفتوا للتحقق من مصدر الصوت، ونظر اليه الاولاد ببلاهة وذهول. أما أنا فطأطأت رأسي وقد احمرَّ وجهي خجلاً.

طوال سنوات كنت أشعر بالاحراج والغضب والاستياء كلما تصرف بايج على هذا النحو. لماذا هو؟ لماذا أنا؟ كنت واثقاً آنذاك بأنه يدخر أعماله المشينة للعلن بحيث يلفت الأنظار إلينا. لقد كان غريباً. ترى، هل يظن الناس أن ثمة أمراً مريباً في عائلتي؟ أو في شخصيتي؟

لكنني أدركت مع الوقت أن أخي لم يكن مسيطراً على تصرفاته، فلا يجوز أن أحكم عليه كما أحكم على الآخرين. فهو لم يكن يحاول أن يكون صعباً أو غريباً، بل كان انساناً ضائعاً لم يُعثر عليه قط.

ولما اتسع "الشرخ" بيننا عدلت عن محاولة استرجاع الأخ الذي طالما أنكرته. فتحول خجلي تسليماً بالواقع، وبتّ أحدج بتحدّ كل شخص يحدق الى هذا الرجل السمين القصير العابس الذي يضع سمّاعات في أذنيه وتنتفخ جيوبه بمصابيح كهربائية وعدسات مكبرة.

الجدة والحفيد. قبيل توجهنا الى دار العجزة كتبت أمي على منديل عبارة "زوروا جدتكم" بأحرف كبيرة لكي يتمكن بايج من قراءتها. لكننا لم نكن نتوقع أن يدرك هو هدف زيارتنا أو أن يفهم أنها قد تكون الأخيرة.

تدافعت الذكريات في ذهني وأنا أقود السيارة. فتذكرت يوم كانت جدتي في الثمانين من عمرها تدفع جزّازة العشب بذراعيها الناحلتين في حديقتها وتطرد المتطوعين الأقوياء بهزّة استهجان من رأسها. كما تذكرت أصابعها الرفيعة

(*) السُدّ (cataracts) هو إعتام عدسة العين أو ما يدعى "الماء الازرق."

المرتجفة وهي تفتح هدايا الميلاد بتأنٍ لئلا تمزق الأوراق التي تغلفها، ثم تطويً هذه باتقان. ولا أنسى أنها لم تكن تكف عن الكلام، فصوتها جزء من ذاكرتي. لم تكن أحاديثها تقتصر على الجمل أو المقاطع، بل تشمل فصولاً كاملة متشابكة مترابطة بسلسلة من أدوات العطف والاعتراض والاستطراد. ونادراً ما كنا نجرؤ على طرح أسئلة في حضورها خشية أن تستأنف الكلام، فنكتفي بالاستماع والاضطلاع بدور الحضور المهذب، نومىء موافقين في اللحظات المناسبة مفتشين عن وسيلة لاعادتها الى الموضوع الأصلي (اذا استطعنا تذكره).

كانت تتنهد أحياناً وتقول: "أعلم أني أتكلم كثيراً، فأمكم تقول لي ذلك."

استطاع بايج وجدتي أن يتفاهما كلياً، فهو عاجز عن الكلام وهي عاجزة عن الاصغاء. ولم يكن أخي المعتصم بصمته شاعراً بجدار الكلام السميك الذي بنته جدتي حولها. كانت تقبّله وتبتسم له. ولعل الاهم من ذلك كله أنها تقبلته كما هو ولم تأسف يوماً لأنه "ليس طبيعيا" بل كانت نظراتها اليه مليئة بالإعجاب والصبر والحنان.

ذات يوم كسر بايج مصباحاً كهربائياً فأعطاها إياه آملاً أن تصلحه. وأذكر أنها حارت في أمرها فظهرت على محيّاها أمارات الجد وهي تعاين القطعة المصنوعة من البلاستيك الرخيص. لكنها هزت رأسها أخيراً، وبدا الحزن على وجهها حين أعادتها اليه. فابتعد بايج ورجع بعد دقائق مكرّراً المحاولة. فتلمست جدتي القطعة مجدداً وردّتها اليه على حالها. وفي اليوم التالي توجهت الى المتجر واشترت له مصباحاً جديداً.

كلمات. وصلنا الى دار العجزة ودخلنا غرفة جدتي. فلاحظنا أنها تحولت، بعد سلسلة السكتات الدماغية التي أصابتها، كتلة مرتجفة لا تدري ما يدور حولها. وبدا ذلك القناع الأجوف ذو العينين الغائرتين المحدقتين الى سقف الغرفة كأنه وجه غريب ذابل. كان فمها فاغراً وعيناها جاحظتين من غير أن تريا شيئاً.

ربتّ يدها الهزيلة، فإذا بذهني يمتلىء صوراً من ماض غير بعيد. فهذه اليد المحبَّة كانت تعدّ أطيب أنواع الخبز، ولم تكن تكف عن التلويح أمام ممرّ بيتها حتى تغيب سيارتنا المليئة بالاحفاد. ولكن، ها هي الآن مسترخية الى جنبها، رقيقة، باردة، هشة الى حدّ أنني خفت أن أؤذيها.

وقفنا حول السرير نبتسم بتكلف ونغمغم أي كلام يخطر في بالنا. كان ابن خالي الاكبر سناً اكثر ارتياحاً منا، فسألها: "هل تلقين معاملة جيدة هنا يا جدتي؟"

نظرتُ الى وجهها علّني ألحظ ما يشير الى أنها تعرفت الى الصوت. فلم ألمح شيئاً من هذا. في الواقع، لم يكن الصمت يليق بجدتي. بدت ضعيفة شديدة التأثر وهي مجرّدة من درع الكلام. عندئذٍ أدركت أنني صرت قادراً على الكلام،

وأنني أملك، للمرة الاولى في حضرتها، حرية التعبير الكاملة. لكنني ما عدت أعرف ماذا أقول، ثم نطقت أخيراً: "نحبك يا جدتي." ورحت أتساءل إن كانت كلماتي هذه بلغت مسامعها، إذ خُيّل إليّ أنها ظلت معلّقة في الهواء، بعيدة وغير صادقة.

كان بايج واقفا بهدوء قرب النافذة والدموع تسيل على وجنتيه. فتقدم شاقا طريقه بيننا ودنا من السرير. انحنى فوق جدتي وأخذ وجنتيها بلطف بين يديه وطأطأ رأسه ثم راح، لبرهة خلتها دهراً، يهدهد وجهها ويبلل رداءها بدموعه. أما نحن الشهود فوقفنا أصمّاء لا نسمع الكلمات الرائعة المتبادلة في ذاك الحوار الصامت.

شعرت بفورة دفء في أعماقي أخذت تندفع صعوداً مثل فيض ملأ عينيّ حتى تلاشت الغرفة في غمرة من الالوان والأشكال المتموجة. وسط هذه الضبابية ظهرت الحقيقة ساطعة، وأدركت كم كنت مخطئاً في شأن بايج. فهو عرف أكثر منا جميعاً المعنى الحقيقي لهذه الزيارة، لأنه أدركه بقلبه لا بعقله. كان كالطفل، لا تلجمه الكبرياء ولا أصول الآداب. كان صادقاً، شجاعاً، حراً في الوصول الى جدتي وسط الألم. ذلك هو الحب البسيط والطاهر.

وأحسست أن حالة بايج، على رغم ما رافقها من أحزان، كانت نعمة قيِّمة ورائعة. فمن بين القدرات التي لا يملكها أخي القدرة على النفاق. فهو لا يستطيع أن يظهر ما لا يشعر به، ولا ان يكبت انفعالاً ملحا.

واذ وقفت على مقربة منه أعب من تعبير حبه الطاهر، لم أعد أتساءل لماذا لا يكون مثلي. ففي تلك اللحظة وددت أن أكون أنا مثله.

قبّلنا جدتي وانسللنا خارج الغرفة. كنت آخر المنصرفين فقلت لها: "وداعا يا جدتي." واذ استدرتُ لألقي عليها نظرة أخيرة، لاحظت أن شفتيها تطبقان كأنهما تحاولان الكلام.

فإن كانت حاولت أن تستجمع قواها لحظة لكي تقول وداعا، فذلك لأن بايج أدركها.

يومذاك، وحده أخي الأخرس استطاع البوح بما اعتمل في نفوسنا جميعا حين خانتنا الكلمات.

جيم واتسون ■

التكنولوجيا لا تمهل

كثيراً ما يتذمّر موظفو شركتنا من جهاز التلكس القديم الذي يعمل ببطء شديد. وذات يوم خطرت فكرة لموظف ذكي جعلتهم يبتسمون، اذ وضع فوق الآلة القديمة صورة دينوصور.

ك.ب.

اليد البيضاء

وجدت الأم الشابة ابنتها ميتة في مهدها، ضحية مرض يسبب للأطفال موتاً فجائياً. فراحت تنتحب من غير أن تقوى على الكلام. فهي بلا معيل، ولها خمسة أولاد آخرون، وتعيش على اعانات الانعاش الاجتماعي. لذا وقعت في حيرة لا تعرف ماذا تفعل وكيف تدفن طفلتها.

اصطحبها بعض الاصدقاء الى مبنى قرميدي من طبقتين في وسط مدينة مينيابوليس في ولاية مينيسوتا، حيث شاهدت على الباب لافتة كُتب عليها "أيادي العناية والمشاركة."*

استقبلتها مديرة المركز ماري جو كوبلانـد، الأنيقة المظهـر والملبس، فضمّتها اليها مطمئنة: "لا تقلقي، سنرتب دفن طفلتك ونهتم بكل ما يلزم. صلي معي."

اتصلت ماري جو بدائرة الخدمات الاجتماعية التي وافقت على دفع مبلغ

(*) Sharing and Caring Hands



اختبرت هذه السيدة الفاضلة أقسى ضروب الحزن والالم فتفجرت معاناتها عطفاً وتفانياً في خدمة المعوزين

PHOTO: © BIRAN PETERSON / MINNEAPOLIS – ST. PAUL TRIBUNE

٥٧٢ دولاراً لتغطية نفقات الجنازة وأمنت مدفنا للطفلة الفقيدة.

وكانت ماري جو أسست مركز "أيادي العناية والمشاركة" لتوفير المأكل والملبس وطب الأسنان والمنامة والاستحمام والحلاقة و... بطاقة باص، لأشخاص محتاجين فاتتهم مساعدات الانعاش الاجتماعي، وهي تمد يدها الى كل من يطلب المساعدة، وإن يكن جانحا أو مشرداً أو مدمناً أو متخلفاً عقلياً او محكوماً بجرائم سابقة. يقول دونالد فريزر محافظ مينيابوليس: "تحفل برامج الاعانات الحكومية بشروط ينبغي توافرها في طالبي المساعدة، وبمعاملات روتينية معوِّقة تدفعهم الى اليأس والاحباط. أما في مركز ماري جو، فما على المحتاج الا ان يدخل ليحظى بالعناية اللازمة."

ذات يوم دخلت المركز عجوز مصطحبة بنتاً عمرها تسع سنوات. وكانت الفتاة ترتجف برداً اذ بلغت الحرارة في الخارج ٢٠ درجة مئوية تحت الصفر، وهي تنتعل صندلا ولا يستر جسمها غير كساء رقيق. وكانت عيناها متورمتين وقد غطت الرضوض والجروح وجهها وساعديها. فشرحت جدتها الامر: "لقد ثملت أمها وانهالت عليها بالضرب. وهذا ما يحدث مراراً."

اغرورقت عينا ماري جو بالدموع فيما راحت تسأل البنت الصغيرة: "هل أنت بردانة يا حبيبتي؟ هل تتألمين؟"

في البداية أشاحت الصغيرة بوجهها، لكنها ما لبثت أن استسلمت مطمئنة الى ماري جو التي ضمتها الى صدرها وطلبت من مساعدتها اعداد حمام ساخن وإعطاء الفتاة ملابس شتوية دافئة. ثم شجعت الجدة على أخذ اجراءات قانونية لوضع الفتاة تحت وصايتها.

وفي يوم آخر دخل المركز رجل يدعى كورتيس سنو (٣٢ عاماً) وهو طاه صُرف من عمله قبل أسابيع وعجز عن تدبر عمل آخر. كان هو وزوجته وابنتاه ينامون في سيارتهم، فشرح حالته: "تقدمتُ بطلب مساعدة من الحكومة، فقيل لي ان ليس في الامكان عمل أي شيء قبل نهاية الشهر."

عندئذ سعت ماري جو الى ايواء العائلة. فاستأجرت لها شقة دفعت ايجارها في انتظار أن يحين موعد قبض المساعدة من الحكومة، فيما واصل الاب التفتيش عن عمل.

"آه، أوه، ماري جو!" لا أحد ممن يحضرون الى مركز "أيادي العناية والمشاركة" يعرف معنى المعاناة وقساوة الحرمان والوحدة أكثر من ماري جو نفسها. فهذه السيدة ولدت في روشستر بمينيسوتا عام ١٩٤٢، وأمضت السنوات الست الأول من حياتها في منزل جديها في مينيابوليس. وكان جدّاها ثريَّين، فأعزّاها وعاشت معهما مدللة.

كانت لماري جو معرفة سطحية بوالديها اللذين كانا يزورانها من وقت الى آخر ولكن من دون أن يبديا لها أي عطف. ثم علمت أن والدها عاجز عن إعالة عائلته

ولذلك تركها في عهدة والديه. وعندما أنجبت والدتها طفلا آخر، رأى الجدان أنه حان أوان جمع شمل العائلة، فعادت ماري جو الى كنف والديها.

وغالباً ما كان والدها يستيقظ غاضباً مهتاجاً شاتماً والدتها لسوء طهوها وتدبيرها شؤون المنزل. وفي بعض الامسيات كان يشبعها ضرباً.

وتضيف أن هم والدتها في الحياة انحصر "في تجنب ما يغضب أبي." لكنها كانت في الغالب مرهقة، عاجزة، لا تحسن معالجة الأمور التي تثيره. وتسترسل ماري جو في التذكّر: "لم يعرف منزلنا النظافة بتاتاً. فقد كانت غرف النوم دائماً عديمة الترتيب يعلو أثاثها الغبار، وأطباق الطعام متروكة بلا جلي، وحوض الحمام وسخاً بحيث لم أكن أتمكن من الاستحمام."

وفي المدرسة كانت ماري جو تنزوي منعزلة متوحدة تفوح من جسمها رائحة بغيضة تبعث على الاشمئزاز. فيهتف الأولاد الآخرون: "آه، أوه، ماري جو!" ويسدون أنوفهم بأيديهم. وتذكر ماري جو: "بلغ اضطرابي النفسي حداً عجزت معه عن التركيز على دروسي، فجاءت علاماتي متدنية مما أثار غضب والدي فراح ينهرني قائلا إني غبية وغير نافعة."

"ألا ترى كم هم فقراء؟" كان التعليم الديني المادة الوحيدة التي أثارت رغبتها في المدرسة. وهي تقول: "ألهبت مشاعري تلك الفكرة التي تعلّمنا أن الله يحبنا جميعاً. وكنت أتلو صلواتي في أوقاتها. وما لبثت أن أدركت أن هناك أولاداً كثيرين مثلي، وبعضهم أسوأ حالا. فبدأت أعي أن الله شاء تكريسي لعمل خصوصي سام."

ويوم طلب منها والدها المساهمة في دفع أقساط المدرسة الثانوية المرتفعة، أخذت تعمل في تنظيف غرف التدريس بعد انصراف التلاميذ.

وذات مساء، حين كانت لا تزال في السنة الثانوية الثانية، تعرفت الى شاب وسيم يدعى ديك كوبلاند. وتكررت لقاءاتهما وتوثقت علاقتهما مع أن ماري جو لم تطلع ديك، الا بعد سنة، على أحوال حياتها البيتية التي ساءت الى حد لم يعد يطاق.

وذات يوم ماطر من أيام الصيف استطاع ديك أن ينفذ بعمق الى الميول والمشاعر النبيلة التي اختلج بها قلب ماري جو. وهو يقول: "خرجت ماري جو بعد قبض راتبها من المتجر حيث تعمل، ومشينا معاً في الطريق. فشاهدنا امرأة في ربيع العمر ومعها ولداها وهم في ثياب رثة وعلامات الفقر المدقع بادية عليهم. رثت ماري جو لحال المرأة، فكلمتها، ودخلت وإياها أحد المتاجر، فابتاعت لها بكامل راتبها مواد غذائية من بقالة وغيرها، ثم أعطتها معطفها الواقي من المطر. قلت لها: ماري جو، سيغضب منك أبوك ويقتلك. فأجابت: لا آبه لذلك، فالمرأة في حاجة الى معطف يقيها البرد. ألا ترى كم هم فقراء؟"

"دعني وشأني." تخرجت ماري جو في المدرسة الثانوية في يونيو (حزيران) ١٩٦٠. وفي السنة التالية تزوجت ديك. فعملت هي ممرضة فيما تابع هو دراسته الجامعية.

غير أن تعاقب إنجاب الأولاد باكراً وهم إعالتهم حملا ديك على ترك الجامعة والعمل في أحد المتاجر الكبرى. واشترت العائلة منزلا في الضواحي. تقول ماري جو: "كنا نأخذ الاولاد الى المتنزه والسيرك وحديقة الحيوان والشاطىء، وحرصنا على تنشئتهم في حياة طبيعية سعيدة." وفي أعياد الميلاد كان أفراد العائلة يشتركون في توضيب الهدايا التي اشتروها للفقراء. وتضيف ماري جو: "أردنا تعليم أولادنا وهديهم الى طريق العيش الصالح."

وفيما كانت ماري جو حاملا بطفلها الثامن أصيبت بضعف وهبوط في قواها الحيوية أديا الى "انهيار عصبي." فأعطاها أحد الاطباء حبوباً مهدئة أفادت منها واستمرت في تعاطيها بعد ولادة الطفل. ثم أصيبت بأرق حرمها النوم، فوصف لها الطبيب حبوباً منومة، ثم حبوبا لتسكين الألم كي تجتاز فترة حملها الثامن بسلام. وهي تقول في هذا الشأن: "كنت أتناول يومياً مجموعة من الحبوب المهدئة والمنومة والمسكنة للألم."

وهكذا أدمنت ماري هذه الحبوب قرابة خمس سنوات، ولم تجد في نفسها الشجاعة للتخلي عنها نهائيا حتى ولدت طفلها الثاني عشر، فرمت كل الحبوب في المرحاض. ثم شرعت تتعاطى الكحول في عطلة نهاية الاسبوع. وتقول في هذا الموضوع: "وجدت أن جرعة واحدة كانت تحملني على الاسترخاء. فاستزدت وبتُّ أتناول خمس جرعات."

حينئذ قال لها ديك محذراً: "أرى أنك أبدلت إدمانا بادمان!"

فصرخت في وجهه: "دعني وشأني!" واندفعت الى غرفة نومها حيث ركعت تصلي: "ساعدني يا رب. لن أحقق شيئاً إن بقيت سائرة في هذا الطريق."

وكأنما الصلاة نفحتها بالقوة والعزم، إذ ما لبثت أن انقطعت عن الشراب كلياً.

فراغ وألم دفين. على أثر ولادة الطفل الثاني عشر أجريت لماري جو جراحة لاستئصال الرحم أوشكت بعدها على الانهيار ثانية. أخذت تستحضر في مخيلتها صور مآسيها الماضية: السنوات المروعة مع والديها، الوحدة القاسية أيام الدراسة، كفاحها المضني لتنشئه عائلة كبيرة وإعالتها، وأخيراً إدمانها. فطغت عليها تلك الذكريات وخلّفت فراغاً هائلا في حياتها. فكانت تقوم، كأنها مسيّرة آلياً، لتطهو وتدبر شؤون المنزل والاولاد. وفقدت الرغبة في كل شيء، وشعرت بأن لا حاجة الى وجودها.

طوال ثلاث سنوات احتبست ماري جو في المنزل وفي أعماقها فراغ وألم دفين. فكانت تمتنع عن الخروج، وتأبى التزين وتغيير هندامها. وذات يوم قال لها ديك: "كفى يا ماري جو، لا يجوز أن تكبتي

المحبة التي تضج داخلك. أنت حققت انجازاً رائعاً بتنشئة أولادنا، وعليك الآن ان تبذلي طاقتك لخدمة الآخرين."

عند ذاك تطوّعت ماري جو للخدمة في جمعيات خيرية. فكانت تقدم القهوة والكعك والحلوى في كشك صغير على ناصية الشارع الى فقراء مشردين لا مأوى لهم. وكانت تحادثهم وتطلع على أخبارهم وأحوالهم. الى أن خطرت لها فكرة فريدة، أن تتيح للفقراء تناول وجبة غداء ساخنة يومياً. فبادرت الى الاتصال بالجمعيات الخيرية في المدينة، ولقيت تجاوباً منها جميعاً، بحيث التزمت كل منها تقديم وجبة واحدة في يوم معين من الشهر. وهكذا تسنى لمئات الفقراء أن يحظوا بوجبة غداء ساخنة يومياً.

وكثيراً ما أغضب ماري جو التباطؤ في إنجاز المعاملات البيروقراطية التي يفرضها العمل الخيري المنظم. فكان على المحتاجين، قبل أن يتاح لهم الحصول على الغذاء والملبس، إجراء مقابلات طويلة مضنية، وملء استمارات معقدة. وهي تذكر: "ذات يوم، رأيت موظفين يطردون رجلا فقيراً كان يتضور جوعاً لأنه حضر بعد ساعة من موعد تقديم الغداء. فما أهمية الوقت هنا؟ ألم يكن أرحم لو أُدخل ذلك الفقير الجائع الى المطبخ وقُدمت اليه شطيرة؟"

وكان أن راود خيالها حلم طلما تمنت تحقيقه، وهو انشاء برنامج مساعدة طوعية لا يعتمد أي دعم مالي من الحكومة. وفي غضون ذلك كانت تحاول تفادي المعاملات البيروقراطية الطويلة، فتشتري بما تستطيع توفيره من دخلها أحذية وقمصاناً وتهبها مباشرة الى المعوزين. وغالباً ما كانت تقدم مساعدة مالية بسيطة بمقدار خمسة دولارات أو عشرة لمواجهة حالات طارئة.

حلم تحقق. بدأت جهود ماري جو تحظى بالاهتمام والدعم. ففي العام ١٩٨٥ مُنحت ١١٠٠ دولار تقديراً لخدماتها العامة، كما وهبتها إحدى محطات التلفزة ١١٠٠ دولار مكافأة لها على جهودها الخيّرة. فرأت ماري جو أن الفرصة باتت متاحة لتحقيق حلمها. فعمدت الى استئجار محل في وسط المدينة، وعلقت على نافذته المواجهة للشارع لافتة كتب عليها: "أيادي العناية والمشاركة."

قال زوجها ديك الذي كان يعمل آنذاك مندوباً لشركة مواد غذائية: "تعيّن علي أن أوقع عقد ايجار لمدة ثلاث سنوات بقيمة ٣٦ ألف دولار. كنت أفتقر الى المال، لكن ماري قالت لي ألا أقلق لهذا الامر." وابتسم ديك ابتسامة عريضة وأضاف: "وهكذا، وقعت العقد."

وبغية تجنيد المتطوعين وتوفير المال، كتبت ماري جو رسائل الى رجال أعمال بارزين، كما تكلمت في مجموعات مدنية ومؤسسات وجمعيات، فاكتشفت منذهلة أنها تجيد الخطابة وتتميز بقدرة الاقناع. وقال عنها لورنس جونسون من مايبلوود: "كان الحاضرون يصغون اليها مأخوذين

بسحر كلامها وهي تعرض أعمالا في عالم الفقراء. وقد جعلتهم يقتنعون بأن في الامكان احداث تغيير في حياة المساكين."

يساعد مركز "أيادي العناية والمشاركة" نحو ألف من المتطوعين المتشوقين الى خدمة مئات المحتاجين الذين يطلبون المساعدة يومياً. وتلقت ماري تبرعات بمئات ألوف الدولارات من أفراد وجمعيات وأرباب أعمال وشركات. ونوّه بخدماتها كل من حاكم مينيسوتا ومحافظي مينيابوليس وبروكلن سنتر. وفي ديسمبر (كانون الاول) ١٩٩٠ كرّمها "معهد العناية" منوها بأنها أحد الاشخاص العشرة في الولايات المتحدة الذين يقدمون أفضل خدمات العناية، "أولئك القلائل المتميزين الذين تُلحظ أعمالهم المتجردة من روح الانانية وتشرّف الجنس البشري."

يدخل المركز رجل متعثر ممزق الثياب ويقول لماري جو: "قدماي تؤلمانني. أكاد لا أقوى على المشي."

فتركع ماري جو وتنزع الحذاء الممزق عن قدميه المتعرجتين، ثم تحضر وعاءً فيه ماء ساخن، فتغسل قدميه بالماء والصابون وتمسحهما بمادة مطهرة ومرهم مخفف للألم. وتلبسه جوارب جديدة وحذاء جديداً ناصحة إياه: "إعتنِ بقدميك. ستحتاج اليهما طويلا في هذا العالم." وتطفح عيناها بالدمع اذ تشيعه بنظرها وهو يبتعد متثاقلا.

جون ج. هابل ■



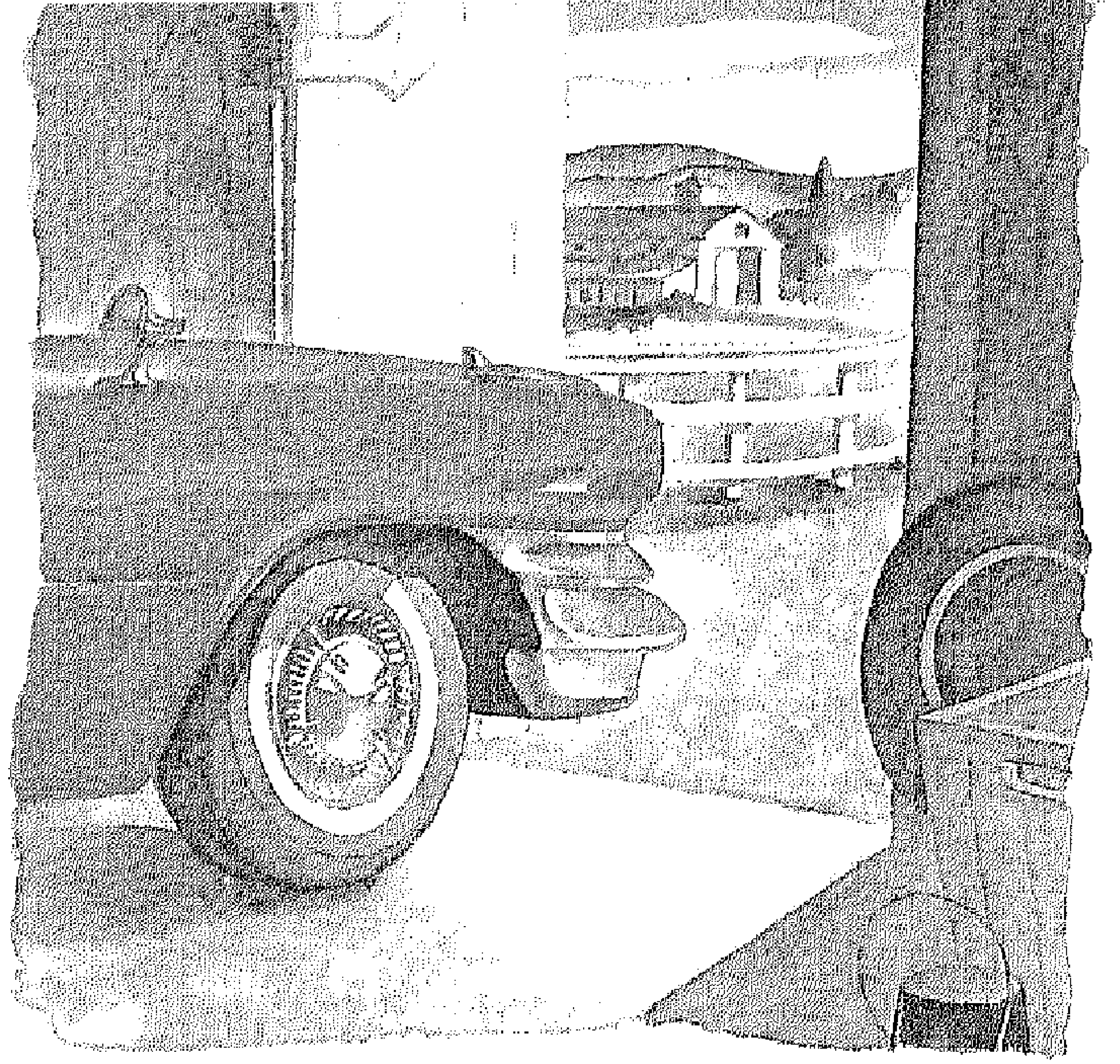
السمو فوق الخوف

خشيت الروائية أمي تان أن تقع ضحية التكرار في انتقاء مواضيعها بعد النجاح الذي لاقته روايتها الاولى "نادي الحظ السعيد" التي تتناول العلاقة بين الأمهات الصينيات الأصل وبناتهن الامريكيات. وتقول: "لم أشأ أن أصبح اختصاصية بالعلاقات بين الامهات وبناتهن، لذا عمدتُ الى تجربة مواضيع مختلفة، الى أن اكتشفتُ أن ارادة العصيان وحدها ليست سبباً كافياً للكتابة."

وتضيف: "فجأة ألهمتني سيرة أمي. كنت أعرف أنها عاشت في ظل نظام جائر في الصين، فسألتُها عمّا عانته وأهلها خلال الحرب العالمية الثانية. أجابت إنها لم تتأثر لكنها أضافت: عند اشتداد القصف كنا نخاف تساقط القذائف علينا. فذكّرتها بأنها قالت إنها لم تتأثر. فجاء ردها: لا، لم أتأثر، فأنا لم أُقتل."

كانت تلك العبارة بمثابة إلهام. وصار هدف تان فهم الاختلاف بين نظرتها هي الى الحياة ونظرة أمها. وخلال اضطرابات ساحة "تيانئمن" ربيع ١٩٨٩ كتبت رواية "زوجة رب المطبخ" المرتكزة في جزء منها على سيرة أمها. وهي تقول: "أردت أن أعرف كيف يكون العيش في ظلّ القمع، وماذا يعني الخوف، وكيف السبيل الى السمو فوق الخوف."

صحيفة "نيويورك تايمز"



قصة حب لـ ... سيارة

رفيقة الدرب

عندما تتلقى من شركة التأمين رسالة مفادها أن السيارة المستعملة التي اشتريتها عندما تخرجت في الجامعة باتت مصنفة في خانة السيارات "الكلاسيكية"، وأن "بدل التأمين سيزيد وفقاً لهذا التصنيف"، فانك تشعر فعلاً بأنك تقدمت في السن.

خرجت لألقي نظرة على هذه السيارة. وسمعت صوت عمي المستاء آتياً من أعماق الماضي يوم اشتريتها وجئت بها الى المنزل: "يجب ألا تشتري أبداً سيارة مستعملة." وبعد عشر سنين قدت هذه السيارة لحضور مأتمه. وأوصلت أختي في هذه السيارة الى المستشفى لتضع مولودها البكر. وقدتها الى الجامعة يوم تخرج هذا المولود.

يسألني أصدقائي: "متى ستقتني سيارة جديدة؟"

فأجيبهم: "أنا لست في حاجة الى سيارة جديدة فهذه ما زالت تلبيني."

توصلني دائما الى حيث أريد. لكن الحشوة نتأت من المقعد الخلفي، وبانت الرفاصات، واعتزل عداد المسافات العمل بعد ٥٠٠ ألف كيلومتر، وبليت الارضية وانكشفت فتحة حيث يستريح عقب قدمي عند دواسة الوقود، وانسلخت بطانة الجدار الفاصل عن المحرك، وتفككت مماسك حزام المقعد فاستعضت عنها بعقيفة برونزية ضخمة.

وتهامس أصحابي: "انها قطعة خردة."

ذات يوم توقفت السيارة من تلقائها،

فقلت في نفسي: "هذه هي النهاية." لكن الميكانيكي الذي أتى لنجدتي ضحك وقال لي: "لقد نفد الوقود." فسكبت بضعة ليترات في الخزان وقدتها عشر سنين أخرى.

منذ ذلك اليوم توقف مقياس الوقود، لكني صرت أعرف متى ينخفض مستواه في الخزان... من الرائحة. وأظن أنها كانت رائحة قعر الخزان. وفاحت أيضاً رائحة زيت الكابح ورائحة دخان العادم ورائحة زيت المحرك... وبعض من رائحتي بعد سنوات الالفة هذه.

وكانت أصواتٌ أيضاً. صوت رائع يصدر عن المحرك حين يدور أخيراً في يوم بارد، و"تك تك" مشؤومة أسمعها في الصيف عندما يجهد المشعاع (الرادياتور)، وحفيف مساحتي حاجب الريح.

لم أكن أحب تبادل الاحاديث في السيارة لانني كنت مضطراً الى الاصغاء الى صوت قِطعة قصيرة تعلمني بأن علي الخروج لتسوية المكربن (الكربوراتور).

وكان أصحابي يقولون: "انها بطيئة جداً."

لا أعرف بأي سرعة قدتها منذ تقاعد عداد السرعة قبل سنوات. ولكن عندما أنظر من خلال الثقب في أرضيتها وأرى الشارع يمر بسرعة خاطفة على بعد سنتيمترات من قدمي، وأشعر بحرارة المحرك في حضني منفوثة عبر الجدار الفاصل، أدرك أنني مسرع. وعندما أصل الى وجهتي أسترخي وأفك عقيفة حزام المقعد وأنزل مترنحاً قائلاً: "شكراً يا سيدتي، لقد وصلنا هذه المرة أيضاً."

ولكن عندما تلقيت تلك الرسالة من شركة التأمين بدأت أفكر جدياً في اقتناء سيارة جديدة. ولما قرأت إعلاناً عن واحدة شبه جديدة من طراز سيارتي ذهبت لاعاينها. فرأيت سيارة حنطية أنيقة غطى قماش من المخمل الناعم مقاعدها وكسى السجاد أرضيتها وانبعثت منها رائحة عطرة. ولما كبست زراً صدحت موسيقى موزار من أربعة مكبرات صوت. فسألت أصحابها: "وكيف تسمعون أصوات المحرك وسط هذه الموسيقى؟"

أدرت المفتاح، فتحركت السيارة للحال. وقدتها في نزهة تجريبية، فانسابت بي في الطريق من دون أن ينبعث أي صوت من محركها، لكني قررت بعد حين أن الوقت حان لتغيير السرعة، فرحت أدوس الارضية بقدمي اليسرى مربكاً، ثم تذكرت أن جهاز النقل أوتوماتيكي.

اني أملك الآن سيارتين: سيارتي الجديدة وسيارتي الحقيقية. أقود الجديدة في غالب الأوقات. لكني أخرج أحياناً الى المرآب وأركب سيارتي الحقيقية. أدير محركها فتنتصب أذناي. وأتشمم الهواء. أضيف قليلاً من زيت الكابح وبعض الماء. وأتشمم مجدداً. ستحتاج الى وقود وزيت جديد الاسبوع المقبل.

وننزل الى الشارع، فيبتسم المارة لدى عبورنا ويقولون: "سيارة جميلة."

بايلي وايت ■

كتاب الشهر

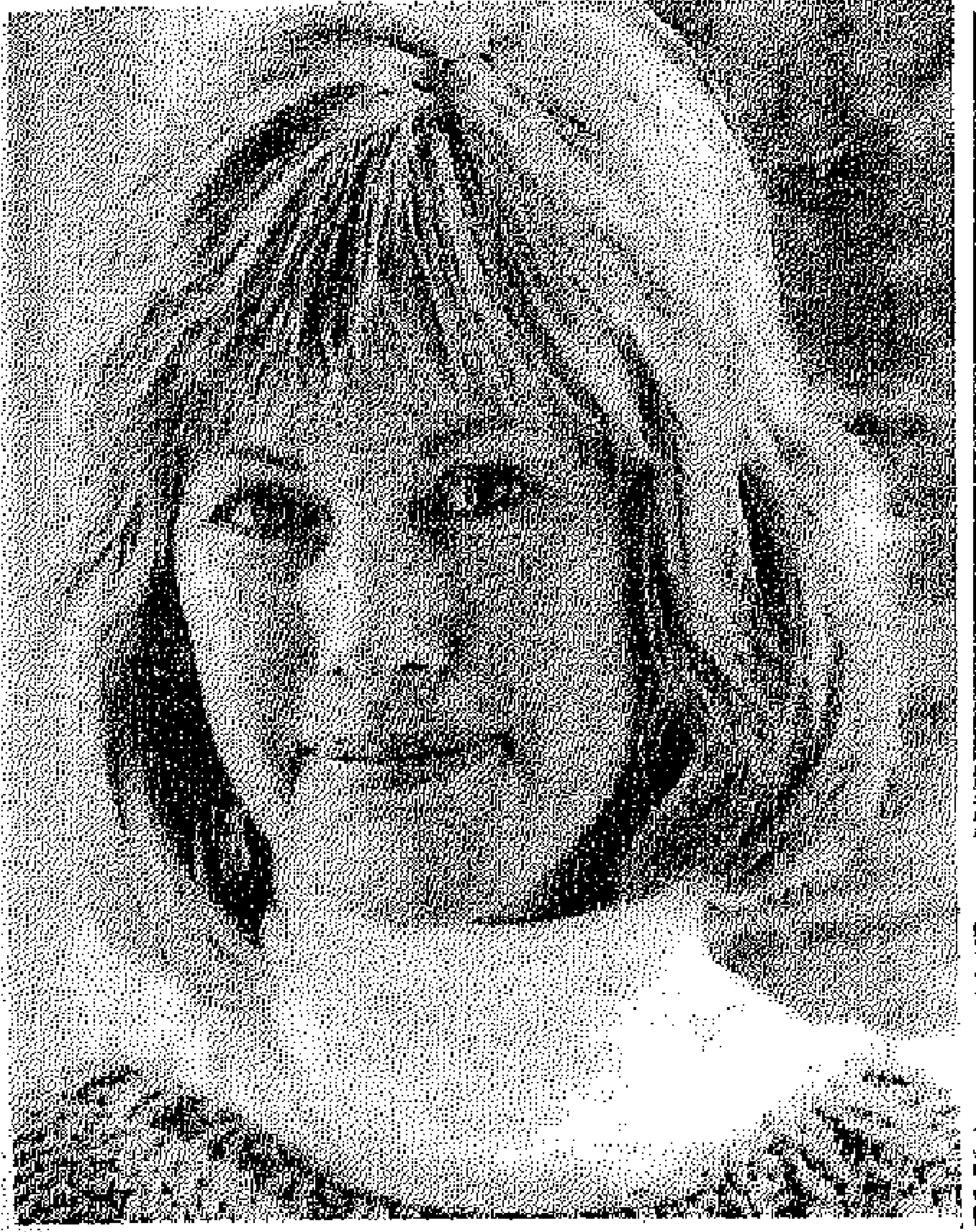


ابنتي غيّرت حياتي

ملخص من كتاب "ولدتْ قبل الاوان: قصة ابنتنا اميلي"
بقلم اليزابيث مهرن بترفيلد

ابنتي غيّرت حياتي

كانت ولادة إميلي أعجوبة وعذاباً في آن. فهي ولدت قبل أوانها، وكان وزنها دون الكيلوغرام ورئتاها في حجم كيسَيْ شاي ولم يتجاوز حظها في الحياة ٥٠ في المئة.



وها هي أمها اليزابيث ترسم صورة مؤثرة عن حياة ابنتها وكفاحها من أجل البقاء، وعن العالم الغريب المرعب الذي ولجته مع زوجها بعد الولادة. وهما اختبرا خلال تلك الفترة أفراحاً كبيرة وأتراحاً عظيمة وعواطف عميقة ولّدتها المأساة والاحزان. لكنهما عايشا طفلة جميلة شجاعة غيرت حياتهما الى الابد.

أقلعت الطائرة في موعدها المحدد على غير عادة. وكنت أتطلع بشوق الى الرحلة الهادئة من لوس انجلس الى نيويورك اذ عَنَتْ لي الهرب من المكالمات الهاتفية وارجاء أخذ أي قرار سوى اختيار ما آكله أو أشربه. كنت في شهر حملي السادس، فاخترت الحليب شرابا.

شعرت بارتياح وأنا أشد حزام المقعد. وخيل الي أني أضم وليدتي المنتظرة بعد ١٥ أسبوعاً ونصف أسبوع. وكنت وزوجي فوكس عرفنا أنها أنثى، فسميناها اميلي. لذلك، حين أقفلت الحزام حول بطني المنتفخ سمعتُني أحدثها قائلة: "أنتِ في أمان يا صغيرتي اميلي. فنحن هنا مربوطتان معاً."

CONDENSED FROM «BORN TOO SOON: THE STORY OF EMILY, OUR PREMATURE BABY,» COPYRIGHT © 1991 BY ELIZABETH MEHREN, PUBLISHED BY DOUBLEDAY, A DIVISION OF BANTAM DOUBLEDAY DELL PUBLISHING GROUP, INC., NEW YORK, N.Y.
PHOTO: LUCY HILMER; ILLUSTRATIONS: LYNN RENEE

كنت مراسلة لصحيفة "لوس انجلس تايمز" في الساحل الشرقي للولايات المتحدة، أسافر عبر البلاد مرة في الشهر. وحين علم الاصدقاء أني حامل سألوني مازحين عما اذا كنت أدرجت اسم اميلي في قائمة المسافرين الدائمين لكي تحصل على تذاكر بأسعار مخفوضة. وكنت أنا عالمة باحصاءات الاسقاط خلال الاشهر الثلاثة الاولى من الحمل. كما أني أسقطت جنيناً قبل سنوات. لذلك، لم أجد بداً من إبطاء نمط حياتي والاحجام عن رياضة العدو والايروبيك والانقطاع عن تناول الكافيين.

عندما التقيت فوكس كنت في التاسعة والثلاثين من عمري، وكان هو في السابعة والاربعين. وكان كلانا متزوجاً سابقاً. تعرفت اليه خلال احدى الحفلات، وعلمت أنه رجل مستقيم من بنسلفانيا. وهو لم يخطب ودي بوعود زائفة، بل قررنا الزواج بعد لقائنا الاول. وعلم فوكس برغبتي الطاغية في أن أنجب طفلاً، اذ حدثته عنها ربما خلال لقائنا الثاني.

لم يكن مستبعداً من رجل متعقل في السابعة والاربعين له ولدان من زواج سابق، أن يبتعد عني لدى سماعه قولاً كهذا. لكن فوكس أرادني فعلاً أن أنجب. كان كلانا يؤمن بأن الحب والزواج والانجاب أمور متلازمة، وهو تاق الى انجاب ثمرة حية لحبنا.

سارت الامور حسناً على جبهتي الحب والزواج. أما انجاب الاطفال فكان مسألة أخرى. وكانت دقات ساعتي البيولوجية تسرق النوم من عينيّ وأنا قابعة قلقة أتحسَّر على كل شهر ينصرم من حياتي. وأخيراً لجأت الى طبيبي طالبة المساعدة. ورحت أتناول حقناً من مركب هرموني يساعد في حفز الاباضة.[1]

الحقيقة أننا لم نؤمن بهذا العلاج. وكنا على علم بالاحصاءات التي لم تبشرنا بخير يرجى.

ثم تأخر طمثي.

... وأمضيت فترة حمل لم يتخللها أي حدث مقلق. وبينت الفحوص أن كروموزومات[2] الجنين طبيعية، وأننا سننجب طفلة.

أخلدت الى القراءة في رحلة العودة وفي أحشائي طفلة عمرها ٢٤ أسبوعا ونصف أسبوع. وقدَّرت أني سأصل الى نيويورك باكراً في المساء فأتناول طعام العشاء مع زوجي الذي اشتقت اليه كثيراً وإن كنت لم أفارقه سوى ثلاثة أيام.

ربَّتُّ اميلي مرة أخرى. وعندما أغمضت عينيّ رحت أتخيلها طفلة كاملة النمو لا جنيناً في أحشائي. رأيتها ممددة في المهد على بطنها غارقة في نوم هادىء على حرام مزدان برسوم أرانب صغيرة. فقلت في نفسي وأنا أتحسَّس بطني: "أحبك أيتها الارنبة الصغيرة الحلوة."

(١) Ovulation اي خروج البييضة من المبيض.
(٢) الكروموزوم او الصبغي خييط في نواة الخلية يحوي الجينات التي تحمل الخصائص الوراثية.

علمت أننا قطعنا أكثر من نصف المسافة اذ مضى أكثر من ثلاث ساعات على اقلاعنا. وبعدما أكلت الوجبة التي قدمت الي وقرأت نحو ثلثي كتابي، طويت الصفحة التي بلغتها ونهضت، ليطالعني ما غيَّر حياتي الى الابد.

كان مؤخر ثوبي مشبعا بسائل انهمر مني غفلة وبلل غطاء المقعد من غير أن أشعر بألم أو انزعاج. كان السائل صافيا ودافئا وبلا رائحة. وعلى رغم أني لم أقرأ كتابا يحذرني من هذا الاحتمال، فقد علمت للحال أن تمزقا حصل في غشائي النُخطي.[٣]

كنا على ارتفاع ١١ ألف متر عندما بلغ حملي الهانىء نهايته. فقلت لنفسي: "حافظي على هدوئك يا فتاة، ولا تهلعي."

كنت كمن يمازح نفسه، اذ تملكني الذعر ولم أستطع الحفاظ على رباطة جأشي.

* "هي ابنتنا" *

صُعقت المضيفة عندما أخبرتها بما حصل، خصوصا لأنها لم تلاحظ أني حامل. لكنها تمالكت نفسها وطلبت مني أن أرفع قدميَّ عاليا. ثم سألتني إنْ كنت أشعر بألم. ولما أجبتها سلبا قالت لي: "هذا حسن." وعندما تحققت من أني لا أنزف طمأنتني قائلة إن الامر لا يبدو خطيرا. ثم اتصلت بمطار نيويورك طالبة تأمين كرسي نقال.

وما إن وصلت الى المطار حتى اتصلت بطبيبي هاتفيا. فطلب مني التوجه من فوري الى المستشفى. ثم كالمتُ فوكس، وحاولت ألا أنهار كليا عندما أجابتني المسجِّلة. فتركت رسالة قلت فيها: "أنا في طريقي الى المستشفى. أرجو أن توافيني بالسرعة الممكنة."

ولدى وصولي الى المستشفى كشف عليَّ أحد الاطباء وأكد لي ما شخصته وأنا على ارتفاع ١١ كيلومترا.

بعض النساء في مثل هذا الوضع يواصلن حملهن لعدة أسابيع، أما الاحتمال الاقوى فهو ولادة الطفل خلال يومين أو ثلاثة أيام.

جلست في سريري مساء الاربعاء أحتسب أني سأكمل بعد يومين، أي الجمعة، الاسبوع الخامس والعشرين من حملي، وهي مرحلة تتعادل فيها احتمالات نجاة الوليد وموته، ويستحيل التكهن بالنتيجة. لذلك وجدت أن كل ما أستطيعه هو الترقب والانتظار.

وصل فوكس الى المستشفى حاملاً باقة من الزنبق الارجواني. وكنت وقتئذ مستلقية وقدماي مرفوعتان في وضع تعين عليّ التزامه طوال فترة حملي مهما طالت.

حاولت أن أقنع نفسي بأني اذا حافظت على هذا الوضع مدة كافية فستولد اميلي

(٣) Amniotic sac . وهو غشاء يحيط بالجنين ويحوي سائلا يسبح فيه الجنين. ويدعى ايضا السَلى.

بصحة جيدة باكتمال فترة الحمل الطبيعية. وأخبرت زوجي بأني خائفة، بل خائفة جداً. فرد وعيناه لا تفارقان عدّاد النبض: "وأنا كذلك."

كانت الارقام الحُمْر المتواثبة محط انتباهنا ومثار هلعنا. لكنها أيضاً مدتنا بنوع من الطمأنينة، فهي وسيلة اتصالنا الوحيدة بابنتنا، وما دامت تتراقص صعوداً وهبوطاً فهي تعني أن اميلي ما زالت حية.

وكلما تخيلت اميلي رأيتها طفلة ممتلئة بالحياة، قابعة في مهدها هانئة فوق حرامها المزدان برسوم الارانب. ولم أكن أسمح لنفسي بأن أتخيلها ميتة، فكيف أعيش أنا إن هي ماتت؟

في الماضي، عندما كان الازواج ينجبون أطفالاً كثيرين، كان موت الاطفال حدثاً عادياً. لكني لا أصدق أن الامهات كن يجدن عزاء بعد فقدان أطفالهن. فالمعاناة الناجمة عن فقدان أم طفلها تبقى خارج كل المقاييس.

جاء الخميس وتلاه الجمعة، ولازمني فوكس معظم الوقت وكان يخبرني بالمكالمات الهاتفية التي يتلقاها من أفراد العائلة والاصدقاء. وعرفت أنه لا ينام. وحين غادرني في العاشرة ليلاً بدا مرهقاً على نحو لم أشهده قبلاً.

ولم تمضِ ساعة على انصرافه حتى بدأ مخاضي. بيد أن الطبيب المقيم عزا الألم الى الغازات المعوية. وفي الثانية صباحاً رحت أتلوّى ألماً. فنقلتني ممرضة الى غرفة التوليد. وعندما نظرت الى الوجوه المحيطة بي رأيت طبيبة في لباس معقّم، فأشرت اليها لكي تقترب مني. وكان ما أردت أن أسربه اليها أمراً غاية في الاهمية.

قلت: "أرجوكِ، أنا لا أطلب أعمالاً بطولية. فلئن كان مقدَّراً ألا تُكتب الحياة لهذه الطفلة، فعلينا ألا نجبرها على ذلك."

حمَلَتْ تلك اللحظة ذروة مخاوفي وقلقي المروِّع. فحياة طفلتي على المحك. وأنا مرتاعة من أن تكون من الصغر بحيث لا يمكنها العيش خارج جسدي، أو أن تكتب لها حياة تعسة. أردت أن تعيش اميلي بهجة الحياة لا عبئها. أردتها أن تكون تلك الطفلة التي تخيلتها تلعب وتثرثر هانئة في مهدها المزدان بالرسوم الملونة. أردتها أن تكون طفلة جذلة تطل عليَّ من كرسيّها العالي وتلهو بدلوها ومجرفتها على رمال الشاطىء.

ردَّت عليّ الطبيبة بصوت خلا من المشاعر: "لا تشغلي بالك بالبطولات. فالطفلة، في ظني، لن تبصر النور."

ثم دنت مني وفي يدها حقنة كبيرة، فقد ارتأى طبيب التوليد تغييبي عن الوعي ما أمكن تحسباً لولادة اميلي جهيضة. وكنت منشغلة كلياً بالتنفس والدفع فلم أشعر بالحقنة وهي تخترق جلدي.

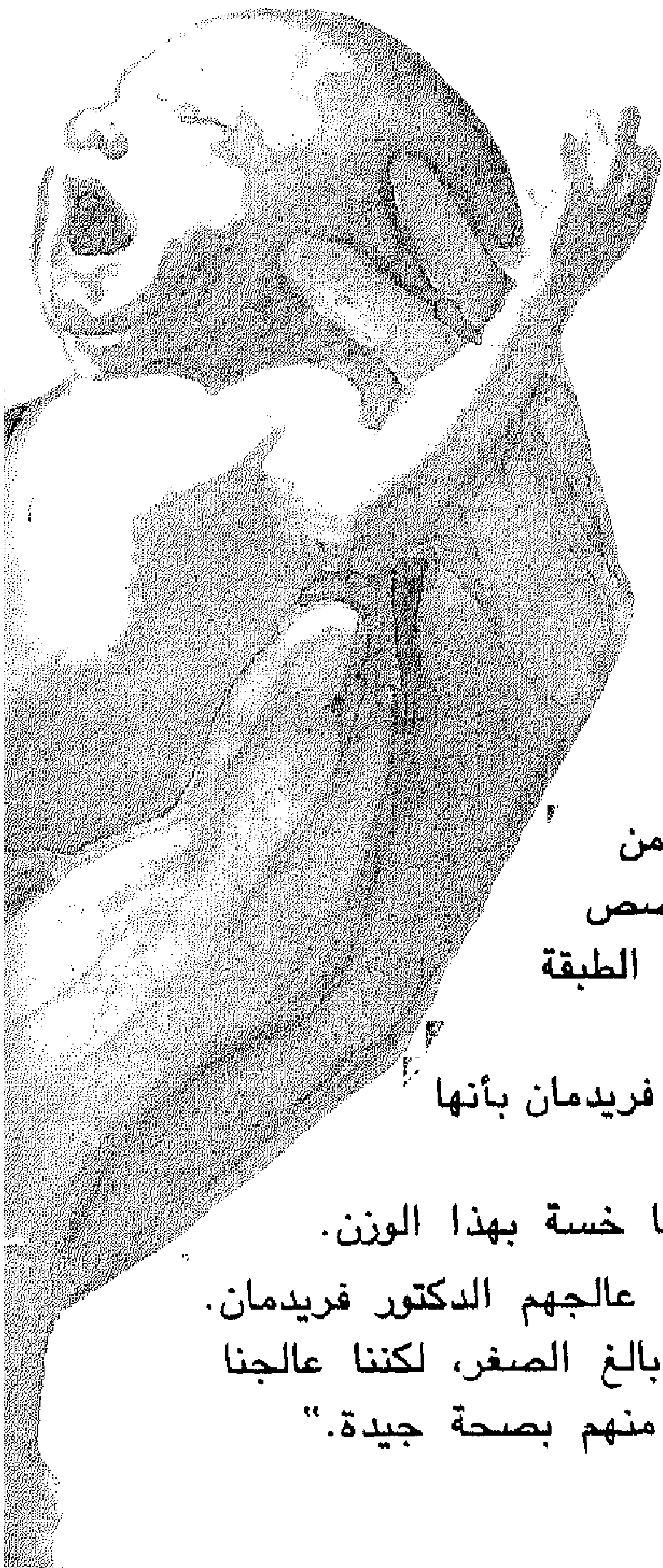
وُلدت اميلي في الخامسة والنصف صباحاً مندفعة بزخم هائل. وسمعت صرختها

على رغم تنامي الخدر في دماغي، صرخة مفعمة بالحيوية أطلقتها عالية كأنها تحتج على ولادتها المبكرة. وما هي الا لحظات حتى جرفني المخدر بعيداً عن عالم الحس.

استيقظت بعد ساعات لأجد فوكس جالساً الى جانبي. وما إن فتحت عينيّ حتى مال نحوي مقرباً وجهه من وجهي والهمّ باد عليه. فظننت أنه حائر كيف ينقل إليّ النبأ المشؤوم.

وأخيراً قال: "جئت الآن من فوق، حيث رأيت فتاة صغيرة." ثم أخذ نفساً قصيراً وتابع: "والفتاة هي ابنتنا نحن."

فأخذت أنشج باكية. وبكى فوكس هو أيضاً. وبعد لحظات اقترب مني ولف ذراعيه حولي حتى تلامست وجنتانا وأخذت كلماته تتدفق مباشرة الى أذني.



قال: "هي حية. وهي جميلة. وهي لنا."

* اخبار غير مشجعة *

كان فرحنا قصير الأجل، اذ سرعان ما انبثق من وراء الستارة المحيطة بسريري رجل غريب بدا كأنه يتحين الوقت المناسب لأداء دور في المسرحية. كان صغير البنية ذا لحية قصيرة مشذبة تخللتها خصل من الشعر الابيض.

عرّف عن نفسه، انه الدكتور جون فريدمان الاختصاصي بالمواليد الجدد. وكان هو من اصطحب فوكس الى جناح الحضانة «K9» المخصص للعناية بالاطفال المرضى والناقصي الوزن في الطبقة التاسعة من المستشفى.

بلغ وزن ابنتنا ٧٦٠ غراماً. ووصفها الدكتور فريدمان بأنها "صغيرة، بل صغيرة جداً."

فكرت في أني لا بد اشتريت في وقت ما خسة بهذا الوزن.

لكن اميلي لم تكن صغرى الاطفال الذين عالجهم الدكتور فريدمان. قال الطبيب: "صحيح أن ٢٥ أسبوعا عمر بالغ الصغر، لكننا عالجنا سابقاً أطفالاً في هذا العمر، وعاش كثيرون منهم بصحة جيدة."



ومع ذلك، من الممكن أن يرتكس نمو الطفل الخديج[4] في أي لحظة أو في أي يوم. فللاطفال البالغي الصغر عادة سيئة هي أنهم ينسون أن يتنفسوا، فيتحول لونهم أزرق في لحظة. وتباطؤ عمل القلب لفترات وجيزة هو عامل خطر دائم. كما يصاب هؤلاء الاطفال بأمراض جرثومية في أوقات يندر توقعها. ومع أن التكنولوجيا الحديثة تستطيع انقاذ بعضهم، فانها قد تحكم عليهم بالعيش في كابوس عُصابي.

* مثل دمية *

بعد فحوص أولية بدت رئتا اميلي، اللتان لم تزيدا حجما على كيسي شاي، خلواً من المشاكل التنفسية. ومن أجل مدها بدفق ثابت من الاوكسيجين النقي، أولج الاطباء في قصبتها الهوائية (الرغامى) أنبوبا متصلاً بجهاز تنفس.

اعتبر الدكتور فريدمان تيقُّظ اميلي مؤشراً ايجابيا آخر. ومع أن عينيها ظلتا مغمضتين فهي استجابت للمس، مما أوحى أن جزءاً من جهازها العصبي كان يؤدي وظيفته على نحو مقبول. وكنا محظوظين لكون اميلي أنثى، لأن فرص نجاة المواليد الذكور في مثل عمرها هي، لسبب مجهول، أقل نسبيا، اذ انهم عرضة للاصابة بمشاكل رئوية خطيرة.

وقدَّر الدكتور فريدمان فرص نجاتها خلال الساعات الـ ٢٤ الاولى الحرجة بـ ٥٠ في المئة في أحسن تقدير. وذلك لعمري رقم غير مشجع. فلو قيل لي، مثلاً، إن احتمال سقوط طائرتي هو ٥٠ في المئة، فهل أقبل بركوبها؟

بيد أني كنت مقتنعة بالقول المأثور عن الكوب الذي ملىء نصفه، فاما أن يراه المرء نصف ملآن وإما أن يراه نصف فارغ. لذلك قررت تجاهل الـ ٥٠ في المئة المضادة وتقبُّل الـ ٥٠ في المئة التي كانت لمصلحة اميلي.

قال فوكس للدكتور فريدمان: "أخبرها عن حال اميلي العقلية."

فقال لي الطبيب: "انها لا تنفك تركل. أعتقد أنها غاضبة."

كان هذا أفضل خبر تلقيناه لدلالته على أن ابنتنا تكافح لتحيا.

بعد ظهر ذلك اليوم نهضت من فراشي لزيارة اميلي، وسرت جارَّة ورائي عمود المصل الوريدي. وقادني فوكس في ممر الجناح «K9» الى أن بلغ بنا المطاف وحدة العناية المركزة للمواليد الجدد في الغرفة الاخيرة الى اليمين. وهناك طالعتني المحاضن[5] وقد صُفَّت حول جدران الغرفة الصغيرة الساطعة الانارة. وكان في وسط الغرفة "جزيرة" مستطيلة من أربعة محاضن كانت ابنتنا في أقربها.

---

(٤) الخديج هو المولود قبل الاوان.

(٥) Incubators . والمحضن جهاز لحضانة المواليد الذين تضعهم امهاتهم قبل الاوان.

كل أم تنظر الى طفلها للمرة الاولى ترى فيه أعجوبة محققة ويساورها اعتقاد أنه الاجمل بين خلق الله قاطبة.

ولم أكن أنا مستثناة من هذه القاعدة. لقد كانت ابنتي أصغر من الدمية التي كنت ألهو بها في طفولتي. كانت جفونها ملتحمة، ويداها قابضتين باحكام، وقدماها لا تزيدان على خمسة سنتيمترات طولاً، وأذناها مثل صدفتين منمنمتين. ومع ذلك رأيت فيها أجمل طفلة وقعت عليها عيناي. فتسمرتُ قبالتها لا أستطيع رفع نظري عنها، وتملكتني عاطفة جديدة هي حب الأم الصادق الذي لا يقبل أي تردد أو نقاش.

ولو نظر امرؤ أقلّ محاباة الى صغيرتي لرأى فيها طفلة رقّ جلدها حتى بانت عروقها، عجفاء الى حد يحفر الألم في النفس. فالجنين المولود في أوانه يزداد وزناً خلال الشهر الأخير من الحمل بمعدل ٢٢٥ غراما في الاسبوع. أما الخديج فيولد بأصابع تبدو مفرطة في الطول كثيرة العظام، وبمرفقين كأنهما زاويتان حادتان، وبأنف مثلوم وذقن ناتىء لخلوه من طبقة دهنية تبطّنه.

فجأة سمعت الممرضة تقول لي: "تستطيعين لمسها إنْ أردتِ."

كنا مأخوذَيْن بمرأى اميلي فلم نرَ الممرضة وهي تقترب منا. حدّقتُ النظر الى المحضن، فرأيت في مؤخره ومقدمه زوجين من الكوى يمكن ادخال اليدين عبرهما. ولما شرحت لنا الممرضة كيف ننزع مشابك الكوى سألتها وأنا قلقة من أن يؤدي فتحها الى تغيير حرارة الاوكسيجين في المحضن: "أواثقة أنتِ من صواب هذا العمل؟"

فرمقتني الممرضة بنظرة ضاحكة وقالت: "يحتاج الاطفال البالغون الصغر الى اللمس، بل إنهم يحبون ذلك. وهذا أمر مهم لهم."

مددت يدي عبر كوة، وكانت اميلي مستلقية على ظهرها. فمرَّرت إصبعي على ذراع في نعومة الورد. وعندما لمست يدها أطبقت حول إصبعي باحكام.

بدت لي تلك الحركة الارتكاسية كضرب من السحر. أردت أن أبكي، لكني بدلاً من ذلك سمعت نفسي أقول: "هذه أنا يا صغيرتي. هذه ماما. أحبك يا اميلي."

تمنيت لو أترك اميلي متشبثة باصبعي الى الابد. لكن فوكس أراد هو أيضاً أن يلمسها. فمد يده عبر الكوة، وراح يربت رأسها بلطف وحنو هامساً: "هذا بابا يا اميلي. بابا يحبك."

كانت الغرفة صغيرة لا يتجاوز طولها سبعة أمتار وعرضها ٤،٥ أمتار. وكان في ستة من محاضنها العشرة أطفال من أحجام وأشكال وألوان مختلفة، ومنهم طفل رأيته مستلقيا تحت أضواء زرقاء ساطعة مثبتة في محضنه وعلى عينيه نظارتان، فبدا كراكب دراجة نارية منمنم.

قالت الممرضة: "هذه أضواء بيلي."[٦] ومعروف أن المواليد الجدد هم عرضة لتكوُّن مستويات عالية من البيليروبن، أو حمرة المرَّة، وهي مادة صبغية صفراء في الدم يمكن أن تكون سامة. والمعالجة الضوئية أو "أضواء بيلي" هي الطريقة المتبعة في هذه الحال. أضافت الممرضة: "قد تُعالج اميلي أيضاً بهذه الطريقة، وهي ليست خطيرة، فلا تقلقي."

كانت وحدة العناية المركزة للمواليد مكاناً مفعماً بالضجيج تقرقر فيه الماكينات وتهسهس وتهدر. وكانت جميع أجهزة المراقبة هناك موصولة بأجهزة انذار. فاذا أهمل الجهاز العصبي في جسم الطفل الخديج تذكيره بالتنفس، زعق مرقاب انقطاع التنفس كصفارة انذار. واذا أبطأ نبض الطفل فجأة، أطلق مرقاب نبضات القلب النفير.

كان صعبا عليَّ أن أتحاشى الشعور بأن كل لحظة أمضيها مع اميلي قد تكون الاخيرة. ولئن يكن كثير من مجريات الامور يعتمد على العلم والخبرات الطبية المتقدمة، فان كثيرا مما كان يحدث لي ولزوجي ولابنتي – ولجميع الوالدين والاطفال الذين قذفتهم الاقدار الى هذا المحيط الغريب – كان شأن إيمان.

كانت اميلي طفلة جميلة. راقبت صدرها الصغير وهو يعلو ويهبط مع كل نفَس. كانت كل نشقة تعبيراً عن تصميمها على الحياة. كانت جميلة، وكانت شجاعة جداً.

* الامل والصبر *

خسرت اميلي بعض وزنها في أيامها الاولى كما كان متوقعا. ووُضعت تحت أضواء بيلي حيث بدت بنظارتيها الملتفتين حول رأسها الصغير كأنها تأخذ حماماً شمسيا. وكانت صباح يوم الاحد، ثاني أيام وجودها، قد فتحت عينها اليسرى التي بدا لونها أزرق فيروزياً براقاً. وفي اليوم التالي فتحت عينها اليمنى.

ما ان عرفت اميلي كيف تفتح عينيها حتى باتت غير راغبة في إغماضهما. ومع أن جميع الكتب الطبية تفيد أن نطاق الرؤية محدود لدى المواليد الجدد، وأنه أضيق لدى المواليد الخدَّج، فقد كانت اميلي تتابع الاشياء بعينيها وتفتحهما بسرعة البرق كلما سمعت صوتاً. وهي ظلت ترفس بقوة بحيث وصفتها الممرضات في البيانات اليومية بأنها "نشطة ويقظة."

بدت رئتا اميلي سليمتين من الاعتلالات التنفسية. وكانت عينات من الدم تؤخذ من عقب قدمها كل بضع ساعات لفحص مستويات الاوكسيجين وثاني أوكسيد الكربون، وأظهرت الفحوص أن مستويات الغازات في دمها مطمئنة.

لم تمضِ فترة قصيرة حتى تكيَّفنا وعالمنا المصغر الجديد، وحدة العناية المركزة

(٦) Bili lights

للمواليد. فلم أعد أرى الآلات حولنا، واعتدت منظر الالكترودات المتناثرة على صدر ابنتي، وأقلعت عن مراقبة مقياسي النبض والاوكسيجين الموضوعين الى جانبها، ولم أعد أعتبر الانبوب المولج في قصبتها الهوائية ملحقا شنيع المنظر، بل بتّ أراه جزءاً من اميلي، مثل أنفها أو اصبع قدمها.

كان التحدث الى اميلي يمدني بمتعة خالصة. وكنت لا أكف عن الثرثرة، سواء أكانت مستغرقة في النوم أم مستيقظة ترمقني بعينيها الزرقاوين الثاقبتين. تحدثت اليها وهي ممسكة باصبعي. وتحدثت اليها وأنا أربت بطنها. أخبرتها عن عائلتها وعن هذا المكان الغريب الذي هو منزلها الموقت. وكلما تلقيت زهوراً أو هدايا أخبرتها باسهاب عن مرسليها. لا بد من أن اميلي تساءلت مراراً عما اذا كنت سأكف يوماً عن الثرثرة.

التحدث الى اميلي أشعرني بأني أمها حقا. وكلما نظرت اليها ولمستها تأكد لي أنها حقيقة لا تقبل جدلاً. لم أكن قادرة على التجوال بها في عربة عبر الشوارع، أو على جعل أصدقائي يرونها، لكني استمتعت بكل لحظة قضيتها معها.

عندما سُرِّحتُ من المستشفى بعد أسبوع من دخولي صعُبَ عليَّ أن أخرج صفر اليدين. فوجدتني أعود الى المكان يوميا، يستقطبني مغنطيس اسمه اميلي. ألفيتني في حاجة ماسة الى أن أكون معها وإن عنى ذلك مجرد الوقوف الى جانب المحضن. أما فوكس فكان أقل الحاحا مني لأن مرأى المحضن كان يزعجه. وقد شرحت لي ممرضة اسمها لسلي الامر: "هذا طبيعي. أنظري حولك. مَنْ يأتي الى هنا؟ الامهات طبعا. أما الرجال فلا يسعهم مواجهة هذا الوضع. الامر صعب جداً عليهم."

كانت لسلي في عمري. وهي نالت اجازة ماجستير ومارست التدريس مدة خمس سنوات قبل أن تتحول الى التمريض. وأمضت في المستشفى نحو ١١ سنة معظمها في وحدة العناية المركزة للمواليد. قالت: "علمت منذ البداية أني أنتمي الى هذا المكان."

أخبرتني لسلي أن اميلي ستوضع في عهدتها طوال مدة بقائها في الجناح «K9». وكنا كلما عبرنا الممر الى غرفة الحضانة نجد لسلي هناك. فاطمأن بالي الى نوعية الخدمة واستمرارها.

كان كثير من الوالدين يبقون مع أطفالهم في المستشفى بضعة أيام وأحيانا بضع ساعات، لذلك لم يتسنَّ لنا التعرف اليهم. أما نحن، المواظبين على هذا المكان الغريب، فتعارفنا تدريجا وما لبثت الايماءات والنظرات السريعة أن تحولت كلمات تشجيع ألفنا تبادلها.

لم يكن الامر سهلاً على أي منا. لاحظت أن والدي الطفل المجاور لابنتي نادراً ما

كانا يتحدثان الى أحد، حتى الى الممرضة التي تعنى بطفلهم. وتبين لي لاحقاً أنهما من الاكوادور ولا يتكلمان سوى الاسبانية.

كانت السيدة ديان، التي تصغرني ربما بعشر سنين، تضع نظارتين بنيتي الاطار، ولها شعر أسود مسترسل. وبعد أيام من تبادل الابتسامات المهذبة الصامتة استجمعتُ شجاعتي لأجرب معها ما تعلمته من لغة اسبانية خلال دراستي الثانوية.

سألتها منتقية كلماتي بحذر شديد: «Es su primer niño?» أي هل هذا ابنك الأول؟

فأشرق وجهها وأجابت بوابل من الاسبانية.

فقلت: «Despacio, por favar» أي على مهل أرجوك.

وهكذا صرنا نتبادل أحاديث يومية كانت تدور كلها حول صحة طفلينا.

كان حديثنا بدائياً في الواقع. لكننا مع ذلك كنا قادرتين على تبادل الابتسامات والتشارك في الارتباك والمخاوف الكثيرة التي كنا نحسها. فالقلق، أياً تكن اللغة، هو الشعور الذي يطغى على الوالدين في مثل هذا الوضع. لذلك اتفقنا على أمرين قررنا ألا نتنازل عنهما أبداً: «Esperanza y paciencia» أي الامل والصبر.

وهذا ما كنا نردده عند الوداع كل يوم.

* "اميلي فتاة وليست صبياً" *

حلَّت الازمة حوالى منتصف ليل ٥ أبريل (نيسان) اليوم العاشر من حياة اميلي. وكتب الدكتور فريدمان في سجلها اليومي: "قد تكون اميلي مصابة بالتهاب تنكرزي في المعي والقولون."[٧] وهذا أحد أسوأ الاخطار التي تترصد المواليد الخدّج، وهو، كما شرحت الممرضة، "يعني حرفياً موت جدار الامعاء."

وتحصل الاصابة بهذا المرض حين تهاجم الامعاء أنواع "صديقة" من الجراثيم (البكتيريا) التي تسبب انتفاخا وتعيق عملية الهضم من جراء ما تنتجه من فقاقيع غازية. فاذا تخرَّم جدار الامعاء، فقد تنتشر العدوى عبر التجويف البطني وتسبب الوفاة. وفي حالات أقل حدة، قد تتولى الامعاء اصلاح الخلل ذاتيا، وإلا أصبحت الجراحة ضرورية لاجتزاء الانسجة التالفة وإعادة وصل الاجزاء الحية. ولكن، بالنسبة الى اميلي، قد تكون الرحلة القصيرة الى غرفة العمليات كفيلة بموتها.

أُخضعت اميلي للعلاج بالمضادات الحيوية (أنتيبيوتيك) كما أخبرنا الدكتور فريدمان. ولاستبيان مدى الضرر الحاصل في امعائها، بات من الضروري تصويرها بالاشعة السينية (إكس) تكراراً. كما بات لزاماً وقف ارضاعها والاستعاضة عنه بتغذيتها وريدياً.

(٧) Necrotizing enterocolitis

تذكرتُ أن اميلي بدت في اليوم السابق نزاعة الى النوم على غير عادتها. لكني، اذ كنت جديدة على عالم الولادات المبكرة، لم أدرك أنه كان عليّ قرع جرس الانذار. وكان معروفا عني في وحدة العناية المركزة أني مثيرة متاعب وعُصابية تريد أن تعلم كل ما يحصل لطفلتها. ومع أن لسلي وبعض الممرضات الأخريات اعتبرن تصرفي منطقياً، فان بعض الاطباء الشباب المقيمين بدوا منزعجين من الاحتكاك بالآباء والامهات.

وكنت في ذلك الصباح التقيت الطبيب المقيم دانيال هوه الذي كُلف العناية بابنتي خلال الاسبوعين اللاحقين. وكان الدكتور هوه شابا بارداً يتّسم بأسلوب كفي جازم حتى لتخاله يعمل في صيانة أجهزة كمبيوتر. وعندما كان وزملاءه يقومون بجولاتهم اليومية، كانوا يتنقلون من محضن الى آخر، مثل قطيع، ويشيرون الى كل طفل بلفظة "هو" من غير اعتبار لجنسه.

قال الدكتور هوه: "سأسحب منه مزيداً من الدم."

فصححت له: "منها." وأضفت بعدما رمقني بنظرة فارغة: "ستسحب منها مزيداً من الدم. إن اميلي فتاة، لا صبي."

رمقني الدكتور هوه بنظرة أخرى تنم عن انزعاج وقال: "اننا نطلق على جميع الاطفال لفظة هو. فذلك أقل تعقيداً."

أُخضعت اميلي خلال فترة مرضها لمزيد من فحوص الدم. فكنت كلما أدرت رأسي أرى ممرضة أو طبيباً يغرز في جسدها الصغير حقنة جديدة. وحتى في حال الضعف التي بلغتها واصلت اميلي الركل والرفس اعتراضا. الا أن سحب عينات الدم، المتزامن ومرضها، أدى الى نقص تعداد خلايا دمها الحمراء.

اذذاك، قال الدكتور هوه: "سنضطر الى نقل الدم اليه."

فصححت له: "اليها. ستضطر الى نقل الدم اليها."

وكانت اميلي أُخضعت سابقاً لعملية نقل دم. وكنت أنا، بعدما كتبتُ عدة مقالات عن الايدز،[٨] لا أثق بالمتبرعين المجهولين. لذلك كان الدم الذي تلقته اميلي وقتئذ منقولا اليها من وحدة تبرعت بها والدتي لدى قدومها من كاليفورنيا لزيارتنا. وكان الاطباء استعملوا نزراً يسيراً من وحدة الدم تلك، لذا اعتقدت أن ما تبقى منها لا بد كثير.

غير أن الدكتور هوه أنبأني بأن ليس في بنك الدم أي دم مُتبرع به لاميلي تحديداً. والسبب أنه كلما دعت الحاجة الى عملية نقل دم يُصار الى "إهدار" وحدة دم كاملة، كما يقولون. وتستغرق عملية فحص الدم الموهوب وتحضيره مدة تراوح بين ٢٤ و٣٦ ساعة، الا أن الدكتور هوه أخبرني أن اميلي تحتاج الى نقل دم قبل انصرام هذه المدة. وأضاف: "علينا اعطاؤه دما مأخوذاً من متبرع مجهول."

(٨) Acquired Immune deficiency syndrome «Aids» ، وهو داء فقدان المناعة المكتسَب.

فأصابتني رعدة منعتني من تصحيح ضميره المذكر.
بعد لحظات من مغادرة الدكتور هوه وجدت كارول الى جانبي، وهي أم الطفل جون الذي كان في غرفة حضانة الاطفال الحسني الحال.
وكان جون أخضع سابقاً لعشرات من عمليات نقل الدم المأخوذ من متبرعين مجهولين، كما أخبرتني كارول. قالت: "عليك الوثوق بعملية فحص الدم. فهم حريصون حقاً. وما عليك سوى التسليم بأن الدم سليم."
مدني حضور كارول بالثقة الى حد أني لم أشكك في تأكيدها ذاك. الا أني حين رفعت نظري رأيت الممرضة روبن ترمقنا مبتسمة. وكانت، لدى سماعها الحديث الذي جرى بيني وبين الدكتور هوه، حضت كارول على محادثتي.
كانت لفتة روبن مثالا للاسلوب الذي تتبعه الممرضات للحفاظ على تماسك المكان. فالاطباء يصدرون الاوامر. والاداريون يهتمون بسير العمل. أما الممرضات فيحافظن على انسانية التعامل. وقد استطعن جعل الاطفال محطّ اهتمامهن... وعاطفتهن غالبا.
ذات صباح وصلتُ في تمام السابعة الى وحدة العناية المركزة، فوجدت ألينور، وهي ممرضة أمضت ما يزيد على ٢٠ سنة من عمرها في هذه الوحدة، تضع تقريرها الليلي لممرضة المناوبة النهارية. وسمعتها تقول: "جميع أطفالي في حال جيدة."
وبعد دقائق التقيتها في المصعد، فقلت لها: "سمعتك تشيرين الى الاطفال على أنهم أطفالك. جميل منك أن تقولي ذلك."
أفادت اميلي من الادوية وعمليات نقل الدم بحيث لم يمضِ يومان حتى دب فيها النشاط وعاد لونها الى التورد. وعلى رغم استمرار الفقاقيع الغازية فقد أظهرت صور الاشعة السينية أن لا تمزق ولا تلف في امعائها. ومع ذلك بقي بطنها منتفخاً وطريّ الملمس.
وذلك أول أمر علّق عليه فوكس حين عاد اميلي بعد ثلاثة أيام من اكتشاف المرض. فهببت للدفاع عن ابنتي. قلت: "لكنها على الأقل نشطة ومتيقظة. ليتك رأيت حالها قبل يومين."
كان المغزى من كلامي، طبعاً، هو أنه في حين كنت أنا جالسة طوال الوقت الى جانب ابنتنا كان هو بعيداً لا يعبأ بشيء. وكان ذاك انعكاساً للهوة الكبيرة المتعاظمة بيننا. ومن الطبيعي، في مثل هذه الحال، أن تتطاير الاتهامات واللعنات، خصوصا لشعوري بأن فوكس لم يكن ايجابياً كفاية. أما هو فاتهمني بأني بت عرضة للهواجس. فصرخت في وجهه لائمة اياه على عودته الى العمل فور ولادة اميلي – مع أني أنا كنت مَنْ شجعه على ذلك – واتهمته بأنه يهتم لعمله أكثر مما يهتم لعائلته. فرد عليَّ قائلا إن انجاب طفل كان كل ما يهمني في هذا العالم.

كان كلانا يعلم في قرارة نفسه كم تسيء الأزمات الطويلة الى الزواج. وكنا نعلم أيضاً أن الاطفال قد يبرأون من مرضهم ويخرجون بعد مكوثهم مدداً طويلة في المستشفى، لكن زواج والديهم غالباً ما ينتهي الى الفشل.

وأكدت لي لسلي الامر لاحقا: "إننا نشهد كثيراً من حالات الطلاق هنا." واذ أصغيتُ الى كلام الامهات المقيمات في وحدة العناية المركزة للمواليد الجدد اتضح لي أننا لم نكن الزوجين الوحيدين اللذين أخذا موقفين مختلفين من هذا الواقع.

ومثال على ذلك ما شعرت به كارول وهي تحضّر لنقل ابنها جون الى البيت. ففي تلك المرحلة فقط، بعدما بات شبه مؤكد أن الطفل سينجو، أحست كارول للمرة الاولى أن زوجها جازف بالارتباط عاطفياً بطفله، بعدما كان، مثل فوكس، لا يزور وحدة العناية المركزة إلا نادراً.

أخبرتني كارول: "لقد تشاجرنا كثيراً طوال هذه المرحلة."

* أنت شمسي *

أزهرت أشجار الفاكهة خارج المستشفى. وتناثرت الغيوم البيضاء ملطفة أجواء المدينة المكتظة بالابنية. ووسط ذلك كله بدا متنزّه "سنترال بارك" حديقة جذابة واعدة بالسكينة والسلوان. كنت في بعض الصباحات أعدو عبر المتنزه لأكون مع اميلي. وفي أيام أخرى أذهب الى هناك لأجد نفسي محوطة بمجموعة ضاجة من الاطفال وهم يلهون برفقة أمهاتهم أو حاضناتهم. وتصورت نفسي أقود خطى اميلي وهي تلهو عابثة في أرجاء الحديقة الوارفة.

بقيت اميلي على حالها، وهذا يعني أنها لم تكن في حال جيدة. ومن جهتي، توقفت عن طرح الاسئلة عن وزنها، لأن نظرة واحدة اليها كانت كافية لأعلم أن وزنها ما زال متدنيا. كانت أوردتها من الصغر بحيث وضعت حداً لكمية الغذاء التي يمكن إيصالها اليها وريدياً. فجرب الاطباء صيغاً غذائية مختلفة محاولين اضافة مواد دهنية تتحول الى ما تحتاج اليه اميلي من وحدات حرارية (كالوري) ضرورية. وأخيراً ارتأى الدكتور فريدمان إيلاج أنبوب في عنقها.

يُدخل هذا الانبوب، واسمه أنبوب بروفياك،[٩] عبر جرح صغير في الوريد الوداجي، ويسمح بضخ كميات اضافية من الغذاء. وقد طمأنتني لسلي قائلة: "سيزداد وزنها بسرعة أكبر. هذا أفضل ما يُعمل."

أدركت وأنا أتمشى في المتنزه أن لا خيار آخر. فاذا لم يقضِ التهاب المعى والقولون على اميلي، فان الجوع سيقضي عليها حتماً.

(٩) Broviac tube

وكنت أشتريت من متجر الهدايا في المستشفى صندوق موسيقى في شكل وسادة مطرزة بالزهر ومزركشة بشريط مخرم، مستوحية الفكرة من احدى الامهات. وما إن سمعت اميلي الانغام المنبعثة من الصندوق حتى مدت رأسها وتلفتت محاولة تحديد مصدر الصوت، وهو لحن أغنية عنوانها "أنتِ شمسي."

وفيما أنا أتمشى في المتنزه قفز خيالي الى المستقبل نافضاً كل هراء المستشفى. فتصورت اميلي عروساً وحولها أمي وزوجي وولداه إيثان وسارة. رأيت فوكس يشعّ تيهاً وهو يواكب ابنتنا الجميلة المتهادية فرحة بثوبها الناصع البياض فيما أغنية "أنتِ شمسي" تملأ الجو فرحاً وبهجة.

وعندما عدت الى الجناح «K9» بادرتُ لسلي: "عديني بأن تحضري حفلة الزفاف. عديني بأن ترقصي وترشي الرز. عديني بأن تكوني هناك."

فقالت لسلي من دون ان تتردد لحظة واحدة: "أعدكِ بأن أفعل." ثم غمرتني بضمة زاخرة بالمحبة والحنان خلتها دامت وقتاً طويلا.

بعد انقضاء أسبوع على إيلاج أنبوب بروفياك استعادت اميلي وزنها السابق. فهتفت السيدة دياز تشاركني في فرحتي: «Mucho mas grande» أي ان اميلي باتت أكبر كثيراً.

فأجبت بالاسبانية مشيرة الى معدة ابنها: "انها أصغر." وكان انتفاخ بطنه تقلص على نحو مفاجىء، كما استعاد لونه وبات اكثر تيقظا واستجابة للاصوات.

فردت السيدة دياز بصوت رقيق: «Recuerde» أي تذكري. ثم ضغطت ذراعي بلطف وأضافت: «Esperanza y paciencia» أي الأمل والصبر.

* القبلة الأولى *

أظهرت صور الاشعة اليومية أن الضرر الذي سببه التهاب المعى والقولون لم يتفاقم. وبشّرتنا عبارة "يمكن سماع حركة الامعاء وإن خافتة" بأن النشاط المعوي لم يتوقف من جراء الاصابة بهذا المرض الذي يشكل خطراً دائما على عمل الامعاء.

تعرفت الى الدكتور روبرت وولف جراح الاطفال في المستشفى. كان رجلا طويل القامة يناهز الخمسين من عمره وله شعر كستنائي متضائل. وهو خلُص الى قرار مفاده أن اميلي تحتاج الى جراحة في البطن، على الاقل لاستكشاف ما قد حصل. فاذا تبين أن ثمة انسداداً، فسيتوجب عليه فتحه. إلا أن اميلي كانت من الصغر بحيث لا تستطيع تحمل الجراحة.

قال الدكتور وولف: "أريد أن يصل وزنها الى كيلوغرام على الاقل."

لكن وزن اميلي لم يكن في تلك المرحلة ليزيد على نصف كيلوغرام!

في تلك الاثناء حاولنا، أنا وفوكس، أن نعيد بعض الاتساق الى حياتنا الزوجية. وكنا ما زلنا نذهب الى السوق معاً ونقرأ الصحف ونشاهد نشرة أخبار الساعة الحادية عشرة على التلفزيون.

كان فوكس يذهب الى عمله كل يوم. وعلى رغم امتعاضي من غيابه عن المستشفى فقد كان جزء مني معجباً بقدرته على مواصلة العمل. أما أنا فعشت على هذا الصعيد فوضى مطبقة. ولكم حاولت لسلي وغيرها اقناعي بالعودة الى العمل. فحال اميلي حسنة، كما قالوا. وتقدمها سيستمر سواء أكنت في المستشفى أم خارجها.

لكنني كرهت العودة الى مكتبي، وكرهت الرد على المكالمات الهاتفية وعلى التساؤلات التي يحمل بعضها مراءاة، وكرهت تكرار القصة مرة تلو أخرى. لذا قررت العمل بعد ساعات الدوام. وبهذه الطريقة وجدتني قادرة على العمل أربع ساعات متتالية أمضيتها في مراجعة بريدي والاستماع الى المكالمات الهاتفية المسجلة وتحضير الملفات اللازمة لمقالاتي. وقد اتسم أسلوب عملي هذا بطابع لاشخصي خالٍ من الاتصال البشري والأحاديث الفارغة.

بيد أن فوكس حذرني من مغبة هذا الأسلوب قائلا: "انك تخرجين الناس من حياتك فيصبحون عاجزين عن مد يد المساعدة اليك وإن حاولوا ذلك."

فأنكرت كلامه. لكنه كان على حق.

وذات ظهيرة، فيما كانت لسلي غائبة في يوم اجازتها الاسبوعية، اقتربت مني ممرضة اسمها بليندا وهي فيليبينية جذلة الصوت كنت أحب الاستماع اليها وهي تتكلم.

سألتني: "أتحبين أن تحملي اميلي؟"

يتخلل رسوم عصر النهضة شعاع نور غامر خيِّل الي في تلك اللحظة أنني أقف وسطه. أجبت: "طبعاً أحب أن أحمل اميلي."

فتوارت بليندا للحظات ثم عادت ومعها قميص أمامي أصغر من أن يُلبس الدمية التي كنت ألعب بها في طفولتي. ورفعت غطاء المحضن قليلا، ثم ألبست اميلي القميص من دون أن تفلت أياً من الانابيب أو الاجهزة أو تعبأ باهتياج اميلي واعتراضها. قالت ضاحكة: "أنها لا تريد أن تلبس ثياباً." كانت اميلي، كجميع الاطفال الضئيلي الحجم، ممددة فوق حفاض.

جلست في كرسيّ انتظر بليندا وهي تخرج اميلي بلطف وتؤدة من محضنها. ثم رأيتها تفصلها، للحظة، عن أنبوب التنفس كيما تعيد وصلها به خارج المحضن. كانت بليندا خبيرة بهذا الاجراء بحيث أتمته من دون صعوبة.

ثم ناولتني ابنتي.

كان الحرام الذي لفت به اميلي مزدانا برسوم أرانب، تماما كذاك الذي تخيلته. وكانت على رأسها قلنسوة صغيرة فيها خطوط زرقاء وزهرية.

وضعتُ اميلي على ذراعي اليسرى ورحت أحدق اليها بعجب وأهدهدها بلطف. كانت تلك حركة طبيعية وجدتني أؤديها من غير تفكير.

للمواليد الجدد شذا غير عادي هو أريج النضارة الخالصة، ولا يماثله أي عبير آخر في الارض. لقد أمضت اميلي كل حياتها في هذا الجو النسكي، فاحتفظت بذياك العبير السحري الذي تمنيت لو ينطبع في أنفي الى الأبد.

انحنيت لامنح اميلي قبلتها الاولى، طبعتها على جبينها، ثم قلت لها: "هذه اسمها قبلة. وهي من بابا ومني أنا."

ولما كانت اميلي غير معتادة اللمس فقد لوت قسمات وجهها اشمئزازاً. وهي لو استطاعت الكلام لصرخت ممتعضة: "قبلة! يا للقرف!"

تناهت الى مسمعي في تلك اللحظة ضحكات صدرت من بضعة أشخاص تحلقوا حولنا. الا أن ذلك لم يثنني. كانت تلك اللحظة خيالية بالنسبة الي. كنت ممسكة بابنتي أقبلها وأقول: "وهذه من إيثان وسارة وجدتك."

وأخيراً قبلتها مرة ثالثة قائلة: "وهذه من جميع مَنْ في عالمك، لأن عالمك يحبك كثيراً."

وهنا تقدمت مني بليندا وتلقفت اميلي بذراعيها ثم أعادتها برشاقة الى حاضنتها بعدما نزعت عنها القبعة والقميص والحرام وأعادت وصل الانابيب.

وفي المساء وجدت نفسي لا أكف عن وصف الشعور الذي غمرني وأنا أضم اميلي، والتحدث عن شذاها العذب وعن...

وعندما بلغت مرحلة وصف القبل قاطعني فوكس طابعاً على جبيني قبلة أنستنا كل ما تبادلناه من كلام غاضب.

قال: "وهذه القبلة هي من والد اميلي الى امها."

* وقع الصاعقة *

قبل يوم من عيد الأم[10] بلغ وزن اميلي ١٠٦٠ غراماً متجاوزاً الرقم الذي حدده الدكتور وولف لاجراء الجراحة. وكانت كميات صغيرة من الدم تخرج مع برازها من وقت الى آخر، لكن ذلك لم يعتبر مقلقاً. وواصل الدكتور فريدمان التزامه نظرية امكان تصحيح الضرر الناجم عن الالتهاب التنكرزي في المعى والقولون مهما بلغ. والواقع أن اميلي كانت مفعمة بالنشاط والتيقظ بحيث لم تبدُ مريضة.

(١٠) عيد الام في الغرب يصادف الاحد الثاني من شهر مايو (ايار).

هناك تعبير يقول: "وقع عليه الخبر كالصاعقة." وهذا تماماً ما حدث لي عندما دخل الدكتور فريدمان الغرفة فيما كنت واقفة الى جانب اميلي. ومن دون ان يحييني او يسألني "كيف حالك" فاتحني بالموضوع مباشرة. قال: "الآن وقد بات حجم اميلي يسمح باجراء الجراحة، هناك، كما تعرفين، احتمال أن نجد التلف كبيراً."

لم أجد مقعداً أتهاوى فيه. وفكرت في أن ظهيرة السبت تلك هناك لم تكن الزمان ولا المكان المناسبين لتداول مثل هذه المسألة، وخصوصاً ان فوكس لم يكن حاضراً. فاقترحت أن نشركه في المناقشة. ووافق الدكتور فريدمان بعد تردد على الاجتماع بنا منتصف الاسبوع اللاحق.

جلست في منزلي صباح اليوم التالي واضعة على ثديي مضخة تستقطر الحليب اللازم لاطعام اميلي. ثم حضرت فنجاناً من الشاي وجلست أقرأ صحيفة الاحد. وحاولت، والمضخة تسحب مني الحليب بقوة، أن أقنع نفسي بأن أحداث العالم هي أهم كثيراً من دراما حياتنا اليومية.

فجأة سمعت فوكس يقول: "صباح الخير."

ثم تقدم مني حاملا خلف ظهره علبة وعلى محياه ابتسامة عريضة لعلمه أنه فاجأني حقاً. قال: "هذه هدية مني ومن اميلي لمناسبة عيد الام. اعاده الله عليك سنين كثيرة.".

حَوَت العلبة ثوباً رائعاً من أحد المتاجر المفضلة لديّ. وكان الثوب أخضر بحرياً، لوني المفضل، ومطبَّعاً. وشرح لي فوكس أن "للثوب أزراراً أمامية تسهل عملية الارضاع." وهذا دليل على أنه بات يفكر بتفاؤل. أما الدليل الآخر على تفاؤله فكان قوله إني سأرتدي الثوب "عندما" نُحضر اميلي الى البيت، وليس "اذا" أحضرناها.

حاولتُ جهدي أن أرجيء البحث في حديث الامس الحزين. إلا أني لم ألبث أن قلت لزوجي: "فريدمان يود رؤيتنا معاً صباح الاربعاء." فأصر فوكس على معرفة التفاصيل، لكني لم أقل له سوى أن الطبيب يريد البحث في مسألة الجراحة.

في وقت لاحق من ذلك النهار زرنا اميلي معاً، وضمها فوكس بين ذراعيه للمرة الاولى. أمسكها كما كنت أفعل، بمزيج من الرهبة والحب والخوف. وقال لها بعدما قبلها على جبينها: "أحبك يا اميلي. بابا يحبك."

غمرتنا البهجة، لكننا مع ذلك كنا خائفين. قال فوكس للممرضة: "هناك دم في أنبوبها. وهذا ليس دليلا حسناً."

ذلك صحيح. فالاطباء لم يجدوا بداً من مد أنبوب عبر حلق اميلي لتصريف الافرازات الناجمة عن اصابتها الجرثومية. ومع أن هذه الافرازات كانت مخضرَّة اللون سابقاً فقد بدت اليوم ملطخة بالدم.

تحدثنا الى الطبيب المناوب فقال إن الامر يبعث على القلق. لكنه أضاف: "اعتقد أنه لو كان خطيراً حقاً لحدث باكراً."

كنت مستعدة للتشبث بأي احتمال ايجابي مهما يكن ضئيلا. كان علي التشبث بالامل.

وبعد يومين حدثت مضاعفة أخرى أنذرت بالسوء، لقد بدأت اميلي تخرج دماً عبر المستقيم (آخر الامعاء الغليظة). وأخبرنا الطبيب أن لا فكرة لديه عن سبب النزف، مضيفاً: "من المرجح أن يتوقف النزف تلقائيا. وما علينا سوى الانتظار والمراقبة."

كان ذلك طارئا جللا جعلني أرتعب من مجرد التفكير في ترك إميلي لحظة واحدة. كان عليَّ البقاء الى جانبها مع أني لم أدر ماذا يمكنني فعله لها. وفي الحادية عشرة ليلا، توقف النزف تلقائيا. فعدت الى البيت نزولا عند الحاح الطبيب.

في اليوم التالي قابلنا الدكتور فريدمان وعلمنا منه أن موعد الجراحة حدد في اليوم اللاحق، وأن الدكتور وولف سيُطلعنا على التفاصيل. ثم أخبرنا بأنه واثق، الى حد ما، بأن الامور ستسير حسنا. لكنه أضاف: "علينا مع ذلك ألا نُغفل إمكان اكتشافنا أمراً أكثر خطورة."

وهنا تقدم فوكس مني وضغط يدي محاولا تهدئة مخاوفي. لكني شعرت بتوتر في كل عضلة من جسمي.

قال الدكتور فريدمان: "لا أرجح هذا الاحتمال. فصور الاشعة السينية لم تشر الى ذلك. كما أن اميلي استجابت على نحو جيد جداً، وبثبات. ومع ذلك يبقى احتمال أن نجد المرض متفشياً حين نجري الجراحة."

فان صح ذلك فهو يعني أن الالتهاب التنكرزي في المعى والقولون قضى نهائيا على المسالك المعوية في اميلي.

أضاف الدكتور فريدمان: "في هذه الحال، قد لا يستطيع أي منا مساعدتها بشيء. ولسوف نحتاج اذذاك الى تعليمات منكما بصفتكما والديها."

وتابع الدكتور فريدمان: "من الممكن ابقاء اميلي حيَّة لفترة غير محددة من غير امعاء. ولكن عليكما أن تفهما أننا نتحدث عن أصعب أنماط الحياة اطلاقاً." فقد لا تستطيع اميلي الخروج من عالم محضنها المعقم. كما أنها، وإن ازدادت حجماً، وهذا أمر مشكوك فيه، فقد لا تستطيع المشي ولا الكلام. ولئن أمكن أن تبقى اميلي حية، فممكن أيضاً أن تموت في أي لحظة.

قال الدكتور فريدمان: "الامعاء لا تتجدد. ولا يمكن زرعها."

لم أستطع النظر الى فوكس، ولا هو استطاع النظر الي. وبقيت عيوننا مسمَّرة الى الارض.

وتابع الدكتور فريدمان: "لذلك نريد أن نسألكما عن الاجراءات التي ترغبان في أن نأخذها. فاذا وجدنا الداء متفشيا، فعلينا أن نعلم الى أي حد تريدان أن نكافح لانقاذ اميلي."

في اللحظات العصيبة قبل ولادة اميلي وبعدها، كنت أنا وفوكس تحدثنا عن احتمال كهذا. واتفقنا على أننا لا نريد أن تكون ابنتنا نصراً علمياً فارغاً من الامل في حياة طبيعية منتجة. كان رأينا أن الاطفال بشر، وأن الموت حقّ لهم أيضاً.

أخيراً تكلم فوكس عن كلينا. قال: "إن صحَّ أسوأ التوقعات وتبين لكم فعلاً أن الانسجة كلها ميتة، فاعتقد أنني وزوجتي سنوافق على ترك الامور تسير في مجراها الطبيعي. لا أعتقد أن علينا فرض ارادتنا العلمية أو الطبية على ما كتبه الله."

سرَّني أن يجد فوكس الشجاعة على الكلام. ومع أني وافقت كلياً على حديثه فقد صعب عليّ النطق بهذه الكلمات. أخيراً قلت للطبيب: "أرجوك أن تعدني بألا تعاني اميلي أي ألم أو عذاب مهما حصل."

فرد الدكتور فريدمان: "سنبذل قصارى جهدنا، ونأمل ألا نجد حاجة الى أي شيء من هذا."

* متى حصل ذلك؟ *

عندما وصلنا الى المستشفى صباح الخميس بدت اميلي كأنها مدركة ما يدور حولها. كانت تجيل النظر بعينين واسعتين في أرجاء عالمها الصغير وترمقنا أنا وفوكس بنظرات حادة. كانت منذ البداية طفلة متيقظة على رغم ما أثقلها من أنابيب. أما اليوم فراحت تدير رأسها متتبعة كل ما يدور حولها كأنها رادار.

قال فوكس: "كأنها عالمة بأن ثمة أمراً على وشك الحدوث، لذلك لا تشاء أن تفوتها شاردة ولا واردة."

بذلنا قصارى جهدنا لكي نهدىء من قلقنا. وساعدنا تشجيع الممرضات اللواتي كن عالمات بأن ذلك كان يوم جراحة اميلي. فأحيا هذا الحس الأخوي العارم في نفسي شعوراً لم أختبره قبلاً.

علمنا من الدكتور وولف أن جراحة اميلي ستكون الأخيرة ذلك اليوم. وهو توقع اجراءها بعيد الظهر اذا ما سارت الامور وفق البرنامج المحدد في غرفة العمليات. لكننا علمنا ظهراً أن برنامج العمليات لم يسر بحسب مواقيته. وعندما خرج الدكتور فريدمان لابساً بزة الجراحة الخضراء كانت الساعة تجاوزت الرابعة عصراً. قال: "ستستغرق الجراحة نحو ساعتين، لذلك أرى أن تتمشيا خارجاً بعض الوقت أو أن تذهبا الى البيت. وسنتصل بكما فور خروج اميلي من غرفة العمليات."

مددنا أيدينا، أنا وفوكس، عبر كوى المحضن متيحين لابنتنا الامساك بأصبع لكل منا. وقلت لها: "أحبك كثيراً يا طفلتي الصغيرة. أنتِ مثل في الشجاعة يقتدى. كم يصعب عليَّ النظر اليك وأنت في هذه الحال. ليتني كنت في مثل شجاعتك."

وعدْنا اميلي أن نكون في انتظارها لدى عودتها الى الجناح «K9» وتمنينا لها حظا سعيداً. ثم وقفنا ملهوفين نراقب الممرضات وهنَّ يدفعن محضنها عبر الممر الى أن دخلن بها المصعد.

خرجت وفوكس الى الحديقة العامة وأخذنا نهرول علَّنا نخفف من وطأة القلق الذي تملكنا. لم نكن قادرين على التركيز أو التحدث الى أي كان، ولا على تبادل الحديث معاً. كما لم نشعر برغبة في الطعام.

عدنا بعد ذلك الى بيتنا. ولم أكد أنتهي من الاغتسال حتى رن جرس الهاتف. فصرخت مبتعدة كأنما الهاتف أفعى سامة، وقلت لفوكس: "رد أنت."

سمعت فوكس يسأل: "ألا تستطيعين إخبارنا شيئا؟"

وما كاد ينتهي من جملته حتى أجهشت في بكاء تعذر علي ضبطه.

قال فوكس: "تلك روبن. يريدون منا الحضور فوراً."

عندما خرجنا من المصعد الى الطبقة التاسعة كانت عقارب الساعة تشير الى الثامنة مساء، وكان الطبيبان وولف وفريدمان متكئين على منصة الاستقبال ومعهما روبن التي بدا منظرها مروَّعا. كانت منهكة العينين وقد سال الكحل على وجنتيها.

قال الدكتور وولف: "أخشى أن الامر هو في منتهى السوء."

فقاطعه الدكتور فريدمان: "مهلا، لنجلس هناك." ثم قادنا الى غرفة استراحة الاطباء.

وهناك تابع الدكتور وولف: "لم نتوقع ابداً مثل هذا الامر. فالمسالك المعوية تالفة برمتها، بل مدمرة كليا. لم نجد أي نسيج حيّ نعمل عليه. حاولنا وصل الاجزاء المتقطعة، لكننا لم نجد أنسجة حية كافية لذلك."

أردتُ سماع كل كلمة قالها الطبيبان. لكني وجدت نفسي أنشج باكية مرتعدة.

قال فوكس: "متى حصل ذلك؟ متى حلّ كل هذا الضرر؟"

فأجاب الدكتور فريدمان: "لا نعرف لذلك جوابا. لقد أخضعنا اميلي للعلاج بالمضادات الحيوية فور ارتيابنا في اصابتها بالتهاب التنكرزي في المعى والقولون. وكان من شأن ذلك أن يوقف المرض في حينه، وربما فعل. كما أخذنا لها صوراً بالاشعة يوميا، فلم يتبين لنا شيء من هذا."

وتابع الدكتور وولف: "في هذا المدى من الضرر لم يكن معقولا أن تستجيب اميلي وتنمو وتزداد وزناً كما فعلت. كان مفترضا أن تبدو أكثر مرضا."

فسأله فوكس: "كم من العمر تبقى لها؟"

فأجاب الدكتور فريدمان: "لا يمكن التكهن بذلك. ولكن، في حال كهذه، يحدث الموت عادة خلال فترة تراوح بين ٢٤ و٤٨ ساعة."

لبست وفوكس رداء المستشفى المعقم ومشينا عبر الممر الى وحدة العناية المركزة للمواليد. وكان الطبيبان حذرانا من أن أميلي ستبدو مشلولة بفعل أحد العقاقير التي استعملت في الجراحة. وقد وجدتها متصلبة الجسم جامدة لا تتحرك، فرحت أبكي لحظة وقع نظري عليها.

بكى فوكس أيضاً. ولم تنفع كل المحاولات التي بذلناها سابقا لتحضير أنفسنا لهذا الاحتمال. والواقع أن لا شيء كان ليحضرنا لمرأى ابنتنا هكذا ولمعرفة أنها ستموت قريباً.

كانت اميلي خدرة وبدت عاجزة عن أي اتصال. لكني كنت قرأت في كتاب ما أن مرضى ما بعد الجراحة يسمعون.

ناديتها عبر كوة الحاضن: "اميلي، أنا ماما. ماما وبابا هنا. نحن نحبك كثيرا، ونحن فخوران بك. فخوران بشجاعتك، ومحظوظان بأن نكون والديك."

ثم خاطبها فوكس بصوت متهدج: "يا فتاتي، أنتِ مبعث شجاعتنا."

جلسنا مع اميلي ساعات نحدثها حينا ونحدق اليها أحيانا. نسينا الانابيب وكيس الغائط المعلق ببطنها. فهي، بالنسبة الينا، ما زالت جميلة جدا، وشجاعة جدا جداً.

* حديث أب *

اجتازت اميلي عطلة نهاية الاسبوع على رغم توقعات الطبيب، وكأنها تلقننا درسا ألا نسلّم جدلا بأي أمر، وألا نفوّت شيئاً، لا لفتة ولا نشقة ولا شدّة يد صغيرة.

عاملتني لسلي بلطف بالغ، وسمحت لي بأن أساعدها في تمريض اميلي. وكانت، في ما عدا اعطاء الدواء، تتيح لي مشاركتها في معظم الاجراءات الأخرى وتحضّني على لمس اميلي والتحدث اليها. كانت لا تجد أي غرابة في انصرافي الى التحدث مطولاً الى ابنتي على رغم كونها خدرة لا تعي شيئاً.

بدأت اميلي تنتفخ بفعل احتباس السوائل في جسمها. أخبرتُ لسلي بقلقي من أن ينكشط جلدها بفعل الملاءات الخشنة. فأومأت برأسها، ثم غابت لحظات عادت بعدها ومعها لفة من نسيج صوفي.

رفعنا طفلتنا الضعيفة بعناية فائقة ومددناها على الدثار الناعم. ولم أكد أنتهي من ذلك حتى انهمرت دموعي لمشهد اميلي التي بدت، أكثر من أي وقت مضى، مثل ملاك صغير يطفو فوق السحاب.

لم يجد الاصدقاء والاقرباء والاطباء والممرضات كلاماً يشدون به من أزري أو يخففون من عذابي. أما السيدة دياز، شريكتي القديمة في الأمل والصبر، فأمسكت يدي ببساطة من دون أن تنبس بكلمة. فالكلام لم يعد ضرورياً بعد ما عانيناه معاً.

أدركتْ لسلي مدى توقي الى ضم اميلي وتدليلها والتعبير لها عن مدى حبي وتقديري لشجاعتها. فعمدت صباح الاثنين الى رفع غطاء المحضن. وكانت الانابيب ما زالت موصولة الى اميلي التي تضاعف حجمها بسبب الاستقساء.

سحبت لسلي الدثار خارجاً لكي تسهل عليّ لمس ابنتي. واذ نظرت اليها رأيتها تحرك أصابع قدمها وتحاول جاهدة أن تفتح عينيها. ثم رأيت عينيها تجولان تحت بشرتها الشفافة كأنهما تحاولان اجبار الجفون على الانفتاح.

وبإذن من لسلي قبلت اميلي على جبينها مرة تلو مرة نيابة عن والدها وعن جدتها.

عندما دخل فوكس الغرفة ووجدنا في هذه الحال، تناول كرسيا جلس فيه ثم مد يده لكي تمسكها اميلي. وبقينا هكذا، دونما حراك، الى أن تنحنحت لسلي وراءنا وقالت: "سأخرج لبضع دقائق. لكن ثمة أمراً قد تريدان التفكير فيه. قد تريدان التحدث الى اميلي والسماح لها بالذهاب. فهي، وإن بدا الامر غريباً، قد تكون في انتظار ذلك. قد تكون في حاجة الى سماعه منكما."

في وقت لاحق من عصر ذلك اليوم مشيت وفوكس خارجاً. وبعد مداولة قصيرة قررنا الأخذ بنصيحة لسلي.

كانت وحدة العناية المركزة خالية لدى عودتنا، وهذا أمر نادر. فاقترب فوكس من حاضن اميلي وفتح الكوة، ثم بدأ التحدث اليها.

قال فوكس: "اميلي، يا صغيرتي، هذا بابا. أحبك كثيراً. وماما تحبك. انها تحبك الى حد لا يمكنك تصوره. فأنتِ دنياها يا اميلي. انها تحبك كثيراً، وكذلك أنا.

"اميلي، لم نرَ في حياتنا أحداً يبذل مثل جهدك أو يكافح مثلك. لقد جعلتنا فخورين بك. فأنت لم تقبلي الاستسلام أبداً. وأتحتِ لنا أن نعرفك كشخص وكابنة ستبقى دائماً في قلبينا. يا إلهي، كم نحن محظوظان بأن نكون والديك!

"ولكن، أرجو يا اميلي أن تصغي إليّ بانتباه. لقد آن لكِ أن ترفعي عنك هذا الحمل. فليس عليك بعد اليوم مواصلة الصراع والكفاح. فلئن أردت الذهاب يا اميلي، فهذا حسن، ولا مانع لدينا من عبورك الجسر."

كان يبكي وهو يحدثها. وقد أدخل كل منا يداً في محضنها فأمسكت هي بأصبع في كل يد وتشبثت، وتشبثت.

عاشت اميلي ٥٣ يوماً كان آخرها الثلاثاء في ١٧ مايو (أيار)، وقد شعرت بذلك لحظة دخولي الجناح «K9» .

قالت لسلي: "كالمت السيد فوكس. انه قادم."

توفيت اميلي الساعة ١٠،٥٣ صباحاً. في تلك اللحظة كنت وفوكس نمسك يديها. أحسسناها تتلوى، ثم شعرنا بأن حركتها توقفت.

* سام *

وارينا اميلي الثرى يوم الاحد في بقعة قريبة من منزل آل بترفيلد في مساتشوستس. وقد اخترنا لها أيكة صغيرة تحت شجرة وارفة تتوسط مدفني والديْ فوكس. مشينا، أنا وفوكس وايثان وسارة ووالدتي، في موكب غريب وسط الغابة الكثيفة وصولاً الى البقعة المختارة. كان النهار بارداً والسماء ملبدة بالغيوم. وحين رأتني أمي ألفّ نعش اميلي بحرام قالت لي: "أنتِ لا تودين أن يصيبها برد."

وعندما بلغنا الفسحة حيث الشجرة المقصودة شرع فوكس وايثان (١١ عاما) وسارة (٨ أعوام) في الحفر بالمجارف. وبدا ايثان مهتماً بتحديد المسافات الفاصلة بين قبر اميلي وقبري جدَّيها. وقال لي: "هنا يرقد جدي وجدتي. والآن ترقد اميلي. ويوماً ما سترقدين أنتِ وأبي هنا، ثم سارة وأنا. ويوماً ما..." – وهنا أشرق وجهه للفكرة – "يوماً ما سيكتظ هذا المكان بآل بترفيلد."

تلَوْتُ صلاة قصيرة كانت في الحقيقة رسالة شكر الى اميلي لشجاعتها ونبلها ووعداً بأنها ستبقى في حياتنا الى الأبد. وقرأ فوكس قصيدة ادغار آلن بو "أنابل لي" بعدما بدل عنوانها ليصبح "اميلي لي." ثم أنشدنا معاً الاغنية التي وعدتُ اميلي بأن أعزفها في زفافها. وقفنا في الغابة نغني لاميلي وأيدينا متماسكة: "أنتِ شمسي، شمسي الوحيدة..."

بعد يومين عدت وأمي الى الغابة لنزرع الزهور على مثوى اميلي. كانت السماء صافية زرقاء، لكننا ما ان انحنينا للزرع حتى أعتمت فجأة. واذ تطلعنا الى أعلى رأينا السماء ما زالت صافية إلا من بقعة دائرية فوق الفسحة الصغيرة التي ضمت رفات اميلي. وما هي الا لحظات حتى شعرنا بقطرات مطر.

زرعنا الزهور بصمت، ولم يهدأ لنا بال حتى غطينا مثوى اميلي بدثار من أزهار "لا تَنْسَني" الزرقاء الفاتحة. ومشينا يداً بيد عبر الغابة الى البحر القريب. وعندما تطلعنا الى أعلى وجدنا أن الغيوم انقشعت، ورأينا في أعلى التلة الى جهة البيت قوس قزح. وتراءت لي فيه صورة اميلي مبتسمة.

استتبع موت اميلي فراغ لا يوصف. شعرت كأن جزءاً مني ذهب معها. بكيت في فراشي. بكيت في المطبخ. بكيت في الحديقة. بكيت في السيارة. وكنت أزورها كثيراً، وأبكي هناك أيضاً.



اليزابيث وفوكس بترفيلد وابنهما سام.

أردت الموت. وبدا لي أن ذلك هو أقل ما أفعله لطفلتي الصغيرة.

أما فوكس فكان قلبه ينفطر حزناً. فهو فقد ابنته، وها هو يفقد زوجته أيضاً.

أدركت أني لن أجد بديلا من اميلي. اشتقت اليها بكل ذرة من كياني. بيد أني، في الحقيقة، كنت أود إنجاب طفل آخر. وهذا ما حيَّر فوكس. فهو عرف رغبتي الجامحة في أن أصبح أماً، لكنه كان مرتاعاً. فماذا لو تكرر ما حدث؟ ماذا سيحل بنا اذذاك؟

ذات يوم جمع فوكس عزيمته وتصميمه وقال لي ونحن جالسان على الأريكة نقرأ صحيفة الاحد: "لماذا لا نتبنى طفلا؟"

كان على علم بأني عملت خلال دراستي الثانوية في مؤسسة للايتام، وبأني كنت أبتهج كلما تبنّى أحدهم طفلا. وكنت أقول دائماً إن المرء اذا شاء أن يتبنى طفلا فلن يهمه أصله، فالمهم هو أن يحصل على الطفل ويحبه مقدار ما يستطيع.

لكني عندما سمعت اقتراح فوكس صرخت فيه بغضب الأم التي تتملكها رغبة جامحة في أن يكون لها طفل من صلبها: "هكذا؟ لا يمكنني انجاب طفل، وتريدني أن أنال جائزة ترضية؟"

فلم يعد فوكس الى فتح الموضوع ثانية.

أجرينا تغييرات رئيسية في حياتنا. فانتقلنا الى نيو انغلند لكي نكون على مقربة من ايثان وسارة. واشترينا بيتاً، واقتنينا كلباً. ومضى الوقت. ولم يبرأ الألم الذي سببه لي موت اميلي، لكنه خف قليلا.

حل عيد مولد اميلي الاول. كانت الارض ما زالت مكسوة ببعض الثلج والجليد لتلبُّث فصل الشتاء. فمشينا بحذر الى الغابة. وعندما بلغنا الضريح وقفت بإجلال استعرض ذكراها العزيزة على قلبي. ثم قلت: "هيا نصلِّ لاميلي، لطفلتنا الجميلة التي وُلدت قبل سنة وعاشت ٥٣ يوماً فقط."

بعد الصلاة ووضع الزهور وجدتني أقول: "فوكس، اعتقد أني بتُّ على استعداد لتبني طفل."

PHOTO: © GEORGE LORING

تداولنا الامر مطولا، وشعرت بالسكينة تغمر كياني. فتلك كانت المرة الاولى نتحدث بصراحة بعد أشهر المعاناة الطويلة.

وعلى رغم ذلك سمعت في أعماقي صوتا ما انفك يردد: "حاولي مرة أخرى. أنجبي طفلا من صلبك."

فاستشرنا طبيبا اختصاصيا خرجنا من عنده بمجموعة جديدة من التعليمات والعلاجات. وهو أخبرنا بأن لا أمل كبيرا، ومع ذلك تلاشى اليأس الذي لازمني طويلا، اذ تأكد لي أني لا بد حاصلة على طفل، بالتبني أو بالانجاب.

سألتُ الطبيب اجراء فحص الحمل مرتين. وعندما جاءت النتيجة ايجابية كدت لا أصدق حسن طالعي.

تملكني القلق خلال فترة الحمل، اذ كنت في كل لحظة أتوقع حصول الاسوأ. كان كل أسبوع يمر كمعلم فاصل في حياتي. وعندما اجتزت أسبوعي الـ٢٥ تنفسنا الصعداء، أنا وفوكس والطبيب. وقد فاجأ ابننا سام الجميع حين وُلد في أوانه.

يبتسم سام كثيرا ويضحك باعثا الفرح في قلوب من حوله. وهو صحيح الجسم قويُّه. ونشعر بأن نعمة كبرى حلت علينا. ولا نزال نستوحي من اميلي دروسا وعبرا. ونحاول ألا نضيِّع لحظة. كل يوم نقضيه مع سام يمدنا بفرح لا يوصف.

أُحب وسام أن نمشي معا مسافات طويلة نمتع النظر بمرأى الاشجار والطيور والزهور. وسيأتي يوم نتطلع فيه الى فوق فنرى قوس قزح، فأقول لسام: "هذه أختك، هذه اميلي يا سام."

اليزابيث مهرن بترفيلد ■

ترجمة فريد شديد



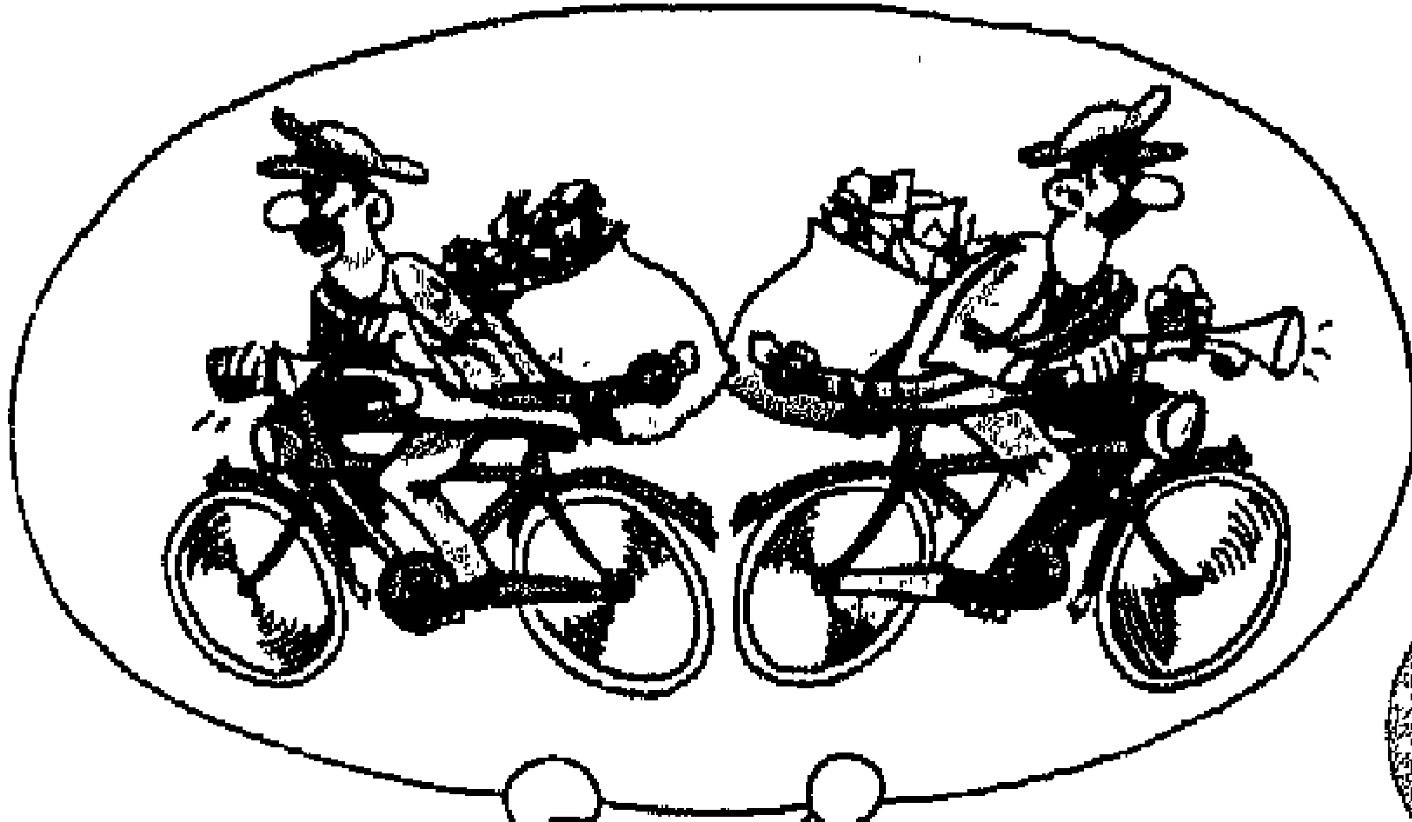
لكل امرىء خياره

نشأ الممثل المكسيكي الأمريكي ادوارد جايمس أولموس فقيرا في شرق مدينة لوس انجلس. وتألّفت عائلته من أحد عشر فردا يتقاسمون ثلاث غرف بينها مطبخ بأرض ترابية. وكان لا يزال في السابعة من عمره حين انفصل والداه. وهو اليوم مهتمّ بزيارة الأحداث المساجين.

يقول: "أُخبرهم أن كلّا منّا يحظى بخيار في الحياة. فيقول بعضهم إنهم لم يملكوا خيارا، فهم إما فقراء وإما سود البشرة وإما معاقون وإما بلا أهل. لا شك في أن أسبابا كهذه تعوق التقدّم في الحياة. ولكن ماذا لو قلتم في أنفسكم: حسنا، هذه حالي، لكني لن أدع حياتي تتعثّر بسببها، بل سأجعل منها حافزا يقويني ويدفعني الى الأمام. وهذا ما فعلته أنا."

ت.س.

اكتب واربح





هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٣٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٣٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملاً. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي، بناية الشرتوني. ص.ب ٨٧٠٧ لبنان


Vorpal Gallery, New York City

"ركن مشمس في حديقة ايطالية" - زيتية للفنان البلجيكي بيات بيكارت، ١٩٨٨.

يونيو (حزيران) ١٩٩٢ - ذو الحجّة ١٤١٢

Reader's Digest

المختار

AL MUKHTAR min Reader's Digest June '92 N° 163

أوسع المجلات انتشاراً في العالم
٤١ طبعة، ١٧ لغة، ٢٨ مليون نسخة شهرياً



الأكراد والأمل الضائع

(ص ١٢)

النحافة مسألة فكرية!

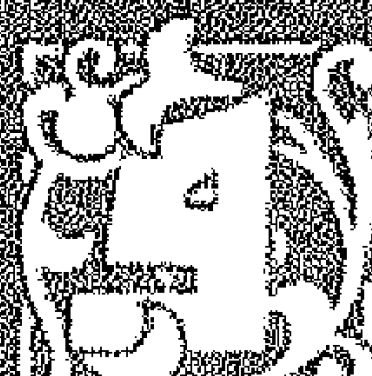
(ص ٧)

أخطر ساعات النهار

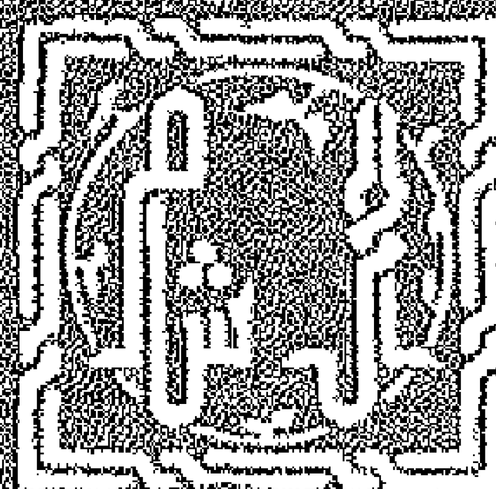
(ص ٤٦)

فندق الشام

أحدث مدينة في أقدم عاصمة



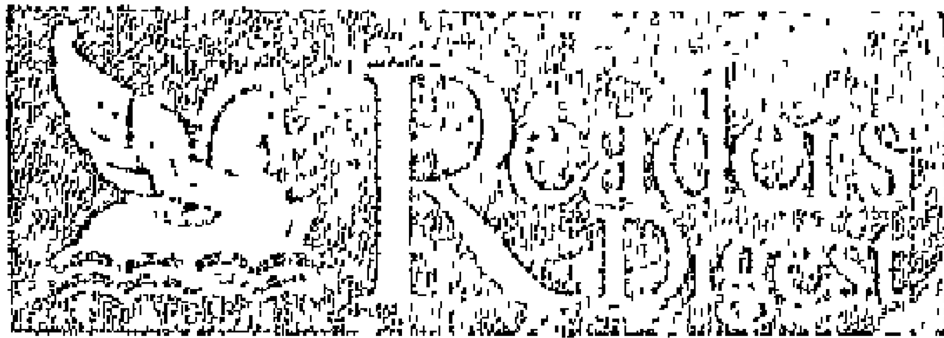
فندق الشام ليس فقط أحدث وأكبر الفنادق في المنطقة ، بل إنه مدينة قائمة بذاتها . . صمم على أحدث طراز فني ليوفر لك الراحة والمتعة القصوى سواء كنت ترتاح في غرفتك ، أو كنت منهمكاً في عملك . . فندق الشام يوفر لك جميع الاحتياجات مثل المركز الرياضي والصحي وحمام السباحة وعدد من المطاعم الفخمة والمشارب بالاضافة إلى مسرح وصالة سينما وعدد كبير من المحلات التجارية . . . ولا تنس المطعم الدوار المطل على مدينة دمشق التاريخية بأكملها التي تعتبر أقدم عاصمة في التاريخ وتتميز بآثار قديمة تظهر أهميتها الحضارية وتقاليدها الأصيلة التي لا زلنا نتفاخر بها ونحافظ عليها



للحجز : فندق الشام ـ ص . ب ٧٥٧٠
تلكس : ٤١١٩٦٤
رقم الهاتف : ٢٣٢٣٠٠ (١٠٠ خط)
تلكس الزبائن : ٤١١٨١٠ (٥ خطوط)

فندق الشام

عراقة في التقاليد



المختار
من ريدرز دايجست
مجلة شهرية

لبنان	١٥٠٠ ليرة.
سورية	٧٥ ليرة.
الاردن	١ دينار.
الكويت	١ دينار.
الامارات العربية المتحدة	١٠ دراهم.
قطر	١٠ ريالات.
البحرين	١ دينار.
السعودية	١٢ ريالا
مصر	٢ جنيه.
السودان	١ جنيه.
ليبيا	٥٠٠ درهم.
الجمهورية اليمنية	٢٥ ريالا.
مسقط	١ ريال.
قبرص	١.٥ جنيه.
تونس	١ دينار.
المغرب	١٠ دراهم.
الجزائر	٧ دنانير.
انكلترا	١.٥ جنيه.
اليونان	٤٠٠ دراخما.
كندا وامريكا الشمالية	٢.٥ دولار.

رئيس التحرير – المدير المسؤول: ادمون صعب.
مديرة التحرير: راغدة حداد.
امانة التحرير: لورا نفاع، عائدة الموسوي.
الاشتراكات: فريال علاف.
مدير القسم الفني: جورج غالي.

الامتياز: شركة النهار للمنشورات الدولية – باريس.
الناشر: شركة "ايبراك" للمنشورات الدولية – بيروت.
رئيس مجلس الادارة – المدير العام: الدكتور لوسيان دحداح.
المدير العام المعاون: داني دحداح – باز.
التحرير والادارة: شارع المقدسي، بناية الشرتوني، ص.ب ٨٧٠٧ بيروت – لبنان.
التلكس (الموقت): MEM 22288 LE / ANAHAR 22322 LE.
الهاتف: ٣٤١٥٩٧ / ٣٧٠٥٧٥(١).
الاعلانات: MEDIA LINKS INTERNATIONAL, S.A.R.L. العكاوي، بناية ميديا سنتر، الهاتف ٢١٦٠٥٨ – ٣٢٧٤٨٤(٠١). التلكس PRESSE LE ٤٣٢٨٣ فاكس ٨٦٤٥٧٢ – ص.ب ٦٨٨ – ١١ بيروت – لبنان.
التنضيد والتنفيذ: المطابع التعاونية الصحفية، شارع مصرف لبنان، بيروت.
الطباعة: المطبعة العربية، المدينة الصناعية، البوشرية – لبنان.
التوزيع: الشركة اللبنانية لتوزيع الصحف والمطبوعات، بيروت.

AL MUKHTAR min Reader's Digest



Editor-in-Chief: Edmond Saab.
Managing Director: Dany Dahdah-Baz.
Makdessi St., P.O.Box 8707, Beirut, Lebanon.
Telex ANAHAR 22322 LE / MEM 22288 LE.
Tel. (1) 341597 / 370575.
Advertising: Media Links International, S.A.R.L. P.O. Box 11-688, Beirut, Lebanon. Telex 43283 PRESSE LE.
Fax (1) 864572. Tel. (1) 216058/327484.



Circulation Audited by G. Bargout C.P.A.

ريدرز دايجست

المؤسسان: دي ويت والاس وليلى اتشيسون والاس.

الطبعات الدولية

رئيس التحرير: كنيث توملنسون.
مدير التحرير: كريستوفر ولكوكس. المدير العام: جورج ف. غرون.



مقال يُنقذ كسيحًا

تناول كلينت فوكنر مجلة "ريدرز دايجست" لشهر مارس (آذار) ١٩٩٠ وقرأ مقالا * عن ابني تاكر المصاب بالشلل المخي. وفوكنر وسيط عقاري وعضو في هيئة مستشفيات "شراينر."

تضمن المقال قصة بقلم بوب غرين عن ابني تاكر الذي يعاني احديدابا في ظهره والتواء في أصابع قدميه أقعداه عن لعب البايسبول (كرة القاعدة) مع أترابه الفتيان كما تسبّبا في طرده من فريق للصبيان الأصغر سناً.

اتصل بي فوكنر للحال وقال: "هناك فرع لمستشفيات شراينر في هيوستن يعنى بالاولاد المقعدين. فهل أرسل اليك طلبا؟"

في ذلك الوقت كنت بدأت أتلقى رسائل من القراء يعرضون علي النصح والعزاء... ودروسا مجانية لتعليم تاكر قيادة السيارات لأنه كان عاجزاً عن تلقي دروس سَوْق عادية. وافترضتُ أن المستشفى لن يفيد ابني في شيء، فعضلات ظهره وساقيه منقبضة الى حدّ أن الاطباء جزموا بأن تصحيح عاهته الجسدية أمر مستحيل.

بيد أن الأطباء في مستشفى هيوستن متخصصون بجراحة تريح العضلات وتليِّن الأنسجة. فأُخضع تاكر لثلاث جراحات أُجريت له مجانا، عملا بسياسة المستشفى.

وها هو ابني اليوم في السابعة عشرة من عمره، يمشي بين الناس من دون أن يلفت الانظار الفضولية. ولولا الـ"ريدرز دايجست" لبقي على الأرجح كسيحا يائسا.

كتب بوب غرين لاحقاً في زاويته في صحيفة "شيكاغو تريبيون": "هناك نحو ٥٠ مليون شخص يقرأون الريدرز دايجست كل شهر، وهذا لعمري يفوق كثيراً عدد مشاهدي المسلسلات التلفزيونية الناجحة. العالم مليء بالمآسي، إلّا أني سأنسى الأخبار السيئة اليوم، وإن لساعات، لأن تاكر تشيرش أمسى قادراً على المشي."

جودي تشيرش

(*) نشر المقال في "المختار" في مايو (ايار) ١٩٩٢ ضمن مجموعة قصص بعنوان "أقوى من الخوف."

رب مصادفة خير من ميعاد



رحلة في تاكسي

عملت سائق تاكسي في مدينة نيويورك طوال ٢٥ عاماً وثلاثة أشهر و١٢ يوماً، فازدحمت الذكريات في خاطري حتى بتُّ أجد صعوبة في تذكر ما أكلته البارحة.

لكني لن أنسى تلك الرحلة المميزة ما حييت.

انطلقت صباح يوم مشمس من ربيع ١٩٦٦ أجوب جادة يورك بحثاً عن راكب نادر في ذلك الطقس الرائع الذي يغري بالمشي. أخيراً لمحت، وأنا متوقف عند اشارة مرور، رجلا يندفع خارجاً من باب مستشفى وهو يلوح لي بيده.

في تلك اللحظة تحولت الاشارة الى اللون الاخضر. فأطلق سائق ورائي بوقه بنفاد صبر، وسمعت صفارة شرطي المرور. لكني تباطأت مصمماً على عدم إفلات ذلك الزبون.

أخيراً، وصل الرجل وفتح باب السيارة ودخل على عجل قائلا: "مطار لاغوارديا من فضلك. وشكراً لانتظارك اياي."

سرني طلبه، لأن مطار لاغوارديا يكون في الصباح مكتظاً بالركاب بحيث لن أعود منه خالي الوفاض.

قبعت وراء المقود أتساءل كعادتي عن طبيعة هذا الراكب: أهو من النوع الصموت أو الثرثار؟ أم انه سيقرأ صحيفة؟ ولم تمضِ لحظات حتى سألني: "هل أنت راض بمهنتك؟"

كان السؤال تقليدياً، فرددت بجواب تقليدي: "الحمد لله. فأنا أكسب عيشي، وألتقي أحياناً أناساً مهمين. ولكن لو قُيِّض لي الحصول على وظيفة تزيد دخلي ١٠٠ دولار أسبوعيا لما توانيت عن قبولها، تماماً كما يفعل أي انسان."

فأجابني على نحو حيَّرني: "أنا شخصياً لن أقبل أبداً بتغيير وظيفتي وإن خفض راتبي ١٠٠ دولار."

لم أكن سمعت مثل هذا الكلام من قبل، فسألته: "وما عملك؟"

أجاب: "أعمل في قسم الاعصاب في مستشفى نيويورك."

كنت فضولياً أحب الاطلاع على شؤون الناس والافادة من خبراتهم. وكثيراً ما كنت أحادث الركاب خلال الرحلات الطويلة، فسمعت نصائح قيّمة من محاسبين ومحامين وسمكريين وغيرهم. بدا لي أن هذا الراكب يحب عمله فعلا، أو ان موقفه هو انعكاس لمزاجه الطيب في ذلك الصباح الربيعي اللطيف. لكني قررت أن أسأله المساعدة. فطرقت الموضوع مباشرة اذ كنا اقتربنا من المطار.

سألته: "أيمكنني أن أطلب منك خدمة كبيرة؟"

فلم يجب.

فتابعت: "لي ابن عمره ١٥ عاماً. إنه صبي رائع وناجح في المدرسة. اقترحنا عليه أن يذهب الى مخيم صيفي، لكنه يود الحصول على وظيفة أثناء العطلة الصيفية. وذلك يتطلب معرفة أرباب عمل، وأنا لا أعرف أحداً من هؤلاء. فهل يمكنك أن تتدبر له عملا وإن من دون أجر؟"

بقي الرجل صامتاً. وبدأت أشعر بالندم لاثارتي هذا الموضوع. وفيما نحن نجتاز الامتار الاخيرة الى بوابة الدخول، قال: "حسناً، هناك مشروع صيفي لطلاب الطب في المستشفى، وقد يكون فيه مجال عمل لابنك. دعه يرسل الي سجله المدرسي."

ثم مد يده الى جيبه باحثاً عن احدى بطاقاته، لكنه لم يجد واحدة. فسألني: "ألديك ورقة أكتب عليها؟"

فمزقت الكيس البني الذي وضعت فيه طعام غدائي وناولته ورقة. فكتب بضع كلمات على عجل، ثم دفع لي أجرتي وانصرف. ولم أره بعد ذلك قط.

مساء ذلك اليوم، فيما كنت جالسا مع عائلتي الى مائدة الطعام، تناولت الورقة من جيبي وقلت بفخر: "روبي، هذه الورقة قد تساعدك على تدبر عمل في الصيف."

فقرأ ابني بصوت عال: "فريد بلوم، مستشفى نيويورك."

فسألتني زوجتي: "أهو طبيب؟"

وسألني ابني: "أهذه مزحة؟"

فانتهرته مهدداً بقطع مصروفه إن لم يسارع الى الافادة من هذه الفرصة. فأرسل في اليوم التالي علاماته المدرسية الى المستشفى مرغماً.

بعد اسبوعين عدت الى منزلي لأجد ابني يتهلل فرحاً وفي يده رسالة طبعت عليها نقوش نافرة. ناولني اياها فقرأت في أعلاها: "الدكتور فريد بلوم، رئيس قسم الاعصاب، مستشفى نيويورك." وجاء في الرسالة أن على روبي الاتصال بسكرتيرة الدكتور بلوم لاجراء مقابلة.

حصل روبي على الوظيفة. وبعد مضي

أسبوعين على عمله كمتطوع خصص له مبلغ ٤٠ دولاراً في الاسبوع حتى نهاية الصيف. كان يشعر بالفخر والاعتزاز وهو يمشي وراء الدكتور بلوم في ممرات المستشفى لابساً رداءه الابيض ومؤدياً بعض المهمات البسيطة.

في الصيف اللاحق عمل روبي في المستشفى ثانية. لكنه هذه المرة مُنح مزيداً من المسؤولية. ومع اقتراب موعد تخرجه في المدرسة الثانوية كان الدكتور بلوم لطيفاً جداً فكتب له رسائل توصية الى الجامعة. ولكم سررنا عندما علمنا بقبوله في جامعة براون.

عمل روبي في المستشفى صيفاً ثالثاً. وتنامى حب مهنة الطب في قلبه، فتقدم بطلب للالتحاق بكلية الطب. فكتب له الدكتور بلوم مرة أخرى رسائل تشهد بمهارته وتثني على سلوكه.

التحق روبي بكلية الطب في جامعة نيويورك. وبعد تخرجه طبيباً تخصص أربع سنوات بالطب النسائي والتوليد.

ولم يلبث الدكتور روبرت سترن، ابن سائق التاكسي، أن أصبح رئيس الاطباء المقيمين في قسم الطب النسائي والتوليد في مركز "كولومبيا - برسبيتريان" الطبي في نيويورك.

قد ينسب بعض الناس ذلك الى القدر، وهذا لعمري صحيح. لكن الامثولة هنا هي أن الفرص الكبيرة قد تنشأ من لقاءات عادية غير متوقعة، كلقاء بين سائق تاكسي وأحد الركاب.

إرفن سترن ■



ميزان مناسب

كنت اتجول في قسم الادوات المنزلية في أحد المخازن الكبرى، فرأيت امرأتين تجربان ميزاناً وقد وقفت احداهما عليه بعدما نزعت معطفها وحقيبتها فيما راحت الاخرى تقرأ ما سجله المؤشر. كررت المرأتان العملية نفسها على عدة ميازين. وأخيراً أطلقت احداهما صرخة انتصار: "خذي هذا يا سلمى، انه يزنك نصف كيلوغرام اقل من الميازين الاخرى!"

ج.ش.

أمنية ميكانيكي

ذهبت صديقتي الى الميكانيكي لاصلاح سيارتها للمرة الثالثة خلال شهر. واشتكت اليه: "ليت عندي آلة لطبع النقود!"

فتنهد الميكانيكي قائلاً: "وأنا كذلك."

فرمقته صديقتي بغضب وهتفت: "أنت؟ لديك سيارتي!"

س.ف.

Reader's Digest
المختار
يونيو (حزيران) ١٩٩٢
ذو الحجّة ١٤١٢
السنة الرابعة عشرة
سلسلة جديدة
مجلة بحجم كتاب. فيها مقالة لكل يوم محكمة الايجاز باقية الاثر

مسألة فيها نظر!

النحافة

اذا رغبتم في إنقاص وزنكم فاعرفوا أولا كيف تفكرون!

تؤثر أفكارنا في مشاعرنا وأنماط سلوكنا وبالتالي في حال أجسامنا. وقد يساهم وعي هذا الامر في معالجة مشاكل السمنة. وذلك ما اكتشفناه في "المعهد الطبي للعقل والجسم."[١]

من خلال عملنا مع مرضانا في برنامج شامل للحمية والتمارين، طوَّرنا تقنيات تشدد على تأثير العقل في الجسم في عملية انقاص الوزن. والآتي بعض هذه التقنيات.

ادرسوا أنفسكم. لماذا تشعرون بالرضى لدى تناولكم أطعمة صحية مثل الفواكه والخضر في يوم ما، ثم تعودون الى التهام السندويشات وأنواع الحلوى الغنية بالوحدات الحرارية والمتدنية القيمة الغذائية في يوم لاحق؟ قد يكون في الطعام تعزية أو رد فعل على الملل، أو قد يكون الاكل مجرد شيء تفعلونه في أوقات الفراغ. لئن شئتم إحداث تغيير في

(١) Mind / Body Medical Institute

نمط سلوككم الغذائي، فعليكم ادراك المشاعر والاوضاع التي تجرّكم الى الافراط في الاكل.

أحد مرضانا مهندس ميكانيكي في الخامسة والخمسين من عمره كان يتوق الى الاسترخاء في منزله بعد يوم مجهد في المكتب. لكنه دأب، حتى بعد تناول عشاء مشبع، على أكل مزيد من الطعام وإن لم يشعر بجوع.

ولدى سؤاله عن ذلك اعترف بأنه كان كل ليلة يسترخي في أريكته المفضلة بعد العشاء لمشاهدة التلفزيون. وعندما يتسرب اليه الملل بعد وقت قصير يتحول فكره الى الطعام، فينطلق الى المطبخ ويملأ طاساً كبيرة بالمثلجات (الجيلاتي) ثم يعود الى أريكته. وكان أحياناً يملأ الطاس ثانية.

قال لنا: "كنت اذا تناولت الطاس الاولى أفكر في أن لا ضرر في تناول أخرى. وكنت أحس بالندم لاحقاً، ولكن بعد فوات الاوان."

أجلسْنا الرجل ثم وصفنا له تصرفاته في شكل سلسلة من الاحداث: عشاء، استرخاء في أريكة مريحة، مشاهدة التلفزيون، ملل، ذهاب الى المطبخ، احضار طاس مثلجات، تناولها أمام التلفزيون، احضار طاس ثانية، شعور بالندم.

حاولنا مساعدة الرجل من طريق قطع سلسلة الاحداث هذه. فاقترحنا عليه المشي مع زوجته في بعض الامسيات بدلا من الاسترخاء أمام التلفزيون، أو اطفاء الجهاز عندما يبدأ الملل يتسرب اليه وقراءة كتاب أو صحيفة، وأخيراً قررنا أن افراغ المنزل من المثلجات أمر ضروري لنجاح الخطة لأن الرجل لم يكن يستطيع مقاومة الاغراء.

يمكنكم أنتم أيضاً اجراء مثل هذا التحليل: فكروا في الاوقات التي تجنحون خلالها الى الطعام. هل يحدث ذلك في وقت معين أو في مكان معين؟ هل يحصل في عطلة نهاية الاسبوع أو في مناسبات خاصة؟ ثم اكتبوا خبرتكم كسلسلة أحداث.

ومتى تم لكم ذلك قرروا أين يمكنكم كسر السلسلة. ثم جربوا خطتكم في المرة التالية حين تواجهون هذا الوضع. فاذا أخفقت طريقتكم، جربوا أخرى، فالاصرار يُؤتي ثماراً.

أفردوا حوافزكم العاطفية. غالباً ما تكون المشاعر السلبية عوامل حافزة على الافراط في الاكل.

أخبرتنا امرأة في السابعة والثلاثين من عمرها يزيد وزنها ٢٠ كيلوغراماً على المعدل، أنها تتبع نظام حمية يتضمن ١٢٠٠ وحدة حرارية (كالوري) يومياً. كان النظام معقولا ومتوازناً وصارماً في آن، وهي كانت تحس بارتياح كلما طبقته على نحو تام. أما المشكلة فهي أنها كانت تحس بندم وضيق لا يطاقان كلما حادت عنه وإن قليلا.

ومن تعليقاتها: "كنت البارحة في أحسن حال طوال اليوم لانني عملت

بموجب التعليمات. لكنني أحسست رغبة ملحة في تناول بعض النشويات. وكنت أعرف أن عليَّ ألا أفعل ذلك، ولكن كانت لدي فطيرة بالجبن الابيض القشدي. فالتهمت قطعة بسرعة حتى انني لم ألتذّ بها. ولما كنت قد كسرت القاعدة، التهمت قطعة أخرى لم ألتذ بها كذلك. وسرعان ما اجتاحني الندم."

أضافت: "انني أفرط في الاكل مساء عندما أحس بالوحدة، أو لتخفيف الضغط الناجم عن العمل. لكن الأكل لم يساعدني قط في تخفيف أي من هذين الامرين."

كانت المرأة تواجه مشاكل عدة. فهي اختطت لنفسها طريق الفشل عندما صممت على اتباع نظام حمية صارم. كما اعتقدت أن مخالفة النظام، وإن قليلا، تجعل منها حالة ميؤوسا منها. وما دام الامر كذلك فلا همّ إن أفرطت في الاكل. وهي ظنّت خطأ، مثل كثيرين، أن النشويات تسبب السمنة. (في الواقع، كانت الفطيرة وجبة سريعة جيدة لو أنها خلت من الجبنة القشدية الغنية بالوحدات الحرارية.)

اشرنا على المرأة باعتماد خطة خاصة لتخفيف ضغط العمل بدلا من النزوع الى الاكل استجابة لمشاعرها السلبية. كما اقترحنا عليها أن تتناول العشاء مع أصدقاء ليلتين في الاسبوع لمغالبة الوحدة. وباتباعها هذه النصيحة اكتشفت أنها بدأت تحس ارتياحا أكبر حتى في الليالي التي تمضيها وحيدة في البيت. وعندما بدأت تعالج مشاكلها الخاصة في العمل وفي البيت توقفت عن اللجوء الى الطعام كوسيلة لملء الفراغ.

انتبهوا لما تأكلون. كثيراً ما نأكل من دون أن نلاحظ ما نأكله أو نتلذذ به. وكما ذكر المهندس سابقاً، قد نكون مشدودين الى شاشة التلفزيون ونحن نأكل، أو قد نلتهم طعامنا على عجل.

فكروا في آخر ما تناولتموه من طعام. هل تتذكرون ما اذا كنتم استمتعتم به؟ هل تتذكرون ماذا أكلتم؟

إنَّ عدم الاهتمام بما نأكل لا يعني أننا نأكل أقل. تذكروا ما قالته المرأة عن طريقة التهامها فطيرة الجبنة القشدية بسرعة منعتها من الاستمتاع بها، وطريقة التهامها القطعة الثانية.

البديل الصحي هو أن نمارس ما ندعوه الاكل "الواعي" مع اهتمام دقيق بما نأكل. جرّبوا هذا التمرين البسيط:

١. أمسك فص برتقال في يدك. ارفعه الى الضوء وحاول النظر من خلاله.

٢. أغمض عينيك وامسك القطعة تحت أنفك. استمتع بشذاها للحظات.

٣. مرّر القطعة برفق على شفتيك وتحسسها.

٤. اقضمها. انتبه للنكهة وتلذذ بالعصارة تجري في حلقك.

٥. كُلْ بقية الثمرة ببطء متلذذاً بكل قضمة.

ان القصد من هذا التمرين هو مساعدتكم على استعادة مهارة مفقودة هي التلذذ بالطعام. حاولوا أن تأكلوا

مكذا خلال وقعتكم الآتية، ولاحظوا كم سيرضيكم ذلك. ولن تحسوا بالحرمان لتناولكم كميات قليلة.

احفزوا أنفسكم. اذا عقدتم العزم على تخفيف وزنكم، فلا غنى لكم عن بذل بعض الوقت لابتكار حوافز.

ابدأوا برسم صورة ذهنية واضحة للاسباب التي تدعوكم الى انقاص وزنكم. واكتبوا ثلاثة أسباب محددة. ان السبب الرئيسي لكثير من الناس هو الصحة، لكنه قد يكون بالنسبة الى آخرين قراراً عاطفياً، مثل الرضى عما يرونه منعكساً في المرآة. حددوا أسبابكم الخاصة، واعلنوها صراحة.

لتكن أهدافكم واقعية. إنَّ أحد الاهداف القصيرة المدى، والسليمة صحياً، هو خسارة ما بين ٢٥٠ غراماً و٥٠٠ غرام أسبوعياً. من هذا المنطلق، تطلعوا الى الروزنامة وحددوا التاريخ الذي تتوقعون أن تصلوا بحلوله الى الوزن المطلوب. سجّلوا ذلك التاريخ لكي يصبح لديكم وزن معين تستهدفونه في اطار زمني معقول.

لا تغضبوا من أنفسكم اذا لم يخف وزنكم تبعاً لبرنامجكم. ولا تعتمدوا نظام حمية ينحصر هدفه في انقاص الوزن. ففي وسع كل من لديه حوافز كافية أن يتبع نظام حمية صارماً وفقيراً بالوحدات الحرارية لمدة أسبوعين أو شهر، لكن الملل سيدب في النفس أخيراً، ومن بعده تأتي الشكوى المعتادة: "لا أستطيع اتباع نظام الحمية هذا" أو "لا أملك قوة إرادة كافية."

اختاروا الاطعمة المناسبة. الطعام الصحي القليل الدهن يتيح لكم ملء صحونكم بالمواد النشوية (معكرونة وبطاطا ورز وحبوب أخرى) وبالخضر. اشغلوا تفكيركم ووقتكم باعداد وجبات من الحبوب والخضر، فذلك يقلل الاعتماد على اللحم والدجاج والسمك التي يجب أن تنحصر كميتها بين ٩٠ و١٥٠ غراماً للحصة الواحدة.

اختاروا التمارين المناسبة. النشاط الرياضي لا يساعدكم فقط في تخفيف الوزن الزائد، بل يتيح لكم المحافظة على ما حققتموه لأجل طويل. فأنتم، بممارستكم رياضات حيهوائية (ايروبيك) كالمشي وركوب الدراجة، ترفعون معدل الايض[٢] في أجسادكم وتحرقون مزيداً من الوحدات الحرارية.

سامحوا وانسوا وجربوا ثانية. ما إن تنجحوا في اعتماد جديد يغيّر نمط سلوككم الغذائي حتى يتحول التحدي الى سبل المحافظة على هذا التغيير. والمبدأ الاساسي هنا هو عدم المبالغة في الصرامة.

---

(٢) الايض (Metabolism) هو مجموع التفاعلات الكيميائية في الخلايا الحية التي تؤمّن بها الطاقة الضرورية وتمثل المواد الجديدة لتعويض ما اندثر.

تذكروا أن لمعظم الناس زلّات، وعليهم أن يسمحوا لانفسهم ببعض المرونة. النقطة المهمة هنا هي النظر الى هذه الزلات على انها هفوات مفردة لا كوارث شاملة. فالخطر الاكبر في الهفوات هو اعتماد مبدأ "بارّ أو ملعون" على نحو ما اعتمدته المرأة آكلة فطيرة الجبنة القشدية.

حاولوا التعلم من زلاتكم بدلا من النظر اليها كدلائل هزيمة. ولاحظوا تسلسل الاحداث التي أدت اليها متذكرين أن السقطات غالباً ما تحدث في "ظروف مجهدة عالية الخطورة" كما يصفها العالمان النفسانيان ألن مارلات وجوديث غوردون. ومن هذه الظروف الملل والقلق والنزاعات الشخصية والضغوط الاجتماعية. ولتفادي الزلات في المستقبل، تعلموا كيف تتبينوا مثل هذه الاعراض: متى تحدث؟ من يساهم في حدوثها؟

انتبهوا لما تفكرون فيه خلال فترة الانحراف. ولا تقولوا لانفسكم اذا كنتم أوقفتم التمارين لعدة أيام: "لقد أفسدت كل شيء." بل قولوا: "حسناً، لقد أضعت بضعة أيام، لكنني ملزم بالعودة الى برنامجي، وكل ما علي هو التفكير في طريقة مناسبة لهذه العودة."

ان طريقتكم في الاكل وضبط الوزن تعتمد الى حد كبير على عقلكم. أدركوا دوافعكم، وحددوا أهدافكم، وعينوا أفضل السبل لتحقيقها.

وقبل كل شيء انتبهوا لما تفكرون فيه. والغوا من قاموسكم عبارة: "لن أستطيع أن أفعل ذلك وإن بعد مئة سنة." وابدلوها بعبارة: "انني قادر، ومستعد للعناية بنفسي." ولسوف يدهشكم الفرق البادي على أجسادكم.

هربرت بنسون وايلين م. ستيوارت وباحثون في "المعهد الطبي للعقل والجسم" ■

د. هربرت بنسون أستاذ في كلية هارفرد للطب وهو رئيس "المعهد الطبي للعقل والجسم" في الكلية وفي مستشفى ديكونس في نيو انغلند. وايلين م. ستيوارت باحثة في المعهد. وساهمت جوديث لنسي بالكن وسنثيا ميديك ود. سو جاكوبز في هذا المقال.



وردة خضراء!

مختبرات ميان الفرنسية في أنتيب بجنوب فرنسا هي الرائدة في العالم في تطوير أنواع جديدة من الورود. نتاجها الاخير وردة خضراء تمثل حدثاً تاريخياً في علم البستنة. ووردة "النجاح الاخضر" كما سميت هي نتيجة ثماني سنوات من الابحاث.

تبدو الاحتمالات في هذا المجال غير محدودة، وقد يصل عدد التركيبات التالفية من ألوان وروائح وأحجام الى مليارات. وقد طوَّرت مختبرات ميان ٢٠٠ ألف نوعية من الورود خلال السنوات المئة والخمس والعشرين الماضية.

م.ب.



طوال أكثر من عقد عاش الاكراد في لعراق فترة من الرعب. وعندما طلب لرئيس الامريكي جورج بوش من لعراقيين اطاحة الرئيس صدام حسين عد انتهاء حرب الخليج، استجاب الاكراد لعراقيون بسرعة، فحملوا السلاح استولوا على نقاط رئيسية كان يشغلها لجيش العراقي في الشمال، وبدا أنهم قد نالون استقلالهم بعد طول انتظار.

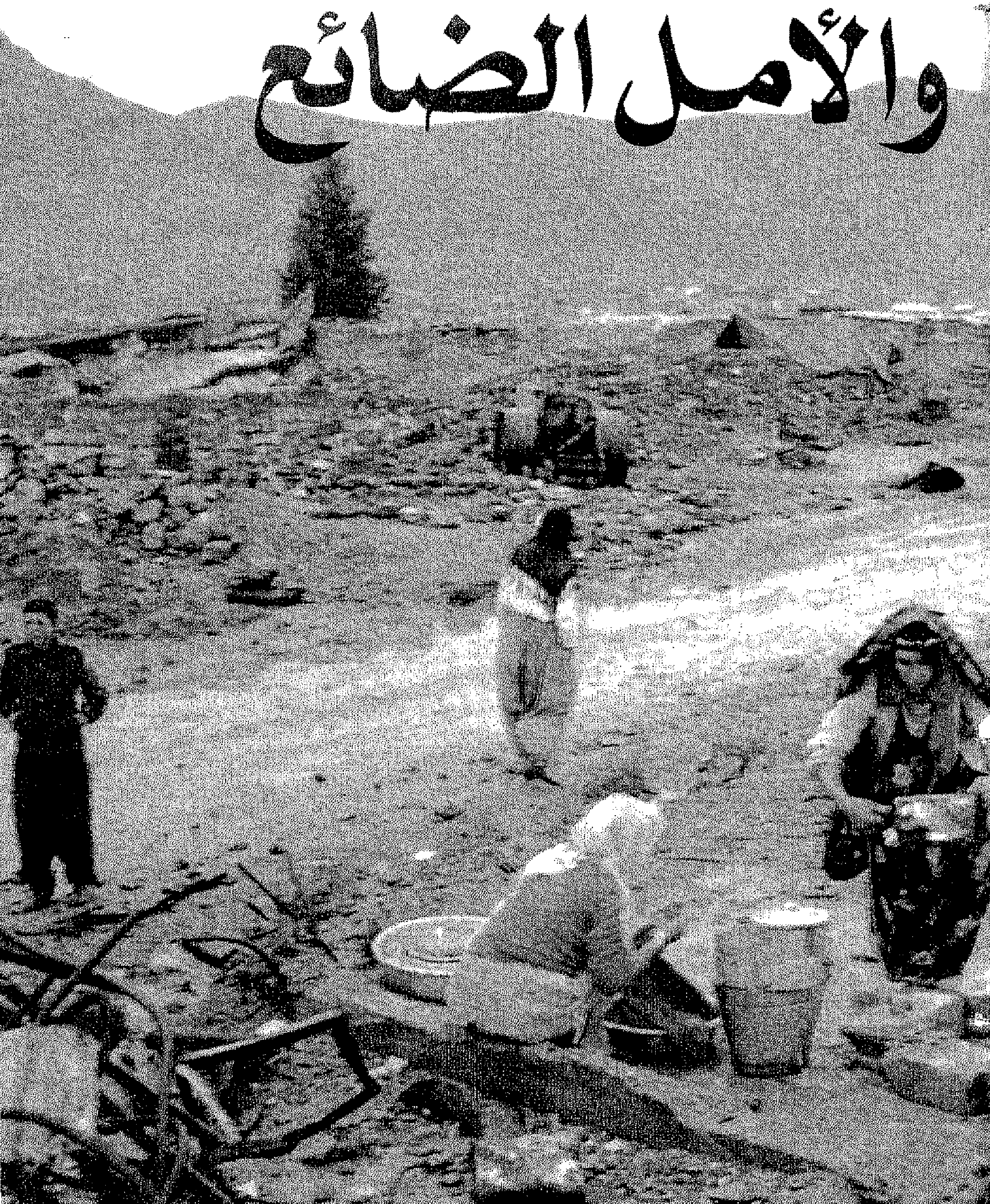
لكن التحالف الذي قادته الولايات المتحدة في الحرب سمح للرئيس العراقي، في خطوة لا يمكن تفسيرها، بشن هجوم مضاد. فهرب نحو مليوني كردي من قراهم في السفوح الى أعالي الجبال والى تركيا وايران، ومات ألوف منهم قبل أن تجبر ضغوط الحلفاء القوات العراقية على التراجع، كما تعهد الحلفاء ضمان سلامة الناجين الذين يقررون العودة الى قراهم المدمرة.

في رحلة استطلاع حديثة قام بها فرغوس م. بوردفيتش، المحرر المتجول في الـ"ريدرز دايجست"، عَبَر مسافة ١٦٠٠ كيلومتر داخل المنطقة الكردية في شمال العراق. وهو يفيد في تقاريره أن الوضع هناك يائس. فالطلعات الجوية الحليفة، وهي آخر ما تبقى لحماية الاكراد من تهديدات الجيش العراقي، ستتوقف في يونيو (حزيران) ١٩٩٢.

هنا بعض قصة شعب عريق لا يزال مصيره على كفّ عفريت.

PHOTOS: (BACKGROUND) © FERGUS M. BORDEWICH; (INSET) C. L. VAN DER STOCKT / GAMMA — LIAISON

الأكراد
والأمل الضائع



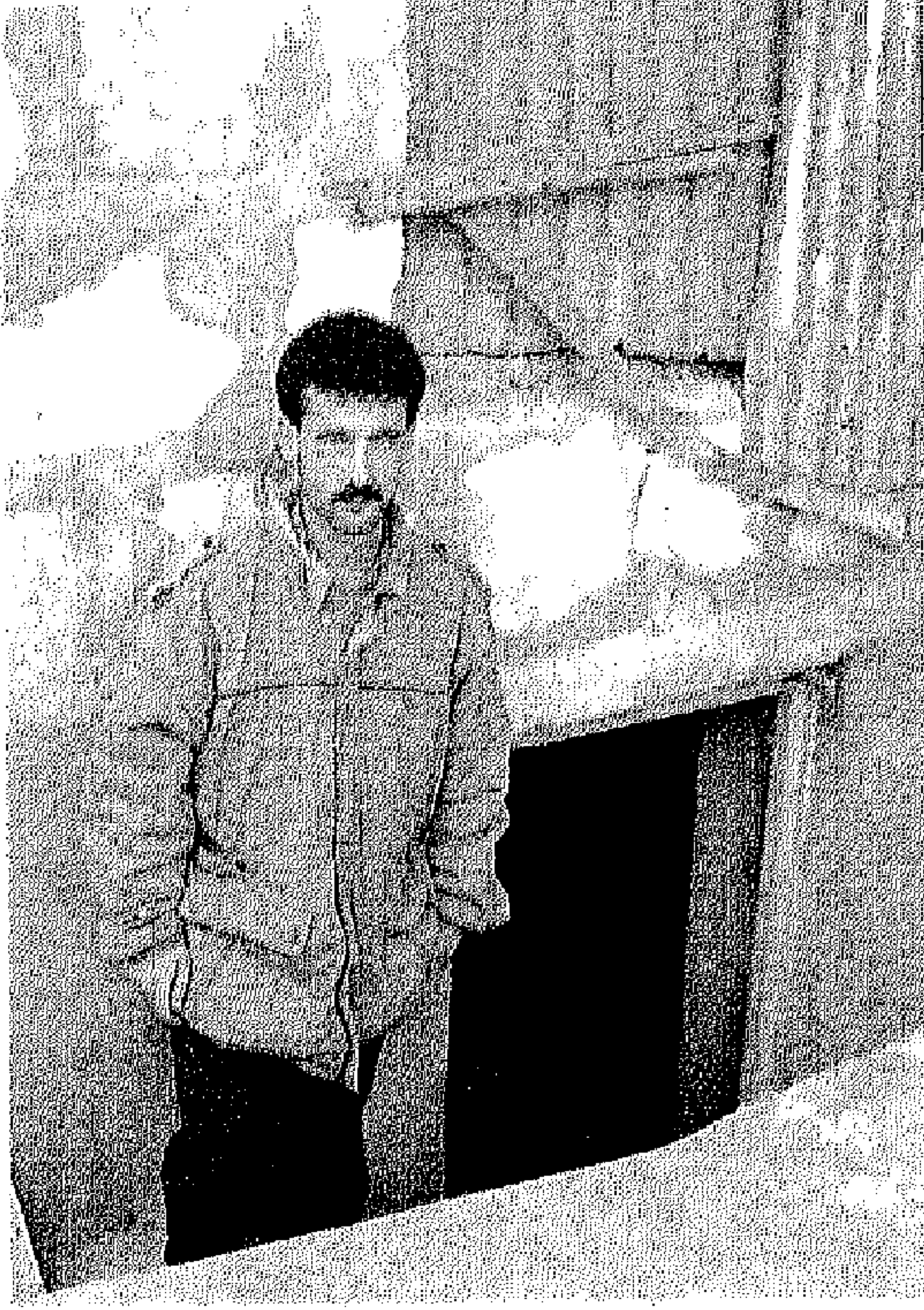
بدأ النهار معتدلا صافياً في مدينة حلبجة. فجأة اندفع من الجنوب سرب من طائرات "ميغ" العراقية. فهزت الانفجارات المنازل كأنها قطع من القماش ترفرف في الريح. عندئذ، لجأت عائلة هادي محمد علي (٢٠ عاماً) الى قبو منزلها حيث انحشر أفرادها، فيما ركض هادي الى منزل قريب أقل ازدحاما.

قبيل غروب شمس ١٦ مارس (آذار) ١٩٨٨ تسلق هادي الى سطح المنزل، فرأى، وسط ألسنة اللهب وأعمدة الدخان الأسود، غيوماً صفراء تتسلل عبر أزقة المدينة القديمة، وسمع الناس يصرخون: "غازات!" وكانت الجثث متناثرة في الشارع.

وما إن ارتحلت الغيمة بعيداً على أجنحة الريح، حتى أسرع هادي عائداً الى منزله. كان كل شيء هادئاً حين وصل، فقال في نفسه بارتياح: "لا بدّ أنهم نجوا."

توجّه الى الفناء الخلفي وفتح باب القبو، فوجد أفراد عائلته في الداخل وقد فارقوا الحياة جميعاً.

تمكن هادي من الفرار الى مخيم للاجئين في ايران. وكان واحداً من المحظوظين، فقد قضى في ذلك اليوم خمسة آلاف شخص على الأقل من سكان المدينة البالغ عددهم ٧٠ الفاً، ولم يعد أحد من الجرحى الذين نُقلوا الى المستشفيات. وفي وقت لاحق نسفت القوات العراقية ما تبقى من حلبجة.



هادي محمد علي.

عاد هادي ولاجئون آخرون الى قراهم بعد انتهاء حرب الخليج وتراجع قوات الأمن العراقية. ومع أن الاكراد ينعمون اليوم بأول مذاق للحرية منذ نصف قرن، فهم لا يزالون يكتشفون قبوراً جماعية لضحاياهم.

في حلبجة، على أرض المنزل الذي أعاد هادي بناءه بيديه، جلس الشاب يقلّب صفحات ألبومات صور عائلية. هذه ابنة عمه أفتاو وأولادها الاربعة. وهو أخبرني: "لقد قضوا جميعا في القبو." ثم أشار الى صورة سوزان ابنة السنوات الخمس التي "ماتت هي أيضاً." وتتابعت الصور صفحة بعد صفحة عارضة وجوها عدة: والدة هادي، أشقاءه الثلاثة،

شقيقاته الثلاث، عمه وأبناء عمه. كلهم ماتوا. والصور هي كل ما بقي من عائلته.

مستوطنات. في العام ١٩٢٠ تعهد الحلفاء المنتصرون في الحرب العالمية الاولى، إقامة وطن قومي للأكراد. لكنهم نكثوا العهد بعد ثلاث سنوات. وفي العام ١٩٧٠ وعدت الولايات المتحدة باستمرار مساعداتها للاكراد ضد النظام العراقي، لكن وزير الخارجية الامريكي آنذاك هنري كيسينجر أوقف شحنات السلاح فجأة بناء على طلب من شاه ايران، فكان الثمن عشرات الألوف من الضحايا الاكراد.

وخلال العقد الثاني أخليت مساحات كبيرة من المنطقة الكردية في العراق، اذ عمدت القوات العراقية الى تجميع مئات الآلاف من السكان في مستوطنات حكومية، وكانت هذه القوات تجتاح الأودية التي كانت خصبة في ما مضى، ثم تدكّ البلدات وتخرّب شبكات الري وتتلف الكروم والبساتين. وقد تعرض نحو ٧٠ تجمعاً سكانيا لهجمات بالغازات السامة، فقضى نحو ٤٠٠٠ قروي وترك ٩٠ في المئة من الأراضي بوراً.

طائرتان. يقف مصطفى مع عدد من الرجال وهم يحدقون بتوتر عبر السهول المغرقة بماء المطر جنوب مدينة اربيل الكردية، وهم مسلحون برشيشات وقاذفات قنابل يدوية. وعلى بعد أقل من عشرة كيلومترات تجمع لقوات الجيش العراقي.

يقول مصطفى شارحاً ما حدث لعائلته في حلبجة: "لم يموتوا كلهم على الفور، لكنهم ماتوا جميعاً في النهاية، وهم ٣٨ فرداً."

وسط زخات المطر صرخ أحد رفقاء مصطفى معلنا أن قوات الأمن صادرت كل ما يملكه وقتلت عمّه. وقال آخر إنه أمضى ستة أشهر من العذاب في أحد السجون.

وفيما كنا نتبادل الحديث مرّت طائرتان أمريكيتان "محطمتان للدبابات" من طراز «A-10A» على علو منخفض فوق رؤوسنا محدثة هديراً يصم الآذان. وكان مصطفى، ككل كردي التقيته تقريباً، مقتنعا بأن هذا الوجود الرمزي للقوات الحليفة هو وحده الذي يردع الرئيس العراقي عن معاودة الحرب ضد الاكراد. لكن الطلعات الجوية قد تتوقف في يونيو (حزيران) ما لم تمدد الدول الغربية فترة التزامها سلامة الاكراد وتقنع تركيا بالسماح باستمرار إقلاع الطائرات من قواعد جوية تركية.

اعادة بناء كردستان. هناك نحو ٢٠ مليون كردي موزّعين بين العراق وتركيا وايران، فيما تعيش أقلية كردية في سوريا وبعض أنحاء الاتحاد السوفييتي السابق. ويعيش نحو ٤،٥ ملايين كردي في شمال العراق حيث قطن أجدادهم منذ ألوف السنين. لكن الارض بدت ميتة في اثناء تجوالي عبر كردستان العراقية. فقد دمرت المدارس والمستشفيات. وكنت

أرى لاجئين في حالة يرثى لها يكادون يتجمدون برداً وهم يجهدون في طهو طعامهم وسط أكوام المعدن الملتوي والاسمنت المكسَّر من بقايا منازلهم وحطامها.

تعتنق الغالبية العظمى من الاكراد الدين الاسلامي. لكنهم ليسوا عرباً، وقد كافحوا سنوات طويلة ضد التمييز العربي. لكنهم لم يلجأوا الى الإرهاب الدولي للفت انتباه العالم الى قضيتهم.

ارتحلتُ الى وادٍ جبلي وعر مع رجل اسكوتلندي يدعى توم هاردي فورسايث، وهو أحد قادة "منظمة اعادة بناء كردستان." كان في مهمة يعتبرها حملته الجهادية الخاصة لاعادة إعمار ما تهدّم. ولا شك في أن بقاء عدد كبير من الاكراد على قيد الحياة يعود الى شجاعته الشخصية وجهده الفردي.

قال لي هاردي فورسايث مشيراً الى مجموعة اكواخ من الحجار البركانية: "لقد بنينا ألوفاً من هذه الملاجىء. وسوف نبني مدرسة عما قريب."



توم هاردي فورسايث.

قبل سنة، كان هاردي فورسايث نقيباً احتياطياً في الجيش البريطاني، وكان يتنقل طوال أسابيع بين مخيمات تغص باللاجئين في مهمة تنظيم ايصال مواد الاغاثة وتوزيعها. وهو يتذكر: "كنت أرى يومياً أطفالا بعمر أطفالي يموتون من الزحار (الديزنطاريا)، فيلقى بهم في حفر جماعية لأن لا مكان آخر لدفنهم: ولا تزال ذكرى هذه المناظر تمزقني داخلياً. لقد دفنت بعضاً من ذاتي في هذه الحفر مع هؤلاء الاطفال."

عمل هاردي فورسايث بحماسة جنونية في إعداد خطط لعودة الأكراد الى المناطق المنخفضة وإقناعهم بأنهم لن يواجهوا أي خطر. ثم طار الى مقر قيادة الحلفاء في زاخو في شمال العراق ليبلغ الى المسؤولين العسكريين الغربيين وفرق الاغاثة أن "الوضع خطير، وقد تفشت الكوليرا والتيفوئيد، وآبار المياه والجداول آيلة الى الجفاف." وعندما انتهى هاردي من روايته وقف ضابط كبير كان وصل لتوه من أوروبا. كان شعره مقصوصاً بعناية وقد ارتدى بزة مفصّلة خصيصا له وانتعل حذاء ثميناً. أعلن الضابط بصوت رخيم مشيراً بيده باستعلاء: "أيها السادة، هذه ليست سويسرا، وقد اعتاد هؤلاء الناس هذه الأمور."

في تلك اللحظة، مرت في مخيلة هاردي فورسايث صور أطفال يعانون سكرات الموت، وقبور بلا أسماء، وأمهات باكيات، فأمسك بتلابيب الضابط الكبير

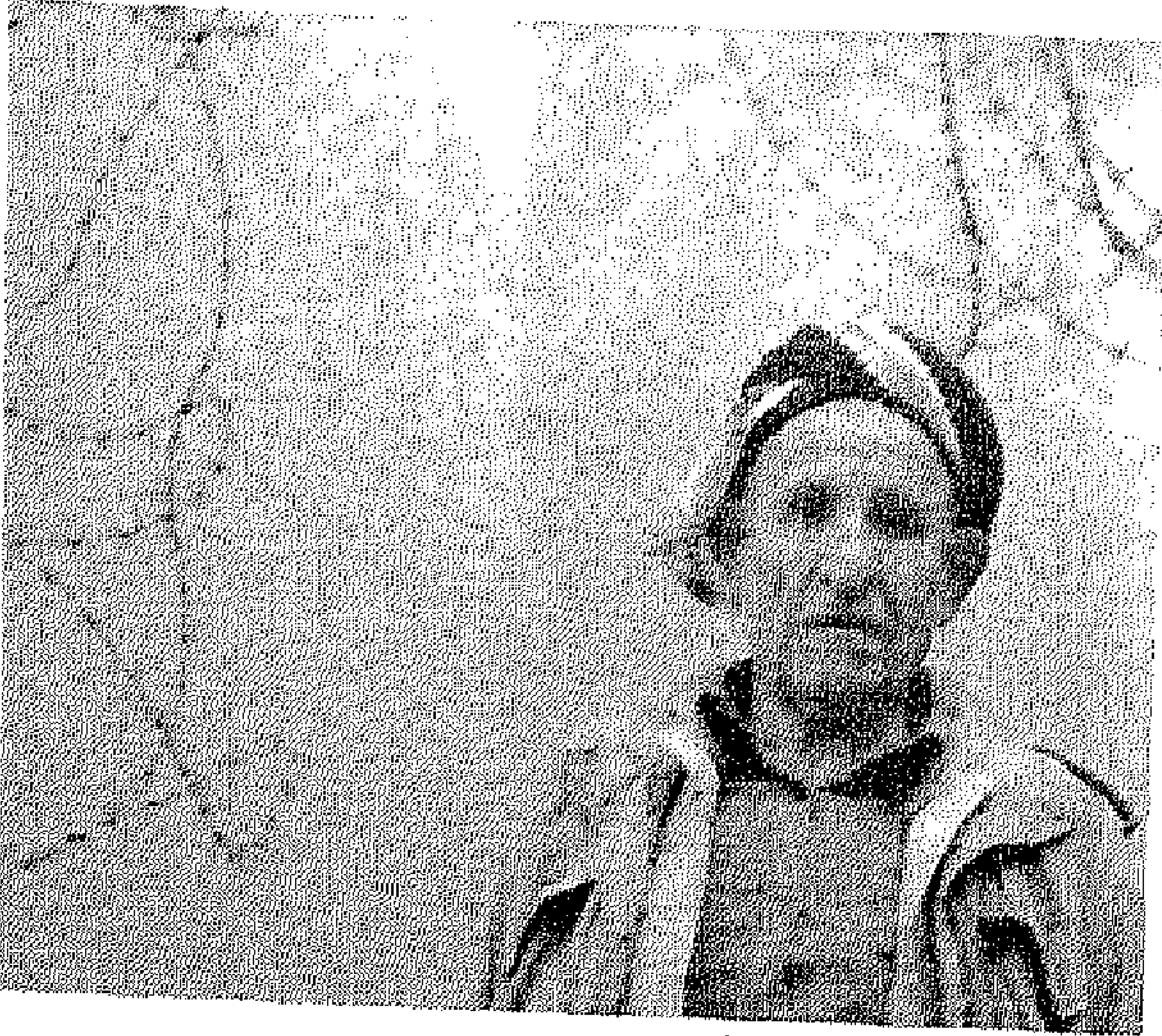
وهو يكاد لا يعي ماذا يفعل، وصرخ في وجهه: "لماذا لا تذهب بنفسك الى تلك المرتفعات فتوسخ يديك وسترتك الجميلة بالتراب؟"

صدرت أوامر الى هاردي فورسايث بالعودة الى بريطانيا. وفي ١٥ يونيو (حزيران) أعلن الحلفاء بدء انسحابهم من شمال العراق. فأحس هاردي كأنه تلقى لكمة في وجهه، ذلك لأنه كان وعد الاكراد بأن "الحلفاء سيظلون هنا لحمايتكم." وعدهم بوجود عسكري حليف لسنة على الاقل ريثما تشكل الامم المتحدة قوة حماية دائمة. وهو أدرك الآن أن الغرب ينوي التخلي عن الاكراد ثانية. قال لي: "أحسست أنني خذلت هؤلاء الناس شخصيا. فأنا أعطيتهم وعد شرف."

لم يبق أمام فورسايث إلّا خيار واحد. فبعد يومين أعلن استقالته من الجيش عبر شاشة التلفزيون البريطاني. وعندما سأله أحد الصحافيين: "هل يمكنك استخدام كلمة خيانة لوصف ما حدث؟" أجابه: "بالتأكيد!"

لم توقف استقالة هاردي فورسايث انسحاب القوات الحليفة. لكنه عاد بعد أربعة أشهر الى كردستان العراقية وبدأ العمل مع "منظمة إعادة إعمار كردستان."

"جاء دوري." تجثم مدينة السليمانية الحديثة قرب الحدود العراقية الايرانية في ظلال القمم المغطاة بالثلوج. بيد أن



حاجي محمود.

مركز المدينة لم يكن، حتى السنة الفائتة، سوقها المزدحمة النشطة في وسطها، وانما كان مبنى بشعاً من الاسمنت يُدعى "مركز الامن."

"في هذا المكان أمضيت خمسة أشهر،" أخبرني حاجي محمود ونحن ندخل زنزانة بلا نوافذ طولها متران وعرضها متر. وأضاف: "كنت واثقا من انني لن أخرج منه ابداً."

أمضى محمود ٣٠ سنة من عمره مناضلا في سبيل حرية شعبه، قبل أن تقبض عليه الشرطة العراقية في العام ١٩٩٠.

ذات ليلة سمع محمود إطلاق نار خارج مركز الامن. كان المقاتلون الاكراد بدأوا هجومهم. فإذا به يلمح حراساً يدخلون زنزانة مجاورة فيجرّون سجيناً مقيداً بالاغلال الى الممر ويطلقون عليه النار.

تصور محمود: "جاء دوري." غير أن


مسعود البرزاني.

اطلاق النار اشتدّ في الخارج وغادر الحراس المكان. وبعد ساعات قليلة، حطّم المقاتلون الأكراد باب زنزانته.

يعيش محمود اليوم مبصراً بعين واحدة ويعاني صعوبة في سمعه. وقد ناشدنا: "أخبروا أمم الارض ما حدث هنا. أطلبوا منهم أن يضعوا حدوداً بيننا وبين العراقيين. نتوسل اليهم أن يقدموا الينا الحماية."

ثورة البرزاني. ذات مرة أعلن الرئيس صدام حسين أنه "لن يسمح لأحد بأن يرفع رأسه في برزان، حتى ولا لدودة." وطوال النزاع الكردي العراقي لم تدفع عائلة ثمناً أغلى من ذاك الذي دفعته عائلة البرزاني.

قاد مصطفى البرزاني الاكراد في قتالهم ضد العراقيين لأكثر من ٢٠ سنة. ويرئس ابنه مسعود (٤٥ عاماً) الحزب الديموقراطي الكردي وهو من أكبر الاحزاب الكردية التي تشكل جبهة موحدة أعلنت التزامها النموذج الديموقراطي المطبق في الغرب واقتصاد السوق الحرة. وبفضل تأثير البرزاني، لم يعد الاكراد يطالبون بدولة مستقلة وانما بحكم ذاتي. وهو يعلن: "ان الديموقراطية في كردستان لا يمكن فصلها عن الحقوق الديموقراطية للعراقيين كافة. فمن أجل العراق نطالب بحكم القانون وبدستور وبالغاء التمييز العنصري وباحترام حقوق الانسان وبحكومة منتخبة من الشعب نستطيع المشاركة فيها."

إن سبعة وثلاثين فرداً من أقرباء البرزاني، بمن فيهم ثلاثة أشقاء، قُتلوا خلال الحرب مع العراقيين، وهُجّر ٨٠٠٠ من أبناء عشيرته من منازلهم، ودُمّرت كل القرى في وادي برزان بلا استثناء، ونجا البرزاني من عدة محاولات لاغتياله.

اتخذت شجاعة البرزاني طابعاً أسطورياً. عندما أعدّ الجيش العراقي لهجومه على الاكراد عام ١٩٩١، كان من أول أهدافه المقر الجبلي لقيادة البرزاني في بلدة صلاح الدين التي دمرها القصف. كان الاكراد المذعورون يتدفقون الى الجبال فيما الفرق العراقية المدرّعة تتبعهم عن قرب. فأدرك البرزاني أن الجبهة بكاملها معرضة للسقوط اذا لم يقف أحد في وجه الهجوم.

كان على المدرعات العراقية أن تمر في خط فرادي عبر مضيق جبلي للوصول الى المقر. فجمع البرزاني ٥٧ رجلا من حرسه الشخصي واتجه نحو المضيق. كانت تلك مغامرة يائسة، ونصحه مستشاروه بالفرار، لكنه أعلن

والكلاشنيكوف في يده: "اذا فررنا فسوف يتبعوننا الى الحدود. إنني أفضّل أن أموت هنا على أرض كردية على أن أصبح لاجئاً."

اتخذت مجموعة الرجال التي انتقاها البرزاني مواقع لها خلف أشجار الصنوبر والحور والصخور الجرداء. كانوا مسلحين برشيشات وقاذفات قنابل يدوية وبمدفع وحيد مضاد للدبابات من عيار ١٠٦ ملم. فانتظروا حتى ظهرت أول دبابة في ضوء الفجر الماطر. وأطلق المدفع المضاد باشارة من البرزاني، فتركت قذيفته الدبابة القائدة حطاما يغطيه الدخان على الطريق.

شلّ رجال البرزاني حركة القناصة العراقيين بنيران رشيشاتهم. وعطلت القذائف الكردية الموجهة بدقة خمس دبابات أخر، مما سدّ الطريق وأجبر العراقيين على التراجع. يقول البرزاني في هذه الواقعة: "لا تفقدوا الأمل حتى وأنتم على شفير الهزيمة، ولا يغرّنكم الانتصار فتنساقوا الى التكبر."

لكن البرزاني يدرك أن عديد الجيش العراقي، حتى بعد هزيمته في الكويت، لا يزال ضعفي العديد الذي استخدم لضرب الاكراد في السبعينات. وهو يقول: "سوف يتحول الوضع كارثة في غياب حماية غربية."

الحقيقة المرة هي أن الاكراد قد يموتون من دون حماية المجتمع الدولي. واستمرار الطلعات الجوية الحليفة أمر حيوي، وعلى الامم المتحدة أن تؤمن موئلاً في شمال العراق يتمتع بحكم ذاتي ليعيش الاكراد فيه أحراراً. وأهم من ذلك توفير ضمانات علنية لحماية الأكراد من انتقام الرئيس صدام حسين.

ربما يكون الأمل فات عائلتي هادي محمد ومصطفى. لكن نجاة ملايين الاكراد الآخرين ما زالت مأمولة.

فرغوس م. بوردفيتش ■



الطبيعة البشرية

عندما يغش أحدهم في امتحان نكتفي بالقول "انها الطبيعة البشرية." واذا تحايل احدهم في احتساب الضريبة المتوجبة عليه فاننا نهز رؤوسنا وندعي أن الامر "مجرد طبيعة بشرية." ويطلّق الازواج فنبرر الامر على أنه "طبيعة بشرية."

اننا نرد رذائلنا وحدها الى ما ندعوه "الطبيعة البشرية." والحقيقة هي أن هذا التعبير يصبح أحياناً مرادفاً لـ"الطبيعة الحيوانية." أما الطبيعة البشرية فهي الذكاء الذي يقود الانسان الى البحث عن الحقيقة. انها الارادة التي تستحث على الصراع، والسمو فوق الهزيمة، والامل في مواجهة اليأس. الطبيعة البشرية هي توق الى الافضل.

لذلك تكمن عظمة الانسان في الانتقاء بين هذين الخيارين: إن في امكانه البقاء على مستوى الحيوان أو التسامي الى الذروة.

ج.د.

غذاء الحب

يستمر الحب بالمشاركة والتفهم والتسامح والايمان والمرح

لي صديقة عاشقة تدعي أنها استعادت صباها وأن السماء أصبحت أكثر زرقة وأن موسيقى موزار باتت تستدر دموعها وأنها فقدت سبعة كيلوغرامات من وزنها بحيث غدت كنجمات السينما.

تركتُ صديقتي تستفيض في الحديث عن حبها الجديد، ورحت أنعم النظر في حبي العتيق. لقد ازداد وزن زوجي سبعة كيلوغرامات خلال عقدين من زواجنا بعدما كان عداء ماراتونياً.* وهو اليوم، يكتفي بالعدو في أروقة المستشفى حيث يطبِّب، وقد خف شعره وترهل جسمه بفعل ساعات العمل الطويلة والاكثار من تناول الحلوى. الا أنه ما زال قادراً على التحديق الي عبر طاولة في مطعم على نحو يثير مشاعري ويحرك عواطفي.

عندما سألتني صديقتي: "ما الذي يؤمن استمرار حبي الجديد؟" عرضت لها جميع الاسباب البديهية، من تعاهد وتواصل وتجاذب جسدي واهتمامات مشتركة ونكران ذات. ولكن تبين لي لاحقاً أن هناك أسباباً أخرى.

فنحن ما زلنا نمرح ونمضي أوقاتاً عفوية طيبة. البارحة، مثلا، نزع زوجي سكوت رباط المطاط عن الصحيفة الملفوفة وقذفني به ممازحاً. فدارت بيننا حرب ضروس. والسبت الماضي ذهبنا معاً الى المتجر وتقاسمنا لائحة المشتريات ورحنا نتسابق لنرى من يصل أولا الى الصندوق. حتى غسل الصحون بات بالنسبة الينا متعة كبيرة. فنحن، ببساطة، نتمتع بمجرد وجودنا معاً.

(*) الماراتون سباق للمسافات الطويلة.

وهناك مفاجآت أيضاً. فذات يوم عدت الى المنزل ووجدت ملاحظة ملصقة على الباب قادتني الى ملاحظة ثانية، فثالثة، حتى وصلتُ الى حجرة المؤونة. ففتحتها لأجد سكوت واقفاً ممسكاً قِدْراً فيها هدية، كمن يمسك كنزاً في وعاء من ذهب. وأنا أيضاً أترك له أحياناً رسائل موجزة على المرآة وأخبىء له هدايا تحت وسادته.

وهناك تفهم أيضاً. فأنا أتفهم، مثلاً، رغبته في لعب كرة السلة مع أصحابه، كما يتفهم هو رغبتي في الابتعاد عن البيت وعن الأولاد وعنه مرة في السنة للقاء شقيقاتي وتمضية بضعة أيام من الثرثرة والضحك المتواصل.

وهناك المشاركة أيضاً. فنحن لا نكتفي بتقاسم الهموم المنزلية والأعباء الأبوية، بل نتشاطر الآراء أيضاً. أهدى الي سكوت قبل مدة بعد عودته من مؤتمر حضره، رواية تاريخية أكب على قراءتها في الطائرة على رغم أنه يفضل قراءة قصص الرعب والروايات العلمية الخرافية. فتأثرت كثيراً عندما شرح لي أنه قرأها لكي نتمكن من تبادل الآراء حولها.

وهناك تسامح أيضاً. يسامحني سكوت عندما أتصرف على نحو صاخب ومربك خلال الحفلات. وأنا بدوري أسامحه عندما يعترف لي بأنه خسر بعض مدخراتنا في سوق الأسهم، وأضمه قائلة: "لا عليك، فهذه مجرد أموال."

وهناك إحساس أيضاً. دخل سكوت البيت مرة، فأدركت من نظراته أن يومه كان شاقاً. وبعدما روّح عن نفسه قليلاً مع الأولاد، سألته عما حصل. فأخبرني عن امرأة في الستين من عمرها أصيبت بسكتة دماغية (فالج). ثم بكى وهو يتذكر زوجها الذي وقف الى جانب سريرها يداعب يدها. فكيف يخبر هذا الرجل المحب الذي مضى على زواجه بتلك المرأة ٤٠ سنة أنها لن تتعافى أبداً؟

ذرفت بدوري بضع دمعات لما تشهده مهنة الطب من مآس، ولان هناك زيجات مستمرة بعد ٤٠ عاماً، وبسبب حزن زوجي وقلقه على رغم السنوات الطوال التي قضاها في المستشفى مع مرضى منازعين.

وهناك ايمان أيضاً. قبل أسابيع زارتني صديقة أسرت إليَّ أن زوجها بدأ يستسلم في معركته مع السرطان. وفي اليوم التالي تناولتُ الغداء مع صديقة أخرى تكافح لاعادة بناء حياتها بعد طلاقها من زوجها. وفي اليوم الثالث اتصلت بي جارة لتخبرني عن ظواهر داء ألزهايمر وتأثيراته المخيفة في شخصية حميها. وتلقيت كذلك اتصالا هاتفياً بعيداً من صديقة طفولة نعت إليَّ والدها. فأعدت سماعة الهاتف الى موضعها قائلة في نفسي: كفاني مصائب لهذا الأسبوع.

صلّيت ونزلت السلالم لانجاز بعض المهمات. فلاحظت من خلال دموعي أزهار سوسن برتقالية متفتحة خارج النافذة. ثم سمعت ضحكات ابني ورفيقه وهما يلعبان في الطبقة السفلى. وإذ

خرجت بسيارتي من المرأب لمحت موكب عرس أمام بيت أحد جيراننا، ورأيت العروس بثوبها الابيض تقذف باقة زهر الى صديقاتها الهاتفات المتهللات.

في ذلك المساء أطلعت زوجي على تلك الأحداث. فتبادلنا الكلام مسلّمين بالحكمة في دورة الحياة وبالمعادلة القائمة بين أفراحها وأتراحها. كان ذلك كافياً لحضنا على الاستمرار.

أخيراً، هناك المعرفة. فأنا أعرف أن سكوت سيرمي ملابسه مساء قرب سلة الغسيل وليس داخلها، وأعرف كذلك انه سيتخلف عن غالبية مواعيدنا، وأنه سيأكل قطعة الشوكولاتة الاخيرة في العلبة. وهو يعرف أني أنام مغطاة الرأس بالوسادة، وأني أنسى مفاتيح المنزل في الداخل، وأني أنا أيضاً سآكل قطعة الشوكولاتة الاخيرة في العلبة.

أنا أعتقد أن حبنا استمر لأنه مريح. فالسماء ليست أكثر زرقة، بل هذا هو لونها المألوف. ونحن لا نشعر بأننا أصغر سناً، لاننا خبرنا أموراً كثيرة ساهمت في نمونا ومنحتنا الحكمة ونالت من أجسادنا ونسجت ذكرياتنا.

آمل أن نكون ممتلكين ما يلزم لاستمرار حبنا. لقد حفرت على خاتم زواج سكوت، وأنا عروس، عبارة للشاعر الانكليزي روبرت براوننغ: "لنكبر معاً."

ونحن نتبع هذه التعليمات.

آنيت باكسمان بوين ■



من في الحمّام؟

تعمل صديقتي نهى وزوجها من التاسعة صباحاً الى الخامسة مساء. ذات يوم بقي زوجها في المنزل بسبب صداع أصابه، فقررت أن تفاجئه بالعودة باكراً ومعها أنواع من الحلوى.

فتحت الباب وتوجهت مباشرة الى غرفة النوم محملة بالطيبات. فوجدتها فارغة. لكن صوت تناثر ماء تناهى اليها من الحمام، ثم سمعت زوجها يقول: "لن تغفر لنا نهى أبداً اذا علمت ما نفعله."

فاقتحمت باب الحمام كعاصفة، فوجدت زوجها يغسل كلب العائلة في حوض الاستحمام.

ج.ا.

شروق شمس

سئل مخرج سينمائي كيف يمكنه التقاط مشاهد خلابة لشروق الشمس، فأجاب: "الامر بسيط. انني أستيقظ أبكر من معظم الناس."

ف.ب.

حديقة أفكار

- ليست الشجاعة سنديانة سامقة تشهد عبور العواصف، بل هي برعم قَصِف يتفتح وسط الثلوج.

أ.س.

- قد لا تهبط الحكمة على المرء ابداً، ولذا عليه الا يرفضها لمجرّد انها هبطت متاخرة.

ف.ف.

- حتى حين يتفق كل الخبراء على أمر، فقد يخطئون.

برتراند راصل، فيلسوف ورياضي بريطاني

- الرياضة هي التسلية الوحيدة التي لا تعرف نهايتها مهما كررتها.

ن.س.

- صلّوا فقط من أجل أن يعطيكم الله جسداً صلباً وقلباً رقيقاً.

ر.غ.

- ليس التوفيق حظاً بمقدار ما يحلو لنا أن نعتقد. فنحن نبني ما نبنيه خطوة خطوة، أكان صداقة أم فرصة سانحة.

بربارة بوش، زوجة الرئيس الاميركي جورج بوش

- المحترف شخص يجيد عمله حتى حين لا يشعر بمزاج جيّد للقيام به.

ا.ك.

- أعمال الانسان تثني عليه.

مثل ايرلندي

البراكين الثائرة قوى هائلة مدمِّرة
لكنها من عوامل البقاء

البراكين ضروريّة للحياة!

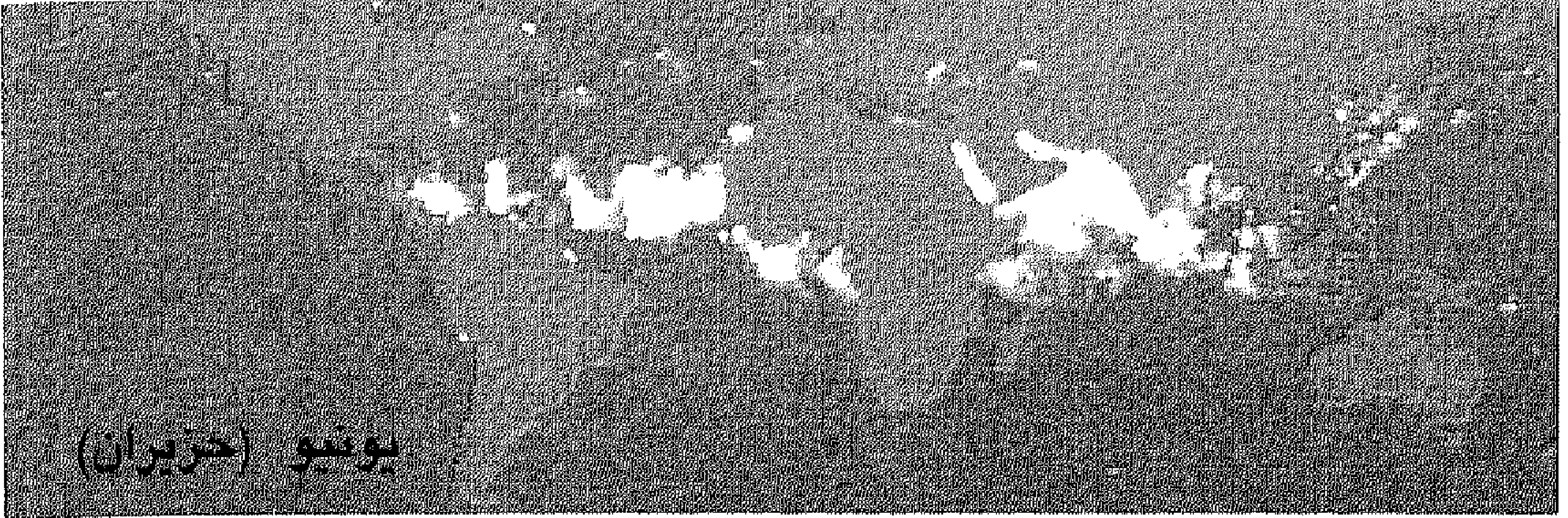
رقد البركان القديم في جبل بيناتوبو في الفيليبين نحو ٦٠٠ سنة. لكنه في يونيو (حزيران) ١٩٩١ اهتز مستيقظا بسلسلة انفجارات عنيفة اطلقت الى اعلى الغلاف الجوي (الستراتوسفير) نحو ٢٠ مليون طن من ثاني أوكسيد الكبريت. فامطرت السماء خفّافاً[1] ساخناً، وتشكلت غيمة رمادية فطرية الشكل ارتفعت ٣٠ كيلومتراً فوق البركان. وتناثر الرماد غامراً المنطقة بمشهد شاحب كأنه على سطح القمر. وقال أحد الناجين الهاربين الذين بلغ عددهم ١٠٠ ألف: "بدا ذلك كأنه نهاية العالم".

اندفع السديم البركاني غرباً تحمله الرياح ليطوف في العالم. ولم تمض أسابيع حتى بدأ ملايين الناس يلاحظون مشاهد غروب تتسم بألوان عجيبة منبثقة من ارتشاح نور الشمس عبر تلك الغيمة.

إلا أن هذا الحجاب البركاني الدائر حول الأرض يفعل أكثر من تلوين غروب شمسنا. فهو يمنع مقادير وافرة من أشعة الشمس من بلوغ الأرض وتسخينها. وقد قدّر العلماء في "مديرية المحيطات والاجواء" في الولايات المتحدة أن سديم بيناتوبو كثيف الى حد يكفي لخفض

(١) الخفّاف (pumice) زجاج بركاني خفيف جداً مليء بالثخاريب.

بركان إتنا في جزيرة صقلية



صورتان من الاقمار الاصطناعية تظهران انتشار الجسيمات المنبعثة من بركان بيناتوبو.

معدل الحرارة في العالم نصف درجة مئوية لبضع سنوات. ويقول لاري ستو أحد العلماء في المديرية: "إن نسبة الجسيمات البركانية في الجو عالية الى حدّ أن الامطار لا تستطيع إزالتها." وقد يبدو انخفاض الحرارة نصف درجة أمراً تافهاً، إلا أنه كافٍ للتأثير في الرياح وتيارات المحيطات.

وهذا الحدث لم يكن الاول من نوعه. ففي العام ١٨١٥ ثار بركان تامبورا قرب جاوه (احدى جزر اندونيسيا) محدثاً تأثيراً بالغاً في الطقس. فتلف المحصول الزراعي الصيفي في فرنسا كليا مما أدى الى نقص حاد في المواد الغذائية. وتساقطت ثلوج صيفية خلال شهر يونيو (حزيران) في نيو انغلند.[٢] وفي ٤ يوليو (تموز) أفاق كثيرون من أبناء الجنوب الامريكي القائظ ليجدوا حقولهم مغطاة بطبقة بيضاء من الجليد. تلك اللمسة الباردة التي نجمت عن أنفاس البركان الحارة جعلت سنة ١٨١٦ تُعرف بـ"السنة الخالية من الصيف."

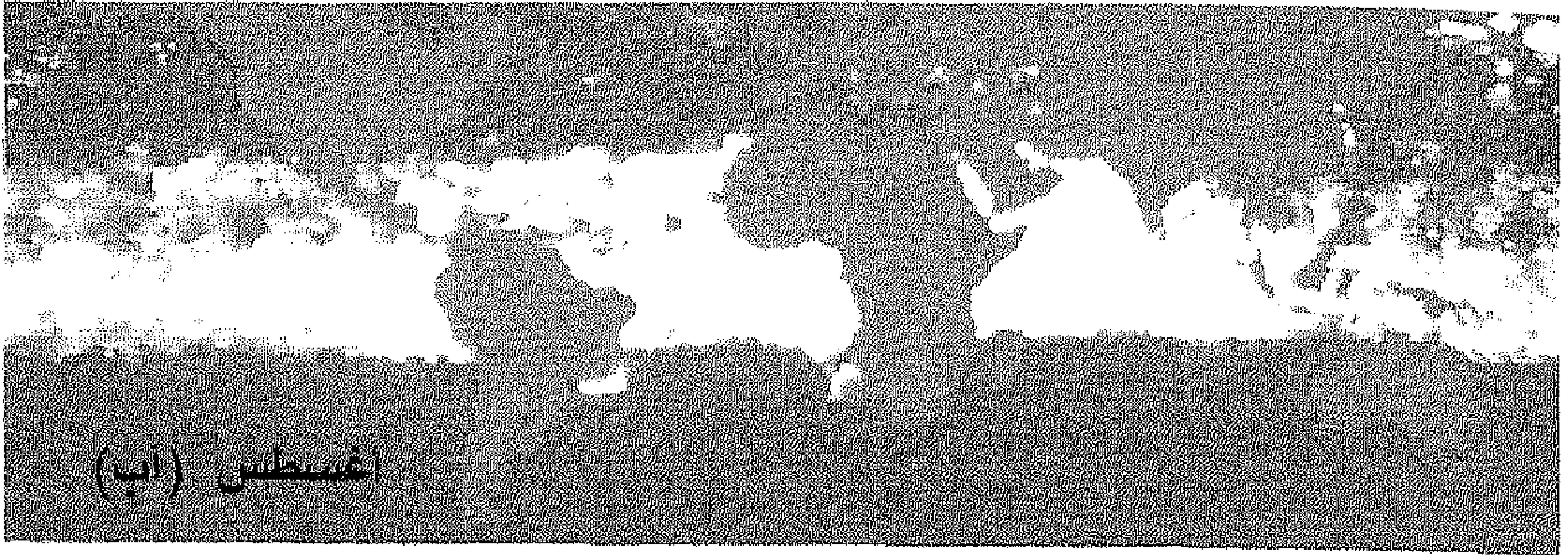
ومن شأن البراكين أيضاً إحداث حالات أخرى من الطقس الغريب. ففي العام ١٩٨٢ ثار بركان إل شيشون في المكسيك وبركان نياملاجيرا في أفريقيا. وسرعان ما ضعفت الرياح التجارية قرب خط الاستواء متيحة للمياه الدافئة الاندفاع شرقاً من غرب المحيط الهادىء في ظاهرة تُعرف بـ"تذبذب تيار إل نينيو الجنوبي" أو "إنسو."[٣] فنجم عن ذلك قحط مدمر في جنوب أفريقيا والهند واندونيسيا والفيليبين وأوستراليا، واندفعت أعاصير عبر المحيط الهادىء، وانهمرت أمطار غزيرة أحدثت طوفانات في البيرو والاكوادور والساحل الغربي للولايات المتحدة.

يعتقد العالم الفيزيائي بول هاندلر أن تفجر البراكين يتسبّب في ظاهرة "إنسو" عبر إعتام ضوء الشمس فوق المحيط الهادىء الاستوائي وهذا ما يُضعف الرياح التجارية ويقلب ميزان الطبيعة

(٢) نيو انغلند اسم اطلق على ست ولايات امريكية على الاطلسي كانت مستعمرات انكليزية في القرن السابع عشر، وهي كونيتيكت ومين ومساتشوستس ونيو هامبشير وورد ايلند وفرمونت.

(٣) El Niño — Southern Oscillation

PHOTOS: NOAA



الدقيق. كما أشار هاندلر الى أن ظواهر "إنسو" الاحدى عشرة التي حدثت منذ العام ١٨٧٧ تزامنت وتفجرات بركانية.

وتوقع هاندلر أن يؤدي انفجار بركان بيناتوبو، الذي قذف ما يزيد على ضعفي الغازات التي قذفها بركان إل شيشون، الى وقوع ظاهرة من نوع "إنسو" ما بين ١٩٩١ و١٩٩٢ قد تضع حداً للقحط السائد في كاليفورنيا، إلا أنها ستجلب مزيداً من القحط على الساحل الافريقي والهند وأوستراليا.

حلقة نار. تمسّ البراكين حياتنا بطرق مدهشة. فالحياة على الارض كما نعرفها اليوم قد تختفي من دون البراكين، بحسب قول العلماء. ولكي نفهم ذلك، ما علينا سوى أن نتصور كيف كان العالم قبل مئتي مليون سنة. ففي ذلك الزمن كانت قارتا أفريقيا وأمريكا الشمالية متلاصقتين بحيث لم يكن وجود للمحيط الاطلسي. فالدار البيضاء بموقعها الحالي لم تكن آنذاك بعيدة عن مدينة نيويورك سوى بضعة كيلومترات. لكن القارتين ما لبثتا أن تباعدتا وتفجرت بينهما براكين أقحمت أسافين متنامية من حمم. وفي وسع المرء أن يشاهد اليوم بقايا من تلك الحقبة في الاجراف الشاهقة على امتداد الضفة الغربية لنهر هدسون[٤] في ولايتي نيويورك ونيوجرزي، وقد تكونت هذه الاجراف من الحمم في مواقع تفكك القارتين. وما زالت المسافة الفاصلة تتّسع بضعة سنتيمترات سنوياً بسبب استمرار تدفق الحمم من صدع عميق تحت قاع وسط المحيط يُعرف باسم "حرف الأطلسي الاوسط."[٥]

وتفيد النظرية السائدة أن الحرارة النابعة من جوف الارض تسيِّر حركة القارات وتشعل البراكين. فقبل أربعة مليارات ونصف مليار سنة طفت العناصر الخفيفة على سطح كوكبنا وتصلَّبت مكوِّنة قشرة الارض. أما القارات فتعتلي أجزاء من القشرة تُعرف بالشرائح التكتونية[٦] التي ما انفكت عائمة فوق طبقة من مواد شبه ذائبة تقع في جوف الأرض على عمق حوالى ١٠٠ كيلومتر تحت أقدامنا،

(٤) Hudson River's Palisades
(٥) Mid — Atlantic Ridge
(٦) Tectonic plates

ومنها شريحة أمريكا الشمالية[٧] التي تبدأ في وسط المحيط الاطلسي وتمتد الى الساحل الغربي للولايات المتحدة.

وما زالت هذه الشريحة تسيَّر جنوباً غرباً على نحو يضعها في حال تصادم عنيف مع شريحة المحيط الهادىء[٨] التي تكوِّن معظم قاع هذا المحيط. إن تصادمات هاتين الشريحتين، وسواهما، تجعل معظم الاراضي المتاخمة للمحيط الهادىء التي يدعوها الجيولوجيون "حلقة النار" عرضة للهزات الأرضية وانبثاق الجبال وتفجر البراكين.

وعلى رغم ما تنطوي عليه تلك المفاعيل من عنف، فان التأجج الحراري النابع من باطن الارض هو، في الواقع، ما يبقي الارض "حيَّة." لو خلت الأرض من البراكين وغيرها من القوى التي تنشىء الجبال، لتسبّب الطقس في تأكل اليابسة وانجرافها، ولانزلق العالم تحت مستوى البحر. ومن ناحية اخرى، ما زالت الامطار تواصل جرف عناصر الحياة الاساسية، مثل الكربون والكبريت، الى المحيطات، فيما تستنفد العوالق[٩] جزءاً من الكربون المخزون في المحيطات وتحوله الى كربونات الكلسيوم قبل أن يغرق الى القيعان ويتحول طبشوراً. فاذا لم يحصل ما يعكس هذه العمليات، فان مخزون العالم من الكربون سيغدو محتجزاً في قيعان المحيطات، وستنقرض جميع كائنات الارض المعتمدة أساساً على الكربون، من زهر وسمك وبشر وغيرها. والى ذلك، فإن العالم اذا خلا من غاز ثاني أوكسيد الكربون الدفيئي قد يبرد الى أن تتجمد كل الاشياء المتبقية فوق الماء ويبدأ عصر جليدي دائم.

لكن البراكين تسد النقص الحاصل باطلاقها كميات هائلة من ثاني أوكسيد الكربون والهيدروجين المكبرَت[١٠] بعنف أحياناً وبهدوء أحياناً أخرى. وقد أفاد باحثون فرنسيون عام ١٩٩١ أن بركان إتنا في صقلية هو "نبع حار" دائم للغازات. فهو، حتى عندما يكون مستكيناً، يطلق في الاجواء ما يقدر بـ٢٥ مليون طن من ثاني أوكسيد الكربون سنوياً.

إلا أن الغازات المنبعثة من البراكين قد تكون قاتلة. فعندما ثار بركان فيزوف قرب مدينة بومبايي الرومانية عام ٧٩ (ميلادية) مات كثيرون بفعل كتلة ضخمة من ثاني أوكسيد الكربون وغازات ساخنة أخرى انهالت على الناس وخنقتهم.

أما كمية ثاني أوكسيد الكبريت البالغة نحو ١٥ مليون طن والتي قذفها بركان بيناتوبو الى الجزء الاعلى من الغلاف الجوي، فتحولت حبيبات صغيرة من حمض الكبريتيك.[١١] وسيبقى بعض هذه الحبيبات طافياً ثلاث سنوات في رياح دائرة حول الارض مما سيغير كيمياء الاجواء العليا ويدمر جزءاً من طبقة الاوزون على ارتفاع ٢٣ كيلومتراً فوق

---

(٧) North American Plate
(٨) Pacific Plate
(٩) العوالق (plankton) كائنات حيوانية ونباتية صغيرة طافية او معلّقة في المياه.
(١٠) Hydrogen sulfide
(١١) Sulphuric acid

ثورات براكين

بعد همود دام مئتي سنة، ثار بركان كراكاتوا في اندونيسيا فجأة عام ١٨٨٣ قاذفاً حمماً لاهبة من فوهته القابعة على ارتفاع ٨١٣ متراً. وكان لدوي انفجاره الهائل وقع صمّ آذان البحارة الموغلين مسافة ٤٠ كيلومتراً في البحر. وأطلقت ثورته غير المتوقعة أمواجاً زلزالية عملاقة تُعرف باسم "تسونامي" اندفعت غامرة الجزر القريبة مما أدى الى مقتل ٣٦ ألف شخص. ولسنوات عدة لاحقة ظل الناس في أنحاء العالم يشاهدون غيوماً ليلية وهاجة ناجمة عما قذفه هذا البركان من بخار ماء ورماد الى أجواء الارض.

وفي مايو (أيار) ١٩٨٠ انفجر بركان سانت هيلينز في ولاية واشنطن الامريكية، وهو واحد من اثني عشر بركاناً ناشطاً في سلسلة جبال الكاسكاد. وفاقت قوة انفجاره ٢٠ ألف قنبلة ذرية من الحجم الذي أُلقي على هيروشيما. فاقتلعت موجته الصادمة من الغازات والغبار والصخور المستعرة أشجار الغابات كأنها عيدان ثقاب. كما قذف انفجاره العنيف ٦٠٠ طن من الغبار والرماد الى الغلاف الجوي.

إلا أن ذلك لم يكن أسوأ ما شهده تاريخ تلك المنطقة.

فقد كانت أوريغون الجنوبية في ما مضى مجثماً لجبل مازاما الذي بلغ ارتفاعه ٣٦٦٠ متراً. بيد أن انفجاراً مرعباً حصل قبل نحو ٧٠٠٠ سنة فاقتلع الجبل قاذفاً في الاجواء أربعين ضعف كمية الرماد التي نفثها بركان سانت هيلينز. وتحول الجبل في لحظات بحيرة عمقها ٥٨٠ متراً تعرف اليوم باسم كريتر ليك (أي بحيرة فوهة البركان).

رؤوسنا التي تساعد في وقاية الارض من الأشعة فوق البنفسجية التي تُعتبر مسبباً رئيسياً لسرطان الجلد. لذلك فان تشمّسك في فناء دارك قد ينطوي هذه السنة على خطر اضافي بسبب انفجار أحد البراكين في أقاصي المعمورة.

طاقة بديلة. إن لتفجّر البراكين مفاعيل مدهشة أخرى. فعلى رغم الخطر الكامن في احتمال حدوث انفجارات مستقبلية، ما زالت البراكين تجتذب المزارعين لأن المحاصيل تنمو رائعة في أتربتها الغنية بالمعادن. ولقد توافد المنقبون الى كولورادو من أجل الذهب، والى نيفادا من أجل الفضة، والى أريزونا من أجل النحاس، غير عالمين أن تلك المعادن القيمة هي نتاج قوى بركانية.

إن بركان إريبوس في قارة القطب الجنوبي (أنتارتيكا) يذر، كلما تفجّر، جزيئات مجهرية من الذهب الخالص في أرجاء القارة البيضاء. والقنوات البركانية المعروفة باسم "أنابيب كمبرلايت" في أفريقيا الجنوبية وسيبيريا تحولت على مر الزمن مستودعات للالماس الناتج من الكربون المضغوط عند "جذور" البراكين الملتهبة. لذلك، حين يهدي الرجل الى حبيبته خاتم خطبة من ذهب وألماس، فانه يمنحها أفضل ثمار البراكين.

وينقب بعض العلماء اليوم عن "ذهب" جديد في تربة البراكين.

وتستحصل كاليفورنيا حالياً على ٥ في المئة من طاقتها من مصادر جيوحرارية كالينابيع الحارة شمال سان فرنسيسكو.

ويجري البحث عن أساليب أكثر تطوراً لاستخدام هذه الطاقة. ففي لونغ فالي تتولى "لجنة الطاقة في كاليفورنيا" بالتعاون مع وزارة الطاقة الامريكية، تمويل مشروع أبحاث قد يؤدي سنة ١٩٩٥ الى استخراج الطاقة الجيوحرارية من عمق ٦٠٠٠ متر تحت قشرة الارض. ويقول جون روندل رئيس علماء المشروع: "ان الطاقة الكامنة هنا هائلة. ومن شأن مصانع جيوحرارية منشأة في هذا الموقع وحده أن تنهل من مصدر طبيعي لطاقة نظيفة متجددة تعادل انتاج ٦٠ مصنعاً كبيراً للطاقة النووية."

ويضيف المهندس جون فنغر الذي يتولى ادارة عمليات الحفر في مشروع البئر الاستكشافية في لونغ فالي: "لو استطعنا استخراج الطاقة من الصخور المنصهرة في أعماق الولايات المتحدة لتمكنا من تزويد أمريكا الطاقة التي تحتاج اليها، بحسب المعدلات الراهنة، لأكثر من ١٠٠٠ سنة."

في هذه الاثناء، تعمل مختبرات لوس ألاموس في نيومكسيكو على تطوير "تكنولوجيا الصخور الساخنة الجافة."[١٢] فيعمد العلماء الى حفر بئرين متباعدتين ١٠٠ متر وعمقهما ألوف الامتار، ثم يلجأون الى ضغط المياه في احدى البئرين. فتسخن المياه اذ تجري بين الصخور الساخنة تحت الارض، ثم تندفع عائدة الى السطح عبر البئر الأخرى. ويرى مدير البرنامج ديفيد دوشان أن "هذه التقنية يمكن أن توفر طاقة نظيفة ومضمونة ورخيصة لمليارات الناس في أنحاء العالم، وهي الآن كامنة تحت أقدامنا."

لقد خاف أجدادنا من البراكين، لكنهم تعلموا استخدام النار. واليوم نتعلم نحن كيف نستخدم النار التي تشحن البراكين لتعزيز حياتنا.

لويل بونتي ■

(١٢) Hot Dry Rock Technology



معارضة

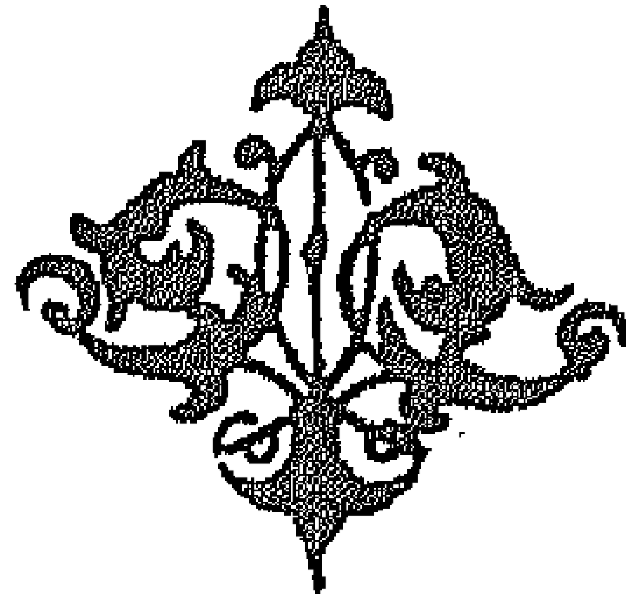
دخل مواطن مُعارض المستشفى وطلب مقابلة طبيب للعين والاذن معاً. فأخبرته الممرضة: "لا وجود لطبيب كهذا، فاذا كنت تشكو من علة في اذنك فاذهب الى طبيب آذان، وإذا كنت تشكو من علة في عينك فاذهب الى طبيب عيون."

فأصرّ المواطن: "لكنني متأكد من أنّ حالتي تحتاج الى طبيب اختصاصي بالحقلين معاً."

فسألته الممرضة: "وممَّ تشكو؟"

فأجاب: "انني أسمع شيئاً وأرى شيئاً آخر!"

ز.و.



دروسٌ وعِبَر من كاتب "حرّ"

لا شيء يشحذ العقل كالعيش في قلق دائم

قد لا تظنون أن مديري الشركات والمسؤولين الحكوميين والعمال العاديين يتعلمون الكثير من كاتب "حر"* مثلي. لكنهم يفيدون، بلا شك، من الدروس الصعبة التي يتلقنها يوميا معظم أولئك الذين هم في مثل وضعي.

اليكم ما تعلمته خلال خمسة عشر عاما من العمل الحر:

عليكم أن تنتجوا. اذا كنت موظفا حكوميا – كما كنت أنا قبل أن أصبح كاتبا حرا – ففي امكانك أن تجلس الى طاولة مكتبك وتثرثر مع رئيسك وتقبض راتبك في نهاية الشهر. يمكنك أن تغيب وتقدم تقريرا طبيا فتقبض راتبك. إن زخم المؤسسة يستوعب خمول الافراد. فالدخل منفصل كثيرا عن الانتاج.

أما الكتاب الاحرار فلا يقبضون فلسا واحدا ما لم ينتجوا. (وهم أحيانا لا يتقاضون فلسا واحدا وإن أنتجوا.) انهم لا يقدرون على فك رهن بيتهم أو تأمين قوت أولادهم ما لم يكدّوا لتسويق مقالاتهم.

لو أدرك العامل العادي خوف الكاتب الحر عندما يواجه فواتيره، ولو شعر بالعلاقة الصارمة بين الانتاج والنوم ليلا، لأصبح ندّا لأي عامل ياباني أو كوري.

ادّخروا. كل من يتقاضى شيكا في نهاية كل شهر يعرف أنه، اذا تدنى حسابه المصرفي في اليوم الاخير من الشهر فسيعود الى الارتفاع في اليوم

(*) Free-lance writer. وهو كاتب يعمل "بالقطعة" ولا يرتبط بدوام.

التالي. وهذا يقضي على حافز الادخار، وهو ما كان يحصل لي عندما كنت موظفاً.

أما الكاتب الحر فيعيش في حال من القلق الدائم. قد يقبض أربعة شيكات في أسبوع واحد، ثم لا يقبض شيكاً آخر طوال سنة. اذاً، لا يمكنه تجنب الفوضى العاطفية والمالية إلا بالادّخار الكافي. عليه أن يعصر نفقاته ويدخر في السنوات السِمان، لأنه يعلم أن سنوات عجافاً ستلي.

لو أدركت العائلة العادية ما يعانيه الكاتب الحر من عدم استقرار مالي، لكان الادخار عندنا جعل الادخار عند اليابانيين يبدو تبذيراً أثيماً.

لا تهدروا شيئاً. معظم موظفي المكاتب مغمورون بوفرة من التجهيزات واللوازم المكتبية يستهلكونها من غير حساب. عندما يدخل كاتب حر أحد المكاتب ويرى الاقلام والاوراق والملفات متوافرة مجاناً لأصغر موظف، يشعر كأنه ولد في محل لبيع الحلوى. فعلى الكاتب الحر أن يحسب حساباً لكل من هذه الاشياء.

عندما يتعطل أحد التجهيزات المكتبية، كآلة كاتبة أو ناسخة أو جهاز فاكس، فما على الموظف إلا أن ينادي المدير. لكن هذا الاسلوب لا يشجع على العناية بالتجهيزات الدقيقة والحساسة. أما الكاتب الحر فيعامل تجهيزاته كما يعامل طفله، لأنها قوام حياته.

أبدعوا ثم أبدعوا. على الكاتب الحر أن يستنبط دائماً أساليب وأفكاراً جديدة اذا أراد الاستمرار في بيع نتاجه. ولو اضطر المهندسون والعلماء في شركاتنا الى الابداع لكي يدفعوا فواتيرهم، كما يفعل الكتاب الاحرار، لحوّلنا شركة "سوني" اضحوكة.

الكتاب الاحرار في حرب دائمة، باستثناء قلة من الكتاب الاغنياء. فالخطر الاقتصادي جزء من حياتهم اليومية. وحق الاقدمية لديهم قد يتلاشى كلما تغيّر مدير تحرير أو توقفت صحيفة عن الصدور.

لكن هذا القلق يشحذ العقل على نحو مدهش. فهو يعلّم المرء دروساً على الآلات الحاسبة ودفاتر الشيكات، على الموظفين والمديرين أن يأخذوا منها عبراً.

بنجامين ستين ■

بيت نقاهة

وقع زوجي عن سلم وكسر ثلاث فقرات في ظهره. وكنت أنا انزلقت في المطبخ وكسرت اضلاعاً عدة. وعندما أصيب ابني بمزق عضلي أثناء التزلج تقدم باقتراحه الآتي: "ما رأيكم يا جماعة في أن نجلس على الكنبة ونربط أنفسنا اليها؟"

د.د.

أوقفوا هذا الضجيج

الضجيج يسبب طَرَشاً. وتفاديه سهل ولكن هل يسمع جيل الشباب نصحاً؟

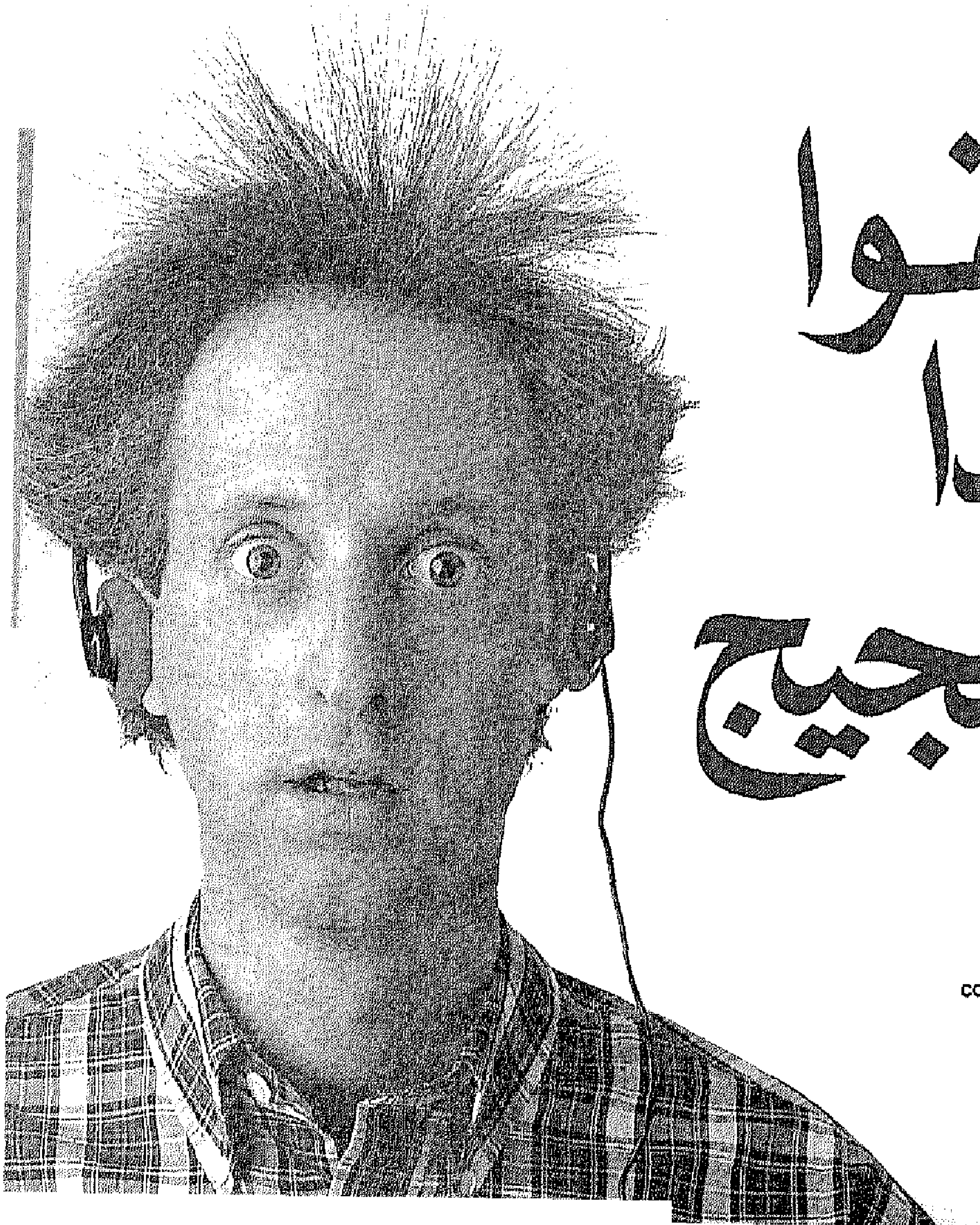
ذات يوم من العام ١٩٦٩ كانت فرقة "ساوندز إن موشن"[١] تتمرن على العزف في الطبقة السفلى لمنزلنا في احدى ضواحي شيكاغو. وفيما رحت أنا أعزف على الأرْغُن وقف والدي كعادته في أعلى السلّم صائحا: "أوقفوا هذا الضجيج والا أصبنا جميعاً بالصمم."

والآن أفكر بعد انقضاء أكثر من عشرين عاما: ليتني أصغيت الى كلام والدي.

لا أذكر متى بدأتُ أُجهد نفسي لكي أفهم المحادثات الجارية حولي، فأينما كنت، في المطاعم المزدحمة أو في الحفلات الصاخبة، كان يبدو لي أن الناس يغمغمون. وكان طنين عال يملأ أذني في هدير متواصل.

لكني لم أربط بين هذا الطنين

(١) Sounds In Motion فرقة موسيقية عزف فيها الكاتب ايام مراهقته.



CONDENSED FROM IN HEALTH
(JULY / AUGUST '90), © BY
HIPPOCRATES PARTNERS,
SAUSALITO, CALIF.
PHOTO: © MARTY UMANS

والسنوات الطوال التي أمضيتها في عزف موسيقى الروك، الا حين جاء بيْت تاونسند وفرقته «Who» الى المدينة ضمن جولة عام ١٩٨٩. وكان تاونسند اعتاد أن يختم حفلاته الموسيقية بتحطيم غيتاره في انفجار مدوٍ يصم الآذان، وها هو قد خفّ سمعه. وقدّ اعترف في مؤتمر صحافي بـ"تضحياته" في سبيل الروك اند رول قائلا: "تستيقظ ذات يوم فتجد أنك فقدت جزءاً من سمعك."

داخل حجيرة عازلة للصوت في المركز الطبي التابع لجامعة كاليفورنيا في سان فرنسيسكو، وضعتْ طوني ويل الاختصاصية بمشاكل السمع[٢] سماعة رأس على أذنيّ وناولتني زراً كهربائياً قائلة: "اضغط الزر كلما سمعت نغمة."

في البدء كان الأمر في منتهى البساطة. لكني ما لبثت أن بدأت أُجهد نفسي محاولا تمييز النغمات. وأخيراً، تناهى صوت ويل عبر السماعة ناقلا إليَّ خبراً لم أرغب في سماعه: لقد أظهر الاختبار ضعفاً واضحاً في حاسة السمع لدي.

ارتسم الخبر السيىء في خط بيانيّ سمعي[٣]، فلو كانت أذناي سليمتين لظهر خط مستقيم أو متموج قليلا. لكن الخط جاء أشبه بمقطع عَرْضي لوادي غراند كانيون[٤]: مستقيم يسرة (للاصوات الخفيضة) ومستقيم يمنة (للاصوات العالية جداً) وتتخلله خسفة على شكل "٧" في الوسط حيث خانني سمعي. كان ما أصابني نموذجاً كلاسيكياً لما تدعوه الكتب الطبية "جرح الضجيج"[٥] وهو ضرر تحدثه الضوضاء.

شرحت لي ويل أن الخلايات الحسية في أذني الداخلية، أي الخلايا التي تحوّل الموجات الصوتية إشارات عصبية، قد تضررت أو تلفت.

فسألتها: "أيمكن أن تُحدث الضوضاء ذلك؟"

أجابت: "قد لا يحدث الضرر دفعة واحدة، بل تلزمه سنوات من التعرض للضوضاء."

طرش باكر. تستجيب الأذن البشرية السليمة لنطاق واسع من الترددات[٦] يراوح بين هزيم رعد خافت قوته ٢٠ هرتز[٧] وصفرة مزمار قوتها ٢٠ ألف هرتز. ولأسباب لم يكشفها الخبراء إلا أخيراً، يظهر الخلل أولا كنقص في حساسية الاذن ازاء ترددات من نحو ٤٠٠٠ هرتز، أي ما يعادل الطبقة الصوتية لأعلى نوطات البيانو. فيصعب آنئذ التمييز بين أصوات "التاء" و"الذال" و"الشين". كما قد يصعب فهم أصوات الاطفال والنساء، خصوصا متى ترددت في خلفية من الضوضاء.

وعلمتُ أيضاً أن الطنين في أذنيّ هو

---

(٢) Audiologist
(٣) Audiogram
(٤) Grand canyon واد سحيق شمال غرب ولاية اريزونا الامريكية يجري فيه نهر كولورادو.
(٥) Noise notch
(٦) Frequencies
(٧) الهرتز (hertz) وحدة تردد تساوي دورة واحدة في الثانية.

عَرَض شائع آخر من أعراض الطرش وله اسم طبي[٨]. وكثيراً ما تنقل الأعصاب المتضررة رسائل خاطئة تتناهى كأنها طنين أو أزيز أو صفير. أما كيف يحدث ذلك فشأن ما زال يحير الباحثين.

قالت لي ويل: "تصاب الاذنان عادة بخلل موقت. وقد تتعافيان إن أُعطيتا فترة راحة. ولكن اذا استمر الضرر الناتج من الضجيج، فسيصبح الطنين مستديماً ويستحيل عندئذ استرجاع ما فقد من سمع، اذ متى زالت الخلايا الحسية فلا سبيل الى استعادتها."

تُعتبر حالات الطرش الناجمة عن التقدم في السن أمراً عاديا، خصوصاً بين سكان البلدان الصناعية. ففي الخمسينات أجرى صاموييل روزن الاختصاصي بمشاكل السمع اختباراً على قبيلة افريقية منعزلة على الحدود السودانية - الاثيوبية. فتبين له أن رجالا من أبناء القبيلة ناهزوا الثمانين قادرون على سماع دمدمة خفيضة عبر مسافة أطول من ملعب كرة قدم.

لكن قلة منّا ستنعم بمثل هذا الحظ، اذ تبين الاحصاءات أن بين كل ثلاثة أشخاص في الخامسة والستين من العمر واحداً يعاني ضعفاً في السمع يعسّر تخاطبه مع الآخرين. ويبدو أن كثيرين منا سيعانون هذه المشكلة قبل بلوغ الخامسة والستين.

الاذنان حساستان. في العام ١٩٦٨ اختبر الاختصاصي بمشاكل السمع ديفيد ليبسكوم سمع طلاب السنة الاولى في جامعة تنيسي. وكان مفترضا أن يكون سمعهم حاداً وهم بعد في الثامنة عشرة. لكن نحو ثلثهم أظهر دلائل طرش.

تشير غالبية الاختصاصيين بمشاكل السمع باصبع الاتهام الى موسيقى الروك اند رول. ففي الحفلات الموسيقية الحية تتجاوز مستويات الصوت ١٢٠ دسيبل[٩] أي ما يفوق ضجيج مثقاب صخور. وفي أوائل الثمانينات حمل موريس ميلر، رئيس قسم أمراض السمع في مستشفى لينوكس هيل بنيويورك، مقياس صوت خرج به الى الطرق وأخذ يوقف حملة اجهزة الستيريو ليقيس مستويات الاصوات المنبعثة منها. فوجد ان هذه الاجهزة الصغيرة تصبّ في الآذان الرهيفة أصواتا بقوة ١١٥ دسيبل أو أكثر.

أخبرني ميلر: "تبلغ ضوضاء القطار النفقي (المترو) نحو ١٠٠ دسيبل، أي ما يضطرك الى الصياح لاسماع صوتك. والصوت الذي تبلغ قوته ١١٠ دسيبل هو أعلى عشرة أضعاف. أما الصوت الذي تبلغ قوته ١٢٠ دسيبل فهو أعلى ١٠٠ ضعف، أي ما يكفي لاحداث ضرر دائم.

وتزيد أجهزة الستيريو في السيارات من قلق ميلر، اذ تصل مستويات أصواتها الى ١٣٠ دسيبل وربما أكثر، أي ما يعادل صوت إقلاع طائرة نفاثة.

---

(٨) tinnitus اي طنين الاذن.

(٩) الدسيبل (decibel) وحدة لقياس القوة النسبية للاصوات التي تراوح بين صفر لاضعف الاصوات المسموعة ونحو ١٣٠ للاصوات المؤلمة.

يقول ميلر: "نحن نستقبل الضحايا على الدوام، أشخاصا في الثلاثينات والاربعينات من العمر يعانون نوعاً من الطرش اعتدنا ملاحظته لدى أشخاص تخطوا سن التقاعد."

كالمتُ بيتر دالوس وهو اختصاصي بالامراض العصبية يعمل في مختبرات الفيزيولوجيا السمعية بجامعة نورث – وسترن، للاطلاع على الأسباب التي تجعل الاذنين سريعتي العطب الى هذا الحد. فأجابني: "يعود السبب جزئيا الى حساسيتهما البالغة."

أصوات عزيزة. ان الطاقة الصوتية التي تتناهى الى آذاننا من جراء وقوع دبوس قد لا تبلغ جزءاً من كُدْريليون[١٠] من الواط وهي كافية لتحريك طبلة الأذن مسافة أقل من قطر جزيء هيدروجين. مع ذلك نستطيع التعرف الى هذا الصوت وتحديد مصدره بدقة إن كنا نتمتع بسمع حاد.

ومتى اجتاز الصوت الاذن الوسطى عابراً العظمات الثلاث البالغة الصغر، تزداد حدَّته ٣٠ ضعفاً. وفي قوقعة الاذن الداخلية، وهي تجويف حلزوني الشكل تملأه مادة سائلة، تندفع موجات الصوت عبر غشاء مرن مثل أمواج صغيرة في بركة ماء. هذا الغشاء مبطن بصفوف من الخلايا الحسية – أو الخلايا الشعرية – التي تستجيب لترددات موجات صوتية مختلفة. يقول دالوس: "الصف الخارجي من الخلايا الشعرية قابل للعطب على نحو خاص، وما تعريضه لطاقة صوتية عالية إلا كتعريض شجيرات صغيرة لريح هوجاء. الطاقة تهز هذه الخلايا فتذوي في النهاية مخلفة طرشاً تدريجياً يتعذر تعويضه."

بيد أننا نستطيع تفادي مثل هذه العلل. فكما أخبرني موريس ميلر: "بتنا نعرف كيف نحول دون معظم أشكال فقدان السمع. ولكن من يصغي الينا؟"

أنا أصغي. فمذ رسم التخطيط ذلك "الجرح" في سمعي وأنا أصغي الى زقزقة العصافير ورنة البيانو والهمهمة المنبعثة من طاولة مجاورة. هذه أصوات عزيزة لا أريد أن أخسرها.

فما هي الطريقة المثلى التي تضمن لي ألا أخسرها؟ المطلوب، ببساطة، تجنب الأصوات العالية. قال لي ميلر: "إن وجدت نفسك مضطراً الى الصياح أثناء الحديث لكي تُسمع، فهذا يعني أن الضجيج المحيط بك عال جداً. وإن جلس شخص بالقرب منك وتمكن من سماع الموسيقى المنبعثة من سماعة الرأس الستيريو التي تضعها، فمعنى ذلك أن الصوت عال."

وتصبح الضجة أكثر ضرراً كلما طال سماعها. فالضجيج الصادر عن فرّامة لحم كهربائية يصل الى نحو ٩٠ دسيبل، وهذا مقدار لا يبعث على القلق اذا ما تعرض له المرء دقيقة أو دقيقتين. غير أن التعرض لتسعين دسيبل ثماني ساعات

(١٠) الكدريليون (quadrillion) رقم مؤلف من واحد الى يمينه ١٥ صفراً.

يوميا على مدى خمسة أيام في الأسبوع يسبب في النهاية تلفا دائما بحسب تقارير مديرية الصحة والوقاية المهنية في الولايات المتحدة. وكلما زاد الضجيج خمسة دسيبل قَصُرت المدة الكفيلة باحداث أذى دائم الى النصف. واذا ما بلغ الضجيج ١٢٠ دسيبل – كما في حفلة روك – وقع الضرر خلال أقل من نصف ساعة.

واقيات وسدادات. وتحمي الاذن نفسها من بعض الأصوات العالية بشدّ غشاء في الاذن الداخلية مما يؤدي الى كبح الصوت. غير أن الاصوات المفاجئة، كالمفرقعات النارية، تصم الاذن على حين غرّة وتؤذيها.

ولسوء الحظ، ليس سهلا تجنب الضجيج على الدوام. فأزيز المنشار الكهربائي يعرّض المرء لأكثر من ٩٠ دسيبل. وقد تصل هتافات الجماهير في ملعب كرة مكتظ الى ١٢٠ دسيبل داخل قاعة مقفلة.

وعندما يتعذر تفادي الضجيج، تصبح واقيات الاذن[١١] وسدادات الاذن[١٢] الخيار الافضل. وتؤمِّن الواقيات حماية تامة، لكنها ليست عملية دائماً. أما السدادات، فلا تقل عنها فاعلية إن هي استُعملت على نحو صحيح. وهي سهلة الحمل في الجيب أو في حقيبة اليد وتباع من دون وصفة طبية، ومنها نموذج شائع من المطاط الزبدي[١٣] القابل للتمدد وأخذ شكل قناة الاذن.

أخبرتني ربيكا ميريديث وهي اختصاصية بمشاكل السمع تعمل في سان فرنسيسكو، أنها تحتفظ بسِدادات أذن في متناولها لأن ابنتها المراهقة اختارت العزف على الطبل. قالت لي: "تصوَّر مدى الضجيج المنبعث من منزلي عندما تتمرن."

نعم، في ذهني صورة واضحة عن الوضع. فأنا ما زلت أذكر يوم وقف والدي في أعلى السلم صارخاً لكي نوقف ذاك الضجيج. بعد أكثر من ٢٠ سنة تعلمت أن أُبقي صوت الستيريو منخفضاً وأن أضع سِدادات كلما ركبت قطاراً أو طائرة.

عندما زارني أولاد أخي قبل أسابيع ومعهم "لعبهم" الجديدة، وهي أجهزة ستيريو عصرية صاخبة، شرحت لهم باسهاب مغبة الضوضاء. فرأيتهم يهزون رؤوسهم موافقين فيما شفتاي تتحركان. لكني أراهن على أنهم لم يسمعوا كلمة واحدة مما قلت.

بيتر جاريت ■

(١١) Earmuffs . وتكون في شكل غطاءين للاذنين موصولين برباط مطاط يستعملان للوقاية من البرد أو الضجيج.
(١٢) Earplugs . وهي مصنوعة من مادة مرنة تُدخَل في فتحة الاذن الخارجية لمنع الماء وكتم الاصوات.
(١٣) Foam

في كل حوار عنيد، لا يدافع المتحاورون عن الحقيقة وانما عن ايمانهم بعصمتهم عن الخطأ.
س.ك.

دروس وعبر من رجال ونساء لم يدخلوا جامعات لكنهم نجحوا وباتوا من أصحاب الملايين

الكل يعلم أن مفتاح النجاح هو شهادة من جامعة مرموقة. أليس هذا صحيحاً؟ "كلا،" يجيبك كثير من أنجح الرجال والنساء الاوروبيين الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم وتحدوا هذه الحكمة التقليدية عندما بدأوا حياتهم المهنية من دون تلك الشهادة القيّمة.

عصاميون

من هم هؤلاء؟ نذكر منهم جان مونيه مؤسس المجموعة الاقتصادية الاوروبية الذي توقف عن الدراسة في السن السادسة عشرة. وهو يقرّ قائلا: "لم أحب المدرسة أبداً." ومنهم أيضا ريتشارد برانسون مدير مجموعة شركات بريطانية[1] يفوق رأسمالها ملياري دولار. فهو أيضاً توقف عن الدراسة عمداً في السن الخامسة عشرة. ويقول: "شعرت بأن معظم الاعمال المدرسية مضيعة للوقت." وهناك آخرون ممن كانوا يحبون الذهاب الى المدرسة لكن ظروفهم اضطرتهم الى تركها بحثا عن عمل. ومن هؤلاء فرنسوا بينو الذي اضطر الى التوقف عن دراسته لمساعدة أهله في المنشرة، وهو الآن يرئس "مجموعة بينو"[2] إحدى كبرى الشركات في فرنسا التي يعمل فيها ثلاثون ألف مستخدم موزعون على ثلاثين دولة. وهناك أيضاً أولاف ثون أحد أقطاب القطاع العقاري في النروج الذي كان ينوي التخصص بالطب لكن مزرعة العائلة كانت في حاجة اليه.

من المؤكد أن الدراسة العليا تسهّل كثيراً مسيرة الصعود نحو النجاح، غير أن عدداً من أنجح الاشخاص أضطروا الى الاعتماد على مؤهلاتهم وقدراتهم الشخصية وحدها. وهذه بعض العبر المستمدة من تجاربهم.

١. اجعلوا من العالم جامعتكم.

كان هاينز غرايفنبرغر يحلم في صغره ان يصبح مهندساً. لكنه أضطر عام ١٩٥٢ الى ترك مدرسته في هامبورغ (المانيا) وهو لمّا يزل في الرابعة عشرة من عمره، مما وضع حداً لأحلامه. ثم راح يتنقل بين وظيفة وأخرى ويدخر المال.

---

(١) Britain's Virgin Group of Companies

(٢) Groupe Pinault

وعندما جمع ثمن تذكرة سفر في الدرجة الثالثة سافر الى اليابان وكان في الرابعة والعشرين من عمره. يقول: "كنت فضولياً وراغباً في التعرف الى تلك البلاد. آنذاك كان الاعتقاد السائد هو أن اليابانيين يقلّدون صناعات غيرهم إنما بنوعية سيئة. وكنت أشك في صحة هذا الاعتقاد. فدرست أساليب اليابانيين ورأيت أن في استطاعتهم صناعة منتجات ذات نوعية عالية."

وعندما رجع غرايفنبرغر الى المانيا (الغربية) مكّنته المعلومات التي جمعها ميدانياً عن الثقافة وأساليب العمل عند اليابانيين من الحصول على دعم مادي يسّر له تأسيس وكالة لتوزيع الأدوات الكهربائية من ماركة "ماتسوشيتا" تولى إدارتها لسبع سنوات. ثم اشترى شركته الخاصة عام ١٩٨١ وراح يعمل على توسيعها. واليوم تختص شركة "غرايفنبرغر أ ج"[٣] بالمنتجات الكهربائية والفولاذية. وفي العام ١٩٩١ فاق مجموع مبيعاتها ١٦٥ مليون مارك (نحو ١٠٠ مليون دولار). يقول غرايفنبرغر: "غالباً ما تكون فضلى الطرق الى النجاح غير تلك المتعارف عليها. لكن التعليم العالي في هذه الايام يلقن الشباب كيف يعيشون بأمان ضمن التقاليد المألوفة." لذلك يوصيهم بالسفر لمدة سنة واحدة، أو القيام بمشروع صعب في إحدى دول العالم الثالث.

عام ١٩٦٣ أسس فرنسوا بينو، وكان في السادسة والعشرين من عمره، شركته الخاصة للمنتجات الخشبية في موطنه بريتاني في فرنسا. وكان يضطر آنذاك الى الاستعانة بمحاسب الشركة لقراءة موازنتها. وفي رأيه ان "المهم هو أنك تستطيع دائماً أن تتعلّم من الآخرين. كان مستواي العلمي محدوداً، ولم أكن أملك رأسمال. كنت أعتمد على عزمي للقيام بما يتخطى حدود المنافسة." وهكذا تعلم بينو من جميع الذين التقاهم. وفيما كان أصدقاؤه يتابعون دراستهم الاكاديمية كان هو يتكلم الى العمال في ورشة المصنع. ويضيف: "لقد ساعدني ذلك على توطيد علاقتي بالعمال. وما زالت هذه العلاقة طيبة الى اليوم. إن لهذا الأمر حسنات كبيرة، خصوصاً عندما تكون رئيساً لشركة تضم عمالاً من جنسيات مختلفة."

اضطرت ماري – لويز غونتر الى ترك المدرسة من أجل العمل. ففي الخامسة عشرة من عمرها بدأت تعمل في محل يملكه والدها لبيع الأدوات الكهربائية في كمبتن بألمانيا (الغربية). وسرعان ما اكتسبت مبادىء العمل من أبيها ومن أصدقائه. ولكن عندما بلغت العشرين من عمرها اتصلت بإحدى كبرى شركات التوظيف في برلين لتدبير وظيفة لها. فتمّ استخدامها في مركز الشركة في نورمبرغ الذي اعتبرته بمثابة "معهد" لادارة الأعمال. وتقول: "كنت على يقين من أن في امكاني تعلّم إدارة الاعمال من خلال مراقبتها عن كثب. وهكذا كنت أراقب كل

(٣) Greiffenberger AG

ما يفعله المدير وأقلّده." وفي غضون سنتين أصبحت هذه الشابة، التي تتعلم بسرعة، مديرة مبيعات في ثمانية مكاتب. لكنها قدمت استقالتها عام ١٩٨١ حين بلغت الرابعة والعشرين من عمرها، وأسست في ميونيخ شركتها الخاصة للتوظيف مطلقة عليها اسم "مؤسسة غونتر لخدمات المكاتب."[٤] وقد اتسعت هذه المؤسسة وانتشرت فروعها في أنحاء العالم. أما صاحبتها فتقول وقد بلغت السابعة والثلاثين: "أن نعرف متى نتعلم من الآخرين هو أحد أسرار النجاح."

٢. استمتعوا بعملكم.

العمل الشاق والتصميم القوي هما من متطلبات النجاح الأساسية. "لكن النجاح يأتي أيضاً من قيامكم بأعمال تحبونها." هذا ما تقوله سيلفيا توت المديرة القديرة لمؤسسة "كونتنت بهير"[٥] الرائدة للموارد البشرية في هولندا. كانت توت تعمل في وظيفة موقتة دبرتها لها إحدى شركات التوظيف يوم كانت لا تزال فتية. وبعد فترة وجيزة عرضت عليها تلك الشركة وظيفة عالية. عندئذ لم تكن توت تشعر بأنها تملك الخبرة اللازمة لادارة مؤسسة لها خمسة عشر فرعاً في أنحاء هولندا. كانت الوظيفة الجديدة تعتمد أساساً التعامل مع الناس، وهذا ما كانت توت تحبه. قالت: "كنت أعلم أن عليَّ أن أحاول." ونجحت المحاولة الى حدّ انها تمكنت مع بعض زملائها من شراء الشركة في منتصف الثمانينات، وأصبحت بذلك المرأة الوحيدة في هولندا التي ترئس مؤسسة تظهر على لائحة البورصة الهولندية. وتعلن توت: "في البداية، من المهم جداً أن تحبوا عملكم وتضعوه في أعلى سلّم أولوياتكم. لا تأبهوا للأجر في بادىء الأمر، ولكن ابحثوا عن مكان ترتاحون فيه. ثم، بعدما تقعون في هوى عملكم، يأتيكم المال والنجاح تباعاً."

ويوافقها ريتشارد برانسون الرأي، فيقول: "مذ كنت في الخامسة عشرة من عمري وأنا أعمل ليلاً ونهاراً. ولكن، عندما يشعر المرء بأن عمله هو أشبه بهواية فإنه لن يبدو له عملاً شاقاً." برانسون اليوم في الحادية والاربعين من العمر ويُعتبر أصغر ملياردير في بريطانيا. وهو يقول إن جمع المال لم يكن يوماً هدفه الأساسي، لكنه، ببساطة، كان يبذل كل طاقاته في سبيل أي مشروع يثير اهتمامه، موضحاً أن "كثيرين من المقاولين الانكليز تركوا المدرسة في السن الخامسة عشرة أو السادسة عشرة. والفائدة في ذلك هي أن المرء غالباً يحقق ما يدهشه. ذاك لأن أفضل سبل النجاح هو القيام بعمل نحبه، والمال يأتي نتيجة ثانوية."

٣. كونوا مرنين.

يعتبر الناجحون أن التغيير حليفهم لا

(٤) Günther Bureau Service System
(٥) Content Beheer N.V.

عدوهم، وهم يجعلونه خادما لمصالحهم. فعندما كان جيلبير تريغانو فتىً يافعاً يعيش في باريس، كان متحرقاً الى الحصول على مهنة في المسرح أو السينما. فدرس التمثيل، وجال في بعض المناطق الفرنسية مع فرقة انضمّ اليها، وأُسند اليه دور في أحد الأفلام. ثم أندلعت الحرب العالمية الثانية، فتطوع تريغانو في صفوف الجيش. وحين انتهت الحرب عمل في مؤسسة لصناعة التربولين (القماش المشمع) تملكها عائلته، ولم يعد الى التمثيل منذ ذلك الحين. وفي العام ١٩٥٤ التحق بشركة حديثة العهد تسوّق أسلوباً جديداً في تمضية العطلات. وبعد سنتين أصبح مديرها. أما اليوم، فتملك مؤسسة "نادي البحر الأبيض المتوسط"[٦] هذه ١١٠ منتجعات سياحية في أنحاء العالم. وأما جيلبير تريغانو فهو اليوم في الحادية والسبعين من عمره، ولا يزال يدير مؤسسته. ويقول: "لولا الحرب لكنت الآن ممثلا أو مخرجاً. أني غير آسف للتغيير الذي حصل. والواقع أن المرونة هي الاسلوب الذي اعتمدته في غالبية المفاوضات المتعلقة بالعمل. فالمفاوضات المرنة، كما المواقف المرنة، تفرز رابحين."

٤. جازفوا بحذر.

النجاح هو مكافأة المجازفة. نشأ بيتر ريغبي في ليفربول وسط عائلة فقيرة. ولدى بلوغه سن الثلاثين استطاع بجهده الدؤوب أن يصل الى مركز رفيع في شركة أمريكية كبيرة لصناعة أجهزة الكمبيوتر. كان يتباهى بأجره المضمون، وبسّيارة الشركة، وبمكانته المرموقة. لكنه بلغ أعلى المراتب التي تتيحها له تلك الوظيفة، فقرر الانطلاق في مشروعه الخاص. وعلى رغم أنه كان أباً لطفلين، وعليه رهن عقاري، فقد صمم على المجازفة معتمداً حدسه. آنذاك كان السواد الاعظم من الناس يعتبرون الكمبيوتر مجرد لعبة. لكن ريغبي كان يتوقع للكمبيوتر الشخصي[٧] نجاحا كبيراً. وخلال السنوات القليلة اللاحقة كان يكسب رزقه بمشقة، غير أنه استمر في سعيه طارقاً أبواباً عدة لتحقيق حلمه، الى أن بدأت العروض تتدفق عليه، فثبت أنه كان على صواب. واليوم يبلغ ريغبي الثامنة والاربعين من العمر، ويملك مؤسسة خاصة لتوزيع الكمبيوتر جعلته من أغنى رجال الأعمال في بريطانيا.

أما ريتشارد برانسون فقد قرر تأسيس شركة طيران فور إعلان الافلاس المثير لمتعهد الرحلات الجوية فريدي ليكر. ويقول برانسون متذكراً: "من المحتمل أن الأمر كان يبدو جنونياً، لكني كنت مقتنعاً بأن المجال واسع أمام شركة طيران جيدة تعبر المحيط الاطلسي." وللحال أبدى اثنان من شركائه تخوفهما. فشركة "فيرجين" التي كان برانسون يديرها آنذاك، كانت تُعنى بصناعة

(٦) Club Méditerranée

(٧) Personal computer

الاسطوانات. وكان برانسون يجهل كل ما يتعلق بشركات الطيران. واذا فشل مشروعه فانه يكون جازف بكل أرباح شركته وقادها الى الافلاس. لكن برانسون وجد طريقة يقلل بها من خطر مجازفته، اذ عقد صفقة مع شركة "بوينغ" تقضي بأن يعيد اليها أولى طائرات "٧٤٧" (جمبو) لقاء غرامة متواضعة اذا أخفقت شركته. وهكذا أصبح حراً للتركيز على مغامرته. وبحلول العام ١٩٩٠ كانت شركة "فيرجين للطيران عبر الاطلسي"[٨] تملك أسطولا من ثماني طائرات "بوينغ ٧٤٧ إس" وتنقل سنوياً نحو مليون راكب. وينصح برانسون بما يأتي: "احموا مواطن الضعف دائماً. ان رجل الاعمال الناجح ليس من يُقدم على المجازفات الكبيرة، بل من يميز الرهانات المضمونة."

٥. حوِّلوا المضار منافع.

أيعقل أن يكون الحرمان من التعليم العالي لمصلحتكم؟

يعتقد فرنسوا بينو أن هذا صحيح، ويقول: "عندما لا تتخرجون في جامعة فانكم تمضون بقية حياتكم عاملين لتعويض ذلك الحرمان. فتكونون دائمي التيقظ وتبقون عيونكم مفتحة وآذانكم مصغية." لقد أمضى بينو ثلاثين عاماً في العمل، وخلص الى الاعتقاد أن السنوات الطويلة التي يقضيها المرء في المدرسة قد تعطل حدسه وحس التمييز لديه. ويضيف: "إن الاشخاص الذين صنعوا أنفسهم بأنفسهم يأخذون قرارات بسرعة معتمدين ملكات لا نتعلمها في المدارس، كقوة الشخصية والعناد وصلابة العزيمة."

وفي النروج، يتذكر أولاف ثون كيف بدأ تأسيس امبراطوريته العقارية في الخمسينات. فخلال الحرب العالمية الثانية أدت التدابير التي فُرضت على الايجارات الى الحدّ من الأرباح، مما حدا النروجيين على وضع أموالهم في المصارف بدلا من توظيفها في العقارات. لكن ثون كان على يقين من أن تلك التدابير لن تدوم. فبدأ يختار أبنية تقع في الوسط التجاري. وسرعان ما أصبح يملك أكثر من مئة عقار.

أما لماذا لم يحذُ الآخرون حذوه، فيجيب: "أظن أنهم كانوا يفتقرون الى الخيال الواسع لرؤية ما هو واضح." ويعتقد ثون أن التعليم الأكاديمي يجعل الناس يفكرون في اتجاه واحد، لكن الحياة لا تسير دائماً في مثل هذا الخط المستقيم. واليوم يملك ثون شركة "ثون أيندومسلسكاب"[٩] كبرى الشركات العقارية المسجلة في بورصة أوسلو.

٦. شككوا... لا تشككوا.

لا يملك الناجحون وقتاً للشك المحبط. ويقول هاينز غرايفنبرغر: "إن أسوأ ما يمكن أن يحلّ بمن لا يحملون شهادات جامعية هو أن يمضوا حياتهم وهم يعانون

(٨) Virgin Atlantic Airways
(٩) Thon Eiendomsselskap

مركّب نقص. عليهم أن يعوا أن خبراتهم المهنية قيّمة كما العلوم الأكاديمية."
وعندما يختار غرايفنبرغر موظفي شركاته فانه يبحث عن ذوي الشخصية القوية الخلاقة والروح المرحة لأنها تساعد على تخطي الصعاب. وإذا كان هؤلاء يحملون شهادات عالية، فهذه زيادة خير.

وجيلبير تريغانو بدوره يُسقط من حساباته جميع أشكال التشاؤم، فيقول: "أتبع في حياتي قاعدة واحدة هي عدم الاستسلام أو الشعور بالاحباط عندما تتعثّر الأمور. فأكتشف الأخطاء، وأحلل أسبابها، ثم أبدأ من جديد. فالحزن والمرارة لا يجديان."

وعندما يبحث فرنسوا بينو عن موظفين لشركته فانه يختار الذين لا يقتنعون بالعمل الرتيب بل يؤمنون بالتجديد. وهو ينصح الشباب في بداية حياتهم المهنية: "عندما تساوركم فكرة ما، أو تبتغون تجربة مشروع ما، عليكم ان تبذلوا قصارى جهدكم في سبيلها. فان أسوأ الفشل يكمن في الاحجام عن التجربة."

بدأ أولاف ثون حياته المهنية صبيا صغيراً يلتقط التوت البري في الغابات ويبيعه للمارة. وقد تعلم درسا من مهنته الاولى هذه. لذا، يقول للشباب الذين يتذمرون من عدم توافر فرص عمل لهم: "لا تزال الغابات مليئة بالتوت. ورجال المستقبل الناجحون هم أولئك الذين يذهبون لالتقاط التوت ويبيعونه للشاكين من البطالة."

جوزف هاريس ■



شعارات

كنت اقود سيارتي في أحد شوارع المدينة عندما برزت من طريق فرعية حافلة صغيرة مسرعة يملكها تنظيم اصلاحي اجتماعي. ويبدو ان السائق لم ينتبه لوجودي مما اضطرني الى التوقف لتفادي الاصطدام. وعلى رغم انزعاجي وامتعاضي من قيادته فانني لم أتمالك عن الابتسام عندما قرأت شعار التنظيم مكتوبا على مؤخر الحافلة: "شعب ذو رؤيا."

ش.و.

ابن حلال

افتقدتُ دراجتي ذات صباح في فناء البيت حيث أودعها عادة. وبعد ثلاثة أيام فوجئت بالدراجة في مكانها العادي مع رسالة ملصقة على المقود جاء فيها: "سيدي، كنت أخشى أن افوّت موعداً مهماً فاضطررت الى استعارة دراجتك. أرجو أن تسامحني. تجد مرفقاً قفلا جديداً هو بالتأكيد أضمن لسلامة الدراجة من القفل القديم. مع تحياتي."

ت.ب.

تأملات معاصرة

الاذية

■ تحتاج الاذية الى عدو وصديق يعملان معاً: الاول ليشهِّر بك والثاني ليأتيك بخبر التشهير.

مارك توين، كاتب وفكاهي امريكي

اليوم والغد

■ ليكن أملك منصباً على اللحظة التي تعيشها. هناك أوقات يصعب فيها الايمان بالمستقبل، وذلك عندما نفتقد الشجاعة الكافية. حين يحدث ذلك، ركز على الحاضر. تمتع بما تيسر من السعادة ريثما تستعيد شجاعتك. تطلَّع الى جمال اللحظة الآتية، الساعة الآتية، الوعد بعشاء لذيذ، بفترة راحة، بكتاب، بفيلم. تذكر ان النجوم ستطلع الليلة، وغداً ستشرق الشمس. تمسك بالحاضر الى أن تنمو قدرتك على التفكير في الغد.

ارديس ويتمان

حياة بلا أخطار!

■ ان الرغبة في مجتمع خال من الاخطار هي من أقوى العوامل الموهنة في امريكا حالياً. فهي تضعف الاقتصاد بكتلة من قوانين السلامة وبخوف من التعرض لمواجهات قانونية.
هناك بالتأكيد مبدأ "مستوى الخطر غير المقبول"، لكن حدود المخاطرة المقبولة خُفضت الآن في أمريكا الى حد أن البلاد صارت ترفض دفع الثمن المترتب على سعي الانسان الى التقدم.
لو انتشرت مظاهر الخشية الجديدة التي اصابت أمريكا بين شعوب الفايكنغ، لاعتبرت سفنهم بمقدماتها الجسريئة وهياكلها الهشة غير صالحة للابحار، ولبقي الاسكندينافيون القدامى في بلادهم يمارسون رياضة الركض.

هنري فيرلي

أبواب الفرص

■ نحن مولودون في قاعة فسيحة تضم جدرانها ألف باب للفرص. كلُّ باب مشرع على العالم الخارجي، والقاعة مغمورة بالضوء والضجيج. قد نغلق بعض هذه الأبواب عمداً، بخوف تارة وبثقة أكيدة طوراً. وتنغلق أبواب أخرى من تلقائها وبهدوء بحيث نكاد لا نلحظ انغلاقها.

ت.ت.

البساطة

■ يا لروعة الطبيعة! لم أرَ في حياتي رجلا أقدره الا وكان طبيعياً وبسيطاً على الدوام. فالتكلّف هو دائماً سمة غير الواثق بنفسه.

ش.غ.د.

سيرك الحياة

■ أن يكون المرء أباً أو أماً لمراهق يجعله بهلواناً متمرّساً. فهو يسير دائماً على السلك الرفيع بين الحدود القصوى والحدود الدنيا، بين التطفل والاهتمام، بين الجهل ومعرفة كل شيء. وعليه أيضاً أن ينسجم والواقع، وفي الوقت عينه يقف صلباً كصخرة عندما تدعو الحاجة الى ذلك، وما أكثر ما تدعو.

هلن بوتل

الشباب

■ الشباب كالربيع، فصل مبالغ في اطرائه يتميز بالرياح القارصة أكثر منه بالنسائم اللطيفة. أما الخريف فهو الفصل الاكثر طراوة ولطفاً. وما نخسره فيه زهراً نعوضه ثمراً أطيب.

صاموئيل باتلر، روائي وناقد بريطاني

الحب لا يُحتكر

■ العالم مليء بامور مهمة ومثيرة. والهدف من الخطبة والزواج تامين ضمان لشخص تود أن تمسك بيده وتنطلق واياه في ينبوع التسلية هذا، فيصل كل منكما الى اكتشافاته، تتقاسمان بعضها وتتكلمان على البعض الآخر. وسيكون مملاً كل من يحاول أن ينافس العالم باجمعه ساعياً الى احتكار اهتمام شخص آخر. وعبارة: "لمَ لا تريد أن تتحدث اليّ البتة؟" ليست ناجحة في بدء محادثات زوجية، في حين لا تخيب عبارة: "أتعرف؟..."

ج.م.

الاتصال البشري

■ يمكنك بث رسالة حول العالم في خُمس ثانية، لكنها قد تستغرق سنوات لتصل من خارج عقل انسان الى داخله.

تشارلز كيترنغ

مراتب وأولويات

■ يستشهد بعض رجال الاعمال القصيري النظر بقول للمدرب الرياضي الشهير فينس لومباردي: "ليس الربح هو الأمر الأهم، انه الأمر الوحيد." قد تجدي هذه الكلمات في بثّ الحماسة في فريق رياضي، لكنها في عالم الاعمال هراء محض. ولومباردي نفسه قال مرّة إنه يتوقع من لاعبيه ثلاثة ولاءات: للّه، ولعائلاتهم، ولفريقهم الرياضي... "وبهذا الترتيب." فهو ادرك أن ثمة اموراً أهم من اخرى.

وقد يبالغ بعض رجال الأعمال في افتخارهم بمؤسساتهم، لكن مصلحة المجتمع تسمو فوق مصلحة اي شركة. كما أن القيم الأخلاقية العالمية تسمو فوق اي قيم محلية ضيّقة. ولا يمكن احداً أن يتفوّق في عمله، أكان رجل أعمال أم طبيباً أم مهندساً أم محامياً، ما لم يدرك مكانة العمل في ترتيب الامور.

جون اكرز، رئيس شركة "أي. بي. إم"

تفاءلوا

■ قد يثبت المتشائم وجهة نظره في المدى البعيد، لكن المتفائل يكون سبقه في الرحلة.

د.ر.

ان الخطر اليومي المحدق بقلبك لا يأتي من الساعة المنبهة قرب سريرك

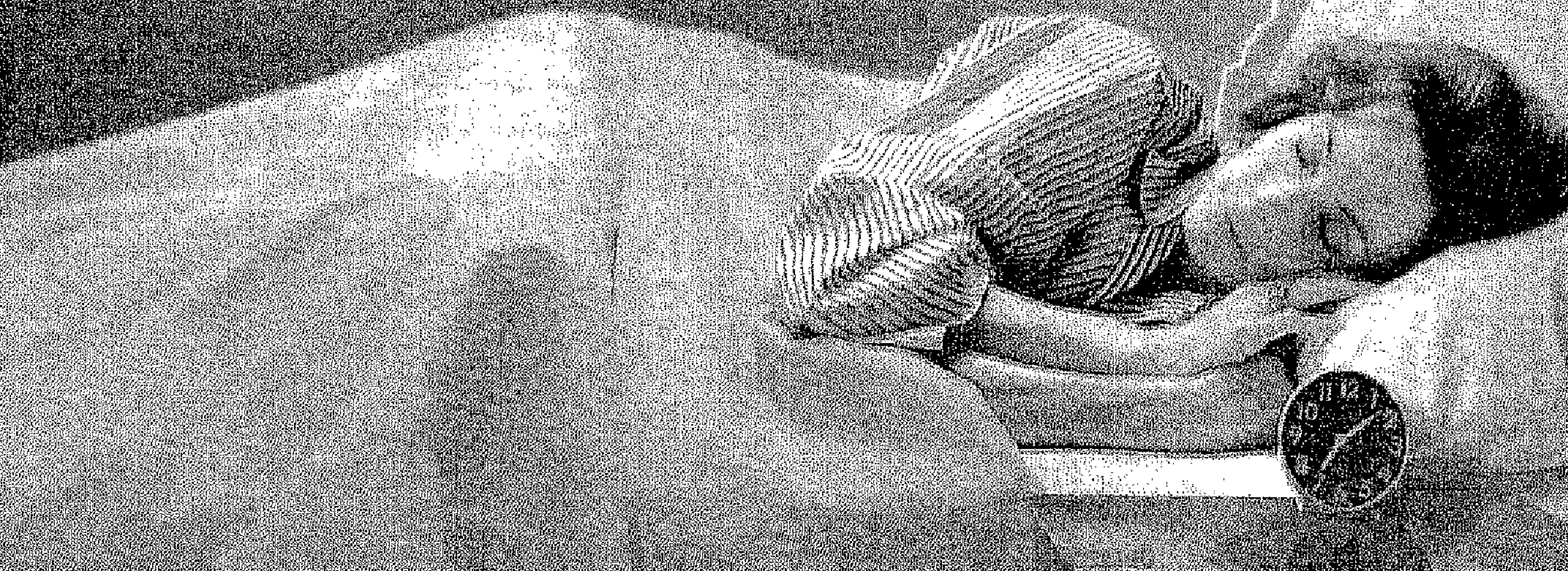
بل من ساعة بيولوجية تنبض داخل جسدك

أخطر ساعات النهار

تستيقظ بعد نوم عميق وتهم بالنهوض من السرير. حذار، فانت تستهل الفترة الاكثر خطراً في يومك.

أنت معرض خلال الساعتين التاليتين، او نحوهما، للاصابة بنوبة قلبية او بسكتة دماغية (فالج) أكثر مرتين او ثلاث مرات مما في ساعات المساء التي تعتبر الاكثر سلامة من حيث مشاكل القلب والاوعية الدموية. وتفيد دراسة تولتها مديل ديكلر الاختصاصية بوظائف الاعضاء اثناء النوم، ان الوقت بين السادسة والعاشرة صباحاً هو متوسط الفترة التي يطرأ فيها كثير من مسببات الموت الرئيسية الاخرى، كالاعتلال القلبي الاحتباسي (الاسكيمي)[1] والسرطان والالتهاب الشعبي والربو وانتفاخ الرئة.

(١) Ischemic heart disease والاسكيمية فقر دم موضعي ناتج عن عقبات تعترض تدفق الدم في الشرايين.



كان الأطباء حتى فترة قصيرة خلت يلقّنون أن جسم الانسان يحيا وفق اتزان بدني[2] يتغير قليلا خلال النهار. لكن علم البيولوجيا الزمنية[3] الذي يتناول تأثير الوقت في الحياة بدأ يطلق ثورة طبية بكشفه مدى تغير أجسامنا في سياق التواتر اليومي للنظم البيولوجية.

تقول لورنس شفينغ الاختصاصية بعلم البيولوجيا الزمنية: "هذه النظم البيولوجية الطبيعية مهمة وحيوية مثل دقات القلب. ونحن، بتعلمنا أسرارها، نكتشف طرقاً جديدة للوقاية من الأمراض وعلاجها. فما من وظيفة في أجسامنا إلا ولها نظامها الخاص، لأن انتفاء النظم البيولوجية يعني الموت."

أخطار متربِّصة. ينخفض ضغط الدم خلال النوم، وتهبط حرارة الجسم أكثر من نصف درجة مئوية عما بلغته خلال فترة بعد الظهر، ويتجمع بعض الدم في الأطراف. وفي الصباح يتعين على الجسم أن ينتفض من مرحلة النوم الى مرحلة اليقظة بدفق من مركبات كيميائية مهيِّجة تدعى كاتيكولامين.[4] فتزداد سرعة نبض القلب وتتقلص الأوعية الدموية مما يؤدي الى ارتفاع ضغط الدم وانخفاض تدفقه الى عضلات القلب، الامر الذي قد يؤدي الى الاصابة بذبحة صدرية أو اسكيمية أو الى موت مفاجىء ينجم عن احتشاء عضلة القلب.[5] أما إذا كانت رقائق الكولسترول المتصلبة تكسو الشرايين، فقد ينفلت فُتاتها ويتسبب في جلطات تؤدي الى نوبات قلبية.

ويحتوي الدم أيضا على حبيبات خلوية تدعى صفائح[6] تنزع الى التلاصق خلال ساعات الصباح هذه. فعندما تتزامن قفزتك من السرير مع دفق من الكاتيكولامين لتحريك الدم في جسدك، يكون دمك وقتئذ بلغ أوج كثافته وذروة نزعته الى التخثر. كما أن اسراعك لارسال الأولاد الى المدرسة والاستعداد للعمل يضفيان توتراً عاطفياً على اجهاذك الجسدي.

الخطر اليومي المحيق بالأوعية القلبية لا يصدر عن الساعة المنبهة قرب سريرك، بل عن ساعة بيولوجية تنبض داخل جسدك.

يقول الدكتور جايمس مولر الاختصاصي بأمراض القلب: "أياً تكن الساعة التي تستيقظ فيها، فان أوج خطر الاصابة باحتشاء عضلة القلب يبقى متربصاً بك طوال ساعتين أو ثلاث ساعات بعد استيقاظك."

ان ضوابط الوقت الرئيسية في أجسامنا تتيح لنا التزامن ودورتي الليل والنهار لأنها، على غرار قادة الفرق الموسيقية، تتولى تنسيق مئات الوظائف داخلنا. وتتحرك أجسامنا خلال النهار وفق تواتر داخلي معقد من مد وجزر للهرمونات وخلايا المناعة والمنْحَلّات الكهربائية[7] والاحماض الامينية.

---

(٢) Homeostasis
(٣) Chronobiology
(٤) Catecholamines
(٥) Myocardial infarction
(٦) Platelets
(٧) Electrolytes

PHOTOS: (LIGHTNING) © TSW; (WOMAN) ERNEST COPPOLINO

صباحيون ومسائيون. إن الاعتقاد السائد أن بعض الناس هم صباحيون كالقبَّرة، والبعض الآخر مسائيون كالبوم، أصبح الآن حقيقة راسخة. فلقد أظهر قياس التواتر اليومي للنظم البيولوجية أن سرعة نبض القلب تبلغ أوجها عند "الصباحيين" بين الاولى والثانية بعد الظهر، فيما تبلغ أوجها عند "المسائيين" بين الخامسة والسادسة والنصف مساء. فالصباحيون يفرزون كميات أكبر من هرمون الادرينالين المنبه خلال ساعات الصباح، يستتبعها انخفاض في مستويات الاداء خلال النهار. أما المسائيون فيبدأون نهارهم بوتيرة أبطأ ومستوى متوسط من الادرينالين، ويتحسن نشاطهم خلال النهار وفي ساعات المساء الاولى.

ويبلغ معظم الناس ذروة نشاطهم الفكري والذاكريّ ضمن فترة وجيزة تمتد من ساعات الصباح الأخيرة إلى بعيد الظهر. وقرابة الاولى بعد الظهر تبدأ الطاقة والفاعلية في الانخفاض. وهذا يفسر ما درج عليه بعض شعوب حوض البحر الابيض المتوسط من اقفال للمحال التجارية خلال فترة بعد الظهر طلباً للقيلولة.

أما ردود الفعل الارتكاسية والمهارة اليدوية والقدرة على تحمل التمارين البدنية فتبلغ أوجها خلال فترة بعد الظهر. وتدل الأبحاث على أنه ابتداء من هذا الوقت وحتى أوائل العشية يؤدي الرياضيون أفضل أدوارهم. وتعتبر الفترة الواقعة بين السادسة والنصف والثامنة والنصف مساء الوقت الامثل للدراسة وتوثيق الذاكرة.

إلا أن لساعات المساء الاولى جانباً مظلماً، إذ إنها تتضمن ذروة يومية ثانية في نوبات القلب وإن أقل شأناً من ذروة الصباح.

غالباً ما يراجع الطلاب دروسهم للامتحانات في ساعات متقدمة من الليل أو في ساعات الصباح الاولى. الا أن الابحاث أظهرت أن الذاكرة الطويلة الأمد والقدرة على الفهم والحفظ تكونان في أدنى مستوياتهما خلال هذا الوقت.

ويزداد الشعور بالألم عموماً خلال النهار ويبلغ أوجه في وقت متقدم من الليل. ولكن، مع الصباح، قد يكون الجسم ضاعف مستوياته الليلية من الاندروفين البائي[٨] الذي يساعد في تخفيف الألم. وهذا، بحسب اعتقاد الباحثين، هو ما يزيد قدرة الجسم على تحمل الألم خلال الساعات التي تلي النهوض من النوم.

النوم، لمعظمنا، هو الوقت الذي تتجدد فيه الحياة. فخلال الدقائق التسعين الاولى أو نحوها من النوم، نبلغ ذروة مخزوننا اليومي من هرمون النمو الذي يتيح لأجسامنا التجدد. أما بالنسبة الى النساء الحوامل، فيبدأ المخاض عادة في الساعات التي تقع بين منتصف الليل والرابعة فجراً. ويعتقد مايكل سمولنسكي الاختصاصي بعلم البيولوجيا الزمنية أن

(٨) Beta endorphins

"المخاض والولادة في الصباح الباكر هما جزء من إرثنا الجيني الذي قد يعود اليه الفضل في الحفاظ على بقاء الاجناس."

تدابير شافية. نحن نستطيع، اذا ما فهمنا ساعتنا الجسدية، أن نحسِّن صحتنا ونعزز قدرتنا على البقاء. فان لم ندرك، مثلا، أن حرارة الجسم الطبيعية ترتفع من الصباح الى المساء ما بين نصف درجة ودرجة مئوية، فاننا قد نخطىء قراءة ميزان الحرارة، لأن ٣٧،٢ درجة مئوية قد تشير الى العافية في الخامسة مساء، لكنها قد تدل على مرض في السابعة صباحاً.

وتأثير العقاقير هو أيضاً رهن بنظمنا البيولوجية. فهناك أطباء كثيرون يأخذون ساعة المريض البيولوجية في الاعتبار لدى إعطائه أدوية قوية لمعالجة السرطان، لأن أدوية العلاج الكيميائي قد تكون سامة جداً للكليتين في وقت ما من النهار وأقل ضرراً في وقت آخر. ويقول الدكتور وليم هروشسكي: "لكل من الأدوية العشرين أو نحوها المضادة للسرطان وقت أمثل خلال النهار."

وثمة عقاقير قد تخفف من خطر الاصابة بنوبات قلبية، كالاسبيرين. وقد أظهرت دراسة شاملة أن تناول قرص أسبيرين كل يومين يخفف خطر حصول نوبات قلبية بنسبة ٤٥ في المئة عموماً، كما يخفف من خطرها الصباحي بنسبة تزيد على ٥٩ في المئة. الا أن على المرء استشارة طبيب قبل تناول الاسبيرين بهذه الوتيرة.

والى العقاقير، هناك طرق أخرى تجعل صباحاتك أقل إجهاداً، وربما أقل خطراً. اضبط ساعة المنبِّه لتفيق في وقت أبكر يتيح لك مط ذراعيك ورجليك كما يفعل كلبك أو قطتك. فهذه الحركة تحرك الدم المتجمع في الاطراف. لكن إياك أن تعرض نفسك لصدمة حرارية ناتجة من حمام ساخن جداً أو بارد جداً، لأن من شأن ذلك أن يرفع ضغط الدم. ثم تناول طعام الفطور. تقول الدكتورة ريناتا شيفكوفا: "إن اغفال تناول الفطور يزيد، كما يبدو، نشاط الحبيبات الخلوية وقد يساهم في حصول نوبات قلبية وسكتات دماغية خلال ساعات الصباح."

ولكي تتفادى ما قد يحصل لك من "كآبة" لدى العودة الى العمل بعد عطلة نهاية الاسبوع، عليك ألا تغير برنامجك اليومي في العطلة. فساعتك البيولوجية تعمل خلال العطل وفق دورة مداها نحو ٢٥ ساعة. وخلال الاسبوع، يستخدم جسدك ساعات ميكانيكية ومواقيت طعام وأنماطا أخرى كيما يتأقلم مجدداً مع دورة الـ٢٤ ساعة. أما عطل نهاية الاسبوع فتغريك بالسهر والتأخر في النوم صباحا مما يؤدي بك الى تلكؤ زمني يصيبك باجهاد أنت في غنى عنه.

فاذا أحسنت استخدام دورة ساعتك البيولوجية أمكنك أن تخفف الاخطار اليومية المحدقة بك وتطيل أيام حياتك.

لويل بونتي ■

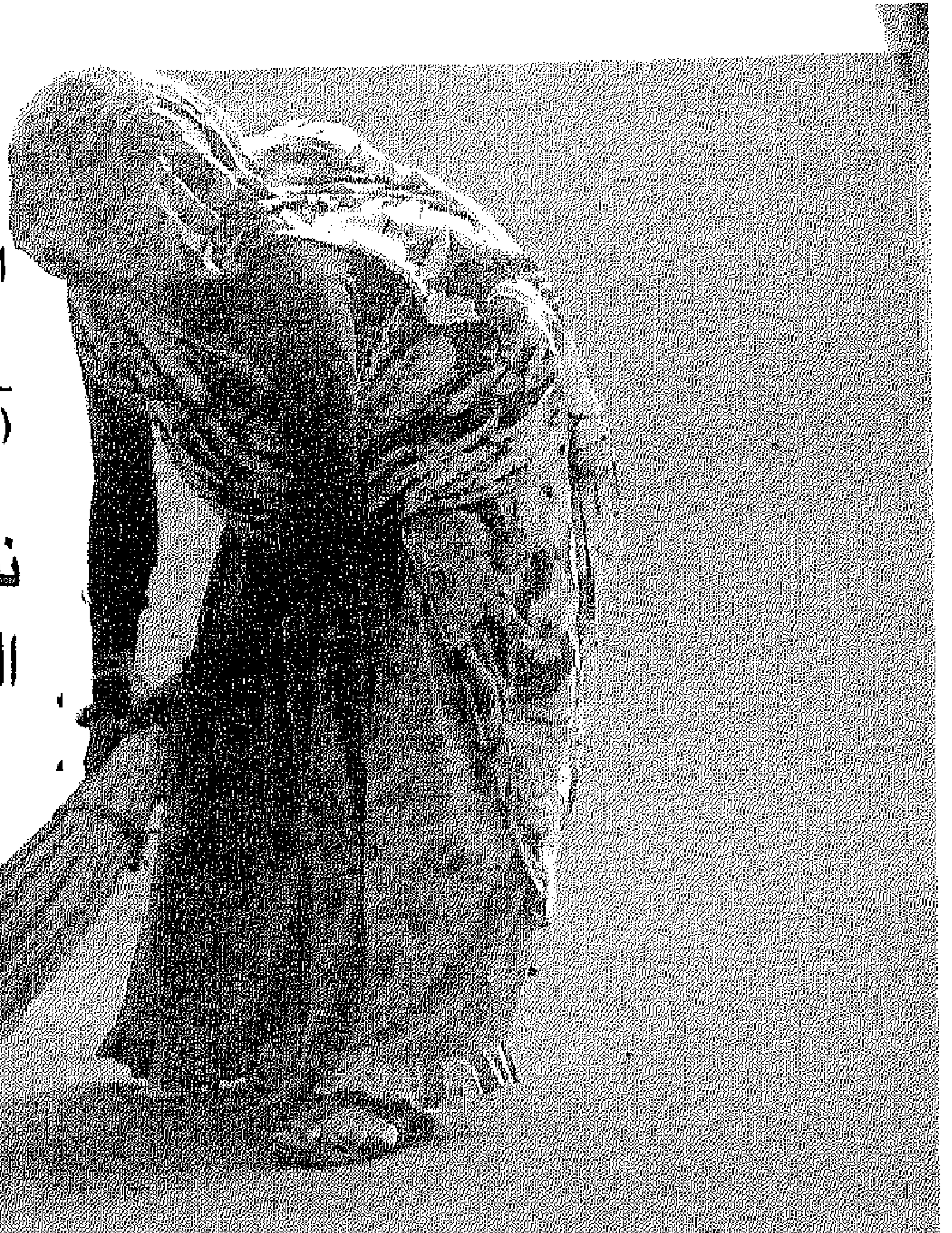
نظام الطبقات وصمة عار على جبين الهند

وقف لاكسمي تشاند تياجي حاملا مصباحه بين أنقاض مركز الانماء الزراعي الذي يملكه على بعد خمسين كيلومتراً من جودبور في شمال غرب الهند. ثم أخبرني ونحن نمشي في الظلام متعثرين بالركام: "كانوا نحو أربعمئة من شباب الطبقات الاجتماعية العليا، وغالبيتهم من الراجبوت،[1] أتوا من القرى المجاورة. تدفقوا من فوق سور المركز وهم يلوّحون بالعصي وقضبان الحديد وينادون: مَن ينتمي الى الطبقات الدنيا؟ وكلما رأوا صاحب بشرة داكنة انهالوا عليه ضرباً. ثم أضرموا النار في كل شيء: الأسرّة والثياب والفُرُش. ورموا فوق ألسنة اللهب جميع سجلات المركز وأجهزة الفيديو وآلات عرض الشرائح المصورة (سلايد) أي كل ما بنيناه خلال سبع سنوات."

كان تياجي يتكلم بصوت منخفض ذلك الصباح في ٢٢ أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠. وهو قصير القامة محدودب المنكبين خفيف الشاربين يضع نظارتين

(١) Rajput

نظرة عن كثب الى نظام التفرقة الطبقية في المجتمع الهندي



لهما إطار أسود. قال لي: "أنظر، هنا كان المستوصف." وسلط ضوء مصباحه اليدوي على غرفة صغيرة مستطيلة خُلع بابها. وعندما دخلناها سمعنا الزجاج وحبّات الأدوية تتكسر تحت أقدامنا. أضاف: "كان الهاريجان[2] (المنبوذون) يأتون من مسافة ٤٠ كيلومترا ليتعالجوا عندنا. وكنا نلقّنهم بعض المبادىء الأساسية للعناية الصحية."

فسألته: "ولكن، لماذا قام الراجبوت بهذا العمل؟ ماذا يهمهم إذا علّمتم المنبوذين؟"

أجاب: "لقد كان أفراد الطبقات الدنيا دائما عبيداً لدى الطبقات العليا. انهم يعملون في حقولهم بأجور زهيدة ويكنسون شوارعهم. فاذا علّمناهم، فمن سيتولى هذه المهمات القذرة؟ الراجبوت يكرهون هذا المكان لأنه يحرّر عبيدهم."

ولمّا سألت تياجي عمّا فعله فيما كان الراجبوت يحطمون إنجاز عمره قال: "كنت أفكر في غاندي. هو أيضا كان يتعرّض للقهر على الدوام، وقال إن علينا ان نرحب بهجمات كهذه، لأننا لا نتقدم الا بالمواجهة. سنبدأ من جديد. ففقراء هذه الصحراء مازالوا يحتاجون إلينا."

سألته: "وإذا هاجمكم أفراد الطبقات العليا مجدداً؟"

فأجاب: "سنرحب بهم. فهم أيضا ضحايا ثقافتهم."

عندما كنا في طريقنا الى المركز أراني تياجي مدى تأثير التفرقة الطبقية في المناظر الطبيعية والعمرانية في الهند. فبعدما قطعنا أحد الجسور شاهدنا قرية صغيرة بنيت جميع منازلها بالحجر الأبيض. وفي الجوار امتدت مستوطنة أخرى أكبر منها هي مجموعة أكواخ مستديرة من الطين، سقوفها مخروطية من قش. قال لي تياجي: "يملك الراجبوت هذه القرية الحجرية الجميلة. ويقطن الهاريجان في الأكواخ. ولا يُسمح بالتعايش بين الفئتين. واذا رغب أحد الهاريجان في المرور قرب منازل الراجبوت، فعليه أن يخلع حذاءه أولا."

سألته: "هل تنهل الطبقتان من آبار منفصلة؟"

أجاب: "كلا، هناك بئر واحدة. وإذا أرادت امرأة من الهاريجان أن تستقي من البئر، فيجب أن يأتي أحد أفراد الطبقة العليا ويمنحها الماء. لا يُسمح للمنبوذين بلمس الدلو. وكذلك الأمر في جميع نواحي الحياة. ففي مقهى القرية توضع أكواب الشاي الخاصة بالهاريجان في مكان منفصل عن الأكواب التي يشرب منها أبناء الطبقات الأخرى. وإذا عُقد اجتماع عمومي، فلا يسمح للهاريجان بمشاركة الراجبوت في القعود على السجادة نفسها أو الجلوس على السرير نفسه. وإذا قُبل أولاد المنبوذين في المدارس الابتدائية فانهم يجلسون منفصلين في مؤخر الصف."

محرقة احتجاجية. تتجلى الفرقة بين الطبقات الاجتماعية في راجستان حالما

(٢) Harijan

يفهم المرء ما تشاهده عيناه. فالأساس عند الرجال هو لون البشرة وطريقة لبس العمامة. في جودبور، تدل العمامة البيضاء على ملّاك صغير كبير في السن ينتمي الى احدى الطبقتين الوسطيين (البيشنوي أو الجات).[3] أبناء الطبقات العليا وحدهم يعتمرون العمائم الصفر بلون الزعفران. واتجاه نمو الشاربين أيضاً علامة فارقة: الى فوق أو الى تحت أو أفقياً. كما تحدّد طريقة لبس المئزر (دوتي) هوية الرجل الاجتماعية.

أما بالنسبة الى النساء، فالأساس هو الحلي ولون الرداء. فالأصفر الزعفراني والأحمر هما لونا ثياب الطبقات العليا، وتُلبس معهما الحلي المزخرفة الباهظة الثمن. أما اللون الاحمر المذيَّل بالأسود أو البني فهو لنساء الطبقة الوسطى. وترتدي نساء الطبقات الدنيا ثياباً ذات ألوان داكنة وأقمشة خشنة مع خلاخيل بسيطة من الفضة او النحاس، وعلى أذرعهن وشم خاص.

وفي القرى الهندية حيث يقطن ٧٥ في المئة من السكان، تخضع أدق تفاصيل الأمور الحياتية والزوجية والمهنية لأنظمة ثابتة بحيث يعرف كل امرىء مكانه وواجباته. ويعتقد الهندوس أن ثمة حياة سابقة تقرر طبقة المرء في حياته الحاضرة. فإذا كانت حياته السابقة فاضلة كوفىء بطبقة عليا. اما اذا عاش حياة فاسدة فانه يعاقب بمستقبل في عداد الطبقات الدنيا المنبوذة. أما اذا حاول المرء أن يرقى من طبقته الاجتماعية الى غيرها في هذه الحياة الدنيا، فذلك تمرد فاضح على الأسس الاجتماعية وفيه كسر للدائرة الكونية وتحدّ للطبيعة. لأجل ذلك، إذا حاول أحدهم تعليم المنبوذين فيجب منعه، وعندما تتعهد الحكومة رفع مستوى الطبقات الدنيا فتجب محاربتها.

راجيف غوسوامي شاب براهمي[4] في أوائل عقده الثالث، ينتمي الى عائلة متوسطة الحال في البنجاب، يعمل والده كاتباً في أحد مراكز البريد. وكان من المتوقع أن يشغل راجيف وظيفة حكومية مرموقة، لكن آماله تبددت عندما أعلنت الحكومة في السابع من أغسطس (آب) ١٩٩٠ حجز ٢٧ في المئة من تلك الوظائف للطبقات المتخلّفة (إضافة الى ٢٢،٥ في المئة كانت محجوزة قبلا لبعض الطبقات الدنيا ولأفراد القبائل). في السابق، كانت فضلى الوظائف الكتابية تُحجز للبراهمة. أما أن تحجز هذه الوظائف للطبقات الدنيا، فهذا أمر لا يمكن تصوّره على الاطلاق.

أعلن راجيف إضرابا عن الطعام. لكن ذلك لم يسترعِ اهتمام الصحافة. لذا خطّط، بالتعاون مع بعض أصدقائه، للقيام بعمل يثير الانتباه، كالتظاهر بالتضحية بالذات. فقرر أن يغمس رجليه بالكاز ويضرم فيهما النار بينما يكون أصدقاؤه قربه جاهزين لاخمادها. وفي صبيحة التاسع عشر من سبتمبر (أيلول) ١٩٩٠

(٣) Bishnoi or Jat
(٤) Brahmin

وقف راجيف في المكان الذي اختاره مسرحاً لتضحيته ورجلاه مغمستان بالكاز. كان جو الحضور مشحوناً، فأُخذ به راجيف وراح يسكب الكاز على جسمه وأشعل نفسه. فلم يتمكن رفقاؤه الذين وقفوا في مؤخر الجمهور من إطفاء النار. وبينما كان راجيف يشتعل تحلّق حوله كثير من المصورين. وفي اليوم التالي كان ممدداً في المستشفى يصارع الموت بينما ظهرت صوره على الصفحات الاولى في كل الصحف المحلية.

في إثر ذلك الحادث حصلت أعمال شغب في كثير من المدن الهندية حيث اصطدم طلاب الطبقات العليا برجال الشرطة وعاقوا حركة السير وأضرموا النار في القطارات. وتفشت موجة من التضحية بالذات كان أبطالها مراهقين من أفراد الطبقات الاجتماعية العليا.

انهيار النظام! كانت ولاية راجستان، حيث تقع جودبور، إحدى بؤر التوتر والاضطراب. ففي هذه الولاية أدى حكم الراجبوت الذي امتدّ قروناً الى تمييز طبقي اجتماعي متوارث. لم يكن من الوارد عملياً الانتقال من طبقة الى اخرى. لذلك عندما أُعلنت التدابير الحكومية الجديدة كانت الصدمة قوية. ولم يكن الهجوم الذي تعرّض له مركز تياجي سوى واحد من هجمات كثيرة تعرضت لها الطبقات الاجتماعية الدنيا.

ذهبتُ الى راجستان في أكتوبر (تشرين الاول) ١٩٩٠ بعد شهر واحد على بدء الاضطرابات. كانت أعمال العنف هدأت لكن الخواطر لم تهدأ. رأيت في جودبور مجموعة غاضبة من طلاب الطبقات الاجتماعية العليا لوّح أفرادها برايات سود وتحلّقوا حول صورة لراجيف غوسوامي المشتعل. وقال سانديب جوشي أحد قادتهم: "في الماضي، كان المنبوذون مقهورين. أمام اليوم فلا." ثم هزّ رأسه بغضب وأضاف: "إذا حصلوا على وظائف حكومية، فكل شيء سينهار."

وكان الجدل بين الطلاب يدور حول فكرة واحدة: لقد أُتيحت للطبقات الدنيا الفرص ذاتها المتاحة لغيرها من الطبقات. وإذا كان كثيرون من أفرادها فقراء، فكذلك أصبحت حال كثيرين من البراهمة.

هناك بعض الصحة في هذا الرأي. فحتى في راجستان ثمة منبوذون في وضع مالي جيد. ففي قرية غادفادا على بعد ٦٥ كيلومتراً من جودبور تقطن جماعة من العاملين في صناعة الجلود، وهم منبوذون ومن أدنى الطبقات الاجتماعية مرتبة. مارسوا لسنين طويلة مهنة غير ثابتة تقتصر على خياطة الأحذية الجلدية. وقبل مدة وجيزة أعطاهم رجل أعمال من دلهي تصاميم جديدة ووظّف تسعة منهم في صناعة منتجات جلدية عالية النوعية. والآن يبلغ أجر الواحد منهم ٢٥ روبية (نحو ١.٢ دولار) في اليوم، أي بزيادة ١٥ روبية على الأجر الذي تدفعه الطبقات العليا للعمال في الحقول.

وبما أن صانعي الأحذية يعملون أزواجاً، وغالبا مع أحد أفراد العائلة، فقد مكّن هذا الأجر العائلة الواحدة من جني ألفي روبية في الشهر. وهذا مبلغ كبير لا يستهان به في الهند. لذا بدأت ملامح الازدهار تظهر في غادفادا. فبنى كثير من عمّال الجلود غرفاً إضافية في منازلهم، حتى إن بعضهم استطاع شراء أوان مطبخية من الفولاذ الذي لا يصدأ. لكنهم ما زالوا منبوذين اجتماعيا. وقد استأجر كثيرون منهم أراضي زراعية من أبناء الطبقات الوسطى.

لكن وضع غادفادا استثنائي. أما قرية غاغادي، حيث كان مركز تياجي، فهي النموذج السائد. ففيها نحو ٣٠٠ عائلة من ثماني طبقات اجتماعية مختلفة، والتراتبية الاجتماعية فيها صارمة. الراجبوت والبراهمة في أعلى السلم، والجات في الوسط، ودونهم ثلاث طبقات من صانعي السلال والخزّافين والحدّادين، وأخيراً طبقتا المنبوذين من عمال الجلود وعمّال التنظيفات.

ولا تزال مشاعر التمييز الطبقي هنا حادة جداً. بيرا رام شاب وسيم من الجات طويل القامة أنيق المظهر يعمل مديراً لتعاونية المزارعين المحلية. وعندما سألته رأيه في التدابير الحكومية لحجز الوظائف أجابني: "سوف تؤدي هذه التدابير الى انهيار النظام الاجتماعي القائم. لا يجوز أن يحدث ذلك."

ودار بيننا الحوار الآتي:

"هل تعتقد أنهم يجب أن يبقوا خداماً لديك؟"

– على الطبقات الدنيا أن تحترمنا وتعرف مكانها.

"أوَلم يعودوا يحترمونكم؟"

– إن المتعلمين منهم يبحثون الآن عن أعمال أخرى، فهم لا يريدون العمل لديّ.

"وهل تسمح لفرد من الطبقات الدنيا بدخول دارك؟"

– إن حاول ذلك وبخته بقسوة ورميته خارجاً.

وحدهما الوقت والعلم قد يحملان أملا لمحو وصمة الفرقة الطبقية في الهند. قبيل مغادرتي غاغادي تحدثت الى نيم بارا وهو فتى في الثانية عشرة من عمره يرتاد مدرسة يديرها مركز تياجي. فسألته: "هل في صفك منبوذون؟"

– نعم، لكننا نجلس معاً.

"وهل تصادقهم؟"

– في المدرسة، أجل، يمكنني أن أختلط بهم بحرية.

"وعندما تكبر ويصبح لك منزلك الخاص، هل ستعامل الجميع بالتساوي؟"

بقي نيم صامتا لبرهة، ثم أجاب بهدوء: "نعم."

وليم دالرمبل ■

ترجمة د. نجوى نصر

لا تغير الشهرة والثروة الانسان، وانما تظهرانه على حقيقته. هـ. ن.

فن الاعتذار

العذرُ عندَ كرامِ الناسِ مقبولُ

بدأت المشكلة ذات صباح حين تلقت ديبرا وورك تعليمات جديدة صعبة من مديرها في العمل. وقيل لها إنه ينوي تعجيزها خلال الأسابيع القليلة التالية.

فكرت ديبرا: "انه لمستبد ظالم لا همَّ له سوى العمل. كيف يكون المرء قاسياً الى هذه الدرجة؟" وطبعت رسالة على الكمبيوتر وجَّهتها الى زميلة متفهمة شكت لها فيها قساوة هذا "الرجل الآلي" وأرسلتها عبر شبكة المكتب الى كمبيوتر زميلتها، أو هي ظنت أنها فعلت ذلك.

أدركت وورك خطأها قبل لحظات من رؤية وجه مديرها عبر زجاج الغرفة وقد ارتسمت عليه آثار صدمة عميقة ولونته حمرة الخجل. فهي بعثت الرسالة اليه بدل أن ترسلها الى زميلتها.

كل منا يرتكب هفوة فاضحة من وقت الى آخر. فنشعر بادىء الامر بالذهول، ونكاد لا نصدق ما حصل. ولكن علينا بعد حصول الأذى أن نحاول جمع الشتات بألطف وسيلة ممكنة. وهناك لحسن الحظ سبل للاعتذار وتخطي ما حصل. فاليكم بعض نقاط تستحق الذكر:

لا تبخلوا بالكلام.

يلجأ المخطئون غالباً الى الاعتذار والانسحاب بسرعة. لكن الامر قد يحتاج في بعض الأوقات الى اكثر من عبارة "أنا آسف" لاعادة المياه الى مجاريها. وهو، في حال ديبرا وورك، اقتضى شرحاً.

أخذت ديبرا بضعة أنفاس عميقة، ثم بعثت برسالة سريعة الى مديرها تطلب مقابلته. فوافق، والتقى الاثنان في غرفة مؤتمرات خالية.

قالت ديبرا: "لم أقصد ارسال هذه الرسالة اليك طبعاً. انني آسفة حقاً." وشرحت له أن تعبير "الرجل الآلي" لم يكن سوى وسيلة كاريكاتورية لوصف تعاليه ومعاملته الخالية من أي شعور.

شعر المدير بالامتنان عندما سمع ديبرا تعتذر بكلمات معقولة، ووعدها بأن يكون اكثر تفهماً. قال: "لننسَ كل ما حصل فور خروجنا من هنا." وقد حافظ على وعده، ووجدت ديبرا منذ ذلك اللقاء سهولة أكبر في التعامل واياه.

وبفضل افصاحها عما اختلج في نفسها، تمكنت ديبرا من مساعدة مديرها على استعادة هدوئه ومعالجة الموضوع بروية. يقول العالم النفساني مايكل مرسر مؤلف كتاب "كيف ينجح الفائزون"[١] إن على الفريق المتهجم أن يشرح موقفه. ويضيف: "ركزوا على طريقة تعالجون بها الوضع بتعقل بدلا من ردود الفعل العاطفية."

أظهروا مشاعركم الحقيقية.

يميل الناس غالباً الى التحفظ عن الاعتذار اذا ما أخطأوا علناً. يقول مرسر: "ترغب الضحية في رؤية علامة أسف على محيّا المسيء اليها. وهي تكون أكثر استعداداً للهدوء اذا بدا آسفاً على ما حصل."

اكتشفت جوديث مارتن، الصحافية المعروفة باسم "الآنسة سلوك"[٢]، سحر "التذلل" عندما تسببت في حادث سير قبل سنوات. فهي لم تتوقف عند تقاطع طرق، وصدمت سيارة لها أفضلية المرور وفيها رجل وامرأة وطفل. وبعدما علمت أن أحداً لم يصب بأذى راحت تردد غريزياً: "إني آسفة جداً، اني آسفة جداً."

وواصلت جوديث اعتذاراتها أمام قاضي السير بعد أسابيع. وحين حُكم عليها بالالتحاق بمدرسة لتعلم السَوْق يومي سبت لاحقين قال سائق السيارة المصابة لزوجها: "ان زوجتك امرأة رائعة." فأجاب الزوج: "هي كذلك، لكنها للأسف سائقة سيئة!"

أظهرت اعتذارات جوديث ما للندم من قوة. وهي تقول: "معظم الناس قادرون على التفهم، وهم كرماء حين تعترف لهم بأنك مخطىء."

انتبهوا لمضمون أعذاركم.

كتبتُ مرة مقالا عن تمثيلية قدمها أطفال، وخصصتُ مقطعا للتحدث عن صبي في الرابعة من عمره نام طوال فترة العرض. وفي صباح اليوم التالي أتاني صوت والده محتجاً على الهاتف بعدما قرأ المقال: "ابننا لم ينم. الصبي النائم ليس ابننا!"

قلت له: "لكن المعلمة أخبرتني أنه ابنكما." فثار وشكاني الى مديري.

إنّ القاء التبعة على الغير هو عادة أسلوب فاشل للاعتذار. لكن المشكلة لم تكن في اعتذاري، بل في تقديمي اعتذاراً فظاً.

---

(١) How Winners Do IT

(٢) Miss Manners

فالمرء بطبيعته نزاع الى تقديم مبررات. يقول العالم النفساني س. سنايدر الذي ألف كتابين في هذا الموضوع: "تخفف الأعذار من التوتر وتساعد الطرفين على ادراك أن الخطأ لم يكن سوى هفوة لن تتكرر." ويضيف أن الاعذار تكون أكثر فاعلية عندما تأتي متنكرة في شكل "شروح."

كان عليَّ ان أعتذر الى الأب المستاء وأعد بادراج اعتذاري في الصحيفة. كان في وسعي أن أشرح له كيف تلقيت معلومات خاطئة. ولو فعلت لربما كان الرجل تقبَّل سماع قصتي كاملة لرضاه عن تقبّلي اللوم.

عوِّضوا الضرر الحاصل.

بعد الاعتذار وتقديم المبررات عليكم التصرف على نحو يلغي الأذى الذي حصل. ونادراً ما يكون ذلك أمراً بسيطاً كشراء صحن أو دفع فاتورة تنظيف. فاعادة الوضع الى ما كان هو أمر مستحيل في معظم الاحيان.

كارا آن سميث محامية من سان فرنسيسكو لن تتمكن أبداً من اعادة التاج المرصع الذي أضاعته بعدما استعارته لحضور حفلة تنكرية. وهو التاج الذي وضع على رأس صديقتها عندما تُوجت "ملكة جمال الخريجين" في الجامعة، وكانت قيمته عاطفية محضاً.

لم تعرض كارا على صديقتها دفع ثمن التاج، بل أمضت يومها تبحث في متاجر الأدوات المستعملة الى أن وجدت مثيلا له. وهي دفعت ثمنه خمسين دولاراً بسرور، وقدمته الى صديقتها.

وتفيد الهدايا الرمزية، كالزهور، في اصلاح ذات البين عندما يطاول الأذى المشاعر. أما المبادرات المادية فليست ملائمة على الدوام.

تقول المستشارة النفسانية رودا فريندل إن على المرء، متى أخطأ أثناء العمل فنسي موعد تسليم تقرير ما أو أساء ترتيب سجلات، أن يمنح مديره ضماناً محسوساً أنه لن يكرر الخطأ. وتضيف: "يستحسن أن يبتدع المخطيء نظاماً جديداً يمنع تكرار الخطأ ويحل مشاكل أخرى. وبذلك يسترجع ثقة مديره المزعزعة ويعيد الأمور الى نصابها."

احترموا القضاء والقدر.

من اهم المشاكل التي يواجهها الناس عندما يخطئون عدم مسامحة أنفسهم. ارتكب المصور الفوتوغرافي تيم ديفيس هفوة فراح يلوم نفسه شأن معظم الناس في مثل حاله. فهو زار هاواي مع بعض الأصدقاء، وأقاموا في كوخ على الشاطيء بني على ركائز. وقد استمتع الجميع بالرحلة الى أن حلت عاصفة غمرت الطرق وعطلت أنابيب الماء المؤدية الى الكوخ. وبعد العاصفة تفحص ديفيس صنبور المطبخ للتأكد من اصلاح الانابيب، ولما وجدها غير مصلحة انتقل مع أصحابه الى منزل في المدينة.

تلقى ديفيس بعد يومين مكالمة هاتفية من وكيل الايجارات. فقد شاهد الجيران

المياه تتدفق من سطح الكوخ. ويبدو أن ديفيس نسي صنبور المطبخ مفتوحاً وقناة التصريف مسدودة، فغمرت المياه المنزل عندما أصلحت الاعطال.

اعترف ديفيس أمام الجميع: "كان ذلك خطأي كليا." ثم بعث برسالة اعتذار الى المالكين عارضاً تعويض الأضرار. ولازمه شعور بالذنب لبعض الوقت.

لكنه كلما فكر في الموضوع ازدادت ابتسامته اتساعاً لصورة الشلال الاصطناعي المنصبّ من سطح الكوخ. فعندما نظر الى الموضوع من الناحية المرحة أدرك أنه لم يأتِ عملا مؤذيا متعمّداً. فذلك لم يكن سوى حادث طارىء سببته أحداث متتالية افتعلتها العاصفة.

يقول العالم النفساني فرنك فارلي: "إن سيطرتنا على الأحداث ضئيلة جداً، وعلينا احيانا أن ننظر الى اخطائنا على أنها قضاء أو قدر أو ورقة يانصيب نسحبها."

تعلموا من أخطائكم

ارتكبت لتيتيا بالدريدج، وهي مؤلفة كتب في آداب السلوك، خطأً لا يغتفر غيَّر عاداتها اليومية الى الأبد. فقد دعتها صديقتها الموظفة في منظمة الأمم المتحدة الى مأدبة عشاء تكريماً لها ولزوجها روبرت، ودعت بعض السفراء. تقول بالدريدج: "كان يشرفني أن ألبي دعوتها. لكنني أخطأت في تسجيل الموعد في مفكرتي. وحين أُقيمت المأدبة، كنت وروبرت في السينما."

وهي لم تعِ الخطأ الذي ارتكبته الا في الصباح حين طالعها صوت صديقتها المتأذية عبر الهاتف. تقول: "تمنيت في تلك اللحظة أن أموت."

اعتذرت بالدريدج على الهاتف، ثم قصدت مكتب صديقتها لطلب المغفرة شخصياً، وبعد ذلك كتبت رسالة اعتذار من أربع صفحات أرسلتها اليها مع دزينة ورود. وبعد ستة أشهر أرسلت وروداً أخرى في ذكرى مرور نصف سنة على خطأها. ومع أن صديقتها كانت عذرتها، فانها اتصلت بها هاتفياً لتقول لها: "تيتي، لقد سامحتك."

لربما كان ذاك صحيحاً. لكن الجرح لم يندمل، بل ترك ندباً لا يمحى. وتحرص بالدريج هذه الأيام على التأكد من تاريخ كل موعد لدى الاتفاق عليه. ولم تعد تسجل ملاحظات على قصاصات أملا بتدوينها في المفكرة لاحقاً.

كتب وليم شكسبير في مسرحيته "مقياس بمقياس"[٣]: "يقال إن خيرة الرجال مجبولون بالأخطاء، وإنهم يصبحون أفضل حين يسيئون التصرف قليلا." لذلك فان الامل بتحولكم أناساً أفضل يزداد مع كبر الهفوة التي ترتكبون... اذا احسنتم اصلاح الوضع.

ماري موراي ■

(٣) Measure for Measure

يمكن اعتبار العمل نصف منتهٍ اذا ما بُدىء جيداً.

سينيكا، خطيب وفيلسوف وسياسي روماني

سندريلا الغابات

دخلت شجرة الرادياتا المهملة أرض تشيلي فحلت عليها نعمة اقتصادية منقذة

لم تلق شجرة الراديانا الصنوبرية اهتماماً في موطنها الاصلي في سواحل كاليفورنيا الوسطى، فقد انصرف عنها قاطعو الاشجار بسبب شكلها الرديء، اذ انها تنمو في معظم الاحيان قصيرة ومعوجّة ولا تصلح لاستخراج الواح خشبية، مما أفقدها قيمتها التجارية. ثم انها عرضة لامراض عدة يمكن ان تسبب اسمرار اوراقها او تترك ندوبا بشعة في لحائها الخشن. ولا تزيد مساحة احراجها الثلاثة الاصلية في الولاية على ٦٠٠٠ هكتار.

لكن شجرة الراديانا اكتسبت اهمية حرجية عندما انتقلت الى تشيلي فهي تنمو نباتاً مستقيمة وقوية الى ارتفاعات

[illegible] S.A. CONCEPCION CHILE

تراوح بين ثلاثين وأربعين متراً، وأكثر أحياناً. وقد غرست لاغراض تجارية على مساحة ١،٢ مليون هكتار.

أدخلت صادرات الصناعة الحرجية في تشيلي ٧٥٠ مليون دولار في العام ١٩٨٩، كما أمنت عملاً لاكثر من ٨٠ ألف شخص، وذلك أحد الاسباب الرئيسية لازدهار البلاد على رغم الركود الاقتصادي الذي يلف أمريكا اللاتينية. والفضل كله يعود الى قصة الرادياتا الشبيهة بقصة سندريلا.

ازدهرت شجرة الرادياتا في التربة الرملية – الطينية في المنطقة المحيطة بمدينة كونسبسيون في وسط تشيلي، تغذيها الامطار الغزيرة والنسائم الباردة. وأصبحت شبه خالية من الامراض، اذ حجبت الصحراء الشمالية وقمم الانديز العالية كثيراً من آفاتها. وتنتج الرادياتا أخشاباً قاسية لكنها سهلة التشكيل ولا تتشقق بالمسامير، لذلك فهي ممتازة لانتاج الالواح وعجينة الخشب والخشب المضغوط، وحتى لصنع مفروشات من نوعية رفيعة.

يقول جايمي سالاس المدير التقني لشركة "فورستال مينكو": "ان استغلال هذه الاشجار شبيه بعيش المرء على فائدة أمواله. فالنمو السنوي لاشجار الرادياتا في تشيلي يكفي تزويد ١٤ مصنعاً ضخماً للخشب، أو بناء ٣٥٠ ألف منزل، أو تحميل ٧٣٠ باخرة."

ان صادرات تشيلي من المنتجات الحرجية التي اقتصرت في الماضي على بيع أخشاب الاشجار المحلية الى الارجنتين المجاورة، تذهب الآن الى ٦٠ بلداً في القارات الخمس. فهي تؤمن الورق لصحيفتي "أوغلوبو" في ريو دي جانيرو (البرازيل) و"ال موندو" في بوغوتا (كولومبيا) ولدليل الهاتف في كل من سنغافورة وليما (البيرو)، كما تؤمن ألواحاً خشبية لمقاولي هيوستون ونيو أورلينز ومفروشات عالية النوعية جاهزة للتركيب لكبرى مخازن الولايات المتحدة. وتذهب رقائق لب الرادياتا الى أسوج (السويد) التي كانت في الماضي تبيع تشيلي لب الخشب المطلوب لصناعة الورق.

لقد أعادت المنتجات الحرجية الثراء الى مدينة كونسبسيون، ثانية كبرى مدن تشيلي التي يقطنها أكثر من ١،٦ مليون.

خليفة النحاس. فيما كانت طائرتنا الصغيرة "بايبر كومانشي" تحلق فوق الجبال الصغيرة المحيطة بمدينة كونسبسيون والمغطاة بأشجار الرادياتا الخضراء، كان الطيار رودريغو ألفاريز يراقب المنطقة بانتباه بحثاً عن حرائق. ففي أوائل القرن كان أصحاب الاراضي يحرقون الاشجار لتحويل الغابات مزارع ومراعي للاغنام والابقار. أما الآن، والبلاد تكتنز الرادياتا، فان غرسات جديدة تحل محل الاشجار التي تقطع. وتنسق "المؤسسة الوطنية للاحراج" مع شركات خاصة سبل اخماد الحرائق ومنعها. وتستخدم مروحيات وطائرات

استطلاع وطائرات تحمل خزانات ماء وشاحنات ودوريات وأبراج مراقبة ونظام اتصالات فاعل، لضمان اطفاء أي حريق بسرعة قصوى.

تزامن بروز دور الرادياتا وتصميم تشيلي على التقليل من اعتمادها على النحاس الذي شكل لوقت طويل ٩٠ في المئة من صادراتها. ويذكر الجنرال مانويل كونشا وهو وزير اقتصاد سابق: "كانت العادة أن نبتسم اذا قرأنا في صحف الصباح أن سعر النحاس قد ارتفع، ونبكي اذا هبط." أما الآن فهذا المعدن يؤمن أقل من ٥٠ في المئة من دخل الصادرات. وساهمت صادرات المنتجات الحرجية، ومعظمها من الرادياتا، مع مبيعات الفواكه والاسماك المزدهرة في الخارج، في حلحلة قبضة النحاس القوية عن اقتصاد تشيلي.

إقطع وازرع! خرجت أولى بذور الرادياتا من كاليفورنيا في القرن التاسع عشر على متون السفن الشراعية العائدة الى السواحل الشرقية للولايات المتحدة بعدما حملها عمال المناجم الى الغرب ابان فورة "حمى الذهب." ثم وجدت طريقها الى بلدان النصف الجنوبي للكرة الارضية بواسطة تجار البذور الدوليين.

غرس دون أرتورو يونج أولى شجرات الرادياتا في تشيلي عام ١٨٨٦. وفي أوائل هذا القرن أقام مهاجر ألماني حرجا صغيراً من أشجار الرادياتا لاستخدام خشبها عوارض دعم في مناجم الفحم.

وفي أواخر الثلاثينات بدأت احدى شركات صناعة الورق تحريج بضعة آلاف هكتار سنويا لانتاج اللب المستخدم في صناعة الورق. لكن القانون الرقم ٧٠١ الصادر عام ١٩٧٤ هو الذي جعل الرادياتا صناعة رئيسية.

وهذا القانون وليد فكرة أطلقها جيل من خبراء الاحراج التشيليين الشباب، وهو ألقى مهمة اعادة التحريج على عاتق القطاع الخاص بعدما عبثت بها وكالات حكومية عدة. وبات دور الحكومة يقتصر في معظمه على التنسيق والابحاث. وتغطي الحكومة من خلال "المؤسسة الوطنية للاحراج" ٧٥ في المئة من نفقات زرع الاغراس الجديدة واقتلاع الاشجار المتقاربة وتقليمها. أما القطاع الخاص، وقد طمأنته هذه القوانين الواضحة، فيؤمن استمرارية الاستثمارات التي يتطلبها التحريج.

برهن القانون عن عبقرية. ويؤكد المدير السابق للمؤسسة ايفان كاسترو أن المبلغ الذي صرف الى الآن كحوافز تشجيعية، والذي تجاوز ٨٥ مليون دولار، "هو أفضل استثمار اعتمدته حكومة أبداً." وتحرص الشركات على زرع ثلاث شجرات في مقابل كل شجرة تقطع. وبما أن الرادياتا تنمو حتى في الارض التي انجرف معظم تربتها، فان ٨٠ في المئة من الاغراس تعيش لتصبح أشجاراً.

والى ذلك، يحرِّك ما يقارب ملياري دولار من الاستثمارات الجديدة لبناء مصانع لمعالجة لب الخشب، وتحريج

مواقع جديدة، واقامة أبراج على رؤوس التلال لسحب جذوع الاشجار المقطوعة الى مجمّعات بواسطة أسلاك حيث تتولى آلات هائلة تبلغ كلفة الواحدة منها ٩٠ ألف دولار التقاط الجذوع وتكويمها، واشادة مصانع تديرها روبوتات* لانتاج ألواح من النشارة المضغوطة، واستخدام أجهزة كمبيوتر تخزن معلومات عن أطوال الجذوع وكثافاتها، وتحديث صناعة الورق. كما ازدهرت مشاريع مشتركة بين مؤسسات تشيلية ومستثمرين من الولايات المتحدة وبريطانيا واليابان وأسوج (السويد) ودول أخرى. وتميّز النيوزيلنديون بنشاطهم في هذا المجال.

وتزدهر غابات الرادياتا في نيوزيلندة وأوستراليا وجنوب افريقيا المتشابهة مناخا. لكن نيوزيلندة هي الوحيدة التي تنتج أشجاراً قريبة حجماً من تلك التي تنمو في تشيلي.

ملكة جمال الغابات. كان التشيليون في الماضي يحسدون النيوزيلنديين على طريقتهم في ادارة الاحراج التي تنتج ألواحا خشبية تباع بأعلى الاسعار، فيما كان النيوزيلنديون ناقمين على محاولات تشيلي خفض السعر العالمي لخشب الراديانا. وفي العام ١٩٨٣ التقى ميك أونيل المدير العام لمصلحة الاحراج النيوزيلندية، مسؤولين في ادارة الاحراج التشيلية، مفتتحا عهد تعاون بين البلدين: وافقت تشيلي على اعتماد النوعية في البيع مقياساً بدل الاسعار، وفي المقابل وافقت نيوزيلندة على اشراك تشيلي في خبراتها الحرجية التقنية. فأرسلت بعثات تشيلية الى ولينغتون عاصمة نيوزيلندة لحضور دورات تدريبية ومؤتمرات فنية. ويذكر سالاس من شركة "مييننكو": "لقد عدت من نيوزيلندة بعشرين كيلوغراما من الكتب والدراسات."

ويقلّم عمال الاحراج التشيليون أشجار الراديانا على شكل طائر الكيوي النيوزيلندي، فتتوّج الاغصان العليا في الشجرة ما بين ستة وتسعة أمتار من الجذع المعرّى، اذ ان ازالة الاغصان السفلى في وقت مبكر توقف نمو العقد التي تثبتها في الجذع، مما يكفل انتاج كميات أكبر من الخشب "النظيف" الغالي الثمن. وللغاية ذاتها تعلّم التشيليون تخفيف كثافة الاشجار على مدى ثلاثين عاما، بانقاص عدد الاشجار في الهكتار الواحد من ١٦٠٠ الى ٣٠٠ لكي تتمكن الشجرات الباقيات من تنمية ثخانة جذوعها. وهم يطبقون برنامج "تحسين النسل" باختيار فضلى الاشجار "أمهات." يقول سالاس: "اننا نقيم مباراة لانتخاب ملكة جمال العالم من بين الشجرات البالغة في أحراجنا، ويهدف البرنامج الى زيادة الانتاجية ٢٠ في المئة على الاقل على انتاجية الاشجار العادية." وهو دائماً يبحث عن الاوراق الخضر اللامعة والجذوع المستقيمة واللحاء الناعم والاغصان الرفيعة التي تعني عقداً أصغر.

(*) الروبوت «robot» هو ما يعرف بالرجل الآلي.

رخـاء عميم. عمـد المستثمـرون النيوزيلنديون، وقد لاحظوا الامكانات المتوافرة في تشيلي، الى شراء أراض حرجية هناك حيث تمكن مضاعفة المساحات المحرّجة الآن مرتين أو ثلاث مرات. ويعمل روبرت أوينز الذي بنى أحدث مرفأ ومجمع صناعي في تورانغا بنيوزيلندة، على تشكيل فريق من المستثمرين التشيليين والاجانب لبناء مرفأ شحن في كورونيل قرب كونسبسيون لخدمة المناطق الحرجية البعيدة عن المرافىء القائمة. كما تتولى مجموعة "فلتشر – تشالنج" من أوكلاند، الثانية في العالم في انتاج ورق الصحف، تحديث مصنع قديم للورق، فيما اتفق مستثمرون محليون مع مجموعة "كارتر وهولت وهارفي" من كيوي على انشاء مصنع للالواح الليفية بكلفة ٣٦ مليون دولار. ويقول بول تيبنغ سفير نيوزيلندة لدى تشيلي: "ان مشاريع مشتركة كهذه تحمل فائدة لكلا البلدين."

ويضيف جيـرمـان تـام أستـاذ التكنولوجيا وتشكيل الخشب في جامعة "ال بيو بيو" في مدينة كونسبسيون: "ان ما نراه هنا هو بداية تقاطع حضاري جنوبي جديد." لقد انضمت تشيلي في زمن ما الى "حلف الانديز" مع دول أمريكا الجنوبية، لكنها اضطرت الى الانسحاب لان قوانين الحلف المبالغة في الحماية أبعدت الرساميل الاجنبية. أما تعاملها مع نيوزيلندة وأوستراليا فيتلاءم ومبدأ التجارة الحرة الذي يتحول صبغة دولية. فالمستثمرون الاجانب معجبون بجدّية الصناعة الحرجية التشيلية وبقواها العاملة التي تعكس نسبة التعليم العالية في البلاد التي تتجاوز التسعين في المئة. يقول هيروشي أمانو الذي أتى من اليابان للعمل في مصنع الرقائق الذي أقامته شركة "ميتسوبيشي": "انهم يعملون بجهد كاليابانيين."

وينعم تشيليون كثيرون بالرخاء الذي جلبته شجرة الرادياتا. فالى الاحراج التي تملكها الشركات الكبيرة، يملك ألوف من المواطنين أراضي تراوح مساحاتها بين ١٥ هكتاراً و٤٠٠ هكتار مزروعة بأشجار الرادياتا.

وتحوّل التشيليون مسوّقين عالميين في سعيهم الى كسب عملاء في أنحاء



غرسات رادياتا في "حضانة" اسكوادرون الاختبارية.

العالم. ويتذكر أنطونيو غارسيا الذي يمضي أربعة أشهر سنويا متنقلا بين أوروبا وأمريكا الشمالية وآسيا ممثلا مجموعة شركات الاحراج "كونسورسيو ماديريرو": "كان بيع خشب صنوبر الراديانا صعبا في البداية، فلا أحد يعرف هذا الخشب ولا أحد يرغب فيه. لكننا كنا مضطرين الى فتح أسواق، لان هذه الاشجار كانت تنمو يوما بعد يوم." ومع الوقت، كسب بائعو الخشب التشيليون ثقة الزبائن.

حكايات. ولم يضِعْ نجاح الصناعات الحرجية هباء على شباب تشيلي المتوقد. يقول كاسترو: "كانت العادة أن يتخرج الشباب في الجامعات وهم يحلمون بوظيفة في مؤسسة حكومية. أما شباب اليوم فيرغبون في أن يصبحوا رجال أعمال."

ويمثّل غريغوريو يانكيز (٣١ عاما) وشقيقه غوستافو (٣٠ عاما) نموذجين لهذا الجيل الجديد. فهما أسسا "منشرة خشب" في العام ١٩٨٢ بمنشار دائري مستعمل، وفي السنة التالية أسسا "شركة نقل" بشاحنة قديمة مهلهلة. وكانا يشحنان الى فنزويلا عوارض خشبية غير صقيلة للبناء. ومع أن هذه العوارض "لم تكن أبدا ذات مقاييس متطابقة" الا أن الشقيقين أثبتا نزاهة وصدقية مكنتهما في العام ١٩٨٤ من شراء ٦٠٠ هكتار من الارض على طريق كونسبسيون – كورونيل. وقد أصبحت هذه الارض الآن، تتوسطها المنشرة المحدَّثة، مركزا صناعيا يعج بالنشاط ويوظف أكثر من ألفي عامل.

ثم هناك مَثَلُ المهاجر الالماني هانس فون لايزر وابنه ارنست اللذين يملكان مصنعا ينتج مستحضرات لدباغة الجلود من لحاء الراديانا. كذلك مارتشيلو فوركادي الذي أنشأ صناعة تقدر قيمتها الآن بمبلغ ١٢ مليون دولار، وفيها قسم للمفروشات يشغِّل ٢٨٠ موظفا في انتاج أثاث جاهز للتركيب، من خزانات كتب ومقاعد للحدائق الى مفروشات لغرف الاطفال تباع في الولايات المتحدة وكندا وأوروبا. وتملك الشركة غابة من الراديانا وتجدد غرس أشجارها سنويا، لذا حقَّ لفوركادي أن يقول: "اننا نزرع مفروشاتنا ونربيها."

وقد سرى أخيرا أن الاوكاليبتس (الكينا)، وهو شجر قاس من أوستراليا ينمو أسرع من الراديانا بنسب تراوح بين ٢٠ و٥٠ في المئة، يعد بمستقبل جيد في تشيلي. وقد بدأت مجموعة من شركات "شل تشيلي" و"سيتي بنك" و"سكوت بايبر" استثمار ٤٥٠ مليون دولار في زراعة هذا الشجر وبناء مصانع لانتاج معجون خشب من النوعية الممتازة المستخدمة في صنع الورق الصقيل والمناديل الورقية.

فهل تجد "سندريلا" التي غيرت حياة بلد، "أميرها" الذي قد يساعد في تحسين هذه الحياة؟

دونالد وديانا ستروتزل■

بروفانس زهرة الجنوب الفرنسي

وصف حافل بعاطفة جياشة للجنوب الفرنسي العريق الذي اختارته الكاتبة موطناً لها

نشأت ابان الحرب في يوركشير في شمال شرق بريطانيا. وأعتبر نفسي شمالية مبدئيا. وقبل أن أذهب الى نيم عام ١٩٥٣ لأقيم في ضيافة عائلة في مقابل خدمات أقدِّمها، لم أكن حتى أعرف أن هذه المنطقة تقع في الجنوب.

غادرت باريس مساء ودامت سفرتي طوال الليل، وخرجت من القطار في السادسة صباحاً. عندئذ شممت رائحة الجنوب. أريج أعشاب وهواء نقي جاف. واذ انطلقنا في السيارة عبر السهول فتح مستخدمي الطبيب السيد غرانيه النوافذ لأشم شذا الريف المنبعث من نبتات اكليل الجبل والصعتر والعرعر. ورأيت حقول الخزامى وكروم العنب معترشة كما تخيلتها دائما. وشاهدت أيضا شجر السرو الاسود الملتوي كما شاهدته في لوحات فان غوغ. فقلت في نفسي: "غريب! مدهش! ما ظننته تحريفا مفرطاً هو واقع دقيق."

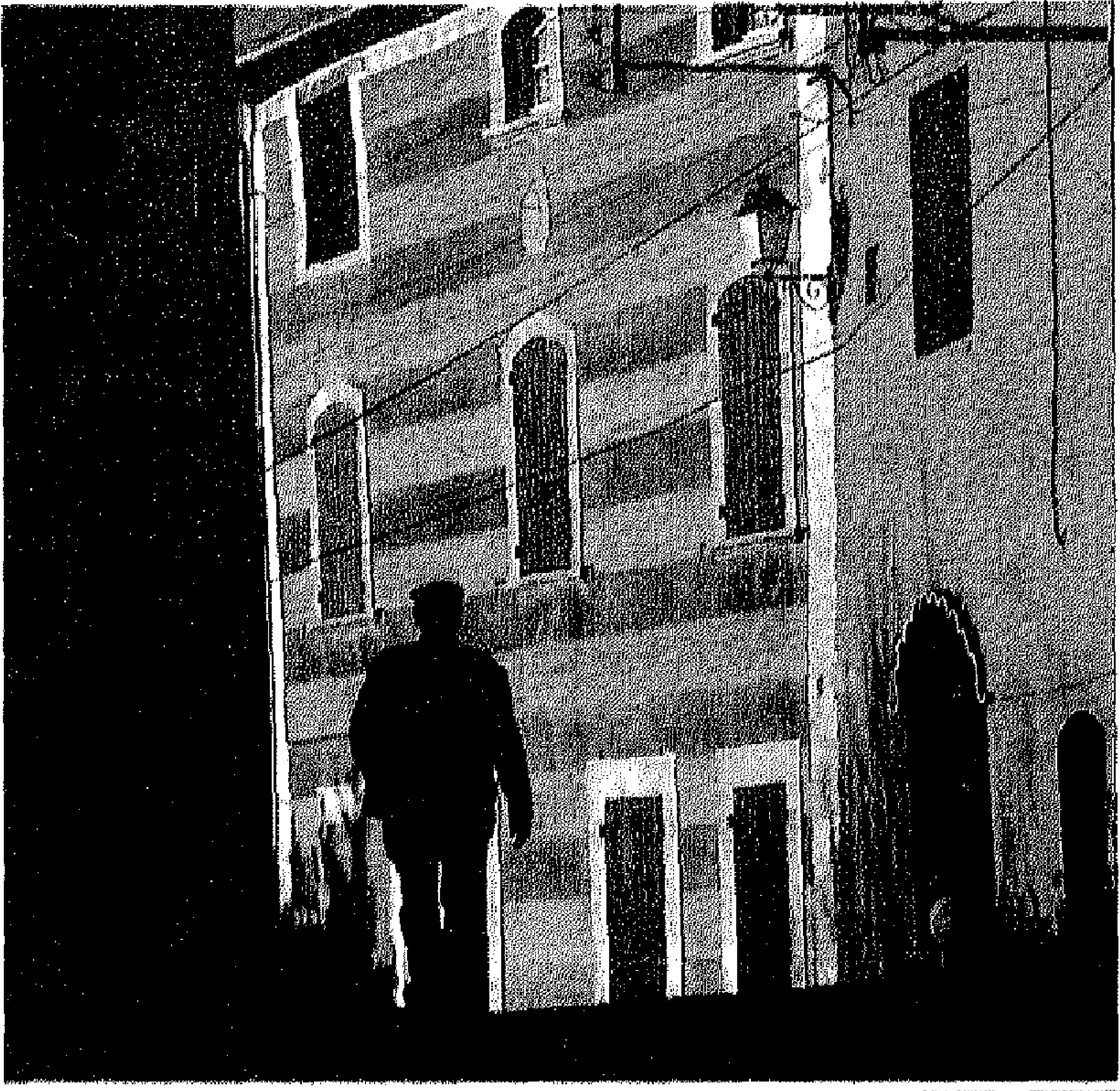
تملك عائلة غرانيه كروماً منبسطة على مدى النظر. وفي أراضيها أشجار كرز واجاص



ومساكب بطيخ. وللمرة الاولى تذوقت طعم الفواكه الطازجة. وتعلمت في نيم أيضاً تحضير حساء السمك. كنا نذهب فجراً الى السوق المسقوفة لنشتري السمك اللماع وهو ما زال ينتفض.

أصبحت لي شخصية مزدوجة. فنصفي في حال من البهجة الحسية الصافية متأثراً بحدة الضوء وألوان الطعام وغناه وبالهواء العطر، ونصفي الآخر مراهقة انكليزية قروية شكوكة لا يحلو لها أكل الثوم وتفضل السلطة من دون زيت وتحن الى منطقة شيفيلد السخامية.

نيم بلدة متحضرة تغمرها الشمس وتمتاز بآثارها الرومانية القديمة وحديقتها العامة الجميلة وشوارعها الضيقة المرصوفة بالحصى وجاداتها العريضة وحوانيتها الانيقة وبيوتها العتيقة التي تشكل بمجموعها وحدة متجانسة. لقد منح أغسطس قيصر هذه الارض لجنوده الذين شاركوا في حملته المصرية المنصورة على أنطونيو وكليوباترا. ولا بد



(فوق) عابر في روسيون.
(الى اليمين) حقل خزامى.

أنهم نعموا هنا بوفرة من الدفء تختلف كثيراً عن الريح الباردة التي كانت تسفع الفيالق عند حائط هادريان في دياري الشمالية.

عدت الى الجنوب الفرنسي تكراراً في سنوات لاحقة. وكنت في ذلك الوقت زرت مناطق جنوبية أكثر حرارة وأعظم شأناً وأعمق توحشاً مثل نيو أورلينز وكورسيكا وكالكوتا. واختبرت مشاهدات ممتعة لم تزدني الا قناعة بأن جوهر الدفء هو، بالنسبة الي، فرنسي، وينحصر بين منطقة مون فنتو وفونتين دو فوكلوز التي شهدت قصة حب بترارك ولورا، ومنطقة مونبلييه قرب الساحل الجنوبي.

يحبون الارض. لاحقتُ آثار فان غوغ الذي أصبح بالنسبة الي العبقري الملهم لروايتي "حياة ساكنة"[١] التي حاولت فيها أن أصف تجاربي كفتاة شمالية ساذجة في بروفانس تشاهد أشجار السرو والزيتون الظاهرة في لوحاته. لقد تعمق فهمي للفنان ولحاجته الماسة الى الضوء "الفردوسي." فهو يقول في احدى رسائله: "في كل مكان تحت قبة السماء

(١) Still Life



شجر الصفصاف يصد رياح ميسترال الشمالية في نجود فوكلوز.

زرقة رائعة. الشمس تنثر ضياء باهتاً بلون الكبريت. هنا، حيث الشمس أقوى، اكتشفت البساطة وخبو الالوان وثقل المؤثرات الضوئية. لا يمكن الانسان أن يتخيل هذه الامور وهو قابع في الشمال."

والى الغرب من نيم تقع لانغدوك حيث نملك اليوم بيتاً أبيض صغيراً في طرف قرية على تلال سيفين. وتطالعك هناك بساتين التفاح المنتشرة على امتداد المراعي والشواهق الجبلية وفي كل وهدة ومرتفع وواد مشمس. وتترامى المزارع المعزولة على التلال وتجثم بيوتها على أجراف وصخور حمصتها أشعة الشمس.

هذا الريف موسمي الطابع تكثر فيه الامطار وتنهمر فجأة في عواصف برقية ورعدية عظيمة تنطلق مزمجرة هازمة حول مون ايغوال "الجبل المائي" الذي هو من أعلى الجبال الواقعة بين البيرينيه والألب. وتكثر في التلال أشجار الكستناء التي كانت الى وقت قريب القوت الرئيسي للفلاحين. وكانت المنطقة في الماضي مركزاً مهماً لصناعة الحرير، وتكثر فيها أشجار التوت العتيقة التي قاتت أوراقها ديدان القز القاطنة في العليّات والاهراء.

وأكثر ما يميز هذه المنطقة أنها كانت محطة للاغنام التي كانت تأتي من البيرينيه لترعى في المراعي الصيفية المرتفعة. وما زال بعضها يأتي مسبوقاً بصليل الاجراس ورائحة الصوف الحادة ويترك وراءه خطوطاً من الروث الاسود.

اشتهر أهل سيفين بأنهم قليلو الكلام وغير ودودين ويكرهون الغرباء. ذات يوم وجدت سهاماً ونصالا مشكوكة أمام باب بيتي، فحسبت أنني انتُقيت هدفاً

للشعوذة أو للسرقة. إلاّ أن وجهاً ضخماً ملتحياً أطلّ عليّ من المدخل قائلا: "صباح الخير سيدتي. أنا كنّاس الشارع. تعالي شاركينا في تدشين المجرور الجديد."

لقد عاملنا السكان بحفاوة ولطف استغربته أنا الشمالية الشكوكة. ودُعينا الى عشاءات في حدائق مسوَّرة. فكنت أشاهد على المائدة بيضا طازجا وباقات من اللوبياء الفرنسية المقطوفة حديثاً. كما اصطحبني جيراني الى كرومهم وناولوني مقصاً قائلين بحفاوة: "اقطفي العنقود بيديك يا سيدتي، ولسوف تفهمين..."

انهم يحبون الارض حقاً.

الفئران جيراننا. أحب ما في العالم الى قلبي أهوار يوركشير[٢] وساحل يوركشير الذي يحدّها. وقد توزع خيالي بين ذلك الشمال والجنوب الذهبي في نيم... الى أن أتينا الى سيفين، وأكثر ما أعجبني فيها أنها جمعت بين فسحات الشمال الصامتة وهوائه النقي وتألق الجنوب ودفئه المتقادم.

لم أحلم قط بأن أهجر المدينة وأقيم في الريف. وأبعد ما حلمت به كان أن أقتني منزلا لتمضية العطلات أو ملاذاً للكتابة والتأليف حيث رفقة طيبة. إلا أن الريف وأهله تركا تأثيراً غير متوقع فيَّ. لقد نبتت لي جذور هناك، وأصبحت أشعر بالانتماء وإن لم أتعمد ذلك كليا. وغدوت مشدودة بعاطفة قوية الى أرضنا في سيفين، وهي سلسلة من المدرجات الصخرية بين الطريق والنهر.

لدينا شجرة جوز ضخمة وشجرة توت أبيض لا طعم لثمارها لكنها تجتذب ١٢ نوعا من الطيور بينها القرّاع الناقر والقاوند الذي يمرق كالسهم من تحت الجسر والبوم الناعق ليلا عبر الوادي وديك السيدة كابان الذي يصيح قبل انبلاج الفجر.

ولدينا أيضاً ضفادع كبيرة غير هيابة وديدان وأفاع وسحليات خضر ضخمة وأخرى صغيرة وثابة. وعندنا عائلة من الفئران الحمراء تتسابق الى ثمار التوت.

أقصد في الصباح حانوتا صغيراً يبيع كل شيء لشراء الخبز الطازج وجبن الماعز والفجل الطويل والشمام، وأتحدث الى أناس كثيرين في كل اتجاه. وغالباً ما يدور الحديث على الطقس. وفي طريق العودة أتأمل الدرب الجبلية الضيقة الصاعدة نحو مون دارديبه عبر الجبال المتنافرة.

يخامرني شعور بأن تلال سيفين التي تحد آفاق بصري وتطلقها في آن مجسَّدة تماما في كلمات الشاعر البريطاني وردزورث، فهي أشكال دائمة حية أصبحت جزءاً مني وأصبحت أنا جزءاً منها. لكم مضى على وجودها قبلي ولكم ستبقى بعد أن أمضي أنا!

أنطونيا بيات ■

(٢) Yorkshire Moors.

أن يخفي المرء حقيقة عمره شبيه بمحوه ذكرياته. أ.ر.

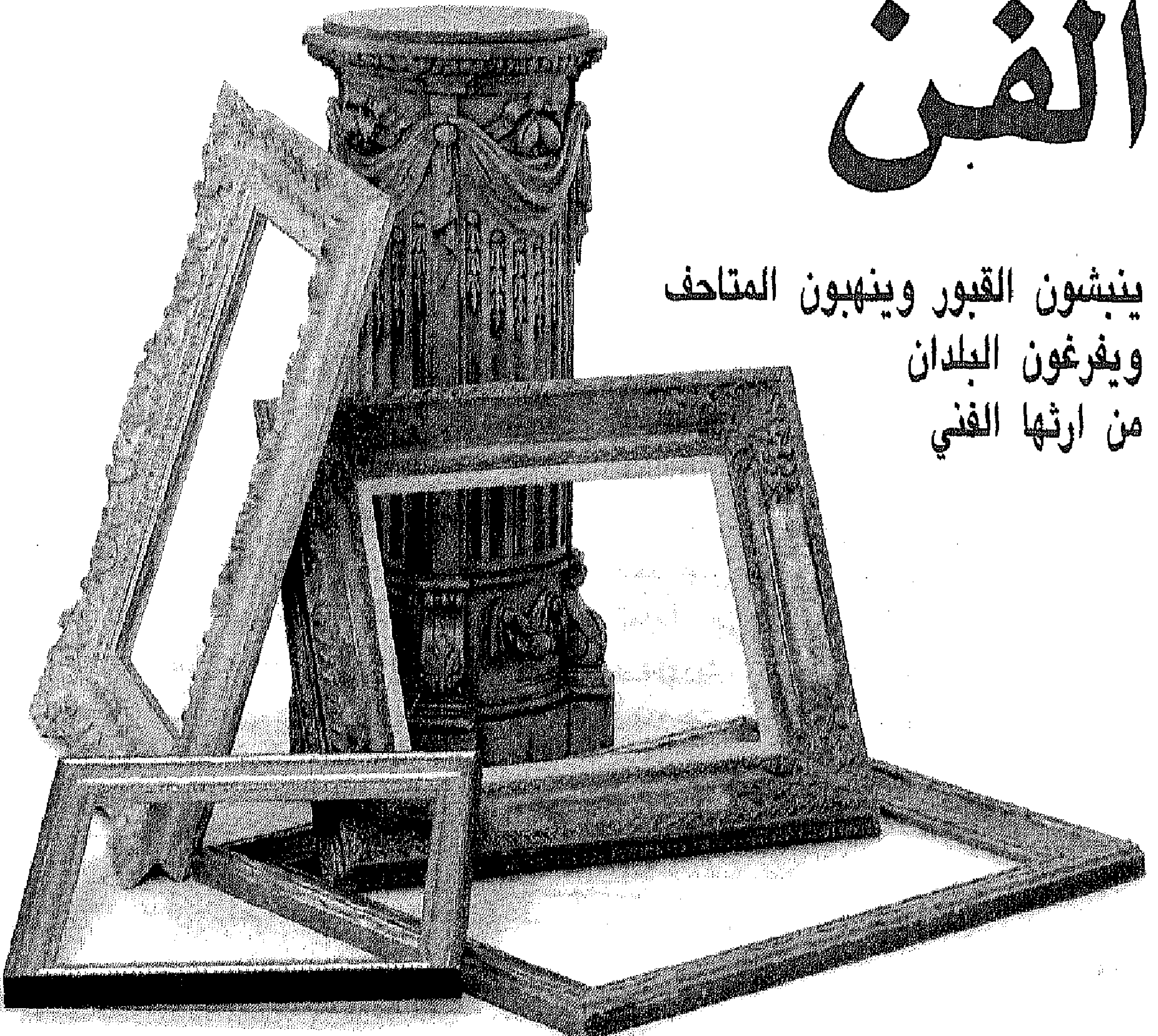
□ ليل ٢ فبراير (شباط) ١٩٩٠ اقتحم مقنعون جدار حجرة آثار في هرقولانوم[1] القديمة في ايطاليا وفاجأوا ستة حراس عزّل ثم راحوا ينهبون المكان طوال ساعات، فجمعوا ٣٠٤ قطع من أغلى التحف القديمة. وقدرت قيمة غنيمتهم بملياري لير ايطالي (١،٦ مليون دولار). وفي نوفمبر (تشرين الثاني) ١٩٩١ عثر على المسروقات في منزل مجاور. وقبض على أحد السارقين، لكن شركاءه ما زالوا طليقين.

□ ليل ١٤ ابريل (نيسان) ١٩٩١ دهم لصوص مدججون بالسلاح متحف فان غوغ في أمستردام فعطلوا جهاز الانذار

(١) هرقولانوم مدينة ايطالية قديمة طمرها ثوران البركان فيزوف عام ٧٩ واكتشفت عام ١٧٠٩.

لصوص الفن

ينبشون القبور وينهبون المتاحف ويفرغون البلدان من ارثها الفني



واختاروا في ٤٥ دقيقة ٢٠ لوحة للرسام الانطباعي الهولندي. لكن سرقتهم لم تدم طويلا، إذ ثُقبت إحدى عجلات السيارة التي أعدوها للفرار. واستُرجعت من بين المسروقات لوحة "أكلة البطاطا" التي كانت سرقت مسودة لها عام ١٩٨٨ من متحف هولندي آخر. وبلغت قيمة المسروقات نحو ٥٠٠ مليون دولار.

□ في ١١ يونيو (حزيران) ١٩٩١ كان ثلاثة رجال يتظاهرون بالتجوال في أرجاء مركز ماكس ج. بولاغ للفن الحديث في زوريخ. وفيما راح اثنان منهم يتجاذبان أطراف الحديث مع صاحب المركز، تأبط الثالث لوحتين لبابلو بيكاسو وخرج من دون أن يلحظه أحد. وقُدِّرت قيمة اللوحتين بخمسين مليون فرنك سويسري (٣٣ مليون دولار). وفي ٢٧ فبراير (شباط) ١٩٩٢ عثرت الشرطة السويسرية على المسروقتين في زوريخ وقبضت على ثلاثة يوغوسلافيين بالجرم.

إن الفن العالمي في خطر. فمن نيويورك الى بنوم بنه، ومن الأطلال القديمة في تركيا الى أحدث المتاحف في أمستردام، يسدد السارقون ضرباتهم ويفلتون من دون عقاب. ذلك لان الطلب النهم على الأعمال الفنية والتحف القديمة في السنوات الأخيرة رفع الأسعار كثيراً.

يقول جاك نوريه المساعد السابق لرئيس "المكتب المركزي الفرنسي لمكافحة سرقة الفنون": "إن أسعار القطع الفنية الشرعية عالية جداً وهذا ما يشجع السوق غير الشرعية." وتفيد كونستانس لوينثال المديرة التنفيذية لـ"المؤسسة الدولية للأبحاث الفنية" في نيويورك أن "الحكومة الامريكية تقدر عائدات سرقة القطع الفنية بنحو ملياري دولار سنوياً."

أيدٍ من الداخل. ارتفعت حوادث سرقة القطع الفنية بنسبة ٣٠٠ في المئة في مدينة نيويورك بين ١٩٨٨ و١٩٩٠. وتفشّت أعمال السرقة في أوروبا الشرقية نتيجة تفكك الانظمة الشيوعية فيها. ويسرق نحو ٥٠٠٠ لوحة سنويا في بريطانيا. وسجل في ايطاليا أكثر من ٢٥٣ ألف سرقة بين ١٩٧٠ و١٩٩١، ونصف هذه المسروقات من الكنائس غير المحمية التي يبلغ عددها ٩٥ الفاً. وشهد العام ١٩٩٠ وحده سرقة أكثر من ٦٠ ألف عمل فني تقدر قيمة الواحد منها بعشرة آلاف دولار على الأقل، وقد اختفت جميعها من بلدان المجموعة الأوروبية. كما تشهد الصين نزفاً خطيراً في كنوزها عبر قنوات سرية في اتجاه هونغ كونغ وسنغافورة والنيبال. وتخشى بلدان أخرى، كمصر ولبنان وتركيا واليونان ودول أمريكية جنوبية، أن تجرَّد من إرثها الحضاري.

من جهة أخرى، يبدو أن الفن أصبح ضحية الجريمة المنظمة. من أثمن القطع الفنية المسروقة لوحة "الميلاد" لكارافادجو التي رُسمت على الطراز الباروكي وترقى الى العام ١٦٠٩، وهي سرقت عام ١٩٦٩ من كنيسة سان لورنزو

"الحفلة" بريشة يان فرمير. اختفت هذه الرائعة التي ترقى الى القرن السابع عشر ولم يعثر لها على اثر.

في بالرمو في جزيرة صقلية. وبات المحققون في ايطاليا مقتنعين بأن هذه اللوحة، التي تثمن اليوم بنحو ٥٠ مليون دولار، استُعملت كفالة من المافيا لصفقات مخدرات عقدتها خلال العقدين المنصرمين.

ويقول كينيث كلوغ وهو عميل خاص لدى الجمارك الامريكية، إن وكالته "متأكدة من أن بعض أسياد المخدرات في كارتيل ميديين في كولومبيا يعرضون في قصورهم أعمالا فنية لا تقدّر بثمن."

في يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ عمدت "المؤسسة الدولية للأبحاث الفنية"، التي تحاول منذ العام ١٩٧٦ اقتفاء آثار الأعمال الفنية المفقودة في أنحاء العالم، الى توحيد الجهود مع "السجل الدولي لفقدان التحف والأعمال الفنية" وهو جهاز مراقبة مقرّه لندن. وعلى رغم اللوائح الموسعة التي وضعها الجهازان بمساعدة الكمبيوتر، فان جوليان ردكليف رئيس "السجل الدولي" لا يتوقع انحساراً للتجارة غير المشروعة، ويقول: "لقد أصبحت سرقة المقتنيات الأخرى أصعب من ذي قبل، فيما بقيت الفنون الجميلة غير محمية كفاية."

وتشتبه الشرطة في أيد متواطئة من الداخل ومتورطة في كثير من هذه السرقات. ففي العام ١٩٩٠ أجرى متحف فان غوغ في أمستردام تدقيقا في تدابيره الأمنية لحماية أهم معرض للوحات الرسام لمناسبة مرور مئة سنة على وفاته. وتضمنت أجهزة الحماية أبواباً شبيهة بأبواب خزنات المصارف ومضبوطة الكترونيا، وشاشات مراقبة تلفزيونية، وأجهزة تحسس ليلية، وألواحاً من الزجاج المقاوم للكسر، ومنصات مانعة للسرقة نشرت في أرجاء المعرض. وعندما قبض على الرجال الأربعة الذين قاموا بمحاولة السرقة الفاشلة في ابريل (نيسان) ١٩٩١، تبين أن واحداً منهم كان حارساً في المتحف ليلة العملية.

PHOTO: ISABELLA STEWART GARDNER MUSEUM

ويفيد تقرير للشرطة أن ٥٧،٨ في المئة من اللوحات والرسوم التي سرقت من المجموعات العامة في فرنسا ما بين ١٩٧٩ و١٩٨٩، أُخذت من أماكن الحفظ والخزن ومن دون دلائل على الدخول عنوة. وفي مارس (آذار) ١٩٩٢ عثر شرطيون فرنسيون من المكتب المَركزي الفرنسي لمكافحة سرقة الفنون على أربع لوحات سرقت بهذه الطريقة من متحف اللوفر قبل عشر سنين.

وغالبية هذه الأعمال الفنية المسروقة غير مذكورة في الجردات. ففي العام ١٩٨٩ دهش القيّم على كاتدرائية نوتردام في باريس لدى سماعه زائراً من نيويورك يتحدث عن رسوم تخطيطية معروضة في واشنطن للمهندس المعماري الشهير فيوليه لودوك مرمِّم الكاتدرائية. فالمفروض أن تكون هذه الرسوم في أرشيف نوتردام، إلا أن آخر جردة للموجودات في الكاتدرائية كانت أجريت عام ١٩٨٣.

قصور الجبنة. تسهل سرقة الأعمال الفنية المعروضة خلال ساعات النهار عندما تكون أجهزة الانذار مطفأة. ففي العام ١٩٩١ دين ريتشارد ايتوه مفوندو، وهو طالب مسرح في الحادية والعشرين من عمره وهاوي جمع أعمال فنية، بسلسلة سرقات مدهشة طاولت متاحف باريس. وأبرز ما سرق لوحة "امرأة" لبيار أوغست رنوار من متحف اللوفر. وهو قال في قاعة المحكمة متبجحاً: "المتاحف هي كالمخازن الكبرى، يختار منها المرء ما طاب له."

أمام هذا الواقع أطلقت الصحف على المتاحف لقب "باليه غروييير"[٢] أي قصور الجبنة السويسرية. واعترف جاك سالوا المسؤول الحكومي عن المتاحف بأن تدابير الحراسة ملأى بالثغرات، وأقرَّ تدابير أكثر صرامة، لكنه أضاف بحدة: "لن نضع مدافع رشاشة الى جانب كل لوحة."

ومعظم سارقي القطع الفنية هم من المحترفين. يقول فيليب سوندرز المدير الاداري لمجلة "ترايس" الفنية البريطانية: "حتى انهم يتابعون دروساً ليلية في الفنون الجميلة." ويفيد المحقق غوردون هنلي وهو ضابط مباحث بريطاني يعمل في مقر الانتربول[٣] في ليون بفرنسا، أن مخزون هؤلاء اللصوص يضم قطعاً يصعب اقتفاء أثرها، من ذخائر وكتب نادرة وبنادق قديمة ودروع ومطبوعات وأعمال غير مشهورة لفنانين معروفين. وهم يتخلصون من غنائمهم خلال ٢٤ ساعة.

وبيع هذا النوع من الفن سهل على نحو لافت. فالمنحوتات الاغريقية والرومانية والاناجيل العائدة الى عصر النهضة، التي يتم الحصول عليها بطرق غير مشروعة، تخفى لفترة معينة ثم تظهر لتباع بأرباح طائلة. ففي سويسرا، مثلاً، تخرج تحفة من المرمر من مستودع

(٢) Palais Gruyères

(٣) الانتربول هو البوليس الدولي.

الحجز في دائرة الجمارك في زوريخ أو جنيف بعد خمس سنوات من أيداعها، مع سند ملكية شرعي لصاحبها. أما في أوروبا الغربية فيبلغ معدل بقاء التحف في المستودع ثلاث سنوات. يقول دان كلين مدير فرع "كريستي" في جنيف: "هذه المستودعات هي أكبر متاجر التحف في العالم."

إن شهادات المصدر المزيفة تتيح التعامل بهذه البضائع. وفي بعض مراكز البيع في هولندا وبلجيكا ينتقل سند الملكية القانوني فوراً الى الشراة ذوي "النيّات الطيبة"، وقد يعوَّض عليهم اذا تبيّن أن إحدى هذه القطع مسروقة!

مطلوب لوحة! حفلت السنوات القليلة الماضية بسرقات "بسيطة." فاللصوص الذين كانوا يقتحمون الشقق لسرقة الفراء أو المجوهرات باتوا يعرفون أن الفن قد يعود عليهم بربح أوفر.

وتقول ميراي باليسترازي رئيسة "المكتب المركزي الفرنسي لمكافحة سرقة الفنون": "انهم لا يعرفون أحياناً ماذا يسرقون، وليست لديهم قنوات منظمة، وغالباً ما ينتهي بهم الأمر الى حيازة لوحة لغوغان، مثلاً، لا يستطيعون التخلص منها." وقد طوقت الشرطة البريطانية عام ١٩٩٠ عصابة لندنية حاولت بيع لوحة "الزانية" التي رسمها بيتر بروغل في القرن السادس عشر، الى "غاليري معهد كورتو" في لندن الذي سُرقت منه اللوحة عام ١٩٨٢.



محارب من البرونز من زمن حضارة الموتشي الغابرة في شمال البيرو، نبشه ناهبو القبور.

ولكن في مقابل كل قطعة فنية تُسترجع أعداد لا تحصى ما زالت مسروقة. في سبتمبر (أيلول) ١٩٨٨ دخل المعرض الوطني في برلين رجل يدفع رفيقاً جالساً في كرسي متحرك، فضربا الحارس وسرقا لوحتين عائدتين الى القرن التاسع عشر للرسام الألماني كارل سبيتزفيغ تقدر قيمتهما بمليونين ونصف مليون مارك (١،٥ مليون دولار) احداهما لوحة "الشاعر الفقير" الشهيرة.

فهل يستحيل بيعهما؟ عن هذا السؤال يجيب غونتر فرموش وهو صحافي ومؤرخ فني من برلين: "لا، ليس مستحيلا. أذكر أنني قرأت في صحف ألمانية وسويسرية إعلانات مبوّبة جاء فيها: مطلوب لوحة لسبيتزفيغ."

لو اقتصرت المسألة على مواجهة بين اللصوص والشرطة، لكان ضبط السرقات

PHOTO: HEINZ PLENGE — PETER ARNOLD

أسهل كثيراً. لكن التواطؤ متفشّ في عالم الفن. ويؤكد روبرت فولب وهو مستشار دولي في شؤون السرقات الفنية عمل طوال ١٨ سنة مع شرطة مدينة نيويورك: "لولا تعاون أصحاب المعارض ومموّلي أسواق السلع المستعملة ودور المزادات والمتاحف وجامعي التحف لما استطاع اللصوص تنفيذ عملياتهم."

وهناك أشخاص كثيرون معروفون باستقامتهم مستعدون للتغاضي عن القانون. فحين تظهر تحفة فنية، وإن تكن الأوراق التي تثبت أصالتها تتضمن حداً غير وافٍ من المعطيات، ينتهز التجار الفرصة لشرائها. ويلقي فولب اللوم على الصمت في أوساط الشارين المحترفين، وتشاطره هذا الرأي باليسترازي التي تطارد عصابات السرقة، وتضيف: "إن عالم الفن مغلق جداً. وحين نتقصى معلومات من نوع معين لا نحظى بمساعدة."

تاريخ ضائع. عملت الجمارك الامريكية بالتعاون مع "الوكالة الامريكية للمعلومات" لوقف تهريب الغنائم الأثرية من أمريكا اللاتينية. فقد درج اللصوص على نهب آثار المايا والاولميك والانكا وشحنها شمالاً الى السوق الامريكية المتطلبة. وعام ١٩٧٠ وضعت منظمة الاونيسكو اتفاقاً دولياً لضبط أعمال النهب والتجارة بالمسروقات.

ومن بين الدول التي تُعتبر كبرى أسواق التحف المسروقة، انفردت الولايات المتحدة وكندا في توقيع الاتفاق، فيما رفضت التعاون كل من بريطانيا وفرنسا وألمانيا وسويسرا وهولندا والدول الاسكندينافية واليابان.

وبموجب القانون أُلزم التجار أن يثبتوا أن التحف التي يستوردونها، وخصوصاً الآثار الآتية من مناطق معينة في السلفادور وغواتيمالا والبيرو وبوليفيا، هي غير مسروقة. يقول جاك جوزفسون رئيس "اللجنة الاستشارية للممتلكات الثقافية" التابعة لوكالة المعلومات الأمريكية: "نتيجة هذا القرار، لم تعد آثار الحضارات التي سبقت مجيء كولومبوس الى أمريكا والمستوردة من تلك البلدان تدخل الولايات المتحدة مباشرة، بل أصبحت تُرسَل الى أوروبا ثم تتدفق منها الى الولايات المتحدة."

عام ١٩٨٧ سبق سارقو القبور علماء الآثار المنقبين عن حضارة الموتشي في شمال البيرو، فدخلوا قبراً رائعاً عثروا فيه على أقنعة ذهبية وخوذ من النحاس وجواهر ونفائس أخرى اشتراها تاجر من جنوب كاليفورنيا وخزنها في بريطانيا ثم شحنها الى الولايات المتحدة. وقد طُلي بعض هذه التحف بالطين ودمغت عليه عبارة "صنع في بوليفيا." وما زالت البيرو تحاول استرجاع ما بقي في كاليفورنيا من كنز حاكم سيبان.

يقول جوزفسون: "ما يشغلنا هو أن السارقين يهدمون المواقع التي يعثرون فيها على التحف فيبددون صفحات من التاريخ الى الأبد." وتشاطره الحكومة

التركية هذه المخاوف. فمنذ العصر الحجري الحديث[٤] كان شبه جزيرة الأناضول ملتقى الغزاة والحضارات. وفيه عشرون ألف نصب، وعشرة آلاف قبر، وخمسة آلاف ربوة قد تخفي مستوطنات قديمة مدفونة، وثلاثة آلاف مدينة قديمة تنتمي الى ٣٦ حضارة سبقت الحضارة التركية، يأخذ منها السارقون ما طاب لهم. في هذا الصدد يقول أوزغن أكار وهو أحد أشهر المحققين الصحافيين الأتراك: "ما من مكان آخر في العالم يحتوي على هذه الكميات وهذا التنوع من الفن القديم." ويضيف أن المزارعين في موطنه يستدينون لشراء أجهزة لكشف المعادن، وأن منشورات دور المزاد الشهيرة مثل "سوذبي" و"كريستي" هي من أكثر المنشورات مبيعاً في البلاد.

إلا أن اللوم يقع جزئياً على بلدان المنشأ. فتركيا ومصر واليونان وايطاليا وسواها تعلن ملكيتها جميع الآثار المدفونة في أراضيها، لكنها تعجز غالباً عن دفع ما وعدت به في مقابل الاكتشافات المنبوشة. يقول جوزفسون: "إن المزارع المصري لن يبلّغ عن أي اكتشاف أثري خشية مصادرة أرضه، لذا تراه يبيع ما يعثر عليه الى قريب له في القاهرة." وهكذا ينال جزءاً صغيراً من قيمته بالمفرق (القطاعي) وهذا أفضل كثيراً من أي سعر رسمي.

"أونيدروا"[٥] منظمة حكومية مشتركة مقرّها روما، تعدّ أسساً للتوفيق بين القوانين الوطنية في شأن الاتجار بمسروقات تراثية وتعمل لجعل اتفاق الاونيسكو مقبولا أكثر مما هو الآن. كما يأمل الانتربول وغيره من أجهزة الامن أن توفر معطيات الكمبيوتر مساعدة أكبر في هذا المجال.

في أي حال، لن يغير شارو التحف المسروقة موقفهم ولن تغيِّره القوانين. وعندما يلام التجار وخبراء الفن على تواطؤهم تراهم يصرّون على القول إنهم أنقذوا هذه التحف من مصير مجهول.

يرى ج. هـ. مريمان، وهو أستاذ فخري للقانون في جامعة ستانفورد واختصاصي بالملكية الثقافية، أن "انتماء قطعة ما الى بلد ما لا يعطي هذا البلد حقاً مطلقا فيها. فهي قد تلقى عناية فضلى وتُعرض بشكل أفضل ويراها عدد أكبر من الناس اذا وضعت في أحد متاحف بلد آخر."

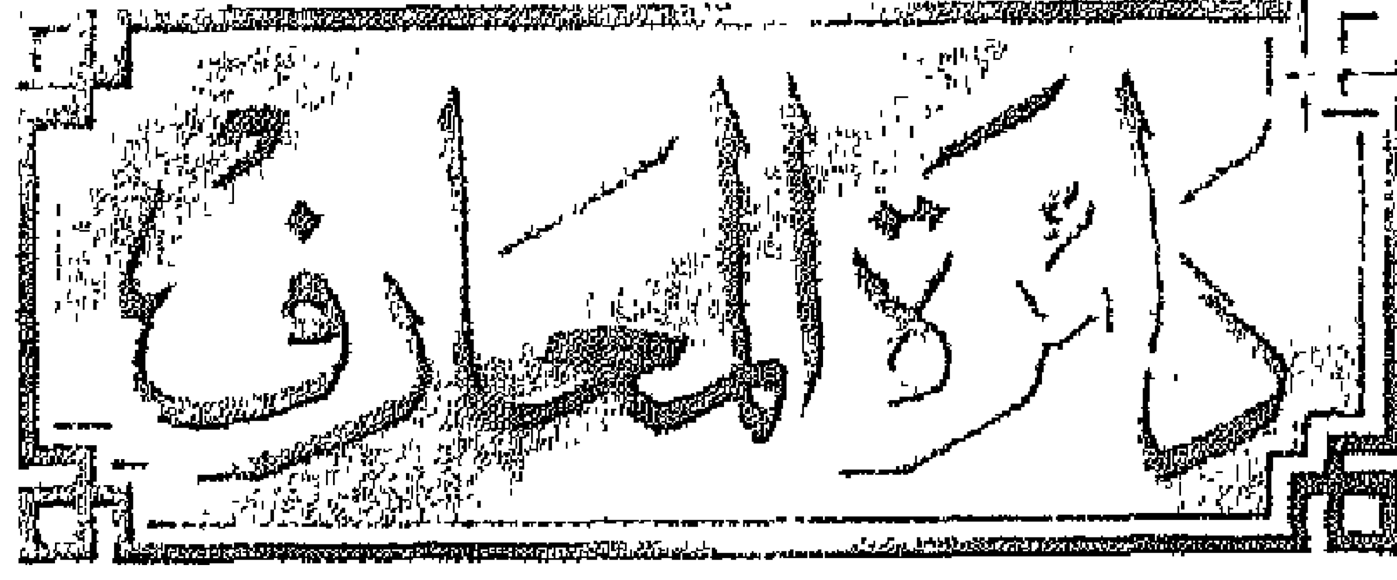
لكن وجهة النظر الداعية الى عدم التدخل وترك الامور كما هي تعكس نفسية تشجع السرقات الثقافية على أنواعها. فعندما يُفرغ قبر في البيرو أو ينتهك معبد أو تنزع لوحة لرنوار من إطارها في أحد المتاحف، كيف تستطيع المجتمعات الثرية والفقيرة الاستمتاع بالفن طويلا؟

إن عالم الفن اذ يتغاضى عن الآفة التي تتأكله يفقد الأمان ويفقد الفن ويفقد الجوهر.

جايمس والش ■

(٤) Neolithic period

(٥) Unidroit



امثال الامم ثمار تجاربها. ومثلما تتشابه التجارب تتشابه الامثال. هنا امثال انكليزية شائعة وما يقابلها من امثال العرب واقوالهم. وقد استقيناها من مجموعة "مصابيح التجربة" لمنير البعلبكي.

1. Love is blind.

ويقابله عند العرب "الحب أعمى" وقولهم "حبُّك الشيء يعمي ويصمّ" وقولهم "إن الهوى شريك العمى."

2. A friend in need is a friend indeed.

ويقابله في العربية قولهم "الصديق عند الضيق" وقولهم "عند الشدائد تُعرف الاخوان."

3. Birds of a feather flock together.

ويقابله في العربية "إن الطيور على أشكالها تقعُ."

4. Diamonds cut diamonds.

ومعناه "الالماس يقطع الالماس." ويقابله في العربية قولهم "إن الحديد بالحديد يُفلَحُ" وقولهم "لا يفلّ الحديد الا الحديد" وقول الشاعر:

ولكل شيء آفة من جنسهِ
حتى الحديدُ سطا عليه المبردُ

5. Never put off till tomorrow what can be done today.

ويقابله عند العرب قولهم "لا تؤجل عمل اليوم الى غد."

6. A fox is not taken twice in the same snare.

ومعناه "لا يوقَع الثعلب في الشَرَك نفسه مرتين." وهو يذكّر بقول النبي صلى الله عليه وسلم "لا يُلدغ المؤمن من جُحْر مرتين."

7. Hunger is the best sauce.

ومعناه "الجوع أفضل الصلصات." وهو شبيه بقولنا اليوم "الجوع أمهر الطباخين."

8. All is not gold that glitters.

ومعناه "ليس كل ما يلمع ذهبا." ونظيره قول العرب "ما كلّ أصفرَ ديناراً لصفرتِهِ" وقولهم "ما كل بيضاء شحمة ولا كل سوداء تمرة."

9.Prevention is better than cure.

ويقابله في العربية قولنا "درهم وقاية خير من قنطار علاج."

10. Speech is silver, but silence is gold.

ويقابله قول العرب في أمثالهم "مقتل الرجل بين فكيه" وقولهم "سلامة الانسان في حفظ اللسان" وقولنا نحن اليوم "اذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب."

11. A secret between more than two is no secret.

ويقابله في العربية "كل سرّ جاوزَ الاثنين شاع."

12. Cleanliness is next to godliness.

ومعناه "النظافة أقرب شيء الى التقوى." ويقابله

في العربية الحديث النبوي الشريف "النظافة من الايمان."

13. Like father like son.

ومعناه "الولد مثل أبيه." ويقابله عند العرب قولهم "من شابَهَ أباه فما ظلم."

14. Necessity knows no law.

ومعناه "الضرورة لا تعرف قانونا." ويقابله في العربية "الضرورات تبيح المحظورات" و"للضرورة أحكام."

15. A bird in hand is worth two in the bush.

ومعناه "عصفور في اليد يساوي اثنين في الأجمة." ويقابله قول العرب في أمثالهم "بيضة اليوم خير من دجاجة الغد" وقولنا اليوم "عصفور في اليد خير من عشرة على الشجرة." ولجبران خليل جبران رأي طريف ومختلف في هذا الموضوع، اذ قال في كتابه "رمل وزَبَد": "يقولون لي: عصفور في اليد ولا عشرة على الشجرة. أما أنا فأقول لهم: إن عصفورا واحدا على الشجرة خير من عشرة في اليد."

16. Forbidden fruit is sweet.

ومعناه "الثمرة المحرَّمة حلوة." ويقابله في العربية "كل ممنوع متبوع" و"أحبُّ شيء الى الانسان ما مُنِعا" و"المرء توّاق الى ما لم ينلْ" وقول الشاعر:

رأيت النفس تكره ما لديها
وتطلبُ كلَّ ممتنعٍ عليها

17. When you are at Rome do as the Romans do.

ومعناه "عندما تكون في روما تصرَّف كالرومان." ويقابله عند العرب المثل "اذا كنت في قوم فاحلبْ في إنائهمْ" والمثل "نصف العقل مُداراة الناس" وقولهم" دارِهِمْ ما دمت في دارهم، وجارِهِمْ ما دمت في جوارهم، وأرضهم ما دمت في أرضهم."

18. Everything comes to him who waits.

ويقابله في العربية "من تأنّى نال ما تمنّى."

19. Strike while the iron is hot.

ويقابله عند العرب قولهم "اضرب حديداً حامياً" وقولهم "اختمِ الطين ما دام رطباً."

20. A drowning man will clutch at a straw.

ومعناه "الغريق يتعلَّق بقشّة." ويقابله قول العرب اليوم "الغريق يتعلَّق بحبال الهواء."

21. Charity begins at home.

ومعناه "الاحسان يبدأ في البيت." ويقابله في العربية "الاقربون أولى بالمعروف."

22. Actions speak louder than words.

ويقابله في العربية "الافعال أبلغ من الاقوال" وقول أبي تمّام في قصيدته "فتح عَمُّوريَّة":

السيف أصدقُ إنباءً من الكتب
في حَدِّهِ الحدُّ بيَن الجدِّ واللَّعِبِ

23. God helps them who help themselves.

ومعناه "يساعد الله أولئك الذين يساعدون أنفسهم." وتقابله في العربية الآية الكريمة "إن الله لا يغيِّر ما بقومٍ حتى يغيِّروا ما بأنفسهم" والحديث النبوي الشريف "اعقِلْها وتوكَّل" وقولهم "قُم يا عبدي أقُمْ معك."

24. Out of sight, out of mind.

ومعناه "بعيد عن العين، بعيد عن البال." ويقابله عند العرب قولهم "البعد جفاء" وقولهم "البعد ينسي."

25. Union is strength.

ومعناه "الاتحاد قوة." ويقابله عند العرب القول المأثور "يد الله مع الجماعة" وقول الشاعر:

تأبى الرماحُ اذا اجتمعنَ تكسُّرا
واذا افترقْنَ تكسَّرَتْ آحادا

قصة من واقع الحياة

قصدا الوادي النائي للسباحة في مياهه الصافية لكن القدم زلت بهما فسقطا من أعلى شلال



جوّالان في وادي الشياطين

كانت حماسة أماندا ميليغان لا توصف حين أوقفت سيّارتها الجيب الحمراء على حافة الوادي الصخري الشديد الانحدار. فقال لها خطيبها بريان تشارلز وهي تطفىء المحرّك: "أصغي، ألا تسمعين هدير الشلالات؟"

خطا بريان وأماندا نحو الحافة ونظرا الى أسفل. فلاح لهما "وادي الشياطين"[1] الذي يعتبر من أكثر المناطق وعورة في غابة كليفلاند الوطنية بجنوب كاليفورنيا. وطالعتهما أجراف سحيقة ونتوءات صخرية ومنحدرات تغطيها الشجيرات وتترامى ٣٠٠ متر هبوطا الى القعر.

كان بريان (٢٤ عاما) وأماندا (٢٠ عاما) من جوّالي المناطق الوعرة المتمرّسين. وهما قاما معاً بكثير من الرحلات الجبليّة. وكانت وجهتهما ذلك الأحد في ٢ يونيو (حزيران) ١٩٩١ سلسلة من الشلالات تدعى "الشقيقات الثلاث."[2] وكان بريان، الذي سبق له أن زار المكان، أخبر أماندا عن الحوض الطبيعي الرائع الواقع تحت الشلال الرئيسي حيث يمكنهما الغوص في مياه صافية بعمق ستة أمتار.


للوصول الى الوادي، فتح الخطيبان

---

(١) Devils Punch Bowl

(٢) Three Sisters

ILLUSTRATIONS: JEFFREY MANGIAT



بوابة خاصة وقطعا في السيارة مسافة ٨٠٠ متر على درب غبراء ندر استعمالها. وعند الظهر فك بريان رباط مديته استعداداً للسير عبر الدغل، وارتدت أماندا سترة تقيها الاشواك وسارت حاملة على كتفيها كيساً من قماش وضعت فيه زادهما.

تلاشى كل أثر للدرب، وتعين على بريان أن يختار طريقه بدقّة. وكان وجه أماندا يتصبب عرقاً وخصلات شعرها الطويل تعلق بالاغصان. فقالت لخطيبها: "طريقنا وعرة جداً، لا أظنني قادرة على اكمال الرحلة."

فرد بريان: "يمكننا أن نعود أدراجنا اذا شئتِ."

لكن إغراء المياه الباردة كان لا يقاوم، فقررت أماندا المضيّ قدماً. ولم يلبثا أن عثرا على درب أوصلتهما الى الشلالات.

نُحتت "الشقيقات الثلاث" في الصوان (الغرانيت) الصلب بفعل دفق الماء عند ملتقى جدولين. وكان الشلال الأعلى يهبط اثني عشر متراً الى الحوض الكبير حيث اعتزم الخطيبان أن يسبحا. ومن هناك ينصبّ الماء عن حافة صخر لينهال في شلال ضيق يصبّ في حوض صغير ثم يهوي في زخم عظيم حوالى أربعة عشر متراً لينتهي الى الحوض الاوسط ومنه الى الشلال الثالث.

لمح بريان وأماندا على الضفة المقابلة صخرة مشمسة مسطحة يمكنهما أن يستقرّا عليها ويتناولا طعامهما، وكل ما عليهما فعله ليبلغاها هو خوض المياه الضحلة المنصبّة عن حافة الحوض الأعلى.

الانزلاق. خلعت أماندا حذاءها ووضعته في كيس القماش. كانت الساعة الثالثة بعد الظهر وهي الفترة الاشد قيظاً في النهار، وكان الرذاذ البارد منعشاً. وخلع بريان حذاءه هو أيضاً وربط شريطي الفردتين معاً وعلّقهما فوق كتفه وخاض في الماء الذي لم يتجاوز عمقه الثلاثين سنتيمتراً. لكن القاع كان زلقا، فاستدار ليحذّر أماندا التي كانت تنزل الى الماء. قالت له: "الماء سريع..." لكنها قطعت عبارتها بصرخة لدى انزلاق قدميها. وحاول بريان الامساك بها لكنه لم يقبض الا على شعرها، الامر الذي أفقده توازنه وأوقعه في الماء. وانجرف الاثنان مع التيار نحو الحافة، وهويا ثمانية أمتار مع الشلال وهما يرتطمان بالصخور.

أدرك بريان أن لا أمل لهما بسوى الخروج من الماء لدى بلوغهما الحوض الصغير. فتشبث بشعر أماندا وهما يهويان الى عمق الحوض الصغير، وبذل قصارى جهده ليطفو على الماء، لكن التيار كان أقوى منه.

أفلت بريان شعر أماندا لكي لا يصطدما أثناء سقوطهما. فصرخت الفتاة وسط هدير الشلالات: "بريان! سوف نموت!" ولم تمضِ لحظات، حتى انقذفا عن الحافة.

حين بلغ بريان الحوض الأوسط دفعته أطنان المياه المتساقطة فوقه الى القاع

الصخري. فأحس شيئاً يتمزّق في ظهره وكأنه طعن بحربة. أما أماندا فاصطدمت بالقاع بقوة وشعرت بألم حاد في ظهرها، ثم أحسّت ضغطاً خانقاً يعتصر صدرها ويفرغ مخزون رئتيها من الهواء.

تقاذفت المياه الاثنين كغصنين في عاصفة. لكنها عادت ولفظتهما بعيداً عن صخب الشلالات لتحط بهما في الجزء الأكثر هدوءاً من الحوض. فطفا بريان وهو يسعل ويبصق الماء، وفكر: "يا إلهي! لا أستطيع تحريك قدمي!" وراح يتخبط في الماء صعوداً وهبوطاً وهو يكاد يختنق. وتحقق له أنه لامحالة غارق، فأخذ يجذّف بيديه يائساً لابقاء رأسه فوق الماء. أما أماندا فاستطاعت البقاء عائمة بتحريك قدميها، لكن الجهد الذي بذلته سبب لها آلاماً مبرحة. أخيراً تمكن الاثنان من بلوغ حافة الحوض وتشبّثا بصخرة وهما يشهقان ويرتعدان.

"لا تتركني!" تمكّن بريان بعد نزاع مرير من جر نفسه فوق الصخرة. وحاولت أماندا أن تتبعه، لكنها عجزت عن رفع ركبتها فوقعت الى الخلف وهي تصيح مذعورة: "لا يمكنني أن أخرج من هنا!" ثم أحسّت شيئاً مشبوكاً حول قدمها. كان ذلك حذاء بريان، فرفعته بمشقّة واستطاعت أن تعلو بركبتها وتلتف حول الصخرة على رغم الألم الممض. لكن ذلك لم يشعرها بالراحة، فصاحت كمجنونة: "لقد كُسر ظهري."

حاول بريان أن يهدىء من روعها قائلاً: "سننجو ونخرج من هنا." لكنه لم يكن شعر في حياته بذلك العجز، فتمتم: "ساعدني يا رب!"

تلاشى تأثير الصدمة وبدأ بريان يحسب احتمالات النجاة: ليس من المتوقع أن يصل جوّالون آخرون في وقت كهذا. وسيارتهما متوقفة في مكان لا يراه أحد. وأهل أماندا ينتظرونهما على العشاء، لكن الليل سيهبط قبل أن يثير تأخرهما ريبة أحد.

استدار بريان ونظر الى أماندا التي ارتسمت على قسماتها أمارات ألم شديد، وفكر: "اذا دخلَتْ في حال صدمة فانها لن تصمد طويلاً. لا يمكنني البقاء هنا، يجب أن أفعل شيئاً والا متنا."

حاول بريان أن يحرّك قدميه، فاستجابتا هذه المرّة. فاستجمع قواه ونهض وخطا خطوة الى الأمام. فأحسّ أنّ في امكانه السير اذا ما قوّس ظهره وغالب ذلك الشعور الحارق الذي اخترق عموده الفقري وصولاً الى قدمه اليسرى.

قال لأماندا: "عليّ أن أذهب، فنحن نحتاج الى مساعدة."

فتوسّلت اليه: "لا تتركني، أرجوك."

كانت فكرة بقائها وحيدة ترعبها، لكن بريان أجابها بهدوء: "عليّ أن أذهب."

أدرك بريان أن التسلّق سيكون صعباً، لكنه فكر في أنه اذا ما وصل الى سيارة الجيب فستكون البقية سهلة. كانت قدماه تؤلمانه، فانتعل حذاءه المبلل وحزم العدة الى ظهره علّ ذلك يخفف ألمه. لكن الوجع الممض أجبره على التوقف بعد كل

خطوتين، فكان يتريث قليلاً ويعاود الانطلاق. اجتاز مسافة ٦٠ متراً في ٢٠ دقيقة، وعندما استدار نحو أماندا رآها قابعة عند حافة الحوض وهي ترتجف برداً وألماً.

فراش من عشب. بدأت الشمس تميل نحو المغيب والظلال تخيم على الوادي الصخري. فقدر بريان أن الحرارة ستهبط الى ما دون ١٠ درجات مئوية. وفكر: "لن أصل في الوقت المناسب، وقد تموت أماندا من شدّة البرد."

وفيما هو على هذه الحال لمح رقعة من الحشائش اليابسة، فالتمعت في رأسه فكرة: سيلفت الدخان انتباه حرّاس الغابة. فجرّب عيدان الثقاب المقاومة للماء التي كان يحملها، لكنها خذلته الواحد تلو الآخر. وبدلاً من الخلود الى اليأس وضع العيدان الباقية تحت أشعة الشمس نحو عشر دقائق لكي تجف، ثمّ أعاد الكرّة. فاتقد عود واحد لكنه انطفأ سريعاً.

اجتاح بريان شعور قارب اليأس وكاد يدفعه الى البكاء: "ماذا أفعل الآن؟" لكنه ما لبث ان استعاد تصميمه. فقفل راجعا الى أماندا، وبحث عن مكان آمن من الريح يقضيان الليل فيه. وسرعان ما وجد ضالته في صدع على علوّ خمسة عشر متراً فوق الحافة حيث كانا.

جز بريان أعشابا بمديته وفرشها على الأرض الصخرية والخشنة. كان ثقل الاعشاب التي حملها كافياً لبثّ الألم الشديد في ظهره، فحار في طريقة تحريك أماندا. واذ لم يهتدِ الى حلّ قال في نفسه: "عليها أن تزحف الى هنا." وعندما طلب منها ذلك صاحت: "لا يمكنني أن أتحرك، فالألم شديد."

فقال لها: "عليك أن تفعلي، فان مكثت حيث أنت فستموتين."

بذلت أماندا قصارى جهدها للزحف على الضفة الشديدة الانحدار. ولما وصلت الى فراش الاعشاب استلقت منهكة مرتعشة. ثم قالت هامسة: "أعتقد أنني سأغيب عن الوعي." فقال لها بريان: "يجب أن تصمدي يا أماندا."

استلقى بريان الى جانبها متألماً وطوقها بذراعيه. كانت ثيابها رطبة، فأحكم ذراعيه حولها حتى كفّت عن الارتعاش.

هدير فوق. كانت لانيت ميليغان أعدت طعاماً مكسيكياً من النوع المفضل لدى ابنتها أماندا. انقضت الساعة السابعة مساءً ولم يصل الشابان، فتناول مايك ولانيت العشاء منفردين، ثم جلسا يتفرّجان على التلفزيون. وفي الحادية عشرة ليلاً عيل صبرهما، وقالت لانيت لزوجها: "لقد حصل لهما مكروه."

اتصلت بوالدة بريان بات تشارلز، فألفتها قلقة هي أيضا. واقترحت بات الاتصال بالشرطة.

لم يستطع بريان وأماندا النوم في جحرهما البدائي الخالي من أسباب

الراحة، فراحا يتذكران كلمات أغانيهما المفضلة. وحاولت أماندا جاهدة الا تدع بريان يشعر بأنها خائفة. وتضرّعا الى الله لكي ينقذهما من محنتهما. وراحا يتشجعان بمحاولة تكهّن من سيبادر الى انقاذهما. لكن بريان كان يخشى في سرّه ألا يجدهما أحد.

قرابة السابعة والنصف من صباح اليوم التالي أعلن بريان أنه سيحاول البحث عن نجدة مرة ثانية، وراح يستكشف ببصره الطريق التي سيسلكها. فرأى درباً شديدة الانحدار تكاد الاشجار الشائكة تجعل عبورها مستحيلاً، لكنها كانت الاقصر الى القمة. ففكر في قرارته: "سأنجح هذه المرّة." وراح يتسلق الدرب الشاقة دابا على يديه وقدميه كعنكبوت.

زاد تقدمه يسراً حين بلغ منحدرا ترابيا، لكن المنحدر أخذ يضيق اطرادا حتى انتهى الى صخرة عالية تكلّلها أجمة من الشجيرات الشائكة. فتطلّع اليها محبطا وفكر: "لا سبيل الى اجتياز هذه الصخرة. ولكن عليّ أن أفعل."

تناسى بريان ألمه وجهد في تركيز ركبته فوق نتوء صخري ساحباً جسده الى فوق. ثم شق طريقه وسط الاغصان المتشابكة قائلاً في نفسه: "سأكون بخير حين أصل الى فوق."

وقبيل بلوغه القمة سمع هدير مروحيّة تحلّق فوق حافة الوادي. فتهلل فرحاً ونزع قميصه وأخذ يلوح به. لكن المروحية ابتعدت. فانطرح محبطاً على صخرة معللاً النفس بعودتها. انتظر نصف ساعة ثم قرر معاودة التسلّق قبل اشتداد الحرارة.

سعيدة حقاً. في الثامنة صباحا كان مكتب الشريف[3] في مقاطعة سان دييغو بدأ حملة تفتيش وانقاذ ضخمة. فانطلق الطيار نك ساراسيني والمسعف الطبي أبولينار ايشيفريا في مروحية خفيفة من طراز "ماكدونل دوغلاس ٥٠٠" يحوّمان فوق "وادي الشياطين" مستكشفين.

وكان والدا بريان وأماندا جورج تشارلز ومايك ميليغان قررا البحث عن ولديهما بعدما عصف بهما القلق طوال الليل. لكنهما لم يعرفا أين يبدأان. وسرعان ما تذكرت لانيت ميليغان اسم مارك أندري، وهو صديق لبريان خيم معه سابقاً في وادي الشياطين. فاتصلت به. وفي التاسعة صباحا عثر الرجال الثلاثة على سيارة أماندا عند حافة الوادي. فركض مارك الى الشفير وصاح بأعلى صوته: "بريان، هل أنت بخير؟"

كان بريان يستعد لمعاودة التسلق حين سمع نداء صديقه، فصرخ: "أنا هنا تحت."

شاهد الرجال الثلاثة المروحية تبتعد، فهرع جورج تشارلز الى الجيب وأخذ يرسل اشارات ضوئية الى الطائرة بواسطة المرآة. فشاهدها ايشيفريا ودار ساراسيني بالمروحية نحوها.

وصلت المروحية الى حافة الوادي

(٣) الشريف هو المسؤول الامني في البلدات الامريكية.



بريان تشارلز واماندا ميليغان.

وهبطت لانتشال بريان، ففكر هذا: "كأنني في مشهد من فيلم." ثم خاطب الطيار والمسعف: "أنا بخير، لكن وضع أماندا سيىء جداً."

تبع ساراسيني ارشادات بريان، فحلّق فوق الصدع وشاهد أماندا داخله وهي تلوّح لهم. حاول الهبوط مراراً، لكن الصخور كانت تتزحزح تحت ثقل مروحيته. أخيراً عثر على أرض صلبة استطاع ايشيفريا القفز اليها بأمان.

حين وصل المسعف الى أماندا قالت له: "أنا سعيدة حقاً لمشاهدتك."

فطمأنها: "سيكون كل شيء على ما يرام، وسنخرجك من هنا." ثم بدأ اجراء فحص لها، وكانت ترتجف من البرد وقدماها مشلولتان لا تتجاوبان.

قال ايشيفريا لساراسيني: " اتصل بمروحية الاسعاف."

لم تكن مروحية الاستكشاف تتسع للحمّالة التي وضعت أماندا عليها. لذلك فتح باباها من الجانبين ومددت الحمالة في عرض المروحية. فارتعبت الفتاة اذ ألفت رأسها خارجاً في الهواء من جهة وقدميها من جهة أخرى، ولم تتوقف عن التفكير في أنها ستقع في الماء من جديد. وحين حطت المروحية على حافة الوادي قالت لوالدها باكية: "عرفتُ أنك ستجدني." ثم نُقلت وبريان الى المستشفى.

وجد جراح العظم الدكتور لورنس جنكينز فقرة مهشّمة في ظهر بريان. وكانت اصابته هذه مشابهة لاصابة أماندا، لكنه كان مصاباً أيضا بتمزّق عضلي في الجزء الاعلى من ظهره وبكسر في قدمه اليمنى وآخر في قدمه اليسرى. فقال الجرّاح: "لم أرَ في حياتي أحداً يستطيع النهوض والتسلّق وهو مصاب هكذا. فكل خطوة خطاها بريان كانت تحمل خطر الشلل التام."

لكن أماندا، التي أصبحت الآن مثل بريان في الطريق الى الشفاء التام، بدت أقل تعجبا من إنجاز خطيبها المذهل. وهي تقول: "كلانا يدرك أننا لا نستطيع الفراق. بريان هو بطلي وأفضل صديق لي في العالم. لقد تسلّق ذلك الجبل من أجلي."

جون فيغور ■

نحن نشعر بأننا أحرار عندما نصدر أوامر أكثر مما نتلقى.

مارسيل جوليان، كاتب فرنسي



الرّجاء عدم التدخين

قصة شركة فرنسية حظرت التدخين في حرمها منذ ٥٥ سنة

أصدر البرلمان الفرنسي في ١٠ يناير (كانون الثاني) ١٩٩١ قانوناً يحظر التدخين في جميع الاماكن العامة في أنحاء فرنسا. وعلى رغم دعم الحكومة لهذا القانون فانه لم يطبق بعد ولم يُحدث تأثيراً فاعلاً حقيقياً. وفيما يدور جدل حامٍ بين الوزارات حول تحديد معنى "الاماكن العامة"، لا يزال غير المدخنين يتنشقون دخان السجائر كما كانوا يفعلون.

هنا قصة شركة فرنسية يُحظر فيها التدخين.

تشممتُ الهواء تكراراً في أحد مباني مدينة لومان مستكشفاً أي دليل طفيف على دخان سجائر. لماذا؟ لان الشركة المقيمة هنا – شركة حماية السيارات والرياضة .D.A.S للاستشارات القانونية – تحظى بسمعة فريدة في فرنسا منذ أكثر من خمسين سنة.

قال موظف الاستقبال: "هنا في D.A.S لا ندخن يا سيدي."

وأخبرني أنيك ديغرانج مدير قسم الموظفين: "التدخين محظور هنا منذ العام ١٩٣٧ حين رمى أحد العمال سهواً سيجارة نصف مطفأة في سلة المهملات فشبت النار وكادت تأتي على المبنى بكامله."

وقد أثار الحادث هلعا بين موظفي .D.A.S الاربعمئة حملهم على أخذ قرار جماعي سريع. واعتباراً من ذلك التاريخ أُعلن المبنى كله منطقة محرَّمة على التدخين.

ومع أن القرار كان ثوريا فقد ظل مغفلاً حتى العام ١٩٨٢ حين أُصدرت قوانين "أورو" ملزمة الشركات الفرنسية جمعاء وضع قوائم بأنظمتها الداخلية. فاغتنم مديرو .D.A.S الفرصة وأدخلوا قانون حظر التدخين في دفاتر الشركة.

لكن البادرة أغضبت المفتش الحكومي في منطقة باريس الذي رأى فيها "تعدياً على الحرية الشخصية" وحَكَم لمصلحة المدخنين.

ولكن في المقر الرئيسي في لومان أصر الموظفون على موقفهم. قال لي ديغرانج: "أدخلتُ نظام حظر التدخين في دفاتر الشركة." وبعد سنة حضر المفتش الاقليمي (المدخِّن بافراط) للتحقيق في الوضع والبحث عما اذا كان ثمة تكتّل ضاغط من غير المدخنين يزعج زملاءهم المدخنين ويخنق "حريتهم الشخصية."

ومرت سنتان تخللتهما اجتماعات كثيرة أسفرت في النهاية عن جواب حاسم: موافقة المدخنين وغير المدخنين بغالبية ساحقة على قانون الشركة الهادف الى ابقاء هوائها نقيا. واستمر حظر التدخين سارياً.

تعمل غيزلين ز. لدى .D.A.S منذ نحو سنتين. وهي تدخن بكثافة وتعترف بأنها ما إن ينتصف النهار حتى تجوع. وتضيف: "أتمنى لو يتسنى لي التدخين في غرفة مفرزة للتدخين، وخصوصاً حين أشرب القهوة. ولكن بما أن التدخين ممنوع في كل مكان، حتى في غرفة الاستراحة، فانه لا يخطر ببالي."

لدى مقابلة طالبي الوظائف في .D.A.S قد لا يُذكر لهم قانون الشركة الفريد. ولكن، يقول غي ك. الذي بدأ العمل في لومان قبل أربع سنوات منتقلاً من الشركة الأم "موتويل دو مان" من دون تنبيه سابق، "لا يلبث الناس أن يفهموا الرسالة. أنا كنت أدخن علبة سجائر يوميا، وأدركت أن القانون سيكون قاسياً عليّ. ومرّ وقت عانيت الأمرين محاولاً التركيز على العمل، ثم عاد الي الهدوء. أما الآن فيتنازعني شعوران متضاربان: رغبة في التدخين ونفور لدى رؤيتي زائراً مشرعاً سيجارته."

لم يوجه في .D.A.S توبيخ رسمي الى أي من المدخنين، علما أن أحداً لم يتجرأ على مخالفة قانون الحظر. وحتى خلال المحادثات التي تتناول أنظمة الشركة، تغفل رابطة العمال هذا الموضوع. ولكن لا تزال تُسمع في القاعات همسات، من نية سليمة، ضد حظر التدخين. فهل تبرر النتائج هذه الاجراءات الصارمة؟

يقول المدير المساعد ميشال بولبريه متباهيا: "انظروا الى جو العمل هنا في لومان. انه صاف، نقي الهواء، نظيف. ونسبة التغيب أدنى منها في أي من فروع .D.A.S الاخرى. لقد جعلنا من الحظر القاسي نمطا بهيجا في العيش داخل حرم شركتنا. ولا يخامرنا أدنى شك في أن الحظر عاد علينا بفوائد صحية كبيرة. وسيعود علينا بمزيد من الفوائد في المستقبل."

جان بيار بورسييه ■

مهرجان البحار

الدلافين من الطف الحيوانات
وكم من غريق في البحر
جرّته الى شاطيء الامان



داخل "مختبر الثدييات البحرية" في خليج كيوالو في هاواي، كان عالم النفس ومدير المختبر لويس هيرمان يستحث دلفينا لاختبار مهاراته.

سأل هيرمان الدلفين مستخدما لغة اليدين والذراعين: "هـل الكرة في المسبح؟"

فضغط الدلفين دوّاسة خاصة معطيا الجواب الصحيح: "نعم."

أشار هيرمان الى الدلفين ليدفع الكرة داخل طوق، ففعل. ثم أشار اليه لكي يعيد الكرّة، مزيلا الطوق هذه المرة. توقع هيرمان أن يرتبك الدلفين أو أن يضغط الدواسة الخاصة بـ"لا." لكن الدلفين حمل الكرة الى دواسة "لا" ووقف عندها كأنه يقول: "إنني أستطيع تنفيذ القسم الاول من طلبك، لكنني لا أستطيع تنفيذ القسم الثاني لأن الطوق ليس هنا."

PHOTO: © STEPHEN FRINK / WATERHOUSE

ذهل هيرمان. وهو يقول: "هذا رد فعل مبتكر ومرتجل كلياً لم يدرِّب الدلفين عليه. نحن لم نحلم أبداً بأن الحيوان سيفكِّر في حل لمشكلته بهذه الطريقة."

وعلى بعد حوالى ٨٠٠٠ كيلومتر في مياه جزر الباهاما الدافئة، كان الاختصاصي بعلم الاحياء البحرية ستيف لذروود يراقب دلفينة وهي تقترب من سفينة الابحاث "جنيفر ماري" التي استأجرتها "بعثات جمعية المحيطات."[1] وهذه واحدة من مجموعة كبيرة من الدلافين دأبت على العودة الى هذا الموقع لسنوات. راحت تسبح ببطء حول السفينة الصغيرة ثم تتوقف حيث يقف لذروود وأحد مساعديه في الماء. وفيما كان العالمان يراقبانها بدهشة، كانت هي تدفع صغيرها نحوهما ثم تسبح أمتاراً قليلة وتنتظر. وقد قال لذروود لاحقاً معلقاً: "كانت الدلفينة كأنها تقول: يا ناس، هذا ولدي، وأنت يا ولدي، أعرفك الى هؤلاء الناس. إن احساسنا بأن هذه الكائنات تنجذب طبيعياً الى الانسان يقوى كلما أمضينا وقتاً أطول برفقتها."

وعبر تيار الخليج، في "مركز أبحاث الدلافين" على جزيرة غراسي في جنوب فلوريدا، ينزل العالم النفساني ديفيد ناثانسون الى الماء حاملا طفلا في الخامسة من عمره يدعى بيلي راينر وُلد مصاباً بأعراض مرض "داون" أو المنغولية.[2] وبمجرد سماع صفارة المدرب، تشق الدلفينة "أليتا" عباب الماء في اتجاه العالِم والطفل.

يُبرز ناثانسون للصبي صورة أرجوحة في ملعب ويسأله: "ما هذه؟" فيتلوى بيلي بين ذراعيه. فيلحّ ناثانسون: "اذا أردت أن تلعب مع أليتا فعليك أن تقول لي ما هذه."

خرجت الكلمة من فم بيلي: "أرجوحة." فصفقت والدته فرحة وكانت واقفة على حافة البركة فوقهما. فللمرة الاولى يتعرف بيلي الى الصورة من دون أن تقال له الكلمة أولا.

وضع ناثانسون بيلي على زعنفة الدلفينة لتأخذه في جولة سريعة حول البركة مكافأة له. وهو يقول: "هناك ألفة بينهما لا يمكنني تفسيرها. فالدلافين تبدي رقة نحو بيلي كأنها تدرك أنه مختلف عن الاطفال الآخرين، فيصبح هو، في المقابل، مستعداً لتعلّم الاشياء."

في كل دراسة، يكتشف العلماء معلومات جديدة مذهلة عن هذه الثدييات الغامضة. وهم يؤكدون أن الدلافين تتخاطب وتتنادى بواسطة الصفير، وتتعاضد لدى وقوع أحدها في مأزق. وهي، كالخفافيش، تستخدم الموجات الصوتية لترى، وفي امكانها أن تحدد، بواسطة الصدى، موقع جسم بحجم قبضة يد على بعد حوالى مئة متر في مياه عكرة. بسبب هذه المزايا ووفرة من المكتشفات الاخرى يصنّف كثير من العلماء الدلافين بين أذكى الحيوانات.

(١) Oceanic Society Expeditions

(٢) Down syndrome or mongolism وهي بلاهة خلقية يكون الطفل المصاب بها منحرف العينين مسطح الجمجمة عريض اليدين قصير الاصابع.

نفثة دخان. أمضينا أسبوعا على متن "جنيفر ماري" برفقة لذروود والاختصاصية بعلم الاحياء البحرية باميلا بايرنز لمراقبة هذه الكائنات المدهشة عن كثب. وكانت إحدى مهماتنا تسلية الدلافين العابرة والهاءها لكي تبطىء سيرها ما يكفي لتصويرها وتصنيفها. وكنا عندما نسمع صرخة "دلافين!" نسارع الى ارتداء ملابس الغطس ونقفز الى الماء. كانت الدلافين تقترب منا مفعمة بالفضول، شأننا نحن حيالها، وهي تصدر أصواتا قصيرة حادة شبيهة بالضحكات الخافتة أو بالاصوات الناجمة عن احتكاك بالونات مبللة. كانت هذه الحيوانات، التي يزن الواحد منها نحو ١٤٠ كيلوغراما ويبلغ طوله حوالى مترين، تدور حولنا مسالمة وتسبح على بعد سنتيمترات من أقنعتنا وتراقبنا بعيون سود رقراقة.

وهي، كمثل الغواصات المزودة أجهزة سونار، ترسل موجات صوتية ترتد عن أجسامنا لكي تتفحّصنا. وتحتوي جبهة الدلفين على أنسجة دهنية تركّز الموجات الصوتية التي يطلقها الدلفين في حزم ضيقة، وقد تصل قوة الصوت المنبعث الى ٢٣٠ دسيبيل[٣] كافية لصعق سمكة.

تعشق الدلافين التقليد. ولم تشذّ تلك التي قابلناها عن هذه القاعدة. فقد كانت اذا سبحنا على ظهورنا تفعل مثلنا، واذا غطسنا تحت الماء تتبعنا. وقد يصل استخدام هذه الموهبة الى حد المبالغة. ذات مرة نفث أحد مدربي الدلافين دخان سيجارته على زجاج غواصة مراقبة. فانطلق دلفين صغير نحو أمه، رضع قليلا من ثديها، وعاد ليطلق من فمه غمامة حليب على الزجاج مقلداً نفثة الدخان.

وفي مختبر مائي آخر وضع الباحثون جهازاً تلفزيونياً حيث يراه أحد الدلافين. وما لبثوا أن لاحظوا ان الدلفين بدأ يسبح في دوائر ضيقة ويصدر زعقات عالية ويلتقط كرة طافية ويلقيها تكراراً في الهواء. وعندما هرع المدربون الى التلفاز أدركوا أن الدلفين كان يحاول تقليد مباراة بايسبول بما فيها اللاعبون والجمهور المتحمس والجلبة.

(٣) الدسيبل (decibel) وحدة لقياس القوة النسبية للاصوات استنادا الى مقياس يبدأ بالصفر لاخفت الاصوات المسموعة وتشير فيه درجة ١٣٠ الى متوسط مستوى الاصوات المؤلمة.

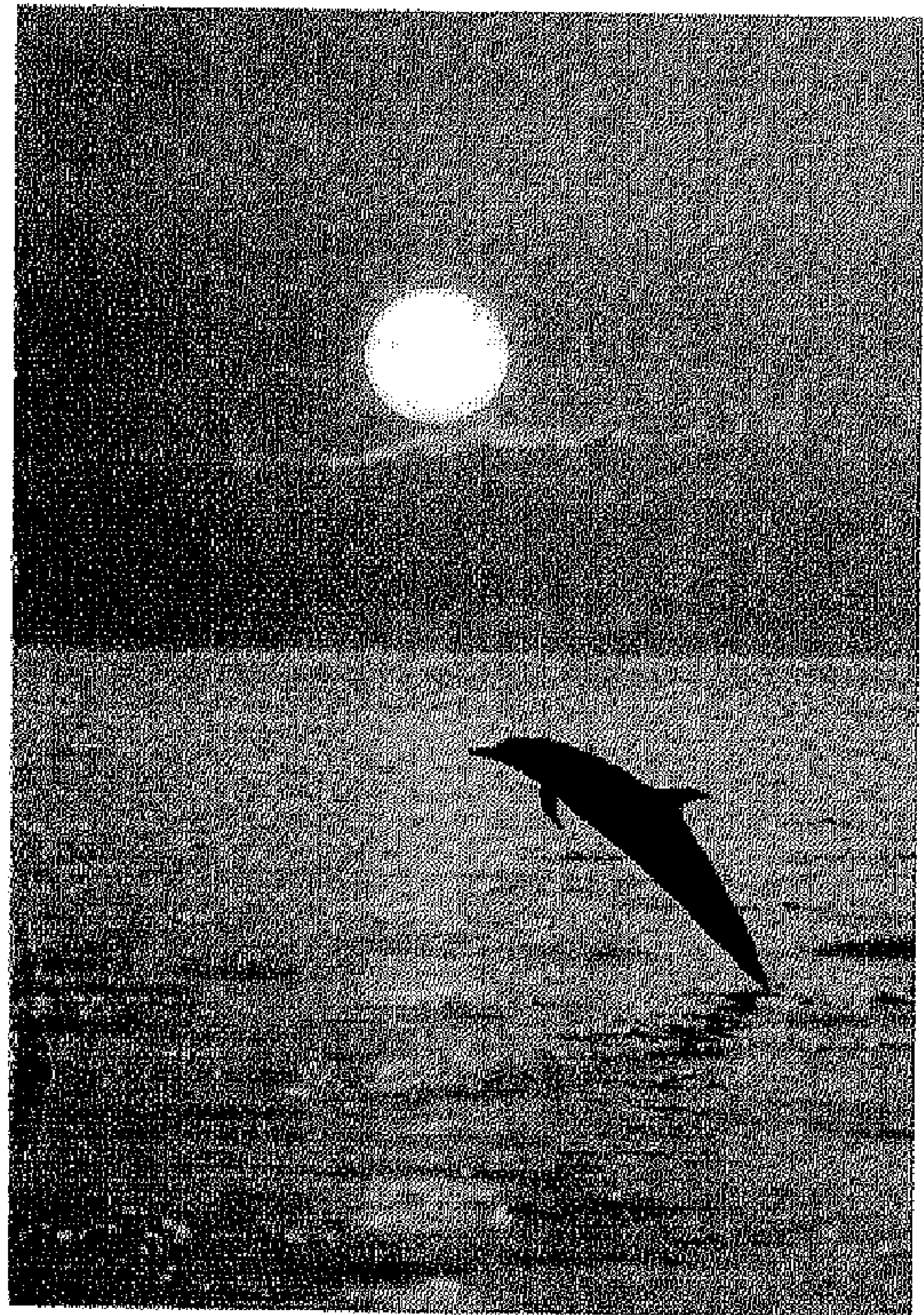


PHOTO: © JAMES WATT / ANIMALS ANIMALS

واكثر ما يبعث على الدهشة قدرة الدلافين على فهم لغة الاشارة. فقد أتقن واحد من دلافين هيرمان أكثر من ٥٠ "كلمة ايمائية" إضافة الى بعض قواعد النحو وتركيب الجمل. فهو يفهم، مثلاً، الفرق بين "خذ قارب المطاط الى هذا الشخص" و"خذ هذا الشخص الى قارب المطاط."

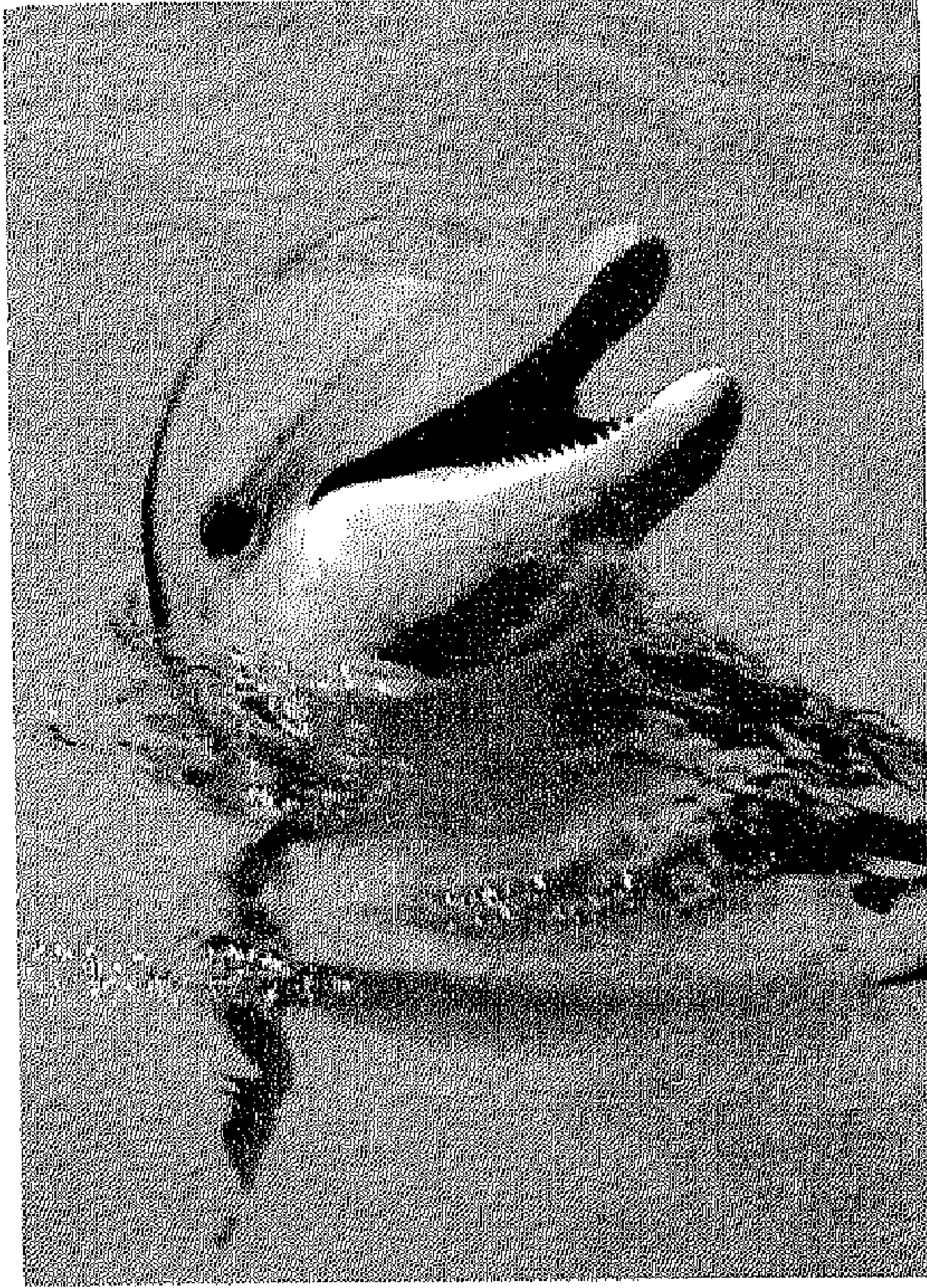
يقول هيرمان: "نحن ما زلنا في الاطوار الأولى لدراسة ذكاء هذه الكائنات وقدرتنا على مخاطبتها."

في احدى تجارب هيرمان عرض باحثان على دلفين صحن "فريزبي" وكرة وأشياء أخرى أرفق كل منها بنغمة صوتية خاصة. وسرعان ما تعلّم الدلفين تقليد النغمات وربط كل منها بالشيء الذي تمثّله. وفي النهاية صار الباحثون يعرضون الصحن أو الكرة على الدلفين من دون النغمة المصاحبة، فيصفر هو اللحن المناسب.

والآن يدرس العلماء سبل استخدام هذه القدرة "الكلامية" في عرض البحر. ويقول بيتر تياك وهو عالم من "مؤسسة وودز هول الأوقيانوغرافية" في ماساتشوستس: "لكل دلفين صفرة خاصة هي بمثابة توقيعه."

هناك أكثر من ٣٠ نوعاً من الدلافين تجوب بحار العالم. وقد يضم القطيع أكثر من ألف دلفين. وتتيح هذه "التواقيع" أو "الاسماء" لكل فرد في القطيع أن يُعلم الافراد الاخرى من هو وأين هو.

كذلك تستطيع الدلافين تقليد



"تواقيع" سواها. وعندما يرفق دلفين صفرته بصفرة دلفين آخر، فكأنه يقول فعلاً: "مرحباً يا سعد. هاأنذا ورد هنا." كما يمكن اعطاء معلومات إضافية بطول الصفرة وطبقتها الصوتية فيفهم منها: "ورد، هاأنذا سعد هنا، وأنا في مأزق."

يقول تياك: "البشر والثدييات البحرية، كالدلافين، هم بحسب علمنا الكائنات الوحيدة التي تعدّل ما تقوله ردّاً على ما تسمعه."

حاضنات رائعات. قد يكون مأزق سعد أسماك قرش أو حيتاناً قاتلة (أوركينوس أوركا) أو، أسوأ من ذلك، قوارب صيد. ومن المؤكد أن عمليات الصيد التجاري أنقصت الى حد كبير

PHOTO: © E.R. DEGGINGER / BRUCE COLEMAN, INC.

عدد سكان البحار من الدلافين خلال العقود الثلاثة الماضية. فعندما يكتشف الصيادون زعانف صفراء لمجموعة من أسماك التُن تسبح تحت قطعان الدلافين، يستعينون بالدلافين أدلَّة لإلقاء شباكهم الضخمة. لكن الدلافين تقع في الشراك هي أيضاً. وبحلول العام ١٩٩٠ كانت ملايين الدلافين نفقت غرقاً.

ما إن انتشرت أخبار الكارثة حتى أجبرت النقمة العارمة صناعة الأغذية في الولايات المتحدة على أخذ اجراءات لوقف المجزرة. وفي العام ١٩٩٠ أعلن كبار مصنّعي التُن أنهم لن يشتروا أسماك التن بعد الآن من أساطيل الصيد التي تستخدم الدلافين أدلَّة على أماكن هذه الاسماك. وفيما تستمر أساطيل صيد التن التابعة لدول أخرى في ممارساتها، أقفلت السوق الامريكية ٩٠ في المئة من أبوابها في وجه أسماك التن التي تُصطاد بهذه الطريقة.

مع ذلك، فثمة خطر كبير آخر ما زال قائماً هو "الجاروفة." فمئات من قوارب الصيد الآسيوية تنشر سُتُر الموت هذه كل ليلة في المحيط الهادىء الشمالي. وقد تغطي شبكة الجاروفة حوالى ٨٠ كيلومتراً طولاً، وهي إذ تطفو مع التيار تجرف كل ما يصادفها من حياة بحرية. وهناك قرار للامم المتحدة يهدف الى حظر الصيد بهذه الطريقة كلياً بحلول نهاية السنة ١٩٩٢.

على رغم المجزرة، تستمر الدلافين في الانجذاب نحو الانسان. وتكثر الروايات عن دلافين تجرّ ناجين من سفن غارقة الى الشاطىء.

ويقول لذروود: "الحقيقة هي أن الدلافين تحب اللعب مع كل شيء يطفو على سطح الماء. وليس لها أن تدرك – وهي حيوانات بحرية – أن الناس يحتاجون الى العودة الى اليابسة. ثم إننا نسمع بقصص الناجين فقط، فمن يستطيع اخبارنا كم من الناس جُرّوا في الاتجاه الخطأ؟"

ولكن لا مجال للشك في أن الدلافين تساعد بعضها بعضاً. ففي ساعة الوضع تتحلق الدلافين حول الرفيقة الوالدة لابعَاد أسماك القرش، كما تتولى لاحقا حضانة الصغار عندما تسعى أمّاتها وراء الطعام، فتسبح في تشكيل دائري يشبه الحظيرة كيما يتمكن الصغار من اللهو بأمان داخلها. وقد تحاول أحيانا إنقاذ صغير عالق في شبكة صياد، لكنها تفشل غالبا. كذلك تتعاون الدلافين في جمع الطعام، فتسبح حول سرب أسماك دافعة اياه الى السطح حيث تأكل براحة.

يقول تياك: "تضطر الدلافين الى التعاون لأنها حيوانات من ذوات الدم الحار، تتنفس الهواء وتعيش في بيئة معادية. حتى انها لا تتنفس آليا، إذ يتطلب الأمر رحلة الى سطح الماء وبذل جهد واعٍ لكل عملية شهيق وزفير."

حلّال عقد. ان ذكاء الدلافين وانجذابها الى الانسان أديا الى مشروع ناثانسون المبتكر في "مركز أبحاث الدلافين."

فهذا العالم النفساني يعمل هنـاك بمساعدة ١٥ دلفيناً على معالجة أطفال وبالغين مصابين بأعراض "داون" أو باستسقاء الرأس أو بالشلل المخي أو بنقص التغذية العضلي أو باصابات في الرأس أو النخاع الشوكي.

في العام ١٩٨٩، عندما أُحضر دين بول أندرسون وهو في السادسة من عمره الى ناثانسون، لم يكن ينطق أي كلمة. فهو ولد مصاباً بأعراض "داون"، وكان خجولا منعزلا. لكنه أصبح الآن ثرثاراً ومنفتحاً بعد جلسات معالجة أسبوعية مع ناثانسون ودلافينه. تقول والدته: "لقد فتحت الدلافين كوَّة صغيرة في دماغه انطلق منها دين بول كفقاعة."

في هذه الاثناء يزداد قلق أولئك الذين يستكشفون ما تبقى من غوامض الدلافين الرائعة تخوفاً من الأخطار التي تهدد مستقبلها. فقد أبيدت نسبة ٨٠ في المئة من الدلفين الدوّار، وهو نوع اشتهر بقفزاته الملتفة الرائعة. وقد تواجه أنواع أخرى المصير ذاته.

لقد تنامى احساسنا بالمأساة قبل سنوات قليلة عندما كنا نمارس رياضة السباحة تحت الماء في مياه فلوريدا كيز.[٤] كنا على متن قاربنا الصغير حين انفجر البحر حولنا بالدلافين، وراحت مجموعة منها تقفز في الهواء ملتفة على ذواتها فتمطرنا برذاذ المـاء. كانت الدلافين قوية مهيبة، تنضح بالسعادة الى حد أننا رحنا نصخب فرحين. وقد ظلّت تنسج حولنا خيوطاً من سحرها طوال عشرين دقيقة، ثم اختفت بالفجائية عينها التي ظهرت بها. فبدا البحر بعد غيابها خالياً من الحياة. حتى أشعة الشمس المنعكسة على صفحة الموج بدت باهتة مما جعلنا نتساءل: "أهكذا سيكون العالم من دون دلافين؟"

بير أولا واميلي دولير ■

(٤) Florida Keys سلسلة جزر في جنوب فلوريدا.



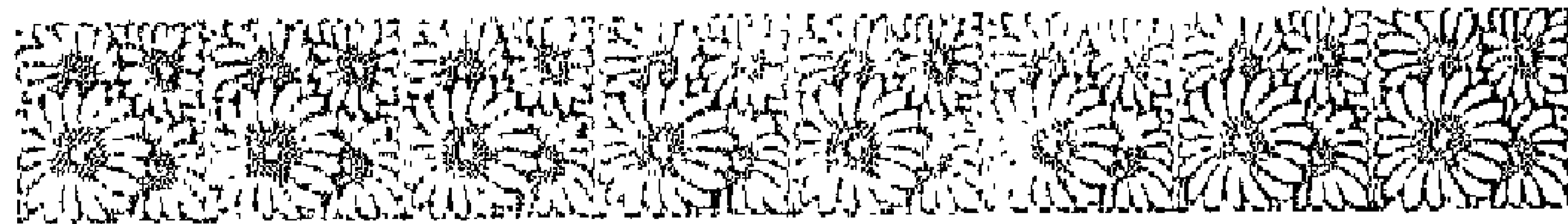
خيزران كالفولاذ

يقول المهندس الايراني خسرو غافامي الذي أمضى ١١ سنة في دراسة خصائص الخيزران البرازيلي في دائرة الهندسة المدنية في جامعة ريو دي جانيرو: "قد يكون الخيزران بديلا مثالياً من الهياكل المعدنية في البناء، اذ أظهرت التجارب المختبرية أن له درجة مقاومة الفولاذ ذاتها، وانما يمتاز عن الفولاذ بمناعته عن الصدأ والتآكل، اضافة الى امكان انتاجه بسرعة وبكميات كبيرة.

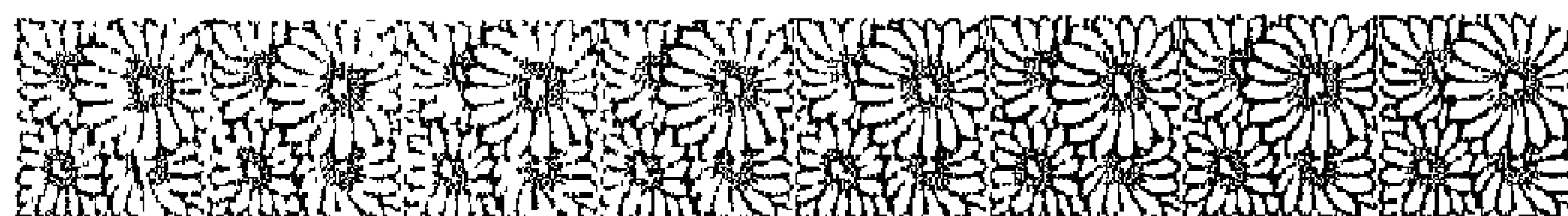
ينمو الخيزران في البرازيل بمعدل ٢٧ سنتيمتراً في ٢٤ ساعة. وقد يصل النوع العملاق "دندروكلاموس جيغانتيس" الشائع في ولاية ريو دي جانيرو الى ارتفاع ٢٥ متراً في ثلاثة أشهر. ويقول خسرو: "في الصين مبان من الخيزران تعود الى مئة سنة خلت. وفي بنغلادش يستخدم الخيزران في هيكلية ٧٠ في المئة من المباني."

"جورنال دو برازيل"

مجموعة من آراء الاختصاصيين في مبادىء الحفاظ على بشرة ناعمة نضرة



البشرة أكثر شباباً



مهما يكن عمرك، فأنتِ ولا شك ترغبين في أن تكون بشرتك أنعم وأكثر شباباً. فالبشرة المتألقة هي عنوان الجمال ومقياس الصحة للرجال والنساء على السواء.

ومع وفرة الخبراء الذين يعدون بمعالجات لاسترداد حيوية البشرة، من المهم أن تميزي بين العناية الواعية بالجلد والممارسات غير الضرورية والمؤذية أحياناً.

إليكِ كيف تجعلين بشرتك أكثر شبابا وتألقاً.

حافظي على نظافة بشرتك. تواجه البشرة يومياً هجمات بيئية تتمثل في الشحم والسخام والجراثيم والزيوت والتعرُّق ومستحضرات التجميل والملوثات. في الماضي كان الصابون والماء الساخن والفرك بالليفة من الامور الموصى بها. أما اليوم فالرقة هي القاعدة.

يحتوي الصابون على مواد قلوية ويمكن أن يسبب جفاف البشرة على رغم احتوائه على مواد دهنية مثل زيت النخيل أو جوز الهند. لذلك، اذا كانت بشرتك

حساسة، جرِّبي صابوناً يحتوي على مواد دهنية مضافة.

أما المنظفات المصنَّعة أو "الصابون" الخالي من الصابون[١] فيقلّ عن الصابون العادي تهييجاً للبشرة، كما يترك عليها بقايا أقل. وتتوافر الفوائد اياها في السوائل الجديدة لتنظيف البشرة الحساسة.

ولمنع الجفاف المفرط، استخدمي مستحضراً لتنظيف البشرة[٢] مرة واحدة أو مرتين على الاكثر خلال اليوم. مرِّغي وجهك بالمستحضر مستخدمة رؤوس أناملك النظيفة، لا قطعة اسفنج أو منشفة. ثم اغسليه جيداً بماء فاتر. نشفيه بتربيت لطيف بمنشفة نظيفة، ثم ضعي مستحضرا مرطِّباً[٣] قبل أن يجف الجلد كلياً.

حافظي على نداوة بشرتك. مع تقدمنا في السن يتناقص افراز الزيت الغددي في أجسامنا وهو ما يؤدي الى جفاف البشرة. وهذا أمر يصيب كل الناس. ومع أن الجفاف لا يسبب تجاعيد، الا أنه يبرزها.

ومن حسن الحظ أن ليس من الضروري انفاق مال كثير على شراء المستحضرات المرطبة لمكافحة الجفاف، اذ إن معظم المستحضرات الفاعلة رخيص نسبياً. ويُعتبر الفازلين[٤] الذي يوصي به أطباء الجلد لقدرته على حبس الماء في الجلد، والغليسرين[٥] الذي يسحب الماء من طبقات الجلد العميقة، عنصرين مفيدين في مستحضرات التجميل (وان لم يكونا إلزاميين.)

ابحثي عن الظل. إن حماية نفسك من أشعة الشمس هي الخطوة الاهم التي يمكنك اتخاذها للمحافظة على بشرة أكثر شبابا ونضارة. إن ٨٠ في المئة من الاضرار التي تصيب البشرة، بما فيها الخشونة والتجاعيد والبقع وتشقق الاوعية الدموية والشحوب والتهدل وسرطان الجلد، ناشئة عن التعرض لاشعة الشمس. وما السمرة التي نعتبرها دليل صحة، سواء أتت من التعرض لاشعة الشمس أو لأشعة اصطناعية في غرف خاصة بالتسمير، إلا طريقة الجلد في الاحتجاج على ما أصابه من ضرر دائم قد لا يظهر الا بعد ٢٠ سنة. وربما أكثر.

لكنك لست مضطرة الى التخلي عن ممارسة الرياضة أو الى العيش ضمن أبواب مغلقة. استخدمي المراهم الواقية من الشمس[٦] التي ينبغي أن تكون مانعة لتسرب الماء. وادهني بشرتك بها جيداً قبل خروجك من البيت بنحو ربع ساعة، ثم أعيدي دهنها بعد السباحة أو التعرُّق الشديد. ولمزيد من الحماية، ارتدي قبعة

(١) Soapless or synthetic-detergent soaps
(٢) Facial cleanser
(٣) Moisturizer
(٤) Petrolatum. وهو هلام البترول.
(٥) Glycerin
(٦) Sunscreen

عريضة ونظارات شمسية واقية وسراويل طويلة وقمصاناً طويلة الاكمام.

د. نلسون لي نوفيك
في "تقرير الصحة الجيدة"

عاملي بشرتك برفق. ان السوائل المنعشة والمخففة للافرازات[٧] شائعة ومرغوبة لانها تمنح المرء شعوراً بالنضارة. ولكن لا فائدة أخرى لها الا في حالات البشرات الشديدة الدهن. كما أنها قد تزيد مشاكل البشرات الجافة. فاذا كنتِ تستخدمين هذه المستحضرات، اختاري منها ما يحتوي على نسبة دنيا من الكحول، ولا تستخدمي مخففات الافرازات لبشرة مهاجة أبداً. (السوائل ما بعد الحلاقة المفعول نفسه.)

"هيلثلاين"

تفادي الاكثار من رفع الجلد وشده، فذلك مع الوقت قد يفقد الجلد مرونته.

وقد تتسبب عملية ازالة مستحضرات التجميل في مط البشرة وتهييجها، خصوصاً في منطقة العينين الهشة. امسحي الاصباغ برفق بواسطة مزيل لأصباغ العين[٨] على لفافة قطن.

ماغي موريسون
في "ردبوك"

احذري مبالغات الدعاية. قد تساعد المراهم الواقية في منع شيخوخة البشرة قبل الاوان. ولكن ليس هناك مستحضر يزيل التجاعيد أو يعكس مسار الشيخوخة. عليك اذاً الحذر من المستحضرات التي تدَّعي ذلك.

تُبدل طبقة الجلد العليا[٩] كلياً كل ثلاثة أسابيع أو أربعة بخلايا جلدية تنطلق من الداخل الى الخارج. والبشرة المسنّة أبطأ قليلاً من البشرة الشابة في ابدال الخلايا الجلدية. وإضافة مواد كيميائية مهيجة الى المستحضرات التي "تحفز تجدد الخلايا" قد تعجل عملية الابدال. ولكن لا دليل على أن هذه المستحضرات الغالية الثمن قادرة على مكافحة شيخوخة البشرة.

في امكانك الحصول على النتيجة اياها باستخدام منظفات حبيبية او اسفنج زَغِب[١٠] مرة أو مرتين في الاسبوع. (ولكن عليك أن تتفاديها كلياً اذا كانت بشرتك حساسة.)

ولا دليل على أن الخلاصات الخلوية المستخرجة من الاجنة أو من المشيمة "تغذي" البشرة أو "تغنيها" أو "توقف عملية الشيخوخة."

د. توماس غودمن وستيفاني يونغ
في "الوجه الذكي"

حاربي التجعدات بحذر. الرتين – أ[١١] علاج لحالات حَبّ

---

(٧) Toners and astringents
(٨) Eye-makeup remover
(٩) Stratum corneum
(١٠) granular cleansers or buffing sponges
(١١) Retin - A

الشباب الحادة، ويستخدمه بعض النساء لمكافحة التجعد. لكن الحذر ضروري هنا لما قد ينجم عن ذلك من أعراض جانبية.

لكن أحماض ألفا هيدروكسي[١٢] أو ما يعرف بالاحماض الفاكهية تخفف خطوط التجعد الرقيقة وتلوّن البقع من دون أن تكون لها تأثيرات الرتين - أ المهيجة أو المثيرة للحساسية الضوئية. وهذه الاحماض، اذا ما مزجت بمرطبات البشرة، تلين المادة الصمغية بين الخلايا مما يتيح للخلايا الميتة الانفلات والانسلاخ عن الانسجة الحية. وهناك دلائل أولية على أن أحماض ألفا هيدروكسي قد تحفز تكوُّن الكولاجين[١٣] مما يساعد البشرة على اصلاح ذاتها.

تعطى أحماض ألفا هيدروكسي العالية الكثافة كل أسبوعين الى أربعة أسابيع في اشراف طبيب.

ستيفاني يونغ

في "غلامور"

لا تغامري. ان عدد الاشخاص الذين يتلقون علاجات طبية لبشرتهم هو الآن أعلى منه في أي وقت مضى. ومع ذلك فلا تخلو طرق المعالجة هذه من المخاطر، كما أن الاختصاصيين يختلفون في مدى فاعليتها.

تحقن مادة الكولاجين في الجلد لاخفاء ندوب متأتية عن حَبّ الشباب أو لسد تجاعيد الخدين وما حول العينين. وتبقى الفترة الزمنية التي تدوم فيها فوائد هذه الحقن موضوع جدل حام: فالمؤيدون يقولون انها تبقى ما بين ٦ أشهر و١٢ شهراً، أو اكثر. ومنتقدوها يقولون إنها تدوم أقل من ذلك كثيراً.

ويعمد بعض الاطباء الى حقن السليكون السائل لسد التجاعيد، وهذه عملية أصبحت مثار جدل واسع. يقول جرّاح التجميل روبرت غولدوين: "السليكون يدوم الى الابد، لذا فإن المضاعفات التي قد تنشأ عن حقنه صعبة الحل. وهو قد ينتقل الى مواضع لا تحتاج اليه، كما يمكن ان يتسبب في التهابات."

وثمة عملية لتجديد سطح البشرة بالكشط الجلدي[١٤] تتناول إزالة طبقات الجلد العليا بواسطة سلك يهتز بسرعة عالية أو بواسطة فرشاة تتكون أطرافها من حجار الماس. والامر، كما يصفه طبيب الجلد روبرت أورباخ، يماثل انكشاط الركبة نتيجة الوقوع على الطريق. وتُعتمد عملية الكشط عادة في المساحات الكبيرة كالوجه أو الجبهة، وهي قد تترك البشرة أفتح لوناً أو غير منتظمة التلوُّن، فضلاً عن أن الشفاء قد يصاحبه ألم. وهي، في أحسن الحالات، لن تزيل الخطوط العميقة أو الندوب كلياً.

بولا م. سيغل

في "سيلف"

---

(١٢) Alpha hydroxy acids

(١٣) Collagen

(١٤) Dermabrasion

توقفي عن التدخين. أثبتت دراسة أجراها باحثون في مركز العلوم الصحية في جامعة يوتاه ما اشتبه فيه العلماء منذ زمن طويل: أن تدخين السجائر يسبب تجاعيد في الوجه سابقة لاوانها.

فعندما درس أطباء الجلد أحوال ١٣٢ راشداً يبلغ متوسط أعمارهم ٤٧ عاماً، اكتشفوا أن احتمال تكوّن تجاعيد الوجه لدى مَنْ دخنوا نحو ٤٠ سيجارة يومياً على مدى خمس وعشرين سنة هو خمسة أضعاف ما هو لدى غير المدخنين.

سالي سكوايرز

في "واشنطن بوست"

راعي ما تأكلين وما تشربين. تقول الخبيرة بالتغذية كريستين هارت إن مقدار ما يشربه المرء من الماء يومياً قد يؤثر في مظهره. وهي تنصح بشرب ٦ الى ٨ أكواب من الماء أو السوائل الخالية من الكافيين للاحتفاظ ببشرة ندية.

ولابطاء عملية الشيخوخة عليك بنظام غذائي معتدل ومتنوع. يقول الخبير بالتغذية آدم درونوسكي: "اذا تناولت ٥٠ نوعاً من الاطعمة في الاسبوع، فذلك يعتبر تغذية جيدة. أما اذا عرفت أن نظام غذائك غير ملائم، فعليك بسد النقص بواسطة أقراص مكمِّلة تحتوي على معادن وفيتامينات."

فكري ايجابياً. تقول عالمة النفس جوان نوريسنكو: "إن ما يجري في دماغك يظهر على وجهك. فالقلق والغضب والشعور بالذنب عوامل تجعلك تبدين أكبر سناً." وبما أن التفكير الايجابي يخفف من الاجهاد، فانه قد يؤدي الى مظهر أكثر شباباً.

فعقارب الزمن قد تتباطأ اذا ما عرفت كيف تواجهين أمور حياتك كل يوم.

لزلي لورنس

في "الأم العاملة"



عون من فوق

كانت اضافة طبقة ثانية الى منزلنا تلفت كثيراً من العابرين. وذات يوم ممطر كان زوجي يعمل على الشرفة. فتوقفت سيدة عجوز لتبدي اعجابها بالعمل، وكان الصديق في تلك اللحظة على السطح فلم تره. وبعد تبادل عبارات مجاملة سألت السيدة زوجي: "هل تعمل وحدك يا بني؟"

فرد زوجي: "لا، هناك من يعينني فوق."

فقالت المرأة وهي تهز رأسها هزة العارف: "انني أدرك ماذا تعني يا بني. فانا كذلك، هناك من يعينني فوق."

ب.هـ.

كتاب الشهر

مُلخّص من كتاب "حرب المُلازم رمزي"
بقلم إدوين برايس رمزي وستيفن ج. ريفيل

سيرة قائد

قبل خمسين سنة اجتاح اليابانيون جزر الفيليبين. وأمر الرئيس الامريكي فرنكلين روزفلت جنراله دوغلاس ماك آرثر بترك جيشه المحاصر في شبه جزيرة باتان ومغادرة الفيليبين. وهكذا رحل ماك آرثر في ١٢ مارس (آذار) ١٩٤٢ بعدما أطلق تعهده المأثور: "سوف أعود."



ولم يلبث جيش الحلفاء أن اضطر الى الاستسلام. لكن قلة من الرجال أبوا القاء السلاح، فاخترقوا صفوف القوات اليابانية وأقاموا اتصالا مع الفيليبينيين وألفوا جيشاً من المقاتلين العتاة لمقاومة الاحتلال الياباني. وعلى رغم سوء الحال ونقص العتاد شن هؤلاء الرجال على مدى سنتين ونصف سنة حرب عصابات بطولية يائسة، وأبقوا أمل التحرر من الاحتلال حياً في صدر الشعب الفيليبيني.

هنا قصة إد رمزي، الرجل الذي قاد ذلك الجيش.

في أوائل يناير (كانون الثاني) ١٩٤٢ احتشد في شبه جزيرة باتان في الفيليبين نحو مئة ألف جندي من قوات الحلفاء المحاصرة. كان لدينا من الذخيرة والطعام ما يكفينا ستة أسابيع فقط، لكننا كنا نتلقى يومياً وعوداً بـ"قافلة" من السفن في طريقها لنجدتنا، فما علينا الا الصمود. وفي الواقع، لم يكن ثمة وجود – ولا إمكان وجود – لمثل تلك القافلة الحاملة المدد بسبب تدمير قاعدة بيرل هاربور البحرية في هاواي في ٧ ديسمبر (كانون الاول) ١٩٤١.

وفي مقر القيادة في جزيرة كوريغيدور كان الجنرال ماك آرثر يدير دفاعاً مستميتاً عن باتان ويغرق واشنطن بسيل من الرسائل طالباً نجدة سريعة. في هذه الاثناء انخفضت مؤونتنا من الغذاء والذخيرة وقلت حصصنا من الطعام وهزل الرجال والجياد.

كنت في فرقة الخيالة. وقد أتيت الى الفيليبين وأنا في الرابعة والعشرين من عمري ساعياً الى تحقيق حلمي بوظيفة مغرية خارج البلاد حيث أتمتع بلذائذ النبات الاستوائي وبلعبة البولو على متون الجياد وبالخدم الصاغرين والنساء السمر. لكني فوجئت بالغزو الياباني وبقساوة الحرب وضراوتها.

في منتصف يناير (كانون الثاني) ذهبت مع فصيلتي في جولة استكشافية على مدى يومين سلكنا خلالهما ممرات في الغابة العابقة بالبخار. وكنا نتوقف فترات قصيرة لنتناول حفنة من الرز ولنرعى جيادنا المهزولة. وأكبرت في جوادي شجاعته في تحمل المشاق، لكني كنت أرتاع وأكتئب حين أراه ذابلا حانيا رأسه.

غابت الاحداث عن جبهتنا، فقفلنا عائدين الى مقرنا حيث كان النقيب جون ويلر يخطط لمهمة استكشافية ثانية معفيا فصيلتنا. كنت في منتهى العياء، لكني سمعتني أقول بنبل وشهامة: "لقد خضت معارك كثيرة، لكني لم أنل أي وسام. فهلا أبقيتني هنا للمساعدة؟"

كلفني النقيب ويلر قيادة الفصيلة الاولى المؤلفة من ٢٧ كشافاً فيليبينياً.[١] فأمضيت الليلة في معسكرهم، وصباح اليوم التالي أشرفت على علف الجياد وسقيها. وعند الظهر وصلت الى المخيم سيارة قديمة أقلت الجنرال جوناثان وينرايت الذي كان حينذاك قائد الفيلق الاول.

بدا الجنرال غاضبا لان الفرقة الاولى في الجيش الفيليبيني النظامي كانت انسحبت من قرية مورونغ. وأعلن أن هذه القرية تشكل موقعاً دفاعياً حصيناً على ضفة النهر الفاصل بيننا وبين القوات اليابانية الزاحفة. وأراد استعادتها للحال.

(١) كانت الفيليبين في ذلك الوقت تحت سيطرة الولايات المتحدة. ولدى نشوب الحرب العالمية الثانية اصبح الجيش الفيليبيني جزءاً من القوات الامريكية المسلحة.

كنت واقفا الى جانب وينرايت، فرمقني بطرف عينه وصاح بي: "أنت رمزي، أليس كذلك؟"

أجبت: "نعم، سيدي."

قال: "تولَّ أنت قيادة فرقة الحرس الامامية. هيا، تحرك!"

كنت خالفت القاعدة الذهبية في الجندية وهي عدم التطوع. وها اني أدفع الثمن. أديت التحية على مضض وهممت بالانطلاق، واذا بويلر يتكلم: "سيدي الجنرال، لقد عاد رمزي لتوه من مهمة طويلة. فهل توافق إن أنا كلفت أحداً سواه المهمة؟"

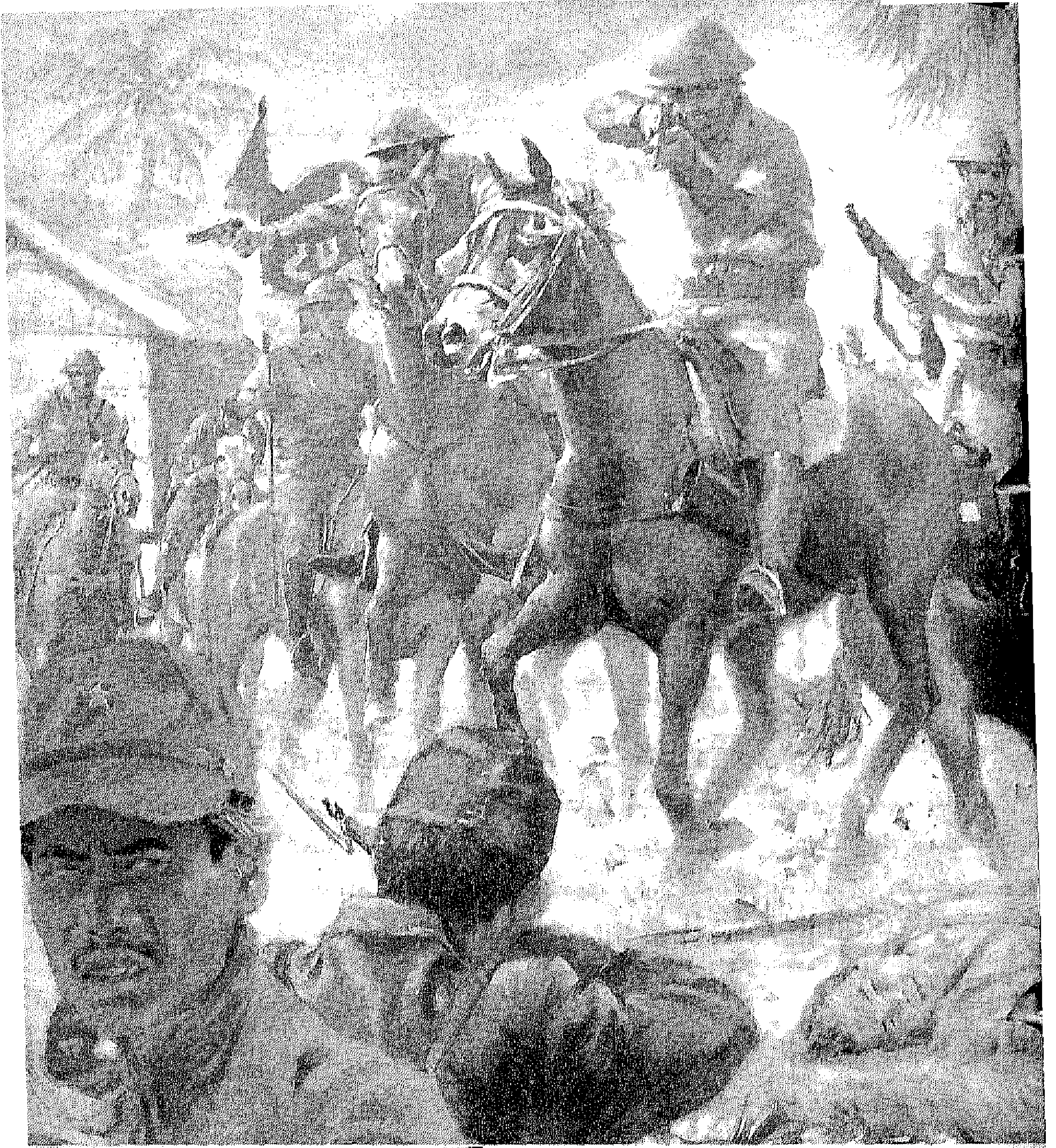
حدج وينرايت ويلر بنظرة غضب وقال لي: "هيا يا رمزي، تحرك!"

أمرت رجالي بالانتشار في الطريق لكي يشكلوا إفراديا هدفا أصعب للعدو. وبعد بضعة كيلومترات وصلنا الى طرف مورونغ الشرقي.

بدت القرية مهجورة، وأكواخها خالية وهي من القش المجدول منصوبة على قوائم من الخيزران. تحركنا بحذر في اتجـاه قلب القـريـة والجيـاد تتعـالى برؤوسها فوق الاكواخ. وكان الرجال في أقصى حالات الحذر والتأهب. فجأة دوّى انفجار وانهالت علينا طلقات نارية من أسلحة رشاشة روعت طيور الغابة التي علا زعيقها.

رأيت مئات من الجنود المشاة اليابانيين في بزات القتال البنية يطلقون النار من وسط القرية. وخلفهم مئات آخرون يخوضون في النهر للانضمام اليهم.

في غمرة فرقعة الرصاص شهرت مسدسي عاليا. كان الهجوم أملنا الوحيد في ضعضعة القوات اليابانية المتفوقة والنجاة بأنفسنا. فقد ثبت على مدى قرون أن



هجوم الخيالة صدمة كاسحة لا تقاوم. أشرت بيدي وبالمسدس معلنا: "هجوم!"

انحنينا على سروجنا حتى لامست أعناقنا أعناق الجياد، وانطلقنا كتلة متراصة من الفرسان الشجعان المدرعين بصدور الجياد المحمحمة. فاكتسحنا الخط الياباني الاول مطلقين الرصاص على وجوه الاعداء من جوانب سروجنا. فبادلَنا بعضهم النار وفر آخرون مذعورين عبر النهر والى المستنقعات.

ولا بد من أن اليابانيين، وسط فرقعة الرصاص وهتافات الفرسان ووقع سنابك

الخيل وصهيلها وشراستها، رأوا فينا كائنات رهيبة انقضت عليهم فجأة من عالم آخر.
كان ذلك الهجوم على مورونغ في ١٦ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٢ خاتمة هجمات فرق الخيالة في تاريخ الولايات المتحدة.

"هاي، أيها الجبان!"

اخترقنا الوحدة الامامية للقوات اليابانية ووصلنا الى المستنقع. كانت لدينا قنابل يدوية، لكن استخدامها في نسف الاكواخ كان يشكل خطراً علينا. لذلك ترجلنا وشرعنا نتنقل من كوخ الى كوخ مطلقين الرصاص على الجدران فيما اليابانيون على الضفة المقابلة يمطرون القرية بقنابل الهاون.

وصلت فصيلة لتعزيز فصيلتنا على النهر فيما دخلت أخرى المعركة الدائرة بين الاكواخ. كان الجو مثقلاً بأزيز الرصاص ودمدمة الشظايا المتطايرة، فيما احتدم القتال على ضفة النهر حتى كاد يتحول معركة كبيرة.

كنت أصدر الأوامر فيما الجنود والجياد يتساقطون حولي صرعى قنابل الهاون ورصاص القناصين. واذا بي أشاهد ضابطاً أمريكيا مختبئاً وراء كوخ، فنهرته: "هاي، أنت، أيها الجبان، تعال الى هنا وقاتل!"

صعق الضابط، وبدا ارتعابه مني أكبر من رعبه من القذائف. فتوارى للحال. وما ان هممت بالصياح في اثره حتى انفجرت قنبلة هاون أمامي. ثم وصل ويلر ومعه بقية الجنود ورحنا ندفع العدو المتقهقر عبر النهر. كان الجنود اليابانيون ينزلقون على ضفة النهر ويخوضون في المياه العميقة حتى أكتافهم. وكان بعضهم يصابون برصاصنا فيرفعون أيديهم فوق صفحة الماء ثم يغيبون في عمق المياه القذرة الدكناء المتدفقة.

وأخيراً، بفضل التعزيزات التي جاءتنا من فرقة المشاة الاولى، تمكنا من احتلال القرية.

جمعت رجالي وأحصيت الاصابات، فوجدت أن واحداً قتل وجرح ستة. أما اليابانيون فقتل منهم وجرح عدد كبير انتثرت أجسادهم في القرية وفي الحقل امتداداً حتى النهر.

هرع ويلر الي وكانت ملابسه ملطخة بالعرق والتراب، ولما بلغني هتف: "رمزي، ثمة دم على ساقك."

نظرت فشاهدت بقعة دكناء من الدم آخذة في الاتساع. كنت أنزف من جراء شظية أصابت ركبتي اليسرى. فضحكت وقلت له: "حري بك أن تهتم بنفسك، ألا ترى ما بك؟" فقد كان الدم ينزف من ثقب في ربلة ساقه.

كانت جروح كلينا طفيفة، فأشرفنا على اجلاء الجرحى. وبعد تضميد ركبتي عدت

الى المعسكر لأنال قسطا من الراحة فيما نقل ويلر الى المستشفى.

لزمنا مخيمنا أياما مترقبين شن اليابانيين هجومهم الثاني. وشعرت بأني أزداد ضعفا، واصفرت بشرتي وعيناي. لقد أصبت بداء اليرقان (الصفيرة) بسبب جرح الشظية الذي ترافق ونظامنا الغذائي الفقير المقتصر على الرز.

نقلت الى مستشفى في جنوب باتان، كان كناية عن أسرة مزرية تعلوها "ناموسيات" مصفوفة تحت أشجار الماهوغاني. ولم تمض برهة على اقامتي هناك حتى جاءني زائر، انه جون ويلر الذي كان في اجازة نقاهة.

قال لي: "رأيت أن أعلمك أن ثمة توصية لمنحك وسام النجمة الفضية."

سألته: "وممن التوصية؟"

تبسم ويلر وقال: "أتتذكر ذلك الضابط الذي كان مختبئا ونعته بالجبان؟ انه رئيس أركان الجنرال جوناثان وينرايت. وهو لم يكن يتهرب، بل جاء لتقديم تقرير عن الحادث. وهو الذي قدم التوصية."

قلت: "أعتقد أني أول جندي ينال وساما لشتمه ضابطا كبيرا."

ثم سألني ويلر عما اذا كنت في حاجة الى أي خدمة، فأجبت: "اعتن بحصاني."

فتجهم وأشاح بوجهه قائلا: "آه، لا أظنك سمعت أن أمين الامدادات صادر كل الاحصنة وذبحها لتأمين لحم للجنود."

صرخت: "جميعها؟"

فقال مهدئا: "لم يكن بد من ذلك. وهي كانت ستنفق حتما لان العلف نفد، وكان الرجال يتضورون جوعا."

وافقت بايجاز: "طبعا."

كان ويلر فارسا هو أيضا، ولم تكن ثمة حاجة الى الاسهاب في التفجع على جواد عزيز فيما المكان حولنا يغص بالجنود الجرحى. ثم إن دور الخيالة كقوة في الجيش كان انتهى قبل عهد بعيد. وقد عرف الجيش هذا الواقع، لكننا نحن الفرسان أبينا أن نطأطىء مكابرة وضنا بافتخار فقد بريقه ومعناه.

وبفقد الجياد بتنا جميعنا متساوين في الجيش.

نظرت الى أطرافي الشاحبة، فوجدتني مصابا باليرقان في جسدي وفي داخل نفسي.

لكني تكلفت عدم المبالاة.

كانت تلك بالنسبة الي مشكلة والدي القديمة. فهو كان يشعر بأنه مخدوع ويائس في معركة خاسرة، وتفكيره السوداوي الدائم أضناه ودمره. لكني صممت على ألا أقتفي خطاه.

كان والدي رجلا مأسويا، امتهن التنقيب عن حقول النفط وهو يفتقر الى الثقافة والعلم ولا آفاق له الا العمل الشاق. كان دائما محني الظهر متسخ اليدين. لكنه تميز بنزعة شاعرية توسمها في والدتي أيضاً. فغازلها وتودد اليها بمنتهى الكياسة وغمرها بالزهور والعواطف والأشعار وظفر بها من دون سواه من المنافسين المرموقين أبناء الاطباء وأصحاب المصارف. فكانت له نعمة توجت حياته وبلسما لكدحه وكفاحه.

لكن والدي كان سوداوي التفكير نزاعا الى التشكيك. كان يتمزق غيرة في حقول النفط في تكساس وأوكلاهوما، وحين يعود الى المنزل يأخذ في التفتيش عن أدلة على عدم اخلاص أمي له. وانتهى به الامر الى ضربها.

ذات ليلة استيقظتُ وشقيقتي نادين على صياح آت من غرفة نوم والدينا. فزحفنا الى الباب وأخذنا نسترق السمع. فسمعنا صوت والدي أشد غضبا مما عهدناه. وسمعنا أمي تتوسل اليه لكي يتوقف. ثم سمعنا كلمة "بندقية."

كان والدي يفتش عن البندقية التي خبأها وراء السرير. نادينا والدتي من الباب فصاحت بنا لكي نهرب. لكننا لم نفعل، بل اقتحمنا الباب واندفعنا معا الى والدي وأبعدناه عن والدتي. كنت أنا في العاشرة من عمري وكانت نادين في الخامسة عشرة.

حدق والدي الينا مرتعبا قابضا على البندقية ويداه ترتجفان. ثم رمق البندقية وأطلق زفرة ألم ورماها جانبا وخرج من الغرفة. وكانت والدتي على السرير تشهق. ولما تمالكت نفسها اتصلنا بالشرطة، فحضر رجالها وقبضوا على والدي بالقرب من المنزل. وفي اليوم التالي وجدوه مشنوقاً في زنزانته.

كان ردي على الحادث تكلّف موقف تحدٍ ولامبالاة. انما، في الواقع، هزتني سنوات المعاناة الصامتة، الى أعماق من الاحاسيس لم أدركها من قبل.

وكانت وفاة والدي مستهلا للصعوبات. فهو لم يترك لنا معاشاً. فنزلنا نحن الثلاثة الى معترك العمل. التحقت والدتي بمعهد للتجميل، ولما تخرجت عملت في دار للتجميل واكتسبت زبائن كثيرات. كانت امرأة ذكية مقدامة، وما لبثت أن اشترت تلك الدار.

وكانت نادين طموحة الى تحقيق هدف آخر. فبعد تركها المدرسة انخرطت في العمل. لكنها كانت كل مساء تنسل الى مطار وتشيتا لتتلقى دروسا في الطيران. كان الطيران شغفها، ولأن تعلمها اياه كان خارجا على التقاليد في تلك الايام، فقد استحلفتني كتم الامر عن أمي.ولما أنهت تدربها كانت هي المرأة الاولى في وتشيتا تنال رخصة لقيادة طائرات.

أما أنا فبلغت سن المراهقة وبت مصدر قلق لامي التي كانت تراقبني. وتعاطيت الشراب وعرفت فتيات كثيرات، لكني لم أجد لديهن دواء شافيا للوحدة التي كنت أعانيها في داخلي.

ذات ليلة بعد العشاء قالت لي أمي: "بادي،" وكان هذا لقبي المحبب، "اني قلقة على علاماتك في المدرسة وخائفة من الاخبار التي سمعتها عنك." وصمتت قليلا وتابعت: "هل ترغب في الالتحاق بمدرسة عسكرية؟ علمت أن أكاديمية أوكلاهوما هي لسلاح الخيالة."

كانت أمي تعرف أني أحب الجياد. فأجبتها: "سأفكر في الأمر." وفي منتصف الصيف أعلمتها أني سألتحق بالاكاديمية. فسرت وبان عليها الارتياح.

ومنذ ذلك الحين وأنا مأخوذ بعيش قصة رومنسية كلها فصول رائعة: مدرسة عسكرية وبزة رسمية وفروسية. كان ركوب الخيل مخاطرة طالما تمنيتها، ففي اعتلاء صهواتها مجد ونشوة واعتزاز وحرية تقت اليها بكل جوارحي. كانت تلك فرصة للهرب من واقعي.

حادث مروّع

كانت أكاديمية أوكلاهوما العسكرية معقلا للجيش "القديم" تجلت فيها المحبة الصادقة للتقليد العسكري الامريكي المتجسد في الحصان.

في أوكلاهوما تعلمت ركوب الجياد وتقاليد الفروسية. وتعلمت كذلك كيف أدرب حصاني وأدرب ذاتي ثم أدرب كلينا للاندماج في وحدة كاملة. ودرست التاريخ العسكري والعلوم العسكرية وسياسة الأسلحة والرجال. وكان يتوقع من ضباط الخيالة أن يتولوا التوجيه والتخطيط. لم يكن لهم أنداد، بل أتباع، لان الفرسان دائما في الطليعة. هم حد السيف القاطع والروح المرهفة المتوثبة.

وتعرفت في أوكلاهوما الى لعبة البولو التي كانت موضع احتقاري في البداية اذ اعتبرتها تسلية الاثرياء الكسالى المتكبرين، لكني ما لبثت أن اكتشفت أنها هي لعبتي المفضلة.

كانت البولو مزيجا مثاليا لتهوري ولروح الانضباط التي كنت أكتسبها. فهي تنطوي على تنظيم وتحكّم وعمل كفريق موحد، لكنها لا تخلو من المجازفة والخطر. لم أكن في أي وقت لاعبا بارزا، لكن اللعبة أصبحت هوايتي. وبلغ من ولعي بها أنني بعد تخرجي في الاكاديمية التحقت بكلية الحقوق في جامعة أوكلاهوما، لا حبا بدراسة القانون — الذي كان لي امرا عرضيا ثانويا — وانما لان في الجامعة فريقا للعبة البولو.

في شهر سبتمبر (أيلول) من سنتي الاخيرة في كلية الحقوق أعلنت نادين اعتزامها امتهان الطيران. وما عتمت أن أصبحت ربانة طائرة في كاليفورنيا والمرأة الاولى التي تنقل البريد الجوي. ثم عملت مندوبة مبيعات لشركة طائرات خاصة في سان دييغو. وذات صباح مشرق عام ١٩٤٠ حلقت بسيدة راغبة في شراء طائرة. فطلبت منها

الراكبة التحليق على علو منخفض فوق منزلها.

وجهت نادين مقدم الطائرة نزولا وانقضت فوق المنزل. وفي لحظة خاطفة هبت ريح مفاجئة تلقفت الطائرة الصغيرة وطوحتها فسقطت بين الاشجار. فتمزق الهيكل وتحطم الذيل وقتلت الراكبة للحال، أما نادين فانطرحت مهشمة بين الاغصان ولم يسمع لها صراخ.

اتصلت بي والدتي: "بادي، وقع حادث خطير."

استغرق وصولي الى كاليفورنيا أربعة أيام في السيارة. فوجدت نادين ما زالت في حال خطرة. كانت الرضوض والجروح تغطي وجهها بحيث يتعذر التعرف اليها. وكان ظهرها مكسوراً ومعظم ضلوعها كذلك. وهي أصيبت بارتجاجات في الدماغ. وكانت ساقها اليسرى في جبيرة من قدمها الى أعلى فخذها.

نظرت نادين الي بعينين غائمتين بفعل المخدر والمسكنات، وأنَّت قائلة: "أنا أعرف أنني لن أستطيع الطيران ثانية. واذا لم أطر فاني لن أعيش."

لكننا، أنا وأختي، كنا محصنين ضد المصائب. وعدتها بأن أبقى معها حتى تستعيد قوتها وتقف على رجليها وتعود الى ممارسة الطيران.

تركت الكلية وانتقلت الى شقة نادين. وعادت هي من المستشفى لتبدأ مسيرة الابلال، كانت عاجزة كليا في البداية، وكان الوضع في منتهى الصعوبة لكلينا. ولكن بحلول أواخر ديسمبر (كانون الاول) غدت قادرة على المشي. وفي نهاية يناير (كانون الثاني) ١٩٤١ بات في امكانها تدبير شؤونها بنفسها. وعلى رغم الجبيرة المزعجة على ساقها شرعت ترسم خططا لمعاودة الطيران. وفي أصيل أحد أيام فبراير (شباط) نقلتها في سيارتي الى المطار حيث أقلعت بالطائرة، ولم تثنها الجبيرة التي كانت لا تزال تلف ساقها. لقد عادت اليها عافيتها.

أما أنا فكنت تأخرت في العودة الى كلية الحقوق. وكان يسعني، في الاحوال الطبيعية، انتظار الخريف فأعود وأكمل دراستي. لكن الاحوال تبدلت ولم تعد طبيعية. كانت الحرب مستعرة في أوروبا، وأيقنت أننا سننجر اليها، فالتحقت بفرقة الخيالة الحادية عشرة المرابطة على الحدود بين كاليفورنيا والمكسيك. وقبيل عيد ميلادي الرابع والعشرين في ابريل (نيسان) ١٩٤١ تطوعت للخدمة في "كشافة الفيليبين" فوج الخيالة السادس والعشرين. كان الكشافة مشهورين بالشدة والبأس وبأنهم مقاتلون رائعون. وأهم من ذلك، كان فوجهم يضم أفضل فريق للبولو في الجيش.

ومثل معظم الامريكيين، لم أكن أعرف تماما أين تقع جزر الفيليبين. ولما قابلت الضابط المعني بنقلي سألته عن موقعها مازحا، فأجاب بحدة: "انها قريبة من اليابان."

خلال فبراير (شباط) ١٩٤٢ تغيبت عن الخدمة الميدانية بسبب اصابتي في معركة مورونغ. وفي ١٢ مارس (آذار) هرب الجنرال ماك آرثر الى أوستراليا استجابة لاوامر الرئيس فرنكلين روزفلت، ليتسلم القيادة العليا لقوات الحلفاء في جنوب غرب المحيط الهادىء. وأعلن ماك آرثر أنه أمر بتنظيم الهجوم الأمريكي على اليابان، وأن الهدف الرئيسي الاول سيكون تحرير الفيليبين. وختم واعداً: "سوف أعود."

سلم ماك آرثر القيادة الى الجنرال وينرايت آمراً اياه بالصمود حتى عودته. ولكن لم يكن لدى معظمنا أي شك في ما ستؤول اليه الاحداث حين يشن اليابانيون هجومهم النهائي المرتقب. فقد كان أربعة أخماس رجالنا مصابين بالملاريا وثلاثة أرباعهم بالزحار (الديزنطاريا) وثلثهم بداء الـ"بري بري."[٢]

ومن بقي من جنودي الفرسان الذين جردوا من جيادهم ألحقوا بفرقة النقيب جوزف باركر الذي بدا هزيلاً مثلنا من جراء الحصص الضئيلة من الرز والسمك المعلب. كانت تلك أخوة في الضعف والهزال وسوء التغذية.

مسيرة الموت

بدأ الهجوم الياباني في أوائل ابريل (نيسان) معززاً بالمشاة والمدفعية والطيران. وتلته أيام اضطررنا خلالها الى التنقل باستمرار. ثم حصل الاستسلام في ٩ ابريل (نيسان)، ولم ترد على فرقتنا أي أوامر رسمية بهذا المعنى. لقد كنا، من الناحية التقنية، مفقودين خلف خطوط العدو.

كنت وجو باركر أخذنا قرارنا. فانطلقنا للحال ومع كل منا بعض طعام ومسدس أوتوماتيكي، وهدفنا الاول الخروج من باتان. مر يومان ونحن نسير ضاربين في الغابة ملتزمين كنف سلسلة الجبال، نتعثر ونقع ونزداد ضعفاً وهزالاً، حتى وصلنا الى ما كان خط المواجهة الرئيسي الذي شطر باتان. كان هدفنا اجتياز الطريق المحاذية للخط والممتدة من بحر الصين الجنوبي الى خليج مانيلا. لكننا كنا نعلم أنها تعج بالجنود اليابانيين.

قبل الغروب انحدرنا عن الجبل متسترين حتى بتنا نسمع هدير الآليات وجر أقدام الجنود. وأخيراً انكشفت لنا الطريق سيلاً لا ينقطع من المشاة والمدفعية. لبثنا ساعة نراقب هذا المشهد، ثم انكفأنا زحفاً على أيدينا وركبنا عائدين الى المنحدر.

قال باركر: "سننتظر هبوط الظلام، فلربما سنحت لنا فرصة مؤاتية."

حل الليل دامساً غير مقمر. وقرابة العاشرة زحفنا الى الطريق محاذرين نتلفت يمنة ويسرة حتى انتهينا الى مكان محجوب اختبأنا فيه. تمددنا منبطحين نوقّت الفترات

(٢) البري بري داء ينشأ من نقص الفيتامين "ب" في الغذاء ويصحبه ضعف وهزال.

الفاصلة بين عبور الفرق اليابانية فيما أحذية الجنود وعجلات الآليات الهادرة لا تبعد عن وجهينا الا بضعة أمتار.

همس باركر: "الشاحنات، ثم المشاة، ثم بضع ثوان من الهدوء قبل عبور المدفعية. ألا ترى يا إد أن العبور يجري على هذه الوتيرة؟"

هززت رأسي موافقا: "لننطلق بعد عبور طابور المشاة التالي."

مرت بضع شاحنات تبعها طابور من المشاة. فاذا صح توقيتنا فسيلي ذلك بضع ثوان من الهدوء. نهض باركر قائلا: "الآن!" وانسل الى وسط الطريق، فتبعته منحنيا، وبتنا مكشوفين لبضع ثوان رهيبة، ثم ارتمينا واحدنا فوق الآخر في الجانب المقابل من الطريق لاهثين رعبا وارتياحا.

عند الفجر اتجهنا شمالا حذرين. وبعد السير بضعة كيلومترات وصلنا الى الريف المكشوف حيث رأينا مزارعا يخوض في حقل رز.

احتفى بنا الرجل واصطحبنا الى قريته حيث قدم الينا دجاجته الاخيرة. وأثناء تناول الطعام راح يحدثنا عما يحصل مكررا عباراته للتأكد من أننا نفهم كلامه. قال: "مرت أيام وألوف من الاسرى الامريكيين والفيليبينيين يساقون مشيا على طول طريق باتان الرئيسية. وكثيرون منهم هياكل متحركة تكاد لا تقوى على الوقوف. لكن اليابانيين كانوا يدفعونهم الى المشي ليلا ونهارا ولا يسمحون لهم بالراحة. فمن انهار وسقط طعن بحربة للحال، ومن توقف للشرب من المياه القذرة الموحلة على جانب الطريق رمي بالرصاص. كذلك قتل المدنيون الذين أطعموا الأسرى وسقوهم."

كانت تلك مسيرة موت وإفناء وذروة في وحشية الجنود اليابانيين وعذاب الاسرى، أيقظت في السكان الفيليبينيين مشاعر الشفقة والحقد والتصميم على المقاومة. وأخبرنا المزارع أن ثمة مجموعات صغيرة في طور التشكل والتأهب لتنظيم المقاومة في الارياف. وعرض أن يصطحبنا الى احداها.

في اليوم التالي وصلنا الى قرية حيث استقبلنا أربعة رجال، أحدهم مجند أمريكي لم يذعن للاستسلام واعتزم مثلنا التخلي عن محاولة الهرب والبقاء لتنظيم نشاطات المقاومة. وهو أفادنا أن ثمة جيشا سريا قيد الاعداد بقيادة الكولونيل كلود ثورب، وهو خيال أرسله الجنرال ماك آرثر خارج باتان لتنظيم حركة مقاومة.

كنت الى ذلك الحين أرى في الفيليبين مجرد فرصة عمل. أما الآن فقد بدأت أراها من منظار آخر: انها بلاد وشعب. وعلى امتداد الطريق أثناء هربنا كان السكان رائعين وفي منتهى اللطف والعناية. قاسمونا القليل مما عندهم من طعام وخاطروا بحياتهم لمساعدتنا. كان في امكاني الهرب، أما هم فكان عليهم القتال حتى النهاية، وذلك ما دفعني الى التساؤل: "هل أتطوع للانضمام اليهم؟"

شاركني باركر في شعوري، فتباحثنا في ما يتعين علينا عمله. وتركز تساؤلنا على وضعنا كضابطين في جيش استسلم للعدو.

قال باركر: "نحن لم نتلق أي أوامر بالاستسلام، لذا واجبنا الاستمرار في القتال."

فأشرت الى أن القانون ينص على الاعدام الفوري للجنود الذين يتابعون القتال بعد الاستسلام.

تكلمنا طويلا في القرار الذي يجدر بنا اتخاذه. لكننا في داخلنا كنا فارسين من سلاح الخيالة، ولم يكن التخاذل من شيمنا.

سألني باركر: "هل قر رأينا على القتال اذا؟"

أجبت: "هذا هو قرارنا حتما. سنتطوع لشن حرب عصابات."

جيش فلاحين

كانت في قدمي بثرة ملتهبة حالت دون مرافقتي باركر لدى ذهابه الى مخيم الكولونيل ثورب. وما عتم أن أفادنا الانصار أن اليابانيين يخططون لشن غارات في المنطقة، فانطلقت الى منحدرات الجبال البعيدة.

بعدما أقعدتني نوبة مديدة من الملاريا نزلت من الجبال في ٩ مايو (أيار) ١٩٤٢ اليوم الذي صادف عيد ميلادي الخامس والعشرين. فانتقيت موقعا وبدأت بناء مركز قيادة. كان البناء على وشك الاكتمال حين حضر الكولونيل ثورب الى المنطقة وشرح لنا أن أعمال المقاومة ستتوزع في أربعة قطاعات، أحدها سهل لوزون الأوسط ويشمل باتان ومدينة مانيلا، وسيكون بقيادة جو باركر وأنا نائبه.

باشرنا اتصالاتنا بالزعماء الوطنيين وكلفناهم تجنيد متطوعين لمجموعات المقاومة. كان السكان في غالبيتهم معادين لليابانيين ومتشوقين للتعاون معنا. وما لبثنا، أنا وباركر، أن انهمكنا في التنقل من قرية الى قرية نتكلم الى الزعماء المحليين ونجند وحدات جديدة من المقاومين ونحلفهم اليمين.

كانت مهمتنا التحضير لعودة الجنرال ماك آرثر، فبات لزاما علينا تنمية صدقيتنا وكسب الشعب الى جانبنا. تحاشينا في البداية الصدام مواجهة مع اليابانيين، وتركزت جهودنا على التنظيم وجمع المعلومات والقيام بأعمال التخريب. كانت الاسلحة والمعدات قليلة. ولم يرتد جنودنا بزات رسمية. كنا جيش فلاحين تتأجج فيهم الروح الوطنية وتعزز تصميمهم على مقاومة الاحتلال.

والى طبيعة الارض الوعرة كان الافتقار الى أجهزة الاتصال عائقنا الرئيسي. فكنا نتبادل الرسائل مع ثورب ومع كوادرنا بواسطة سعاة، وهي وسيلة بطيئة ومحفوفة بالمخاطر.

كنا نتنقل مشياً بعيدين ما أمكن عن الطرق والبلدات. وعزَّ علي وعلى باركر العيش مع الحشرات والحيات والحرارة الخانقة.

الا أن خطراً كبيراً آخر تمثل في رجال "الهوك" الجناح العسكري للحزب الشيوعي الفيليبيني. قصدنا اعتبارهم حلفاء والتعاون مع قيادتهم، واستعرنا منهم كتاب ماوتسي تونغ عن حرب العصابات. ولكن سرعان ما اشتد التوتر بين قواتنا وقواتهم.

ولتنظيم كوادر لنا في مانيلا، أرسلنا اليها اثنين من عملائنا. كانت تلك خطوة خطيرة، ولكن في غضون بضعة أسابيع أصبحت لنا شبكة شملت المدينة وضمت كثيرين من السكان المدنيين العاملين مع اليابانيين. وبدأ هؤلاء الرجال والنساء الشجعان يسربون الينا معلومات لا تثمن عن قوة اليابانيين وتنظيمهم وأهدافهم.

وفيما توسع نشاطنا بتنا أكثر تعرضاً للكشف وازدادت معرفة اليابانيين بنا. وأعلمنا مخبرونا أن اليابانيين نظموا قائمة بالمطلوبين في رأسها الكولونيل ثورب وضباط أمريكيون آخرون في المقاومة ذكرت لنا أسماؤهم، ومنهم جو باركر وأنا.

كان لباركر ولي حراس خصوصيون ائتمناهم على حياتنا. وكان حارساي بروسيسو كاديزون وكلارو كاماتشو، لا أتنقل الا برفقتهما ولا يستطيع أحد الاقتراب مني الا عبر مديتيهما الحادتين ورشاشيهما الجاهزين أبداً.

بعض جنود إد رمزي
وبينهم بروسيسو كاديزون واقفا في الوسط.

ذات مساء توقفت وكاديزون في منزل أحد المزارعين بعد عودتنا من اجتماع مع رجال المقاومة. بدا المزارع مرتعبا، وأفادنا أن فرقة من الهوك دخلت القرية المجاورة قبل دقائق وأعلن أفرادها عزمهم على المبيت هناك.

في غمرة سذاجتي، رأيت في ذلك الحديث غير المتوقع فرصة لمقابلة قادة الهوك ومحاولة اقناعهم بالتوصل الى تسوية بيننا. لذا توجهت مع كاديزون الى كوخ حيث شاهدنا بعض ضباط الهوك قابعين حول قنديل. مددت رأسي الى الداخل، وحين رأوني تملكتهم الدهشة وخيم عليهم الصمت.

ابتسمت وطلبت التكلم مع الضابط المسؤول. فسألني ملازم التعريف عن نفسي. ولما أخبرهم كاديزون من أنا تحولت دهشتهم ارتباكا. وأمرني الملازم: "ابق مكانك، سأدعو قائدي."

وقفت صاغرا بين الرجال أصارع خدرا سرى في جسدي. لم يسعني ابداء ضعف أمام هؤلاء الرجال، لكن أسابيع المرض والسير والتنقل كانت برتني حتى الانهيار.

ناداني الملازم من خارج الكوخ. وحين خرجت رأيت اثني عشر رجلا ينبثقون من الظلام شاهرين بنادقهم في وجهي. حدقت اليهم غير مصدق ما أرى. وأغمي علي.

لما عدت الى وعيي كان كاديزون يحتضن رأسي. ففتحت عيني حذراً وقرصت ذراعه لاعلمه أني واع. داخل الكوخ وقف أحد رجال الهوك بسلاحه مديراً الينا ظهره. ثم دار في الخارج جدل حام أغرى الحارس بالخروج لاستطلاع الامر. فاسترق كاديزون السمع وهمس لي: "يقول الملازم إنك جاسوس الماني ولديه أمر باعدامك."

صممنا على الفرار. فجرني كاديزون الى مدخل خلفي للكوخ وساعدني للوصول الى حقل مزروع بقصب السكر توارينا فيها. كان القصب يرتفع أعلى من رأسينا ويسوطنا أثناء هربنا السريع. وكنت أركض بضعة أمتار ثم أتوقف وأتمسك بكاديزون كي لا أسقط مغمى علي. فجأة علا الصياح في القرية. لقد اكتشف هربنا.

كنت في حالة تراوح بين الغثيان والانهيار. واذا بكاديزون يهمس في أذني مشيراً الى جدول ماء: "انظر، هناك!" فأسرعنا الى الجدول وركعنا على ركبنا ثم انزلقنا في الماء. فحملنا التيار وتقاذفنا الى أن رمى بنا على الضفة الاخرى. فزحفنا الى الغابة حيث اختبأنا حتى تأكد لنا أننا أصبحنا في أمان.

"مبروك يا مايجور"

كان انهياري بين رجال الهوك نتيجة سكتة دماغية خفيفة (فالج). وفي فترة تعافيَّ ناب عني جو باركر في التنقل. ثم ضرب إعصار استوائي المنطقة فهطلت الامطار الموسمية وحولت المسالك وحولا والجداول المنحدرة من الجبال سيولا جارفة. وأصبح السير خطراً وإن لمسافات قصيرة. ومع ذلك، بحلول أكتوبر (تشرين الاول) زاد تعداد جيشنا على ٢٥٠٠ رجل.

أمضيت عدة أسابيع في أحد المخيمات أستعيد قوتي في رعاية طبيب أمريكي. وكان باركر في هذه الاثناء يحضر للسفر الى مانيلا. وارتحل اليها في نهاية الشهر.

لم يرد علي أي خبر منه حتى ديسمبر (كانون الاول)، فعلمت أنه في العاصمة ومقيم في حي فقير يعج باللاجئين واللصوص. وكان يجوب مانيلا في زي كاهن ويجند متطوعين ويجمع معلومات.

ولكن وردت أيضا أخبار سيئة، فقد علم باركر أن الكولونيل ثورب أسر وأنه يخضع لتعذيب رهيب. وكتب الي أنه سيتسلم مركز الكولونيل ثورب في قيادة قوات المقاومة، وسأكون أنا مكلفا قيادة المنطقة الشرقية الوسطى. وختم ثورب: "أرى من واجبي أن أهنئك لانك، بحسب معلومات مخبرينا، تأتي بعدي في المرتبة الثانية على لائحة الموت."

وعلى رغم ترسخ الاحتلال وتعاظم وحشيته ازداد حجم المعلومات التي كنا نرسلها الى أوستراليا. وبدأت كوادرنا تقوم بأعمال تخريب. وكلما تمكن رجال العصابات من عزل قافلة في التلال، كانوا يهاجمونها ثم يتوارون في الريف. وكانت مخازن المؤن والذخيرة أهدافا لهجمات متكررة، والآليات والطائرات تعطل في كل فرصة ممكنة.

في يناير (كانون الثاني) ١٩٤٣ شن الجنرال بابا، رئيس الشعبة اليابانية لمكافحة الاستخبارات، هجوما شاملا بهدف التمكن منا وابادتنا. وأصبحت قواعدنا عرضة لاقتحامات مستمرة. وكان الجنود اليابانيون يدخلون القرى فيحرقون كل شيء ويعتقلون كل من يرتابون فيه.

لكن الضغط المتنامي لم يرهب الشعب الفيليبيني ولم ينفره منا. فبعد استعادتي معظم قواي عدت الى التنقل في باتان وتجنيد كوادر وتعيين ضباط جدد. وفي مورونغ، حيث قدت هجوم فرقة الخيالة، استقبلنا رئيس البلدية والسكان استقبال الابطال. وخلال أسابيع تم تنظيم المقاومة على شاطىء باتان الغربي بكامله. وبدأت استخباراتنا ترصد كل السفن التي تدخل خليج مانيلا أو تغادره وترسل تقارير عنها الى الجنرال ماك آرثر في أوستراليا.

في اواخر شهر يناير (كانون الثاني) عدنا الى مخيمنا حيث وجدنا في انتظارنا ضابطاً من مانيلا علمت أنه يحمل الينا أنباء سيئة.

أخبرنا أنه في ٨ يناير (كانون الثاني) قبض على حارس باركر وعذب طوال ثلاثة أيام الى أن انهار وأفشى مكان أحد عملائنا الذي اعتقل بدوره مع معظم مساعديه. وكان باركر فر ولجأ الى منزل أحد عملائنا حيث بات ليلته. ولكن عند الفجر طوقت المنزل فرقة من الجنود اليابانيين ثم اقتحمته وقبضت على باركر وهو ما زال نائماً. وهكذا صرت أنا قائد قوات المقاومة وتصدرت قائمة الموت التي أعدها الجنرال بابا. وخُصصت مكافأة مقدارها مئة ألف دولار لمن يقبض علي.

نزلت بشبكة مخابراتنا في مانيلا ضربة قاسية. فأردت الذهاب الى هناك. ولان الرحلة كانت في غاية الخطورة فقد عدلت عنها وقررت التوجه شمالا. فكانت مسيرة على الاقدام اجتزنا معظمها ليلا متجنبين المعسكرات اليابانية.

أقمنا قاعدة جديدة في قرية بايامبونغ مسقط رأس حارسي كلارو كاماتشو. وأبلغت وصولي الى الملازم بوب لافام أحد قائدي المنطقة الامريكيين. كان لافام شاباً وسيما ذا ابتسامة عريضة وتصرف عفوي. وكان رجاله يدعونه "مايجور" أي الرائد. ولما ألمحت مازحاً الى لقبه أخبرني أننا كلينا في الواقع في رتبة رائد، اذ ان الجنرال ثورب كان أوصى قبل اعتقاله بترقيتنا رتبتين. وأضاف لافام: "لقد استغرق الاتصال بأوستراليا بضعة أشهر، لكن الجنرال ماك آرثر أقر الترقية. مبروك يا مايجور."

رحلة الرعب

خلال شهري ابريل (نيسان) ومايو (أيار) ١٩٤٣ جبت ولافام الاقاليم الشمالية نجند قادة آخرين ونتشيء كوادر جديدة. وأنى توجهنا كان السكان يطرحون علينا السؤال ذاته: "متى يعود ماك آرثر؟" كان اسمه لديهم مثل ابتهال أو كلمة مقرونة بقوة خارقة. أجبنا عن أسئلتهم بصراحة: أن لا علم لنا متى يعود. كنا نفتقر الى أجهزة اتصال تطول مركز قيادته، وكانت رسائلنا اليه تجتاز طرقاً محفوفة بالأخطار يحملها سعاة متطوعون. لكننا كنا نؤكد للسكان أن الاجتياح لا بد آت.

ذات ليلة أخبرني لافام في المخيم أن جماعة من الفيليبينيين البارزين أنشأت شبكة سرية لمساعدة الاسرى والفارين، وأن إحدى أعضائها الناشطات شابة معروفة من مانيلا تدعى رامونا سنيدر. كانت رامونا أرملة أحد أسرى الحرب الامريكيين الذين ماتوا في الأسر، وهي اعتنت بلافام أثناء اصابته بالملاريا في السنة الفائتة. وأضاف لافام أنها وعدته بزيارة قريبة لحضور عيد ميلاده.

دخلت رامونا كوخنا فدخل معها ضياء بدد العتمة. كانت ترتدي ثوباً أبيض بسيطاً أبرز بشرتها السمراء الناعمة. وكان وجهها بيضويا صريحاً وعيناها البنيتان تشعان بهجة وحبوراً.

تسمرت عيناي فيها. وكانت صنوي، مقاتلة في صفوف العصابات، معرضة مثلي لانواع المخاطر. لكنها كانت أنيسة ودودة، تضحك وتحادث بمرح كأنها في رحلة ممتعة. وما إن حل المساء حتى كنت وقعت في هواها.

أمضت رامونا معنا يومين، فأخبرتنا عن أحدث المستجدات في مانيلا. وفيما هي تهم بالرحيل عرضت علي ارسال معلومات الي من المدينة. كانت تلك لعبة خطرة جداً، لان مجرد شائعة عن اتصال بي قد يكلفها حياتها. لكنها عادت الينا لاحقاً ذلك الصيف وأفادت أن الغارات اليابانية المتواصلة في يناير (كانون الثاني) أحدثت فراغاً كبيراً في المقاومة السرية في مانيلا وأن هذا الفراغ لم يسد بعد. لذلك صممت على زيارة المدينة.

أطلعت حارسي كلارو كاماتشو على خطتي. كانت الرحلة طويلة ولم أرغب في اجتيازها مشياً، فقلت مازحا: "إني في حاجة الى عربة صندوقية."[٣] وهذا ما كان. فبعد بضع ليال استجيب طلبي.

في منتصف ليل ٢٣ نوفمبر (تشرين الثاني) توجهنا الى سكة حديد جانبية في قرية مجاورة مزودين طعاماً يكفي ثلاثة أيام وثلاثة مدافع رشاشة. كانت العربة رابضة بين الأشواك. فتحنا الباب الجانبي فطالعتنا رائحة أوراق النخيل الخضراء التي تستخدم عادة لتغليف الحمولة. وبعد ادخال المدافع الرشاشة ومناصبها الثلاثية القوائم دخلت العربة مع رجلين موثوق بهما انتقاهما كاماتشو الذي سيقود القاطرة بنفسه.

كومنا بالات سعف النخيل عالياً على الباب، ثم أزلق كاماتشو الباب وأحكم اقفاله. فبتنا سجناء عاجزين عن الخروج من العربة ما لم تفتح من الخارج. فاذا فتحها اليابانيون كان لا بد لنا من الاشتباك معهم.

قرابة الظهيرة وصلنا الى نقطة التفتيش الاولى. وما هي الا بضع دقائق حتى أحاط اليابانيون بالعربة، وسمعنا أصواتهم فتجمدنا في الداخل. تبع ذلك ضرب على الجدران، ثم رأينا رؤوس حراب تخترق الشقوق وتمزق ورق النخيل المكدس.

فجأة برز نصل حربة اخترق الباب قربي وكاد يمزق ساقي. وتوالت اختراقات الحراب. ولما رأى اليابانيون أنها لم تصطدم بأي حمولة سمعناهم يتشاورون على عجل. ثم هرعوا الى مقدم القطار. فاتخذنا وضعا قتاليا.

في تلك اللحظة ارتج القطار وتحرك. وما عتمنا أن تجاوزنا الجنود اليابانيين الذين تراكضوا ملوحين بأيديهم مهددين.

مرت ساعتان في غمرة من الانتظار والقلق ونحن على يقين من أن اليابانيين استبقوا وصولنا الى نقطة التفتيش التالية وأبلغوا أمرنا هاتفيا الى المسؤولين هناك. ولم نسمع شيئاً من كاماتشو، فجلسنا داخل العربة لا حول لنا ورشاشاتنا جاهزة للانطلاق. وأخيراً صرت العجلات ودمدمت وتوقفت العربة. فسمعنا وقع خطوات تقترب وما لبثت أن عبرت. وانتظرنا خمس دقائق، ثم عشراً، مترقبين تحطيم القفل في أي لحظة، فلم يحصل شيء من هذا.

ثم سمعنا صليلا وقعقعة وعاود القطار السير. لم يجر اليابانيون أي تفتيش!

في تلك الليلة أقمنا قاعدة موقتة في قرية خارج مانيلا. كانت مشكلتنا الملحة افتقارنا الى أوراق ثبوتية. وكنا فوضنا أمر تأمينها الى أحد رجالنا البارزين وهو سويسري يدعى ولتر رويدر يعمل مديراً تقنياً لشركة "غاز مانيلا." فاستخدم رويدر خبرته في المواد الكيميائية والصباغ وحوَّل جواز سفره لاستعمالي أنا.

(٣) العربة الصندوقية (boxcar) شاحنة سكة حديد مسقوفة ذات أبواب جانبية منزلقة.

مساء ٢٠ ديسمبر (كانون الاول) توقفت أمام القاعدة سيارة قديمة. فركبتها وجلست في المقعد الخلفي بين حارسين. وكنا كلنا مزودين مسدسات أوتوماتيكية.
انتشر الجنود اليابانيون على طول الطريق التي سلكناها. واذ توغلنا في المدينة تقلصت مخاوفي. كان عيد الميلاد وشيكا، وعلى رغم النقص في كل شيء كانت بعض المحال مزدانة والناس يجوبون الشوارع. فشعرت كأني انتقلت الى عالم آخر.

"يا، زو في زو!"

في الايام القليلة التي تلت تباحثت مع قادة المقاومة في مانيلا. وليلة عيد الميلاد قدمت رامونا سنيدر لتصطحبني. كانت هدية ميلادية لم أحلم بها. سألتني والابتسامة تشع من عينيها: "هل أنت بخير؟"
مددت ساعدي الهزيلين كفزاعة وقلت: "اني كما ترين."
ضحكت وقالت: "لا بأس، ستكون بخير. أما الان فنحن مدعوان الى العشاء في منزل أنسبائي. لقد حضروا وليمة الميلاد تكريما لك."
استقبلني أنسباؤها بالضم والعناق قبل أن يتم التعارف بيننا، وأشعروني للحال كأني في منزلي. غابت بيننا الرسميات، وكان الطعام لذيذا فتحادثنا طويلا الى أن أعلنت رامونا أن الوقت حان للانصراف. أحسست أن الساعات مرت سريعة، ولكن لم يسعنا أن نخاطر بعبور الشوارع ليلا بعد موعد حظر التجوال.
في الايام القليلة التالية تابعت لقاءاتي وقادة المقاومة. ثم جاءتني رامونا بخبر مقلق. قالت إن أمري كشف، وإن الجنرال بابا يعرف أني في مانيلا كما يعرف مكان اقامتي على وجه التقريب. وقد سدت جميع مخارج المدينة، لذلك علي تدبر مخبأ آخر للحال. فغادرنا البيت أنا ورامونا في عربة خيل واختبأنا في منزل نسيب آخر من أنسبائها.
ذلك المساء جاءنا ولتر رويدر قاطعا المسافة من شركة الغاز على دراجة هوائية. وكانت معه دراجة أخرى لي. فقد تفتقت له فكرة جريئة: أن أقيم معه في منزله ضيفا تحت أعين مئات الجنود اليابانيين المعسكرين في مجمع الشركة. ولما كان أكبر مني بعشرين سنة، ولما كان جوازا سفرنا يحملان اسم العائلة ذاتها، فسيعتبرني ابنه القادم من زوريخ لزيارته.
سألني رويدر هل أتكلم الالمانية، فأجبته نفيا قاطعا. قال: "حسنا، سأعلمك بضع كلمات." وطلب مني أن أردد العبارة الآتية: "يا، زو في زو" أي "نعم، هذا صحيح."
ثم قال: "والآن، هيا بنا. سأتكفل أنا بمعظم محادثاتنا، وأنت ستردد ما تعلمته."
كانت المسافة طويلة الى شركة الغاز. ولم ينقطع رويدر عن التحدث الي بالالمانية،

فكنت أرد على كل ما يقوله كببغاء: "يا، زو في زو." كانت تلك تمثيلية ذكية رائعة متهورة مضحكة، الا أنها على غرابتها كانت صمام أمان وحققت هدفها.

انقبضت نفسي رهبة لدى رؤيتي المجمع: أرض واسعة في قلب مانيلا انتثرت فيها آليات وخزانات ومبان. وبين المباني صفوف من الخيم تعج بالجنود اليابانيين.

دخلنا البوابة بدراجتينا فلوح لنا الحراس بالعبور. ولم يكف رويدر عن الثرثرة، ولم أكف أنا عن الرد عليه: "يا، يا، زو." عبرنا بين خيم الجنود وتوقفنا أمام منزل رويدر. فحملنا الدراجتين الى الرواق الامامي ودخلنا غرفة الجلوس حيث بتنا في أمان.

ظل اليابانيون يبحثون عني طوال الايام التسعة التي تلت. فسدوا جميع منافذ مانيلا وفتشوا كل سيارة غادرت المدينة. وكانت دورياتهم توقف المارة وتدقق في هوياتهم.

وفي الاسبوع الاول من يناير (كانون الثاني) أفادنا مخبرونا أن الجنرال بابا يئس من العثور علي واعتبر أني انسللت من المدينة فخفف اجراءات المراقبة الصارمة.

مساء ٧ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٤ ركبت ورويدر دراجتينا في اعادة لتمثيلية الأب والابن، وخرجنا من المجمع. وهربت الى الريف.

أنباء فاجعة

لقد طال افتقارنا الى مقر قيادة عام، وكنا في حاجة الى مقر على مقربة من مانيلا.

شمال شرق المدينة غابة مطر واقعة في سلسلة جبال سييرا مادري الشديدة الانحدار. كانت الغابة كثيفة لا سبيل الى اختراقها، وهي لا تبعد كثيراً عن العاصمة مانيلا. فذهبنا اليها لالقاء نظرة.

ارتفعت التلال بحدة عند سفح الجبل. وبعد جهد شاق بلغنا فسحة بين الاشجار الباسقة فوقفنا لنتبين معالم موقعنا. كانت مانيلا تحتنا في نهاية السهول والتلال المترامية. وشمخ وراءنا جبل منعزل يكسوه الشجر، فيه شلال يتفجر من شق في الصخر. وبالقرب من أعلى الشلال رف صخري وراءه واد حرجي.

سألت دليلنا: "ما اسم ذلك الجبل؟"

أجاب: "انه جبل بالاغباغ."

كان الموقع المثالي الذي نشدناه. فالرف الصخري يشكل مركزاً دفاعيا قويا. والوادي وراءه موقع لمخيمنا. والمرتفع فوق الوادي مركز مراقبة.

صرفنا بقية النهار في الاستكشاف. وأخيراً تسلقنا الصخر، فقلت: "سنركز مدافعنا الرشاشة هنا."

كنت علمت في مانيلا أن احدى الغواصات أحضرت الى جزيرة مندورو جهاز راديو

(لاسلكيا) لمجموعتنا. فتوجهت الى الجزيرة لتسلمه.

أمضيت أكثر من شهر في رحلة طويلة شاقة قطعت فيها خليج مانيلا في أحد المراكب، ثم اجتزت جنوب لوزون براً، ومنه عبرت مضيقاً الى مندورو.

وصلت الى مخيم المقاومة هناك. وبعد بضعة أيام برز من الغابة رجل يجر نفسه جراً. انه ضابط الصف ديفيد وايز. كان شعره متلبداً وسخاً، وكست جلده قشرة جافة من التراب والدم المتجمد. كان اليابانيون اكتشفوا الموقع الامامي للمقاومة ففتحوا النار وحصدوا غالبية الرجال. ونجا وايز ملتجئاً الى الغابة.

سألته: "وماذا عن الراديو؟"

قال: "فقدناه أثناء الغارة. لا بد أن اليابانيين استولوا عليه."

صباح اليوم التالي كنا نتأهب للرحيل. فتلقينا اتصالا يفيد أن غواصة ستصل بعد أسبوعين الى طرف مندورو الجنوبي ناقلة اموالا ومعدات الى رجال المقاومة، وأن ثمة رسالة لي.

قال لي قائد المخيم: "الغواصة مستعدة لترحيلك. ولكن عليك المغادرة للحال."

كان العرض مغرياً. لكني في قرارة نفسي عرفت أني لا أقوى على الرحيل. فأنا القائد، واعتماد شعبي علي. والحرب حربي أنا مثلما هي حربهم. وقد تطوعت لهذه المهمة ولن أتخلى عنها الآن.

أجبته: "قل لهم انني باق. شكراً."

ابتسم القائد وهز رأسه ثم ناولني ورقة مطوية وقال: "لا يجدر بي أن أسلمك هذه الورقة. فلدي تعليمات بألا أطلعك عليها الا في حال صممت على الرحيل."

فتحت الورقة وقرأت ما فيها. كانت رسالة من أوستراليا بدأت هكذا: "من ماك آرثر الى رمزي. عد الى لوزون لقيادة قواتك المقاومة." وكانت الرسالة موقعة من ماك آرثر.

لما عدت الى بالاغباغ طالعتني أنباء فاجعة. ففي ديسمبر (كانون الاول) نقل جو باركر وضباط آخرون من سجنهم الى مقبرة قديمة حيث أجبروا تحت المطر الغزير على حفر قبورهم والركوع فوقها. ثم قطعت رؤوسهم واحداً واحداً.

أنهى ذلك الحادث عذابا دام سنة، وكنت أنا الشاهد الحي على ثبات أولئك الرجال وجلدهم وشجاعتهم. فقد كان في امكان أي منهم افشاء معلومات وأسماء تقودني الى الهلاك. لقد تصرفوا كجنود وماتوا أبطالا.

مرت بي فترة عصيبة عشت خلالها رهبة واقعي وفاجعة رفقائي. في تلك الاثناء وصل كشاف من الجزر الجنوبية حاملا الي هدية: جهاز راديو (لاسلكيا). وكان الكشاف اجتاز حوالى ١٥٠٠ كيلومتر من أشد الاراضي وعورة في الفيليبين محاذراً الدوريات اليابانية. واستغرقت رحلته أربعة أشهر.

كانت تلك الهدية مستهل مرحلة جديدة في حربنا انتفت فيها الحاجة الى تبادل الرسائل والانتظار الطويل لسعاة كانت حياتهم معرضة للخطر في كل لحظة.

ضم مخيمنا في بالاغباغ ستة أكواخ من سعف النخيل وقاعة طليقة للطعام ومستشفى، وفوقها جميعا مظلات الاشجار الكثيفة الباسقة التي أخفت الاكواخ من الجو. وكان الوصول الى مخيمنا يحتم اختراق منحدرات في الغابة الكثيفة وأودية عمودية وعرة وتسلقاً شاهقاً الى أعلى الشلال حيث نصبنا مدفعين رشاشين انتشلناهما من حطام طائرة أمريكية أسقطتها مدافع العدو.

أصدرت أمراً ببناء كوخ للاتصالات على الجرف الصخري فوق مخيمنا سميناه "تلة الاشارة." وعلق الهوائي بين أغصان الاشجار، وركز ضابط الاشارة جهاز الراديو على طاولة من الخيزران والى جانبه المولد الكهربائي الذي يشغل يدويا. أجرينا تجربة فانبعث من الجهاز صفير حاد وظهرت على الشاشة نقط وقواطع، فعلمنا أننا أصبحنا جاهزين لتبادل الرسائل. ومنذ ذلك المساء شرعنا نبث معلوماتنا وتقاريرنا الى مقر قيادة الجنرال ماك آرثر.

حرصت قوات المقاومة على تنفيذ عمليات التخريب بحذر شديد. ولكن في منتصف صيف ١٩٤٤ رأيت أن الوقت حان لعرض عضلاتنا واظهار قوتنا. فأرسلت أوامر سرية الى مانيلا لتحضير هجوم، ورسالة الى ولتر رويدر أطلب منه ابتكار متفجرة. فحضر رويدر الى بالاغباغ لعرض "قنبلته"، وهي اسطوانتان من الرصاص داخل احداهما مواد متفجرة وفي الاخرى جهاز توقيت بدائي.

أشرف رويدر على تركيب القنابل وتدريب فرق للتخريب. وأصدرت أوامري بزرع القنابل في ١٥ يوليو (تموز) وتوقيتها بحيث تنفجر في منتصف الليل.

قرابة التاسعة مساء وصل رويدر الى المخيم وأفاد أن المتفجرات زرعت في أماكنها، لكنه كا قلقاً في شأن آليات التوقيت. قال: "هذه ليست ساعات سويسرية يا مايجور."

ربت ساعده مطمئنا: "يا، يا، زو في زو."

قرابة منتصف الليل تسلقت ورويدر تلة الاشارة ومعنا مقراب (تلسكوب). كان الليل دامساً ولا قمر في السماء. وحين حل منتصف الليل تطلعنا جهة المدينة مترقبين بلهفة. لم يحدث شيء. حلت الساعة الثانية عشرة والنصف، فالاولى بعد منتصف الليل، فالثانية، ولم يحدث شيء. فجزعت واستدرت نحو رويدر متسائلا: "ترى هل يمكن أن تتعطل آليات التفجير كلها فلا تنطلق أي قنبلة؟"

فجأة اندفع في الجو عمود لهب كأنه شهاب، ودوى انفجار عقبته انفجارات. وتناثرت الشعل والشظايا فوق المدينة. وترجّع دوي الانفجارات في بالاغباغ.

انتزع رويدر المقراب وسدده الى اللهب هاتفا: "تانكي!" واستدار نحوي وقد أشرق وجهه بابتسامة عريضة. كان "تانكي" مستودع الوقود الرئيسي لليابانيين، وكان يتفجر فتتسع دائرة سحب الدخان والنار المتأججة في سمائه. ثم ارتفع في طرف المدينة سياج من نار اشتعلت أوتاده واحداً بعد آخر، ثم اندمجت الشعل في صفوف طويلة ملتهبة. تلك كانت عربات الوقود المتوقفة في أفنية محطات السكك الحديد.

واندفع رويدر خلفي يرقص وينشد أغنية شعبية ألمانية. وتوالت الانفجارات طوال الليل.

وعند بزوغ الفجر دوى انفجار باهر في الخليج. فغمر الارصفة ضوء كهرماني أصفر ضارب الى الحمرة وتعالت النار في جو الصباح الباكر. وكان أن برميل نفط مشحوناً بالمتفجرات حمل على متن ناقلة نفط يابانية فانفجر واشتعلت حمولة الناقلة البالغة عشرة آلاف طن.

وصل دوي الانفجار الى مسامعنا كأنه قصف رعد. وفيما راحت الناقلة تغوص في البحر امتدت النار من حطامها المشتعل الى ناقلة خرى والى سفينة كانتا راسيتين قريباً منها، فاشتعلتا أيضاً.

بقينا في أعالي بالاغباغ الى الثامنة صباحا، نحتفل مهللين منتشين بانتصارنا في اغراق مانيلا في ذلك الجحيم المتفجر. ثم نزلنا الى المخيم. وصغت رسالة مرمزة الى الجنرال ماك آرثر في أوستراليا فيما الحرائق تشتعل في أنحاء المدينة.

هجوم ياباني

في أعقاب هذا التخريب الهائل اشتد الضغط لكشفنا. واستجابة لالحاحي انضمت رامونا سنيدر الينا في الجبال، لكن موجة الاعتقالات طاولت كثيرين من رجالنا الذين انضموا الى مئات غيرهم من ضحايا التعذيب. ومع ذلك ارتفعت معنوياتنا بعد تفجيرات ١٥ يوليو (تموز) وزاد تصميمنا على المقاومة والانتصار.

في غضون صيف ١٩٤٤ ظلت بالاغباغ في مأمن. لكن صحتي تدهورت وأصبت في سبتمبر (أيلول) بالتهاب الزائدة الدودية. ولدى فحصي ضغط الطبيب بطني فأحسست كأن تياراً كهربائياً سرى داخلي. كنت أتلوى وأولول من الألم. فقال الطبيب: "تلزمك جراحة فورية."

ولافتقارنا الى البنج طلبت من كاديزون أن يحضر لي زجاجة رم كنت أحفظها في خيمتي. فعاد بها كاديزون وسكب بعض محتواها في حلقي.

لدى اجراء الجراحة ثبتني كاديزون ورامونا. وبضعني الطبيب في موضع فوق

فخذي. أجفلت لحدة الالم المفاجىء، ثم علا صراخي وأنيني عندما شرع يشق عضلات بطني. وعضضت ذراع رامونا.

أولج الطبيب يده المقفزة في بطني. وأحسست أصابعه تنزلق وتزيح أعضائي. صعقني الالم وطفقت أصرخ بأعلى صوتي وأشتم وألعن الى أن غلب علي خدر الالم والحمى والرم فغبت عن الوعي.

وبعد جهد أمسك الطبيب بالزائدة الدودية وقصها، ثم رش جوفي بالسلفا المطهرة ولقط جانبي الجرح وخاطهما.

لزمت الكوخ أسبوعاً كاملا وتولت رامونا رعايتي. كنت أستعيد قوتي ببطء. وزودني أحد الحراس عكازاً بدأت استعين به للمشي والتمرن خارج الكوخ. فقد كنت حريصاً على العودة الى الميدان بأسرع ما أمكن.

أخيراً في ٢ يناير (كانون الثاني) ١٩٤٥ اكتشف اليابانيون موقعنا. فمن خلال الاعترافات التي انتزعت من عملائنا بالتعذيب، وعبر قياس موجات بث جهاز الراديو لدينا، توصل رئيس شعبة الاستخبارات اليابانية الجنرال بابا الى معرفة مكاننا. فأرسل دوريات لتمشيط المنطقة. ولما وصلت الدوريات الى الشلال فتحنا عليها النار.

تراجع اليابانيون ولبثنا في حال تأهب للارتحال واخلاء المخيم. وعاد العدو في اليوم الرابع بكتيبة كاملة معززة بمدافع هاون، فنشب قتال عنيف. وفي اليوم التالي تمكن اليابانيون من تثبيت أقدامهم على الصخور.

صباح اليوم الثالث شن اليابانيون هجوما شاملا. فاحتدمت المعركة وبدأت القنابل تنفجر فوق ذرى الاشجار والرصاص يلعلع ويتطاير بين الاكواخ. وتولى الطبيب ورامونا وفريق من الرجال نقل الجرحى والمرضى الى قلب الغابة. وبعد الاجلاء لم يبقَ في المخيم الا الجنود المقاتلون، فأمرت بتفكيك جهاز الراديو وتوضيبه وانزاله من تلة الاشارة. ثم بدأنا التراجع.

سرت قابضاً على معدتي أكاد لا أقوى على التنفس من جراء الدوار والألم. لكني نجحت في الوصول الى الغابة وسط انفجار القنابل. والتحقت بأركان قيادتي، ثم شرعنا في نزول المنحدرات. لكني بلغت من الوهن حداً تعين معه حملي. وبعد بضعة كيلومترات ساءت حالي وبت عاجزاً عن الاستمرار وان محمولا. فأشرت الى الآخرين لكي يتابعوا السير ويتركوني أرتاح علني أتمكن من النزول لاحقاً مع طاقم المدافع الرشاشة.

تمددت في مكان مستتر من الغابة مصغيا الى دوي القتال. وكنت لم آكل شيئا منذ يومين، ولا قدرة لي على القعود. وفكرت في أنني ربما أشرفت على نهايتي. اذا انسحب طاقم المدافع الرشاشة فجميع رجالي سيكونون في أمان، وسيتسنى لهم

انشاء قاعدة قيادة أخرى وسيتابعون النضال حتى موعد الاجتياح المرتقب. قلت لنفسي: "قد أتممت مهمتي." ثم استسلمت للنوم.

كنت عاجزاً عن متابعة الكفاح.

المعركة الاخيرة

استيقظت على وقع أقدام. فشهرت مسدسي واصغيت، فاذا برجال المدافع الرشاشة قادمون. ناديتهم، وكان كاديزون حارسي الشخصي أول من وقع عليه نظري.

ركع الى جانبي وسألني: "هل أنت مصاب؟"

أكدت له أنني لست مصاباً لكنني منهك ولا أقوى على السير. فأصر على البقاء معي، وليتابع طاقم المدافع طريقه.

أسند كاديزون رأسي بيده وأطعمني بضع حفنات من الرز وقال: "لن يطول بنا الامر. سيكون الامريكيون هنا قريباً وينتهي كل شيء. غريب! لا أذكر كيف تكون الحياة الطبيعية في السلام، من دون نضال واختباء وقتال."

وفيما آذن النهار بالزوال تكلمنا عن أشخاص في المقاومة أصبحوا أصدقاء لنا وعن أصدقاء فقدناهم. ثم سألني كاديزون عن أمي وشقيقتي.

ذكرت له كيف انتصرتا كلتاهما في معركة الحياة. كيف كافحت أمي سنوات لتعيل عائلتها وكيف كافحت نادين بعد الحادث لتستعيد قوتها ولياقتها وتعود الى ممارسة الطيران.

قال كاديزون: "إنكم جميعاً مقاتلون. ووالدك؟ لا بد أنه كان مقاتلا هو أيضاً."

الواقع أنني لم أتكلم عن والدي قبلا، وهو لم يستحث ذاكرتي الا كتحذير ذاتي. ولم أفكر فيه إلا نادراً طوال فترة الحرب. لكني أدركت أن كاديزون كان على حق. فقد كان والدي مقاتلا خاض حرباً طويلة غير متكافئة لم تقل رهبة وعزلة عن الحرب التي كنت أخوضها. كانت حربه صراعاً مأسويا مع ذاته مزقته ودفعت به الى أحضان اليأس.

استعنت بكاديزون واستويت واقفاً على قدمي. كان ظلام الليل بدأ يخيم على الانحاء. فمشيت بضع خطوات وكاد يغمى علي. فتمسكت بكتفه وسرنا نزولا في بحر كثيف مائج من العشب. وغمرني شعور بالثقة. إني لم أنته بعد، ولست وحدي.

في ٨ يناير (كانون الثاني) رتبنا مقراً جديداً لقيادتنا وعاد جهاز الراديو الى العمل. بعد ظهر ذلك النهار تلقيت رسالة ملحة من ماك آرثر: "باشروا للحال تدمير مرافق العدو: شبكات الاتصال وخطوط السكك الحديد والشاحنات والطائرات ومخازن الذخيرة والوقود والمؤن."

صباح اليوم التالي بدأت بوارج الجنرال ماك آرثر تقصف الشاطىء. وباكراً في ١٠

يناير (كانون الثاني) باشر الجيش السادس عملية الانزال.

انسحب اليابانيون الى الجبال. وتدفق جنودنا الى الداخل فلم يصطدموا الا بمقاومة خفيفة. لكن القتال استمر في الجبال وفي مانيلا حيث خاض بعض الجنود اليابانيين قتالا يائساً.

بعد انتهاء المعارك دعيت لمقابلة الجنرال ماك آرثر. وفيما كنت داخلا مكتبه اذا بصوت يعلو عبر القاعة الفسيحة: "اذاً أنت رمزي."

كان ذلك صوت الجنرال بقامته الفارعة وعينيه الثاقبتين. فشعرت في حضرته براحة وطمأنينة. قلت: "لم يخامرنا شك في عودتك يا سيدي."

هز رأسه وأجاب: "إني آسف لان عودتي طالت الى هذا الحين."

تحادثنا أكثر من ساعة. فاستوضحني أوضاع قواتي والقادة العسكريين والمدنيين. كنت قلقا خصوصاً لجهة دمج قواتي بالقوات الامريكية النظامية، فقلت: "يهمني أن يعرف أولئك الذين قاتلوا معي أن خدماتهم ستقدر وأنهم سيعاملون على قدم المساواة مع قواتنا النظامية."

فأكد لي ماك آرثر أنه سيولي الامر عنايته.

تابعت: "ثمة أمر آخر يا سيدي الجنرال. لقد رفّعت ضباطا كثيرين في غضون سنوات الحرب الثلاث، ومنهم بضعة كولونيلات."

ضحك ماك آرثر وسألني: "هل رفعت أحداً الى رتبة جنرال؟"

أجبت: "لا يا سيدي، لكني أرجو إقرار هذه الترفيعات."

سألني: "هل تكفل هؤلاء الأشخاص؟"

أجبت: "كل واحد منهم يا سيدي."

قال: "اذاً أتعهد لك اقرارها."

بدأت أعرب له عن شكري فقاطعني: "رمزي، أنت ساعدتني لأفي بوعدي لشعب الفيليبين. أنا المدين لك."

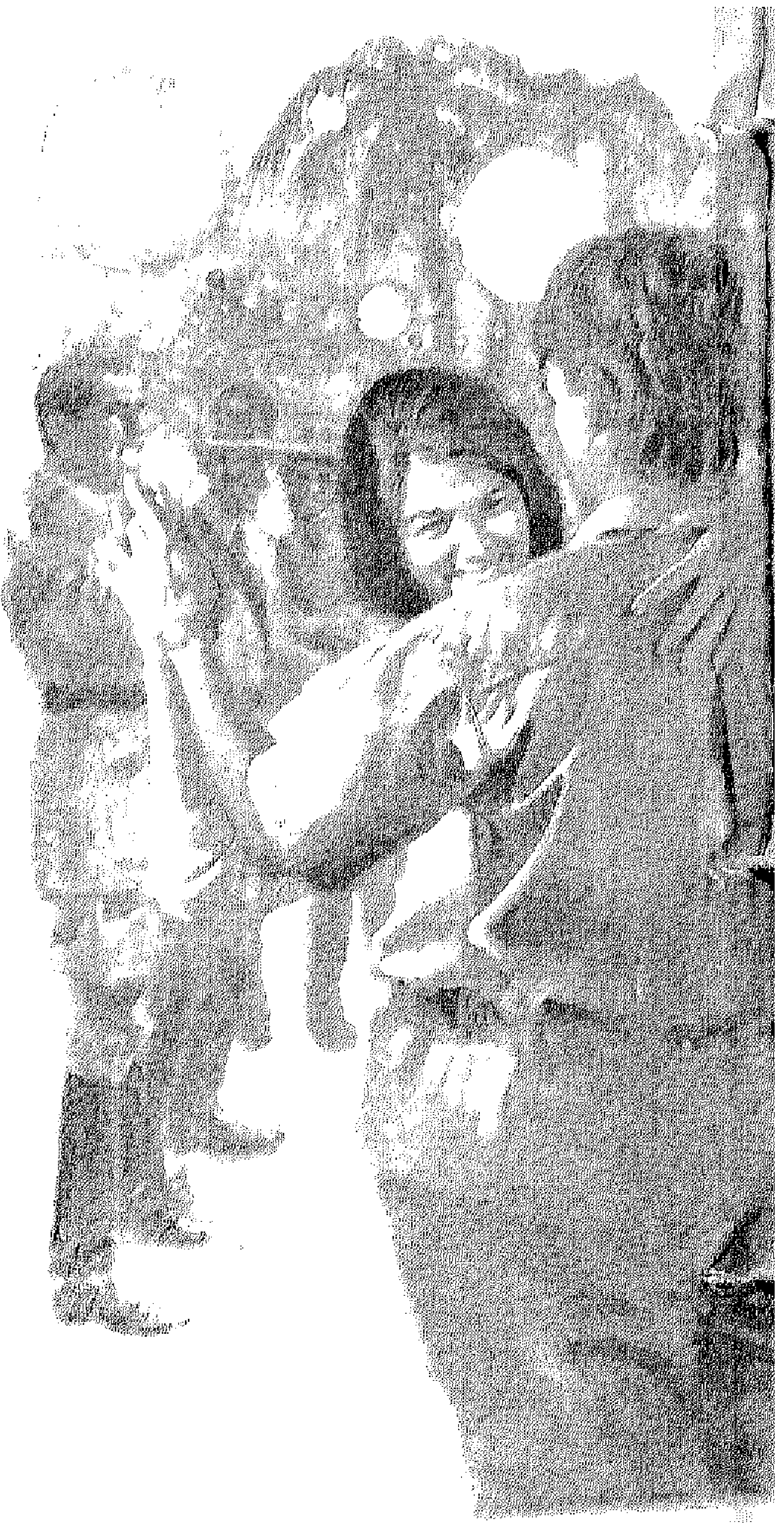
وفى ماك آرثر بجميع تعهداته. وعملت خلال شهري ابريل (نيسان) ومايو (أيار) لتدريب مقاتلي المقاومة وتأهيلهم، فنقص وزني الى ما دون ٤٠ كيلوغراماً. وكنت ما زلت واهنا أعاني داء الزحار.

في ٩ مايو (أيار) ١٩٤٥ يوم عيد ميلادي الثامن والعشرين استيقظت على أنغام موسيقى تصدح في الخارج. ورأيت أعلاما مثلثة ملونة تخفق على الاشجار خارج نافذتي. ووقفت رامونا تحتها مبتسمة ببزتها الكاكية الرسمية الجديدة وعلى كتفيها وصدرها شارة نقيب، رتبتها الجديدة. كانت هيئة أركاني مجتمعة في الخارج. وبدأ توافد الشخصيات الرفيعة. وظلت الموسيقى تصدح حتى الليل.

طلع الصباح فأخذتني رجفة. فاستويت على قدمي، لكني سرعان ما انهرت على الارض ارتجف بشدة. فحملني كاماتشو وكاديزون الى سيارتي ووضعاني على المقعد الخلفي وقد تدلى رأسي على صدري.

لزمت المستشفى عشرة أيام، تلتها عشرة أيام أخرى في مانيلا. ولدى عودتي الى عملي سعيت خلال أسبوع الى معاودة نشاطاتي العادية، فأسأت الأداء وأخطأت في كل شيء.

وأصبت بانهيار ثان أسوأ من سابقه. ففيما أنا جالس الى مكتبي اهتز القلم فجأة في يدي. فغار قلبي داخلي ورأيتني عاجزاً عن إتيان أي عمل ما عدا الانغلاق على ذاتي والانكفاء الى نقطة صغيرة نيرة من الوعي في دماغي راقبت منها جهازي العصبي وهو ينهار.



لزمت المستشفى أياماً كنت خلالها أستشعر في عمق أعماقي تلك النقطة الدقيقة النيرة التي هدتني الى واقعي. فناجيت نفسي: "لا أحد في خطر. الكل في أمان. لا غارات بعد الآن ولا هرب ولا اختباء ولا انذار. لم أستسلم في باتان، ولم ينل مني المرض ولا الجنرال بابا ولا المرارة القاسية التي خلفها موت أصدقائي الفاجع. ساعدت شعب الفيليبين على القتال والتحرر من الخوف والتعذيب والموت، وعلي الآن أن أكافح في سبيل خلاصي وسلامتي."

يوم تسريحي الثاني من المستشفى تلقيت أوامر بالعودة الى الولايات المتحدة مرفقة باعلامي أنني رفعت الى رتبة مقدم.

في ١٣ يونيو (حزيران) في مانيلا انحنى الجنرال ماك آرثر بقامته الفارعة ليعلق على صدري وسام الخدمة

المميزة وليكرر شكره لي. وبعد ثلاثة أيام ودعت أعضاء هيئة اركاني كلا بمفرده وشكرت لهم إخلاصهم وشجاعتهم. وغلب علي التأثر لدى وداعي كاماتشو وكاديزون فعجزت عن القول لهما "وداعا" واكتفينا بالمعانقة.

أقلتني رامونا في سيارتها الى المطار. فأغمضت عيني وألقيت رأسي الى الوراء.

قلت لها لدى وصولنا الى المطار: "تعالي لزيارتي."

قالت: "سأفعل. أرجو أن تتعافى بسرعة. وأتمنى لك السعادة والهناء."

أن تتعافى بسرعة. وأتمنى لك السعادة والهناء."

استقبلتني شقيقتي نادين في مطار سان فرنسيسكو، فبدت لي أكثر رزانة ونضجاً وقد تحولت خشونتها ثقة واتزاناً. قالت وهي تعانقني: "هالو بادي!" فيا لكلمة التحبب هذه التي غابت عن مسمعي سنوات قاسيت خلالها الأهوال. فأغرورقت عيناي.

سألتها: "هل علمت أمي بقدومي؟" فمنذ سقوط باتان وانا معتبر من المفقودين.

أجابت: "قبل بضعة أسابيع تلقت اتصالا من واشنطن."

سألتها: "وأنت، هل أنت بخير؟"

أجابت: "اني أقضي وقتا رائعا. أعمل في نقل الطائرات للجيش من قاعدة جوية الى أخرى. مقاتلات وقاذفات قنابل. وأدرب طواقم الطائرات أيضا."

ثم رمقتني بنظرة جانبية طويلة وسألتني: "وأنت، كيف حالك؟"

أجبت بصدق: "لست أدري."

قالت: "أنت الآن بطل. ولكن بربك، كيف أصبحت هزيلا الى هذا الحد؟"

ركبنا طائرتها. وفيما كنت أربط حزام الامان لاحظت نادين أن يديَّ ترتجفان، لكنها لم تقل شيئاً. فأقلعنا وتوجهنا شرقاً.

كانت والدتي في انتظارنا في مطار وتشيتا. نزلنا من الطائرة فبسطت لي ذراعيها وضمتني قائلة: "آه، بادي، بادي."

بعد يومين في البيت دخلت المستشفى في توبيكا لاجراء فحوص. وكان وزني ٤٢ كيلوغراماً. فأظهر التشخيص أني مصاب بالملاريا والزحار وفقر الدم وبسوء تغذية حاد وانهيار عصبي عمومي.

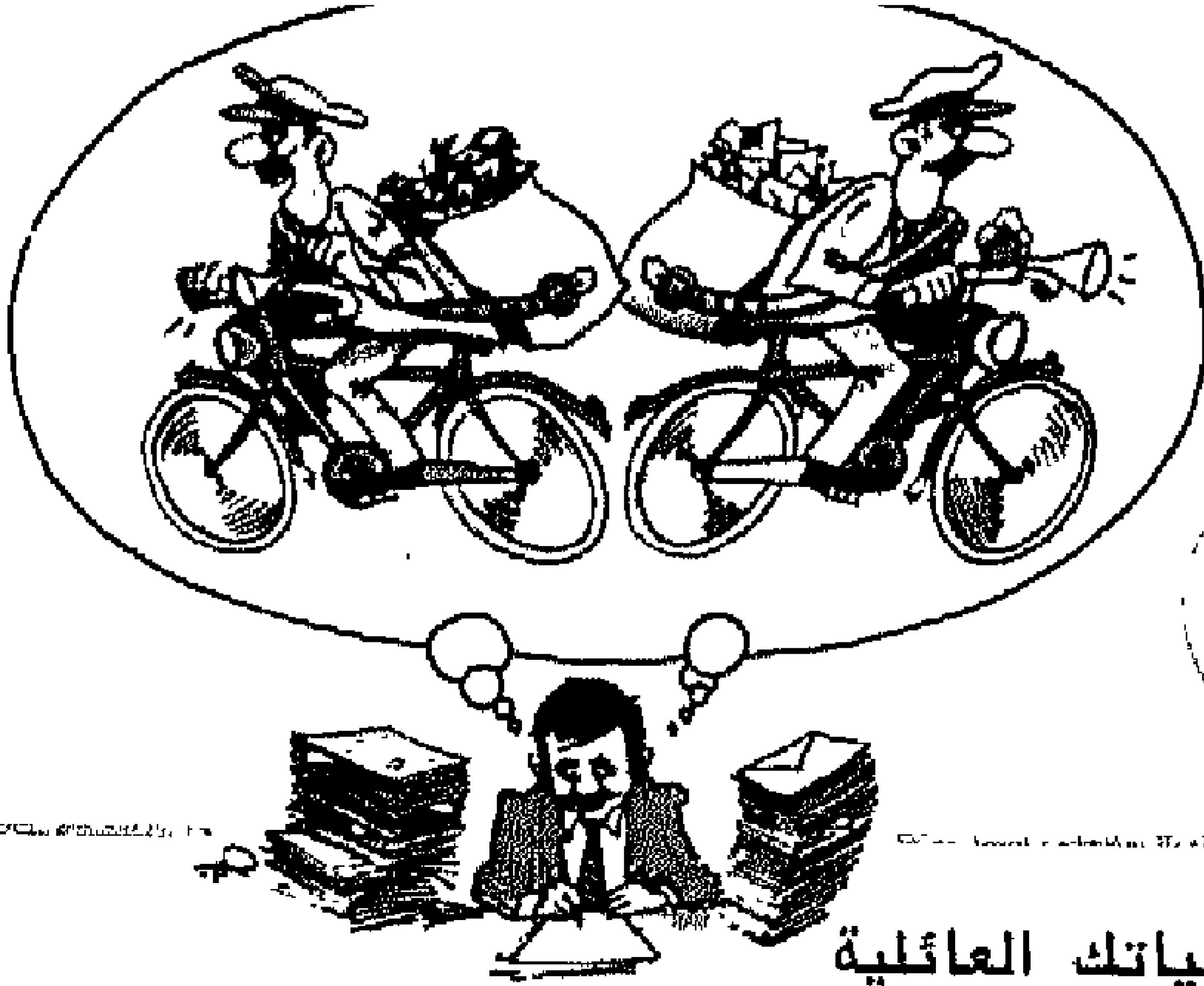
بقيت ١١ شهراً قيد المعالجة احتجت خلالها الى كل الايمان والحب اللذين تعلمتهما في لوزون. لكني صممت على الانتصار في هذه الحرب أيضاً.

ادوين برايس رمزي وستيفن ج. ريفيل ■

ترجمة الياس عقل

الى وسام الخدمة المميز، نال إد رمزي اوسمة "النجمة الفضية" و"النجمة البرونزية" و"القلب الارجواني" وميداليات وتكريمات كثيرة من حكومة الفيليبين. واصبح نائب رئيس شركة "هيوز للطائرات" مسؤولا عن منطقة الشرق الاقصى. وهو متقاعد حالياً ويعيش مع زوجته في لوس انجلس بكاليفورنيا

اكتب واربح



هل لديك نكتة؟ هل صادفت في حياتك العائلية أو المهنية حادثاً طريفاً؟ هل سمعت حكاية ذات مغزى وترغب في أن تشرك الآخرين في متعتها؟ خذ قلماً وورقة واكتب ما لديك وأرسله الى "المختار" فتدفع لك المجلة في المقابل، بعد النشر، حسب المعدلات الآتية:

صور من الحياة: القصة يجب أن تكون حقيقية تتحدث عن تجربة شخصية ناجحة ذات متعة خاصة. تدفع عن القصة الواحدة ٢٥ دولاراً.

تأملات معاصرة: مقاطع أصلية أو من كتب ومقالات منشورة تنطوي على مغاز حكمية. يدفع دولار عن كل سطرين.

حديقة أفكار: أقوال مأثورة للأعلام العرب. تدفع ٥ دولارات عن كل سطرين، على ألا يتجاوز القول المأثور السطرين.

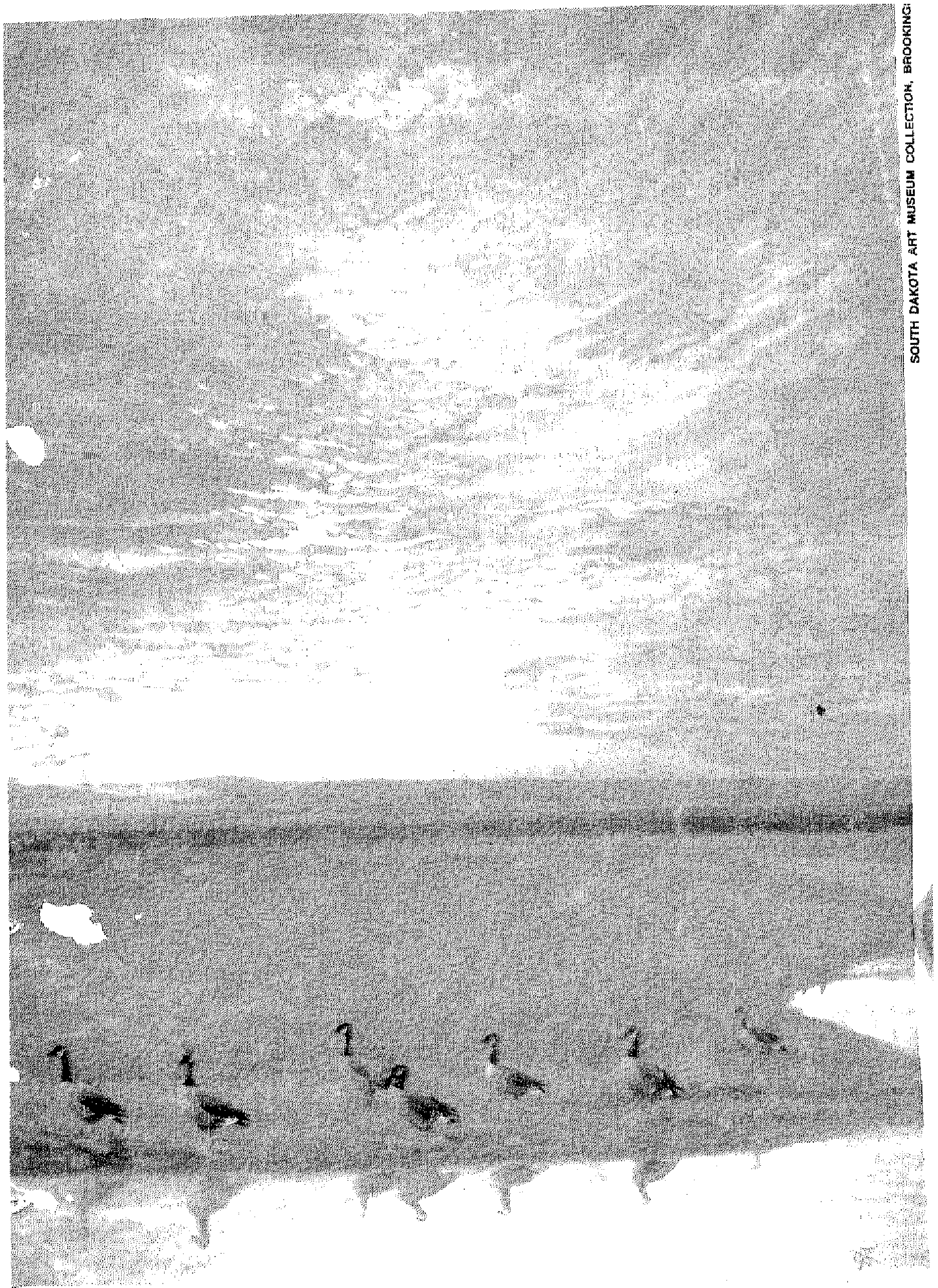
الضحك خير دواء: تفضل النكتة الاصلية، أما اذا كانت منشورة فيجب أن تختار من المطبوعات المحلية ذات الانتشار المحدود. تدفع ٢٥ دولاراً عن الاصلية و١٠ عن المنشورة.

السدات: هناك نكات ونوادر قصيرة من مصادر مطبوعة مثل الكتب والمجلات ذات الانتشار المحدود. وهذه كذلك يرحب بها "المختار" ويدفع دولارين عن السطر ذي العمودين.

شروط جديدة

- ★ كتابة الرسائل بخط واضح، والا طبعها على الآلة الكاتبة.
- ★ كتابة مادة كل باب على ورقة منفردة.
- ★ ارفاق كل مادة بنسخة مصورة كاملة لصفحة الكتاب أو المجلة أو الجريدة التي تظهر فيها، شرط أساسي لقبول أي مادة، اذ من دونها يتعذر علينا التحقق من صحة المصدر.
- ★ ذكر المصدر العربي ضروري ونعني بذلك: اسم الكتاب، اسم المؤلف، تاريخ النشر وعنوان الناشر كاملا. (اذا اختيرت المواد من مجلة أو جريدة، فينبغي ارسال عنوان الجريدة أو المجلة كاملاً، خصوصاً اذا كانت المطبوعة محلية محدودة الانتشار).
- ★ تحاشي المواد المترجمة أو المستقاة من مصادر أجنبية.
- ★ لا ينظر في الرسائل التي تضم كدسات من المواد، فالمقصود أن يحسن القارىء الاختيار.
- ★ لا تعاد النصوص الى أصحابها، سواء نشرت أو لم تنشر.

توجه الرسائل الى العنوان الآتي: مجلة "المختار من ريدرز دايجست"، بيروت. شارع المقدسي. بناية الشرتوني. ص ب ٨٧٠٧ لبنان.



SOUTH DAKOTA ART MUSEUM COLLECTION, BROOKINGS

"عندما تشرق الشمس" - زيتية للفنان الامريكي تشارلز غرينر، ١٩١٠